

بسم الله الرحمن الرحيم

الثقافة التقليدية
في المملكة العربية السعودية



6

الإبـــــل





الثقافة التقليدية
في المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية
ط١.- الرياض.
٥٤٧ ص ١٨ × ٢٥سم
ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٩-٣٣-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ٦)
١- السعودية - الثقافة
ديوي ٣٠١,٢٩٥٣١ ٢٠/٣٧٢٥

رقم الإيداع: ٢٠/٣٧٢٥
ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٩-٣٣-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ٦)

الناشر: دار الدائرة للنشر والتوثيق
ص. ب ٨٦٧١٣، الرياض ١١٦٣٢
المملكة العربية السعودية
فاكس ٤٥٠٤٩٧٥

Traditional Culture of Saudi Arabia

Published by The Circle for Publishing & Documentation
P. O. Box 86713, Riyadh 11632
Kingdom of Saudi Arabia
Fax. 4504975



تم إنجاز هذا العمل وطباعته ونشره

بتوجيه ورعاية من صاحب السمو الملكي

الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود







الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية

المشرف العلمي ورئيس هيئة التحرير

د. سعد العبدالله الصويان

المستشار العام

سلطان بن خالد بن أحمد السديري

هيئة التحرير

د. إبراهيم القرشي عثمان
د. حسن مصطفى حسن
حمد بن أحمد العسعوس
سعد بن عبدالله الغريبي
عبدالإله بن عبدالمحسن البابطين
د. عبدالرحمن عبدالرؤوف الخانجي
عبدالرحيم رجا نصار
عبدالله بن أحمد السيف
عبدالله بن بخيت البخيت
ناصر بن إبراهيم بن ناصر الحزيمي

الجهاز الفني والإداري

أبو بكر سعيد أحمد عمار
أشرف صفوت محمود
حسن صبري حسين
خالد عبدالرازق محمد
السيد حسن علي غالب
علاء أحمد حمدي عطية
ماجد محمد عبدالعظيم
محمد إبراهيم المحمد

تصميم وإخراج

أيمن السيد محمد عجمي

معالجات فنية

أشرف محمد عبداللطيف مفرح



المشاركون في التأليف

د. أحمد بن حمد الفرحان	(الحيوان، النبات)
د. أحمد بن عمر الزيلعي	(الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية)
د. أسامة بن محمد نور الجوهري	(العمارة)
د. جابر بن سالم موسى	(الطب والعطارة)
د. حميد بن إبراهيم المزروع	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. خليل بن إبراهيم المعيقل	(المواقع الأثرية)
د. سالم بن أحمد طيران	(الآثار)
د. سعد بن عبدالعزيز الراشد	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. سعد بن عبدالعزيز السعران	(الألعاب)
د. سعد العبدالله الصويان	(الإبل، القنص والصيد)
د. سعود بن سليمان ذياب	(الآثار، المواقع الأثرية)
سلطان بن خالد بن أحمد السديري	(الإبل، الحيوان، القنص والصيد، المعارف الجغرافية، النبات)
د. سليمان بن محمد الذييب	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. صالح العلي الهذلول	(العمارة)
عبدالرحمن بن زيد السويداء	(الإبل، القنص والصيد)
د. عبدالرحمن بن سعود الهواوي	(الإبل، القنص والصيد)
د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري	(الآثار، المواقع الأثرية)
عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع	(الإبل، الطب والعطارة، العمارة)
د. عبدالرحمن بن محمد العسيري	(الألعاب)
د. عبدالرحمن بن محمد عقيل	(الطب والعطارة)
د. عبدالعزيز بن سعود الغزي	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. عبدالكريم بن عبدالله الغامدي	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. عبدالله بن إبراهيم العمير	(الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية)
عبدالله بن أحمد السيف	(الإبل، المعارف الجغرافية)
د. عبدالله بن آدم نصيف	(الآثار، المواقع الأثرية)



د. عبدالله بن حسين الخليفة (الألعاب)

د. عبدالله بن حمد الخلف (الفلاحة)

د. عبدالله بن عبدالرحمن الدوسري (الآثار، المواقع الأثرية)

د. عبدالله بن سالم الزهراني (الفلاحة)

د. عبدالله بن محمد الشيخ الأنصاري (الحيوان، النبات)

د. عبدالله بن ناصر الوليعي (المعارف الجغرافية)

د. عبدالله بن يوسف الغنيم (المعارف الجغرافية)

د. عساف بن علي الحواس (المعارف الجغرافية)

د. علي بن إبراهيم حامد غبان (الآثار، الثقافة البحرية، الحرف والصناعات)

م. علي بن محمد الشعيبي (العمارة)

د. عوض بن متيريك الجهني (الحيوان، النبات)

د. فوزان بن عبدالرحمن الفوزان (الفلاحة)

د. محمد بن حسن صالح البراهيم (العمارة)

د. محمد بن خالد السعدون (الحيوان، النبات)

محمد بن سعود الحمود (المواقع الأثرية)

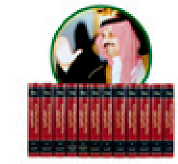
د. محمد بن عبدالعزيز اليحيى (الطب والعطارة)

محمد بن عبدالله الشواطي (المواقع الأثرية)

د. محمد بن عبدالله الصالح (العمارة)

د. معراج بن نواب مرزا (المعارف الجغرافية)

د. منصور بن سليمان السعيد (الطب والعطارة)



المراجعون

إبراهيم بن عبدالله الخميس
أحمد بن حامد الغامدي
د. حسن بن عايل أحمد يحيى
د. خليل بن إبراهيم المعيقل
راشد بن محمد الحمدان
سعد بن عبدالله البراك
د. سعيد بن فالح الغامدي
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
سلمان الأفنس ملفي الشراري
سلمان بن سلامة محمد الهلالي
صالح بن عبدالله العبودي
صالح بن محمد الخليفة
عبدالحميد بن مهدي أبو السعود
عبدالرحمن بن زيد السويداء
د. عبدالرحمن بن فريح العفنان
عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع
عبدالرحيم بن مطلق الأحمدي
عبدالعزيز بن جار الله الجار الله
د. عبدالله بن أحمد سعد الطاهر
د. عبدالله بن محمد البداح
عبدالله بن محمد المنيف
علي بن صالح السلوك الزهراني
علي بن محمد الحبردي
د. لويزا بولبرس
محمد بن إبراهيم الميمان
محمد حسين بنونة
د. محمد الصالح الربدي
د. محمد الصالح الشنيفي
محمد بن صالح البليهشي
د. محمد بن عبدالله النويصر
محمد بن عبدالله الحمدان
محمد بن علي حسن آل ناصر
د. مشلح بن كميخ المريخي المطيري
هزاع بن عيد الشمري
د. يوسف بن محمد فادن

استشارات علمية وفنية

د. إياد عبدالوهاب نادر
د. سعيد زغلول البسيوني
د. شوكت علي شودري
صالح بن عبدالله العزاز
عثمان لولن
د. مصطفى عبدالله شيحة

الرسامون والمصورون

بسام مصطفى أحمد
حمزة عبدالله النميري
روبرتو ميدينا
رولاند ميدينا
صلاح الدين الأمين
عبدالرؤوف محمد جمعة
غالب خاطر
محمد بن حسين بنونة



مصادر الصور

- **دار الدائرة للنشر والتوثيق**
- **المشاركون في التأليف**
- **الهيئات:**

شركة أرامكو السعودية
مكتبة الملك فهد الوطنية
الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض
الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها

- **المطبوعات:**

أطلس المياه، وزارة الزراعة والمياه
الغطاء النباتي للمملكة العربية السعودية، وزارة الزراعة والمياه.
الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً، مجموعة بن لادن السعودية.

- **الأفراد:**

بسام مصطفى أحمد
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
صالح بن عبدالله العزاز
عبدالعزيز بن جار الله الجار الله
عبدالله بن محمد المنيف
عثمان لولن
د. محمد بن عبدالله الصالح
محمد بن حسين بنونة
د. يوسف بن محمد فادن







تنبيه

هذه هي الطبعة الأولى من مشروع الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية. لقد بذلت دار الدائرة للنشر والتوثيق كل ما في وسعها لتخرج مجلدات المشروع على الشكل الذي يرضى عنه القارئ. إلا أن الثقافة ميدان فسيح من ميادين المعرفة وموضوع متداخل متشعب يصعب الإلمام به وحصره بين دَفّتَي مجلد أو عدد من المجلدات. إن مشروعاً بهذه الشمولية وهذا الطموح وهذا التعقيد يحتاج إنجازه بالشكل الصحيح إلى عقود عديدة وأجيال متعاقبة وطبعات متوالية لسد النقص وردم الثغرات وتصحيح الخطأ وتطوير المنهج وتلافي مختلف أوجه القصور. وأياً كان الأمر، يبقى عمل الإنسان ناقصاً مهما بذل من جهد لإتمامه، فالبدايات دائماً صعبة وشاقة. لذا فنحن بقدر ما نستدر عطف القراء ونأمل منهم الصفح عن الهفوات والأخطاء، فإننا، في عمل ضخم كهذا، بأمس الحاجة إلى آرائهم ونرحب بكافة ملاحظاتهم وتصويباتهم حتى يمكن الاستفادة منها في طبعات لاحقة.

كما نلفت الانتباه إلى أننا أوردنا في نهاية كل مجلد قائمة بالمصادر ذات الصلة بموضوع المجلد والتي تم الاعتماد عليها والتي يمكن للقارئ الرجوع إليها للاستزادة. لكننا، جرياً على العادة المتبعة في تأليف الموسوعات، حاولنا التخفيف قدر الإمكان من الإحالات إلى المراجع داخل النص واقتصرنا في ذلك على الحد الأدنى والضروري. أما تلك المصادر التي ترتب مادتها هجائياً مثل كتب الأمثال ومعاجم البلدان والقواميس فإننا أغفلنا الإحالة إليها داخل النص لعدة أسباب أهمها تعدد طبعاتها واختلاف الناشرين وسنوات النشر لكل طبعة ولأن مادة هذه المصادر مرتبة ترتيباً هجائياً يجعل من السهل على القارئ تتبع موادها والعثور على بغيته فيها دون أن نشير له إلى رقم الصفحة.



المحتويات









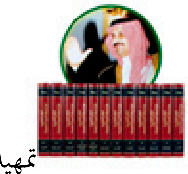




تمهيد

ارتبطت حياة العربي بالإبــل منذ أن استأنسها، وألفها وألفته، وروضها لأغراضه المختلفــة، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياته، وأحــد العناصر الأربعــة التي انــصهرت فــي بوتــقة واحدة، ممثلــة الذات العربية أصدق تمثيل؛ وهي: الإنسان العربي نفسه، والإبل والخيل، وبيت الشَّعر، تــلك العناصر لا يكاد ينفصل بعــضها عن بعض. وقد تم هذا التمازج بين هذه العناصر الأربــعة، منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة. وحين استعاض الإنسان عن خــدمات هذا الحيــوان الوفي – قبل حوالي نصف قــرن من الزمان– بمنتجات التقنــية الحديثة من سيارات وغيــرها، ظــل حب العــربي لهــذا الحيوان ضاربــاً في أعماق وجدانه. كيف لا وهذا الحيوان الوفي قد لازمه طوال هذه القرون السحيقة، وأصبح أثمن ما لديه من ممتلكات. فقد كانت تساق من الإبل ديات القتلى والعقائل والحمالات، كــما تساق منــها أيضاً مهور الكرائم من النساء، وهي مصدر غذائه وكسائه ومأواه ووسيلة اتصاله.

ومنذ ذلك العهد البعيد، وحتى عصر النهــضة الحديثــة، كانت الإبل هــي وسيلة العربي التي يجــتاز بها المفاوز إلى الأصقــاع البعيــدة، وأداته التي يغزو عليها أو يدافع بهــا عن نفسه، ويحــمي ظعــينتــه، ويمنع مــحارمه وذماره. كانت وسيلة انتقاله من مكان إلــى آخر، يــجوب عــليــها أرجــاء المعمورة، وعلى ظهورها ينقل طعامه وشرابــه. كانت رفيــقه في ســفره، وأنيســه في وحدته؛ مــنها يســتلهم أحاسيسه، ويستوحي صوره وخيالاته التي جــسّدها في شــعره ونثره عــبر القرون. وكانت لها مكانة عالية فــي




نفسه، وقد عرف الكثير من أسرارها، لطول معايشته لها. ولما لهـذه المكانة من أثر في وجدان العربي، نجد القرآن الكريم قد طرح هذا التساؤل المقنع، لما يعلمه الله تعالـى من مكانة الإبل عند العرب، كضرب من الإقناع في بداية انـبثاق فجـر الإسلام، إذ قال تعالى ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت﴾ (الغاشية: ١٧). فهذا البرهان الساطع يضرب عـلى الوتر الحساس لنفس العربي التي احتل هذا الحيوان فيها مـكانة مرموقة. ويـضفي عليه هالة باهرة تخـطف لب العربي، مما جعـل بعض الـعرب يعـجب بهـذا الحيوان أيمَّا إعـجاب. ولما انبثق نور الإسلام، كانـت الإبل العربـية هي الوسيلـة التي امتطاها المسـلمون في كل الاتجاهات شـرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً. فخبطت مناسم الإبل سور الصين شرقاً، وسالـت أعناقها على مشارف المحـيط الأطلسي غـرباً، ثم توغلت في غربـي أوروبا شمالاً في الأندلـس، بعد أن داست أخـفافها أسوار بيزنطة، وعركت بأزوارها إيوان كسرى وبساطه. كـل هذه الرحلات الـطويـلـة، الـتي تـتـجـاوز آلاف الكيـلومترات، كانت مـهمتها نـشر الإسلام، ورفع راية التوحيد لتثبيت الإسلام وتـرسيخ قواعـده. وظلت الإبل وفية للإنسان العربي منذ ذلك الأمد. يتغذى من ألبانـها ولحومها، وينتفع بأوبارها وجلودها، يتخذ منها مطيتـه التي يسير عليـها في تنقلاته لقضاء حوائجه. فهي التي ينقل عليها مؤونتـه من طعام وشراب ولـباس. يغزو علـيها عند الحرب، ويتـخذها مطية وقت السلم. يتخذ منها سانيته التي يزرع عليها، فيسقي الزرع ويروي الضرع، ويُخرج على ظهورها ينبوع الحياة من أعماق الأرض. وكما هي أداة للاسـتقـرار في المـدن والقـرى والأرياف، فهـي أيضاً أداة للـنجعة والـترحـال فـي الـباديـة والـوهـاد والشعاب.

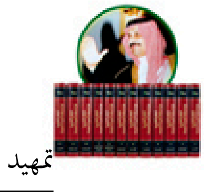
والإبل من أعز ما يملك العربي، فهي كريم أموال الأشراف الأقوياء؛ تحتاج إلى من يحـميها بحد سنانه، ويدافع دونها بسيفه ولسانه، حتى لا يسلبها الأعداء. وقد أصبح من عرف العرب منذ أمد بعيد أن «العز بالإبل والشجاعة بالخيل». ولم تقم المعارك الطاحنة، التي ذهب ضحيتها صفوة الرجـال، إلا من أجل الإبـل. وما الغزوات التـي كان يقوم بها العـرب



إلا بسبب كسب الإبل. كل ذلك كان منذ زمن بعيد، واستمر حتى بدأت تتضعضع قيمتها عند استخدام الآلة البديلة. فقد كان العرب يعتمدون على عنصرين اثنين تقوم عليهما قوة القبيلة أو ضعفها. هذان العنصران هما: ما يتوافر في القبيلة من المحاربين الأشداء، وما تملكه من الإبل؛ فبهاتين الركيزتين يقوم كيان القبيلة، فيرتفع ويشمخ أو يتدنى وينحط. وقد أفاض الشعراء العرب في وصف الإبل أبلغ وصف، وجسَّدوها بصور رائعة. ولم يكتفوا بالوصف الحسي لمظاهر البعير المادية، وإنما وصفوا الميزات والطباع والخلجات والأحاسيس والتفاعلات النفسية. ومَنْ يطلع على ما قيل في الإبل، من الشعر والنثر، يجد مصداق ذلك. ولم يقتصر الأمر على الشعر الفصيح وحده، بل استمر تدفق هذا الينبوع الثرّ في الشعر الشعبي، الذي تزامن مع الشعر الفصيح في العصور المتأخرة حسب النماذج الموجودة في كلٍ من النمطين.

ثم جاء عصر التقنية والتحليلات العلمية المخبرية. فاكتشف المهتمون بهذا الحيوان أشياء كثيرة تقوم على التحليل العلمي لأجزاء هذا الحيوان، وبعض ما ينتجه من ألبان ولحوم وشحوم وغيرها. فتبينت العناصر التي تتركب منها ألبان الإبل، والخصائص التي يحتويها هذا السائل الغذائي المهم الذي قامت عليه حياة الإنسان العربي عبر آلاف السنين. كما اكتشفوا العناصر التي تكونت منها لحوم الإبل وقيمتها الغذائية، إضافة إلى دراسة الأسباب التي جعلت هذا الحيوان يتأقلم مع الحياة الصحراوية القاسية. فأضافت تلك الدراسات العلمية مفهوماً جديداً لقيمة هذا الحيوان المحبب إلى قلوب كثير من الناس.

ولشدة تعلق الإنسان العربي بهذا الرفيق الوفي الأمين، تجده يحب اقتناءه بصفة فردية أو جماعية. فسكان البادية والأرياف ما يزالون يقتنون قطعانا من الإبل. وأما سكان المدن، فبسبب ضيق منازلهم وازدحامها، يلجأون إلى تخصيص أماكن للإبل خارج المدن تبقى فيها، ويترددون عليها في أوقات فراغهم. ولعلَّ من مظاهر الحب الراسخ لهذا الحيوان إقامة المهرجانات السنوية لسباق الإبل في دول الخليج العربية، وبخاصة في المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية



المتحدة، وسلطنة عمان، الهدف منها الحفاظ على هذا الحيوان، والتشجيع على تربيته واقتنائه والعناية به، وفاءً له، وتعبيراً عن المكانة الرفيعة التي لا يزال يحتلها لدى إنسان الجزيرة العربية والخليج العربي.



سلالات الإبل وألوانها

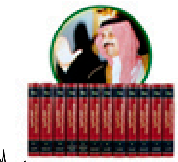
استئناس الإبل

يعتقد العلماء أن أول مكان استؤنس فيه البعـير العربي هو وسط أو جنوبـي الجزيرة العربية، إذ وجدت على صخور ما قبل الـتاريخ رسوم تبرز الإبل عـلى هيـئة حيـوانات مسـتخدمـة للتـسليـة وللركوب.

وقد افـترض الـباحـثون أن وسط الجزيرة العربية هو المركز الأساسي الذي استؤنس فيه البعير. ومنه انتشرت الإبل العربية إلى شمالي أفريقيا. ويعتقد آخرون أن المكان المحتمل لاستئناس البعير لأول مرة هو جنوبي الجزيرة الـعربية، وليس وسطها، حيث كان الإنسان الأول مستقراً



رسوم صخرية أثرية لجمال في منطقة بئر حمى



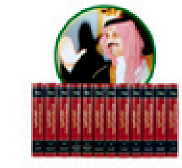
في الجزيرة العربية على السواحل أو بقرب أودية الأنهار، وقد وجد في بعض البقايا الأثرية التي تعود إلى ما بين ٣٠٠٠ و٢٧٥٠ سنة قبل الميلاد في جنوبي الجزيرة العربية دلائل تشير إلى أن العرب في ذلك الوقت كانوا يتغذون ببقر البحر (عرائس البحر)، وهي حيوانات ثديية تشبه السمك، بالإضافة إلى اعتمادهم على لحوم الإبل غير المستأنسة.

وتفترض النظرية العامة أن استئناس البعير حدث أول أمره في جنوبي الجزيرة العربية. وهذا القول يمكن أن يؤيد بعدة طرق، منها وجود الرسوم الصخرية في جنوب الجزيرة العربية مع وجود الأودية المعزولة هناك والطقس الحار. كل هذه العوامل ربما وفرت الملجأ المناسب لأية إبل في حالة وحشية. إضافة لهذا فإن المنطقة معزولة بواسطة الصحراء العربية الكبيرة المتوسطة (الربع الخالي) من الحضارات الواقعة في الشمال. ويرى ويلسون أن كثيراً من الباحثين متفقون على هذه النظرية (Wilson 1984).

ويعتقد أغلب الباحثين في هذا المجال، أن انتقال البعير العربي من حالته الوحشية (الفطرية) إلى حالة الاستئناس كان عملية سهلة. فبيئته الصحراوية لم تعرف حيوانات مفترسة يخشى عليه منها، إضافة لاعتماده في شربه في



رسوم صخرية أثرية لجمال في منطقة العلا



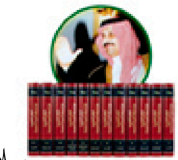
الصحراء على مصادر المياه المحدودة التي يستخدمها الإنسان، مما جعله أكثر قرباً منه، وأسهل في الاستئناس.

وبعد أن استؤنست الإبل العربية، استخدمها العرب الأقدمون لحمل أثقالهم وأمتعتهم، وللركوب عليها، وأكل لحومها، وشرب لبنها بصورة خاصة. وفي رأي الباحثين أن استئناس الإبل العربية حدث في فترة حديثة نسبياً، امتدت لألفي عام قبل الميلاد، بالمقارنة مع استئناس بعض الحيوانات الأخرى. يقول جواد علي:

> وليست دولة الحيوان في جزيرة العرب دولة ضخمة عظيمة، وكيف تكون ضخمة وأكثر أرض الجزيرة عدوّ للحيوان؟ والجمل هو الحيوان الأليف الوحيد الذي استطاع بعناده وبصلابته السير بجبروت وبتبختر فوق رمال الصحراء غير عابىء بالرياح العاتية التي تذرو الرمال في الأعين، وتنقل أكواماً منها معها، تكفي لدفن الجمل ومن عليه أو من معه، ومع ذلك فإن هذا الحيوان الصبور العنيد لم يُوفّق أيضاً في تحطيم جبروت البوادي في كل مكان. فظل بعضها حراماً عليه وعلى السابلة، تحطم من يريد التجاوز عليها والاعتداء على استقلالها بأن تميته عطشاً، فتفتح ذرات رملها الناعم، وعندئذ تغوص قوائم الجمل فيها فيبقى في مكانه حتى ينفق.

والجمل هو أيضاً من أقدم الحيوانات التي سمعنا بها عند العرب وأعزها، وقد صور في النصوص الأشورية عند ذكر معركة (قرقر) ومعارك أخرى وقعت بين العرب والأشوريين. وطبيعي أن يقرن البعير بالبادية، وأن يجعل رمزاً لها. فليس لحيوان آخر القدرة على اجتياز البوادي واختراقها وتحمل مشقاتها وعطشها مثل الجمل، ثم إنه مركب العرب يحملهم ويحمل تجارتهم وماءهم. وهو ممولهم بالوبر لصنع الألبسة كالعبي أو ما شابهها حيث الوبر أرق من الصوف، حتى قيل للأعراب (أهل الوبر). ولبن الإبل هو لبن أهل البادية، وإذا احتاجوا إلى لحم نحروا الجمل فأكلوه وأفادوا من جلده.

والجمل ثروة، والثري العربي هو من يملك عدداً كبيراً من الإبل، وتقدر ثروته بقدر ما يملكه منها. وقد كان الجمل مقام (النقد)، أي

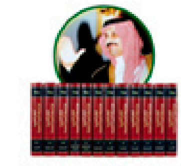


مقام الدينار والدرهم في الغالب، فبعدد من الإبل يقدر مهر الفتاة، وبعدد من الإبل تفض الديّات والخصومات. وهكذا يتعامل به كما نتعامل اليوم بالنقود (١٩٦٨، ج١ : ١٩٧-١٩٩).

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن شرق الجزيرة العربية كانت الموطن الذي ذلّل فيه هذا الحيوان في الشرق الأدنى، استدلوا على ذلك بإطلاق العراقيين القدماء على الجمل اسم حمار البحر، وقالوا إن قصدهم من البحر هو الخليج، وأن لفظة الجمل جملو/ كَمَلو في اللغة الأكادية إنما وردت من بادية الشام، ومعظم سكانها من العرب. وكانوا يستعملون الجمل استعمال وسائل الركوب في هذا الزمن، وكان ذلك في الألف الثاني قبل الميلاد. فدخوله من البوادي إلى العراق دليل على أن العرب كانوا قد استخدموه أولاً، ومنهم انتقل إلى العراق والبلاد الأخرى.

ويرى بعض الباحثين أن البداوة الحقيقية، على نحو ما نعرفها اليوم من السكنى في البوادي والتنقل فيها من مكان إلى مكان، لم تظهر في جزيرة العرب إلا في أواخر النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، عندما ذلل الإنسان البعير وروضه لخدمة أغراضه. ففُتحت له بذلك أبواب البوادي، وتمكن من التوغل فيها واجتيازها بفضل جمله، خادمه المطيع. أما فترة ما قبل الجمل، فقد كان العربي لا يستطيع اجتياز البوادي واختراقها، لأن الحمار، الذي كان واسطة الركوب عنده، لا يتحمل ولوج البادية، ولا يستطيع العيش فيها. فالحمار لا يصبر على العطش أو الجوع صبر الجمل. لذلك كان عرب الجزيرة في الألف الثاني، وقبل تذليل الجمل، رعاة في الغالب، وسائط ركوبهم الحمير، ولم يكونوا قد طرقوا البوادي أو توغلوا فيها توغل العرب أصحاب الوبر فيما بعد.

فالجمل إذن هو الذي فتح لأهل جزيرة العرب آفاق البوادي، ووسع البداوة عندهم، حتى جعلها عالماً خاصاً يقابل عالم الحضارة في الجزيرة العربية. وهو الذي صار أهم واسطة لنقل الأموال بالطرق البرية الطويلة التي تربط أجزاء الجزيرة العربية بعضها ببعض، وتربطها بالطرق الخارجية. وبفضل الجمل، القادر على تحمل العطش والصبر على الجوع، وتحمل الصعاب، صار في إمكان العربي التنقل إلى مسافات بعيدة من الجزيرة العربية وحمل أثقاله معه. فاستخدام العرب للجمل هو في الواقع ثورة كبيرة



في عالم المواصلات والتجارة والاقتصاد في ذلك العصر.

والبعير المعروف في جزيرة العرب، هو ذو السنام الواحد. وهناك نوع من الإبل يقال للواحد منها الهجين، والهجين من الأبناء من كانت أمه أعجمية، والهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصان عربي؛ أما في الإبل فإن الهجان أو الهجن هي الكرام والبيض (المغاتير). يقول عمرو بن كلثوم:

ذراعي عيطل أدماء بكرٍ
هجان اللون لم تقرأ جنينا

وقال آخر:

هجان المحيا عوهج الخلق سربلت
من الحسن سربالاً عتيق البنائق

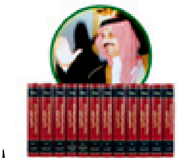
قيل: إنها النقية من الإبل. وقال كعب بن زهير:

حرفٌ أخوها أبوها من مهجنة
وعمها خالها قوداء شمليل

والمهجنة هنا الممنوعة من فحول الناس إلاّ من فحول قومها لعتقها، وهذا هو المتعارف عليه عند البادية. والهجن في مفهوم العامة هي ما يركب من الإبل وقد يحددها البعض بالحُمْر خاصة (عمانية، حرة، أركية) وهي عند البادية الجيش تستخدم للسفر والغزو أو السباق في أي لون كانت.

وقد عدّ البعير عند العبرانيين من موارد الثروة والغنى، ولذلك عدّ أيوب عليه السلام من أغنياء زمانه لأنه كان يملك ألفي بعير، وعد المدْيَنيّون (أهل مدين) وهم من العرب، أغنياء لأنهم كانوا يملكون أعداداً كبيرة من الإبل.

تشير معظم الدلائل إلى أن الموطن الأصلي للإبل العربية (ذات السنام الواحد) هو شبه الجزيرة العربية على الساحل الشرقي وشمال شرقي الحجاز، وهذا يعطي دلالة على مدى ارتباط العرب بالإبل منذ عهد قديم جداً، فقد ارتبطت حياتهم بالإبل، سواء البادية أو الحاضرة، فَدوّنوها على نقوشهم الحجرية، وذكروها في كتاباتهم وأشعارهم، فالبدوي في الصحراء يقوم برعايتها وتربيتها، وتنقية السلالات الجيدة منها، والاستفادة من ذلك في جميع شؤون حياته. والحضري يستخدم الإبل في سقي مزروعاته، وجلب ما يحتاج إليه في شؤون الزراعة على ظهور الإبل. والتاجر العربي نقل معظم بضائعه على ظهور الإبل من بلد إلى بلد، واستخدم الإبل نفسها كسلعة رابحة، لذلك وجدت الإبل رعاية وعناية من قِبَل العربي خاصة، إذ إن الشعوب الأخرى تتخذ الإبل وسيلة للنقل وحمل الأثقال مثلها في نظرهم مثل بقية الدواب



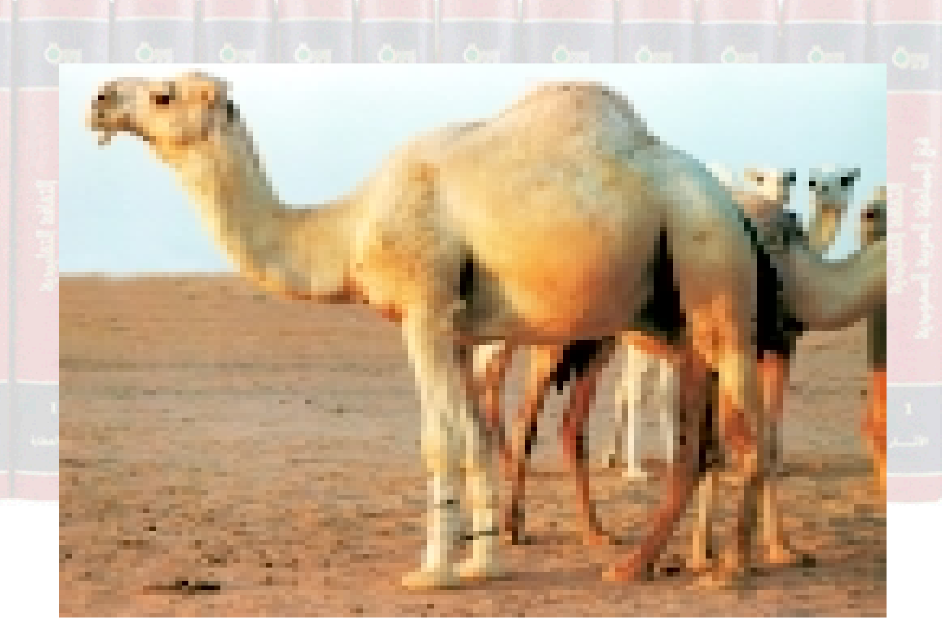
الأخرى كالبغال والحمير (الحبردي ١٤٠٩ :٦-٧). يقول ابن خلدون في المقدمة:

إن البدو هم المتحلون للمعاش الطبيعي من الضرع والقيام على الأنعام. ومن كان معاشهم في الإبل من البدو منهم أكثر ظعناً وأبعد في القفر مجالاً؛ لأن مسارح التلول ونباتاتها وشجرها لا تستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورد مياهه الملحة والتقلب في فصل الشتاء في نواحيه فراراً من أذى البرد إلى دفء هوائه، وطلباً لِمَاخِضِ النتاج في رماله (١٣٢٠ :٣١٤).

سلالات الإبل وأشهرها في المملكة

حرص العرب على معرفة سلالات الإبل وأصولها، نتيجة طبيعية لارتباطهم الوثيق بها في حياتهم اليومية منذ أقدم العصور. وقد عنوا عنايةً خاصةً بدقة الفحص والتمحيص عن نشأتها ونسبتها إلى أصول ومناطق معروفة عندهم. ومرد ذلك إلى اعتقادهم أن صفات الإبل إنما تُكتسب عن أصولها، وأن هذه الصفات انعكاس لبيئتها ومنطقة نموها ونشأتها وانتمائها.

وقد ورد في الأثر أن العرب كانت تعرف سلالة إبلها الأصيلة، وكانت تقول في أمثالها «نجارها نارها» والنار تعني السمة أو العلامة. فيقال «ما نار هذه



الجمل العربي ذو السنام الواحد

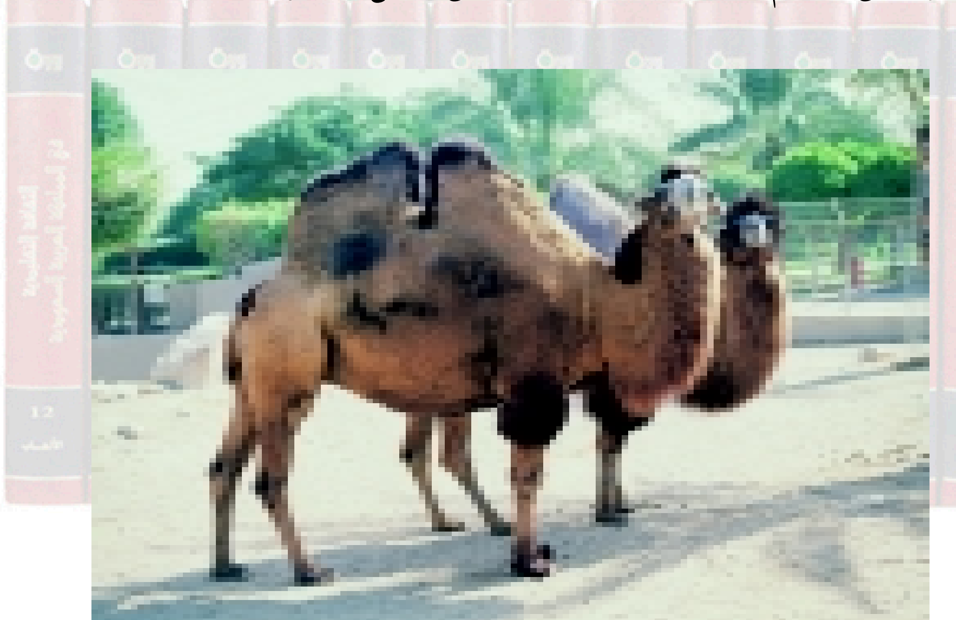


الناقة؟» أي ما سمتها؟ فإذا رأيت نارها عرفت نجارها، أي عـرفت أصلها لأي قبيلة أو لأي شخص تنتمي.

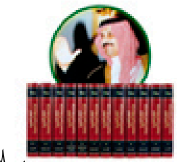
ومن وجهة النظر العلمية البحتة، لا يوجد في عصرنا الحاضر إلا نوعان من الإبل همـا: البعيـر العربي ذو الـسنام الواحد، والبعير البكتيري (البقطري) ذو السنامين. وكما هو معروف علمياً أيضاً، فإن البيئة التي يعيش فيها الحيوان، على مر العـصور، تؤثر في تـشكيل هـيئته وسلوكه وحركته وغذائه. والإبل العربية وإن تشابـهت في الشـكل العام إلاّ أن فروقـاً بسيطـة تبقى بـينها فـي الحجم والسرعة واللون، وبعض الفروق اليسيرة في أجزاء من الجسم.

ويتضـح، من الاستقراء العـلمي، وجود نوع واحد للبعير العربي. ولكن مع تأثـيرات الظروف البـيئية والمنـاخية والمعيشية ظهرت بعض الفروق التركيبية البسيطة بين مجموعات المناطق المختلفة.

ولا يُعَدُّ الجمل فحلاً أصيلاً إلا بعد خمس ولادات متتاليـة تلدها الناقة من فحل محفوظ النسب من سلالة معروفة، ولا تُناخ الذلول إلا للجمل الحر (ابن أم خمسة) لذلـك تجد أن صاحب الذلول النجيبة يُـشَمِّلها وقت الهياج بشقـة من الصوف يشق وسطها ويدخل ذيل الذلول من ذلك الشق، تفادياً للقاحها من جمل غير معروف النسب، فيجهد ذلوله باللقاح من جمل مجهول.



الجمل البقطري ذو السنامين



ومن طبيعة البدو وعاداتهم أن يطلقوا الإبل المخصصة للتضريب ابتداء من أكتوبر حتى فبراير، لتقوم بعملية التلقيح خلال موسم الهياج. ومن المعلوم أن فحلاً واحداً جيداً في فصل ربيعي جيد يستطيع أن يلقح مئة ناقة.

ويعتمد البدو في تقسيمهم للإبل إلى سلالات على مفهوم خاص يرتكز على ألوانها ومواطنها والمواصفات المطلوبة في كل سلالة، ومن هذا المنطلق نجد الاختلاف في تعداد هذه السلالات بين بادية جنوب الجزيرة، وبين بادية بعض مناطق نجد والمنطقة الشمالية. فبادية المنطقة الجنوبية ترى أن السلالات الموجودة في المملكة هي ثلاث سلالات: المجاهيم، والمغاتير، والحمر. ثم تأتي تقسيمات ثانوية عن كل سلالة، تعتمد على ألوانها؛ ذلك أن المواصفات المطلوبة في كل نوع من الأنواع الثلاثة على حدة، هي مواصفات واحدة وإن اختلفت الألوان. وعلى سبيل المثال، فالمواصفات المطلوبة في الناقة المجهم إذا كانت سوداء غورية، هي المواصفات نفسها المطلوبة في الناقة الصهباء أو الصفراء أو الملحاء أو حتى حمراء المجاهيم. وهذا ينطبق -من وجهة نظرهم- على المغاتير أو الحمر. فالناقة المغتر الوضحاء تحمل نفس مواصفات الشعلاء أو الشقحاء أو الصفراء. ولما كان اللون الأصفر هو أحد التقسيمات الثانوية في المجاهيم والمغاتير؛ فهم يستشهدون بمقولة أنك إذا سألت أحد أبناء البادية عن ناقة صفراء، بادرك هو بالسؤال: أهي صفراء مجاهيم، أم صفراء مغاتير؟.

قال الشاعر:

طاح المطر فى اوّلْ شهر من ربيعه
وهيض ضميري زين وبل الشخاتير

جعله يعم ديار نجد الوسيعه
ويمطر على دار البكار المغاتير

شقحٍ ورسم الزين فيهن طبيعه
ومْتَيّهاتٍ في صباهن وابـاكير

ووسومهنّ اجناب ما ادري نزيعه
والا ذهيبٍ ضيّعوه المداوير

غير أن بادية الجزء الشمالي من نجد والمنطقة الشمالية تقول غير ذلك، فهم يرون أنه بالنسبة للإبل المجاهيم، قد تجد في الذود الواحد عدة ألوان: ففيه المجهم الصفراء والسوداء والصهباء والملحاء والحمراء، ولكن بالنسبة للإبل المغاتير يكون اللون في الذود الواحد موحداً. فتكون جميعها إمَّا وضْح أو شِقْح أو شِعِل أو صُفُر؛ لذلك، ومن وجهة نظرهم، فإن التقسيم المنصف أن يكون كل لون من ألوان المغاتير هو سلالة قائمة بذاتها، حتى وإن صادف أن اجتمعت



هذه الألوان في ذود واحد، وحتى وإن كانت المواصفات الجمالية لهذه السلالات متطابقة.

ونلحظ أن باديـة نجد انقسمت بين الرأيين، وربما ذهب المهتمون بالإبل الحمر هذا المذهب في رفضهم للتقسيم الأول، ويرى بعضهم أنه لا يمكن اعتبار العمانية والآركية سلالة واحدة، نظراً لاختلاف ألوانها وبيئتها، كما لا يمكن، من وجهة نظرهم، اعتبار الآركية والحضنية سلالة واحدة، وكذلـك الحرائر، على الرغـم من أن هـذه السـلالات الأربع تحـمل المواصفات المطلوبة نفسها في أي منها، واقـتنـيت أسـاساً لـغرض واحـد هو الركوب، عدا الآركية.

ومحاولةً للتوفيق بين وجهات النظر المختلـفة، نذكر أن فـي المملكة ثـلاث سلالات رئيسية هي: المجاهيم والمغاتير والحـمـر، فتـكـون الألـوان الأخرى والتـسميات المخـتلفة لـهذه السلالات الثلاث سلالات ثانوية. في حين نصنف السلالات الجديدة (السودانية بـنوعيها، والباكستانية) سلالات دخيلة. أما الجودية فربما أمـكن إدخالها مـن ضمن سلالة المغاتـير الشعل، عـلى اعتبار أن بـادية جنوب غرب الـعراق تعد جغرافيـاً من الجزيرة العربية، وهي موطنها الأصلي، ولكون المغاتير الشعل هي ذاتها المعروفة بالجودية في رأي الغالبية.

المجاهيم. هي الإبـل المُلْح (مفردها ملحاء)، واشتهرت بها المنطقة الجنوبية، خاصة منطقة الربع الخالي. وأفضلها ما كان لدى قبيلتي الدواسر وآل مُرَّة، وربما انتقلت من هاتين الـقبيلتين إلى القبائل الأخرى مـثل: قحـطان، وبعـض من عتيـبة، وسبيع، وغـيرهم. وللمـدقق والمهتـم في المجاهيـم نقول: إن هنـاك اختلافاً بين مجاهيم الدواسر ومجاهـيم آل مُرَّة، فإبل الدواسر عادةً تكون أطول عظاماً، وأرق أوصافاً، وأقل حليباً من إبل آل مُـرَّة. في حـين أن إبل آل مُرَّة أضخم عظاماً ورؤوساً وبطوناً، وأقصر، وأكثر حليباً من إبل الدواسر. وأكثر ما يكـون الاختلاف وضـوحاً في الـرأس والأذنين وعرض الـوجه. فإبل آل مُرَّة تتصف بـعرض الوجه في حين أن إبل الدواسر تكون أكثر حدة وأصغر حجماً، وربما قيل لهذا السبب إن المجهم الدوسرية أكثر جمـالاً من المجهم المُرِّية. وللإبل المجاهيم ألوان متدرجة هي:

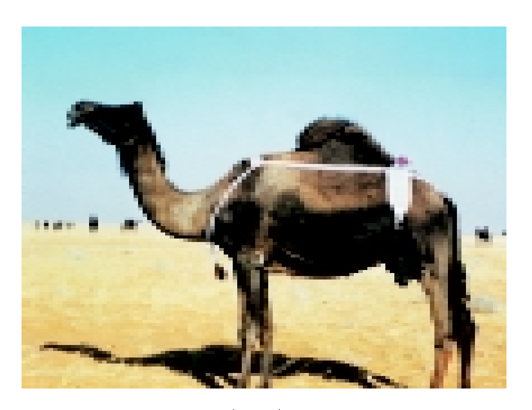
السوداء الغوريـة أو الغرابية: وهي شديدة سواد الوبر. يقول الدندان:

سوداً كـما الـنيل تـشدى حـرة المرَّه
لا من جـلاها صـلاة الصـبح ودَّان





سوداء غورية مجاهيم



صهبا مجاهيم

الملحاء: وهي أقل سواداً من الغورية.

الصهباء: وهي التي يكون مع سواد لونـها بعـض الوبـر الأصهب، الـذي يجعلها أفتح لوناً من الملحاء.

الصـفراء: وتكـون أفتح لـوناً من الصهباء، ويغلب عليها وبر أصفر اللون منتشر بكثافة بين وبرها الأسود.

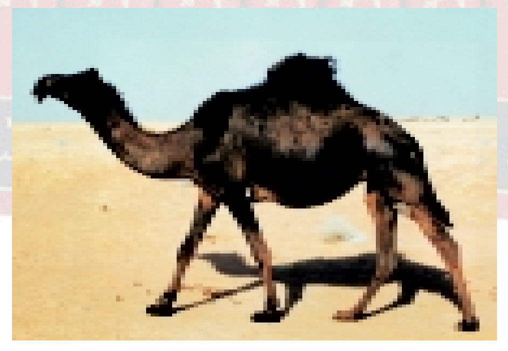
الزرقـاء: وهي مـا اختلـط وبرها الأسود بوبر أبـيض، خاصة في أذنيها ووجهها ويديها.

الحمراء: تعرف بحمراء المجاهيم، وربما عُدت من الحمر، ولكن مواصفاتها تختلف عن مواصفات الإبل الحمر، وتتطابق مع الإبل المجاهيم، وهي ما يكون وبر معارضها وذروة سنامها وهلب ذيلها أسود، وباقي جسمها مغطى بالوبر الأحمر.

وتختلف الإبل المجاهيم عن غيرها من الـسلالات، بالإضـافة إلى لـونها الأسود، بكـبر حجمـها وكثرة لحـمها وحليبها. وهي لا تستعمل للركوب أو الحمل إلا في الحالات الاضطرارية عند ارتحال البادية أو نقل المياه في السابق.

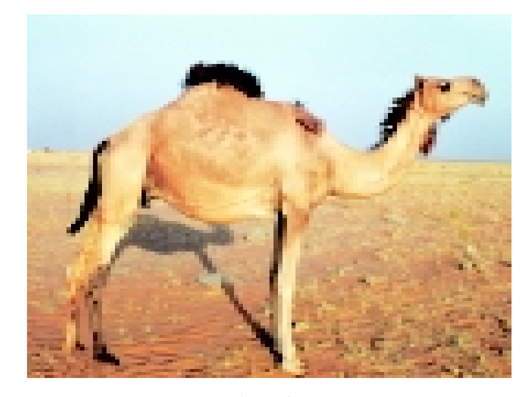
ومن أشهر تسميات الإبل المجاهيم: بنات مـعديات، بنات جـسران، بنات شيوبان، بنات سحيليقان، بنات هدبان، بنات صيفوران.

ولـلمـهتـمـين بالإبـل المجاهـيم مواصفات خاصة يلزم توافرها في الناقة

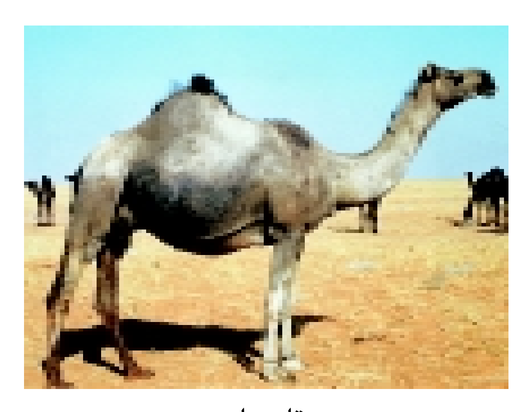


ملحا مجاهيم





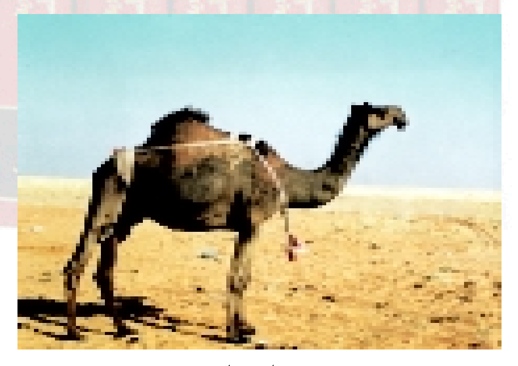
حمرا مجاهيم





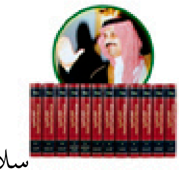
زرقا مجاهيم

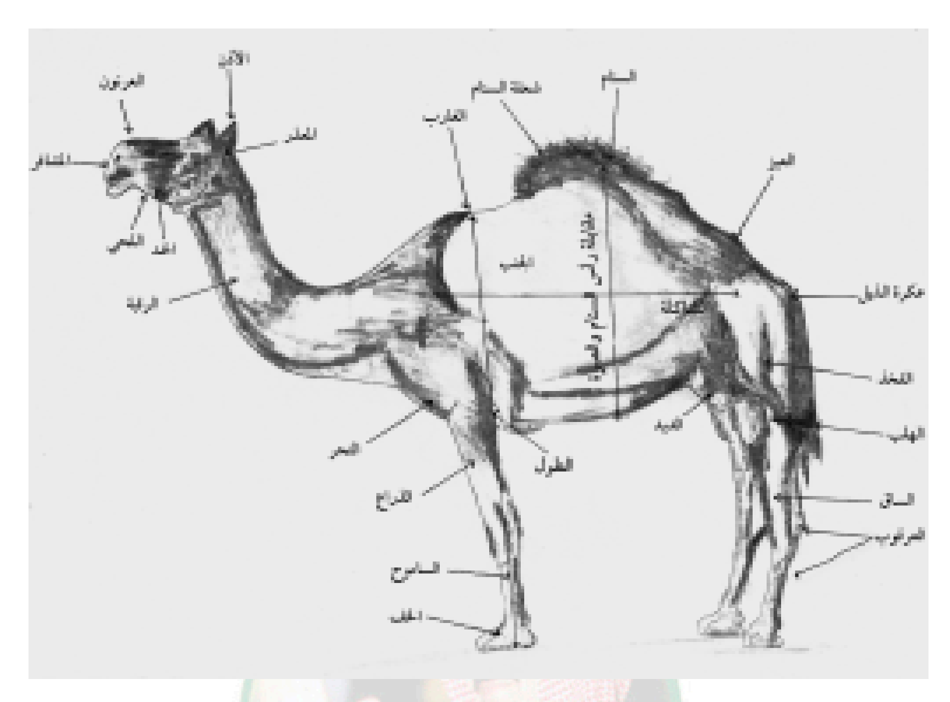
لشرائها والمحافظة عليها. ولهم في كل عضو صفات يستحسنونها؛ فيفضلون أن تكـون مشافرهـا ضافية ومـنهدلة إلـى أسفل، طويلـة اللَّحْي، عريضة الخد، كبـيرة الرأس، ذات آذان طـويلة حادة معقوفة إلى الداخل كأنـها قرون ظبي، ولها عـرنون مرتفع مـقوس إذا نظرت لوجهها من الأمام كان حاداً، طويلة الرقبة مع انطلاق إلى الأمام، ويكرهون ذات الرقبة المنحنية بشدة ويسمونها العنجاء.



صفرا مجاهيم

ويستحسـنون في الرقبة أيضاً أن تكـون عارية من اللحم، ويفضلون ذات النحر والزور الواسعـين، جليلة عظم الـذراع عريضـته، لها سـاموح طويل عريـض العظم، خُفّها واسـع الاستدارة (طويلة الشقر) ويكرهون ذات الخف الصغير إذ لا يساعدها على السير في المناطق الرملية التي هي بيئتـها الطبيعية. ويستحسنون في الغارب أن يكون مـارقاً مرتفعاً إلى أعلى وممتداً إلى الأمام. ويفضلون الناقة الطويلة وذلـك بقياس المسافة بين ذروة رأس الغارب والخُفّ؛ وأن تكون المسافة ما بـين العرقـوبين واسعـة ويسمـونها الفحجاء، جلـيلة عظم الساق، جليلـة عظم الكراع ويكون مهزوعاً إلى الخلف قليـلاً ولا تستحب الـرّزّاء. وأن تكون أفخاذها مكتنزة باللحم، ذات ديد مركّن، أي أن المسـافة بـين أخلافـها الأربعة





المواصفات المطلوبة في الناقة المجهم

متساوية، كل خلف في ركن، متباعدة عن بعضها، وأن يكون جلد الديد رقيقاً فذلك أصلح للحليب.

أما العيز (الردف، الفقار) فيفضل في المجهم أن تكون عريضة ما بين الفخذين إذا نُظر إليها من خلفها، وأن تكون قصيرة المسافة بين نهاية السنام وعكرة الذيل، ويفضل في الذيل أن يكون عريض العكرة، قصير الجذع، كثير الهلب. ويفضل في السنام أن يكون متأخراً عريضاً مستديراً، وأن تكون ذروته مقابلة للسرة، وأن يكون الشعر الذي يغطيه، وهو شعْفَة السنام، كثيراً ملتوياً كأنه حلقات، ولا تستحب ذات الشعر المستقيم (السائب). ويستحسنون في المعذر (الفاعوس) أن يكون عريضاً به شعر، وفي الشاكلة أن تكون طافية غير مرتفعة، وأن تكون واسعة الجنب (الشقة) وهي مسافة ما بين برجمة الكتف وزور الورك.

المغاتير. الإبل المغاتير عرفت بها المناطق الشمالية من المملكة، خاصة قبائل عنزة وشمر والظفير، وانتشرت أيضاً بين قبائل نجد، فنجدها لدى مطير وحرب وسبيع وبعض من عتيبة والرشايدة، وهي الآن أكثر انتشاراً بين القبائل من ذي قبل.





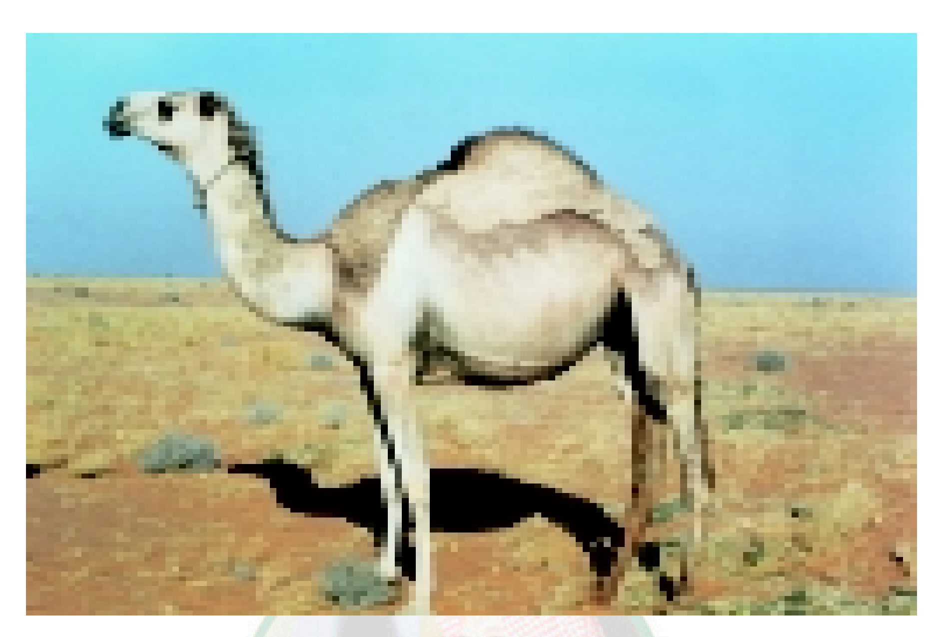
وضحا مغاتير

والمغاتير أربع درجات لونية وضعناها كلها تحت مسمى واحد للتوفيق بين وجهتي النظر، علما بأن المواصفات المطلوبة في هذه الدرجات اللونية واحدة. والدرجات اللونية الأربع هي:

الوضحاء: وهي ذات اللون الأبيض الناصع البياض، وهي عادة أرفع المغاتير قيمة وشأناً في الوقت الحاضر، وكانت أكثر الألوان رغبةً ومحبة لدى البادية، وكانت الوضحاء دائماً من نصيب كبير الغزو أو العقيد، وكان الغزاة من البادية، في الفترة السابقة لاستقرار الأمن، يعرفون متى رأوا إبلاً وُضحاً أن عندها حماية قوية لأنه لا يمتلكها عادةً إلا شخص قوي. وكانت البادية في السابق تهتم بها، إلا أنها كانت أقل رغبة في اقتنائها، رغم أهميتها وولعهم بها؛ لأن الغزاة كان بإمكانهم رؤيتها من مسافات بعيدة مما يجلب على مالكيها ويلات المعتدين، ولأنها كانت تحتاج لحماية قوية لا تتوافر لكل شخص.

الشقحاء: وهي أقل بياضاً من الوضح، وإن كانت هذه السلالة قليلاً ما تكون في ذود أو رعيَّة واحدة، إذ من الملاحظ أن نراها مختلطة مع الوِضح في كثير من الأحيان، ومع الشعلَ في





شقحا مغاتير

أحيان أخرى، إذ إنها وسطٌ في ألوانـها بين الوِضح والشعل.

الشعلاء: وتعد فـي الشمال سلالةً قائمةً بذاتها، وكثيراً ما تُرى متوحدة في رعية واحدة، خاصة كلما اتجهنا شمالاً.

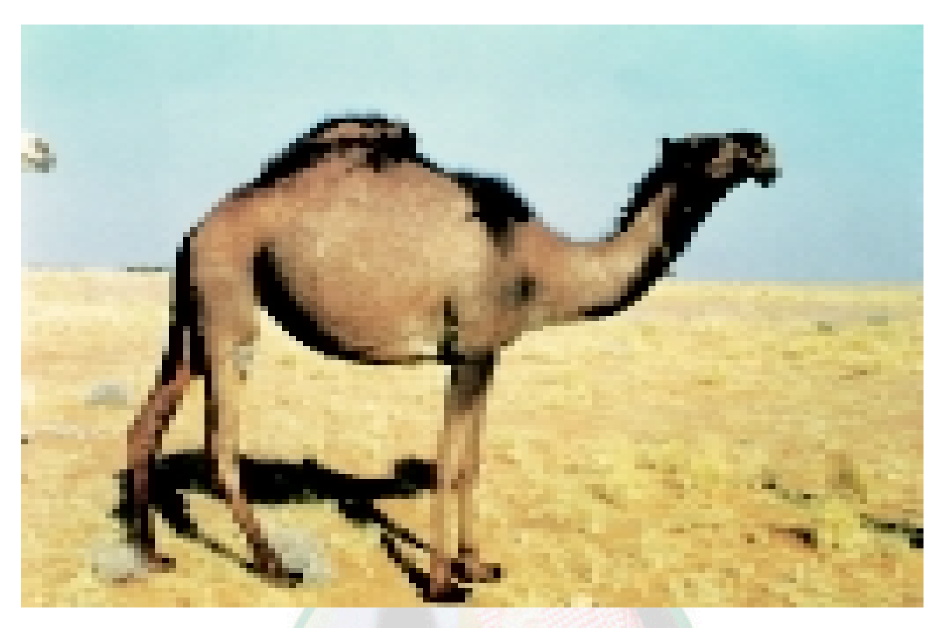


شعلا مغاتير

والرأي الأقرب للصحة أنها هي ما يعرف بالجـوديَّة، ومواطنـها الأصليـة شرقي العراق وجنوبه وباديـة الكويت، وعادة ما تكون أقل وبراً من الوضح، وأرهف جلداً، وأقل قـدرةً على تحمل الظـمأ، وأسرع مشياً، وربما أكثر حليباً، كما أنها أطول وأعرض من الوضح. وأكثـر من اقتناها قبائل الظفير.

الصفراء: وقد اشتـهرت بها الرولة من عنـزة، ومنها الصفـراء، والصفراء الدبساء، وهي منتشرة بين قبائل الشمال، خاصة في الأيام الغابرة، وهناك تعليـل منطقي لذلك الانتشار، وهو أن ألوانها تكاد تـخفيها عـن الغزاة، ويكون مـن





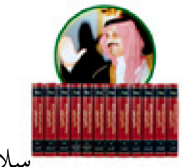
صفرا مغاتير

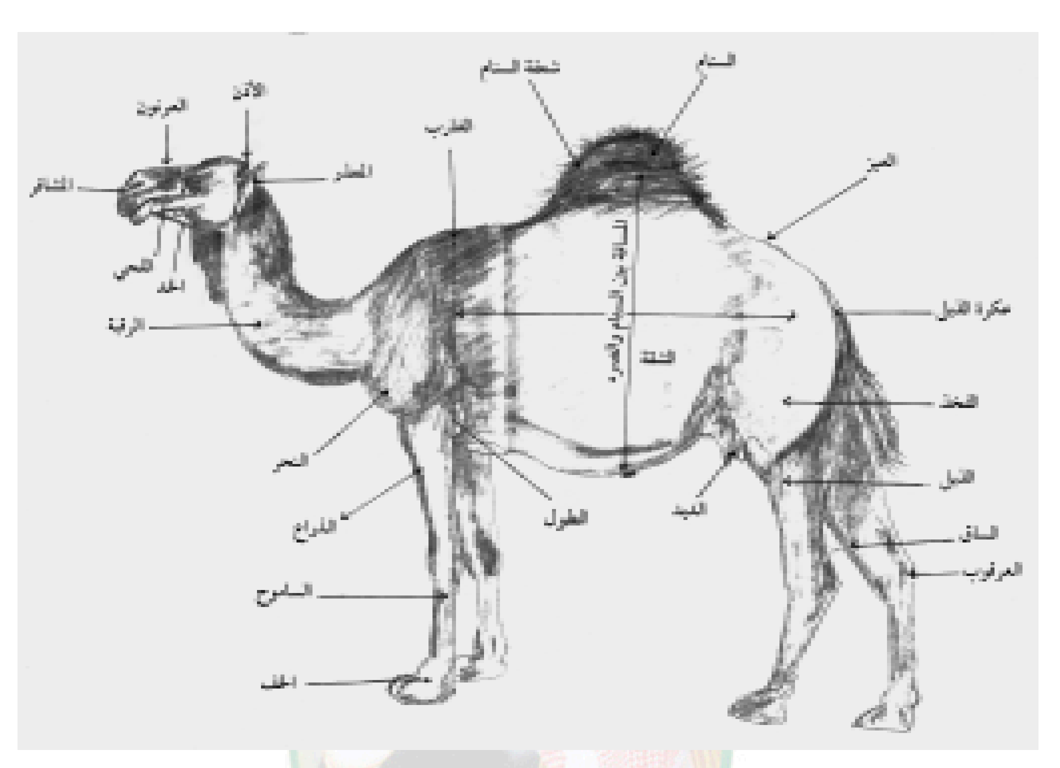
الصعب رؤيتها من مكان بعيد، كما أن الصفر أقدر وأصبر من غيرها من الإبل على التنقل وتحمل سنوات الجدب والقحط.

ولعل من الملاحظ أن المواصفات المطلوبة في المغاتير واحدة لا تختلف بين سلالاتها الأربع، كما أن كثيراً من هذه المواصفات نجدها في المجاهيم في كثير من الأحيان. ويمكن حصر الاختلاف بينها وبين المجاهيم في الآذان والعراقيب والأخفاف؛ ففي حين يكون المطلوب في المجهم طول الأذن وحدَّة نهايتها وتقارب رأسيها كقرني الظبي، نجد أن المطلوب في المغاتير أن تكون الأذن منهدلة إلى الخلف (خرعاء). وهذا هو المرغوب لدى بادية نجد، أما في الشمال فلا يرغبون في الخرعاء الأذنين، ولكن يرغبون في استدارتها. أما العراقيب فالمطلوب في المجهم أن تكون متباعدةً بعضها عن بعض ومائلة إلى الخلف، وعكس ذلك هو المطلوب في المغتر. ومثل ذلك يقال عن أخفاف المغاتير التي يفضل فيها أن تكون صغيرة، على عكس المجاهيم، لأن طبيعة أرضها التي تعيش فيها حجرية.

ويمكن تحديد المواصفات المطلوبة في النوق المغاتير فيما يلي:

أن تكون مشافرها ضافية ومنهدلة، وإن كانت من العفر فيفضل أن يكون





المواصفات المطلوبة في الناقة المغتر

بها سواد، وتكـون ذات عرنون مقوس قائم مما يـوحي مع انهدال المشـافر أنها فنساء. وأن يكون اللحي طويلاً، والخد واسعاً والـرأس كبيراً، عـريضة المعـذر (الفـاعوس)، طويـلة شعـر المعارف، مسـتديـرة الأذن، خرعـاء (نازلة إلـى الوراء). وأن تكون الرقبة طويلة وممتدة إلى الأمام وكثيرة اللحم (جثلة)، واسعة النحر والزور، جليلة عظم الذراع، طويلة الساموح (الصعدة).

أما العيز (الردف، الـفقار) فيفضل أن تكون المسافة بين نهاية السنام وعكرة الذيل قصيرة، وأن يبدو العيز عريضاً إذا نُظر إليه من الخلف بمعنى أن تكون المسافة بين الوركين واسعة، ويفضـل أن تكون عكرة الذيل عريضة، وأن يكـون الذيل طويل الجذع طويل الهلب (الشعر).

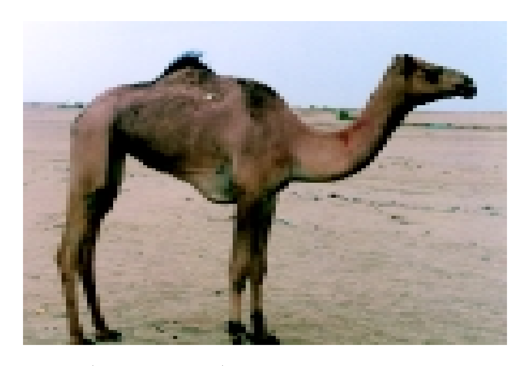
كما يـفضل في المـغاتير أن يـكون عرقوبها منهزعاً إلى الخارج، مكتنزة لحم الفخذ ذات ديد مركّن كما تقدم في صفة المجاهيم، عريضة الساق، صغيرة الخف، لأن طبيـعة الأرض التي تعـيش عليهـا حجرية كما تقـدم، وصغر الخف يقلل من احتمال إصابتها بالحفا.



ويفضل في المـغتر أن تكون طويلة (مرتفعة) وذلك بقياس المسافة بين ذروة الغارب والخف، فكلما طالت هذه المسافة كان ذلـك أفضل. أمـا الغارب نـفسه فيفضل أن يكون مارقاً مرتفعاً إذا نظرت إليها من جانب فكأنها تصعد في أرض مرتفعة. ويستحسن في الجنب (الشقة) أن يكون واسعاً وأن تكون الشاكلة طافية وغير مرتفعة كما مرّ في صفة المجاهيم. ويستحب في سـنامها أن يكون متأخراً عريضاً مقوساً إذا نُظر له من جـانب أو من الخلـف، وأن تكون ذروته مـقابلة للسرة، وأن تكون شعْفَة السنام ذات غزل كثيف وشعر متحلّق على السنام وعـلى بقيـة جسمها لأن طـبيعة الأرض التـي تعيش بها المغاتير باردة وهذه الصفة تحميها من برودة الجو.

الحمر. إن وجهة نظر المهتمين بالحمر هي وجهة نظر المهتمين بالمغاتير نفسها؛ فهم يرون أنهـا سلالات مختلفة، وإن اتحدت في المواصفات المطلوبة بينها؛ نظراً لاختلاف ألوانها وبيئتها التي ربيت فيها وتباعدها عن بعض؛ ولذلك فهي تقسم إلى سلالات ثانوية تحت أصـل واحد؛ فسلالات الحمر هي:

العُمانية: وهناك من يسميها الباطنية، الأول نسبةً إلى عُمان، والثاني نسبةً إلى



عمانية بنت سوداني (إنتاج مهجن)

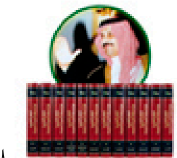
البـاطنة فـي ساحل عمـان، وكل من التسميتين صـحيح، وهي من الأصائل التي كانت تقتنى للأسـفار والمغازي في الماضي، ولـذلك انتشـرت في الجزيرة العربية انتـشاراً واسعاً، واهتم بها أبناء البادية اهتمامـاً كبيراً، وكثرت القصائد في وصفها شـكلاً وطبعاً وكرم أصل. وعادة مـا كان الشاعـر، عندما يـرسل قصيدة لصديق أو خصم له أو لقبيلته، يبتدئ بوصف الذلول التي سوف تحمل الرسالة أو الـقصيدة، وكثيـراً ما تكون عُمانيـة الأصل؛ يقول طلال بن فريـج الشمري:

ياراكـبٍ من فـوق عجـل الزفـيفـي
مـامون قـطـاّع الـفيـافي عمـانـي

وقال الشيخ قاسم آل ثاني:

قـم يـانديـبـي وارتحـل عـيـدهـيـه
عـمـانـيـةٍ مـن ساس هـجن نجـايب

وقال عدوان بن راشد الهربيد:



يـاراكبٍ مـن فوق بـنت الـعمـاني
وقـم الـربـاع وتَـوّ مـا شـق نـابـه

وقد أعـجب بهـا بعض الـغربيين فوصفها قائلاً:

الباطنـية أو العمانيـة مثل الحصان الأصيل، لها رأس صغير ومقدمتها عريـضة، وخياشـيمهـا صغيـرة، وأذناها طويلتان وعيناها واسعتان، وهي لـطيـفة بـصورة مـدهشـة، ومطيعة، ومن ناحية الجسم فجسم العمانية مكـون من أرجل نحيفة، حسنة التكون، معطيةً بذلك مظهراً ذا خطوط جميلة، وتشبه حركاتها حركة الغزال، سواء عند راحتها أو رعيـها أو عـند عـدوها بـأقصـى سرعتـها، وبما أن الإبل الـعمانية سريعة السير والعدو فإنها تستطيع السير بكامل نشاطها أربعة عشر ميلاً في الساعة، وتكون رقبتها ورأسها- وهي في هذه الـسرعة- مستقيـمة بشكل أفقي، وممدودة أمامها بهذا الوضع. وهي ميزة للإبل العمانية (Dickson 1949).

ومن أشهر تسميـات الإبل العمانية ما يلي:

الخمايس: إحدى النجائب المشهورة عند القبائل العمانية، وتمتاز بجمال المنظر وجودة المخبر. وهي من بوش أهل عمرو من وادي جعلان في عُمان.

الـدرعيـة: وهــي نوع مــن الإبل الأصائل التي تعتـني بها قبيلة آل مرة، وقد اشتـهرت الدرعيات من بـين باقي العمانيات لسرعتها الفائقة، وهي تنسب لقبيلة الدروع في عُمان، ولها ثلاثة ألوان رئيسية هي: الحمراء والشقراء والسمراء، ونادراً مـا يكون بـين ألوانهـا الصفراء والشعلاء.

الضالع: إحدى فصائل الإبل الـتي تعتنـي بتربيتها قبـيلة آل مرة، وألوانها الأحمر والأشقر والأسمر.

فرحات: وهي إحدى أنواع النجائب العمانية، من بوش أهل وهيبة من الشرقية في عمان.

المهرا: أحـد نوعين مشهوريـن من الإبل العمانية، والنوع الثاني هو الباطنية.

وفـي الوقـت الحاضـر تـستخـدم العمانيات والحرائر في السباقات، ولذلك ارتفعت أثمانها بصورة كبيرة، فقد تتعدى قيمة الواحدة منها المليون ريال في بعض الحالات، خاصة في المملكة والإمارات العربية المتحدة.

الحرائر: اشتهر من حـرائر المنطقة الشمالية ما كان لدى قبيلتي الشرارات وبني عطية. كما اشتهر من حرائر المنطقة



الجنوبية حرائر الصيعر. وهناك من يرى أن وصف الذلول بأنها صيعيرية ليس وصفاً لها، وإنما هو نسبة لقبيلة الصيعر. ويُفَـرَّق بين حرائـر الشـمال وحرائـر الجنوب بلون وبرها. فـحرائر الشمال يكون وبرُ معارفها وذروة السنام وهلب الذيل أعطر أو أشقر، في حين أن وبر المعارف وذروة السنام وهلب الذيل في حرائر المنطقة الجنوبية أسود، ولاختلاف الأجواء بين المنطقتين، فإن حرائر المنطقة الشمالـية الباردة أوفر وبراً من حـرائر المنطقة الجنوبية الدافئة، وحرائر الشمال بصفة عامة أفتح لوناً من حرائر المنطقة الجـنوبـية، وأقـرب إلى لـون الإبـل السـودانيـة المخصـصة للـسباقات، والمعروفة باسم العنافية.

أما حرائـر المنطقة الجـنوبية، فمـن ألوانها الحمراء، والحمراء الدمية (أدماء) والصفراء، والسـمراء، ومن ليس لديه خبرة في الإبل لا يستطيع التفريق بينها وبين العمانية، إلا أن هنـاك من يقول: لا يوجد حرائر جنوبية، وأنها في الأصل عمانية حتى وإن كانـت أصغر حجماً، إذ إن الاختلاف بينها يحتاج لعين خبيرة ممارسة للتعرف عليه وتحديده. وإن كانت العمانية أكبر حجماً (طولاً وعرضاً) في حين أن الحرَّة الشـمالية أقصر وأعرض من الحرة الجنوبية. والحرّة الجنوبية أوفر لحماً من العمانية، والحرة الشمالية أكثر حليبـاً، وعلى الرغم من أنـه لا يوجد وجه للـمقارنة بين حـليب العـمانيات والحرائر، وحـليب المجاهيم من حيث الكمية، إلا أن حليبها عادة يكون أحلى طعماً. وقد جمع الشاعر الشعبي عبدالله بن سبيل بعض هذه الصفات في الناقة الصيعيرية فقال:

يـاراكبٍ مـن عـندنـا صـيـعريـات
بـنـات حـرٍّ كـل ابــوهـن تـلادي

بـنـات حـرٍّ فـحّـلـوه الـشـرارات
بالجـيش تـعني لـه جمـيع الـبوادي

قطـم الفـخوذ اوراكهـن مستـقلات
رز المـسـامـع، والـنـواظـر احـدادِ

بالـشد وطنـات، وبالمـشي طفـقات
خضـع الرقاب مـفتّـلات العضـادي

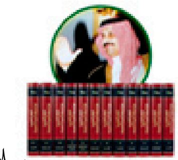
شيــب الغوارب والمحاقـب مشيبـات
بـالتـلـو مـا سووا لـهـن الـتوادي

إن سـندن مـسـنـادهن لـلـقريـات
وان حـدّرن لمـريـطـبـه والـشـنـادي

ومن أشهر تـسميات الإبل الحرائـر إجمالاً ما يلي:

الرهيفات: من نجائب الإبل عند قبيلة بني عطية، وألوانها حمر وغزل.

الريشا: وهي نوع يعتني بتربيتها بنو عطية، وألوانها حمر وغزل.



الزرعات: وهي من النجائب المعروفة لدى الحويطات كما ذكر الحبردي، وألوانها وضح.

السحلات: نوع من الإبل مشهورة عند بني عطية كالشعوات والسمحات والرهيفات، ألوانها شعل.

السمحات: هي كالنوع السابق من الإبل النادرة عند بني عطية التي لم تختلط أنسابها، وألوانها حمر وشعل. ويضيف الحبردي أن السمحات تطلق على نوع من الإبل العمانية المشهورة بجمال المنظر وجودة المخبر، ويقول إنها من بوش بو عيسى من وادي جعلان في عُمان.

بنات شعيلان: نجيب من سلالة نجائب تسمى شعيلوات من نجائب الإبل الشرارية.

شعوات: من نجائب الإبل عند قبيلة بني عطية، وخاصة فرع ابن حرب، وألوانها حمر وغزل.

بنات عبكلي: أو الشلاقي، من النجائب المعروفة لدى شمر، والأنثى أجود من الذكر في هذه السلالة، جميلة الشكل؛ يقول سلطان بن عبدالله الجلعود:

من ساس هجنٍ سابقاتٍ سْموحي
بنت العبكلي ماضيٍ له تجاريب

ويقول ناصر بن ضيدان الزعبي:

ياراكب اللي كن الادمي توازيه
ولد عبكلي من ذلول البديني

عرمات: نوع من الإبل تعتني بتربيته قبيلة بني عطية، وألوان هذه السلالة حُمر وشعل.

وحيشات: إحدى النجائب الشرارية المشهورة، وألوانها حمر وقمر، وهي في العراقة عند الشرارات مثل بنات وضيحان وحديجات. ويقول بعض المؤلفين إن قبيلة بني عطية تسمّي نوعاً من نجائب إبلها وحيشات، وألوانها حمر وغزل.

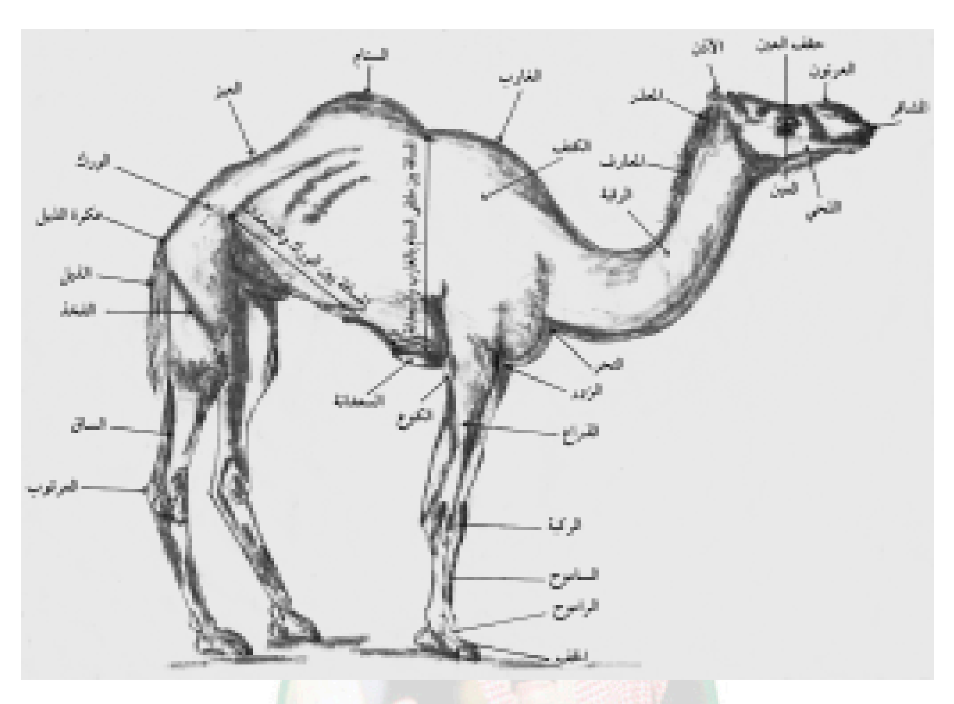
بنات وضيحان: نوع من الإبل، أصله من إبل الشرارات في بلاد العرب، وقد سمي بذلك لأن لون قوائمه الأربع وأسفل بطنه أبيض وضاح، وباقي الجسم أصفر مشرب حمرة كلون الغزال، ويقال: إن أصل الوضيحان من فحل وحشي؛ وقال خلف أبو زويد الشمري:

أبوه وضيحان ضروبة سليهيم
وجده فحل شعلان من زمل شوال

ويمكن تحديد المواصفات المطلوبة في الذلول (الجيش، الهجن) سواء كانت عمانية أو حرة أو آركية كما يلي:

أن تكون مشافرها طافية دون انهدال، ذات لحي طويل، وعرنون مستقيم مشابه لعرنون الظبي، حقف عينها كبير بارز والعين حمراء حادة النظرات، أذنها طويلة



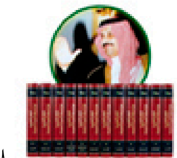


المواصفات المطلوبة في الذلول (الجيش أو الهجن)

وواسعة ما بين الأذنين، وسيعة المعذر، ذات معارف طويلة، ورقبة طويلة أيضاً ممتدة إلى الأمام، واسعة النحر، بارزة عظام الكتف (البراجم)، غاربها مرتفع يبدو للناظر إليها كأنها تسير صاعدة، سنامها متأخر، ولا يفضلون ذات السنام المتقدم، ويتوخى في السنام أن يكون كثيف الوبر الملتوي.

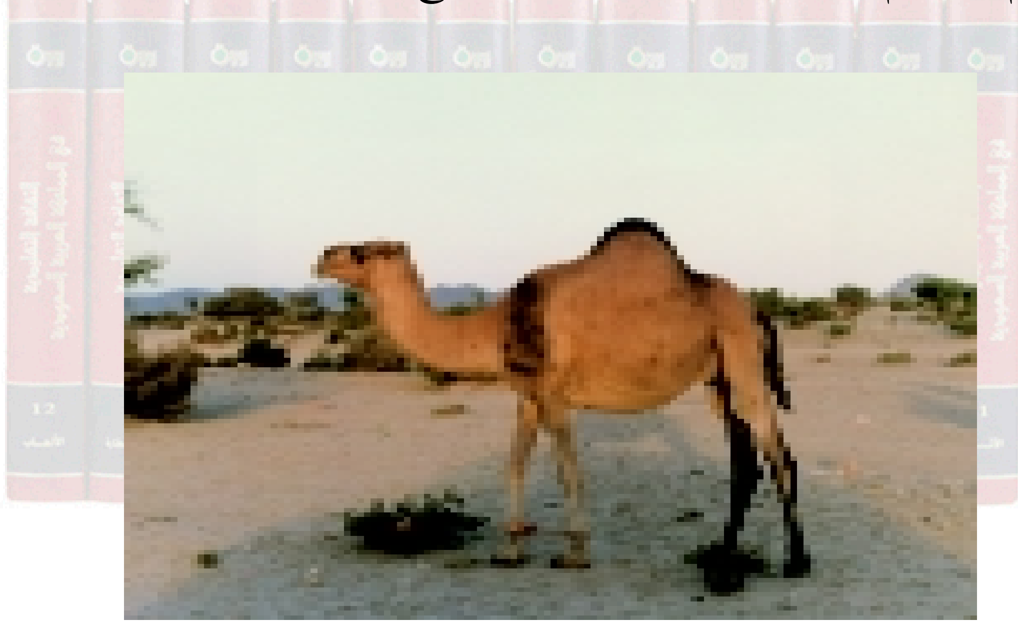
أما العيز فيفضل أن تكون عظمته الأخيرة الواقعة أمام المشارف مرتفعة وكبيرة، ويفضل في ذيلها أن يكون كبير العكرة واسعها طويل الجذع كثيف الشعر (الهلب) طويله، لها وركان عريضان وفخذ كبير كثير اللحم، وساق طويلة عارية من اللحم، وينبغي أن تكون ذراعها طويلة، وزورها واسعاً، والزور هو مسافة ما بين الذراعين للناظر إليها من أمامها.

وأن تكون عظمة عرقوبها كبيرة حادة ليست متباعدة ولا متقاربة (لا عقلاء ولا زرّاء). ويستحسنون أن تكون المسافة بين زر الورك والبركة (السعدانة) أقصر من المسافة بين ملتقى السنام بالغارب وبين البركة. أما البركة نفسها فيفضل أن تكون صغيرة الاستدارة، وأن يكون الكوع بارزاً إلى الخارج وعظام الركبة (العصافير) كبيرة. وأما الراموح (القين) وهو المسافة



بين الزند (الكرمة) والخف فيفضلون فيه أن يكــون طويــلاً، وكذلك الــساموح (الصــعدة) وهو المــسافة مــا بين الزنــد والركبة.

الحجازية (الحضنيه): هي إبل جبال السروات وامتــدادها من شمال المملكــة حتى اليمن، وقيل الحضنية نسبة إلى جبل حضن في ركبة، شرق مدينة الطائف. وقد اقتنيت منذ القدم للركوب، وخاصة لنـقل الأحمال والمـسافريـن، وإن كثر استعمالها أيام الحج. ولعل من الملاحظ أن من يـقتني هـذا النوع من الإبـل لا توجد لديهم مــواصفات كثيرة مطلوب توفراها في إبلهم، مثلــما هي لدى من اهتم بالمجاهيم أو المغاتـير أو العمانيات أو الحرائر. فالمطلوب لديهم في هذا النوع أن تكون نياقه ذات ضرع كبير وفير اللبن، وذات عظام ضــخمة كبيــرة. فالمطلب الأول لأنها من مصادر التغذية لديهم، أما المطلب الثاني فمردّه لسببين: الأول أنها عــادة تستعــمل في نقـل الأحمال والحجاج، وكلما كبرت عظامــها كانت لديها القدرة على نقل حمل أكبر، والسير به لمسافات طويلة، إذ كانت مصدر رزقهم أيام الحج بما لها مــن مردود اقتصادي. أما السبب الثاني فإن طبيعة منطقة جبال السروات وتربتها لا توفر وقت الأمطار الكثير من الغذاء في السهول، مما يضطرها إلى طلب الغــذاء في الأشجار المرتفعة كالطــلح والسيال والضــهيان والسمر،

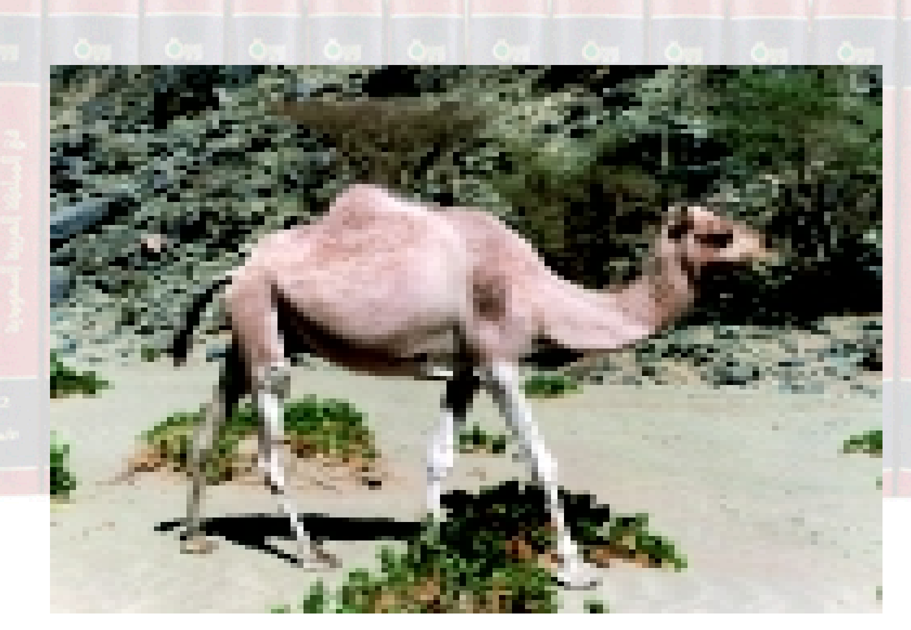


حجازية (حضنيه)

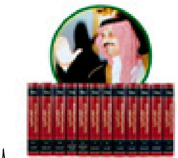


وخاصة الضهيان الذي ينمو في التشققات الصخرية للجبال؛ مما يضطرها إلى تسلق الجبال العالية طلباً للمرعى، ولا يمكنها التسلق بسهولة إلا إذا كبرت عظامها وقويت عضلاتها لكي تتمكن من حفظ توازنها بين الصخور. ومنها نوع قصير الوبر يسمى ساحلي أو سويحلي وهي متينة قوية لنقل الأحمال والسني. وألوانها عادة حمراء، وحمراء دمية، وصفراء، وقمراء.

الآركية: سميت بهذا الاسم لأن المناطق التي تنتشر فيها يكثر فيها شجر الأراك الذي تقتات به فترة طويلة من السنة، وفي السنوات التي يقل فيها المطر. وهي من إبل المملكة، وألوانها ما بين الأوضح والأحمر، منتشرة في أودية نجران وتثليث وبيشة ورنية والخرمة وتربة وفي ساحل تهامة، حيث يكثر شجر الأراك. وعادة يقتنيها أصحاب هذه المناطق، سواء كانوا مزارعين أو بادية؛ لأنها لا تغادر مناطقها إطلاقاً ولا يخافون عليها من الابتعاد عنها. وهي مشهورة بكثرة الحليب، فقد تصل كمية حليب بعضها إلى ما يقارب ما تنتجه الناقة المجهم، فهي تعد من الإبل الخوارة، نظراً لرقة جلدها وقصر وبرها وكثرة حليبها، وتتصف بقصرها وعرض جنبها؛ لذلك فهي لا تتحمل العيش في المناطق الباردة، وتستعمل للركوب. ويلاحظ أن كثيراً من الشعراء يوردون



آركية



اسم الآركية في شعرهم ذلولا ممتطاة، حتى وإن كانت في الأصل تقتنى للحليب واللحم، أو سانية للآبار لدى المزارعين، أو للنقل ولا سيما نقل الحطب. وعن استخدامها للركوب يقول مبارك بن دويم الودعاني الدوسري:

ياراكبٍ من فوق طلق الذراعين
أواركٍ ما وقّفت للمباعه
مربّعاتٍ صوب حدبا الكليين
ومن راك تثليثٍ رعت من رجاعه
سحمٍ فقايرها وحم العثانين
وعلى الضحى تشدى المها بالتماعه

ويقول شلعان بن ظافر الدوسري قصيدة عدد فيها أنواع الإبل المفضلة لديه:

مداهيل حلوات اللبن خلقة الرحمان
مجاهيم سودٍ خالق الكون مسويها
مجاهيم جاذبها الفحل والوجيه زيان
وساعٍ مرافقها طوالٍ خطاويها
جليلات عظم الساق مرفوعة الحجبان
طوال الرقاب مشرهفاتٍ أذانيها
عراض الخدود اللي تمارى بها البدوان
كبار الفقار موسّعة صدر راعيها
مجاهيم رمليات لخشومها نيشان
ترافض بلادمها حدادٍ نواصيها
هوى القلب خطوى نايفه والضلوع متان
تجي بالحلا والزين وترد به فيها
كبيرة مزر الورك فجحا من السيقان
تخنطل قوايمها كبارٍ مواطيها
تمايح بذيلٍ مثل دراهة القران
نهار الطرب هذا لهذا يودّيها
لها غاربٍ متقدمٍ شامخ مليان
يدافر حباك العيز والعيز حاليها
وساعٍ منادغها من الزور للكيعان
بها كل شيئٍ زين والملح غاشيها
طموحٍ تحذف اشناقها واسعة بيعان
فروعٍ فتون البيد عسمٍ اياديها
ولا رايعت كن المعنّق على رمان
تعوجه من العاتق خفوق لواحيها
سنودٍ من الغارب فسيحه من الذرعان
عسى ربنا من شر خلقه ينجّيها
البل تراها السود والصهب يالظفران
وشقحٍ سواد اذيالها فاصلٍ فيها
أنا احب شوف الوضح وضّاحة الألوان
مغاتير من جلد الوضيحي تحاليها
مغاتير جذّابات ومكحّلات اعيان
جميع الوصايف كلها كامله فيها
مغاتير فنس خشوم فيها الدريعي بان
عرانينها وشعوفها فاصله فيها
مغاتير معروفات وطبوعهن زيان
على الصوت تبغي راعي الصوت يتليها
إلى شفتهنّ رتوع في خاطي الجيان
تشادي القنوف المرسيه بامر واليها
مغاتير لى من سمعت الصوت والدندان
لاكن الذيابه تهتوش عند تاليها



مغاتـير لى غنّى المـغني علـى عليان

ضربها السطر لى صاح بالصوت راعيها

إلى جـعلـت لكـنها شِـرّد الغـزلان

وراهـا المفـرّد يـابـسات عـلابـيـها

الى من ذعرها الصوت واستولت الميدان

يقـوّس ذرايب عجّهـا من سمـاريها

ركد عجّها مـن سجّها والجرس رنان

تجي ذي مـعَ هاذي وهـاذي تباريـها

أنا قلتها وادخل على الله من النسيان

مع الناس صفـر وزرق ماني بناسيها

وحمرٍ وشعـلٍ تختلف بينـها الألوان

إلى تاه فيها الوصف تعرف باسـاميها

آراء أخرى في تصنيف الإبل. صنف ديكـسون سلالات الإبـل إلى خـمس سلالات هي: العمانية، الحرَّة، الباطنية، الآركية، العطية.

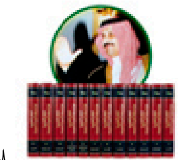
ويعتقد أن المـنطقة الأساسية للإبل العمانية هي ساحل عمان، لكنها امتدت وتكاثرت علـى شطآن الخليج العربي، من ساحل عمان حتى الكويت، مروراً بمنطقة الأحساء.

ومواطن قـبيلتـي شمَّر وعنزة هـي مصدر الجمال الحرَّة. وأحسن السلالات القديمة التي استمرت في الجزيرة العربية هي ما توارثته قبيـلة الشرارات. وهناك اعتـقاد عـند بعـض البـدو أن الجمال المتوحشة (التيهيه) كانت تتجول في شمال غربي الجزيرة العربيـة، وأن فحول هذه السلالة قد لـقَّحت ناقة كانت مربـوطة ومتروكة لـيلاً في الصحراء، وأن نتاج هذه الناقة هي الجمال الحرَّة.

وجاءت السلالة الباطنية من ساحل الباطنة في عمان، وهي سلالة من أنجب سلالات الإبل الأصـيلة. وهي جمـال طويلة، ولكنها ضخمة نوعاً ما، وقليل من البدو يسـتطيع امتلاك واحد منهـا. وهي تُقدَّم فـي العادة عطايا من حاكـم لحاكم أو من سلطان لآخر.

والسلالـة الآركية موطـنها جنوب غرب وسط الجزيرة العربية، منطقة الخرمة وتربة، ويقال عنها إنـها جيدة، ولكنها ليست لافتة للنظر، لذا فهي غير مرغوبة. أما الإبل الوضح فـهي الأكثر جاذبية، ويعرف القـطيع منها بالمغـاتير، والناقة البيضـاء منها تسمى الـوضحا. ويقول موزل عن إبل الرولة:

إن الإبل تقسم إلى قسمين: الحرَّة. والعادية، ويعتبر البعير حراً إذا شهد بأصالته شهود ثقات، يشهدون بأنه جاء من أب وأم أصيلين، وإذا كانت الناقة قد لقـحت في غياب شهود ثقات فإن حوارها لا يعتبر أصيلاً، وفي هذه الحالة التي لم يتم التأكد من أصالة الأبوين معاً يقول البدو



«ما نعرف أبوه مضبوط». وإذا لقحت الناقة الجميلة الشكل التي هي من سلالة عادية من فحل أصيل، ثم توالى إلقاح النوق من نسلها من فحول أصيلة جيلاً بعد جيل حتى الجيل الخامس، اعتُبرت الناقة الخامسة أصيلة. أما الجمل الذكر (الفحل) فيعتبر أصيلاً في الجيل التاسع، ومن عباراتهم في هذا المجال قولهم «يرقى حر إلى تسع» (Musil 1928:332).

وطبيعي أن تنتقل سلالات الإبل بين القبائل بالبيع والشراء والإهداء، وفي الزمن السابق كانت تنتقل بالسلب والنهب. ونقل جواد علي أن العرب تقول: «الحمر من الإبل أطهرها جلداً، والوُرق أطيبها لحماً، والخور أغزرها لبناً». وعلى كلٍ، فإن كل ما رعى الحمض وكان صغير السن من مفرود إلى حُقَّة، طاب لحمه مهماً كان لونه. كما تقول «الرمكاء بهياء، والحمراء صبراء، والخوارة غزراء».

ويقصد من صبراء أنها أصبر من غيرها على الهواجر، والعرب تفتخر بعدد ما عندها من الإبل الحمر لغلاء ثمنها.

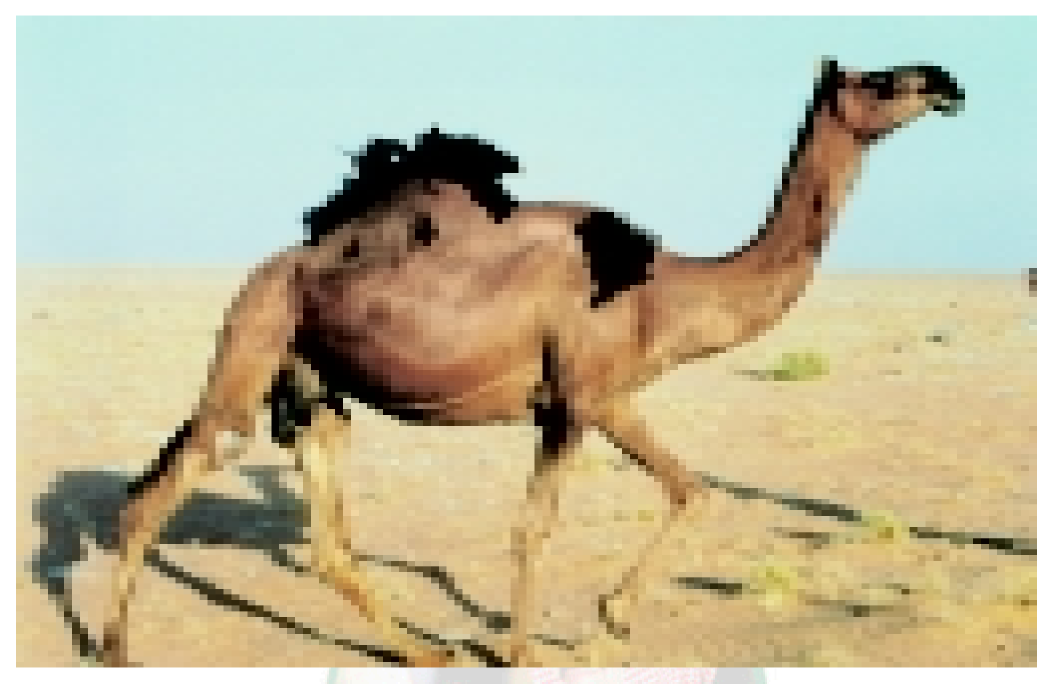
وذكر علماء اللغة أن الحرائز هي الإبل التي لا تباع إلا عند الضرورة، لحرصهم عليها ومنها المثل «لا حريز من بيع». ويتبع الشرارات تقليداً منذ القديم يتمثل في أن أحدهم إذا اضطر إلى بيع نجيبة أصيلة فإن أقاربه أولى بشراء هذه النجيبة، فالقريب له الأفضلية، وهذه عادة (التحجير) كما يسمونها (الشراري ١٤١٢: ١٦٠).

سلالات وافدة. دخلت إلى الجزيرة العربية سلالات وافدة اشتهرت في مواطنها الأصلية، فاجتلبت للاستفادة منها في مختلف المجالات كالسباقات والتهجين للحصول على سلالات جديدة محسّنة أو للاستفادة من كثرة لحومها وغزارة ألبانها. ومن أشهر الإبل الوافدة الإبل السودانية والصومالية والباكستانية وإبل الشمال الأفريقي وسلالات أخرى متفرقة.

الإبل السودانية: دخلت إلى الجزيرة بعض أنواع الإبل السودانية التي اشتهرت بسرعتها أو غزارة ألبانها أو تحملها، منها:

١) العَنَّافِيّة: وهي ذات لون أبيض تستعمل للركوب، وقد أحضرت للسباقات لاشتهارها بسرعة الجري. وربما كانت المواصفات المطلوبة فيها هي نفس المواصفات المطلوبة في العمانية والحُرَّة. وقد هُجّن هذا النوع من الحرائر العمانيات. واشتهرت





سودانية كنانية

بالإبـل العنافـية قبـائل البشـاريين والهدندوة في السودان.

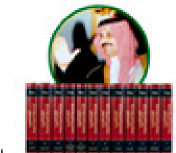
٢) البشاريـة: قريبة من الإبل العـنافية ولكنها أسرع مـنها وتستخدم غالباً في الركوب.

٣) الكنانية أو الرفاعية الكنانية: من منطقة الفاو بالسودان، وتمتاز بوفرة حليبها، وأول من جلب هذا النوع من الإبل إلى المملكة الأمير عبدالله بن محمد بن سعود الكبير، رحمه الله، وهي إبل حـمر دغـم وإبل زرق تحمل مواصفات الإبل المجاهيم من حيث الـطول والحـجم وشـكـل الرأس والرقبـة، إلا أن مؤخرتها (الـعيز) أصغـر من المجاهيـم. وقد هجـن بعضها بالمجاهيم.

٤) البـجاوية: وهي إبـل منسوبـة إلى بجاوة. قال ابن منظور «بجاء قبيلة والبـجاويات مـن النـوق منسـوبة إليها... وفي شعر الطرماح بجاوية بضم الباء منسوب إلى بجاوة موضع من بلاد النوبة، قال:

بـجاويـة لـم تسـتـدر حول مـثـبر
ولـم يـتـخـوَّن درَّهـا ضـبّ آفـن»

والبجة أو البجاة قبيلة سودانية معروفة نزل فيـهم ابن بطـوطة ووصف إبلهـم



المعروفة بالسرعة، وهي التي قال فيها المتنبي:

وكل نجاة بجاوية خنوف وما بي حُسن المِشَى

٥) الرشايدي أو الزبيدي: سلالة من إبل شرق السودان، ويقل الجمل الرشايدي عن الجمل العربي حجماً، ولكنه أسرع منه وأقل قدرة على الحمل. كما يمتاز بقصر الأرجل نسبياً، ولونه زهريّ محمرّ.

٦) كبابيش: موطنها غرب السودان، وتمتاز بكبر حجم الرأس، والأنف مقوس والعيون كبيرة، ولها رقبة طويلة، الوبر فيها على الأكتاف وقمة السنام وهي من جمال الحمل. ويغلب على لون هذه السلالة الرمادي المصفرّ (صهباء) وفي حالات نادرة يكون لونها أسود أو مرقّطاً.

الإبل الصومالية: تجلب الإبل الصومالية خصوصاً في أيام الحج للأضاحي، وعادة ما تكون ذكوراً ولم يسمع أنها اقتنيت لغير الذبح ولم تهجّن بإبل الجزيرة العربية. وهي أنواع، منها:

١) أوغادين: وتوجد هذه الإبل في مناطق الشمال الغربي للصومال، وفي الامتداد الشمالي لصحراء أوغادين في المنطقة الواقعة بين الشمال وأثيوبيا. وتمتاز هذه السلالة بكبر الحجم وبلونها الرمادي الفاتح جداً الذي يقارب اللون الأبيض.

٢) بينادير: وتسمى أيضاً سيفدار، وموطنها الصومال، وتمتاز بكبر حجم الرأس، وضخامة العنق، واتساع الصدر، والقدرة على الحمل والسير. ولها خف كبير يساعدها على السير في المناطق الرملية. ويتراوح لونها ما بين اللون الأبيض والأشهب.

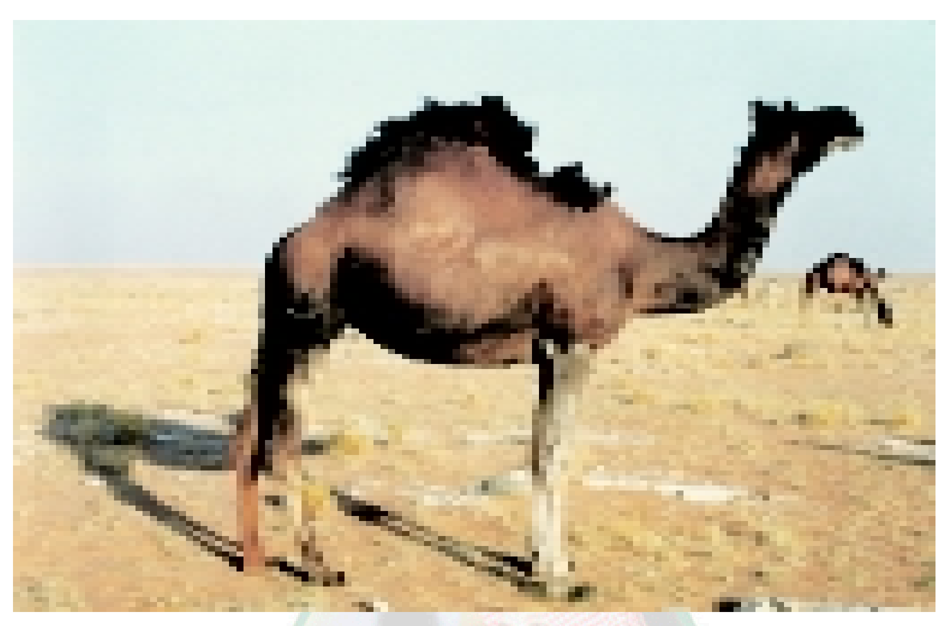
٣) جيوبا: موطنها حوض نهر جيوبا بالصومال، ومن النهر اشتق اسمها.

٤) موداغ: تعيش في الصومال، وهي متوسطة الحجم وصغيرة الرأس والسنام ويميّزها لونها الأبيض والخط الأسود الممتد على طول الظهر.

٥) الجوبان: وهي سلالة تعيش في المناطق الساحلية ومنطقة الشمال الغربي للصومال. وجلد هذه السلالة عار من الوبر، وإن وجد فهو قصير جداً، ويميز هذه السلالة اللون الأحمر (البني الفاتح).

الإبل الباكستانية: أول من أدخل هذه السلالة للمملكة هو الملك خالد بن عبدالعزيز، رحمه الله، وهي قريبة الشبه بالمجاهيم من حيث الوصف والحجم،





باكستانية

وإن كانت تختلف عنها في اللون. وقد هجن بعضها بالمجاهيم لإنتاج سلالة جديدة.

ومن هذه السلالة الفلج أو الفالج، وهو نوع من الإبل عظيم الخلق ذو سنامين يحمل من السِّند للفحلة وهو الذي بين البُخْتي والعربي، وجمعه فوالج، وهي والبُخْت والبهونيات ما بين الكرمانية والعربية. والفالج سلالة قديمة ذكرت في أشعار الجاهليين، يقول الحارث بن حلزة:

يسوقها شلاً إلى أهله
كما يسوق البكرة الفالج

ويقول عمر بن أبي ربيعة:

جدها الفالج الأشم من البُخـ
ـت وخالاتها انتخبن عرابا

وهناك الإبل القرملية، وهي من الإبل الصغار، كثيرة الأوبار، وهناك القرامل وهي البختي أو ولده وكلها ذات سنامين.

إبل الشمال الأفريقي: وهي سلالات عديدة موطنها ليبيا والمغرب وموريتانيا وتشاد ومالي، ومنها:

١) التيبستي: وموطنها فزان جنوبي ليبيا، وتيبستي على الحدود الليبية التشادية، وهذه السلالة من أصغر جمال الركوب في أفريقيا، ويمكنها العيش في المناطق الجبلية والصخرية والرملية

على السواء. ويمتاز وبرها بخشونته، ويكون أشبه بالشَّعر، وينمو في فصل الشتاء بغزارة، ولونها أزرق (رمادي داكن).

٢) المغربي: وهو نوع يعيش في شمال شرقي ليبيا، تستخدم للحمل الثقيل والعمل الشاق وهو هجين من أنواع الإبل التي تعيش في كل من مصر والسودان وتونس.

٣) المولّد: وهو نوع هجين ناتج من تزاوج الإبل المغربية والفلاحي، وتمتاز بالقوة والقدرة على الحمل الثقيل والعمل الشاق، والقدرة على العيش في المناطق الصحراوية. ويتراوح لونها بين الأشعل والأحمر الرملي والبني الداكن.

٤) الساحل: وهو نوع يعيش في موريتانيا في الشمال والوسط والجنوب الشرقي. وهو من أكبر الأنواع الموجودة في الصحراء الكبرى وأفريقيا الغربية. وتمتاز إبل الساحل بصغر الرأس والقمة العريضة والأعين الكبيرة ذات المنظر الجميل. أما مشافرها فهي عريضة، وآذانها قصيرة ورفيعة، والعنق طويل، والسنام صغير نسبياً والصدر كبير، والبطن ضامر، أما الأرجل فدقيقة وعضلاتها قوية. وتمتاز هذه السلالة بأنها متوسطة الحجم ولكنها قوية البنية، وتستعمل في حمل الأثقال. ورأسها قصير وعريض ومحدب عند القمة. ورقبتها قصيرة وأعينها وآذانها صغيرة. والوبر في هذه السلالة طويل وخشن يشبه الشعر، وينمو على الرقبة والسنام فقط، ويميزها اللون البني الداكن (دبساء).

٥) المانغا: وهي سلالة موطنها بحيرة شاد، ويمكن لهذه السلالة أن تعيش وتؤدي وظائفها الحيوية عند الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى، ولكن لا يمكنها العيش أو العمل بالمناطق الصحراوية الجافة.

سلالات أخرى: هناك سلالات أخرى متفرقة منها الديافي: وهو نوع من الإبل منسوب إلى قرية بالشام، وقيل بالجزيرة اسمها دياف وقيل منسوب إلى جزيرة في البحر. ومنها السكسكية: وهي إبل للحمل تنسب إلى السكاسك من قبائل اليمن. ومنها الفلاحي: وهو نوع من الإبل يعيش في صعيد مصر (مصر العليا) وهي كبيرة الحجم، قوية، ولونها بني فاتح (أحمر) ولها القدرة على العمل والحمل الثقيل في المناطق التي يتوافر فيها الغذاء.



ألوان الإبل

على الـرغم من اختـلاف البيئـات والقارات التـي تعيش فيها الإبـل، فإن ألوانها تكاد تكون متقاربة. وهي تتراوح بـين الأوضـح الخـالـص، والأمـلـح الخالـص، والأصفر المشوب بالحـمرة الفاتحة، والرمادي، والرملي، والأسمر، والأشقر، والخليط من هذه الألوان بنسب متفاوتة. ولون الوبر هو الذي يعطي الإبل ألوانها، وتـؤثر الوراثة تأثيراً كـبيراً في التحكم بهذه الألوان. ثم يضاف للوراثة عامل طفيف من الوسط البيئي والإقليمي الذي تعيش فيه تلك الإبل. وقد اقترنت تلك الألوان بسلالات معينة، حتى اتخذ أصحابها من ألوانها أسماء لسـلالاتها.

وتعود كثرة نعوت الإبل بألوانها إلى كثرة القبائل. وقد يُعـطى اللون الواحد عدة أسماء تتعدّد بتعدد القبائل، وتتنوع بتنوع الجهات الإقليمية التي تُطلق تلك الأسماء والنعوت.

ألوان الإبـل المفضـلة. يقول بـعض الباحثين:

ويقوم عدد من القـبائل في الجزيرة العربية بإكثار الإبل ذات الألوان المفضلة لديهم، فتفضل قبيلة الظفير بصورة كبيرة الإبل البيض (الشعل أو الوضح)، وأما قبيلة الرولة فـإنهم يفتخرون وبإعجاب بقطعـانهم من الإبل الوضح الجـميلة، وتفضل قبيلة عتيبة الكبيرة الإبل السود (المجاهيم)، ومن ناحية أخرى فإن قبائل مطير والعجمان والعوازم يفضلون الإبل التي تـشبه حمرتهـا لون الخشف (ولد الظبي) أو تدرجات اللون الأحمر. ولكن الدوشان من قبيلة مطير يفخرون بإبلهم السود (المجـاهيم) المشهـورة بالشرف. وتفضل قبيلة آل مرة وقبيلة قحطان الإبل السود. . . إن الإبـل الوضح تأتي مـن شمالي الجزيرة العربية بصورة عامة، أما الإبل ذات الألوان الملح فمصدرها جنوب الجزيرة العربية (Dickson 1949:412).

ويضيف آخر:

إن الرويلي لا يستطيع استخدام الإبل الوضـح في الـرحلات الخطـيرة؛ بسبب أن لونها الأبيض يجعلها مرئية للأعداء في الليل أو النهار وهي على مسافات بعيدة، إضافة لهذا فهو يعلم أيضاً أن كـل لص أو مغير يفـضل الإبل الوضح عـلى جميع الألوان الأخرى. وعلى الرغـم من كل ما سبق، فالرويلي مستمر في إكثارها وزيادة أعدادها، فهو في هذه الحالة كما لو أنه يستمتع باللعب مع الخطر الذي يهدد إبله المفضلة عنده. ويبدو أنه كلـما زاد الخطر، زادت رغبـته



في زيادة ما يملكه منها. ... والقطيع من الإبل يُملَك، بشكل عام من قِبَل جميع أفراد العشيرة، ولكنه يظل تحت رعاية شيخ القبيلة. وكل ناقة (وضحا) تغنمها العشيرة بغارة تُضاف إلى القطيع. وعندما يصل عدده إلى مئة فإنهم يقومون بتكوين قطيع ثان. وتعتبر (المغاتير) فخراً لكل من في القبيلة أو العشيرة خاصة إذا كان القطيع لم يتعرض لسلب أو نهب من قبل العدو منذ خمسين سنة مضت. وهنا يسمى (العالي) ويصبح مثل هذا القطيع حديث الصحراء كلها، ومظهراً من مظاهر العزة والمجد للعشيرة التي تملكه، وهو يمجّد ويمدَح من قِبَل الجميع ويقولون عنه: سمعة وشهرة أي (عرف ونوماس) للعشيرة. وتعتمد مكانة العشيرة بصورة رئيسية على قطيعها، ولهذا السبب فهم يختارون له الرعاة من الشباب الشجعان الحذرين الذين يستطيعون في وقت الخطر سوق القطيع إلى مكان آمن يختفي فيه. ومن المألوف عند البدو أن النياق الوضح لا تذبح إلا إذا أصبحت مسنّة جداً أو مجروحة، وتقوم النساء والبنات بجمع وبر النياق الوضح بعناية، ومن ثم يغزلنه وينسجنه بعد تلوينه بمختلف الألوان الزاهية لحياكة الوبرية الجميلة التي تحمل على ظهر الجمل (Musil 1928:335-336).

ألوان الإبل في التراث. تعددت ألوان الإبل في التراث شعره ونثره، ونورد هنا طائفة من هذه الألوان مرتبة على حروف المعجم، منها:

الآدَم: وهو الأحمر غامق الحمرة المشرب بالسواد، وقيل: الأُدمة في الإبل لون مشَرب سواداً أو بياضاً، أو هو البياض الواضح، ويقال للناقة أدماء، والجمع أُدْم؛ قال ذو الرمة:

كأنها بكرة أدماء زيّنها
عتق النّجار وعيش غير تزليج

الأجأى: من الجؤوة: وهي حمرة تضرب إلى السواد. وقيل: هي غُبرة في حمرة، أو كدرة مثل الصدأ، ويقال: جمل أجأى وناقة جأواء.

الأحسب: الذي فيه سواد وحمرة أو بياض، والحُسْبَة سواد يضرب إلى الحمرة.

الأحلس: هو البعير الذي يكون كتفاه سوداوين، وأرضه وذِروته أقل سواداً من كتفيه. والحَلَس من البعير: أن يكون موضع الحِلْس منه يخالف لونه.



الأحمر: الـذي لا يخالط حـمرته شيءٌ، وهو على درجات، فإذا اشتدت حمرتـه فهو أحمر قـانيء، فإذا خالط حمرته قنوء قيل: أحمر كُمَيْت ويستوي في هذه الصفة الجمل والناقة. فإذا خالط حمرته صفـاء قيل: أحمر مُدَمّى، فإن خالط الحمرة صفرة كالورس قيل: أحمر رادني، والرادن: الزعفران. فإن خالط الحمرة خُضرة قيل: أحوى، فإن خالط الحمـرةَ سواد قيـل: أرمك وهو الـذي اشتدت كُمتته حتى دخلها سواد، وناقة رمكاء. وقيل: الرمـكة في ألوان الإبل حمرة يخالطها سواد؛ قال الشاعر:

مـنهـا الدجـوجي ومـنـها الأرمـك

والحمراء هي الناقة التي يكون لونها شبيـهاً بلون حـبة القمـح، ويميل إلى الاحمرار قليلاً؛ قال المتنبي:

بـكل فـلاةٍ تـنكـر الإنـس أرضهـا

ظعـائن حـمر الحلـي حمر الأيـانق

الظعائـن جمع ظعينة وهـن النساء المحمولات في الهوادج. وحمر الحلي: يريـد الشاعـر أن حلي هـؤلاء النـساء الذهب. وحمر الـنوق هي نوق الملوك وذوي اليسار لأنها كرام النوق. والإبل الحمر أفضل الإبل، ولها مسميات حسب لونها ودرجة الاحمرار في الوبر؛ كالعطرا والشعلا والغزلا والعفرا والصهبا.

وإذا كانت أرجل الناقة الحمراء من الأمام خفيفة اللون سميت حمرا حجلا، وإذا وُجد في صدرها بقع خفيفة اللون تسمى حمرا زغبا. وتـسمى الناقة ذات اللون البني الناصع بدون ظل للون آخر حمرا دامـية أو دموم، وإذا كان الشعـر النابت على الفك والأنف مسوداً قـليلاً سميت حمرا دغما.

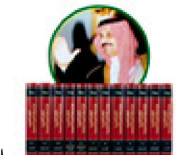
فالشعلا شبيهة بـحبة البن التي لم تحمص أو الحبة المحمصة قليلاً، وتتدرج في هـذا اللون أو بـاللـون الرمادي. والعطرا من نعوت العوام للناقة الشديدة الحمرة. والعـفرا وهي التي في لونهـا بياض، وهي الوضـحا. والغزلا ذات اللـون الأكدر، وهي الـتـي يخالـطها بياض. والقمرا شبيهـة بلون الحمراء، ولكنها يغلب عليها اللون الأبيض من أسفل البطن والقوائم.

الأكلف: هو البعير الذي يتراوح لونه بين الأحمر والأسود، والناقة كلفاء.

الأخضر: الذي اغبّر حـتى يضرب إلى الخضرة.

الأدخن: وهو الأشقح الذي خالط لونه قليل من السواد في الأنف والكتفين وذروة السنام، والناقة يقال لها دخناء.

الأدكن: الذي تحـسبه علـى البعد أسود، والدكنة لون السواد.



الأدهم: الأسود من الإبل الذي اشتدت وُرقته حتى يذهب البياض الذي فيه، والناقة دهماء.

الأزرق: وهو اللون الأسود إذا خالطه قليل من البياض في أسفل القوائم والبطن، والناقة زرقاء، وهو قليل في الإبل وليست له درجات.

الأسود: يكثر في ألوان الإبل حسب درجات مختلفة تتبعه تسميات مختلفة. فإن كان السواد ضعيفاً قيل جمل أكلف، فإن خالط السواد صفرة قيل أحوى، فإن علق بسواده بياض قيل أورق، فإن زادت وُرقته حتى أظلم بياضه قيل أدهم، فإن اشتد سواده قيل جون، فإن كان شديد السواد قيل غيهب؛ قال عنترة بن شداد العبسي في النياق السود:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة

سُوداً كخافية الغراب الأسحم

ومعنى البيت أن في حمولتها اثنتين وأربعين ناقة تحلب، سوداً كخوافي الغراب الأسود، والخوافي من الجناح: أربع ريشات تختفي خلف القوادم.

الأشقح: وهو الأقل بياضاً (الأغبر) والناقة يقال لها الشقحاء؛ قال الكذيبة:

فوق اشقحٍ عن ذمة القفر ماطر

يرعى زهر نوار مختلف الالوان

وفي ألوان الشقح الكدرة، وهي بياض تشوبه حمرة، وكذلك الشهبة: بياض مشرب بأدنى سواد، والقمرة: بين البياض والغبرة. والشقح جمع شقحاء والناقة الشقحاء هي الناقة ذات اللون الأحمر الوردي أو القرنفلي.

الأشقر: من الإبل هو الشديد الحمرة، المشوب بصفرة.

الأشكل: الذي يخالط سوادَه حمرة أو غُبرة كأنه قد أشكل عليك لونه، والناقة شكِلة وشكلاء.

الأشهب: جاء في المثل «لقد استنبطتم بأشهب بازل». وهذا المثل قاله العباس بن عبد المطلب # لأهل مكة، أي بُليتم بأمر صعب مشهور كالبعير الأشهب البازل، وهو الأبيض المخلوط باللون الرمادي، ويتشاءم منه البدو.

الأصفر: هو الذي تصفّر أرضه، وتنفذه شعرة صفراء، وقيل: الصفر سود الإبل، لا يُرى أسود من الإبل إلا وهو مشربٌ صفرةً، ولذلك سمت العرب سود الإبل صفراً، كما سمّوا الظباءَ أُدْما لما يعلوها من الظلمة في بياضها. وللإبل الصفر درجات ومسميات عند أهل البادية حسب لونها؛ كالصفراء الدبسا، والدبسة بين السواد والحمرة. والصفراء السحما ويقال: ذلول سحما. والناقة التي بلون



حبة القهوة المحمصة يسميها البدو «صفراء حبة القهوة».

الأصهب أو الصهابي: الأبيض الذي خالطته حمرة، وهو الأبيض وليس شديد البياض. وقيل: الصَهَب حمرة أو شُقرة في الشعر.

والأصهب الجوني، وهو الأسود المشرب حمرة؛ قال ابن ميادة:

وحُكْتُ لها مما أقول قصائداً
ترامت بها صهب المهاري وجونها

وقال جعفر بن علبة الحارثي:

وسَيْري مع الفتيان كل عشية
أباري مطاياهم بصهباء سيلقِ
إذا كلحت عن نابها مجّ شدقها
لُغاماً كمحّ البيضة المترقرقِ
وأصهب جونيٌّ كأن بغامه
تبغّم مطرود من الوحش مرهقِ

ووضّح الشراح معنى الأصهب فقالوا: هو أن يحمرّ أعلى الوبر وتبيضّ أجوافه، وخص الشاعر الإبل الصهب بالذكر؛ لأنها خير الإبل لسرعتها. والسيلق: السريعة في سيرها، والأدماء من الإبل هي البيضاء ذات المقلتين السوداوين، واللُّغام: هو من البعير بمنزلة البزاق أو اللعاب من الإنسان، وأصهب جونيّ يعني بعيراً جونياً، وهو الأسود المشرب حمرة. وقال طرفة بن العبد:

صهابية العثنون، موجدة القرا
بعيدة وخد الرِّجل، موارة اليدِ

والعثنون: شعرات تحت اللحي الأسفل. والصهبة: الحمرة.

قال أبو عمرو عن الصهابية هذه إنها منسوبة إلى فحل من شق اليمن يقال له صهاب. والصُّهب: واحدتها صهباء، والصَّهَب في لون الإبل حمرة تضرب إلى بياض.

الأعيس: الذي خالط بياضَه شُقرة، وقيل العَيَس البياض الخالص، والعَيَسَة لون أبيض مشرَب صفاء بظلمةٍ خفية، والناقة عيساء، والجمع العِيس. وتقول العرب: ناقة عيساء كوماء؛ قال الشاعر:

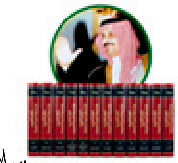
كالعِيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمولُ

الأغْثَم: شبيه بالأورق، ويقال: غَثِم الشيء إذا غلب سواده بياضه، والناقة تسمى غثماء.

الأغر: الناقة الغراء هي التي في جبهتها نقطة بيضاء.

الأكهب: الذي لم يشتدّ سواده، ولم يصفُ لونه. والكهبة: غُبرة مشربة سواداً في ألوان الإبل خاصة، والناقة كهباء.

الأمغر: بعير في وجهه حمرة مع بياض صاف.



الأملح: هو الأسود الحالك السواد، والناقة يقال لها ملحاء، وسمي أملح وملحاء والجمع مُلْح من باب التفاؤل وتجنباً لذكر السواد. وفي الحداء «ملحا كابس ... فمها يابس». وإذا كان سوادها فاحماً مثل لون الغراب سميت ملحا غرابيه، وإذا كان الوبر الأسود ملتفاً أو ملتوياً فتسمّى ملحا خيسا، والملح النوق السود إذا كانت أقل من عشر نوق، فإذا زادت عن ذلك سميت المجهمات أو المجاهيم

الأورق: هو البعير الأسود الذي يخالط سواده بياض كدخان الرمث، وهو ما كان لونه لون الرماد، وذلك اللون الوُرقة.

الأوضح: ويقال له الأكحل، وهو الجمل الذي يظهر السواد في عينيه وفي ذيله وفي ذروة سنامه أحياناً، والناقة في هذه الحالة يقال لها الوضحاء المكحلة. والأوضح ثلاثة أقسام: أرخم وأطخم وأكحل؛ فالأرخم هو الأبيض الذي ليس في عينيه وذيله وسنامه سواد. والأطخم فيه سواد في مقدمة الأنف ومقدمة الخطم، ويقال ناقة وضحاء دغماء والأكحل ما يوجد حول عينيه سواد.

وقد وردت في كتب التراث ألوان أخرى بعضها غير مرغوب فيه وبعضها مأخوذ من البيئة ولكنه غير شائع، فمن ذلك الخضرة وهي من شيات الإبل، وهي غبرة تخالط دُهمة. والدجنة في ألوان الإبل أقبح السواد. والدجواء: الناقة السابغة الوبر في سواد. والكميت: الذي خالط حمرته قنوء أو سواد، وهي درجة من ألوان الأحمر، ومن أسمائه الآدم؛ قال الحطيئة:

كُميت كركن الباب، قد شق نابه
وأحنت له مقلاتها ونزورها

ومعنى قول الشاعر: كركن الباب أي كسارية الباب، والمقلات: الأنثى التي لا يعيش لها ولد. وجمعها مقاليت، والكمتة لون يكثر في الخيل، وهي حمرة يعلوها سواد.

واللوائح: هي الإبل التي فيها وضح، ومثلها المأص وهي الإبل الوِضْح.

والمدحية: من صفات الإبل الوضح، وأسماؤها ووصفها على صفة دحو النعام، ويضرب بها المثل فيقال «إبل طلعت كأنها دحو النعام» وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة. ويصف العوام الإبل بقولهم «مغاتير كأنها رواق الصبح» أو يصفونها بقولهم «على خدود الريم» لشدة بياضها.

والمرقّشات: يقول عنها الزركلي «ولا يكون البعير الواحد ذا لونين، بل هو ذو



لون واحد، وقد شوهد جنس من الإبل غريب جيء به بعد النهضة، مرقّش يشبه في لونه بقر الوحش أو النمر، غير أن بقعه كبيرة، وليس في الحجاز شيء منه، وقد شغلتهم الحرب عن توليده في باديتهم» (١٣٩٨: ٢١٦).

والمُغْرب: الذي تبيَضّ أشفار عينيه وحدقتاه وهلبه وكل شيء منه.

والمَغَص: البيض من الإبل الخالصة البياض، والجمع أمغاص، وهي الوضح.

والناعج: الجمل الأبيض والناقة البيضاء، والجمع الناعجات؛ قال أبو تمام:

وأي مرام عنه يعدو نياطه
عِدىً وتكلّ الناعجات أخاشبه

والهجان: من الإبل البيض الكرام خالصة اللون والعتق.

ومن الطريف أن أصحاب الإبل في الوقت الحاضر درجوا على إطلاق أسماء على إبلهم منها ما يختص بالفحول ومنها ما يختص بالنياق، وهي أسماء مستوحاة من اللون أو السرعة أو القوة والنشاط، وهذه الأسماء تعرفها الإبل وتستجيب لها عندما تنادى بها. ومن الأسماء التي تطلق على النوق:

وْحَيْشَه، ريْمَه، الجوَيْخَه، شَرْهَهْ، العْبَيْدَه، وْضَيْحَه، الْبوَيْضْ، ذْرَيْعَه، صَلْفَه، سْحَيْمَه، الزَّبَّا، سَمْحَه، شْعَيْلَه، الرِّمَّانه، الْغَزَالَه، عَجْلَه، الْعبْيَّه (من أسماء الخيل)، سعْرَهْ، ظَبْيَه، الْجَهَامَه، الْفلوهْ، الْمقطَا، الْفريْسَه، الشَّرْفَا، النَّعَامَه، الزَّرَافَه، الْعَلْيَا، حْجِيْلَه، الْبَلْهَا، الرَّيْشَا.

أما الأسماء التي يختارها صاحب الإبل لجماله فمنها: ريحان، رمان، زريق، ظبيان، شرهان، شعيل، وضيحان، شرفان.

أشهر أنواع الإبل

ما ورد في كتب التراث. ذكرت بعض كتب التراث أسماء وسلالات لإبل مشهورة عند العرب، ولشهرة هذه الإبل قيل فيها وعنها كثير من الشعر والنثر والأمثال، ومن هذه السلالات:

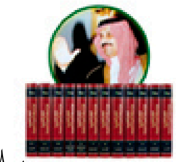
الأرحبية: وهي منسوبة إلى بني أرحب بن الدعام من همدان، وقيل إنها من إبل اليمن؛ قال القطامي، عمير بن شييم:

حتى ترى الحرَّة الوجناء لاغبة
والأرحبّي الذي في خطوه خطل

لاغبة: متعبة، والخطل: الاضطراب.

وقال نصيب الأصغر:

على أرحبيات طوى السير ما انطوت
شمائلها مما تحل وترحل



البحترية: تنسب إلى بحتر، وهم بطن من طيئ، وفي القاموس: تنسب إلى فحل من فحولهم اسمه بحتر، وبحتر موقع في جبل طيئ، ورمال بحتر شمال جبل أجا.

البخاتي: وهي إحدى سلالتين ذكرتهما بعض كتب التراث، الأولى هي البخاتي والثانية العِراب. وعرَّفوا البخاتي بأنها إبل جفاة القدود، طويلة الوبر، تجلب من بلاد الترك.

الجديلية: منسوبة إلى جديل، فحل كريم، أو إلى جديلة من اليمن، يقول أبو تمام:

طلبتك من نسل الجديل وشدقم
كوم عقائل من عقائل كوم

وقال عبيد الراعي:

شم الحوارك جنّحاً أعضادها
صهباً تناسب شدقماً وجديلا

الجرشية: يقال إنها ناقة منسوبة إلى جرش، وهي قبيلة. وقيل هي أرض باليمن، وقيل أيضاً جرشية هي محالة اتخذها بنو جرش.

يقول بشر بن أبي خازم:

تحدَّر ماء العين عن جرشية
على جريه تعلو الدبار غروبها

الحوشكية: إبل منسوبة إلى بني حوشك، وهم حي من اليمن.

الخويلدية: إبل منسوبة إلى خويلد بن عقيل.

الداعرية: نسبة إلى داعر، وهو فحل منجب، أو إلى داعر بن الحماسي الحارثي من قبيلة بني الحارث من القحطانية؛ يقول ذو الرمة:

غريرية كالقلب أو داعرية
زجولٌ تباري كل معصوصبٍ هقل

كالقلب: كالسوار في صلابته وبياضه، وزجول: تزجل الحصى أي تنفيه، ومعصوصب: مجتمع، والهقل: ذكر النعام، وتباري: تضاهي ذكر النعام في العدو.

ويقول الفرزدق:

فأفنى مراح الداعرية خوضها
بنا الليل إذ نام الدثور الملفّف

الشَدْقَميّة أو الشَذْقَميّة: ورد في التراث أنها إبل منسوبة إلى شدقم أو شذقم، فحل كريم أيضاً. ويقال هو فحل للنعمان بن المنذر.

الشَدَنِيَّة: منسوبة إلى فحل أو إلى بلد في اليمن؛ يقول أبو تمام:

ياموضع الشدنية الوجناء
ومصارع الإدلاج والإمساء

الإدلاج: السير أول الليل.

الصيعرية: نوع من الإبل تنسب إلى صيعر أحد بطون قبيلة بلحارث





حرة صيعرية

القحطانية، وقيل: الصيعرية من النوق هي التي فيها عزة نفس، الرافعة رأسها، وقيل: الصيعرية ميسم كان للملوك توسم به النوق خاصة. قال المسيب بن عَلَس:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره
بناجٍ عليه الصيعرية مكدم

وقال الشماخ:

غدون لها صعر الخدود كما غدت
على ماء يمؤود الدلاء النواهز

وقال أحد الشرارات:

ياراكبٍ حمرا طواها الحيالي
منوة غريبٍ ناصيٍ دار حَيّه

حمرا تذب الذيل وسر الغزالي
تزهى معاليق الغوى صيعيريه

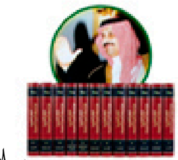
وقال آخر:

ردّت لابوها البكرة الصيعريه
حمرا طويله من سلايل وضيحان

العدولية: هي إبل منسوبة إلى عدولى من البحرين، يقول طرفة:

عدوليةٌ أو من سفين ابن يامنٍ
يجوز بها الملاح طوراً ويهتدي

العيدية: وفي نسبتها أقوال كثيرة، منها أنها إبل منسوبة إلى بني العيد وهم فخذ من بني مهرة، ويُقال إن العيدية قد ضربت فيها الحوش. وقد تكون العيدية



منسوبة لفخذ من بني كلب، قال رذاذ الكلبي:

ظلت تجوب بها البلدان ناجية
عيدية أرهقت فيها الدنانير

وقال أبو تمام:

بنات العيد تعتاد الفيافي
إذا شئنا استمر بها الذميل

وأما الشاعر الشعبي قايم السمير الشراري فيقول في العيدية:

ياراكبٍ عيديةٍ تهذل اهذال
لون الظليم اللي مع الدوّ مذعور

الصدفي: ضرب من نجائب الإبل تنسب إلى الصدف: بطن من كندة.

الصرصرانية: نوع من الإبل بين البخاتي والعراب، وصغيرها يسمى الصرصور.

الإبل الصفر الجعاد: هي أحد نوعين من الإبل الكلبية، والصفر الجعاد كانت عطايا سادة العرب، وعليها سار الخلفاء.

إبل الطوارق: تسمى العِير، وتمتاز بالسرعة الفائقة في الجري، ولها أرجل طويلة، وجسم متناسق، صغيرة الرأس والأذنين، وسنامها قصير. وتستعمل هذه الإبل للركوب، ويتراوح لونها ما بين الأبيض والرملي الفاتح (أشعل) وقد يوجد فيها الرمادي اللون أيضاً.

عصفور: ورد في كتاب الحيوان للجاحظ «أن أكرم فحل كان للعرب من الإبل كان يسمى عصفوراً، وتسمى أولاده عصافير النعمان (النعمان بن المنذر) وكانوا يقولون: صنع به الملك كذا وكذا، وحباه بكذا وكذا، ووهب له مئة من عصافيره.».

الغريرية: منسوبة إلى غرير، وهو فحل كريم مشهور في العرب؛ يقول ذو الرمة:

غريريّة في مشيها عجرفية
إذا انضم إطلاها وجال حزامها

العجرفية: الجريئة، وإطلاها: خاصرتاها، وجال حزامها: تحرَّك من الهزال.

وقال أيضاً:

غريرية كالقرم أو حوشكيّة
سناد ترى في مرفقيها تجافيا

القرم: الفحل، والحوشكية: إبل منسوبة إلى بني حوشك وهم حي من اليمن، وسناد: شرف، ويقصد الشاعر بقوله: ترى في مرفقيها تجافيا، أي تنحي الذراع عن المرفقين.

ويقول الكميت:

غريريّة الأنساب أو شدقمية
يصلن إلى البيد الفدافد فدفدا

القرطية: نوع من الإبل تنسب إلى قرط، وهي قبيلة من مهرة بن حيدان إحدى قبائل اليمن.



الإبل الكلبية: كلبٌ قبيلة عربية كبيرة، قديمة العهد، نسبت إليها الإبل الكلبية، ولديها نوعان من الإبل: الإبل الحمر، وهي إبل مشهورة بسرعة الجري، والصفر الجعاد، وهي مشهورة بوفرة ألبانها، وهي عندهم من التلاد الذي يفخرون به. وانحدرت سلالات هذه الإبل الكلبية إلى الشرارات، فهي متوارثة عندهم، يدل على ذلك وصف بعض الإبل بقولهم «البل زغبه».

الماطلية: تنسب إلى فحل يقال له ماطل، وقيل إنها منسوبة إلى رجل يدعى ماطل، وفي اللغة: إبل ماطلية وذلك لامتلاء جسمها وديدها، وهذه الصفة مميزة لإبل الشرارات ونجائبهم.

المجيدية: وتنسب إلى مجيد بن جيدان من قضاعة، وقال الفيومي في المصباح: مجيد اسم رجل، أو اسم فحل، إلى أحدهما نُسبت الإبل المجيدية.

المهرية: نوع مشهورٌ من الإبل منسوبة إلى مهرة بن حَيْدان، وهو أبو قبيلة من عرب اليمن. وتجمع المهرية على مهاري. وقيل عنها إنها منسوبة لبلد، ويقال عنها إنها من نجائب تسبق الخيل.

ولقد ورد ذكر المهرية والمهاري في كثير من أشعار العرب، كقول كثيّر:

ولما قضينا من مِنىً كلّ حاجة
ومسّح بالأركان من هو ماسحُ

وشُدّت على حُدب المهاري رحالُنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطيّ الأباطحُ

وقال توبة بن الحُمَيّر:

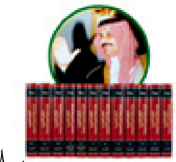
وأدماء من سر المهاري كأنها
مهاة صوار غير ما مسّ كورها

الأدماء من الإبل: هي التي أُشرِب لونها بياضاً مع سواد المقلتين، والسر: المحض الخالص النسب. والمهاة: البقرة الوحشية، والصِّوار: القطيع.

الإبل المنسوبة. هناك أنواع من الإبل تنسب إلى فحول نجيبة أو إلى قبائل أو إلى فرسان أو أشخاص، وهي سلالات من الإبل أصبحت لها شهرة الإبل التي وردت في كتب التراث، نظراً لأنها أصبحت نجيبة مع الزمن، أو بسبب نسبتها إلى قبائل شهيرة أو فرسان أو أشخاص مشهورين، ومن هذه السلالات ما يلي:

الآركية: هي الإبل التي تعيش في المناطق التي يكثر فيها شجر الأراك، يقول عنها الزركلي:

في بادية مكة نوع من الإبل يسمونه (الآركيات) لأنها أكثر ما تقتات بالأراك وهو عيدان



السواك، ويسمونه (الأرْك) بسكون الراء ومنه أحراج كبيرة في ظاهر مكة شديدة الاخضرار حتى أيام انقطاع المطر. ويقولون إن الإبل الآركيات إذا منع عنها الأراك أربعاً وعشرين ساعة هلكت، ويؤيد هذا أن أكثرها يُتَّخذ للنقل بين مكة وجدة (مسيرة يومين للجمال) وقد رأيت رعاتها يجعلون في أحمالها شيئاً من الأراك، فإذا أطعموها جعلوا قليلاً منه في علفها. وقد يُطعِم أحدهم راحلته (الآركية) سواكه، إذا لم يجد غيره من الأرك، فتأكله وإن كان يابساً (١٣٩٨ : ٢١٦).

الأصيغَر: هي نوع من الإبل يعيش في الأحساء في شرقي المملكة العربية السعودية.

بنات بويضا: هي إحدى سلالات الإبل العمانية المشهورة لدى قبائل عُمان، وهي من بوش الحيريين من بذية في عُمان.

بنات مصيحة: وهي من بوش أهل سعد، من الخضراء، في منطقة باطنة المنطقة الشمالية من عُمان.

بنات وضيحان: من الإبل التي تعتني بها قبيلة الشرارات وألوانها حمر وقمر.

حديجات: وهي إحدى أنواع النجائب الشرارية مثل بنات وضيحان ووحيشات، وألوانها حمر وقمر.

الحصينات: من نجائب بني عطية، وألوانها حمر.

الجودية: مواطنها الكويت والعراق والشام، وتمتاز هذه السلالة بكبر الحجم والقوة وتستعمل للحمل، كما تمتاز بغزارة الوبر. ولونها أحمر يميل إلى اللون البني، وتعرف هذه السلالة من الجمال في سوريا باسم الإبل الشامية.

ذروات: نوع من الإبل المغاتير المشهورة، منتقاة بلون واحد، وذروة السنام وشقّه فيها ذات خط أسود أو أشقر، وهي إبل آل الرشيد المشهورة.

قال الشاعر محدى الهبداني:

ذِرْوَاتْ أَخَذْنَاهِنْ وْيَبْرَالِهِنْ خُورْ
وْيَفْدَاكْ مَالَكْ يَا رِبِيْعَ الضَّعَافِي

الذيبيات: وهي سلالة من الإبل عند بني عطية (العطاونة)، وهي من السلالات النادرة من نجائب الإبل التي لم تختلط أنسابها بأنواع أخرى وألوان هذه السلالة حمر.

عرفان: وهي سلالة جمل نجيب عند قبيلة عنزَة.

الإبل الأسطورية. ورد في بعض كتب التراث أسماء عدد من سلالات



الإبل لـم يعد لهـا وجود اليوم، وفـي أوصـاف هذه الإبـل وفـي تنـاسلـهـا واخـتلاطـها بـالجن، والحـديـث عن سلالاتهـا ضرب لا يخلو من الـتصوّر الأسطوري غير الواقعي. ومن أشهر هذه الإبل التي وردت لدى الجاحظ والدميري ما يلي:

البَهـونِيّة: ما يكون بـين الكرمانيـة والعربيّة، وهو دخيل في الكلام. ويقال: ومتى ضربـت فحول العِراب في إناث البـخت جـاءت هذه الإبـل البهـونيـة والصرصرانية، فتخرج أقبح منظراً وأشد أسراً من أبويها.

التيهيات: وتسمى التيه أو الهيت، وهي من النجائب المشهورة في الجودة، وهي سلالة مهجنة من الإبل، وأساسها من سيناء من وادي التيه وأصل الركايب الحراير من نسلها.

الجوامـز: إذا ضربت الفـوالج في العِراب جاءت هـذه الجوامز. والبخت الكريمة التي تجمع عامة خصال العـراب وخصـال البخـت، فيكـون ما يخـرج التركيب من هذين الجنسين أكرم وأضخم وأنفس وأثمن.

الحوشية: بمعنى الوحـشية، وقيل: منسوبة إلى الحوش، وهي فحول تزعم العـرب أنها من أصـل الجن، ضربـت ببعضها فنسبت إليها. وقيل إنها تسكن أرض وبار، وهي غير مسكونة بالناس. ويذكر العرب أن الحـوشية منسوبة إلى بلاد الجن من وراء رمل يبرين لا يمر فيها أحد من الناس، وهي إبل لا يكاد يدركها التعب.

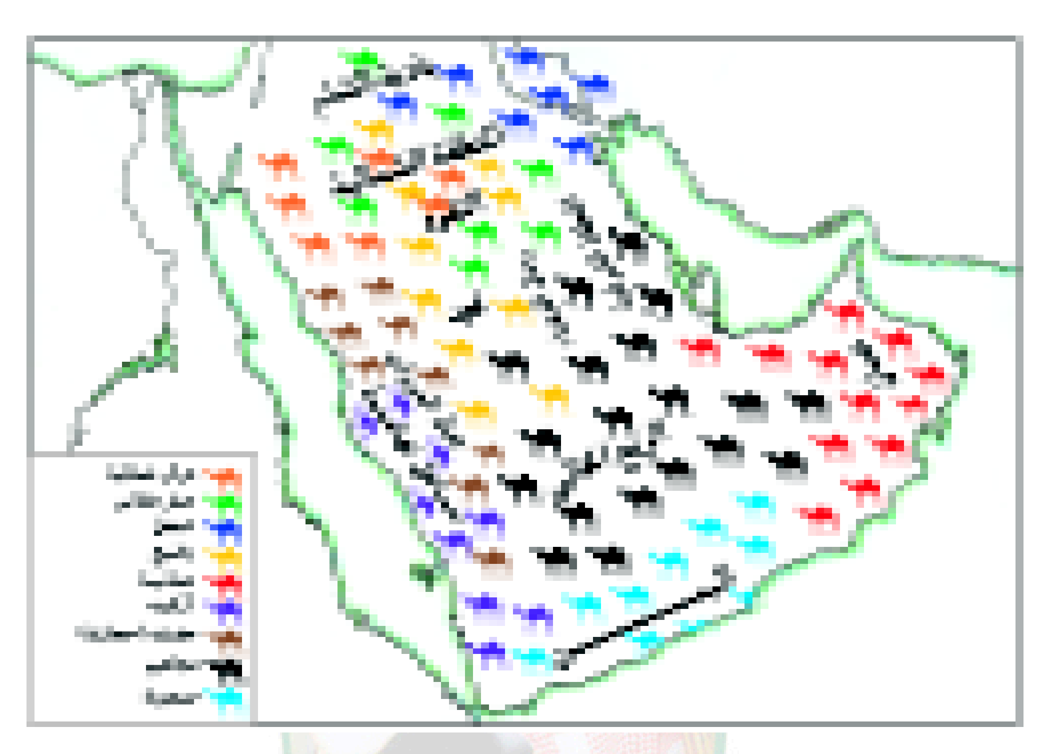
إبل الوحش: وهي سلالة من الإبل يقال إنها تقابل إبل عاد وثمود. وهناك اعتقاد أنها الإبل التيهية.

التوزيع الجـغرافي للإبل في جـزيرة العرب

إن إلقاء نظرة على خريـطة التوزيع الجغرافي للسلالات الرئيسية المعروفة في الجزيرة العربية، يبين تميز بعض المناطق بسلالات معينة استطاعت أن تتأقلم مع ظروفها المناخية وتضاريسها المختلفة من منطقة إلى أخرى. كما يلاحظ أن هناك مناطق تتداخل فيهـا السلالات كمنطقة نجد حيث تتداخل المجاهيم مع الوضح، أو المنطـقة الشمـالية حيث نجـد بعض التداخل بين المغاتير والحرائر من سلالة الحمر.

ويتيح لنا إلقـاء هذه النظرة ودراسة الظروف المناخيـة والأحوال التضاريسية للجزيرة العربية ودراسة صفات السلالات الموجودة في الجزيرة العربـية، أن نرسم





خريطة توضح التوزيع الجغرافي لسلالات الإبل الرئيسية في الجزيرة العربية

خريطة التوزيع باطمئنان كبير إلى صحة هذا التوزيع، وخاصة في سنوات ما قبل النهضة، حيث لم تكن هناك ظروف خارجية تدخلت أو ساعدت في اختلاط أنواع السلالات وانتشارها في أرجاء الجزيرة العربية.

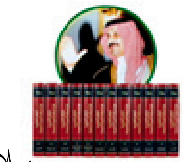
فإذا نظرنا إلى منطقة الربع الخالي ووادي الدواسر ورمال الدهناء والسهول الواقعة إلى الشرق من جبال السروات في جزئها الجنوبي والمناطق الداخلية من المنطقة الشرقية، نجد أنه يغلب عليها سلالة المجاهيم، وهي منطقة معروفة بتباعد موارد المياه في الأزمنة السابقة، وتغطيها الرمال الكثيفة المتصلة في معظمها، فكان لا بدّ أن تتواءم معها سلالة المجاهيم المعروفة بكبر حجمها وسعة دائرة أخفافها واتساع خطواتها عن السلالات الأخرى. فالعامل الأول يساعدها على تخزين كمية كبيرة من الماء، ويعطيها قدرة أكبر من السلالات الأخرى على البقاء بعيدة عن موارد المياه لمدة أطول. كما أن سعة أخفافها أعطتها القدرة على السير في الرمال الكثيفة بسهولة متناهية دون أن تنغرز أرجلها



فيها، فتمكنت من رعي نباتاتها. والمتتبع للإبل يلاحظ أن المجاهيم بصفة خاصة تميل إلى السير في مناطق الرمال متجنبة المناطق الصخرية أو المنبسطة التي تكثر فيها الحجارة الصوانية أو الحرار، ذلك أن سعة خفها تعرضها للإصابة بالحفا بسرعة أكثر من غيرها من السلالات الأخرى، إذ إن كبر حجمها وثقله يضغط على الأخفاف فيصيبها التلف بسرعة. كما أن سعة خطواتها أتاحت لها سرعة الانتقال في مناطق عرفت سابقاً بقلة موارد المياه فيها وتباعدها عند حاجتها للشرب.

كما نلاحظ من خريطة التوزيع أن الإبل الحجازية (حضنيه) وهي من سلالة الحمر تنتشر في سلسلة جبال السروات ممتدة إلى اليمن؛ ذلك أن هذه النوعية من الإبل تمتاز بصغر حجمها وكبر عظام وعضلات قوائمها وصغر أخفافها، الأمر الذي يتيح لها القدرة على السير في المناطق الجبلية الوعرة، ويمكنها من حفظ توازنها بين هذه الصخور، سواء كان ذلك عند السفر والترحال أو الرعي، حيث تقتات هذه السلالة بصفة رئيسية الأشجار التي تكثر في جبال المنطقة؛ مثل الطلح والسمر والضهيان والسيال. وصغر دائرة أخفافها يجعلها أقل عرضة للإصابة بالحفا الذي ينتج عن التعرض للسير على الحجارة الحادة، ويعينها على ذلك خفة وزنها النسبي. كما أن الإبل الآركية من سلالة الإبل الحمر، وهي معروفة بأنها من الإبل الخوارة، وتنتشر في أودية تربة والخرمة ورنية وبيشة وتثليث وحبونا ونجران والجوف ومأرب في اليمن وسهل تهامة الساحلي الذي تكثر فيه أشجار الأراك والأثل والطرفاء التي تقتات بها. ولما كانت الإبل الخوارة أرهف جلداً وأقل وبراً وأقل قدرة على البقاء دون ماء لفترة طويلة كالمجاهيم، فإن هذه الأودية مع السهل الساحلي كانت هي المكان المناسب لها بما توفره من مرعى جيد وطقس أدفأ وموارد مياه أوفر من غيرها، لذا فهي لا تترك أوديتها حتى لو تركت ترعى من غير رعاة.

أما الإبل العمانية (الباطنية) من سلالة الإبل الحمر فنجدها في سواحل عمان والباطنة ومنها أخذت اسمها. كما نجد الحرائر الصيعرية من السلالة نفسها تنتشر في حضرموت وشبوة وسهول منطقة شرورة والوديعة الجنوبية، وربما ساعدها على ذلك طبيعة المنطقة السهلية ذات الرمال الناعمة غير السميكة، وهي إبل قصيرة الوبر، صغيرة الأخفاف، سريعة الخطوات؛ لذلك يناسبها مناخ



المنطقة الحار صيفاً والدافيء شتاءً. ولأن هذه السواحل كانت منذ القدم مراكز تجارية لتجارة الهند المتجهة شمالاً إلى الشام فأوروبا، فقد كانت هذه الإبل السريعة القوية تنقل التجارة إلى المناطق الأخرى من السواحل. ومن ثمّ كان على أهالي المنطقة الاعتناء بهذين النوعين الملائمين للمنطقة مناخياً وتضاريسياً؛ لذلك لا نرى من هذين النوعين قطعاناً مستقلة في غيرها من المناطق. فالموجود في المناطق الأخرى لا تتعدى ملكية الفرد منها عدد أصابع اليد الواحدة، ويكون استعمالها مقتصراً على الركوب للسفر أو المغازي أو للسني في المزارع.

كذلك نلاحظ أن الإبل المغاتير والحرائر الشمالية من سلالة الإبل الحمر تنتشر في المناطق الشمالية من الجزيرة العربية وبادية الشام وجنوب العراق. وسلالة المغاتير والحرائر الشمالية معروفة أكثر من غيرها بطول وبرها وكثافته مما يتيح لها القدرة على مقاومة برودة الجو القارسة في الشمال وسهول الشام الجنوبية في فصل الشتاء. كما أن دائرة أخفافها أصغر بكثير من المجاهيم، إذ إن طبيعة المنطقة الشمالية المتمثلة بالحرة ذات الحجارة السوداء الصلبة وسهول الحماد ذات الصوان الممتد إلى بادية الشام تتطلب صغر الأخفاف وخفة الوزن (يلاحظ أنها أصغر حجماً من المجاهيم) حتى لا تعرض باطن الخف للإصابة أثناء انتقالها في المراعي. ونلاحظ أن الشُّعل منها يكثر انتشارها في شمال شرق الجزيرة العربية وسهول العراق الجنوبية، لأن هذا النوع من الإبل الخوارة قليل الصبر عن الماء، فتتاح لمالكيها فرصة الانتقال إلى منطقة شط العرب لقرب المسافة. وتنتقل هذه السلالة في فصل الصيف إلى سهول الشام والجزيرة وجنوب العراق وإلى الشرق من شط العرب، أما في فصل الشتاء فإنها تصل إلى نفود حائل وصمان مطير وشمال منطقة القصيم. أما وسط الجزيرة العربية (نجد بصفة عامة) فيغلب عليها المجاهيم والوضح من سلالة المغاتير، مع وجود عدد غير كبير من الصفر من سلالة المغاتير، والعمانية من سلالة الإبل الحمر، ولكن بأعداد قليلة، لغرض الركوب للسفر والمغازي. وربما وفرت طبيعة نجد الوسطية من حيث المناخ والتضاريس بين الشمال والجنوب، بيئة موائمة لهاتين السلالتين للعيش فيها. كما أنّ الانتقال القريب لبادية الجنوب أو بادية الشمال أو انتقال بادية نجد شمالاً وجنوباً أو الغزوات المتبادلة بين القبائل

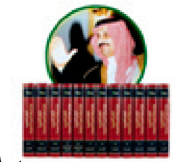


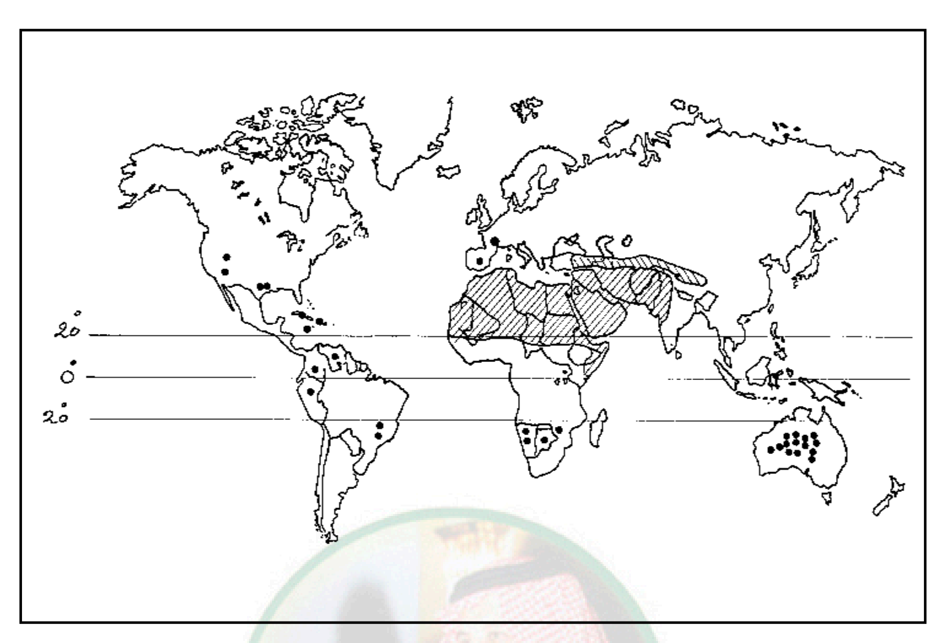
في الوقت السابق، أتاح الانتشار المختلط بين المجاهيم والوضح بصفة خاصة، إذ إنها مرغوبة أكثر من غيرها من السلالات.

ولعلنا بإلقاء نظرة عامة على هذه الخريطة، خاصة في سنوات ما قبل الطفرة، نرى ندرة في وجود المجاهيم في المنطقة الشمالية بل ربما كان انعداماً تاما، كما نلاحظ انعدام وجود الشعل والصفر في المنطقة الجنوبية. كما نرى بعد سنوات الأمن وسنوات الطفرة في منتصف التسعينيات الهجرية (السبعينيات الميلادية) أنَّ القدرة الاقتصادية لأبناء البادية نتيجة لارتفاع أسعار الإبل أتاحت للبادية في كافة مناطق الجزيرة الانتقال لمناطق لم يكونوا بالغيها في أوقات سابقة، فقد رأينا الإبل المجاهيم وصلت إلى سهول الشام والعراق الجنوبية كما وصلت الإبل الوضح مع البادية في سنة ١٣٩٦-١٣٩٧هـ إلى رملة السبعتين بين مأرب وشبوة مع المقطة والشيابين من عتيبة، وسبيع. بل يمكن القول إنه ظهرت سلالة جديدة هي عفراء المجاهيم وهي نادرة على كل حال، نتيجة التزاوج بين المجاهيم والوضح، فأخذت من الإبل الوضح (العفر) بياض اللون، ومن المجاهيم كبر الحجم ومواصفات الرأس والرقبة والأخفاف وسواد شعر المعارف وهلب الذيل.

مناطق انتشار الإبل في العالم

لعلّ جميع المناطق التي يوجد فيها البعير اليوم دون استثناء تحقق دوره الاقتصادي كحيوان للركوب أو الحمل أو مصدراً للغذاء بالإضافة إلى وظائفه الأخرى. ففي الصومال كان استئناس الإبل بغرض الحصول على حليبها. وهذه الطريقة أو الوسيلة انتقلت إلى الصومال عن طريق مضيق باب المندب، وعن طريق جزيرة سوقطرة Socotra بواسطة البحارة في الفترة ما بين ٣٥٠٠-٤٥٠٠ سنة من وقتنا الحاضر. إضافة لما تقدم فقد انتقلت الإبل من عرب الجنوب إلى عرب الشمال للحصول على حليبها حيث استخدم البعير في شمالي الجزيرة قبل ٣٠٠٠ سنة من وقتنا الحاضر. وهكذا انتقلت الإبل العربية إلى جميع المناطق التي توجد فيها اليوم في أفريقيا وآسيا وأستراليا من الجزيرة العربية. فالبعير العربي موجود تقريباً في جميع المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. ففي قارة آسيا يوجد في الجزيرة العربية وسوريا ولبنان والأردن وتركيا والعراق وإيران وأفغانستان





خريطة توضح مناطق انتشار الإبل في العالم

وباكستان، وفي الشمال الغربي للهند وفي أماكن معينة من الصين. وأما في أفريقيا، فتوجد الإبل في ١٨ بلداً وتشكل فيها جزءاً مهماً من الماشية. وفي أستراليا ظهرت الإبل في بداية القرن التاسع عشر، إذ استخدم الإنجليز قطعانا من الإبل العربية مع رعاة أفغان لاستكشاف الصحاري الأسترالية، وتم وضع الخرائط الجغرافية لها. وبعد حدوث الثورة الصناعية استغنى الإنجليز عن الرعاة والإبل، وتركوها هائمة في الصحاري الأسترالية، حيث راحت تتناسل بشكل حر مكونة قطعاناً لا يستهان بها.

وإضافة لما تقدم فقد أدخل البعير العربي في الآونة الأخيرة إلى مناطق أخرى حسب ما أورده ويلسون الذي ذكر أن الإبل أدخلت إلى أمريكا سنة ١٧٠١م لأول مرة حيث بدأت ببعيرين أحضرا بواسطة التجار. وبعد ذلك زاد العدد إلى أربعة جمال. وبعد سنة ١٨٧٦م اتجهت الأنظار في أمريكا الشمالية إلى أهمية الإبل الاقتصادية. وفي سنة ١٨٤٨م طُرحت أهمية البعير كحيوان يستخدم للأغراض العسكرية وإمكانية استخدامه لغرض تهدئة ولايات الغرب الأمريكي؛ فوصل في سنة ١٨٥٦م إلى تكساس ٣٤ بعيراً، اثنان



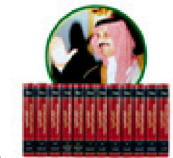
منها من ذوات السنامين. وزاد عدد الإبل في السنوات التالية حتى بلغت ٤٤ بعيراً. وفي سنة ١٨٥٨م استوردت جمال أخرى، وتكون قطيع من الإبل خاص بالجيش الأمريكي. ولا يعرف بعد ذلك ما حدث لهذه الإبل في أمريكا الشمالية. ولعل افتقادهم في ذلك الزمن للمعرفة التامة بالبعير ومتطلباته، كان من أسباب انقراضه لديهم. ومن الطريف أن مواطناً سعودياً يقيم في أمريكا إقامة شبه دائمة، جلب مجموعة من الإبل إلى هناك وصار ينتج منها حليباً يبيعه، ويؤجرها للركوب كشيء غريب على المجتمع الأمريكي.

أما انتقال الإبل إلى القارة الأمريكية الجنوبية فقد كان في سنتي ١٧٩٣م و ١٨٥٩م حين جلبت أعداد منها إلى البرازيل. وفي سنة ١٨٤٥م استوردت بوليفيا ٣١ بعيراً، تكاثرت حتى وصلت إلى مئة بعير سنة ١٨٥٦م. ولا يعرف ما حدث لهذه الإبل بعد ذلك. وفي منطقة الكاريبي استوردت الإبل إلى باربادوس في سنة ١٦٧٥م، وإلى جامايكا قبل سنة ١٧٧٤م. وقد عاشت هذه الإبل هناك لمدة تتجاوز الخمسين سنة. وفي كوبا كان هناك ٧٠ بعيراً في سنة ١٨٤١م (Wilson 1984).

وفي جنوب أفريقيا حاول كل من الألمان والإنجليز جلب الإبل إليها في الفترة الواقعة قرب نهاية القرن التاسع عشر. فقد أحضر الإنجليز من الهند ١٤ جملاً للركوب، و٤٤ جملاً لأغراض الحمل إلى زيمبابوي (روديسيا سابقاً). وكانت الإبل التي أدخلت إلى الجنوب الأفريقي من قبل الإنجليز أقل نجاحاً من تلك التي أدخلت من قبل الألمان في جنوب غرب أفريقيا وفي بوتسوانا الآن.

وأول إبل أحضرت إلى الجنوب الغربي لجنوبي أفريقيا كانت مجلوبة من جزر الكناري وكان ذلك سنة ١٨٩٨م. وبعد ذلك أحضر ٥٠٠ بعير أيضاً من جزر الكناري إضافة إلى ٢٠٠٠ بعير جلبت من الصومال. ولا يزال يوجد حتى يومنا هذا حوالي ٦٠ بعيراً هناك تستخدم للأعمال العامة.

ويضيف ويلسون أن دخول الإبل إلى القارة الأوروبية، بغض النظر عن دخولها الأول مع الفتح الإسلامي للأندلس، حدث سنة ١٧٨٦م حيث شكل مربد ملكي في هذه السنة. وظل هذا المربد موجوداً حتى بعد نهاية الحرب الأهلية الإسبانية. إضافة لهذا فقد حدث استيراد للإبل إذ جلب ٣٠ بعيراً



إلى برشــلونة سنــة ١٨٣١م. وكانت الإبل تستخدم في مناجم الملح في فرنسا في منتصف القــرن الثامن عشر. كما أدخلت الإبل أيضاً إلى ألمانيا في تلك الفترة. أما إيطاليا فقد استوردت الإبل إليها من تونس، أو ربما من الهند، في حوالي سنة ١٦٢٢م. وفي نهاية القرن الثامن عشر كان يوجد في إيطاليا ١٩٦ بعــيراً، ولكنــها انقرضــت بعد ذلك (Wilson 1984).



خَلق الإبل وتكيفها مع الصحراء

تأقلمت الحيوانات الصحراوية، ومنها الإبل، على العيش في الصحراء بعدة طرق. وقد اعتمدت هذه الطرق على نوعية الحيوانات وحجمها وتركيب أجسامها. والإبل من أعظم الحيوانات خَلْقاً، وأكثرها مهابة، وأجلها عند العربي مكانة وقدراً، كانت له نعم الرفيق في الطريق، ونعم العتاد زمن الخوف والضيق. لم يتحمل الصحراء بزمهريرها وسمومها مثلها، ولا صبر على المكاره والمشاق غيرها، فالبعير هو الحيوان الذي أحبه العرب وخبروه وعرفوا خَلْقه وأخلاقه كما يعرفون أبناءهم. وسنلقي نظرة عامة على أعضاء البعير المختلفة التي جعلته من أنجح الحيوانات تأقلماً مع طبيعة الصحراء.

يذكر علماء الحيوان في تصنيفاتهم العلمية أن الإبل تتبع قبيلة الحبليات (كورداتا) Chordata وتحت قبيلة الفقاريات (فيرتبراتا) Vertebrata، وهي إحدى رتب طائفة الحيوانات الثديية (الحيوانات اللبونة/ ماماليا) Mammalia. وتتميز عن غيرها من الحيوانات الأخرى بأنها تلد وترضع صغارها، كما يغطي أجسامها وبر. وهذه الرتبة هي رتبة مشقوقات الحافر (الحافريات/ ذوات الحافر/ آرتيوداكتيلا Artiodactyla) ويندرج البعير تحت رتبة التايلوبودا Tylopoda، التي تتميز بأن الإصبعين الثالث والرابع في كل من اليد والرجل منها متساويان. وتكون الأصابع الأخرى غائبة كما في البعير أو أثرية في أنواع أخرى. وعائلة الإبل (كاميلينا) Camelinae يتبعها جنسان هما جنس (اللاما Llama) وجنس الإبل (كاميلوس Camelus). وسنفصّل الحديث هنا عن أعضاء وجسم البعير حسب وصف العلماء، وكما وردت في التراث العربي.



الأجزاء الخارجية للبعير

العينان. يحمـي عين البعير قضيبٌ هيكلي خلفي، ورموش غليظة طويلة؛ ولهذا فعين البعير لها القدرة على الرؤية الجيدة في النهار والليل. وتستخدم عين البعير التركيب المشيمي أثناء الليل لتقوية الرؤية، أما في النهار، حين يكون الضوء شديداً، فإن الحـواف الخارجية لقزحيـة العين تعمل حاجزا لوقـاية بؤبؤ العين، وبذلك تقل كمية الضوء التي تقترب من الشبكية.

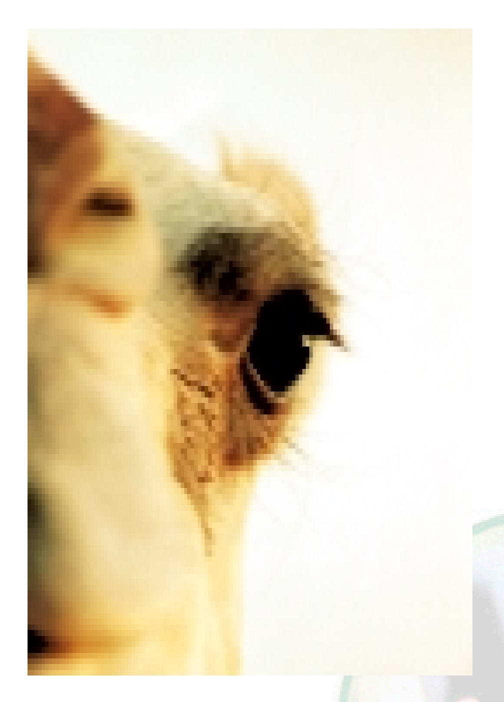
ويمتاز جفـن البعير بأهداب طويـلة تتشابك مكونةً ما يشبه شبكة تحمي العين وتعطيها القدرة على الرؤية، وتكون شبه مقفلة خلال هبوب العواصف الرملية. ولعيني البعير مجريان دمعيان فقط للغدد الدمعية، وهما واسعان بدرجة تجعل من الصعب إغـلاقهما أو سدهمـا بواسطة الرمال. والبعير بهذه الميزة يختلف عـن باقي الحيوانات الثديية الأخرى. وعندما يتعرض الـبعير للجـفاف أو العواصف الرمـليـة، فإن إفرازه الـدمعـي يكـون

الأجزاء الخارجية للبعير



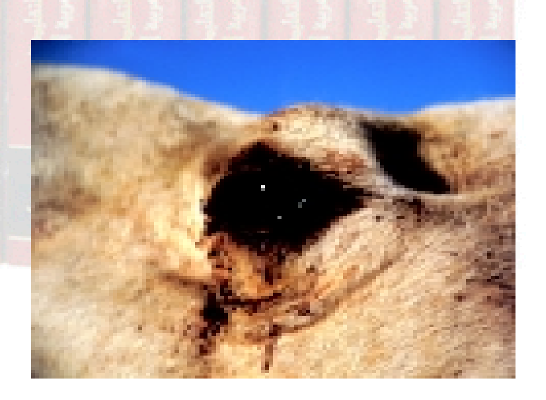


الأجزاء الخارجية الأمامية للبعير



جفن البعير وأهدابه

مستمرا، وبـكمية كبيرة. وهذا الإفراز يحفظ الأنسجة الطلائية لملتحمة الغشاء المخاطي المبطن للعين، والأنسجة الطلائية للقرنية من الجـفاف. ولا يجري الدمع من عين البعيـر على هيئة نقط دمعية،



الدمع يسيل من عين البعير

وإنما تسح دموعه مبللة الخد أسفل منها، وهناك من يقول بعكس ذلك.

وقد يصيب الإبل الـعشا، وهو ألا تبصر بالليل ومـن أمثال العرب السائرة «هو يخبط خبط عشواء»، والعشواء هي الناقـة التي لا تبصـر باللـيل فهي تطأ وتدوس كل ما مرت به؛ قال زهيـر بن أبي سلمى:

رأيت المنايـا خبط عشواء من تُـصب
تمتـه، ومن تـخطـئ يُعّـمر فـيهـرم

الأنف. أنف البعير مكون مـن عدد من التجويـفات مهمتها ترطيـب الهواء الجاف الـداخل إلى الرئـتين. وهنالـك



زوجان من الأكياس يفتحان في الجزء الأمامي للفجوة الأنفية، وهما مبطّنان بأغشية مخاطية، يبدو أنها تفرز بعض السوائل. ويمكن ضغط هذين الكيسين، بواسطة العضلات المجاورة، لإحداث تفريغ يؤدي إلى شفط الإفرازات من القناة الدمعية الأنفية لإعادة امتصاص الماء منها واستخدامه من جديد. كما أن ثمة لوالب، تبرد هواء الزفير الخارج من الرئتين مشبعاً ببخار الماء، مما يؤدي إلى تكثيف بعضه في الأنف فيستفاد منه مرة أخرى. كما أن الغدد الأنفية الجانبية تنشط

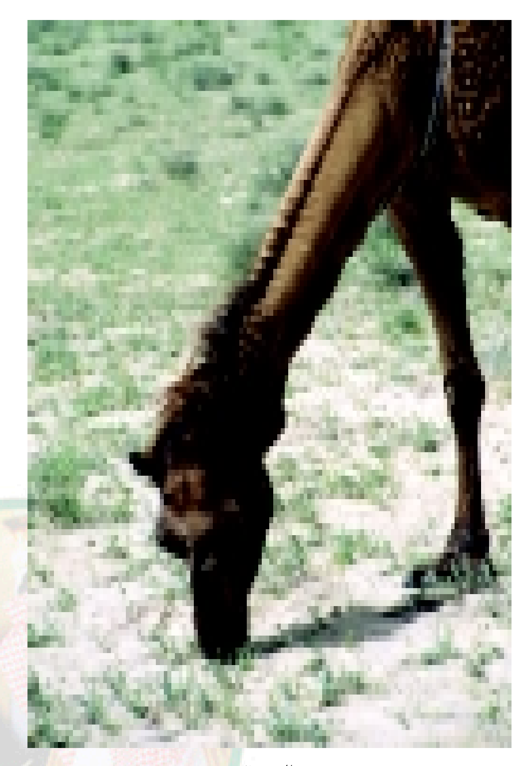
الأنف

في إفراز المخاط لكثرة خلاياها، ولوجود الغدد الصفائحية المخاطية فيها.

وتسبب حركة الخلايا المهدبة، الموجودة في الأغشية المخاطية للأكياس الأنفية، تحريك الإفرازات المخاطية في اتجاه المنخر لترطيب الهواء الجاف الداخل للتنفس. ويعتقد أن الغدد الأنفية الجانبية تقوم بإفراز أملاح مركزة. ويوجد زوج من الغدد الطويلة يفرز المخاط أيضاً. ويؤدي هذا المخاط، من دون شك، دوراً في ترطيب الهواء الصحراوي الجاف الداخل للرئتين. وبالإضافة إلى ذلك فإن الجزء الخارجي للأنف يمتاز بوجود شق طولي، مبطن من الداخل بشعر قصير ناعم، شأنه في ذلك شأن جانبي فتحتي الأنف، وهذا الشق يتولى مهمة تنظيف الهواء الداخل من الغبار. هذا وللبعير القدرة على شم رائحة الإبل الأخرى من مسافات بعيدة.

الرقبة. يبلغ طول رقبة البعيرمن متر ونصف إلى مترين، وبهذه الرقبة الطويلة يستطيع البعير الوصول إلى أوراق الشجر التي ترتفع ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريباً عن سطح الأرض، وهو أمر يكاد يكون مستحيلاً في الحيوانات الأخرى، ما عدا الزرافة والفيل. ويساعد البعير على ذلك التركيب العصبي الخاص بالرقبة،

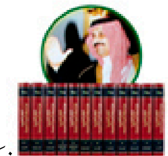


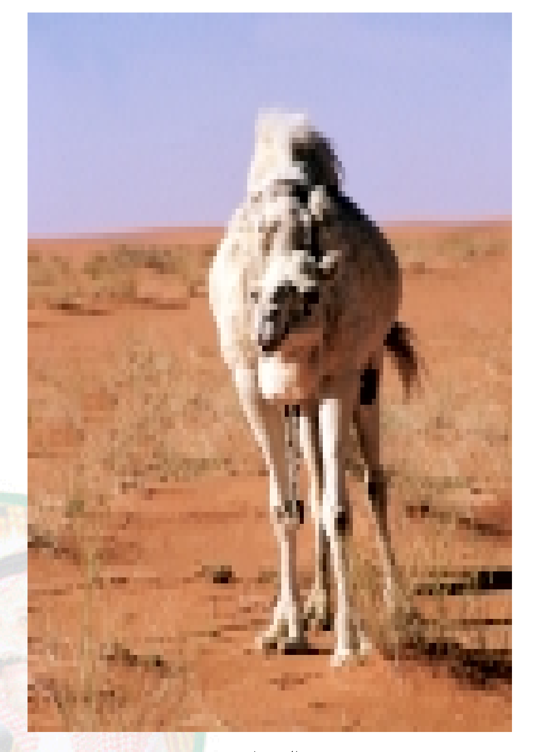


الرقبة

وعضلات الكتف وشرايين الدماغ. كما يعطي هذا الارتفاع البعير ميزة الرؤية لمسافات بعيدة، وكذلك القدرة على خفض رأسه إلى مستوى الأرض، ليشرب أو يرعى، دون أن يتغير ضغط الدم في الدماغ؛ ولذا يستطيع البعير أن يرفع رأسه ويخفضه عدة مرات في وقت قصير دون تغير مفاجئ في ضغط الدم.

السنام. تعد قدرة البعير على جمع مخزون من الطاقة على هيئة دهون في السنام، ليستخدمها عند الحاجة، سمة من سمات تكيفه مع طبيعة الصحراء. فالسنام هو مستودع طاقة البعير، وهو الجزء الذي يختزن فيه الشحم، الذي يعد طاقة مؤجلة يدخرها البعير في وقت راحته وتمتعه بالمرعى الجيد في فصل الربيع ليستفيد منها وقت الحاجة إليها. وتأتي هذه الحاجة عند السني أو الجري أو بذل الجهد في نقل الأحمال وغيرها. وقد يستنفدها وقت الجوع لانعدام المرعى الناتج عن الإهمال أو المَحْل (الدهر). وبسنام البعير يقاس سمنه، فيقال «بعير عليه طول يده»، إذا كان في غاية السمن، و«بعير عليه كبر رأسه»، و«بعير عليه كبر خشمه»، و«بعير لين سنامه»، و«بعير عاري السنام». وسنام البعير هو خلايا أو تجويفات أو حجيرات تراكمية هرمية، تمتلئ بالدهن. وعند سمن البعير تتراكم الطبقة السفلى وترتفع، ثم التي تليها حتى تبلغ الذروة التي لا مزيد عليها. وتتقلّص هذه التجويفات عند الهزال وتنكمش، وتبقى أوعية فارغة متراصة رخوة. وينقسم السنام إلى قسمين طوليين، يسمى كل قسم منهما شطاً، والشطان متماثلان من حيث الحجم والتكوين والنمو والضعف. وعندما يفقد البعير العربي الدهون من سنامه،





السنام

أثناء الظروف غير الملائمة، فإن السنام يتقلص فقط في حجمه دون ارتخاء أو ترهل. وقد يرتخي إلى أحد الجانبين في بعض الحالات، وهنا تقول البادية «انكسر سنامه». وربما انكسر سنامها عند قيامها من مبركها إذا كانت شديدة السمنة؛ أو إذا ضربها الفحل وهي سمينة، فبرك عليها ولم يُقْعِ (ينسحل)؛ أو إذا تمرغت وهي سمينة جداً.

الأطراف. لا تشبه الأرجل والأيدي في الإبل الحافريات الأخرى. ومع أنّ البعير ينتمي إلى رتبة (مزدوجة الأصابع) التي تنتمي إليها المجترات الأخرى ذات الظلف المشقوق، إلاّ أنّ خفه ليس ظلفا. ويبلغ خف اليد الأمامية حوالي ١٨سم طولا، و١٩سم عرضا، وقد يختلف هذا الحجم من سلالة لأخرى. وسبب ذلك أن نصف البعير الأمامي أثقل وزنا من نصفه الخلفي، لوجود الرقبة والرأس فيه، لذلك يدعمه خفان أكبر من الخفين اللذين يدعمان النصف الخلفي الأقل وزنا. وتكوين خف البعير بهذا الوضع يساعده على ألا يغوص في الرمال.

ويقف البعير على باطن الخف، أي أنه باطني الوقفة، وليس حافري الوقفة كما في الحيوانات الأخرى. ويساعد البعير على الوقوف وجود الوسائد والتراكيب المرنة تحت السلاميات المتباعدة، التي هيّأت الخف للوقوف والسير على الأرض اللينة.

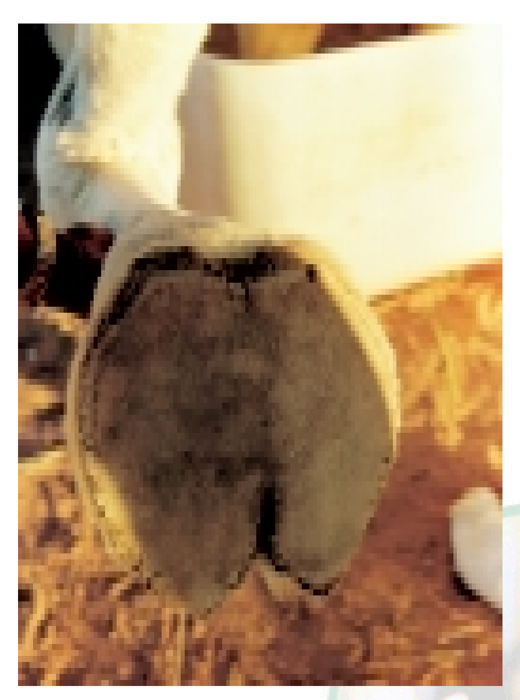


الأطراف





الخف والأنسام



باطن الخف

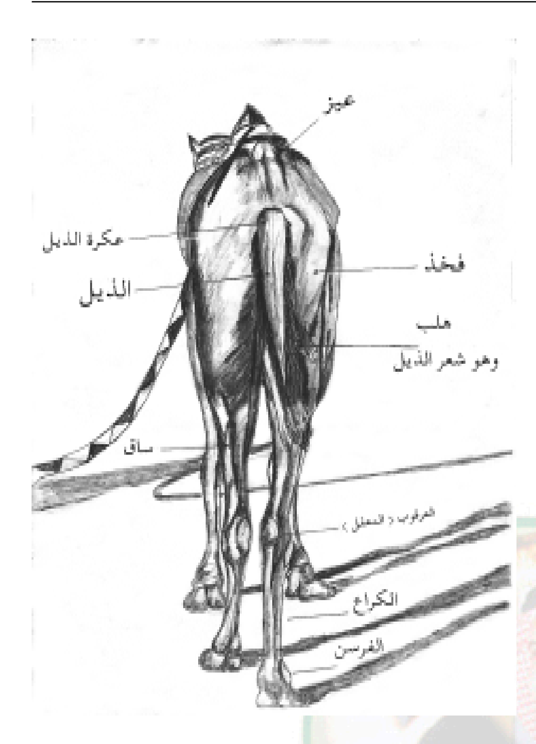
ويكون باطن الخف مضغوطاً إلى أسفل على الأرض خلال وقوف البعير منفرج الساقين. وباطن خف البعير غليظ ومرن يكفل له سهولة الوقوف على الرمال، وإلى حد كبير، على الحصى الصغيرة. ويتجنب البعير الوقوف أو السير على الطرق الوعرة ذات الحجارة الكبيرة، مفضلاً السير على الأرض الرملية، ومرد ذلك إلى أن الأرض الحجرية الوعرة ربما تسبب تقشر باطن الخف، ونزف الدم منها لو سار البعير عليها مسافة طويلة، مما يسبب له الوجى والحفاء. وعند الاضطرار إلى السير في مثل هذه المناطق فإن الخف يُكسى بنوع معين من الجلود، يسمى الرقع، لحمايتها. وكذلك يجد البعير صعوبة في السير على الأراضي الطينية أو الموحلة.

والتأقلم ليس فقط في هيئة أخفاف البعير، ولكن أيضاً في طول أرجله. فقد اختزلت عظام الساق الخارجية المعروفة بالشظية، والتحمت عظام الكعبرة مع عظم الزند التحاما محوريا. كما التحمت العظام المشطية والعظام الوظيفية التحاما جزئيا وكونت عظماً بشعبتين شبيهاً بالحرف Y.





القوائم الأمامية

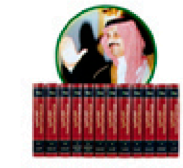


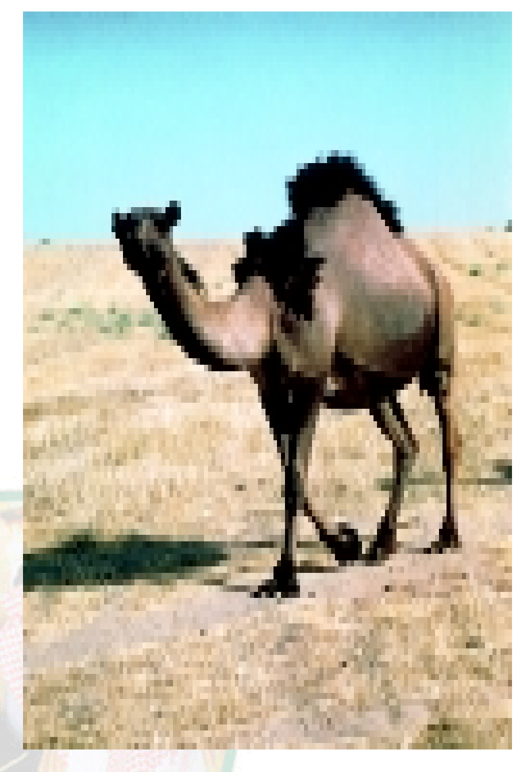
الأجزاء الخارجية الخلفية للبعير

والبعير، عادة، لا يجري في الظروف الطبيعية، حتى لا يفقد ماء جسمه، لارتفاع درجة حرارة جو الصحراء، ولعدم وجود أعداء طبيعيين له يدفعونه إلى العدو، ولكنه يجري أحياناً عندما يُطارد.

الذيل. للبعير ذنب (ذيل) يسمى العسيب وهو قصير عريض نوعاً ما، عليه وبر على جانبيه يسمى الهلب، وينتهي بخصلة من الوبر الطويل، ويستعمله البعير في طرد الذباب عن مؤخرته وفي تفريق الدمن الخارجة منه، كما يساعده على نثر بوله ونشره على مساحة واسعة لتشم الإناث رائحة البول وخصوصاً وقت الهداد (موسم التلقيح).

الجلد والوبر. يكون لمعظم الإبل في فصل الشتاء شعر أو وبر كثيف وطويل، نوعا ما. ويزن في الإناث أكثر من كيلوجرامين، ويزيد في الذكور عن أربعة كيلوجرامات. أما في فصل الربيع، فالوبر قد يتساقط في الإبل الصحراوية وقد يلقط. ويختلف شكل الوبر من موضع إلى آخر في جسم





الجلد والوبر

البعير، فعلى السطح الجانبي والقوائم يظهر الوبر مستقيماً بصورة عامة، ويتراوح طوله من ١٥ إلى ٢٠ ملم في المناطق الباردة. أما في المناطق الدافئة شتاء، فإن وبر الإبل فيها يبدو قصيرا ولا يتساقط. ويمكن تمييز شكلين من أشكال الوبر؛ الطويل الذي ينمو منفردا، والقصير الصوفي وينمو في مجموعات، تتكون كل مجموعة من حوالي عشر وبرات، وترتبط كل مجموعة منها بعضلة ناصبة داعمة بجانب بصيلة كل وبرة.

وقد استخدم الإنسان وبر البعير في صناعات عديدة منها بيت الشعر والمحجر الذي يقسّم بيت الشعر إلى ربعة للرجال ورفة للنساء، كما تصنع منه أيضا المفارش والعدول والمزاود والمشالح والعباءات والسياح.

أما جلد البعير فتنتشر فيه الغدد العرقية، فيما عدا الشفة العليا (المشفر الأعلى) والمناخر الخارجية والمنطقة المحيطة بالمخرج. وتقع الغدد العرقية في عمق الجلد، وهذا يفسر السبب في عدم اكتشافها بواسطة الباحثين الأوائل في مجال كيمياء الأنسجة حين درسوا جلد البعير. وقد يصل عدد الغدد العرقية إلى حوالي مائتي غدة في كل سنتيمتر مربع، وهو عدد مماثل تقريباً لما هو موجود في جلد الإنسان. كما تحمى ركُب البعير بوسائد قرنية صلبة (ثفن).

الأجزاء الداخلية

الجهاز الهضمي. البعير من الحيوانات آكلة الأعشاب والحشائش، لذلك فهو من بين الحيوانات المجترة. ويتلاءم تركيب الفم والأسنان والكرش في البعير مع وظيفة كل منها في التغذي بالأعشاب. فالفم عند البعير كبير ومزود بشفتين غليظتين، والشفة العليا مشقوقة. ويمتاز الفك السفلي



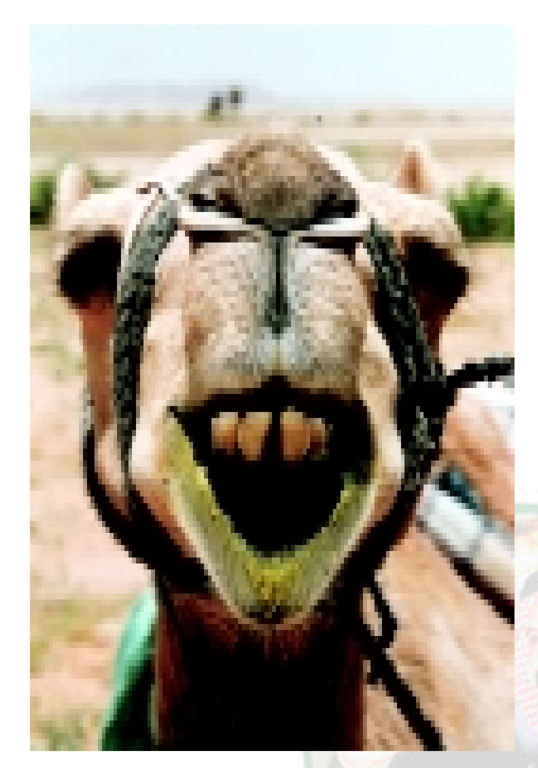
في البعير بضيقه، كما يتميز الجزء الأمامي من الفك العلوي بوسادة لحمية سميكة. ويحتوي فم البعير على ٣٤ سناً موزعة على الفكين بالترتيب الآتي:

	الفك العلوي		الفك السفلي
قواطع	٢	+	٦
أنياب	٢	+	٢
طواحن	٦	+	٤
أضراس	٦	+	٦
المجموع	١٦	+	١٨ = ٣٤

ويتضح من هذا التوزيع أن للبعير قاطعين علويين فقط. ويلائم ذلك التركيب وظيفة تجميع الحشائش والأعشاب وقضمها وتقطيعها، إذ يحل محل القواطع العليا المفقودة وسادة لحمية سميكة. والأنياب مسطحة جانبيا، وموزعة على جانبي كل فك. وهي في الجمال أكبر حجما منها في النوق، وتستخدمها الجمال أثناء عراكها.



جمجمة بعير توضح توزيع الأسنان على الفكين

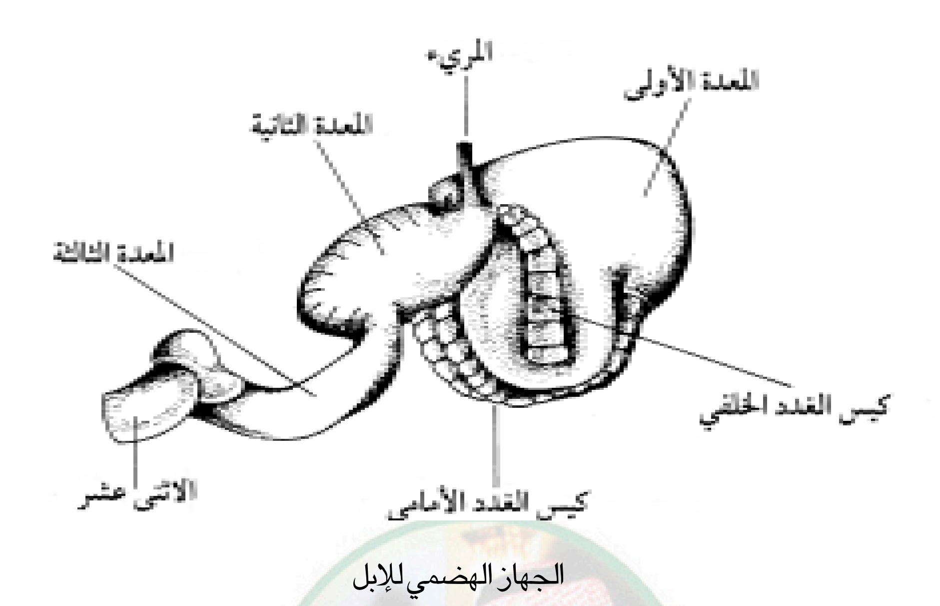


الفم والأسنان

وتستمر أسنان البعير، من قواطع وأنياب، في الفك السفلي في النمو طوال حياة البعير. ولهذا فإن أكل البعير لمواد صلبة، نباتية أو غيرها، ضروري لتكسر أجزاء من هذه الأسنان للمحافظة على حجمها المناسب، وحتى لا تستطيل استطالة غير مرغوبة.

ويمتاز البعير كغيره من بقية الحيوانات المجترة بتركيب مناسب لجهازه الهضمي، خاصة تركيب الكرش. ويتكون جهاز البعير الهضمي من أربعة تجاويف، هي الكرش والشبكة وذات التلافيف والمنفحة.





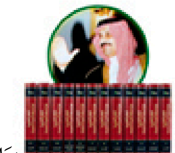
الجهاز الهضمي للإبل

وتبدأ عملية الهضم بمضغ البعير الطعام بصورة غير جيدة في الفم؛ ثم إمراره إلى الكرش، الذي يتم فيه تخمير الطعام فقط؛ ثم إلى الشبكة التي يتم فيها تجزئة الطعام إلى كتل صغيرة حتى تعاد مرة أخرى للفم لمضغها جيداً وخلطها باللعاب، ويتم ذلك في فترة راحة الحيوان. ثم يُعاد الطعام، بعد مضغه جيداً، بمساعدة اللعاب إلى ذات التلافيف. ومن ثم إلى المنفحة التي تقوم بإفراز عصارات هضمية تؤدي إلى هضم الطعام بصورة نهائية. ومن هناك يمر في الأمعاء الدقيقة، وهي قناة طويلة جداً يتم فيها امتصاص الغذاء المهضوم للاستفادة منه، وتسمى هذه العملية الاجترار، ويشترك مع البعير في هذا بعض الحيوانات المجترة من آكلات العشب.

الجهاز العصبي. يرى العلماء أن مخ البعير أطول من مخ الحيوانات المستأنسة الأخرى (١٥٠مم) ولكنه أضيق من مخ المجترات بصورة عامة. وهو شبيه بمخ الحصان من ناحية الشكل العام، ويصل وزنه إلى حوالي ٤٥٠ جراماً. ويمتد الحبل الشوكي عبر فقرات الرقبة والفقرات الظهرية حتى ينتهي عند طرف الذيل. وتنتشر من الحبل الشوكي الألياف العصبية إلى سائر الجسم. وتمتاز رقبة البعير بترتيب عصبي خاص بها وبعضلات الكتف (Wilson 1984).

وللبعير، كما لغيره من الحيوانات المجترة، ثلاثة أنواع من الأعصاب:

أ) العصب العادي الذي يمتد في كافة أنحاء الجسم، وهذا العصب وإن كان يتصف



بالقوة والمتانة، إلا أنه يكاد يوجد في كل الحيوانات.

ب) العصب الأصفر أو (الْجَلْمَدُ، ويجمع على جلامد)، وهذا النوع من العصب له ميزة خاصة فهو قابل للتمدد والانكماش. وتشد رقبة البعير عصبتان غليظتان منه، يلتحم طرفاهما في أعلى الرقبة والرأس، ويلتحم طرفاهما الآخران في العمود الفقري من بين لوحي الكتفين. هاتان العصبتان لونهما أبيض مائل للصفرة، وهما اللتان تتحكمان في مد وإرخاء رقبة البعير. ولهما تكوينهما الخاص، إذ ينفصلان نوعاً ما عن نسيج اللحم والعظم، إلا ما يربطهما في الحياة. ويستفيد البدوي في حياته من هذا العصب (الجلامد) في وسر الأشدة القوية، بسبب متانته وجماله ونظافته.

جـ) العصبة الرئيسية وتسمى الْعَقَبَه، وهي وإن لم تكن غليظة إلا بمقدار ٣ مم، إلا أنها قوية جداً. وهي أقوى ما في البعير من الأعصاب على الإطلاق. وتمتد من رقبة البعير، مما يلي الرأس، حتى ذنبه، متوسطة أعصاب الظهر. وهي عصبة طويلة مستقلة بالغة الأهمية في قوة البعير وضعفه عند القيام بحمله. ويعرف البدو مواضع التحامها في رقبة البعير وعند ذنبه، فيقطعون ملاحمها وينسلونها من ظهر البعير، كالخيط المفتول، قطعة واحدة طولها من ٣-٤ أمتار، حسب حجم البعير طولاً وقصراً. ويستفاد منها في عملية الوسر فيما انشرخ أو انشطر من خشب البندقية وغيرها.

القلب والكبد. قلب البعير كبير الحجم، ومقسم إلى أربع حجرات هي: البطين الأيمن، والبطين الأيسر، والأذين الأيمن، والأذين الأيسر.

وذكر الصانع في كتابه الإبل العربية أن الجزء الأيسر من القلب، سميك غليظ الجدران، وأكبر حجما من الجزء الأيمن لأنه يضخ الدم إلى باقي أجزاء الجسم. أما الجزء الأيمن من القلب فيجمع الدم القادم إلى القلب من الجسم. ولون الدم في الإبل يختلف عن لونه في المجترات الأخرى، إذ يتميّز في الإبل باللون الأحمر الفاتح (الوردي). وخلاياه الحمراء لا تحتوي على أنوية بخلاف الثدييات الأخرى (١٩٨٤: ١١٤-١١٦).

ولا توجد في كبد البعير حويصلة صفراوية (مرارة) مثل بقية الحيوانات المجترة الأخرى. وبسبب عدم وجودها، فإن نسبة كبيرة من المواد النتروجينية تتحول إلى المعدة ليعيد البعير استخدامها في تكوين مواد بروتينية أخرى. وهذه الظاهرة لا نظير لها في الإنسان أو الحيوانات الثديية الأخرى. فهي جميعها تدفع بالمخلفات البروتينية، التي



تتكـون في الكبد، إلى الـكليتين الـلتين تطردانها بدورهما خارج الجسم.

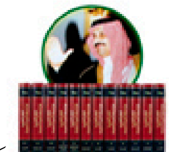
العمـود الفقري والأضـلاع. يصف الصانع العمود الفقري قائلاً:

يتكون من سلسلة عظمية مرنة فردية تتوسـط هيكل جسـم البعـير من أعلى، وتتصل مـن الأمام بالرأس عن طريق الرقبة، وتنتهي عند طرف الذيل. وهذه السلسلة العظمية هي فقـرات تحيط بالـنخاع الشـوكي، يختلف عددها من حـيوان لآخر. وهي في البعير على النحو التالي: ٧ فقرات عظمية في منـطقة العنق (الرقبة)، ١٢ فقرة عظمية في منطقة الظهر، ٧ فقرات عظمية في منطقة القَطَن، ٤ فقرات عظمية في منطقة العجز، ١٥-١٨ فـقرة في منطقة الذيل، وهي المناطق الخـمس التي يمكن تمـييزها في العـمود الفقري (١٩٨٤: ١١٧-١١٨).

ويبلغ عدد أضلاع البعير ٢٤ ضلعاً، في كل جانب منه ١٢ ضلـعاً. وترتبط من أعلاها في العمود الفقري ومن أسفلها بعظم الزور الغضروفي. ويتراوح طول هذه الأضلاع من متر إلى متر ونصف، وربما زاد الطول عن ذلك حسب حجم البعير. وعرض كل ضلع يتراوح ما بين ٥-٨ سم. وتنحني هذه الأضلاع انحناءً متناسقاً بحيث تقوم بحماية القلب والرئة والكبد. وكلما ارتفع انحناؤها مع طول الأضلاع، كان ذلك أفضل لقوة التحمل واتساع الرئة في التنفس أثناء الجـري.



العمود الفقري والأضلاع



ويسمى ارتفاع الأضلاع بالقبب (قبا الضلوع أو الأضلاع).

الأوعية الدموية. تمتاز شرايين الدم الغليظة في كل من قوائم البعير ورقبته، بوجود صمامات مرتبة بعضها فوق بعض على طول محور الشريان. كما توجد هذه الصمامات في الأوردة الودجية والفخذية. ومهمة هذه الصمامات أن تمنع عودة الدم إلى الأوردة الكبيرة عندما يحدث ارتفاع مفاجئ للضغط في الوريد الرئيسي. فعندما يخفض البعير رأسه للرعي، فإن الصمامات الموجودة في الأوردة الودجية تمنع فيضان الدم إلى الدماغ.

يختلف البعير عن المجترات الأخرى، كالماعز والضأن، في أن له عظما في الحجاب الحاجز يقيه تأثير الضغط أثناء تدفق الدم، عندما يكون البعير في حالة نشطة. كما أنه يوزع القوى على العضلات التي تسحب الحجاب الحاجز فوق مساحة سطحية كبيرة.

وصف جسم البعير في التراث

في اللغة. ورد في التراث العربي وصف مفصل لبعض أجزاء جسم البعير. ونورد فيما يلي بعض ما قالته العرب في هذا الخصوص، دون ترتيب، لأنه قد يرد في بيت واحد من الشعر، أو أحد الأمثال وغيرها، ذكر أكثر من جزء من أجزاء البعير؛ فقد أورد هادي شكر في كتابه الحيوان في الأدب العربي طائفة من الأسماء التي تطلق على جسم البعير وأجزائه، اعتماداً على ما ورد في معاجم اللغة. فذكر منها ما يلي:

الفراسن (الأراضي): واحدها فرسن وهو طرف الخف. والبرك: ما ولي الأرض من جلد صدر البعير إذا برك. والجران: مقدم العنق، والثفنات (مفردها ثفنة) وهي طبقة خشنة فوق الجلد مما أصاب الأرض من أعضائه وتسمى الكركرة، وهي ثفنة البعير التي تلتصق بالأرض من صدره إذا برك. جزارة البعير: رأسه وفراسنه، لأن الجزار يأخذها كراءً مقابل عمله. وجسم البعير: صدره. والمجمرات: الأخفاف الشداد. والْحِرْدُ وجمعه حُرُوْد: مبعر البعير والناقة، وقطعة من السنام، وأحرادُ الإبل أمَعْاؤُها. والسنام: أعلى الظهر. والسلامى: عظام الفِرسن. والسنور: فقارة العنق. والشرافية، والشرفاء من النوق هي الضخمة الأذنين.

والمشفر من البعير: بمنزلة الشفة من الإنسان، والشفير: حد مشفر البعير. والشناخيب: فقرات البعير. والأظل من البعير والناقة: ما تحت المنسم. والغارب: الكاهل، والغاربان: ظهر البعير من



مقدمه ومؤخره. والغرابان من البعير: حرفا الوركين اللذان فوق الذنب. والقطنة: مثل الرمانة تكون على كرش البعير واللحمة بين وركيه. وقنفذ البعير: ذفراه، والذفرى: العظم الذي خلف الأذن. والملاطان: كتفا البعير، وقيل: العضدان، وجانبا السنام. والمنسم: طرف الخف (١٤٠٥: صفحات متفرقة).

وذكر أبو سويلم (١٩٨٣) من أعضاء الإبل ما يلي:

البخص هو اللحم في الخف، والحاذان من الناقة ما استقبلك من الفخذين، وأحدهما حاذ، والحولاء من الناقة كالمشيمة من المرأة، والأخدعان: عرقان في عرض العنق، والخِلْف: حلمة ضرع الناقة، والرفغ: أصول الفخذين من الباطن، والسبلة: المنحر من البعير، وهي المشافر عند البادية.

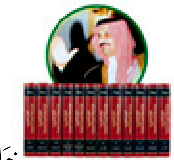
أما عثنون البعير فهو ما نبت تحت لحييه من الشعر، والفراسن هي السلامى من رجل البعير، بعدها الرسغ ثم الوظيف، وهو بمنزلة الحافر من الفرس.

والمقلمة وعاء قضيب الجمل، ومثلها قنب الجمل، وهو وعاء ثيله (قضيبه). وكتد البعير: أصل العنق إلى أسفل الكتفين، والكتر: أصل السنام، والكعس: عظام السلامى، والمنسم: طرف الخف، والنكفتان: العظمان الناتئان عند شحمة الأذنين، والوبر: صوف الإبل، والوظيف: مستدق الذراع.

ومما قالته العرب في أمثالها «أتمك من سنام» والتموك: الارتفاع والسمن، والتامك من الإبل عظيم السنام. ويقولون: أتمكها الكلأ: أي أسمنها يعني الناقة أو الإبل. وقيل أيضا «أفواهها مجاسها»، وأصل المثل أن الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى الناظر بذلك، فالبادية تحب الناقة الأكول الكثيرة الرعي، وتسمى الرّعايه.

وأورد شكر أيضا بعض الأوصاف المستحسنة في الإبل، ومن ذلك: دقة الأذن وتحديد أطرافها، وكبر الرأس، واستطالة الوجه، وعظم الوجنتين، وقنو الأنف، وطول العنق، ودقته، ودقة المذبح، وطول الظهر، وعظم السنام، وطول الذنب وكثرة شعره. ويستحب أيضاً غلظ الأطراف، وقلة لحم القوائم، وأن تكون كثيرة اللحم لا رهلة ولا مسترخية، ملساء الجلد، تامة الخلق، قوية صلبة، خفيفة سريعة السير.

أما الحتي فقد أورد في كتابه <u>الإبل العربية الأصيلة</u> بعض ما يستحسنه العرب من أجزاء جسوم الإبل وما ورد عنها في أشعارهم. فمن ذلك: وصف رأس الناقة



بالصلابة والدقة والضخامة. والجمجمة شبهت صلابتها بصلابة سندان الحداد، أما ملتقى عظامها فشبهت بأسنان المبرد. والأذنان وصفتا بأنهما محددتان تحديد الآلة وهما صادقتا الاستماع والتيقظ في حال السير ليلاً. والعينان واسعتان، والحدقتان حمراون، مملوءتان بالبريق واللمعان والحدة والصفاء، والخدان يستحب فيهما الأسالة والملاسة. ويستحب في الأنف القُنُوّ. ويستحسن في العثنون، وهو الشعيرات عند مذبح البعير تحت لحييه، أن يكون كثيفاً، وفي العنق أن تكون مستقيمة متسعة من ناحية الكتفين والصدر، إضافة لطولها. ويستحب في الجران، وهو مقدم العنق من مذبح البعير تحت لحييه، أن يكون مضموماً ومقروناً إلى خرز العنق المنضد بعضه على بعض. والمرفق من البعير هو أعلى الذراع وأسفل العضد، ويستحب في المرفقين الانفتال للخارج، وأن يكونا أيضاً بعيدْين عن جانبي البعير. والسنام هو أعلى ظهر البعير، والتامك: السنام المكتنز ويسمى رأس السنام العرعرة، ويستحب في السنام الارتفاع والضخامة والسمنة والتقوس. والذنب يتكون من الفقرات العصعصية والأوتار والعضلات المختصة بها ويسمى كذلك العسيب، ويستحب فيه عظمه وغزارة هِلبه. ويستحب في العظام أن تكون متلاحمة متماسكة. أما السقائف وهي أضلاع البعير، واحدتها سقيفة، فيفضل أن تكون متسعة صلبة قابة تملأ فراغ الخاصرتين. ويستحب في البطن أن يكون مستديراً متناسقاً مع الجسد خالياً من الأورام، ويستحب في النوق سعة بطونها، ومنها يستدل على أن الناقة ولود. ويمتد الفخذ من أسفل الحوض، أي عند نهاية التحدب إلى العرقوب الذي يصله بالساق، ويستحب فيه أن يكون عريضاً، طويلاً، سميناً، قوياً. وتمتد القوائم (المرادى) من العرقوب حتى الرسغ، وتتألف من عظم الساق والعضلات التي تلفها. ويستحب فيها أن تكون متينة، طويلة، مستقيمة، غير منحرفة، مع الضخامة والخلو من الأورام. ويسمى الأثر الخشن الذي يظهر على جلد البعير فيما أصاب الأرض من أعضائه عندما يبرك الثفنات. والخف من الإبل كالحافر من الخيل. والملطاس هو خف البعير الشديد الوطء. وخف ملكم: صلب شديد، من اللكم. والفرسن: طرف خف البعير، والبخصة: لحم أسفل خف البعير، والمنسم: طرف الخف. ويستحب في الخف أن يكون قوياً، وصلباً شديد الوطء حتى يقوى على صك الأرض. ويستحسن في جلد الجمل أن يكون رقيقاً أملس، مصقولاً، صافي اللون، واسع الإهاب لا



تغضن فيه. وهذا لسلالة الخواره، أما غيرها فالمرغوب أن يكون جلدها عكس ذلك (١٩٩٠: ٧٠-٧٥).

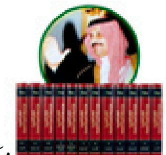
كذلك ورد في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي في صفة الإبل ما يلي:

أما ما يستحسن من صفاتها (الإبل) فقد رأيت في بعض المصنفات أن كل ما يستحب في الفرس يستحب في البعير خلا عرض غاربه، وفتل مرفقه، ونكس جاعرته وهي أعلى الورك، واندلاق بطنه وتفرش رجليه، فإن ذلك يستحب في الإبل دون الخيل. ... وقد مدح الشعراء الناقة في أشعارهم بعدة أوصاف مستحسنة منها: دقة الأذن وتحديد أطرافها، وكبر الرأس، واستطالة الوجه وعظم الوجنتين، وقنو الأنف، وطول العنق وغلظه، ودقة المذبح، وطول الظهر، وعظم السنام -وهي الكوماء- وطول ذنبها، وكثرة شعره، وأن تكون غليظة الأطراف، قليلة لحم القوائم، ليست رهلة، ولا مسترخية، وأن تكون مع ذلك كثيرة اللحم، ملساء الجلد، تامة الخلق، قوية، صلبة، خفيفة، سريعة السير (١٩٨٧، ج٢: ٣٢).

ومن الصفات الجسمية للنجيبة أن تكون قصيرة الوبر، رقيقة الجلد، قباء الضلوع، ونابية الأمتان، مرتفعة الجنبين مليئة الثدي، جيدة إدرار اللبن، مرتفعة الزور، سريعة الالتفات والحركة، صبورة على طول المدى والمسافة، كثيرة الجري في الرمال والصوان، قليلة الحفاء، حادة العيون بحمرة وتوقُّد، بحيث تبدو زوايا عينيها كالجمر الأحمر مع سعة العين؛ قال الشاعر الشعبي:

حمرا ومِذْنبْ عينها تقل غلَّه
غلة سِيْلٍ طار منه الرمادي

ومن صفات النجائب -أيضاً- أن تكون صلبة السنام، وسيعة المردف، صغيرة الأخفاف، صغيرة الأذنين مع انتصابهما كأذني الفرس، طيبة الطباع، طويلة العنق، عريضة مؤخرة الرأس (المعذر)، عريضة الصدر، متسعاً ما بين يديها وزورها مع طول الغارب، مفتولة الذراعين، مبرومة الفخذين، وأن يكون ذيلها طويلاً عريضاً كثير الهلب وطويله، وأن تكون كتوم الرغاء، طويلة البطان والعذار، قابلة للتعليم، وفية لصاحبها. ومن ميزات عتاق الإبل أنها في وقت البرد يلتصق صاحبها بجانبها فتدفئه بجسمها، وهي لا تتمايل أثناء نومه بجانبها كي لا تزعجه. ومن عبارات البدو في وصف الناقة الأصيلة «آذانها مثل الحراب» و«عيونها مثل الخلاصه»، «رقبتها



مثل الجريده»، «عضودها مبرمات»، «زورها وخفها صغير»، «نابية المنكب»، «الصدر جفشر»، «زينة الفخوذ»، «زينة الصلب»، «سنامها مركوز فوق سرها».

في الشعر. ومما ورد في الشعر العربي عن أجزاء جسم البعير قول جعفر بن علبة الحارثي:

إذا كلحت عن نابها مج شدقها
لغاماً كمح البيضة المترقرق

وكلحت: إذا كشرت في عبوس، واللغام: زبد أفواه الإبل، وهو في الجمل بمنزلة البزاق أو اللعاب في الإنسان. والشدق جانب فتحة الفم. وهنا ذكر الشاعر من أجزاء جسم البعير: الناب، وهو من الأسنان، والشدق. وقال أيضاً:

برى لحم دفيه وأدمى أظلَّه اجـ
ـتياب الفيافي سملق بعد سملق

ودفَّا البعير: جانباه، وأظله: باطن منسمه أو هو باطن الإصبع، والسملق: الأرض المستوية الجرداء لا نبات فيها. ويقول الأخطل ذاكراً خدي ناقته وخاصرتها:

لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز
بسلهبة الخدين ضاوية القرب

وسلهبة الخدين: طويلتهما، والقرب: الخاصرة. وقال أبو ذؤيب مشيراً إلى حارك البعير:

وعند رحلي جمل نجاب
أحمر في حاركه انصباب

وحارك الجمل: هو أعلى كاهله.

وقال أبو الطيب المتنبي:

أنساعها ممغوطة وخفافها
منكوحة وطريقها عذراء

يصف الشاعر ناقته بعظم البطن، لأن السيور التي يشد بها رحلها (الأنساع) ممغوطة أي ممدودة، أما أخفافها فهي مدمية (منكوحة) من سيرها على الحصى (عذراء) لم تسلك من قبل. وقال أيضاً مشيراً لكبد البعير:

لقوك بأكبد الإبل الأبايا
فسقتهم وحد السيف حاد

الأبايا: جمع أبية، والعرب تصف الإبل بغلظ الأكباد. وقال أيضاً مشيراً لظهر الناقة:

وخرق مكان العيس منه مكاننا
من العيس فيه واسط الكور والظهر

والخرق: المتسع من الأرض، والكور: الرحل للناقة. ومعنى قول الشاعر هو: أننا في وسط ظهور الإبل، والإبل في وسط هذه الأرض المتسعة. وقال أيضاً:

وتكرمت ركباتها من مبرك
تقعان فيه وليس مسكاً أذفرا
فأتتك دامية الأظل كأنما
حذيت قوائمها العقيق الأحمرا



يقول الشاعر: أتتك هذه الناقة وقد دميت خفافها من طول السير ووعورة الطريق، حتى كأنها ألبست حذاء من حجارة العقيق الأحمر، ويشير بهذا إلى الدم. وقال أيضاً:

وكان هديراً من فحول تركتها
مهلبة الأذناب خرس الشقاشق

المهلبة الأذناب: هي المقطعة شعر الأذناب، والهلب: شعر الذنب، والشقشقة: هي ما يخرج من فم البعير عند هديره ولا تخرج إلا عند هياجه، وتسمى هدَّارة. ويقول المتنبي أيضاً:

ويُغيرني جذب الزمام لقلبها
فمها إليك كطالب تقبيلاً

يقول الشاعر لمحبوبته: إنَّ مما يحملني على الغيرة، جذبك زمام الناقة إليك فتقلب الناقة فمها باتجاهك كأنها تطلب قبلة. وقال الشاعر أيضاً:

ودسنا بأخفاف المطي ترابها
فلا زلت استسقي بلثم المناسم

المنسم للخف كالسنبك للحافر. ويقول أيضاً:

تحدي الركاب بنا بيضا مشافرها
خضراً فراسنها في الرغل واليَنم

الفرسن: باطن الخف، والمشفر للبعير كالشفة للإنسان، والرغل واليَنم: نبتان. وقال أبو تمام يصف ناقته:

تامكة نهدة مداخلة
ملمومة محزئلة أجدة

والتامك: السنام وهو الحدبة في ظهر البعير، والنهد: المرتفع، والمحزئل: المجتمع والأجد: فقار الظهر. وقال أيضاً:

وملآن من ضغن كواه توقلي
إلى الهمة القَعْسا سناماً وغارباً

والتوقل: الصعود، والقعساء: الثابتة، والغارب من البعير ما بين السنام والعنق. وقال أيضاً:

وكأنني بالشدقمية وسطه
خضر اللهى والوُظْفِ والأخفاف

واللهى: جمع لهاة وهي اللحمة المتدلية في سقف الحلق، والوظف: جمع وظيف وهو مستدق الذراع والساق في الإبل. وقال:

تنأى ملاطاها إذا ما استكرهت
سعدانة كإدارة القرزوم

تنأى: تبعد، وملاطا الناقة: جانبا سنامها، والسعدانة: كركرة البعير وهي رحى زوره، وقد شبهها بطلع السعدانة وهي نبتة طلعها مستدير مثل الزور، والقرزوم: خشبة مدورة يستخدمها صانع الأحذية. وقال:

فلنا أمين خصوصها وشخوصها
ولها وريّ سديفها ولحومها
أخذت محالتها السهوب وأيدها
فالبعد يعذرها ونحن نلومها



والمحالة: فقرة من فقرات ظهر البعير، والسديف: الشحم، والسهوب: الأراضي البعيدة. وقال:

فأنت السنام للفخار وغارب
وصفواك منه منكباه وكاهله

والمنكب: العضد ومجتمع رأس الكتف، والكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق.

أما الشاعر علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) فوصف ناقته قائلاً:

وناجية أفنى ركيب ضلوعها
على طرق كأنهن سبوب
بها جِيَفُ الحسرى فأما عظامها
فبيض وأما جلدها فصليب

والركيب: ما ركب على الضلوع من شحم، والسبوب: ما تفعله الرياح الحارة بالنهار، والحسرى من الإبل: التي كلَّت وتعبت، والصليب: الصديد.

كما يقول محمد بن المولى:

رميت قراها بين يوم وليلة
بفتلاء لم ينكب لها الزور مرفق

والقرا: الظهر، والفتلاء: الناقة في ذراعيها فتل وهو تباعدها عن الجنبين كأنهما فتلا عنهما. وقال المثقب العبدي (عائذ بن محصن):

تسد بدائم الخطران جثل
خواية فرج مقلات دهين

يعني أن الناقة تملأ ما بين قوائمها بذنب ضاف دائم الحركة، والذنب العريض مستحب. وقال المسيب بن علس:

وإذا أطفت بها أطفت بكلكل
نبض الفرائص مجفر الأضلاع

الفرائص مفردها فريصة، وهي لحمة بين الجنب والكتف أسفل من الإبط أو بين الثدي والكتف ترعد عند الفزع، ومجفر الأضلاع: كبر الجوف (البطن). وقال المخبل السعدي مشيراً إلى قلب ناقته:

وإذا رفعت السوط أفزعها
تحت الضلوع مروع شهم

والمروع: القلب. وقال أيضاً:

وتسد حاذَيْها بذي خُصَلٍ
عقمت فناعم نبته العقم

والحاذان: لحمتان في باطن الفخذين، والمراد أن هذه الناقة تسد ما بين فخذيها بذنب ضاف له خصل من الشعر. وقال أيضاً:

ولها مناسم كالمواقع لا
معر أشاعرها ولا درم

والأشعر: هو ما أحاط بالخف من الوبر، والمعر: قلة الشعر، والدرم: يقال كعب أدرم إذا لم يتضح حجمه لكثرة اللحم. وقال عبدة بن الطبيب:

رعشاء تنهش بالذفرى مواكبة
في مرفقيها عن الدفَّين تفتيل



والذفرى: عظم خلف الأذن، والدفان: الجانبان. وقال ذو الرمة:

إذا استوجست آذانها استأنست لها
أناسي ملحود لها في الحواجب

استوجست: تسمعت، واستأنست لها العيون: نظرت إليها، وأناسي: جمع إنسان، وأراد به إنسان العين. وقال أيضاً:

تموج ذراعاها وترمي بجوزها
حذاراً من الأبعاد والرأس مكمح

تموج: تجيء وتذهب، يريد حركتها في السير، وجوزها: وسطها، والرأس مكمح: مرفوع، تقول العرب: كمحتُ الناقة وأكمحتها: إذا جذبت زمامها حتى رفعت رأسها. وقال أيضاً:

طوال الهوادي والحواري كأنها
سماميج قب طار عنها نسالها

الهوادي: الأعناق، والحواري: الأرجل، وسماميج: طوال، وقب: حمر، والنسال: الشعر. وأضاف ذو الرمة قائلاً، مفرقاً بين الذكر والأنثى من الإبل:

عَبَنٌّ القرا ضخم العثانين أنبتت
مناكبه أمثال هدب الدرانك

عَبَنٌّ القرا: ضخم الظهر، والعثانين: الشعر الذي تحت حنك البعير. الدرانك: نوع من البُسط. وقال طرفة بن العبد:

وطي محال كالحنيّ خلوفه
وأجرنة لزت بدأي منضد

المحال: فقار الظهر، والحني: القسي، والخلوف (خلف): الأضلاع، والأجرنة (جران): باطن الرقبة، واللز: الفم، والدأي: خرز الظهر أي فقراته. والنضد: وضع الشيء فوق الشيء. يقول الشاعر: هذه الناقة لها فقار مطوية متراصة متداخلة كأن الأضلاع المتصلة بها قسي، ولها باطن عنق ضُم وقرن إلى خرز عنق نضد على بعض. وقال أيضاً:

لها مرفقان أفتلان كأنها
تمر بسلمَيْ دالج متشدد

الأفتل: الشديد، والسلم: الدلو لها عروة واحدة، والدالج: الذي يأخذ الدلو من البئر. وقال أيضاً:

أمرَّت يداها مثل شزر وأجنحت
لها عضداها في سقيف مسند

والإمرار: إحكام الفتل، والشزر: الفتل أو الغَزْل، والإجناح: الإمالة. ثم قال:

وجمجمة مثل العلاة كأنما
وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد

يقول طرفة: إن لهذه الناقة جمجمة تشبه العلاة من الصلابة فكأنما انضم طرفها إلى حد عظم يشبه المبرد في الحدة والصلابة. والملتقى: مكان الالتقاء، وهو طرف الجمجمة لأنه يلتقي في فراش الرأس. وقال:

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر
كَسَبْتِ اليماني قده لم يجرد



وعـيـنان كـالمـاويـتـين استـكـنـتـا

بكهفي حـجاجي صخرة قَلْتِ مورد

الماويـة: المرآة، والكهـف: الغار، والحجاج: العظم المشرف على العين الذي هو منبت شـعر الحاجب. ومعنى قول الشاعر: إن لهذه الناقة عينين تشبهان مرآتين في الصفاء والنقاء والبريق، وتشبهان في الصفاء ماء في قَلْت (والقلت: النقرة في الجبل يستنـقع فيها الماء). وشبه عينيهـا بكهفين في غورهما، وحجـاجيها فوق العيون بالصخرة في الصلابة. وقال أيضاً:

طـروحان عـوار الـقذى فـتـراهمـا

كـمـكحـلـتـي مذعـورة أم فـرقـد

يقـول: وهاتان الـعينـان تطرحـان وتبعدان القـذى عنهما، وهما تشـبهان عيني بقرة وحشية لها ولد، وقد أفزعها قانص أو عدو. تقول العرب: إن عيون البقرة الوحشية في حالة الخوف أحـسن ما تكون. وقال أيضاً:

وصادقـتا سـمع الـتوجس لـلسـرى

لـهجـس خـفي أو لـصـوت منـدد

مـؤللـتـان تعـرف العـتـق فيـهـما

كـسامـعـتي شـاة بـحومـل مـفـرد

التـوجس: التحـسس والتـحري، والسرى: سير الليل، والتهجس: الحركة الخفـيفـة، والتنـديد: رفـع الصوت، والـتألـيل: الـتحـديد والانـتصـاب، والسـامعتان: الأذنـان. والشاة: الثـور الوحشي. يقول الشاعر: إن لهذه الناقة أذنين صادقتي الاستماع في حال سير الليل لا يخفى عليهما صوت خفي ولا صوت رفيع. وهاتان الأذنان محددتان دقيقتان تُعرف نجابة هذه الناقة بهما، وهما كأذني ثور وحشي منفرد في موضع معين وهو خائف متوجس. والدقة والحدة في الآذان تحمد وتفضل في البعير. وقال طرفة أيضاً:

وأروع نـبـاض أحـذ مـلـمـلـم

كمـرداة صخر فـي صفيـح مصـمد

أي إن لهذه الناقة قلبـا يرتاع لأدنى شيء لفـرط ذكائه، وهو نبـاض سريع الحركة خفـيف صلب، مجتمـع الخلق يشبـه صخرة تكسـر بها الصـخور من صلابتها، وهذا القلب بين أضلاع تشبه حجارة صلداء. وقال أيضاً:

وأعـلم مـخروق مـن الأنـف مارن

عتـيق مـتى ترجـم به الأرض تـزدد

والأعلم: المـشقوق الشفة الـعليا، والمخروق: المثقوب، والمارن: ما لان من الأنف. يقول الشاعر: لهذه الناقة مشفر مشقـوق، ومارن أنفها مثـقوب، وهي عندما ترمي الأرض بأنفها ورأسها تزداد في سيرها. ويقول نصيب:

وأعـلم مـخروق مـن الأنـف مارن

صريـف وباقي الـنقي مـنها شـرائد



والصريف: صرير الأنياب، والنقي: مخ العظم. وقال علقمة بن عبدة:

إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي
لكلكلها والقصريين وجيب

قال الأصمعي: والقصريان: هما ضلعان يليان الخلف، وهما الضلعان الصغيران في آخر الأضلاع، ويقال: هما جوانح الصدر، وجوانح الصدر أضلاعه. وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى:

من كل نضاحة الذفرى إذا عرقت
عرضتها طامس الأعلام مجهول

وجلدها من أطوم ما يؤيسه
طلح بضاحية المتنين مهزول

كأن ما فات عينيها ومذبحها
من خطمها ومن اللحيين برطيل

وقال أيضاً:

سمر العجايات يتركن الحصا زيما
ولا يقيها رؤوس الأكم تنعيل

والعجايات: عصب الأرساغ، وزيما: متفرقة.

وقال أوس بن حجر:

هُدْلاً مشافرها بُحّاً حناجرها
تزجى مرابيعها في صحصح ضاحي

وقال الفرزدق:

فما بلغت حتى تواكل نهزها
وبادت ذراها والمناسم رُعَّفُ

وقال عبيد الراعي:

حدب السراة وألحقت أعجازها
روح يكون وقوعها تحليل

وقال زهير بن أبي سلمى:

من لا يذاب له شحم السديف إذا
زار الشتاء وعزَّت أثمن البدن

والسديف: شحم سنام البعير، والبدن: النياق السمينة. وقال ذو الرمة:

طويل النسا والأخدعين شمردل
مضبرة أوراكه ومناكبه

والنسا: عرق يستبطن الفخذ ويمتد إلى الساقين، والأخدعان: عرقان في القفا، والورك: ما فوق الفخذ، والمنكب: مجتمع عظم العضد والكتف. ويقول منصور النمري مشيراً إلى عين البعير.

بخوص كالأهلة خافقات
تلين على السرى وعلى الهجير

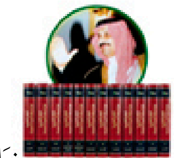
والخوص: جمع خوصاء، وهي الناقة التي في عينيها غؤور وصغر. وقال عبدالله بن الزبير:

وقد ضمرت حتى كأن عيونها
نطاف فلاة ماؤها متصبب

وقال علقمة بن عبدة أيضاً:

وعيس بريناها كأن عيونها
قوارير في أدهانهن نضوب

ويقصد الشاعر أن هذه العيس أنضيت وأتعبت، فغارت عيونها حتى



صارت في دخولها في القفا كأنها قوارير بقي القليل من أدهانها. وقال الأخطل:

مصاحب خوص قد نحلن كأنما
يقين النفوس أن تمس الكلاكلا

وكأن الشاعر يقول: إنه ارتحل إلى حبيبته على نياق خوص أي غائرة العينين من التعب، وأنها أوشكت أن تمس كلاكلها (صدورها) الأرض من الإعياء والتعب، ومع ذلك فهي تجهد نفسها لتمنع حدوث ذلك. وقال الأخطل أيضاً:

ومهمه طامس تخشى غوائله
قطعته بكَلوء العين مسهار

والطامس: المقفر والموحش، غوائله: مهالكه، وكلوء العين: أي أن عينها متنبهة وعارفة لما تريد. واستطرد قائلاً:

وهن بنا عوج كأن عيونها
بقايا قلات قلصت لنضوب

العوج: الطوال، وقلصت: غارت، ونضوب: ذهاب الماء. يقول الشاعر: إن عيون هذه الإبل لشدة تغورها من التعب بدت كالنقرة في الجبل التي أوشك ماؤها على النضوب والجفاف. وقال أيضاً:

وتلمح بعد الجهد عن ليلة السرى
بغائرة تأوي إلى حاجب ضمر

ضمر: أي ضامر. ومعنى قول الشاعر: إن هذه الناقة بعد أن تسير الليل كله تغور حدقتا عينيها ويضمر حاجباها، ويبدو الإعياء على وجهها من خلال عينيها. يتضح من هذه الأوصاف أن العين مقياس لصحة البعير وسمنه أو تعبه. وقد قالت العرب في أمثالها «هم في مثل حدقة البعير» وذلك لأن حدقة البعير أخصب ما فيه، ولأن العرب يعرفون بها مقدار سمنه. وأضاف الشاعر قائلا:

وقد ضمرت حتى كأن عيونها
بقايا قلات أو ركي ممطل

يصف الشاعر ضمور هذه الناقة من خلال تغور عينيها اللتين يشبههما بفجوة في صخرة أو ركية جفت المياه فيها. وقال القطامي واصفاً عين البعير:

خوصاً تدير عيوناً ماؤها سرب
على الخدود إذا ما اغرورق المقل

ماؤها سرب: أي دموعها سائلة من الكلال والتعب، واغرورق المقل: أي ملأها الدمع، والمقل جمع مقلة: وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض. وقال ذو الرمة:

على خوصاء تذرف مأقياها
من العيديّ قد لقيت كلالا

يقول الشاعر: أنا على ناقة غائرة العينين، تذرف مأقياها الدموع من الإعياء والتعب أو بسبب ضراب الفحل العيديّ،



وهو اسم لنوع من الإبل الأصائل. وقال ذو الرمة في وصف أذني البعير:

وأذن تبين العتق من حيث ركبت
مؤللة زعراء جيدة النصب

ومؤللة: محددة منصوبة قائمة، وزعراء: أي قليلة الشعر. وقال أيضاً:

لها أذن حشر وذفرى أسيلة
وخد كمرآة الغريبة أسجح

أذن حشر: محددة دقيقة (يستحب في البعير أن يكون حشر الأذن). وشبّه خدها في الاستواء بالمرآة وخصّ مرآة الغريبة لأنها تكون أكثر صقلاً واستواءً لأن المرأة إذا كانت غريبة في غير قومها كانت أحرص على تعهد صورتها ومظهرها فيزداد حرصها على مرآتها.

وقال أيضاً:

بمجلوزة الأفخاذ بعد اقورارها
مؤللة الآذان عفر نزائع
مضبرة شُمٌ أعالي عظامها
معرفة الألحي طوال الأخادع

والجلز: شدة الطي. يقول هذه الناقة مكتنزة الأفخاذ، ضامرة، أذناها عفراوان محددتان، طويلة، قليلة لحم اللحي، طويلة العنق. ويقول كعب بن زهير بن أبي سلمى.

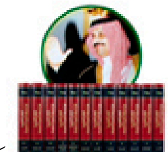
قنواء في خرتيها للبعير بها
عتق مبين وفي الخدين تسهيل

قنواء: أي في أنفها قنا وهو الميلان، والخرتان: ثقبا الأذنين، وعتق: كرم. وهنا يقول الشاعر: إذا نظرت إلى أذني هذه الناقة، تعرف أنها أصيلة عتيقة.

وخاتمة القول في ذكر العرب لأجزاء جسم البعير نورد قول ذي الرمة:

جمالية حرف سناد يشلها
وظيف أزج الخطو ريان سَهْوَقُ
وكعب وعرقوب كلا منجميهما
أشم حديد الأنف عار معرق
وفوقهما ساق كأن حماتها
إذا استعرضت من ظاهر الرجل خرنق
وحاذان مجلوز على صلويهما
بضيع كمكنوز الثرى حين يحنق
إلى صهوة تحدو محالا كأنه
صفا دَلَصَتْهُ طحمة السيل أخلق
وجوف كجوف القصر لم يتتكب له
بآباطه الزل الزهاليل مرفق
وهاد كجذع الساق سام يقوده
معرق أحناء الصبيين أشدق

الوظيف: مقدم الساق، وأزج الخطو: طويل الخطو، والمنجم: حذاء الكعب، وحديد: محدود، وأنفه أعلاه عار من اللحم، والحماة: لحمة الساق من ظاهره وهي الغليظة، واستعرضت: نُظر إليها، الخرنق: الأرنب الصغيرة. والحاذ: هو ما وقع عليه الذنب من



الفخذ، ومجلوز: مطوي، والبضيع: اللحم، والصلوان: ما عن يمين الذنب وشماله، والصهوة: أعلى الظهر، والمحال: فقار الظهر، ودَلَصتْهُ: فَرَّقَتْهُ، وطحمة السيل: شدة دفعه، والهادي: العنق، والمعرق: اللحم.

وذكر الشعراء أيضاً وبر البعير، يقول النابغة الذبياني:

الواهب المائة الأبكار زيَّنَها
سعدان توضح في أوبارها اللبد

وقال ذو الرمة:

جرى النسء بعد الصيف عن صهواتها
بحولية غادرنها في المعارك

النسء: أول السمن، وحولية: يريد وبر الولادة وهي العقيقة، وكأن الشاعر يقول: سقطت عنها عقيقتها في معاركها وهي أماكن الاعتراك، وغادرنها: تركنها. ومعنى البيت: أن الإبل لما أكلت سمنت فطرحت الوبر القديم ونبت لها وبر جديد.

وقد ورد في الأمثال قولهم «لقي ما يلقى المنتوف باركاً». وذلك أن البعير ينتف وبره وهو بارك.

وهذه الأوصاف التي ذكرها الشعراء الأولون أشار إليها الشعراء الشعبيون في قصائدهم بإسهاب. وسوف نورد نماذج من تلك الأشعار في الفصول القادمة.

تكيّف الإبل مع مناخ الصحراء

تعرف المنطقة الصحراوية علمياً بأنها تلك المنطقة التي تتراوح كمية المطر فيها بين ٥٠ و١٥٠ملم في العام، وتزيد فيها درجة تبخر المياه على كمية هطول الأمطار. وتوجد صحارى الكرة الأرضية، على طول السواحل الغربية لأمريكا الجنوبية وجنوب أفريقيا ووسط وجنوب جزيرة العرب، إضافة للصحراء الكبرى في شمال أفريقيا والتي تمثل ثلث المناطق الصحراوية على كوكب الأرض.

والصحراء الكبرى أكثر صحاري العالم جفافا وحرارة، ومع ذلك تعيش فيها الإبل العربية بأعداد هائلة وكفاءة نادرة.

وقد ترتفع درجة الحرارة في الصحارى في فصل الصيف حتى تصل إلى ٧٠ درجة مئوية. وينتج هذا الارتفاع، ليس فقط عن شدة حرارة أشعة الشمس الساطعة طول النهار، ولكن أيضا من الانعكاسات الحرارية بفعل التربة الرملية. كما أن ليالي هذه المناطق - خاصة الصخرية منها- حارة، نتيجة تأثرها بالأشعة الحرارية المنبعثة. وعلى الرغم من أن درجة حرارة التربة الرملية تتغير بسرعة خلال اليوم الواحد على مدار العام، فإن الإبل العربية لها القدرة على تحمل مثل هذه الظروف القاسية.



ونورد فيما يلي نبذة مختصرة عن كيفية تأقلم الإبل مع حياة الصحراء، وعن صفاتها وطباعها التي لها دور في هذا التأقلم.

عندما تشرب الإبل العطشى كمية كبيرة من الماء، فإنه ينتشر خلال جدار الكرش إلى بلازما الدم بمعدل بطيء نسبياً، محققاً ٢٥٪ من قيمة التوازن المائي في الساعة على عكس الثدييات الأخرى. ومن ناحية ثانية، فإن تخفيف الدم بالماء المنتشر يصل لدى الإبل إلى مدى لا يمكن احتماله من قبل الثدييات الأخرى التي تنفجر خلاياها الحمراء في المحاليل ناقصة التركيز. ويرجع السبب في ذلك إلى مرونة أغشية خلايا الدم الحمراء عند الإبل، بحيث يمكن أن تنتفخ إلى ٢٤٠٪ من حجمها الأساسي دون أن تنفجر.

درجة الحرارة. للبعير ميكانيكية حرارية متميزة عن الثدييات الأخرى. فمن المعروف علمياً أن معظم أنواع الثدييات تعرق عند ارتفاع درجة الحرارة. فيساعدها هذا التعرق على تلطيف درجة حرارة الجو والتخلص من الحرارة الزائدة، والاحتفاظ بدرجة حرارة أجسامها ثابتة. إضافة إلى أنها تهرب بطريقة ما من التعرض لأشعة الشمس مباشرة. وعلى العكس من ذلك، فإن البعير له قدرة خاصة على تنظيم فقدان الماء بالتعرق، ولذلك فهو يتحمل مدى واسعاً من تغيرات درجة حرارة الجو المحيط، وذلك بقدرته على تغيير درجة حرارة جسمه وتكييفها مع تغيرات درجة الحرارة خلال الليل والنهار. ولقد وجد العلماء أن منع البعير خلال الصيف من شرب الماء يخفض درجة حرارة جسمه إلى ٣٤,٢° مئوية في الصباح الباكر، ثم ترتفع بعد الظهر إلى ٤٠,٧° مئوية. أما عندما يتاح للبعير الشرب بانتظام تحت الظروف نفسها، فإن الفرق بين الدرجتين السابقتين يَقِلُّ إلى ما بين درجتين وثلاث درجات، أي بينما تكون درجة حرارته في الصباح ٣٦°م فإنها تصل بعد الظهر إلى ٣٩°م. وهذه الاختلافات في درجة حرارة البعير في الصيف مشابهة لما يحدث له خلال فصل الشتاء.

التعرق. يشبه البعير الثدييات الأخرى، الموجودة في المناطق الصحراوية الحارة، بوجود الوبر على جلده لحمايته عند ارتفاع درجة الحرارة في الصيف؛ لأن الوبر يسمح في الوقت نفسه بتبريد حرارة الجسم الزائدة وذلك بتنظيم عملية التعرق. وقد يبدو عند النظر لجسم البعير أنه لا يعرق، بينما العكس صحيح.



ويظهر ذلك جليا إذا نظرنا إليه ظهرا – خاصة في منطقة ما تحت الوثر أو تحت الأثقال المحمولة– فتتضح رطوبة العرق الكثيفة لعدم حدوث تبخر ملحوظ. وقد وجد أن البعير ينتج في الساعة أكثر من ٢٨٠ملم من سائل العرق لكل متر مربع من سطح الجلد. ويتم تبخير العرق على سطح الجلد نفسه أيام الصيف الحارة، لتلطيف درجة حرارة الجسم. وهذه الطريقة تؤدي إلى زيادة كفاءة تبريد جسم الحيوان. ولا يحدث ذلك عن طريق الجسم فحسب، بل من خلال عملية التنفس، لأن معدل التنفس يختلف بصورة كبيرة. ولكن دور التنفس ليس أساسيا في هذه العملية؛ نظراً لاختلاف معدله من وقت لآخر. فهو يتراوح بين ٦ إلى ١٨ مرة في الدقيقة، كما أنه لا يزيد بصورة مفاجئة عند حدوث ارتفاع في درجة الحرارة كما هو الحال لدى الحيوانات الأخرى.

وللبعير سلوك خاص لتقليل وتنظيم عملية التعرق، سواء كان قد شرب الماء أو لم يشربه. فالبعير يمكنه أن يستريح طوال اليوم في المكان نفسه ليتجنب التبخر، ويكون دائما مواجها للشمس وحركتها في السماء. فإذا تحرك تكون حركته بسيطة جداً ليكتسب من الأرض أدنى كمية من الحرارة. وأثناء فترات الذروة في الصيف تتجمع الإبل دائما في مجموعات متقاربة، لأن التوصيل الحراري بين أجسام مجتمعة أقل نسبةً منه بين أجسامها والهواء يحيط بها مباشرة.

وذكر الحبردي أن البعير في الصيف، إذا توفرت له بعض النباتات الخضراء، مثل السعدان والحماط، فإنه لا يهتم بشرب الماء، خصوصاً إذا كانت موارد المياه بعيدة عنه، وكانت الأرض التي هو فيها خصبة المرعى ولا يرغب في مفارقتها؛ فيحتال على العطش بأكل الأعشاب الغضة أثناء الليل، واختيار مَبْركه في النهار تحت ظل شجرة تكون في مكان مرتفع يهب عليه الهواء فيقلُّ إفراز العرق من جسمه. وينتظر في ذلك المكان حتى تميل الشمس إلى المغيب أو حتى تغرب، فينهض من مبركه ويستمر في الرعي معظم الليل حتى مطلع النهار. وهذا يدل على أن تعرّق البعير أثناء النهار يفقد جسمه كمية من الماء (١٤٠٩: ١١١).

إخراج الفضلات. لا يفقد الجمل سوى كمية ضئيلة من الماء في الطقس البارد، بالتبخر أو عن طريق البول والدمن. ونسبة فقدان الماء عن طريق



التبخر (يشمل عمليتي التنفس والتعرق) تزداد خلال فصل الصيف لتصل إلى ٦٥٪ من المجموع الكلي للماء المفقود. أما فقدانه عن طريق التبول، فهو قليل خلال الصيف، حتى لو كانت الإبل تشرب كل يومين أو ثلاثة أيام، فبولها يصل لحوالي ١,١ لتر/يومياً، ويمكن أن يصل المعدل اليومي لإفراز البول إلى ٧ لترات، وقد قدرت كمية الماء المفقود عن طريق البول لإبل يزن كل منها ٢٥٠ كجم، وتحمل ١٠٠ كجم من الأثقال وقطعت مسافة ١٠٠ كم بمعدل ١٠-١٥ كم/يومياً. فإذا استراحت لمدة يوم واحد فإن كمية البول تبلغ حوالي ٨,٨ لترات في صيف درجة حرارته العليا بين ٤٠-٤٧°م والدنيا بين ٢٥-٣٢°م.

ناقة تدمّن

أما فقدان الماء عن طريق التدمين (إخراج فضلات الطعام) فقد وجد الباحثون أن كمية الدمن ومحتواها من الماء تختلف من وقت لآخر اعتماداً على نوعية الغذاء وحجمه ودرجة هضمه. فقد لوحظ أن الدمن تكون صلبة عندما يكون العلف (الحشائش والأعشاب) المأكول صلباً متخشباً، وليس ليناً رطباً. ولقد وجد أن كمية الماء المفقود عن طريق التدمين للبعير الواحد حر الرعي، تراوحت ما بين ٤٠ إلى ٦٦٪، ويعتمد ذلك إلى حد ملحوظ على نوع الغذاء المأكول وكميته.

وتساعد كلية البعير على تأقلمه مع حياة الصحراء، بحيث يمكنها تقليل إفراز البول وتركيزه. وفي هذا يختلف البعير عن أغلب الثدييات الأخرى، فهو يستطيع إنتاج بول تركيزه ملحي أكثر بمرتين من تركيز الملح في ماء البحر. كما أن البعير إذا تغذى بمادة فقيرة في محتواها من البروتين، قلَّت في بوله مادة (اليوريا) كثيراً. ومردُّ ذلك إلى أنه يحتفظ بنواتج هدم البروتين الغذائي ولا يطردها كالمعتاد خارج الجسم، ولكنه ينقلها إلى الكرش



مع تيار الدم عن طريق اللعاب وجدار الكرش، ويستخدمها البعير في تكوين البروتين اللازم لبناء جسمه، وحفظ صحته ونشاطه، مستعينا في ذلك بنشاط الميكروبات المفيدة التي تقطن كرش البعير بصفة طبيعية مستمرة. ويُمرَر هذا البروتين إلى الأمعاء حيث يتم امتصاصه في الدم. ويحدث هذا الاقتصاد في إفراز اليوريا، ليس فقط عندما يكون الغذاء المأكول فقيراً في محتواه من البروتينات، ولكن أيضاً عندما تزداد حاجة البعير إلى البروتين؛ مثل الحوار الذي يحتاج للبروتين بكثرة لبناء خلايا جسمه، وكذلك الناقة أثناء حملها وإرضاعها لوليدها.

وللبعير القدرة على تحمل العطش لمدة أطول من أي حيوان مستأنس آخر. ويعتمد عدد المرات التي يشرب فيها البعير على عمره، وطبيعة مجهوده، ودرجة رطوبة الجو ودرجة الحرارة في الليل والنهار، وكذلك على نوعية الغذاء الذي يتناوله وكميته ونسبة الماء الموجودة فيه. والإبل لا تشرب الماء خلال الشهور الباردة حتى لو توافر لها، ويعود السبب في ذلك إلى حصولها على الكمية المطلوبة لجسمها من الماء الموجود في الأعشاب التي تتغذى بها. وتحتوي هذه الأعشاب في المتوسط على ٥٠٪ إلى ٦٠٪ من وزنها ماء خلال الشهور الباردة. ويمكن للبعير أن يسير مسافة قد تصل إلى ١٠٠٠ كم دون أن يشرب. كما تستطيع الإبل أن تسير من ١٠ إلى ١٥ يوماً دون ماء عندما تكون درجة حرارة الجو حوالي ٣٠ْ مئوية. كما يمكنها أن تقضي فترة طويلة خلال الصيف في بعض المناطق من دون شرب. أما إذا تجاوزت درجة الحرارة ٤٠ْم فإن الإبل تحتاج للشرب على فترات قصيرة منتظمة. ويحدث ذلك فقط خلال الأسابيع التي تكون درجة الحرارة فيها عند أعلى مستوى لها. ومع هذا فإن مرور ليلة باردة، أو هطول مطر لفترة قصيرة، خلال تلك الفترة، يساعد على إطالة المدة التي يمكن للبعير أن يقضيها دون شرب. كما يمكن للبعير أن يعمل بطريقة متواصلة حتى يفقد سنامه ويبقى جلداً على عظم، ويمكنه أن يسير لمسافات أطول وأفضل من جمل ممتلئ السنام.

وجاء في بعض المصادر أنه منذ قرن من الزمن استطاعت قافلة من الجمال، يحمل كل جمل منها ٣٥٠ كجم من المؤن والمتاع، أن تقطع مسافة ٤٤٧ كم خلال ١٦ يوماً في فصل الصيف الحار. وبعد أن استراحت ليوم واحد فقط، قطعت مسافة أخرى طولها ٢٤٠ كم دون أن تشرب ولو مرة واحدة.



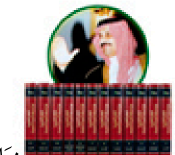
ويمكن تشخيص حالة فقدان جسم البعير للماء بالنظر إلى جانبيه خلف الأضلاع (شاكلتيه) إذ يبدوان مجوفين. ويعرف رجال البادية هذه الحالة جيداً، ويمكنهم أن يقدروا بدقة متى يحتاج الجمل للشرب.

والبعير العربي لا يقبل على شرب الماء غير النظيف، لذلك ينظف أصحاب الإبل الماء من المواد العالقة به قبل تقديمه لها. كما أنه لا يشرب المياه الطينية إلاّ إذا لم يجد غيرها، ما عدا العيوف من الإبل فإن شربها من هذه المياه جدّ قليل. وتعتمد سرعة شرب البعير للماء على طبيعة البعير نفسه، فالبعير العادي يمكنه أن يشرب كمية تتراوح بين ١٠ إلى ٢٠ لتراً أو أكثر في الدقيقة، بينما قد يصل ما يشربه بعير آخر إلى ٢٧ لتراً في الدقيقة. وقد لاحظ بعض الباحثين أن الإبل تبدأ بشرب كمية قليلة من الماء بسرعة ثم تتبع ذلك بكمية أكبر بطء، أو بالعكس. وبوجه عام فإنه توجد علاقة عكسية بين العطش وسرعة الشرب. وأثناء الشرب يرفع البعير رأسه على فترات قصيرة ويهز رأسه لإزالة الماء عن مشفريه.

خزن البعير للماء. للبعير قدرة كبيرة على شرب كميات كبيرة من الماء في المرة الواحدة، وليس ذلك لاختزانه الماء بغرض استخدامه مستقبلا، فإنه لم يثبت علمياً حتى الآن أن البعير يخزن الماء في مكان ما في جسمه على هيئته الطبيعية، بل ليعوض الماء المفقود من جسمه عن طريق التعرق والبول والبعر. ففي درجة حرارة تصل إلى ٤٠ْم أو تزيد عن ذلك وجد أن بعض الإبل تشرب من ١٠٠ إلى ١٣٥ لتراً من بداية شربها حتى تبتعد عن الماء. أما الإبل التي فقدت ٤٠٪ من وزنها العادي فيمكنها أن تشرب ٢٠٠ لتر في اليوم.

ولمّا كان للإبل القدرة الفائقة على العيش لعدة أيام من غير ماء، حتى في الصحارى الشديدة الحرارة، فقد ساد الاعتقاد بين الباحثين الأوائل أن الإبل تخزن الماء في أماكن معينة من أجسامها لاستعماله عند الضرورة. وقد تمت عدة محاولات لتحديد تلك الأماكن؛ شملت تشريحاً متأنياً لكرش البعير، وكانت النتيجة عدم وجود أي حيز مخصص لخزن الماء فيها.

ومن ناحية أخرى فقد لاحظ بعض الباحثين وجود ثلاثة مجاميع من الجيوب المائية في جانب الكرش الأول للبعير، وكل جيب منها له القدرة على خزن ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ سم^{٣} مكعب من الماء. أي أنها جميعها تختزن كمية ضئيلة من الماء تقل عن لتر واحد، غير أن هناك



آخرين ذكروا أنهم وجدوا في بعض كروش الإبل المذبوحة فجوات تحتوي على ماء ما بين ٥-٧ لترات في كرش كل جمل، وربما وجدوا من الماء أكثر أو أقل من ذلك. وقام بعضهم بدراسة دقيقة على ثلاثة عشر بعيراً مذبوحاً، ووجد أنه على الرغم من وجود رطوبة فعلا في جيوب الكرش الأمامية، إلا أن هذه الجيوب كانت مملوءة بالغذاء المهضوم على هيئة مائعة وليس على صورة ماء نقي. ومثل هذا السائل يوجد بكميات كبيرة في كروش جميع الحيوانات المجترة.

ويعتقد بعض الباحثين أن كرش البعير تختلف اختلافاً جوهرياً عن كروش الحيوانات المجترة الأخرى، ولهذا فإن الإبل ليست قريبة من المجترات الحقيقية. كما لا يزال هناك عدد من الباحثين يعتقدون أن البعير يخزن الماء في سنامه وليس فقط في معدته، وهو اعتقاد غير صحيح. فسنام البعير يتكون غالباً من الدهون التي يختزنها عندما تكون المواد الغذائية متوافرة له. فإذا جاع ولم يجد ما يسد رمقه فإنه يستهلك دهن سنامه الذي يتراوح ما بين ١٠ إلى ١٥ كجم حتى يختفي السنام. وربما زاد سنام البعير عن ٥٠ كجم، لذلك يقاس سمن البعير من هزاله بسنامه؛ فيقال «بعير عليه من الشحم طول يده» أي سمين جداً و«عليه من الشحم كبر رأسه» أي متوسط السمن و«عليه كبر خشمه» أي أنه قليل السمن، و«سنامه عظم» أي أنه هزيل. والحقيقة العلمية الثابتة أن استخدام الدهون مصدراً للطاقة ينتج عنها كمية كبيرة من الماء، ولكن عملية الحرق الحيوي هذه تحتاج إلى أوكسجين يحصل عليه الحيوان عن طريق التنفس.

ومما سبق يتضح أنه لا توجد أدلة علمية على أن البعير يخزن الماء على هيئته السائلة في أي مكان من جسمه. فالحقيقة العلمية الثابتة هي أن الجمل يستطيع أن يشرب أكثر من مائة لتر من الماء بعد السير لمدة عشرة أيام من دون شرب. والمنطق يقول إن الجمل يخزّن بالفعل هذا الماء ليستخدمه عند الحاجة إليه، ولكن السؤال: أين يخزنه؟! إن أحداً من الباحثين لم يتمكن -بعد- من معرفة مكان تخزينه في جسم الجمل، كما أنه لم يقم دليل على أن كمية الماء في جسم الجمل تكون أعلى مما هي عليه في جسم أي حيوان مجتر آخر.

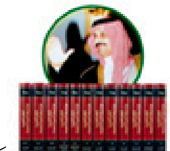
تحمل الإبل للعطش. تستطيع الإبل أن تتحمل الجفاف الشديد. فإن كان الإنسان يُشرف على الهلاك إذا فقد ١٢٪ من ماء جسمه، فالبعير الهزيل له القدرة على تحمل فقدان الماء حتى حوالي ٤٠٪ من وزنه. ومن ناحية أخرى، عندما تصل



درجة حرارة جسم البعير إلى ٤١ْم فإنه يفقد الماء بمعدل بطيء نسبيا يتراوح بين ١٩ , ٢٣ جراماً لكل كيلوجرام من وزن الجسم خلال اليوم. ويعود السبب في ذلك إلى أن البعير، كما سبق أن ذكرنا، لا يفقد سوى القليل من الماء عن طريق التعرق والتبول والتنفس والبعر، إضافة لانخفاض أيضه الغذائي. وقد أوضحت الدراسات العلمية المختلفة الأسباب التي جعلت البعير يتحمل فقدان كمية كبيرة من ماء جسمه قد تزيد عن ٢٠٪ من وزنه، من دون أن تحدث له أضرار فسيولوجية. فمن هذه الأسباب: أن النقص في مقدار دم البعير لا يحدث بنسبة النقص في مقدار ماء الجسم، فإذا فقد البعير ٢٥٪ من ماء جسمه فإن النقص في مقدار دمه يقل عن ١٠٪ من مقداره الكلي، بينما تصل النسبة المفقودة من مقدار دم الإنسان تحت الظروف نفسها إلى أكثر من ٣٠٪. فعندما فحص بعض الباحثين الجهاز الوعائي الشعري (شعيرات الدم الدقيقة) للبعير، باستخدام المجهر الإلكتروني ذي قوة التكبير العالية، اتضح أن هذه الأوعية لها جدران غليظة جداً، وأن مجاريها ضيقة، ولا توجد فتحات في جدرانها. وهذا يدل على أن تركيب جدران الأوعية الدموية الشعرية للبعير يساعد في منع فقدان ماء الدم منها أثناء تعرض البعير لحالات جفاف شديدة. ومن المعتقد أيضاً أن الخلايا الحمراء في دم البعير، قد تأقلمت مع الظروف الصحراوية؛ فهي بيضاوية الشكل دقيقة، يصل عددها إلى نحو ١٢,٥ مليون خلية في المليمتر المكعب.

وتسمح دقة حجم هذه الخلايا الدموية الحمراء باستمرار الدوران خلال الجسم، حتى ولو زادت لزوجة الدم بسبب فقدان كمية ملحوظة من الماء. وعلى الرغم من أن الكمية الكلية للهيموجلوبين (خضاب الدم) في دم البعير لا تزيد عن تلك الموجودة في الثدييات الأخرى، فإن تركيز الهيموجلوبين في كل خلية دموية في البعير يكون أعلى منه في الثدييات الأخرى. كما أن هذا الهيموجلوبين في دم البعير له قوة جذب أعلى للأوكسجين. ولهذا فالبعير يستطيع أن يأخذ كمية من الأوكسجين بالنسبة لوحدة حجم الخلايا، أكثر مما يأخذه كثير من الثدييات الأخرى، إضافة لذلك فإن (بلازما) دم البعير تحتوي على كمية كبيرة نسبيا من (الألبيومين) المعروف عنه مقاومته للعطش بشدة.

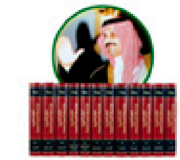
ويتضح من تركيب بعض أجزاء أجسام الإبل، أن الله سبحانه وتعالى قد وهبها القدرة التامة للتأقلم مع حياة



الصحراء. فمن دلائل هذا التأقلم قدرة الإبل على التغذية بأنواع مختلفة من النباتات، الجافة والشوكية، والصحراوية بصفة عامة، وهضمها، والاستفادة منها. أضف إلى ذلك تركيب عيونها التي تأقلمت للوقاية ضد وهج الشمس وحرارتها وشدة ضوئها، خاصة في المناطق الصحراوية الجافة. كما أنها أيضاً عيونٌ محمية ضد الرمال والغبار. وكذلك فتحات أُنوف الإبل التي يمكنها التحكم فيها بإغلاقها لمنع دخول الرمال والغبار خلالها، إضافة لوجود تجاويف كيسية خاصة فيها لترطيب الهواء المستنشق، وتبريد الهواء الخارج عند الزفير، لتكثيف بخار الماء الموجود فيه والاستفادة منه.

ومن صفات التأقلم الأخرى المهمة للإبل على الحياة في الصحراء، قدرتها على جمع مخزون من الطاقة، على هيئة دهون في السنام، لتستخدمها عند الحاجة مصدراً للطاقة. بالإضافة إلى تلك القدرة على البقاء لفترات طويلة من دون شرب، وتحملها لفقدان نسبة كبيرة من ماء جسمها دون حدوث خلل فسيولوجي فيه. ويتبع ذلك قدرتها على شرب الماء بكميات كبيرة في وقت قصير، لتعويض الماء المفقود من جسمها. وكذلك قدرتها على تحمل الحرارة والتحكم في فقدان الماء، بتنظيم التعرق أو تركيز البول، والارتفاع والانخفاض في درجة حرارة الجسم ليلاً ونهاراً.

كما أن وجود الوبر على الجسم يمثل عازلاً جيداً أثناء انخفاض درجة الحرارة، ويؤكد ذلك ما يلاحظ من بداية نمو الوبر مع دخول فصل البرودة حتى يبلغ تمامه في شدة البرد، ومتى بدأ الجو بالدفء فإن البعير يبدأ في التخلي عن هذا الوبر حتى يتخلص منه في فصل الصيف، كما أن وبر الإبل يزداد طولاً وكثافة في إبل المناطق الشمالية من المملكة ذات الجو الشديد البرودة عن مثيلاتها إبل المناطق الجنوبية والتي يقل وبرها طولاً وكثافة للدفء النسبي في هذه المناطق شتاء، وفي حال وجود إبل من جنوب المملكة في شمالها فإن أوبارها تزداد طولاً وكثافة وخشونة بشكل ملحوظ عن أوبارها في مناطقها الأصلية. ثم تكيف الإبل الخاص بغرض تقليل تعريض أجسامها للحرارة، ومعدل أيضها المنخفض الذي يؤدي إلى اختزال كمية الماء المستهلكة فيها، وقدرتها على إعادة دورة مادة البولينا (اليوريا) في بولها لاستخدامها في تصنيع البروتين، عندما تكون نسبة البروتين منخفضة في غذائها، أو عندما تحتاج إلى كميات أكبر من البروتين.



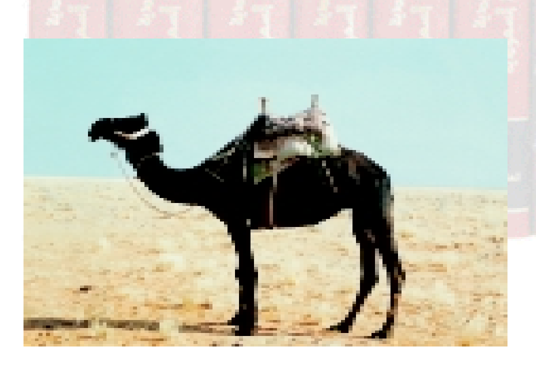
صفات الإبل وطباعها

للإبل صفات تبدو مظاهرها الخارجية في أشكال متعددة، تارة تحدث صوتاً يدل على طبع أو صفة تتصل بهذا الطبع، وتارة تسلك سلوكاً هو رد فعل أو انعكاس لطبع يرتبط بذلك السلوك في موقف معين.

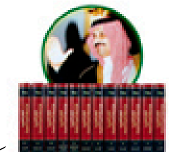
ومن هذه الصفات أو الطباع ما يتصل بمرعاها وسقياها، أو بضرابها وحملها، أو بعاطفتها تجاه صغارها، أو بتصرفها حيال مُلاّكها ورعاتها، أو هي خاصة بالإبل داخل مباركها، أو على طرق السفر أو في المراعي والصحارى. وقد يصعب على الدارس أن يفصل الطبع عن السلوك أو يصفه لأنه أمر يكون الحيوان مجبولاً عليه تارة ومحمولاً عليه تارة أخرى، ولا يخفى أن للحيوان كما للإنسان مشاعر متباينة تنتابه عند الفرح أو الغضب أو الغيرة أو الجوع أو المرض وغير ذلك. هذه المشاعر يترجمها الحيوان كالإنسان من خلال سلوكه الذي قد يفسر أنه طبع ملازم له. ومن هنا كان في إيرادنا لطبائع الإبل ما يبدو أنه صفة في بعض جوانبه أو وصف لسلوك مجرد يتغير من موقف لآخر، ولكن الذي يعنينا هو أن نستشف هذا الطبع سواء كان مظهره صفة أو سلوكاً، وسوف نركز على بعض صفات الإبل السلوكية التي تميزها عن كثير من الحيوانات.

الانقياد والطاعة. تتصف الإبل، شأنها شأن الحيوانات الأخرى الأليفة أو المستأنسة، بطباع سلوكية خاصة. وتتميز عن مثيلاتها من الحيوانات الأخرى بأنها سريعة التعلم والتعود، وسهلة الانقياد والتوجيه، مرهفة الإحساس، وفية ومطيعة لصاحبها، تأتمر بأمره. والذكور منها شديدة الغيرة على إناثها، والإناث منها شديدة الحرص على مواليدها.

وتميل الإبل إلى التجمع على هيئة قطعان وتتبع الإبل المرعية القعده وهي حدوج الراعي ولا تبتعد عنها كثيراً، بينما الإبل الهمَّل يكون لكل واحد منها اتجاه. كما أن النوق ترعى مطمئنَّة إذا كانت مواليدها قرب المقهور، وكذلك ترفض النوق السير في القافلة إذا كانت مواليدها مربوطة.



القعدة



ومن دلائل سرعة تعلم الناقة الذلول وتعودها أنها لا تبرك أو تنوخ أو تقف إلا عندما تسمع صيحات صاحبها التي اعتادت سماعها والتي تعطيها الأمر بالنهوض أو البروك. كما أن ميلها إلى التجمع ضمن قطعانها ورعيها في محيط هذه القطعان، صفة من صفات الانتماء.

والإبل حيوانات سهلة الانقياد، شديدة الطاعة، نقل الحتّي عن الدميري قوله في كتابه حياة الحيوان الكبرى:

والإبل من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها، وهو أنها حيوانات عظيمة الجسم، سريعة الانقياد، تنهض بالحمل الثقيل، وتبرك به، وتأخذ زمامها فأرة، فتذهب بها حيث شاءت. وكانوا قديماً يخزمون أنف البعير بحيث يصبح من اليسير على أي ولد أن يربط حبلاً بأنف البعير المخزوم ويقوده إلى حيث يشاء (١٩٩٠: ٩٨-٩٩).

يقول عباس بن مرداس في خضوع الجمل وسهولة انقياده، بالرغم من ضخامة جسمه:

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد هصور

وقد عظم البعير بغير لبٍ
فلم يستغن بالعظم البعير

يصرفه الصبي بكل وجهٍ
ويحبسه على الخسف الجرير

وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا غِيرٌ لديه ولا نكير

وقد مر بنا أن البعير قبل أن يذلل يكون صعب المراس، خطيراً على من يقترب منه، ولكنه إذا ذُلل سهل طبعه ولان قياده. ولعل من أهم ما يتصل بسلوك الإبل وانقيادها وطاعتها هو عسافها، وهو تدريبها على الطاعة والتحمُّل والركوب. وتبدأ عسافة البعير بوضع الخطام في رأسه، وقد يوضع قيد في ذراعيه ثم يوثق خطامه بخشبة أو خِيْه مثبتة في الأرض أو خشبة مركوزة في الأرض، ويترك البعير يدور ويبرك ويثور غير أن رأسه مشدود. ولا تنفع هذه الطريقة مع بعض الإبل، إذ تبرك ولا تتحرك من مكانها، فيثقبون ثقباً في جدار مرتفع ويعلقون خطام البعير فيه ليقوم ويتحرك فإذا انقاد للخطام شدوا القتب عليه وثبتوه بحباله ليعتاد عليه. ثم يدخل المسنى بقتبه ويعمل له مجر في خطامه يسير به مع السواني دون أن يكون عليه غرب. فإذا أَلِف السني علقوا عليه الغرب، ولا يثقلونه عليه حتى يتدرب



قليلاً قليلاً وينـتظم في السني، فيزاد له في غربه حتى يصل إلى الامتلاء. ويصف الشراري العسافة فيقول:

للعسـف عدة طرق مخـتلفة، وأيام محددة. ويتدرج بالعسف من الرباط، إلى الركوب، إلى الـشيل (الحمل). ويسمى البعير عسيفاً في فترة العسف؛ ومن أمثالهم «طباع عسيف» ومن الحداء قولهم:

قيـــفي عـــلـى المــاء قيـــفـي
يـــارقـيـــبة الـــعـــسـيـــفـي

وإذا حسن عسف الذلول حسنت طباعها؛ ولهذا قالوا «تاقف على الرسن»، و«تاخذ الرسن فتدرع راسها فيه»، و«تبطح رقبتها عند رمي الرصاص»، و«لا تقوم إلا إذا استوى عليها راكبها»... وطرق العسف متعددة، منها الخيه، وهي رباط العسيف، إذ يحفر العاسف (المدرِّب) حفرة بيديه ويربط يدي البعير بثقل مدفون فيها. وهذا الثقل حجر أو تراب أو أيّ ثقل آخر لا يستطيع البعير الانفلات منه بعد دفنه في الأرض. وتكون مدة الربط يوماً أو من الصباح حتى العصر. وأثناء هذه المدة يركب العاسف البعير ويتركه يمشي على رغبته. ومن تطبيع الرعاة لإبلهم تعويدها على التصرف وقت الغارات، وإبان الغزوات والهجمات المباغتة (١٤١٢: ٢٨٩).

الذكاء وحسن الاهتداء. الإبل من الحيوانات التي لها القدرة على معرفة أماكنها والاستدلال عليها والسير إليها، إضافة إلى قدرتها على معرفة مواقع المياه وأماكنها، ومعرفة الحركات والإشارات التي تصدر عن صاحبها. ويذكر أهل الإبل أن لها قدرةً على ورود الماء الذي اعتادته دون توجيه، وقد يكون راعيها نائماً على ظهر الذلول، فترد الماء الذي تعرفه وتصدر عنه في اتجاه المرعى الذي وافت منه، دون توجيه من الراعي في حالة الورد والصَّدَر، لذلك تقول العرب في أمثالها «فلان أهدى من بعير».

ومن طباع الإبل أنها بعد سقيها في الصباح، ويسمى ذلك صبوحاً، تعود إلى معاطنها وتبرك متجهة إلى الشمس. وكذلك إذا كانت في المرعى وأخذت حظها من الرعي فإنها تبرك الظهر بمواجهة الشمس، وتقول البادية عنها مْشامْسِه أو البل شَامِسَتْ. وقد مر في الحديث عن تكيف الإبل مع الصحراء أن هذا المسلك فيه تقليل لعملية التعرق والتعرض للحرارة وتنظيم لهما حفاظاً على الماء.

ويضيفون أن للإبل القدرة أيضاً على تحديد مواقع هطول الأمطار عند رؤيتها



للبرق، إضافة لمعرفتها لأماكن منابت الأعشاب، إذ تتوجه إليها بنفسها.

وقد وردت في التراث العربي إشارات واضحة تدل على ذكاء البعير، منها ما ورد في كتاب الحيوان للجاحظ عن معرفة الإبل بما يضرها وما ينفعها وأن البعير يدخل الروضة والفيضة، وفي النبات ما هو غذاء، ومنه ما هو سم خطر عليه خاصة، ومنه ما يخرج من الحالين جميعاً، ومن الغذاء ما يريده في الحال وما لا يريده في حال أخرى كالحمض والخلة، ومنه ما يتغذى به غير جنسه فهو لا يقربه وإن كان ليس بقاتل ولا معطب. فمن تلك الأجناس ما يعرفه برؤية العين دون الشم، ومنها ما لا يعرفه حتى يشمه، وقد تغلط في البيش فتأكله.

كما أن هروبها وفرارها بعيداً إذا ما كانت طليقة عندما تسمع صوت إطلاق النار أو أي حركة أو جلبة تنذر بحدوث معركة بين أصحابها وآخرين دليل على ذكائها.

وللإبل حاسة شديدة تستطيع أن تتعرف بها طريقها إلى مصادر المياه التي وردتها سابقاً، حتى لو كانت قد شربت منها مرة واحدة فقط، كما يمكنها التعرف على هذا المصدر في ليلة مظلمة عاصفة، إضافة إلى أنها تمتاز بحاسة سمع شديدة (الصانع ١٩٨٤: ١٢٥-١٣١).

لكنَّ الغريب أنها تضل طريقها بعض الأحيان إلى (قلعة ريدا) في شمال الربع الخالي، وهو أمر لا تفسير له.

ويرى الحتي أن الإبل أقل ذكاءً من الكلب والحصان والبغل وغيرها من الحيوانات الأليفة. ومع أن الإبل لم تُعرف بالذكاء المميّز، إلاّ أنها تعرف مكان إقامتها، فهي إذا داهمها الضباب مثلاً، تستطيع الوصول إلى هدفها دون أن تضل (١٩٩٠: ٩٨-٩٩). ويقول الحبردي:

> إن الحداء هو ذلك الصوت الذي يطلقه الراعي أو المالك إلى الإبل لتتبعه إلى المرعى أو للعودة منه أو لدعوتها إلى الشرب. ولكل صاحب إبل نداء مميز تعرفه إبله وقد يكون متوارثاً في القبيلة أباً عن جد، وقد استخدمه وعرفه العرب منذ القدم. وبواسطة الحداء تعرف الإبل أصحابها وما يريدونه منها، وهو في الحقيقة دليل على قوة ذكاء الإبل (١٤٠٩: ٦٤).

وقول العرب «أخف حلم من بعير» لا يدل على عدم الذكاء، ولكنهم قالوا ذلك لما رأوا الطفل الصغير يصرفه كيف يشاء، وهم إنما أرغموا البعير على ذلك بتطويعه بدءاً.



أما ما ورد في الشعر العربي عن ذكاء البعير فهو كثير نذكر منه قول الحطيئة:

إذا آنست وقعاً من السوط عارضت
به الجور حتى يستقيم ضحى الغد

يقول الشاعر: إن هذه الناقة إذا جار بها راكبها عن الطريق الصحيح فإنها تذهب به خلاف ذلك حتى تغلبه فتسير به على الطريق الصحيح. ويقول السفاح بن بكير اليربوعي:

كما استحنت بكرة واله
حنت حنينا ودعاها النزاع

يقول إن البكرة تَوْلَه (تَالَهْ) وتحن إلى مكانها وتظهر الجزع والتّملمُل على ذلك.

أما المتلمس (جرير بن عبدالعزى) فقال:

حنت قلوصي به والليل مطَّرق
بعد الهدوء وشاقتها النواقيس

ويقول ذو الرمة:

تصغي إذا شدها بالكور جانحة
حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

أي أن ناقته تصغي وتميل إلى حركة من يريد أن يشد (يضع) عليها الرحل. وجانحة: مائلة ولاصقة، والغرز: سير كالركاب توضع فيه الرجل عند الركوب. ويضيف ذو الرمة:

إذا عُجْتُ منه أو رأى فوق رحله
تحرك شيء ظن أنيَّ ضاربه

ومعنى قوله هذا: أنه إذا انعطف (مال) أو رأى البعير شيئاً فوق رحله يتحرك يظن البعير أنه سيضربه. ويقول أبو الطيب المتنبي:

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل
دعا فَلبَّاه قبل الرَّكب والإبلِ

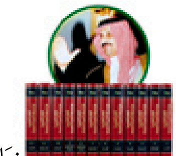
يقول: يستدعي الطلل دموعي بدثوره فكنت أول من أجابه بالبكاء من أصحابي، وقبل الإبل. والمراد أن الإبل تعرف ذلك الطلل وتبكي عليه كقول التهامي:

بكيت فحنت ناقتي فأجابها
صهيل جوادي حين لاحت ديارها

والمعنى: أنه وقف على ديار محبوبه، فشجاه ما شاهد من دروس رسومها وتغير طلولها (معالمها) فاستدعى ذلك بكاءه، فأجاب دمعه تلك الدعوة، وأسعد على تلك النية، قبل أن يجيب ذلك بعض الركب (القوم الراكبون على الإبل) بالتأسف، وبعض الإبل بالحنين. وأشار إلى ناقته، والعرب يصفون مطيهم بالحنين إلى ديار الأحبة، كما يصفون أنفسهم.

قال المتنبي:

فمرت بنخل وفي ركبها
عن العالمين وعني غنى
وأمست تخيرنا بالنقاب
ووادي المياه ووادي القرى



يريد أنه عندما وصل إلى مفترق الطرق لا يدري على أيها يسير فإن ناقته تخيره أو كأنها تسأله أيَّ طريق هو يريد.

الغيرة والانتقام. الجِمال من الحيوانات الغيورة على إناثها، فلو قدم في موسم الضِراب إلى القطيع جمل غريب فإن الفحل الموجود في القطيع، يقوم بمهاجمة ذلك الجمل الغريب، ولا يدعه يقترب من إناثه ويطرده؛ لذا ضربت به العرب المثل فقالوا «أغير من جمل».

كما أن لدى الجمل غريزة الانتقام، فلا ينسى من يؤذيه، ولذلك يظل حاقداً على المسيء له حتى ينتقم منه ولو بعد زمن طويل. لذا تقول العرب في بعض أمثالها «أحقد من جمل» وفي ذلك يقول الشاعر الشعبي إبراهيم بن جعيش:

وعاشرها عدوّك ما يودّك
ترى قلبه عليك اله اشتعالي
ولو يعطيك لين من لسانه
فهو مثل الحَقود من الجمالِ

والجمل إذا أغضبه أحد وهو في الهياج، فإنه مهما طال الزمن، ومهما كان الجمل وديعاً، فإنه لا يؤمن جانبه؛ أورد الحبردي قصة ذكر فيها أن رجلاً ضرب جملاً هائجاً ليطرده عن نياق مجاسير لا يريده أن يضربها (يلقحها). وبعد مرور عامين نسي الرجل ما فعله بالجمل، فركب رديفاً مع صاحب الجمل، على ظهر ذلك الجمل نفسه. وعندما هَمَّ الرجل بالنزول عن ظهره التفت إليه الجمل أثناء نزوله وأطبق بفكه على قدمه وأخذ يجري به ليبرك عليه ويسحقه بزوره. ولكن صاحب الجمل لحق به وضربه بخنجر كان معه عدة ضربات، فلفظ (أفلت) الجمل قدم الرجل بعد أن طحنها، وبقي الرجل يعرج إلى اليوم بسبب تلك الحادثة المؤلمة (١٤٠٩: ٤٩-٥٢).

وذكر الجاحظ أيضاً أن البعير ربما كان يعلم أن سلاحه في نابيه وقوائمه، كذلك في قوة زوره عندما يبرك على شيء، وربما يعد الرّمح بالرجل والهبد باليدين أيضاً سلاحاً فتاكاً من أسلحة الإبل، يستغلها في الانتقام.

الحنين. تشتهر الإبل بغريزة الحنين إلى موطنها أو قطيعها أو حوارها، أو المكان الذي تربت فيه، أو شربت من مائه، أو أكلت من مرعاه. وتضرب العرب المثل بالإبل في حبّ الوطن والحنين إليه حتى قالوا «إن الإبل لتكون بالمكان الجدب الخسيس المرعى فتقيم فيه بحب الوطن». ويذكر مربو الإبل أن الجمل أو الناقة إذا فقدهما صاحبهما، فعليه البحث عنهما في الأماكن التي اعتادا أن يشربا أو يأكلا منها. وقد ذكر



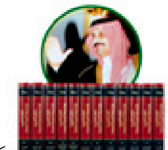
أن أحد الجمال قد فر من صاحبه في قرية أبو حليفه بالكويت، إلى مكان يسمى الديمية في شمال الجزيرة العربية، يبعد مسافة ١٥٠ ميلاً عن قرية أبو حليفة، وهو نفس المكان الذي كان قد اشتراه منه قبل عدة أسابيع من فراره. وقد حدث أن جلبت ناقة وجمل من إحدى الدول الشقيقة بالطائرة إلى دولة الكويت، ووضعا في أحد مراكز تحسين الحيوان، وبعد فترة وجيزة، استطاعا أن يفرا من المركز بالكويت، وبعد اكتشاف هروبهما، استطاع فريق البحث أن يحدد مكانهما بالضبط، فذهب الفريق بالقرب من المطار الدولي، وفعلاً وجدهما هناك.

ويذكر كذلك أن البعير عند عدم تكيفه مع البيئة الجديدة أو المأوى يتركه متجهاً إلى المكان الذي يألفه؛ ومما يروى في ذلك أن ناصر بن موسى اللحيدان من أهل بلدة الوسيطا بمنطقة حائل كانت لديه ناقة فأرسلها مع راعي إبل انحدر بها شرقاً إلى جنوب شرق نجد في وادي التسرير، وبعد أن سمنت باعها الراعي وادعى أنها ماتت وأتى بجلد مثل جلدها ولكنّ الناقة هربت ممن اشتراها وعادت إلى صاحبها الأول بعد أن قطعت مسافة تُقدَّر بحوالي ٨٠٠ كم باتجاه الشمال الغربي حتى وقفت عند باب صاحبها.

وهناك قصة أخرى صاحبها محمد بن خرسان القحطاني الذي اشترى ناقة من البدع غرب مدينة تبوك، وتوجه عليها إلى تثليث ثم تركها عند أخيه وعاد إلى تبوك بالسيارة. وعندما وصل إلى تبوك بعد شهر من مغادرته تثليث وجد برقية من أخيه تفيد بفقد الناقة. وبعد ثلاثة أشهر أتى صاحبها الأول من البدع ليسأل عن محمد بن خرسان في تبوك ويخبره أن الناقة لديه في البدع وهذه قصة حقيقية. وقصة أخرى اشتُريت بكرتان عمر كل منهما ثلاث سنوات من شرورة ونقلتا بالسيارة إلى المريبخ قرب تثليث والمسافة تقدر بنحو ٥٠٠ كم، وقد وضع غطاء على رأسيهما، ولكنهما عادتا إلى شرورة بعد سنة من بقائهما في المريبخ. وهذه القصة حدثت في أواخر الثمانينات أو أوائل التسعينيات من القرن الماضي.

كما تمتاز الناقة بالذات بحرصها الشديد على مولودها، فهي ترعاه منذ ولادته إلى أن يصبح قادراً على الاعتماد على نفسه، ولو أن ناقة فقدت وليدها، فإنها لا تهدأ، بل تظل متنقلة من مكان إلى آخر للبحث عنه، ولا يهدأ لها بال حتى تجده.

وقصة خلوج ابن رومي ليست بعيدة عن الأذهان. وابن رومي هذا رجل من



أهل الإحساء كان تاجر إبل مشهوراً. كانت عنده ناقة نجيبة ثمينة، وذات يوم دخل معه ابن له صغير في الثالثة من عمره داخل حوش الإبل فرمحته الناقة وسقط على الأرض ميتاً. فغم الرجل وحزن أشد الحزن على ابنه ولم يهن عليه التفريط في الناقة لنجابتها وقيمتها عنده، فتركها حتى لقحت. ولما ولدت أخذ ولدها وذبحه أمام عينيها، فحنت وزنَّت وبركت وتمرغت وصارت تضرب بجسمها الأرض وحزنت حزناً شديداً، وبقيت مدة طويلة لا تأكل ولا تشرب حتى هزلت وكادت تموت. وبعد فترة تعزت ولقحت للمرة الثانية. ولما ولدت ذبح ولدها أمامها، ففعلت أكثر مما فعلت في المرة الأولى. ثم تعزت ولقحت للمرة الثالثة. وعندما ولدت أخذ ولدها وذبحه أمامها للمرة الثالثة. فلما رأت ذلك ما كان منها إلا أن وقفت على رجليها وحنت حنة عميقة بصوت مرتفع وضربت بنحرها الأرض وخرت ميتة. وعندما شقوا جوفها وجدوا قلبها قد انفجر وتمزق مزقاً. وعلى الرغم من المبالغة الظاهرة في هذه القصة من الناحية العلمية إلاّ أن قصة هذه الناقة اشتهرت شهرة عظيمة وأشار إلى حنتها الشعراء، فقال فهاد بن مسعر العاصمي:

ياونّةٍ ونّيتها يابن نصار
ما ونّته قبلي خلوج ابن رومي

وقال عبد الرحمن بن ناصر اللحيدان:

لي ياخلف لي ياذلول ابن رومي
أتعبتني وانا على الغالي انخاك
دنياك هذي يالتفاريق تومي
صيّور ما تمضي سوى هاكٍ أوهاك

كما تظهر هذه الصفة السلوكية المنحصرة في اهتمامها وحرصها الشديد على وليدها، عندما يراد حلبها، فهي لا يمكن حلبها مثل الأغنام والأبقار دون أن يكون وليدها هو البادئ بلمس حلمات ضرعها. أي أن يقوم الحوار في البداية بتحنينها، ثم يبعده الراعي أو يترك له خلفاً واحداً فقط عندما تبدأ الناقة بالإدرار. وقد تدر الناقة اللبن دون أن يقوم وليدها بتحنينها إذا كانت مسوحاً أو مرياً، لذلك يصطفي بعض الرعاة عدداً محدوداً من نوقه ليقوم بتعويدهن على إدرار اللبن دون الحاجة إلى وجود حوار. ويطلق على هذه النياق في بادية الجزيرة العربية مسوحْ أي أن الراعي بمسحه على الضرع يمكن للناقة أن تدر اللبن.

ويحدث في بعض الأحيان أن تلد الناقة ويموت حوارها بعد فترة، فيقوم



الراعي بسلخ جلد الحوار، وحشوه ببعض الأعشاب أو الحطب، أي أنه يقوم بتحنيط الجلد ثم حشوه، ويسمى (البو) فيمرر على الناقة لتشمه، ويسهل بالتالي تحنينها وإدرار اللبن منها.

الخوف. البعير حيوان حذر، تسهل إخافته، فيكفي الوثوب أمامه فجأة أو اقتراب سيارة منه أو حتى سقوط متاع (أغراض) من على ظهره لإخافته، كما أن أية حركة غير عادية يقوم بها الراكب يمكن أن تخيف البعير. ولكن لوحظ أن الإبل لا تضطرب أثناء استخدامها في الحروب عند إطلاق النار من الراكب عليها. وإذا ترك الجمل حراً سائباً (همل) لعدة أسابيع أصبح من الصعوبة بمكان إعادة مسكه أو حتى الاقتراب منه.

ويذكر الحتي مجموعة من طبائع الإبل منها أن الجمل يفضل العيش مع جنسه، وهو حيوان وديع أنيس أليف لمن يؤلفه ويؤانسه ويرعاه، وهو جبان أشد الجبن، يخاف، على عظم حجمه، من أصغر الحيوانات. وذهب بعضهم إلى أنه ليس بين المخلوقات الجبانة ما يماثل البعير، وإذا أراد البدو إزعاجه أو إخافته قعقعوا له بالشنان، أي بما يبس من أوعية الأسقية المصنوعة من الجلد، فيهرب من صوتها، ولذلك قال النابغة الذبياني:

كأنك من جمال بني أُقَيْشٍ
يقعقع خلف رجليه بشنِّ

وليست كل الإبل جبانة فالجمل عندما يهيج يصبح كالسيل العرم لا يقهره أشجع الشجعان ولا يقف أمامه إلا نوادر الرجال أو صاحبه، كما سنفصله في الحديث عن ضراب الإبل لاحقاً.

وأكثر ما تخاف الناقة حين تكون مطفلة، فتراها قلقة مضطربة لا سيما إذا انقطعت عن القطيع، أو شعرت بانفرادها وهي سارحة ترعى، وقد يحدث أحياناً أن يبدو للجمل، وهو يسرح مع قطيع، أمر يخيفه، كأن يباغته ذئب أو ضبع من وجار في واد، أو حيوان آخر مخيف، أَو يطير سرب جراد من على الأرض بغتةً أمامه، فيَهرب الجمل مذعوراً، وقد يتبعه القطيع (١٩٩٠: ٩٨).

ووردت في التراث العربي، شعره ونثره، إشارات واضحة، وجلية، عما يفعله البعير عند إخافته. ومن أمثال العرب قولهم «كل أزب نفور» والأزب من الأبل هو الذي يكثر شعر حاجبيه، ولا يكون الأزب إلا نفورا؛ لأن الريح تحرك شعر حاجبيه فيظن البعير أن أمامه شيئاً فينفر. وقالت العرب أيضاً في أمثالها «ضرب على جهازه» وأصل المثل أن الجمل إذا سقط عن ظهره القتب بأدواته ووقع بين قوائمه فإنه ينفر ويشرد عنه،



وهذا إذا كان البعير حديث الترويض. وقد ورد في الشعر العربي القديم إشارات تدل على خوف الجمل، منها قول علقمة بن عبدة يصف ناقة:

تلاحظ السوط شزرا وهي ضامزة
كما توجس طاوي الكشح موشوم

يقول: تنظر هذه الناقة شزراً (بمؤخرة العين) وهي ترى السوط، ولم ترغ ولم تجتر وهي عاضة على أنيابها كأنها ثور وحشي يقف متحفزا. وتقول البادية في هذا المعنى حين تضرب المثل على شدة النفور «فلان كأنه مطية جافل». أما طرفة بن العبد فيقول:

أحلتُ عليها بالقطيع فأجذمت
وقد خب آل الأمعز المتوقد

يقول الشاعر أقبلت على الناقة بالقطيع (السوط) فأجذمت (أسرعت) بالعدو خوفا، على الرغم من وجود شبه الآل (السراب) في الأمعز وهو المكان الذي يخالط ترابه حجارة أو حصى.

أما أبو الطيب المتنبي فيصف إبله بأنها إذا خافت تقهقرت إلى الخلف حتى تتقدمها الجياد فيقول:

إذا فزعت قدمتها الجياد
وبيض السيوف وسمر القنا

وأما أعشى باهلة فيقول:

قد تكظم البزل منه حين يفجؤها
حتى تقطع في أعناقها الجرر

أي: إنه يفاجئ الإبل فتخاف، لأنها تعرفه بكثرة عقره (ذبحه) إياها للضيوف فتتوقف عن الجرة (الاجترار) خوفا منه. والبزل جمع البازل من الإبل: وهي التي تبلغ التاسعة من عمرها.

أما الحطيئة فيذكر أن مطيته كادت أن تلقيه هو والرحل من على ظهرها خوفا، عندما سمعت صوت هدهد، حيث قال:

وكادت على الأطواء أطواء ضارج
تساقطني والرحل من صوت هدهد

ويصف الأخطل سلوك ناقته عندما يخيفها ويكرر ضربها بسوطه فيقول:

إذا عاقبتها الكف بالسوط راوحت
على الأين والتبغيل بالخطران

بذي خصل سبط العسيب كأنه
على الحاذ والأنساء غصن أهان

كأن مقذيها إذا ما تحدرا
على واضح من ليتها وشلان

يقول: إنه إذا ضربها مرة بعد مرة ازدادت في سيرها وعدوها حتى وهي تعبة من العدو وهي تعدو عدواً يشبه عدو البغال وتحرك ذنبها، وهذا الذنب طويل سبط ذو خصل وهو على ظاهر فخذها وأنسائها كقنو النخلة اليابس الذي لا تمر فيه.



أمَّا المخبل السعدي فيذكر أنه إذا رفع سوطه فإن ناقته تخاف من ذلك، وهذا الخوف ناتج عن قلبها (المروع) الموجود بين ضلوعها، قال:

وإذا رفعتُ السوط أفزعها

تحت الضلوع مروع شهم

وسيمرّ بك لاحقاً سلوك الناقة عندما يطاردها الفحل، ونذكر هنا بعض الأبيات التي تدل على خوف الناقة من الفحل. يقول ذو الرمة:

فيلوين بالأذناب خوفاً وطاعة

لأشوس نظار إلى كل راكب

يقول: هذه النوق تلوي أذنابها خوفا وطاعة إلى الأشوس وهو الفحل الذي ينظر لها بمؤخرة عينه. ويقول ذو الرمة:

إذا ما دعاها أوزغت بكراتها

كإيزاغ آثار المدى بالترائب

يقول إن النوق إذا دعاها الفحل خافت حتى إنها أثناء بولها تتبول على دفعات من شدة الخوف.

والخوف صفة في كل مخلوق يدرك الخطر، وهو في الإبل دليل على الأصالة. فجميع الصفات السابقة صفات مرغوبة في الإبل الأصايل.

أما الورّ من الإبل فهو عكس الحُر وهو ثقيل في السَير لا يخيفه الضرب ولا تفزعه القرقعة بالشنان لبلاهته، وصبره قريب من صبر الحمار وهذا النوع غير مرغوب فيه إلا في السني وحمل الأحمال الثقيلة.

وهناك الكثير من القصائد العربية والشعبية التي تمجد صفة الخوف والحذر الذي تمتاز به الذلول، فتوصف بطيور الشياهين في سرعتها وحيويتها وحذرها وشجاعتها. وقد أسهم الشعراء الشعبيون في الصفات التي أشار إليها شعراء العربية بما تراه مفصلاً في موضعه، ونقتطف منه نماذج هنا للاستشهاد. وممن أشار إلى هذه الصفات خلف أبو زويد الشمري بقوله:

يجوز جفله بالخلاوي على الكيف

وعادك تحط المزهبة لين تشتال

وقال محسن بن علي التميمي:

بالقايله عد الفراعين فوقه

أسرع من الشيهان يوم استشاله

وقال فهيد بن دحيم:

راكبٍ حمرا من العوجا هميم

تجفل ليا شافت سمار ظلالها

وقال فهد بن فهيد الجلعود:

لى من ردن الثوب للمتن لمس

تفز تقل ملاطفه سعلواني

وقال محمد بن عبد الله العوني:

راكبٍ فوق حرٍّ يذعره ظله

مثل طيرٍ كفخ من كف قضّابه

وقال ساكر الخمشي العنزي:



بـالقـايـلـه لى جـا يـدادي قريـنـه

شـرّاب خمـر وسامـع طقـة الـطار

بعض أسماء الإبل المأخوذة من طباعها وصفاتها. سمى العرب كل مسلك أو طبع أو صفة للإبل باسم خاص به، وقد عرف التراث العربي عدداً من هذه الأسماء، منها:

الأَسْوَق: وهو البعير الذي يعوّد على السني، ويقال له: مـطواع. ويقولـون: أبلـمت الناقـة إبلاماً إذا كانـت لا ترغو (ترغي) من شدة الغِلمة، فهي مُبلم، وبها بلمة شديدة. والإبلام كذلك وضع (البلام) على فـم البعير أو النـاقة. والزغد هدير الفحل وهو الهدير الذي لا يكاد ينقطع.

والخلاء في الإبل كالحران في الدواب، يقال: خلأت الناقة أي بركت ولم تبرح. وفي الحـديث أن ناقـة النبـي صلى ﷺ خلأت يـوم الحديبـية، فـقالوا: خـلأت القـصواء، فـقال رسـول اللـه ﷺ: ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبـسها حابس الفـيل. كما أنّ اللجان فـي الإبل كالحران في الخيل، وندَّ البعير إذا شرد.

والبعير الـدجون ما عود على أكل بعض الأطـعمة مثل الحـبوب والتمر، والناقة المذعان المذللة.

والقعـدة من الإبل ما اتخذه الـراعي للركوب وحمل الزاد والمتاع. ومنها الدلُّوه الإبل التي لا تكاد تحن إلى إلف ولا ولد.

أما إذا حنت النـاقة فترزم والرزمة ضرب من حنينها لولدها. والظئر الناقة العـاطفة على غير ولدها.

وإذا رفع الفحـل ذنبه مرة بعد مرة وضرب به حاديه، قالوا: خطر الفحل والاسم الخطران.

ويقولون: شالت الناقة بذنبها وأشالته واستشالته، إذا رفعته، والشائلة من الإبل التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها، والجمع شول، وقيل: الشول من الإبل التي نقصت ألبانها، وذلك إذا فصل ولدها عند طلوع سهيل فلا تزال شولاً حتى يرسل فيها الفحل. والمصعب الفحل الذي يودع للفِحْلَة، لا يركب ولا يعمل عليه. كما يطلق على الهجين الذي لم يعسف بعد. والقريع الفحل الذي يأخذ بذراع الناقة حتى ينيخها.

وقالوا عن الحمل: نـاقة عشراء أي مضى على لقاحها عشرة أشهر أو ثمانية، والعشراء من الإبل كالنفساء من النساء، والعشار اسم يقع على النوق حتى ينتج بعضها، وبعضها ينتظر نتاجها.

والمخاض الـتي دنا وقـت ولادتهـا وأخذها الطلق، والمخـاض اللواقح من النوق وقيل: التي أولادها في بطونها، وقيل: المخاض العـشار من النوق التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر.



تناسل الإبل وأعمارها

الجهاز التناسلي للناقة

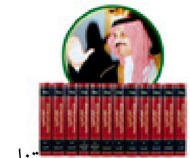
المبيض. يشبه المبيض في تركيبه حبة البازلاء أو ثمرة البندقة. ويحتوي على جيوب بيضية عديدة، مما يعطيه شكلاً خارجياً يشبه عنقود العنب، يختفي تحت قبة رحمية عريضة. ويبلغ طول المبيض في النوق ذات السنام الواحد حوالي البوصة (٥,٢ إلى ٣ سم). ويوصف المبيض بأنه فصيص مستدير الشكل خال في مظهره من نقرة التبييض. وعرضه ما بين ٥,١-٢سم، وسمكه من ٨,٠سم-١ سم.



حياء الناقة

أما مبيض الناقة ذات السنامين، في حالة عدم التبييض، فيبلغ ما بين ٤-٥سم طولاً و٥,١-٢سم سمكاً ويصل عرضه إلى نحو ٣سم. ويبلغ وزن المبيض في الناقة حوالي ٢-٣ جرام. وقد وجد عدد من الباحثين أن هناك علاقة واضحة بين حجم المبيض عند الناقة وأنماط النشاط الجنسي لها.

الرحم. ينقسم رحم الناقة داخلياً إلى جزءين، يفصل بينهما غشاء، يبدأ من نقطة التحام فرعي الرحم حتى مقدمة العنق وتسميها البادية الحلق. ويتفرع فرعا الرحم بزاوية قائمة تقريباً، ويكون الفرع الأيسر أطول من الأيمن، ويبلغ طول



الرحم عند الناقة البكر حوالي ١٥ سم وعرضه ٥ سم. ويوجد الرحم في المنطقة التي بين الحوض والتجويف الأسفل للبطن، ويمتاز بوجود تجويف العنق القابل للاتساع والذي يقع ما بين ٣-٤سم. وتفتح قناة الرحم في تجويف الحياء (الفرْج من ذوات الخفّ والظلف)، مكونة فتحة المهبل، التي تحاط بثلاث أو أربع طيات دائرية حادة من الأغشية المخاطية المرتبطة بالحياء.

الغدة النخامية. هي غدة بيضية الشكل، وتوجد تحت قاعدة المخ في تجويف صغير يسمى الكهف النخامي. وتربط قناة صغيرة تسمى القمع أو الغدة النخامية بقاعدة المخ، ويفصل الغدة النخامية عن الدماغ نسيج ليفي يسمى الحجاب، حيث تمر من خلاله قناة القمع. وخلال فصل تناسل الإبل تكون الناقة مستعدة للتلقيح لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، وقد تزيد. ويتبع هذه الفترة ١٠-٢٠ يوماً من الشبق.

ومن الصفات التي تطلق على الناقة وهي في هذه الحالة الضبعة، وهي شدة شهوة الناقة للفحل، وناقة مضبعة اشتهت الفحل فهي ضابع، وهوست الناقة اشتدت ضبعتها. والهدمة الناقة التي تقع من شدة الضبعة.

فإذا لم تُلقح خلال إحدى هذه الدورات فإن الدورة تعاد مرة أخرى. ومن المعتقد أن نشاط مبيض الناقة يتغير بتغير الفصول من السنة، مع وجود نشاط مبيضي كبير في الشتاء (الفترة الواقعة بين شهر ديسمبر ومارس). ويعد معدل الإخصاب في الإبل منخفضاً بمقارنته بالحيوانات المستأنسة الأخرى. ويرجع السبب في ذلك إلى طول الفترة اللازمة لنضج الذكر من الناحية الجنسية، وكثرة موت الأجنة، إضافة للتركيب التشريحي غير العادي للجهاز التناسلي في الأنثى (الصانع ١٩٨٤ : ٨٩-٩٦).

ضراب الإبل

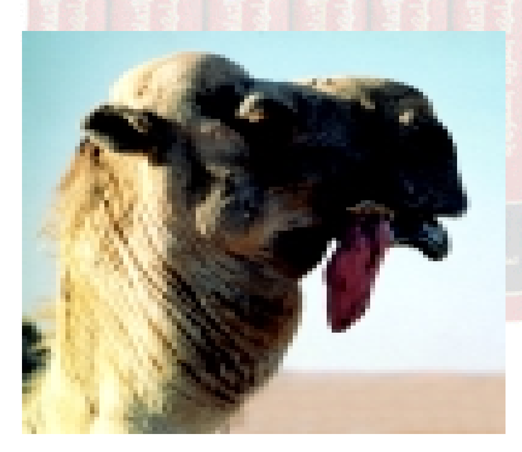
يختلف موسم تناسل الإبل باختلاف المناطق، ولكن المألوف أنه مصاحب لحلول الفصول الرطبة، وقد يحدث التناسل في فصل الصيف. وتصبح ذكور الإبل بالغة جنسياً عندما تبلغ من العمر ٤ إلى ٥ سنوات، بينما تبلغ الإناث عند عمر ٣ إلى ٤ سنوات. ومع هذا، فهي لا تتكاثر إلا عندما تكبر، والأنثى تظل قادرة على الإنجاب حتى يصل عمرها إلى ثلاثين سنة، وفترة الحمل في النياق سنة كاملة إلاّ إذا جَرَّتْ الناقة، فقد يصل الحمل إلى ١٤ شهراً.



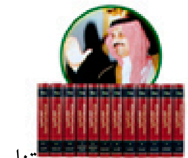
ويصبح البعير قادراً على الضراب وهو جَذَع (ابـن خمس سـنوات)، وتقول البادية «الجذع لذع والثني وني» أي أن الجذع لديه القـدرة على كثرة الضراب ولكنه ضـراب قد لا يُلقح؛ أما الثـني فتطول الفترة لديه بين ضراب وآخر ولكنه أقدر على الإلقاح من الجذع. ويصبح البعير فحلاً كاملاً عندما يكون رباعاً. وعلى كل حال فإن لقـاح الأنثى وهي صغيرة السن (بين ٣-٤ سنوات) مضر بها، إذ إنَّ رحـمها يكون ما يـزال في طور النمو والاكتمال.

وهياج الإبل عادة في فصل الشتاء، عندما تبرد الأرض ويبدأ النبات بالظهور. وذلك في بداية شهر أكتوبر حتى نهايـة مارس تقريباً. يقوم الجمل أثناء هيجانه، خلال فصل التـلقيح، وحتى في غيره من الفـصول، بشم المنـطقة التـناسلية للأنثى، وبولها أو بعرها (دمنها) ثم يكرر ذلك، وتكـون مدة الشم عنـد التكرار أطول، وتقول البادية يكرفها. ثم يرفع الجمل رأسه عاليـاً مع فتل شفته العليـا إلى الخلف، وهذه المغازلة مشابهة لمغازلة الحيوانات الأخـرى المزدوجة الأصابع. وقد يعض الجمل الأنثى، قرب منطقتها التناسلية أو خـلف السنام، وفي بعض الأحيان تكون العـضة قوية حتى يسيل منهـا الدم. وقد وجد أن هذا السـلوك يحدث أيضاً بين الإناث والذكور المخصية ولايحدث رفع الرأس مع فتل الشفة العليا فقط عـند شم الجمـل رائحة البـول أو الدمن.

كما وجد أن الجمـل العربي عندما يقترب من أنثاه فإنه يطلق هديراً متكرراً، مع رفع رأسه عاليـاً وهو ما يفعله عند القتـال. ثم يقوم الجمل الـهائج بإبراز شقشـقته، ويسميـها البدو هدّاره (مـن الهدير) ونفخهـا، ويحك مؤخرة رأسه (قذاله) بكتفه. وقد لوحظ أن الـفحول المعزولة عن إناثها أثناء فصل الهياج تظهر هدارتها عـنـد سماعها لصوت الأنثى، حتـى ولو لم تـكن تراهـا. وبالمقـابل تستجيب الأنثى لهذه المغازلة مع إظهار رغبتـها ورضاها، حـيث تقوم بـفحج أرجلها الخلفـية بعضها عن بعض، ثم

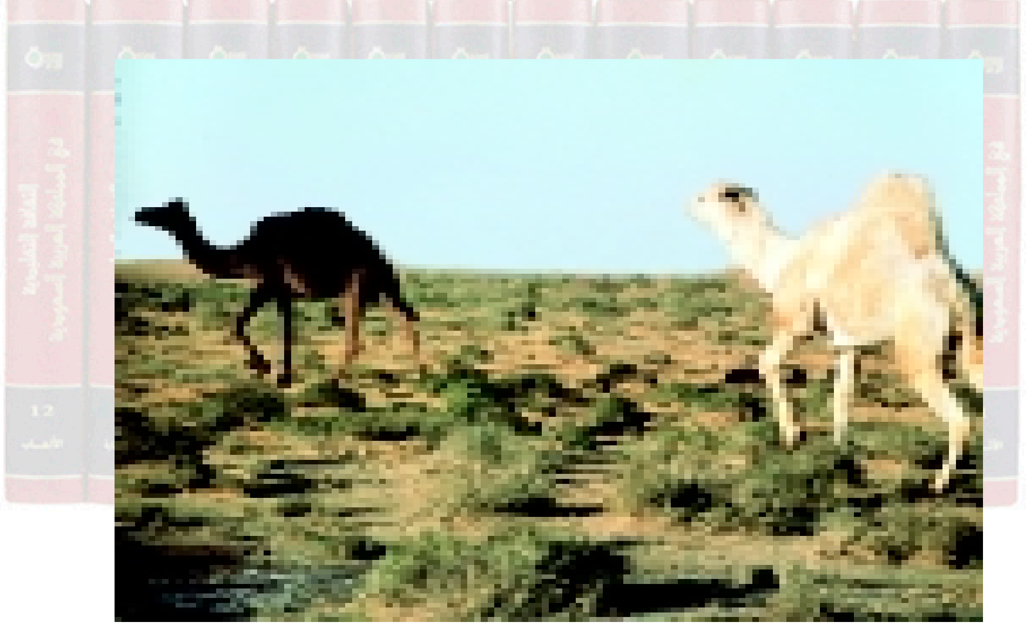


الفحل الهائج يظهر هدارته قبل الضراب



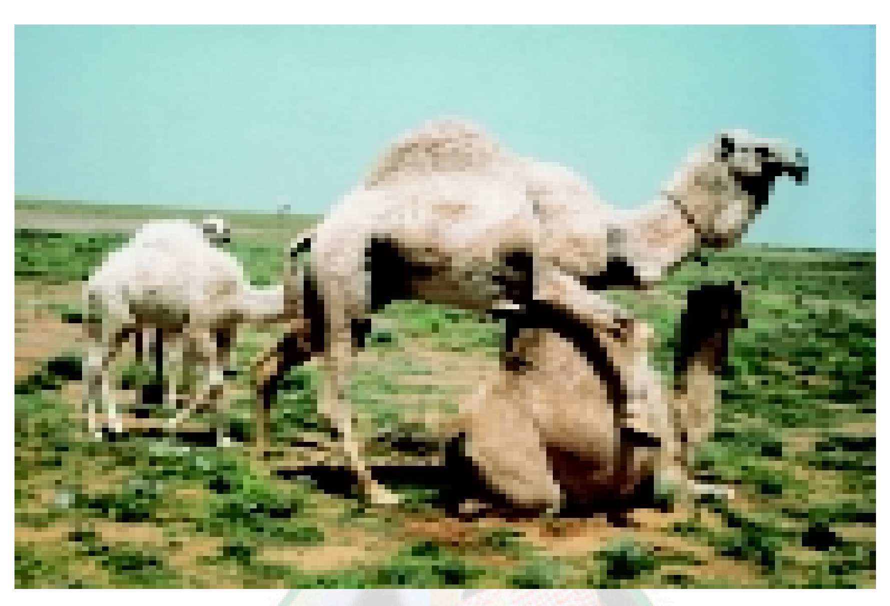
تتبول ببطء أمام الفحل مبدية أعـضاءها التناسلية، وقد تقوم بحك جانبها بجانبه فتزيد من هيجانه. أما الأنثى المعزولة أو المحجوزة مع الفحل فتقوم بالرغاء بشدة وتتمرغ على الأرض، كما تدفع الفحل وتتبول باستمرار وعلى فترات، وتخبط الأرض بأرجلها مع القفز والرمح، ويقال لها مجسِّر.

والإبل هي الحيوانـات الوحيدة من ذات الخف التي تـقوم بعملية الضـراب وهي باركة عـلى الأرض. وعادة تبرك الأنثى، وهي في حالة التجسـير، على الأرض تلـقائياً، عـندما يقـترب منـها الفحل. أما إذا لم تفعل ذلك فإن الفحل يرغمها على البروك بإحدى وسائله؛ كأن يقوم بتمرير أنفه على طول رأسها ورقبتها وجانبها حتى يصل إلى منطقتها التناسلية. فيفرك أنفه ويحكه بها، كما يحكها برقبته أيضاً، ثم يضع رقبته على رقبتها أو على ظهرها، ويضغط عليها إلى أسفل بثقله الكامل، وتـقول البادية يحـنكها. فإذا استـمرت الناقـة في المعارضـة، وعدم الاستجابة للفحل فإنه يقوم بـعضها في يدها أو فـي العرقوب، وعنـد هروبها يعضها في ذنبها أو ظهرها، وهذا العض يمنعها من المشي ويضطرها للبروك على الأرض. وإذا حاولت الهـرب منه فإنه يطاردها، ورقبته ممدودة إلى الأمام مثلما يفعل عنـدما يطارد فحلاً آخر، وتقول البادية يسنّها.



الفحل يطارد الناقة





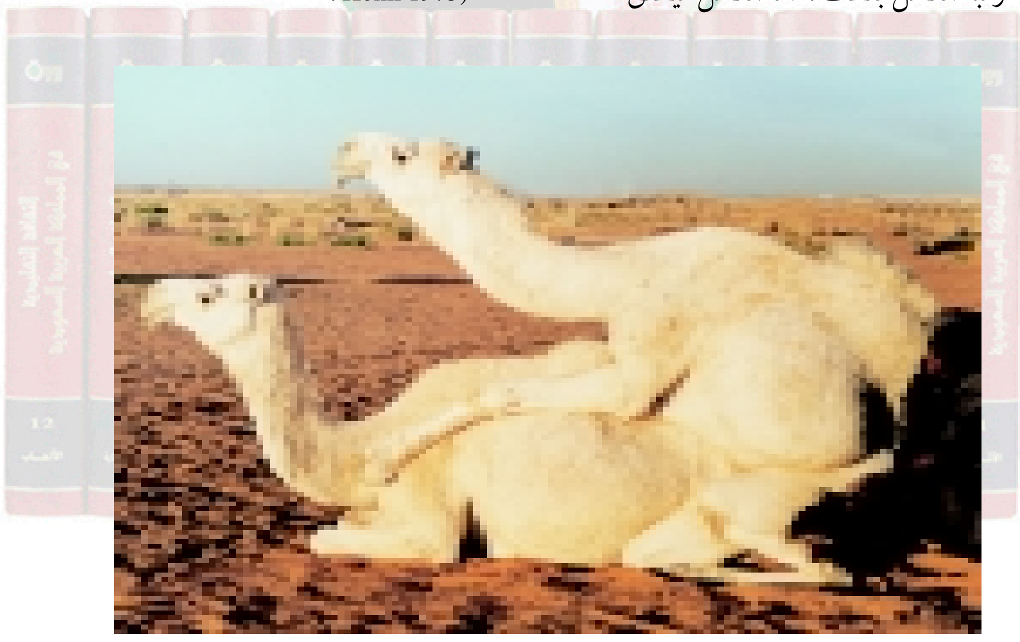
الفحل يضع يديه الأمامية على كتفي الناقة

وهنالك العديد من الاعتقادات الخاطئة حول هذه العملية؛ منها أن الجمل لا يلقّح الناقة بحضور الإنسان، أو أن الجمل ينزوي بناقته بعيداً عن القطيع والإنسان وباقي الحيوانات الأخرى، ويعتقد بعض الناس أن عملية التلقيح تتم بوضع تكون فيه مؤخرة الجمل مقابلة لمؤخرة الأنثى؛ نظراً لأن القضيب يخرج من جرابه متجهاً نحو الخلف. وجميع هذه الاعتقادات غير صحيحة، وربما صدرت عن بعض من ليس له علم أو مشاهدة، وقد نفاها الباحثون والمهتمون عرباً وغير عرب؛ ذكرت جوذير بلترز وداج أنهما شاهدتا ضراباً بين الفحول ونوقها في عام ١٩٧٦م، على الرغم مما يشاع عن عدم استعدادها للضراب في وسط الناس، ومع وجود حيوانات أخرى حولها، وكان ذلك عقب فترة طويلة من الجفاف وصلت للعامين. ووجد أن وضع الضراب بين زوجين من الإبل يحفز الإبل الأخرى التي حولها للقيام بالعمل ذاته (Gauthier-Pilters and Dagg 1981).

ووصف بعض العلماء عملية ضراب الإبل فقال:

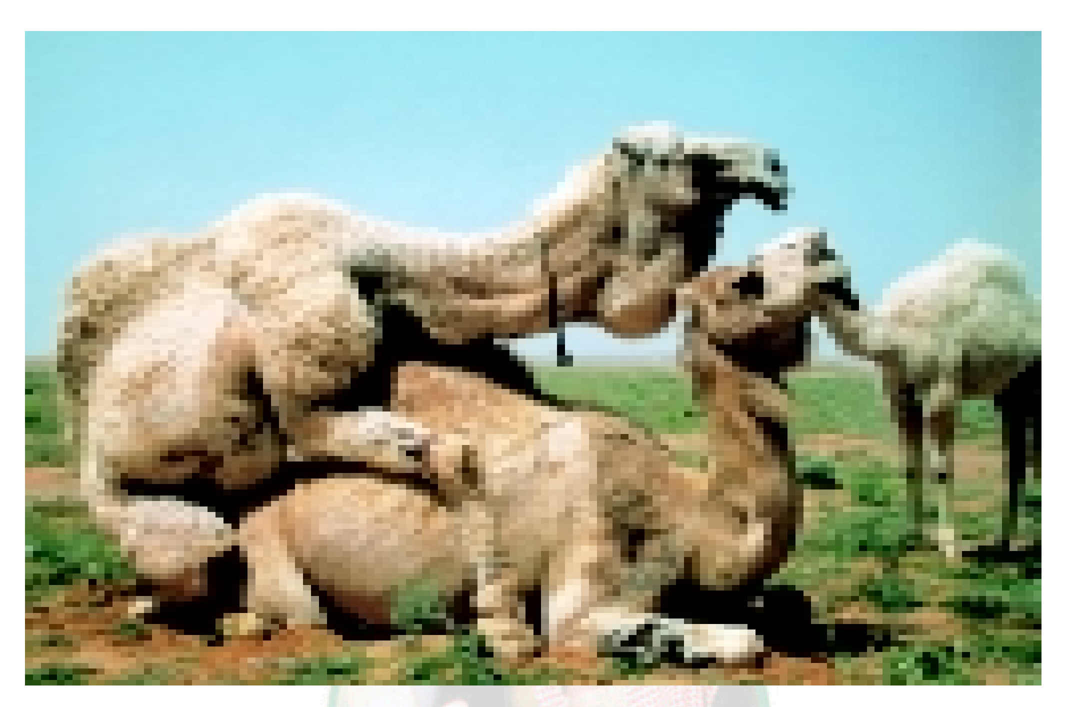
> يركب الجمل أنثاه بعد بروكها، بوضع يديه الأمامية على جانبي كتفيها، ورجليه الخلفية على كل من جانبي حوضها، ومن ثم يقعي عليها، ويقال انسحل الجمل على الناقة. وبهذه الطريقة فإن الكركرة

تستريح على مؤخرة سنامها، ويداه الأماميتان تظلان ممدودتين وملامستين للأرض، بينما رجلاه الخلفيتان تظلان مثنيتين تماماً. والمساحة بين العقب والعرقوب تستريح على الأرض، بينما يمتد الرأس والرقبة إلى الأمام مستقيماً ومرتفعاً فوق رقبة الأنثى. ويستمر الذكر والأنثى على هذا الوضع لمدة تتراوح من ١٠-٢٠ دقيقة، حيث يقذف الفحل حيواناته المنوية ثلاث أو أربع مرات خلال هذه الفترة. وتقوم الأنثى أثناء عملية الضراب بعدة حركات، فهي تنخر في بعض الأحيان، وتعض رقبة الفحل بلطف. أما الفحل فيطلق أصواتاً خفيفة منخفضة تسمى إرزام، مع إفراز اللعاب من فمه (يسَعبِل أو يزبد)، وإخراج هدارته ونفخها. وبعد انتهاء العملية يسقط الفحل نفسه جانبا عن الناقة قبل وقوفه على قوائمه. وتحتاج عملية الضراب إلى شيء من التدريب، بأن يقف المدرب أمام الجمل إذا أراد ضراب الناقة، كلما رآه يريد أن يبرك على سنامها وخزه بعصاه في نحره إلى أن يراه ينزل مؤخرته على مؤخرتها فيتركه. ويكرر الفحل هذه العملية عدة مرات مع نياق أخرى فيتعلم الجمل الانسحال ويترك البروك (Khan and Kohli 1973).



الراعي يساعد الفحل في عملية الضراب

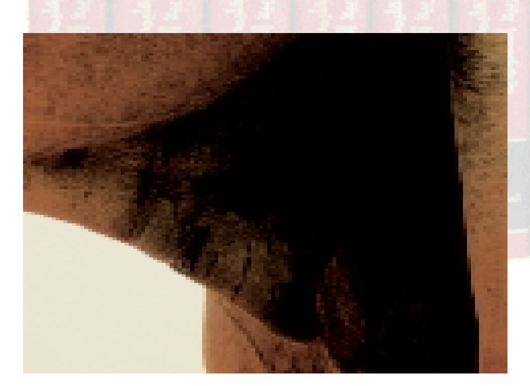




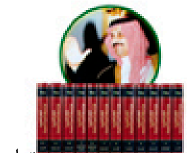
الاحتضان الكامل

ولاحظ عدد من الباحثين أنه في المناطق التي تعيش فيها الإبل العربية (ذات السنام الواحد)، مع الإبل البكتيرية (ذات السنامين)، فإن عملية الضراب بينهما تكون خطيرة جداً. فإذا كان الفحل ذا سنام واحد، والأنثى ذات سنامين، فإن الفحل في هذه الحالة يمكن أن يسبب لها ضرراً، وذلك بأن يثب على سنامها الثاني ويجعلها تتدحرج على جانبها ويصبح وضعها خطراً في هذه الحالة. أما عندما يكون الفحل ذا سنامين، والناقة ذات سنام واحد، فإن الفحل في هذه الحالة يمكن أن يفقد توازنه أثناء الضراب ويسقط، ويرجع ذلك لقصر أرجله مقارنة بأرجل الجمل العربي.

ويبلغ الجمل نضجه الجنسي عندما يتراوح عمره بين ٤-٥ سنوات، ومع هذا فإنه لا يقوم بتلقيح أنثاه إلا في سن



غطاء ذكر البعير قبل شقه



متقدمة عن ذلك؛ لأنّ على قضيب البعير غطاء أحمر لا يلقح حتى يستطيع شقه بذكره، وربما حدث ذلك وهو جذعْ أو تأخر إلى أن يصبح ثِنِيْ وهناك من البادية من يقوم بشق ذلك الغطاء، كما تقوم البادية بتعليم الفحل عملية الضراب فيدرب على أن ينسحل بيسر على الناقة ويمنعونه من البروك بزوره على سنامها حتى لا يكسر سنامها وخاصة إذا كانت سمينة.

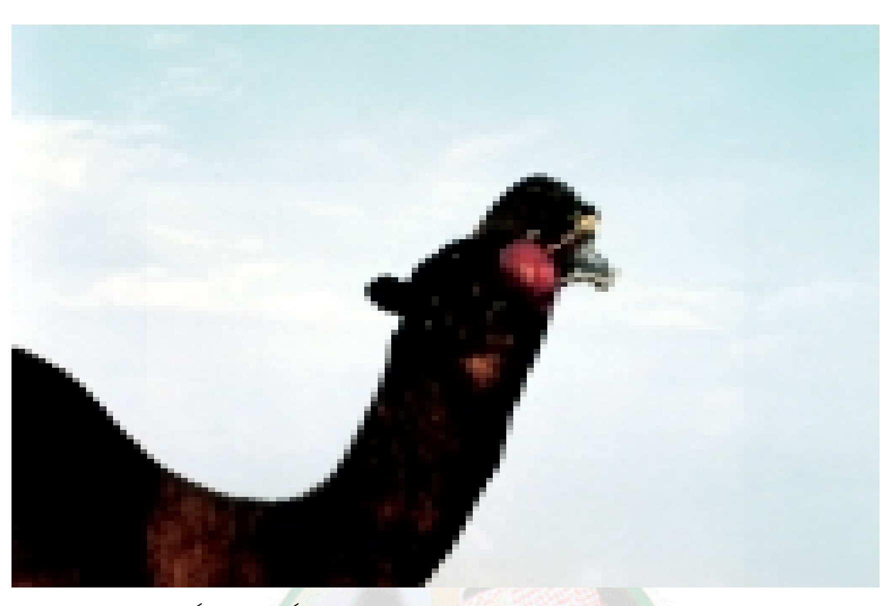
وقد لوحظ أن الفحول من الإبل أثناء فصل الهياج تسلك مسلكاً عدوانياً مخيفاً، عند تلقيح إناثها، حتى إن بعضها قد يقتل الحيوانات الأخرى التي تعترض طريقه بل قد يقتل الإنسان. وأثناء ذلك تقوم الفحول بحك مؤخرة رؤوسها بأكتافها، حيث تفرز الغدة القذالية موادها بغزارة. أما الفحول المحجوزة التي ورد فيها المثل «يهدر في العِنّه» فهي تحاول الهرب من محجزها أو من عملها إذا كانت تستخدم لغرض من الأغراض، مع إطلاق أصواتها وتتدلى هدارتها، وهي في حالة حجزها لا تأكل إلا القليل، وتصبح ضعيفة وهزيلة. ومثل هذه الفحول يمكن للواحد منها أن يلقح حوالي ٧٠ ناقة في الموسم. ونتأمل هنا حكمة الخالق سبحانه في أن هذه الفحول الهائجة تمتنع عن الأكل وتضمر بطونها وتخف أجسامها فلا يؤذي الفحل الناقة عند ضرابها وهو يضغط على سنامها؛ فسبحان الخالق الحكيم الذي أمرنا بالنظر إلى الإبل في قوله تعالى ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ (الغاشية: ١٧).

وفحص كلٌّ من الهواوي ويوسف الحيوانات المنوية للجمل العربي باستخدام المجهر الإلكتروني، ولاحظا وجود حيوانات منوية كاملة التكوين في الجمال التي يبلغ عمرها حوالي ست سنوات.

ولوحظ أنه يمكن لفحلين من الجمال الهائجة أن يتقاتلا معاً حتى الموت للحصول على الأنثى أيهما يظفر بها. وهذا السلوك غير معروف أو مألوف في الحيوانات الأخرى ذوات الحافر. ولا ينحصر خطر هذا القتال على الفحول الهائجة فحسب، بل قد يتعداه إلى الإنسان. وفيما يلي وصف لبعض التغيرات الفسيولوجية التي يمكن مشاهدتها على الجمال الهائجة.

عندما يرى البعير الهائج إنساناً أو حيواناً فإنه يتجه إليه رافعاً رأسه على قدر استطاعته، هادراً بخفض رأسه ويعيد رفعه عالياً، ثم يثنيه إلى الخلف ليظهر الشعر الشجيري تحت ذقنه، وفي الوقت نفسه يصك بعض أسنانه وأضراسه وأنيابه

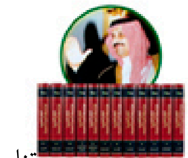




الفحل الهائج يظهر هدارته إذا رأى إنساناً أو حيواناً

فوق بعض محدثاً صوتاً (يضرس)، وربما يفعل ذلك استعداداً للعض. وأثناء ذلك يسيل اللعاب من فمه بكثرة ويطفح عليه الزبد. يصاحب ذلك انتفاخ الهداره وبروزها خارج الفم. والهداره عبارة عن كيس أحمر اللون يتكون من الجزء البطني الجانبي للفم حيث يملأ بالهواء بواسطة القصبة الهوائية، عند إغلاق الفتحات الداخلية للأنف. ويوجد كيس الشقشقة (الهداره) في جميع الجمال البالغة، وهو صغير في الإناث ولا يبرز خارج الفم. ويزداد كيس الهدارة طولاً عند الفحول خلال الفصل البارد، وقد يصل إلى أكثر من ٣٦سم طولاً. ووزنه في الجمال الهائجة أكثر من ٢٢٣ جراماً. ويعتبر هذا التركيب، دون شك، ظاهرة مميزة لجنس الجمل العربي دون الجمل ذي السنامين.

أما سلوك الجمال الهائجة المتعاركة فإنه عندما يتقابل جملان هائجان فإن أحدهما يقف بعيداً عن الآخر عدة أمتار، ويفتح رجليه الخلفيتين فتحة متسعة، ثم يتبول على ذيله الذي يحركه بقوة إلى الأمام والخلف بين رجليه، وتقول البادية «يلاسب» أو «يشاخر»، وكما هو معروف فإن البعير يوجه البول إلى الخلف، ثم يرفع ذيله المبلل بالبول إلى أعلى، ويضرب به الجزء الخلفي من جسمه، ويكرر الضرب بسرعة وشدة محدثاً صوتاً مسموعاً. فتتناثر



قطرات البول، من أثر الضرب، متفرقة لعدة أمتار.

وكلما كان الجمل أشد هياجاً، كانت زاوية انفتاح رجليه الخلفيتين أوسع، ودرجة انثناء ركبتيه أكبر، وضربات ذيله أسرع وأقوى. وقد يَحْدُث الضرب بالذيل دون أن يتبول. وتنتهي هذه العملية المثيرة بانسحاب أحد الفحلين قبل وقوع المعركة. أما إذا لم ينسحب أي منهما، فإن أحدهما يهاجم الآخر بالعض محاولاً إسقاطه على الأرض. فإذا هرب طارده وعضه في فخذيه وخاصرتيه وعرقوبيه ويديه وذيله. وأما إذا تقابلا فيبدآن بالعض والدعك والعرك بالأكتاف، حتى إذا سقط أحدهما بدأ المنتصر يعركه بزوره ويعضه ويضع رأسه بين يده ورأسه ويقوم بخنقه، فلا تنتهي المعركة إلا بموت أحد الجملين أو إنهاكه تماماً.

وعندما يقترب فحل غير هائج، من آخر هائج في وجود أنثاه، فإن الأخير يطرده بعيداً على الفور، دون أن يقوم بحركات التخويف، التي سبق وصفها، ودون أي سابق إنذار. فهو في هذه الحالة، يمد عنقه إلى الأمام ويبدأ بالمطاردة. وعند عودته إلى أنثاه فإنه قد يقوم بعرضه المروع كليا أو جزئياً. وخلال فترة الهيجان فإن الذكور الهائجة والبالغة، تتحمل وجود الجمال الصغيرة في قطيعها حتى تصل أعمارها إلى سنتين. ومع هذا فإذا أبدت بعض هذه الجمال الصغيرة، أية حركة قتالية في هذا الوقت، فإن الجمال البالغة تقترب منها، وتخيفها على النحو نفسه من السلوك السابق ذكره، حتى تكف عن حركاتها العدوانية.

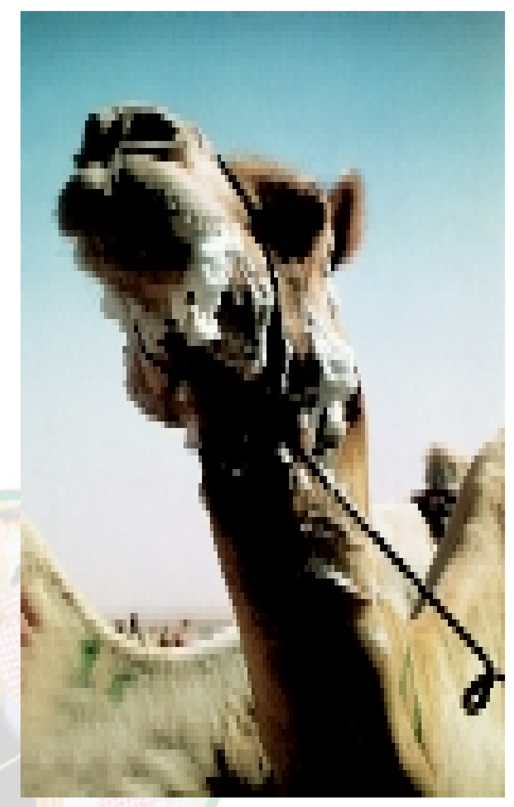
أشار السويداء إلى أنّ الهدير صوت الجمل الهائج حين يقترب من طروقته يريد ضرابها فيخرج الهداره من فمه، ويتكون الهدير من الكشيش (التزوام، من يزوم) وهو أول ما يسمع له من الأصوات، ثم التمتمة، وهي الصوت المتقطع، والذي يتمتم هو الجمل الذي لا هدارة له، ثم الهدير، وهو الصوت القوي المتصل وأشد درجاته البذخ. ويُشبَّهُ الإنسان المندفع بصوت مرتفع بهدير الجمل، قال الشاعر عبد الله بن فرحان القضاعي:

رغى عقاب التمتمه والهديري
من خوف مصقولٍ يقص العتاري

(١٤١٣، ج٢: ١٠٥)

أما الحبردي فقد ذكر أنه عندما يهيج الجمل، يبدأ بالهدير والإضراس بأنيابه. وتقترب منه النياق المجاسير. والجمل المكتمل، الذي يبلغ سنه أكثر من أربع سنوات، تظهر في فمه هدارة حمراء

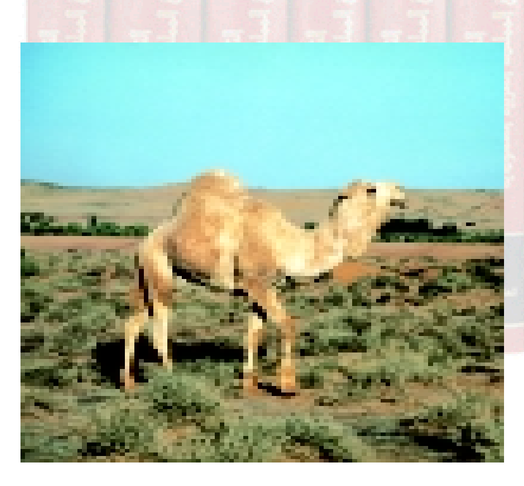




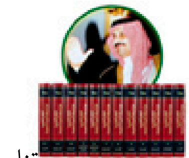
الرغاء والزبد

عند الهدير شبيهة بالرئة، ويخرج من فمه زبد أبيض بلون الثلج، ويصدر عنه صوت شبيه بهزيم الرعد، ويفرز عَرَقاً (صنان) خلف الأذنين، ويضرس بأنيابه بصوت يشبه الصفير تسميه البادية الصريف، وهو صوت احتكاك أنيابه بعضها ببعض من شدة الهياج. أما الذي لم يبلغ سن الفحولة من الذكور، فإنه يصدر تمتمة أقل من الهدير، ولا تظهر له هدارة، وإنما صوت خفيف وحركة ارتعاش في الأنف.

وعندما يهيج الجمل يكون الاقتراب منه، أو التعرض له، أو طرده عن النياق المجاسير ضرباً من التهور والمخاطرة. إذ إنه في هذه الحالة يزداد هياجاً، وقد يهجم على من يحاول إبعاده عن الإبل، ولا يدعه حتى يقضي عليه إذا لم يتم الاحتماء منه بجبل أو شجرة. وأحياناً يحتالون عليه برمي شيء من ملابسهم فوق شجرة فيهجم عليها ويدعكها بزوره (كلكله)، فيغتنمون هذه الفرصة للهرب منه. وعند الهياج يكون الجمل في حالة شبيهة بالسعار فيجتنب الأكل، إلا القليل، حتى يضمر جسمه. وعندما تُلقح الناقة فإن الفحل يجتنبها ولا يرغب في الاقتراب منها. ولكنه عكس ذلك في حالة الناقة التي لم تُلقح، فإنه ينطلق نحوها وقد تدلت رقبته وأخذ يضرب فكيه بعضهما ببعض.



فحل مقيد



وعندما يرغب صـاحب الإبل في معرفة الناقة الـتي لم تُلقح، فإنه يـطلق الجمل على مجموعة الإبل فيخرج الفحل تلك الناقة ويقوم بإعادة تـلقيحها مرة أخرى. وعندما ينتهي الجمل من تلقيح النياق فإنه في معظم الأحيان ينفر منها وينفرد عنها، لذلك يقيده صاحبه بقيد وهجار لكي لا يذهب بعيدا فيضيع في الصحراء.

ويذكر الحبردي أن الفحل يهدر وهو ثني، ولكن إذا ولد في المربعانية (وسط الشتاء) فإنه يهدر وهو جذع وقد يعتمد ذلك على نوع الغذاء، فكلما حسن غذاء القَعُود كان أسرع للتهيـؤ للضراب. أما البكرة فإنها تُـلقح وهي ثنية وقد تلقح وهي حقة أو جذعة، ولكن الأفضل أن تلقح وهي ثنية.

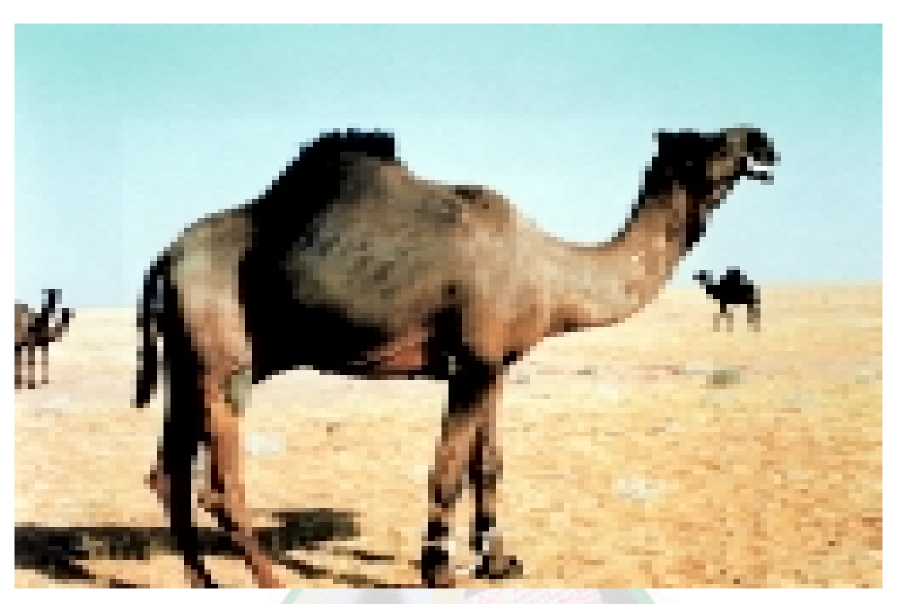
ولا بدّ من اختـيار فحل الإبل عن خبرة ومعرفة، فالإبل المغـاتير يختارون لها فحلاً أوضح، وللمجاهيم فحلاً أسود غورياً أو أملح، وللحمر فحلاً أحمر.

ويكون مع الرعية (القطيع) المتوسطة من الإبل فحل واحدٌ، ولا يطلق فحلان إلاّ في رعيتين متفرقتين. وقد تحفظ سلالة صغيرة لتكون فحولاً في المستقبل لجمل مرغوب فـي جنسه أو يكون ابـناً لناقة مشهورة بالـلبن أو السرعة. وكلما زاد القطيع من الإبل زاد عدد الفحول.

وفي معتقد البادية، ولعله الصحيح، أن الناقة ماعون والمعتمد في السلالة هو الفحل. فهناك فحول يكون نتاجها جيداً وشبيهاً بها، إذا كانت تتمتع بالمواصفات المطلوبـة في الجيد والكريم من الإبل. وهناك فحول تشبه فحول النخل، يكون نتاجهـا شبيهاً بأمـهاتها. لذلك عنـدما ترغب البادية فـي تحسين السلالة تعمد إلى النوع الأول من الفحول للضراب، وأما إذا كانت الناقة طيبة فتـعمد البادية إلى النوع الثاني من الفحول للضراب، وإن كان ذلك قليل الحدوث.

ويُفضل في الفحل المجهم أن تكون مشافره طافية وله سبلة، وحنك طويل، وعرنون مرتـفع يكاد يشبه جلـده حتى ليبدو وكـأنه أفنس، وأن تكون الفنـسة عريضة. ويرغبون فيما كان رأسه كبيراً واضح الكبـر، وأذناه طويلتين حادتـين متقاربتي الرأسين وكأنهما قرنا تيس ظباء. وأن تكون له معارف طويلة، ورقبة طويلة جليـلة ممتدة للأمـام بتوسط، فلا هـي الممتدة كـثيراً حتى لا يكون أحـبط ولا معوجة كثيراً حتى لا يكون أعج، وإذا التفت استدار رأسه كاملاً دون أن يثنـي رقبته. وأن يكون غاربه طويلاً ممتداً مرتفعاً (سناد)، ويكون سـنامه مرتفعاً مقـوساً عريض الجنبين، وأن يكون رأس سنامه





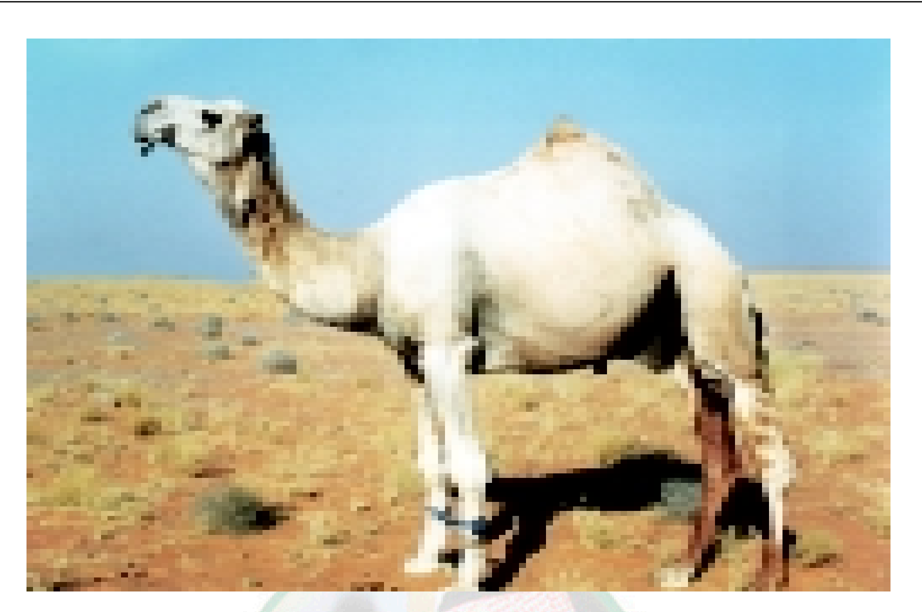
فحل مجاهيم أصهب

مقابلاً لسرته وكأنما ركب عليها، له وبر محلَّق، أي ذا حلق اجعش، معكرش، وأن يكون عجزه كبيراً عريضاً، وعكرة ذنبه عـريضة، وأن يكـون ذيله جلـيلاً متوسط الطول ذا هلب طويل.

أما فخذه فيفضلونـه عريضاً مكتنزاً باللحم، وأن يكون عرقوباه لا مركوزين ولا منخفضين، أعقـل واسع ما بينهما وأن يكون عظماهما عريضين، وأن تكون عظمة الساق عريضة أيضاً. ويستحبون ما كان خف رجله واسعاً طويل الشقر، وخف يده واسع الاستدارة طويل الشقر، وعظام ذراعه وعضـده عريضة وكذلك عظم الكتف، وأن يكون الزور واسعاً. ويفضلون أيضاً أن يكون الفحل طويـلاً مرتفعاً، ويقاس ذلك بالمسافة بين أعلى نقطة في الغارب وخف اليد. وأن يكون عريض الجنب ذا شقة واسـعة، وتقاس بسعة المسافة بين عظمة الـكتف وعظمة الورك النـاتئتين. كمـا يحبونه أكـولاً، يشرب بنهم وشراهة، أسود اللون غورياً أو أصهب مورَّساً (أصفر) وإن لم يكن فأملح. ويشترطون فيه أن يقوم عند عملية الضراب بالانسحال (الإقعاء) فلا يـبرك فيضر الناقة بثقله. وأن يتم التعرف عليه في وسط الإبل عـن بعد لكبره وعلـوه وكأنه هضبة سوداء.

فإن كانت هذه المواصفـات مكتملة فيه فيرغب منها الذي يجذب نتاجه إلى شبهه فتـكون جميعها تشبـهه. وإن لم





فحل مغاتير

تكن هذه المواصفات مجتمعة فيه يرغب في الذي يكون نتاجه يشبه أمه وجدته وأخواته من الفحل، على أن يكنَّ جميعاً يحملن المواصفات المطلوبة. أما إذا كان نتاجه يشبه لأم المنتج، أي كأنه فحل نخل فلا يهد إلا في ذات المواصفات الجمالية العالية حتى تلد الأم ما يشبهها.

هذه مواصفات الفحل المجهم، ويلاحظ أن الفحل المغتر يشترك معه في جميع المواصفات ما عدا ثلاث منها تتعلّق بالأذن واللّون والعراقيب؛ فالأذن المرغوبة في الفحل المغتر هي المستديرة الخرعاء أي المتأخرة عن هامته. أما لونه فيشترط أن يكون من لون المغاتير التي هو فيها؛ فإن كن وُضحاً كان أوضح، وإن كن صُفراً كان أصفر، وإن كن شُقحاً كان أشقح، وإن كن شُعلاً كان أشعل. ولا يهتم في الفحل المغتر بصفة عراقيبه.

وتسمى الفحول من الإبل غير المرغوبة في التلقيح لعدم أصالتها العكد، وهي من الإبل بطيئة الجري متوسطة الجسم كثيرة الرغاء صعبة الطباع.

وإذا لقح الفحل النجيب ناقة غير نجيبة قيل لنتاجها السباطي. ويضيف الشراري أن الفحل يلقح عدة نياق في اليوم لا تقل عن ثلاث أو أربع. وفترة التضريب للفحل تختلف حسب قوة التحمل، فقد تكون بحدود ربع ساعة وقد تزيد أو تنقص. وإذا جسّرت الناقة





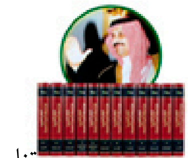
ناقة معشر، تشول (ترفع ذنبها) وترفع أنفها

وضبعت (طلبت الفحل) قبل الهداد (موسم الضراب) قيل «جسّرت بدريه»، وإذا عشرت الناقة (لقحت) ترفع ذنبها (تشول) عند اقتراب الفحل منها، وتتبول، فيعرف الفحل أنها لقحت، خاصة إذا شم بولها (وزرها). فإذا عاشر الفحل كل إناث الإبل التي في رعيته فإنه يفدر، ويقال «فدر البعير، وبعير فادر» فيهدأ هيجانه ويكف عن الضراب، فتألفه المعاشير من الإبل، وتقول البادية «نياق مربات فحلها» أي لا يذهبن عنه، فيصبح كالراعي لها.

وفي المثل «قالوا قلّت البل، قال اضرب الحقه» ويؤكد هذا المثل أن البكرة من الإبل لا تضرب إلاّ جذعة، ذلك أن ضرابها وهي حقة (وتسمى لقية في الجنوب) يؤذيها كثيراً، لأنها لا تحتمل الحمل لصغر بطنها وضيق حوضها. ويقصد بالمثل أن المضطر يضرب الحقة، بدلاً عن الجذعة، لزيادة عدد إبله.

ويقال للناقة التي لا تلقح إلاّ بعد أن تكون رباعْ أو بعد سنتين من آخر ولادة لها متخطريْ أو معديْ. وورد في اللسان أن الإمغال هو أن تراح الإبل (الناقة) من الحمل سنة، وتقول البادية نحيّلها، أي نتركها سنة أخرى من دون لقاح.

أما المهاة فهو ماء الفحل في رحم الناقة. وقالوا: أملصت الناقة فهي مملص، إذا رمت حوارها لغير تمام (إصعاد أو خداج). والمسي هو أن يدخل



الراعي يـده في رحم النـاقة يمسط ماء الفحل مـن رحمها (يبعده) كـراهية أن تلقح الناقة منه، وتقول البادية «نزف عنها ماء الفحل».

وتسمي البادية ماء الفحل المواه، وإذا فسد لقاح الناقة في الشهر الأول أو الثاني تقول البادية كسرت أو فيخت أو أفختت، أما إذا بينت اللقاح فيقال بشَّرت باللقاح أو أبرقت. فإذا تخلق الجنين في بطـنها ثم رمت به قيل أصعدت أو أهبدت، أما إذا رمت به وقـد نبت شعـره فيقال له خداج، وقد يسـمى إغراق أو إسباق. وإذا ولد قبل تمام شهور اللقاح وكان حياً يقال لـه عجال أو خداج، وعند بـلوغ الناقة الشهر الثاني عشر من لقاحها يقال لها «ناقة امرت» و«ناقة لاقت» أي وصلت بحملهـا للشهر الذي تم إلقاحهـا فيه. وإذا هلّ اليـوم الذي أضربت فيـه، أي تمام الاثني عشر شهراً قيل مزهزم. وإذا تعدى الجنين في بطنها الاثني عشر شهراً قيل للناقة ناقل أو تنقل، ولا تزيد هذه المدة عن شهرين. وإذا ضُربت الناقة بعد ولادتها وحوارها صغير، أي وهي خلفة فيقال ناقة كسوب، وهذا يؤدي إلى قلة لبنها وهزال حوارها لأنه لا يجد التغذية الكاملة، ولا تفعل البادية ذلك إلا في حالتـين؛ الأولى عندمـا يجدون بعيـراً مرغوباً في مواصفاته ويكون حوارها الذي ولدته من فحل غير مرغوب فيه، والثانية أن تكون الناقة طـيبة النتاج فيضربونـها الفحل، ويضيرون لابنها ناقة أخرى.

ما ورد في التراث عن هيجان الفحل

ورد ذكر حالة الجـمل العربي عنـد هيجـانه في عدد مـن مقولات التراث العربي شعراً ونثراً.

ولـقد تـعـوذ رسول الله ﷺ مـن الأَيهْمَين، وهما: السيل والجمل الهائج، ويسميان أيضاً الأعميان؛ لأنه لا يردهما شيء. وجاء في كتاب الحيوان للجاحظ قوله:

> وليس ذلك بـأعجب من شقشـقة الجمل العربي، فإنه يظهرها كالدلو، فإذا هو أعادها إلى لهاته تراجع ذلك الجلد إلى مـوضعه فلا يقدر أحـد عليه بلمس ولا عـين... وللجمل هيج وصيـاح... ويقيم على هذه الصفة عايـن أم لم يعاين الأنثى. والجمـال عنـد الاغتـلام وطلـب الضراب فإنها، وإن تركت الشرب والأكل أياماً كـثيرة، فإنه لا يقوم لشيء منها شيء من ذلك الجنس، وإن كان قوياً شاباً آكلاً شارباً (أي لا يماثـلها حـيوان آخر فـي حالة



الهيجان). والجمل في تلك الحالة (هيجانه) لا يدع جملاً ولا إنساناً يدنو من هجمته (جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة). والجمل خاصة يكره قرب الفرس، ويقاتله أبداً. والجمل لا بدّ أن تكون طروقته (الناقة) باركة. ومما يوصف بالكبر الجمل الفحل، إذا طافت به نوق الهجمة ومر نحو ماء أو كلأ تبعنه (١٣٦٤، ج٤: ٢٧٥).

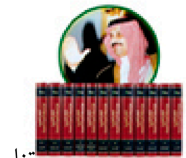
ويذكر الجاحظ أيضاً أنه:

كان لأصحاب الإبل ما يحرمونه على أنفسهم: الحامي والسائبة، والحامي هو الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود -قيل عشرة أبطن- فإذا بلغ ذلك قالوا: هذا حام أي حمى ظهره، فيترك فلا ينتفع منه بشيء، ولا يمنع من ماء ولا مرعى. وكانت العرب إذا كثرت إبل أحدهم فبلغت الألف فقأوا عين الفحل فإذا زادت الإبل على الألف فقأوا العين الأخرى. وكانوا يزعمون أن ذلك يطرد العين والسواف (الموتان يقع في الإبل) والغارة. والسدم عندهم هو الفحل الذي يرغب عن فُحْلته (لا يريدونه لنياقهم) فيحال بينه وبين إلافه، ويقيد إذا هاج فيرعى حول الدار، وإن صال جعل له لجام يمنعه من فتح فمه (١٣٦٤، ج١: ١٧).

وذكر الجاحظ أيضاً: أن العرب كانت تخصي فحولة الإبل لئلا يأكل بعضها بعضا، وتستبقي ما كان أجود ضراباً وأكثر نسلاً، وكل ما كان مئناثاً وكان شاباً ولم يكن مذكارا. وهم يسمون الإذكار، (إذا كانت النياق تضع ذكورا) المحق الخفي، وما كان منها (عَيَاياءَ) طباقاءَ فمنها ما يجعل السدم المعنى. وإذا كان الفحل لا يُتْخذ للضراب شدوا ثيله (عضوه التناسلي) شداً شديداً، وتركوه يهدر ويقبقب في الهجمة ولا يصل إليهن وإن أردنه. فإذا طلبن الفحل جيء لهن بفحل آخر مرغوب فيه (١٣٦٤، ج١: ١٣١).

وورد في كتاب فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي عن فحول الإبل وأوصافها قوله:

إذا كان الفحل يودع ويعفى عن الركوب والعمل ويقتصر به على الفحلة فهو مُصعب ومُقرم وفنيق، فإذا كان مختاراً من الإبل لقرع النوق فهو قريع، فإذا كان هائجاً فهو قطيم، فإذا كان سريع الإلقاح فهو قبس وقبيس، فإذا كان لا يضرب ولا يلقح فهو عياياء، فإذا كان يضرب ولا يلقح قيل: فحل غُسلة،



فإذا كان عظيم الثيل فهو أثيل، فإذا كان يعتمل ويحمل عليه فهو صعود ورحول ودرواس، فإذا كان عظيماً فهو عدبسٌ ولكالك، فإذا كان قليل اللحم فهو مقدر ولاحق، فإذا كان غير مروض فهو قضيب، فإذا كان مذللا فهو مُنوق ومُعبد ومُخيس ومُديث (١٣٥٧: ٢٤٧).

وجاء عن الفحل في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري أنّ أصحاب الكلام في طبائع الحيوان يقولون إنه ليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه؛ إذ يسوء خلقه، ويظهر زبده ورغاؤه، فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حَمل، ويقلُّ أكله، ويخرج الشقشقة وهي الجلدة الحمراء التي يخرجها من جوفه وينفخ فيها فتظهر من شدقه لا يعرف ما هي، وقيل لا تكون إلا لجمل عربي.

وقد قالت العرب في أمثالها «شقشقة هدرت ثم قرت» والشقشقة تركيب بالوني الشكل يشبه الرئة في اللون يخرجه البعير الفحل من فمه إذا هاج، وإذا قالت العرب للخطيب «ذو شقشقة» فإنما شبهوه بالفحل من الإبل. ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب # خطبة تُعرف بالشقشقية، لأن ابن عباس # قال له حين قطع كلامه «يا أمير المؤمنين لو أطردت مقالتك من حيث أفضيت (توقفت)، فقال أمير المؤمنين علي # : هيهات يابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قَرَّت» (الميداني ١٩٧٣، ج٣: ١٧٠).

وقالت العرب أيضاً في أمثالها «أشأم من قاشر» وقاشر فحل لبني عوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان لقوم إبل تُذْكِرُ (تلد الذكور) فاستطرقوه (طلبوه للفحلة) رجاء أن يؤنِّث إبلهم (يلقحها عسى أن تلد إناثاً) فماتت الأمهات والنسل. وتقول العرب أيضاً «بذخ البعير» ومعنى ذلك إذا اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء، وترى العرب أن الإبل تتحامى أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها وقالوا أيضاً: البعير إذا صعب وكان خطراً وخافوه استعانوا عليه حتى يبرك ويعقل، ثم يركبه فحل آخر فيذل ويسكن. وذكر العرب أيضاً أن الفحل إذا أخذ شعر ذنبه ذل» (عيون الأخبار ج٢: ٧٥).

وأورد شكر في كتابه الحيوان في الأدب العربي أنهم يقولون: أثر الفحل الناقة أثراً، ووثرها وثراً: ضربها المرة بعد المرة. وبهت الفحل: نحي عن الناقة ليحمل عليها أكرم منه. وتجثم البعير الناقة: برك عليها ليضربها. والخُجأة من الإبل: الكثير الضراب. وخوَّد الفحل:



أرسله (أطلقه) في الإناث. والسنان والمسانة: المعارضة، يقال: سان البعير الناقة سناناً طويلاً حتى أناخها، والسنان هو ركض الفحل خلف الناقة للحاق بها. وشفر الفحل شفراً: ضرب برأسه تحت الناقة من قبل ضرعها فيرفعها فيصرعها (يبركها). والمشوف: الجمل الهائج، والمطلي بالقطران. والصائل من الجمال: الذي يخبط برجله وتسمع لجوفه دوياً من عزة نفسه عند الهياج، وهو الذي يواثب راعيه ويواثب الناس فيأكلهم. والطباقاء: الفحل العاجز عن الضراب، وطرق الفحل يطرق طرقاً: نزا على الناقة. والطاط والطائط والطوط: الفحل الهائج. والاعتراس: أن يقفز الفحل على رقبة الناقة حتى يركبها ساخطة أو راضية. والعجيس والعجيساء والعجاساء: الفحل العاجز عن الضراب. والعسب: كِراء ضراب الفحل (ماء الفحل)، يقال: قطع الله عَسْبه وعُسبه أي: ماءه ونسله. والعلكة: شقشقة البعير عند الهدير. والعياياء والعيا: الفحل الذي لا يضرب. وفحل غِسل، وغُسل، وغَسيل، وغُسلة: يكثر الضراب ولا يلقح. وتغمد الفحل الناقة: علاها (ركبها). وقعا الفحل على الناقة: علاها للضراب. وأُكْسل الفحل وكسل: ضعف عن الضراب. وتنوخ الجمل الناقة: أبركها وبرك عليها للضراب. واهتقع الفحل الناقة: أبركها. وتوسن الفحل الناقة: علاها (١٩٨٥، ج١: ٢٢).

أما ما ورد عن الفحل في الشعر العربي فكثير منه قول الأخطل:

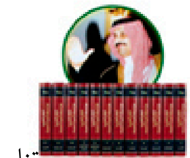
إذا ما بدا بالغيب منها عصابة
أوين له مشي النساء اللواغب

يطفن بزياف كأن هديره
إذا جاوز الحيزوم ترجيع قاصب

يقول إن النياق في مرعاهن يطفن حول الفحل الزياف المتبختر المتعاظم في سيره، مطلقاً دويَّ صوته من الزهو كالقاصب الذي ينفخ بالقصب للترنم بصوته، وقيل: القاصب الرعد، والترجيع صداه. وقد شبه الشاعر النياق في هذه الحالة بالنساء المتعبات (اللواغب). ويقول الأخطل أيضًا:

هدير المعنَّى ألقح الشول غيره
فظل يلوِّي رأسه بقتاد

والمُعَنَّى هو الفحل المحبوس والممنوع عن ضراب النوق، والشول هي النوق التي نقصت ألبانها وأبعد عنها وليدها والتي يرسل الفحل فيها ليلقحها. وهنا يقارن الشاعر الشخص الذي يريد قتال أعدائه ولكنه عاجز عن ذلك، بالفحل



الذي يريد النوق لينزو عليها ولكنه محبوس عنها، وقد ألقحها فحل غيره فظل يدعك رأسه بالقتاد من شدة القهر.

ويقول أيضاً:

يبيت يسوف الخور وهي رواكد
كما ساف أبكار الهجان فنيق

يقول عن خصمه إنه ينفق أيامه في مواقعة النساء المربيات (الخور) يقبل عليهن وهن مضطجعات، إقبال فحل الإبل على النياق الأبكار الكريمة. ويقول مالك بن العجلان الخزرجي:

يمشون في البَيْض والدروع كما
تمشي جمال مصاعب قطف

هنا يشّبه الشاعر سير الرجال في لباسهم الحربي بمشي الجمال المصاعب، وهي الفحول التي لم تركب ولم يمسها حبل حتى صارت صعبة القياد وهي تمشي قُطُفاً أي ببطء متبخترة. أما ذو الرمة فيقول:

وإن لم يزل يستسمع العام حوله
ندى صوت مقروع عن العذف عاذب

يقول الشاعر: مما حنى ظهر هذا الفحل وأضمره وجعله يتمنع عن الأكل، رافعاً رأسه، وهو استماعه لصوت الفحل الآخر المختار للفحلة والذي يأتي صوته من بعيد يكاد لا يسمعه (ندى). وقال ذو الرمة أيضاً:

شفنا إلى مسترحل الضمور
هيق الهباب سحبل الجفور

والجفور: هو ذهاب حالة الهيجان عن الفحل وتقول البادية: فدر الجمل، وجمل فادر، ومفدور. والسحبل: الضخم. يقول الشاعر: إذا جفر الجمل وذهبت غلمته سمن وعظمت خلقته. وتقول العرب: جفر البعير (جافر) إذا ذهبت غلمته أي هيجانه وكبر كرشه، والجفور: عظم الكرش، فالبعير إذا هاج ضمرت كرشه وإذا فدر عظمت كرشه.

ويقول ذو الرمة أيضاً:

وعارضن مياس الخلاء كأنما
يطفن إذا رجعنه حول مجدل

كأن على أنسائهن فريقة
إذا ارتعن من ترجيع آدم سحبل

بأصفر وَرْدٍ آلَ حتى كأنما
يسوف به البالي عصارة خردل

يقول الشاعر: إن النوق عارضن الفحل الذي يسير متبختراً منفرداً ويطفن حوله وهو كالمجدل (القصر). ومن خوف هذه النوق من الفحل وهديره، فكأن على عروق أفخاذها فريقة، وهي تمر وحلبة يطبخان، وهذا الفحل أبيض ضخم يهدر. وهنا شبه الشاعر أبوال النياق على أفخاذها بالفريقة لأنها قد احمرت واصفرت والفحل يشمها



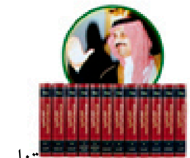
(يسوف به) كأنه يشم عصارة خردل. فهو يشمخ بأنفه عند الشم ليختبرها هل هي لاقح أم غير لاقح. ويقول ذو الرمة:

كأن ارتحال الركب يرمي برحلها
على بازل قرم جلال علاكم
طوى البطن عافي الظهر أقصى صريفه
عن الشول شذان البكار العوارم
إذا شم أنف البرد ألحق بطنه
مراس الأوابي وامتحان الكواتم

يقول الشاعر مشبهاً ارتحال الركب ومعهم فحل كريم ضخم دخل في السنة التاسعة من عمره، ضامر بسبب الهياج، ليس به أثر دبر، لأسنانه صوت إذا حك بعضها ببعض مما جعل البكار تنفرد وتشذ وتهرب عن الركب كأن بها عراماً، وهو النشاط والجهالة عند سماع صوت الفحل. وإذا جاء أول البرد ضمر هذا الفحل حيث يقوم باختبار وامتحان النوق هل حملت وإلا رد عليها الضراب. وقال ذو الرمة أيضاً في وصف كامل وبليغ لفحل الإبل:

خدبّ الشوى لم يغْد في آل مخلف
أن اخضر أو أن زم بالأنوف بازله
عريض بساط المسح من صهواته
نبيل العسيب أصهب الهلب ذابله
غميم النسا إلا على عظم ساقه
مشرف أطراف القرا متحامله
يمد حبال الأخدعين بسرطم
يقارب منه تارة ويطاوله
ورأس كقبر القوم من قوم تبع
غلاظ أعاليه سهول أسافله
كأن من الديباج جلدة رأسه
إذا أسفرت أغباش ليل يطاوله
رخيم الرغاء شدقم متقارب
جُلال إذا انضمت إليه أياطله
بعيد مساف الخطو غوج شمردل
تقطع أنفاس المطي تلاتله
خروج من الخرج البعيد نياطه
وفي الشول نامي خبطه الطرق ناحله
إذا انتحبت منه المتالي تشابهت
على العود إلا بالأنوف سلائله
قريع المهارى ذات حين وتارة
تعسف أجواز الفلاة مناقله

يقول أول ما يبدو بازل هذا الجمل الفحل تراه أخضر فإذا أسن أصفر. وهذا الفحل عريض الظهر (عريض بساط المسح: كساء يوضع على ظهر البعير)، وعظم ذنبه مسترسل ولونه تخالطه حمرة، وقد غمه اللحم إلى عظم ساقيه، وعرق النسا واضح مستبين على عظم ساقيه وتمتد عروقه الطويلة، ورأسه يشبه قبر إنسان من قوم تبع في طوله، وهو أسجح الخدين، وجلدة رأسه كأنها من الديباج. ويضيف في وصف الفحل إنه



رخيم الرغاء، واسع الشدق، طويل عظيم إذا انضمت إليه خواصره، خطواته متباعدة يخيف ويرعب المطي باهتزازه، وهو نحيل بسبب غشيانه للنوق المهيئة لذلك (الشول)، وعندما تلد النياق منه وتتبعها أولادها حديثة الولادة (العوذ) فإن ألوانها متشابهة وشكلها واحد لا تفرق بينها إلا بالشم وذلك لأصالة هذا الفحل. وخاتمة القول في قول الشاعر عن الفحل إنه حيناً يكون قريعاً للمهارى من النوق وتارة يكون هائماً على وجهه في الفلاة.

أما أبو الطيب المتنبي فيشبه أعداءه وطغيانهم بهدير فحول تهادرت، فأرسل لها قوم فأخافوها وتركوها مهلبة الأذناب أي: منزوعة هلب الذيل، فسكتت وهدأت وهربت من بين يديه بعدما انكمشت شقاشقها حيث قال:

وكان هديرا من فحول تركتها

مهلبة الأذناب خرس الشقاشق

العشار والولادة والإرضاع

يذكر الشراري في كتابه الإبل أن من علامات رغبة الناقة في الفحل أن ينتفخ حياؤها، خاصة البكرة، وتسمى مهدل، مع ظهور رائحة ولزوجة مخاطية وذلك عند اشتداد الضبعة (الشبق) ويقال لها عند البادية في الشمال: المير (المسهله)، أما في الجنوب فيقولون مهدل، وتهدل الناقة خاصة إذا كانت بكراً. وقد تقترب إلى الفحل وتبحث عنه ولذلك يقال «طاحت تحت أنحر الزمل»، وإذا لم يكن معها فحل تذهب إلى فحل رعية أخرى. ويستمر الشبق عند الناقة من أسبوع إلى أسبوعين، قد يزيد أو ينقص.

يكون ضراب الإبل في الشتاء أي في المربعانية، وإذا هد الفحل على الناقة في المربعانية يبين عشارها بعد أسبوعين وفي غير المربعانية يبين عشارها بعد سبعة أيام. وإشارات عشارها أنها لا تكون مثل الناقة الحايل في صفتها؛ فهي تختلف في مشيتها وتحمر عيناها وترفع رأسها وذنبها وتفحج (تباعد بين أرجلها) في مشيتها وهذا ما يسمى باللمع حيث يعلم أنها لاقح، وتقول البادية أبرقت أو بشّرت ويقال في المثل «عينها عين معشّر» كما يقال «رافع راسه كأنه راس معشّر». يقول ابن سبيّل:

لى تلّها الراكب غدا الحبل ثنوين

مثل المعشّر راسها عند ثوبه

تعرف الناقة المعشر بأنها تشوّل بذيلها عندما يقترب منها الإنسان، وإذا اقترب منها الفحل رفعت ذيلها ورأسها وفحجت ما بين رجليها وتبولت، حيث تفرز مادة أو رائحة يشمها الفحل في البول فيعرف





ناقة مشوّل (معشر)

أنها قد عشرت فلا يقربها مرة أخرى. فإذا رغبت البادية في التأكد من عشار الناقة قربتها من الفحل فإن اقتربت منه دون أن ترغو وتجنبها الفحل فإنها لاقحة، وأما إذا اقتربت ورغت ولم يتجنبها الفحل فإنها تكون غير معشر، وإنما تفعل ذلك خوفاً من الفحل ومخادعة له. وهي لا تفرز الرائحة التي تفرزها المعشّر في بولها.

والناقة المعشر إذا سمعت صوت الفحل شالت أو شوّلت بذنبها أي رفعته، وبالت بولا أصفر بصفرة غامقة وداكنا أحيانا. أما إذا كانت الناقة حائلا ولم تُلقح بعد الضراب فإنه ينكسر ذنبها، وتبول كالمعتاد، وتألف الفحل وتحاده وتبرك قربه.

وصفات المعشر من الإبل أنها عندما يهدر الفحل في وسط الإبل تبتعد عن الإبل حتى ولو أنها ألفتها، وحتى الإنسان تبتعد عنه، وتطرد ولدها، وتغرز، أي يقل لبنها ويصبح طعمه مالحاً، ويتغير شكل بولها فيضرب إلى الصفرة. ومن النياق ما تكون كالمعشر في بعض الصفات لمرض كالوذم، لذلك يعرضون الناقة على الفحل يختبرها أحائل هي أم لاقح، فتظهر من الصفات السابقة ما يعرف منه إن كانت لاقحاً أم لا (١٤١٢: ٢٢٤).

وعن لقاح الإبل وعشار الخلفات يقول الشراري إن اللقاح الذي تعشر منه الخلفة يسمى كشافاً، فإذا عشرت الناقة الخلفة يسمون حوارها كشافاً في الشمال، أما في نجد والجنوب فيقولون أكساب، فناقة كسوب، أي ألقحوها وهي خلفة وولدها يسمى كساباً أو ولد كسوب. وأيام

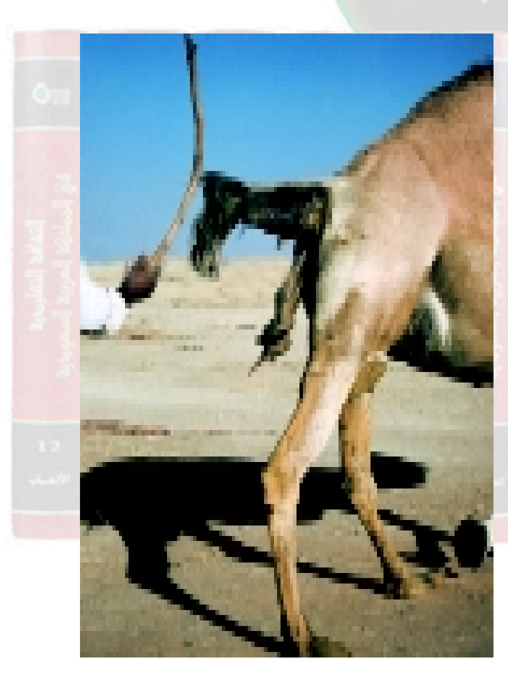
الولادة يحرصون عليها من الزمل (الذكور)، فإذا ضربها الفحل بعد الولادة تُلقح. والخلفة يمكن أن تعشر بعد حوالي الأسبوعين من ولادتها، وقد يضربها الفحل غصبا وبدون رغبة منها. ويكون حوار الكشاف أضعف جسما لقلة اللبن، ولجفاف ضرع الناقة في الأشهر الأولى بعد الولادة، لذلك يكرهون الكشاف. ولمنع الحمل يجرون عملية يسمونها الجرف أو النزف أي إسقاط الجنين في بداية اللقاح وفي الأشهر الأولى من لقاح الناقة. وقد يستعمل الجرف (الإجهاض) للناقة التي يخشى عليها الجدب في العام المقبل وليس عشارها كشافاً، وما يزال عشار الكشاف معروفا إلى اليوم باسمه. ومن المأثورات في ذلك قولهم «قالوا: البل كثرت، قال: انزف الكشاف. وقالوا: البل قلت، قال: اضرب الحقه» (١٤١٢: ٢٢٦).

وجاء في كتاب الإبل للشراري أيضاً أن توالد الإبل يحدث في فصل الشتاء من كل سنة من بداية الفصل وحتى نهايته، ويستغرق عشار الناقة حتى ولادتها اثني عشر شهرا، وتسمى الناقة في تلك الفترة لقحه وجمعها لقاح، ومن الحداء قولهم:

بـــارقٍ يـــازيـــد لاح
عـلـى الـشـهـيـبـا ام الـلـقـاح

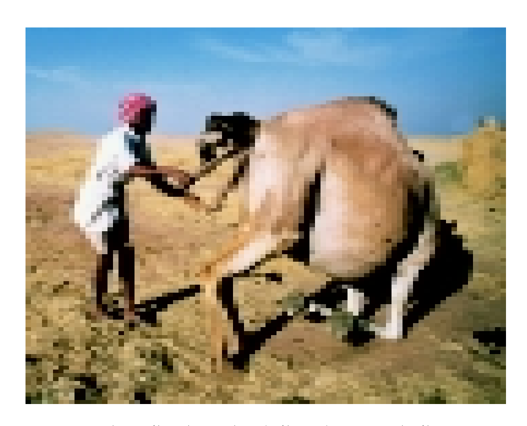
ويقال لضرع الناقة مربي إذا كانت لقحة، وإذا قربت ولادتها تنزل درتها وتسمى في بادية الشمال موطي (الخلف نازل) أو (خافق). ومعنى خافق أن جلد صلائها أي ذنبها ما بين زر الورك يرتخي (يتهفت) مع المشي. أما في الجنوب ونجد فيقولون حفلت الناقه إذا قرب موعد ولادتها. كما يسمونها مخورمْ.

ويحرص رجال البادية على اللقحة الموشكة على الولادة (المخاض) أن لا تبتعد؛ خشية أن تتبعها الإبل وتلد وهي بعيدة عن النزل. ومن علامات قرب الولادة أن الناقة تقف ولا ترعى، وتنزع عن الإبل (تبتعد)، ويظهر من الناقة

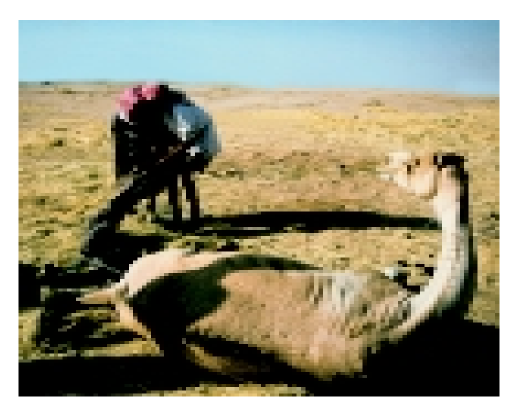


بدء خروج الحوار





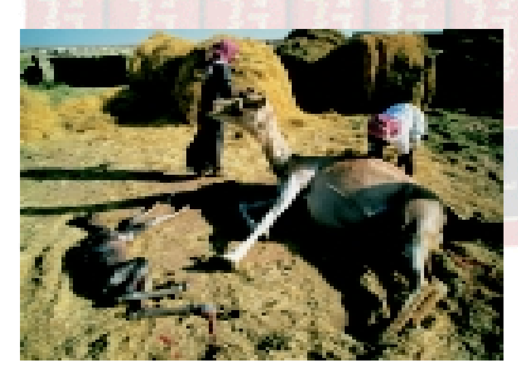
الراعي يساعد الناقة لإخراج الحوار



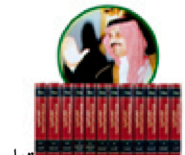
الرعاة يسحبون الحوار عقب ولادته

سبايا وإفرازات، وهذا دليل على قرب الولادة ويقال للناقة في حالة الولادة داحم، وتسمى الناقة التي تترك الإبل عند الولادة: النازع أو الماخض، والنزائع من الإبل الغرائب، وإذا أسقطت الناقة (أجهضت) وهي حامل في ستة أشهر فإن الحوار الساقط يكون من غير وبر ويقال له رمي صِعاد، وإذا أسقطت على ثمانية أشهر يكون وبر الحوار نابتاً ويقال له عجال، ويكون ذلك من مرض أو لكثرة الشحم أو لإجهاد أو لعطش.

والإفرازات التي تفرزها الناقة قبل الولادة وأثناءها تسمى فقاه، أما السلى، وهو الخلب (الغشاء) الرقيق الذي يحيط بالحوار فيخرج بعد خروج الحوار من بطن أمه وقد يتأخر لمدة ساعة ويسمونه بالدلو، وهو جزء من السَّلى فيه ماء، ويسمى حويلاء الحوار، ولذلك توصف الخبراء (المزاده) بدلو الناقة للونها الأصفر إذا كان فيها بقية من ماء يخالطه بول الإبل، ودلو الناقة (الحويلاء) هو وعاء الحوار وهو بمثابة المشيمة للجنين. وعند ولادة الحوار فإن أول ما يظهر يداه ورأسه، ثم تخرج بقية جسمه ويكون محاطاً بالسَّلى ثم تخرج الحويلاء، وإذا سحبوا الحوار بعد الولادة ورأمته أمه يحرصون عليها حتى لا تنزلق بالسَّلى لأنه مُزَحْلِق، فعند خروجه



يوضع الحوار بالقرب من أمه عقب ولادته مباشرة



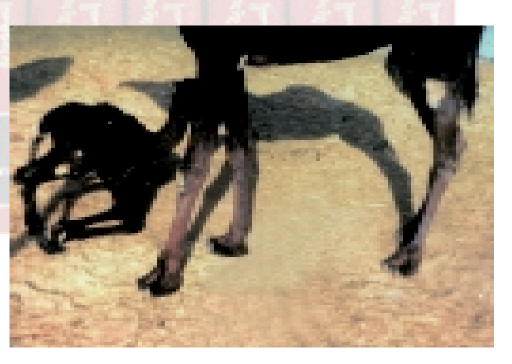
يفضخونه (يفجرونه) احتياطا حتى لا تتزحلق به.

ويتراوح وزن الحوار حديث الولادة ما بين ٢٦ إلى ٥٢كجم تقريباً. ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى. ويتراوح طول الحوار من أعلى السنام حتى الأرض ما بين ١١٨ إلى ١٢٣ سم. والوزن والحجم يتوقفان على الفحل والأم ومواصفاتهما.

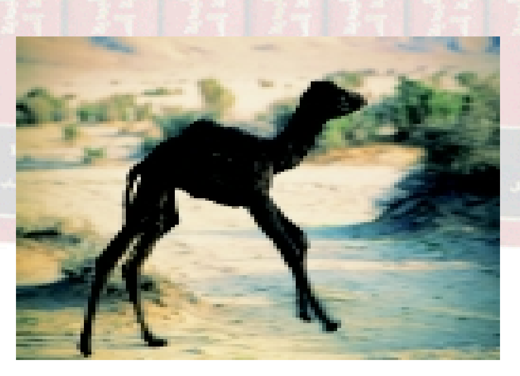
ويحاول الحوار حديث الولادة الوقوف على قوائمه بعد وقت قصير من ولادته ولكنه لا يستطيع ذلك. ويعيد المحاولة من جديد بعد فترة أخرى، ولكن بسلوك آخر حيث يرفع مؤخرته عدة مرات، ويستريح على مفاصل الرسغ، ولكنه لا يستطيع النهوض أيضا. وفي المحاولة الثالثة يقف لأول مرة، وذلك بوضع إحدى رجليه على الأرض، ولكنه لا يلبث أن يسقط بعد ثوان. وتشم الأم صغيرها في كل مرة يحاول فيها النهوض من فترة لأخرى، وكأنها تحاول مساعدته و تشجيعه أو إرشاده وبث الثقة في نفسه. وبعد مضي فترة قصيرة أخرى ينجح الحوار في الوقوف، وحفظ توازن جسمه بنفسه، حيث يبعد رجليه الخلفيتين عن بعضهما. وهكذا فإن الحوار يقضي نحو أربع ساعات تقريباً من لحظة مولده قبل استطاعته الوقوف على قوائمه لمدة دقيقتين وقد تستغرق المحاولة يوماً كاملاً.

ويمكن للحوار أن يسير لأول مرة بخطى غير منتظمة بعد ميلاده بوقت قصير، ولكنه يفقد اتزانه أثناء المشي. ثم يحافظ على اتزانه، خلال اليوم الأول لميلاده، ولكنه في اليوم التالي يصبح قادراً على العدو.

ويحرص رعاة الإبل عادة على سرعة معرفة جنس الحوار عند الولادة أذكر أم



الحوار يحاول النهوض عقب الولادة

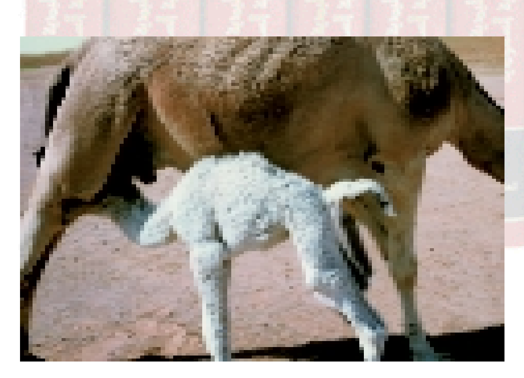


حوار يركض بعد يوم من ولادته

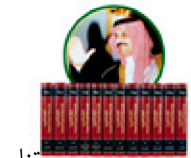


أنثى بسبب أنهم سيقررون هل يرغبون جمع الحوار مع أمه أم لا. هذا الكشف تقوم به البادية لمعرفة إنتاج إبلهم. وتسمى الناقة التي تحلب دون حوار المسوح أو المري. فإذا كان نتاجها قعوداً ولم يكن يحمل مؤشرات جيدة تعرفها البادية، فإنهم ينحرون المولود، ويحلبون أمه لأهل الدار وتسمى الناقة في هذه الحالة المجمّعه كما يقال لها أيضاً دحور إذا كانت كثيرة اللبن. وإذا كانت الناقة بكرا أي إنها تلد لأول مرة فإنهم يلاحظونها خشية أن لا ترأم حوارها؛ ولهذا السبب فإنها لا تدر لبنها. ويذكر الشراري أن الناقة البكر التي تلد لأول مرة قد تنفر من ولدها ولذلك يقال: الناقه نفرت ولدها، أي كرهته، وهو «حوار نفر» إذا ولدته أمه وتركته ولحقت بالإبل ولم تدر عليه اللبن، لذلك يرجعونها إلى حوارها ويظئرونها عليه. إضافة لذلك فإنهم يخشون على الحوار من أن يخنقه السلا ويمنع تنفسه؛ لذا فهم يزيلونه بسرعة وينظفون الحوار. ويجتنب الرعاة ما يطلقون عليه «مردغة الحوار»، وهي كثرة لمسه وتحريكه عند تنظيفه حتى لا تنفر منه أمه وتتغير رائحته عليها. فإذا كانت الناقة بكرة، وهذا الحوار أول نتاج لها، ورأوا علامات النفور عليها، فإنهم يحاولون التخيل عليها بلبس جاعد والاقتراب من الحوار وكأنّ ذئباً يريد أن يفترسه. فتحاول الأم، بغريزتها، حمايته. ويكررون ذلك المشهد عدة مرات حتى يتأكدوا من أنها رأمته وحدبت عليه.

والرعاة يهتمون بإرضاع الحوار عند ولادته مباشرة، ويسمون أول الحليب اللباة أو الصمغة أو السويداء. ويقولون إذا رضع الحوار الصمغة وامتلأ بطنه «مِجَر الحوار أمه» أي رضع جميع لبنها. ويعتقدون أن في هذه الرضعة فائدة وقوة يكتسبها الحوار من الصمغة هذه. وفي الغالب فإن الحوار يلحق بأمه إلى المرعى في اليوم التالي. وفي هذه الحالة يقولون: الحوار درج وجدل، إذا قوي في مشيته. ويسمون الصبي الذي يقوم برعي الإبل الملحاق، لذلك إذا رزق البدوي ولداً بشروه قائلين «أبشر بملحاق» أي صبي



حوار يرضع أمه



يلحق بالإبل؛ وإذا رزق بنتاً بشروه قائلين «أبشر براعية غنم». وعندما يبرز سنام الحوار ويطول وبره يقولون: فتق أو صقع سنام الحوار وصبت (طالت) وبرته، وذلك بعد أشهر معينة من الرضاع والرعي في الخصب. وإذا كان الحوار من نتاج الصيف قالوا عنه: صيفي وأمه «ناقة مصيف». وإذا تأخر النتاج قالوا عنه: تلوي، والناقة المتلي، وهي التي تأخرت عن النياق في الولادة.

أما إذا كان الحوار من نتاج الشتاء فيقولون عنه: حوار بدري وحيران بدارا، ويصفونها بأنها أقوى من الحيران المولودة في الصيف بسبب طول الفترة التي تقضيها في الرضاع والرعي (السويداء ١٤١٢، ج٢: ٧٨٣).

وإذا أرادوا المحافظة على زينة الناقة وحسنها وجمالها وسمنتها أو أرادوا الاستفادة من حليبها لأنفسهم قاموا بصرّها حتى لا يرضعها الحوار.

ويمنع الرعاة الحوار من رضاعة أمه بعدة طرق؛ منها الأصرة: وهي التي تشد بالخيط على أخلافها (ديودها) وتسمى التودية وجمعها التوادي وهي تعمل من خشب وتعرَّض. وصر الناقة يعني شد أخلافها وربطها بالتوادي وفي أمثالهم «يصر ويبهل».

وإذا ربط الصرار على الخلف بشدة فقد يضر ذلك بالخلف ويسبب عيابه أو تلفه. وإذا عض الحوار الصرار حتى يضر بأخلاف أمه قيل: مجذذة الأخلاف، وإذا أثر بها بدون قطع قيل: قرص مواخيرها، وإذا تركت الإبل بدون صرار أو شمله فهي مبهله أو هجل.

وإذا كان الحوار يمضغ (يعلج، يعلك) صرار ثدي أمه حتى يفرط (ينحل) صرارها ليرضعها قيل له بهول، وربما يمنعونه عن ذلك بعدة طرق منها:

الخلال: ويوضع للحوار الذي يحل فطامه، فإذا وضع الخلال بأنفه وأراد الرضاع فإن الخلال يؤذي أنفه وعند ذلك يذهب للرعي. ولكن بعض الحيران تتغلب على الخلال بمحاولات عدة ولكن بصعوبة وبطء. والخلال عود يذرب وتوضع له درة أسفل خشم الحوار والجزء المذروب (المبري) إلى أعلى. ويؤثر الخلال على الحوار أثناء معاركته للإبل عند الماء مما قد يحدث خروج بعض الدماء من أنفه، والخلال أشد ضرراً من اللزقة، ومنه سمي الفصيل المخلول. ويترك الخلال في الفصيل حتى تطرده أمه ولا تتركه يرضعها وذلك بسبب عشارها.



اللزقة: وتعمل اللزقة للحوار البهول الذي يراد تعزيته (منعه) عن أمه. واللزقة عود يذرب ويكون له درة كدرة المغزل، ويوضع أسفله كالخابور ويجعل في لسانه خرق وتترك أمه هجلا أي بدون شمالة أو صرار، وتعمل هذه اللزقة للحوار البهول الذي لا تنفع معه شِمالة أو صرار حيث يفرطه (يحله) ولا تمنع اللزقة عن الرعي.

الشمالة: تصنع الشمالة من وبر الإبل وذلك لمنع رضاع الفصيل أمه إلا في أوقات معينة كالصباح والمساء. وفي المثل من أوصاف الإبل «مْعَبّسات الشمايل».

وذكر الحبردي أن الإبل التي تقتنى من أجل اللبن لها صفات خاصة، منها أن يكون لها ثدي كبير ولها دحاليل (أخلاف) ضخمة طويلة نوعا ما، والدحاليل هي نهايات الأثداء التي يصرها الراعي بالتوادي.

ويقول السويداء الدحلول خِلْفُ الناقة تجمع على دحاليل، قال الشاعر:

ما نوّخت بالمجر معيد
ولا مص دحلولها الحاشي

والتوادي (مفردها توداة): عود من الخشب بطول ١٠ سم وعرض ٢,٥ سم تقريبا يربط بطرفها خيط من الوبر اللين ويسمى الصرار ويستخدمونه عوضا عن الشمله. وتتخذ التوادي عادة من خشب العشر لخفته ونعومته.

وفي التاج «أمّا التّوادي فواحدتها تُودية، وهي الخشبات التي تشدّ على أخلاف النّاقة إذا صُرّت لئلا يرضعها الفصيل؛ قال جرير:

إذا هبطت جوّ المراغ وعرّسَتْ
طروقا وأطراف التّوادي كرُومُها»

ويعمل رعاة الإبل التوادي بأنفسهم، يختارونها من الأعواد المناسبة، ويغزلون رباطها حبلاً مناسباً من وبر الإبل. ومجموع التوادي والحبل الذي تحزم به يُسمّى الصّرار؛ قال عبدالله بن سبيّل:

بيض المحاقب والغوارب مشيبات
للتلو ما سووا لهن التوادي

وقالت شاعرة مطيرية:

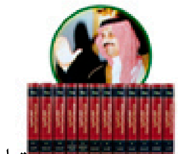
وحمدان عيد مقرعات التوادي
كنه اشهب البارود عجل مثاره

وقال غانم اللميع الدهمشي العنزي:

مدهل الفطر عريضات التوادي
يرتعن به وابو من يزعل لعينا

وقال مسعود بن سعد المشيبين العضياني:

وسال الشعيب اللي تهاواه الاجناد
وتهايقت له مقرعات التوادي



وقال الشيخ ضهيان بن وردة الشراري:

غـرتك عـزباتٍ أهـلهـن مـغيـرين
بلا كـون جبت مـقرقعـات التوادي

وربما اتخذوا أصرة جاهزة هي خيوط من الوبر تستعمل لصر الناقة، يسمونها الكمش.

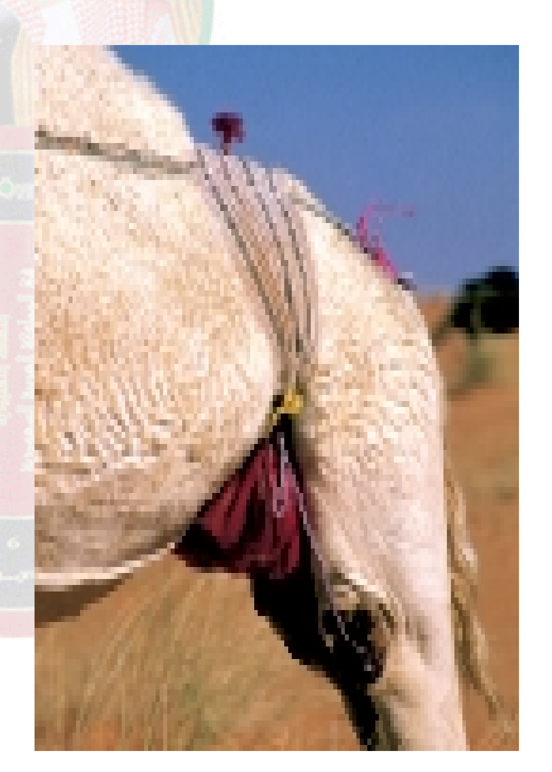
وعندما يرغب الراعي في صر الإبل يأخذ من الدمن الرطب ويضعه فوق الشطر (الثدي) الذي يريد أن يصره كي لا يتأثر الثدي من الصرار، ومن ثم يلف الخيط عليه وعلى قطعة الخشب بلطف وذلك لمنع الحوار من رضع أمه، ويفضل أن يكون الخيط من الحرير حتى لا يجرح الشطر.

أما إذا استحسنوا تغطية الضرع فإنهم يستخدمون الشمالة وهي كيس من خيوط الوبر المنسوجة نسجاً خفيفاً، أي غير مدكوك، يلف على ضرع الناقة الحلوب، ويشدّ بحبال ونسع جميلة من الصّوف تعلو ظهرها وتمتد حول نحرها.

وغرض الشماله منع الفصيل من الرضاع بصفة دائمة. وما يحيط بالديد منها يسمى الصحن ويشّد على ديد الناقة بالجنايب التي تكون على جانبي المطية. وما وصل بين الجنيبتين يسمى الغارب وهو الأمامي، أما ما أتى خلف السنام فيسمى الظهيره، وما أحاط برقبة الناقة يسمى اللبب، وتربط الجنايب في الشِّمالة بالشكال والثفر الذي يمتد من الظهيرة إلى الشِّمالة ماراً بظهر الناقة وذيلها، وتسمّى النّسع التي تشدّ بها جنايب جمع جنيبة، وقد يكون ذلك مأخوذاً من امتدادها بجانب سنام النّاقة يمنة ويسرة، وهي ما يمسك الشمالة على الناقة، ومن الحداء قولهم:

وضحاً بين جنايب
خزاً يدم الحرايب

وتستعمل الشمالة بدلاً من الصّرار لأنها أريح للناقة وأسلم لأخلافها، غير



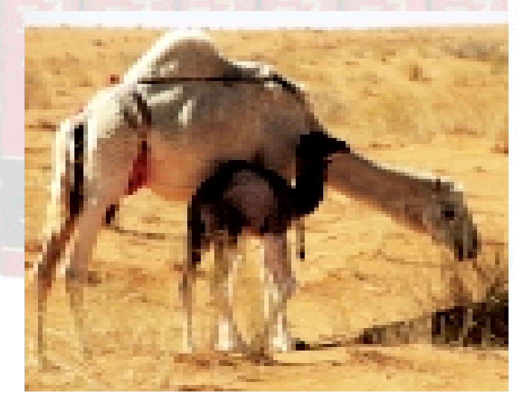
الشمالة





الشمالة

أن لها مخاطرها أيضا لو أهملت من الغسل، فإنه يجتمع فيها من العرق ورطوبة الحليب والأبوال ما يجعلها صلبة خشنة وعندئذ تسبب ضرراً خطراً لأخلاف الناقة؛ لذلك فهي في حاجة



ناقة مشمّلة مع حوارها

إلى غسل بين فترة وأخرى لتبقى لينة رقيقة ونظيفة.

والضيار (الظئار) هو إجبار ناقة قد لا يكون حوارها طيباً أو يكون قد مات، وبها حليب كثير، فيجبرونها على ريام حوار الناقة المكسبه. والريام هو أن تقوم الناقة بإرضاع الحوار دون معارضة وكأنه حوارها، وذلك بإيهامها بأنه لها. وتتم عملية التضيير بطريقتين:

الأولى: إذا كانت الناقة لقحة، وجاء وقت ولادتها يحضرون حوار الناقة الطيبة أو المراد إكسابها، ويخفون حوارها الذي يكون قد طلع للتو من بطنها ويضعون الحوار الآخر مكانه، مع أخذ بعض سلا





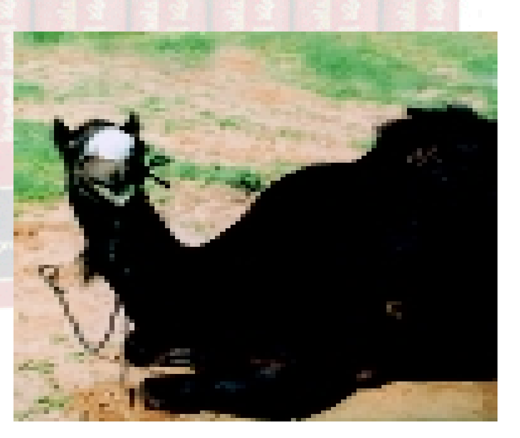
ظيار دبر



ظيار خشم

الحوار المولود ووضعه على الحوار المراد رأمه أو تضييرها عليه.

والطريقة الثانية: إذا كانت الناقة قد ولدت وأهلها بعيدون عنها، فإنهم يبركونها ثم يسدون فتحة الشرج وفتحتي الأنف، ويضعون الحوار المراد أن ترأمه أمامها مع قرنهما ببعض لمدة قد تصل إلى خمس أو ست ساعات، عند ذلك ترأمه الناقة وكأنه ولدها، ونادراً ما ترفض رأمه، ولكن بشرط أن يكون حوارها



ظيار خشم

الذي ولدته إما ميتاً أو بعيداً عنها لا تراه، فإذا كانت تراه فلا يمكن أن ترأم (تروم) غيره، يقول الشاعر:

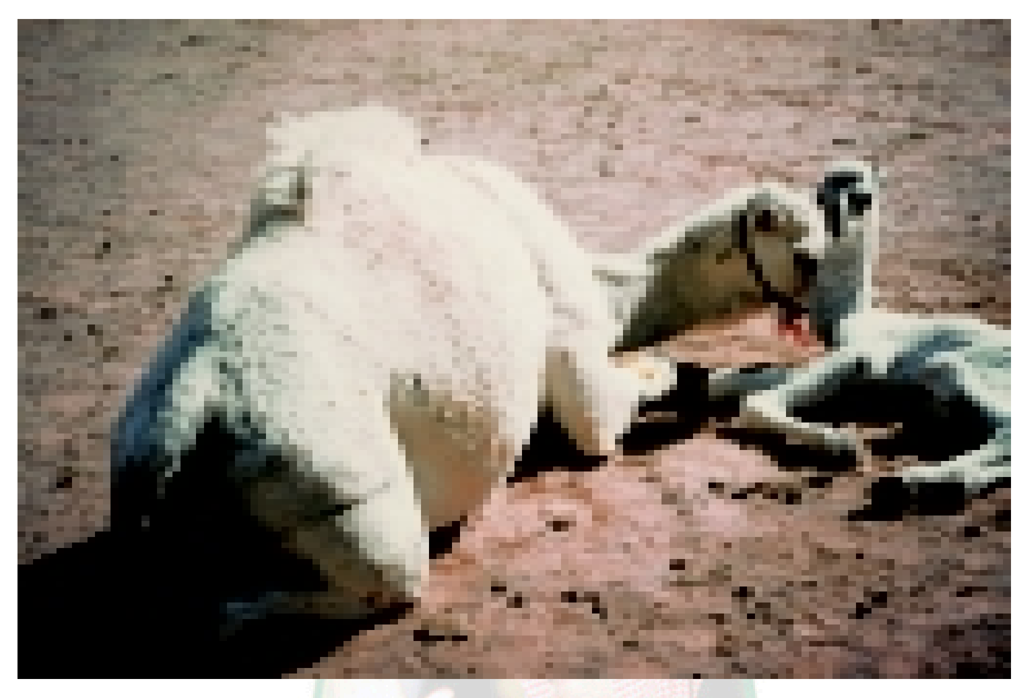
خلوجٍ تشوف حوارها ما تروم حوار

وهي في رجا الله غيدها كود ياتيها

والظئار أنواع وذكروا من أنواعه: المهمل والمخيط واللاحي والندوة، وهي أشهرها عندهم، وقالوا في صفتها: إنها رقعة توضع في حياء الناقة ويحزم عليها، فإذا أرادت الإخراج تمنع الخرقة الدمن من الخروج، فتبرك كأنها تلد، وعند ذلك ترزم (تحن) على حوارها فترأمه فتدر عليه فإذا رأمته بلج (انحل) عنها الحزام وأظهرت الندوة.

ويقوم أصحاب الإبل من رجال البادية بدحر الحيران، أي ذبحها، وذلك في سنين الجدب، حيث يخشون أن تؤثر الحيران على أمهاتها بسبب رضعها لها. ويسمون هذه العملية بالدحر أو



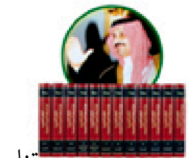


ناقة تروم حوارها

الجرار ويقال حوار مجرور إذا خشي راعي الإبل من سنين الجفاف فإنه يجعل كل ثلاث نياق أو ناقتين على حوار واحد يرضع منها، وذلك حتى يحلب لعائلته وضيوفه ولا تغرز عشائره. ويسمون الناقتين اللتين يرضع منهما حوار واحد ظيرين، والواحدة ظير وثلاث نياق يرضع منهن حوار واحد تسمى ثلاث أظيار، ولا يحدث ذلك عادة إلا في السنة الشديدة القحط (الهيماء)، وذلك رأفة بالإبل ومحافظة عليها. وربما يجرون حواراً عن أمه إذا كان لديهم حوار طيب وأرادوا تفحيله أو بكرة طيبة، أو كانت الأم كثيرة اللبن ويرغبون في الاستفادة من لبنها، ويسمونها في هذه الحالة المجمّعه.

والثلاث أظيار عندهم هي إذا ولدت الناقة الأولى تركوا حوارها، وإذا ولدت الناقة الثانية دحروا (ذبحوا) حوارها وأخذوا سباياه ووضعوها على حوار الناقة الأولى ووضعوه أمامها حتى ترأمه، فإذا ولدت الثالثة يقدمون لها نفس الحوار حتى ترأمه (الشراري ١٤١٢: ٢٣٠-٢٣١).

وقد جاء عند أبي سويلم: الظئر العاطفة على غير ولدها المرضعة له من



الإبل، وناقة ظؤور لازمة للفصيل أو البو، والظأر أن تعطف الناقة والناقتان وأكثر من ذلك على فصيل واحد حتى ترأمه ولا أولاد لها وإنما يفعلون ذلك ليستدروها به.

وتمر الناقة من ناحية التناسل بعدة مراحل هي:

المجسّر: وتسمى الناقة بذلك وقت الهياج قبل أن تُلقح وذلك عندما يكون لها رغبة في الفحل، وفترة الجسار من أسبوع إلى أسبوعين وقد تزيد وتنقص، وعلامات ذلك أنها تتقرب من الفحل وتبرك له وأحيانا يقوم الفحل بتبريكها. فإذا كانت بكرة ظهر جسارها في حيائها، حيث يتضخم حجمه وتقول البادية مهدل. وإذا ذهب جسار الناقة قيل أقطت، وقد تبقى لفترة شهرٍ كامل دون جسار حتى تجسر مرة أخرى، خاصة إذا كان الجو حاراً.

المعشّر: وهي الناقة بعد أن يضربها الفحل حيث تظهر عليها علامات تدل على أنها بدأت باللقاح (الحمل)، وعلامة ذلك أنها ترفع أنفها وذيلها إلى أعلى دليلا على أنها لا ترغب في الفحل وأنها لقحت فينصرف عنها الفحل وتنعدم رغبته فيها.

اللقحة: إذا لقحت الناقة (حملت) تهدأ حركتها ويمتلئ بطنها وتسير بهدوء وكأنها تخشى على ما في بطنها من السقوط حتى تلد. وتسمى الناقة اللاقح معشرًا ما دام بطنها لم يكبر بعد، ولا يتبين كبر البطن إلاّ بعد حوالي شهرين من لقاحها. فإذا قربت ولادتها تسمى مقربًا، وإذا هلّ اليوم الذي ضربت فيه، أي أكملت سنة كاملة من يوم لقاحها قيل ممر أو ملاقي أو مزهوم. فيبدأ ديدها بالكبر، وتقول البادية حفلت، كما ينخفض ما عن يمين عكرة الذيل ويسارها وتسمى الناقة مخرقًا، ويحدث ذلك قبل أسبوع تقريباً من ولادتها. فإذا تعدت الناقة يوم ضرابها، أي جاوزت تمام السنة، ولم تلد قيل نقلت أو جرت.

الخلفة: وهذا الاسم يطلق على الناقة عندما تلد أي أنها خلفت (ولدت) حوارا ولمدة ستة أشهر حتى تعود لشرب الماء وقت الصيف.

العشراء: عندما يكبر حوار الخلفة ويأتي وقت المقياظ (الصيف) يقال لها عشراء ولمدة ستة أشهر أخرى فتجسر ويطرد عنها حوارها ويسمى مفرودًا (فصيل)، وتسميها العرب: الشول.

المسوح: وهي الناقة التي كلما أردت حلبها مسحت على ثديها فتدر، من دون حوار، وتسمى كذلك مري.



المجمّعه: هي أكثر الإبل لبنا تحلب للضيف ولأهل البيت فقط، ولا يحلبها الراعي لنفسه.

الخفوت: وهي الناقة التي مات حوارها فحزنت عليه وأخذت تحن ألما عليه وحزنا لفقده. ويعمل لها البو، وهو أن يحشى جلد الحوار بعد موته بالتبن أو الأعشاب ويوضع على ظهر القعده (الرحول)، وعندما يراد حلب أمه يوضع البو أمامها فتشمه وتدر الحليب.

الخلوج: هي الناقة التي تخلج، أي تحن لفقد ولدها سواء كان ميتاً أو بعيداً عنها لا تراه.

البسوط (جمعها البسائط): وتسمى الحلوب (جمعها الحلايب) وهي الناقة التي معها حوارها، أما إذا لم يكن لها حوار فتسمى المحيوشه (جمعها المحيوشات).

ويقولون عن رضاع الحوار لأمه «مغج الفصيل أمه» أي لهزها، و«مغد الفصيل أمه» أي لهزها (لهجها) ورضعها. ويقولون أيضاً «مقا الفصيل أمه مقوا» رضعها رضعا شديدا، و«مك الفصيل ما في ضرع أمه» أي مص ما فيه من اللبن (السويداء ١٤١٢، ج٢: ٦٥٢)

وقال الثعالبي في <u>كتاب فقه اللغة وأسرار العربية</u>:

إذا بلغت الناقة في حملها عشرة أشهر فهي عُشراء. ثم لايزال ذلك اسمها حتى بعد الولادة. أما عند البادية فالعشراء هي التي يكون حوارها قد مضى على ولادته ستة أشهر إلى أن يضربها الفحل، وجمعها (عشاير). فإذا أضربها الفحل قالوا (معشر) وجمعها (معاشير). فإذا كبر الجنين في بطنها وتبين للرائي حملها قالوا (لقحة)، وجمعها (لقاح). أما منذ ولادتها إلى أن يبلغ ولدها ستة أشهر فهي لدى البادية (خلفة) وجمعها (خلفات). فإذا كانت حديثة العهد بالنتاج فهي عائذ. فإذا مشى معها ولدها فهي مطفل. فإذا مات ولدها أو نحر فهي سلوب. فإن عطفت على ولد غيرها فرئمته فهي رائم. فإن لم ترأمه ولكنها تشمه ولا تدر عليه فهي علوق وتسميها البادية: نافر أو نفور. فإن اشتد وجدها على ولدها فهي واله (١٣٥٧: ٢٤٧).

وورد في كتاب <u>الحيوان في الأدب العربي</u> لشكر أن:

الأبية من النوق: التي ضربها الفحل ولم تُلقح وتسميها البادية (حايل)، والأصوص كذلك. ويقال: أبرقت



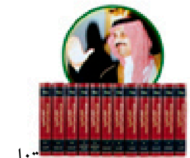
الناقة: أي شالت بذنبها من غير حمل، وهي مبرق وبروق. وأبسقت الناقة: إذا وقع اللبا في ثديها قبل النتاج فهي مبسق وبسوق. والثنو: الناقة التي تلد الولد الثاني. والجمع: الناقة التي في بطنها ولد. والجِهض، والجَهيض: السقط الذي تم خَلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش، وقيل: الذي لم يستبن خلقه وتقول البادية «فيخت أو كسرت» أي (أبرقت أو بشرت) بالعشار ثم فَسَدَ هذا العشار، ويكون ذلك في الشهرين الأولين عادة قبل أن يتخلق السقط، أما إذا استبان خلقه فهو صعاد، وإذا نبت وبره فهو عجال أو خداج. والحضون من النوق: التي ذهب أحد طُبْيَيْها. وربت الناقة وأربت: لزمت الفحل وأحبت المكان. وارتبعت الناقة وأربعت، وهي مربعة: أغلقت رحمها فلم تقبل ماء الفحل. وركضت الناقة: تحرك ولدها في بطنها. ورمدت الناقة: أرضعت وهي بكر. والزَعْلة: الناقة التي تحمل سنة ولا تحمل أخرى. وأزلقت الناقة: ألقت حملها قبل أن يستبين خلقه.

وأسقبت الناقة، وهي مسقاب: إذا كان أكثر ما تضع ذكورا. والمُشاحِذ من النوق: التي أخذها المخاض ولوت ذنبها وإنما تفعل ذلك لما يأخذها من الغم. والشرخ: نتاج كل سنة من أولاد الإبل. واستشار الفحل الناقة: إذا كرفها (شمها) ليتبين ألاقح هي أم حائل. وأشاعت الناقة ببولها: أرسلته متفرقاً. وتصلقت الناقة: تجضعت عند المخاض ظهراً لِبطن، فهي متصلقة. وضبعت (جسرت) الناقة ضِبْعا، وأضبعت: إذا أرادت الفحل، ونوق ضِباع، وضباعى. والمضامين: التي في أصلاب الفحول، والتي في بطون الحوامل، والعجنة والعجناء: الناقة التي ورم حياؤها ولا تلقح. والعسير (العدو أو المعدي): الناقة إذا لم تحمل في سنتها. والعُشَراء: الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر وجمعها عِشار، وعُشَراوات، أما عند البادية فهي التي مضى على ولادتها ٦ أشهر. والعائذ: الناقة عندما تضع حملها، جمعها عُوذ، وعُوذات. والفرع: أول ما ينتج من الإبل وطعام يُصنع عند نتاج الإبل. وفرقت الناقة: أخدجت، والمفرق:



الناقة التي فارقها ولدها بموت، أو ذبح (الخفوت). ونَسجت القلوص نسوجاً: أعجلها الفحل فضربها قبل بلوغ وقت الضِراب، فهي ناسجة. والقارح من النوق: أول ما تحمل والتي لا تشعر بلقاحها حتى يستبين حملها. وأقرت الناقة: ثبت حملها. والكتوم من النوق: هي التي لا تشول بذنبها عند اللقاح ولا يعلم بحملها. فإذا لقحت شالت. والكراض: حلق الرحم. والكشاف: أن تبقى الناقة سنتين، أو ثلاثاً لا يحمل عليها. والكشوف: الناقة التي يضربها الفحل وهي حامل (كسوب). والكموت: الكتوم اللقاح. ومارنت الناقة مرانا: ضربت فلم تُلقح فهي ممارن. وألمعت الناقة: شالت بذنبها، وأعلمت بلقاحها. وملصت الناقة (نفرت): أنفت ولدها، والولد مليص والناقة مملص. والمنية والمنوة للبكر: هي التي تحتاج إلى عشر ليال حتى يستبين لقاحها، وإذا كانت ثنيا أو ثلثا فخمس عشرة ليلة، فإذا مضت المنية استبان حمل الناقة وتسميه البادية (قرو). وأمنحت الناقة: دنا نتاجها (وضعها) فهي ممنح (مقرب). وأنشأت الناقة: لقحت. وأنصعت الناقة للفحل: قَرَّت له. والمهشار: الناقة التي تُلقح في أول ضربة وتضع أول الإبل. والهكعة: الناقة التي استرخت من الضبعة وأربت، وتقول البادية (مقطت). والعبارة من النوق: التي لا تضرب مع الإبل، ولكن يقاد إليها الفحل وذلك لكرمها وعتقها (١٩٨٥، ج١: ٢٢).

وللعرب طائفة من الأمثال والأقوال عن طباع الناقة خلال فترتي العشار والولادة، من ذلك قولهم «حرك لها حوارها تحن» وقالت أيضاً «أحن من شارف» والشارف هي الناقة المسنة، وهي أشد حنيناً على ولدها من غيرها، ومن قولهم أيضاً «شر مرغوب إليه فصيل ريان» وذلك أن الناقة لا تكاد تدر إلا على ولدها، ومن أمثال العرب أيضاً قولهم «فصيل ذات الزبن لا يخيل» وذات الزبن: الناقة التي تزبن ولدها وحالبها، والتخيل: أن تكون الناقة لا ترأم ولدها (نافر)، فيقال لصاحبها خَيِّل لها، وتقول البادية «يحدب لها»، فيلبس جلد سبع، ثم يمشي على يديه ورجليه، ويخيل للأم أنه ذئب، يريد أن يأكل ولدها فتعطف عليه وترأمه ويكون ذلك للتي تلد لأول مرة، أي



للبكر غالباً. ومعنى ذلك أن الناقة التي تزبن ولدها لا يخيل لها. وقالت العرب أيضاً «لا يعدم الحوار من أمه حنة» و«لا يضر الحوار ما وطئته أمه» وقالوا أيضاً «الناقة جن ضراسها» ويقال: ناقة ضروس إذا كانت سيئة الخلق بعد الولادة، وإذا كانت كذلك حامت ودافعت عن ولدها. ومن قول العرب أيضاً «أرغوا لها حوارها تقر» وأصل المثل أن الناقة إذا سمعت رغاء حوارها سكنت وهدأت.

ومن أمثالهم أيضاً «راءمت له بوضيم» وأصله أن الناقة إذا ألقت سقطها (أجهضت) وخاف أهلها انقطاع لبنها أخذوا جلد حوارها، فحشوه ولطخوه بشيء من سلاها فترأمه وتدر عليه. وهو البو؛ قال البحتري:

إن الزمان زمان سو
وجميع هذا الخلق بو

يقصد الشاعر بقوله هذا أن جميع الناس فارغون من الحياة فراغ البو. وقال متمم بن نويرة اليربوعي:

فما وجد أظآرٍ ثلاث روائم
رأين مجراً من حوار ومصرعا
يذكرن ذا البث الحزين ببثه
إذا حنت الأولى سجعن لها معاً
إذا شارفٌ منهن قامت فرجعت
حنيناً فأبكى شجوها البرك أجمعا

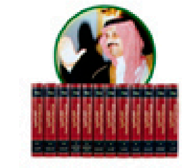
الرائم: العاطف، والشجو: الحزن، والبرك: الألف من الإبل، وكأن الشاعر يقول: ما وجد نوق ثلاث عطفن على ولد غفلن عنه فافترسه السبع فلما تذكرنه، وطلبنه، رأينه ممزقاً مصروعاً. وقال عمرو بن كلثوم التغلبي:

فما وجدت كوجدي أم سقب
أضلته فرجعت الحنينا

والوجد: الحزن، والترجيع: ترديد الصوت، يقول: فما حزنت حزنا مثل حزني ناقة أضلت ولدها فرددت صوتها مع توجعها في طلبه، ويقصد الشاعر بذلك أن حزنه على فراق حبيبته أشد حزنا من هذه الناقة. وقال قيس بن ذريح:

فأقسم ما عمش العيون شوارف
روائم بَوٍّ حائمات على سقب
تشممنه لو يستطعن ارتشفنه
إذا سفنه يزددن نكبا على نكب
رئمن فما تنحاش منهن شارف
وحالفن حبسا في المحول وفي الجدب

الرائمة: الناقة العطوف على ولدها وغيره من الحيران. والحائل: الناقة التي لا تحمل. والمتبع: التي يتبعها ولدها، والسقب: ولد الناقة، وساف الشيء: شمه، والنكب: ظَلَع البعير وقيل: داء يأخذ الإبل في مناكبها



تظلع منه وتمشي منحرفة. وقال علي بن الجهم:

فأصبحْت كمراح الشول حافلة

من كل لاقحة في بطنها درر

المراح: مأوى الإبل، والناقة الشائلة: هي الناقة اللاقحة التي تشول بذنبها للفحل علامة للقاحها، إضافة لرفع الذنب فهي ترفع رأسها وتشمخ بأنفها. ويقول نابغة بني جعدة:

عطفنا لهم عطف الضروس فصادفوا

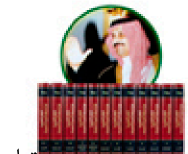
من الهضبة الحمراء عزا ومعقلا

والضروس: الناقة حديثة الولادة، وسميت ضروساً لأنه يعتريها عند نتاجها (ولادتها) عضاض لأيامٍ من باب الحذر على ولدها ثم تذهب عنها هذه الحالة بعد فترة.

التلقيح الصناعي

تمكن علماء وباحثو مركز الشيخ خليفة بن زايد لأبحاث الهندسة الوراثية في مدينة العين بالإمارات العربية المتحدة خلال عام ١٩٩٠م، من الحصول على نتائج قيمة وباهرة لإكثار هجن السباق الممتازة بواسطة عملية التلقيح الصناعي. وهو أمر يحدث لأول مرة في العالم (الشرق الأوسط ١٩٩٠: ع ٤١٥٨).

وتتلخص التجارب العلمية التي أُجريت بنجاح في المختبر وعلى مدى ١٦ شهراً، في اختيار النوق ذات الصفات الوراثية الممتازة وتلقيحها صناعياً. ثم إعادة زرع البويضات المخصبة المأخوذة من النوق الواهبة في أرحام نوق أخرى (المتلقية) لتقوم بدور الأم الحاضنة (الحمل والولادة) لهذه البويضات، وهي طريقة ما يسمى بأطفال الأنابيب، فتولد سلالة من الإبل تحمل كل التراكيب الوراثية الممتازة، والمرغوب فيها، من النوق الواهبة. إضافة لما تقدم، فقد تمكن العلماء في هذا المركز من حفظ البويضات المخصبة، التي تحمل الصفات الوراثية المطلوبة، دون أن تتلف أو تفسد لعدة سنوات لحين إعادة زراعتها عند الحاجة في الأرحام الحاضنة، حتى بعد هلاك الأم والأب الأصليين. إذ يمكن الحصول على أبناء يحملون صفاتهما نفسها، وذلك باستخدام طرق خاصة للتبريد، وأوعية مناسبة لهذا الغرض. ويأمل علماء المركز مستقبلاً أن تمكنهم النتائج العلمية الجيدة التي حصلوا عليها، من شق البويضة المخصبة إلى نصفين، وإنتاج توائم من الإبل مشابهة ومطابقة للأب والأم الأصليين. كما يأملون أن تمكنهم أبحاثهم من التعرف على أسباب العقم



عنـد بعض الإبل، مـع إيجاد الحـلول المناسبة لذلك.

وقد تمت عملية التلقيح الصناعي هذه على ثلاث مراحل، هي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة البحث المتعلقة بعملية التلقيح الأحادي، حيث أخذت في هذه المرحلة بويضة مخصبـة مـن ناقـة ونقـلت إلـى ناقـة أخرى، باستـخدام أنبوبة بلاسـتيكية دقيـقة ثم إدخالها قرب المبيض عبر الرحم.

المرحلة الثانيـة: أطلق علماء المركز على هذه المرحلة مرحلة التلقيح المتعدد. وتم فيها إخصاب أكـثر من بويضة من الناقة، لكي تنقل هذه البويضات المخصبة إلى عدة نوق أخر. ومع نجاح هذه المرحلة أصبح بإمكان علماء المختبر، ولأول مرة، حـث النـوق علـى إنتـاج المزيـد مـن البـويضات وذلك بـاستخـدام الخمائر (الإنزيمات).

المرحلة الثالثة: تمكن علماء المختـبر في هذه المـرحلة من حفـظ البويضات المخصبة التـي تم جمعها لحين زراعتها في أرحام النوق عند الحاجة لذلك.

وقد جاء في جريدة الرياض:

تم في دبي مـساء أمس لأول مرة على المستوى العالمي تـلقيح ناقتين ببويـضة واحدة بعـد شطرها إلـى قسمين وذلـك بواسطة الأنابيب. وذكرت وكـالة أنبـاء الإمارات أن الأطبـاء المختصين قـاموا بسحـب البويضـة المخصبة من داخل رحم الناقة التي تم زرعها قبل ستـة أيام بواسطة الأنابيب، وذلك عن طريق حقن رحم الناقة بـعدة ملليمترات وسحبها ثانية مع البويضة المخصبة، ومن ثم تم قطع البويضة إلى نصفين بواسطة مـشرط خاص في عمليـة دقيقة وحساسة للغاية تعتبر الأولى من نوعها في العالم. وصرح مدير المستشـفى البيطري بدبـي الدكتور أحمد بيـلا أن وزير الدفاع الشيخ محـمد بن راشد آل مـكتوم أمـره بتعميم التجربة في العام القادم على نحو مائتي ناقة في دولة الإمارات، وذلك بهدف تحسين وزيادة الـنسل والسـلالات وتنـويع الفـائدة من الهجن مـشيراً إلى أن هناك هجنـاً للحـليب وأخرى للإنجـاب وثالثة للسباقات (١٤١٣: عدد ٩٠٢٤).

ومن جـهة أخرى، بـدأ الاهتـمام العلمي والبحث في مجال الإبل وتنميتها وتطـويرهـا يأخذ صـفة الشـمول، إذ أصبحت هناك بعض المراكز المعنية ببحوث الإبل في الدول الآسيوية والأفريقية التي



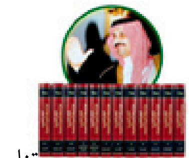
تكثر فيها هذه الحيوانات النافعة، وفي بعض الدول الأوروبية التي بدأت تسهم تقنياً في العناية بالإبل ومساعدة بعض الدول في هذا السبيل.

ففي خبر نشرته جريدة الشرق الأوسط، أن المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (ACSAD) أصدر أول فهرس مرجعي عن الإبل ضم ٢٥٢٨ بحثاً، كما أنشأ «شبكة بحوث وتطوير الإبل» وذلك بدعم من الصندوق الدولي للتنمية الزراعية (إيفاد) والحكومة الفرنسية، ويشمل نشاط هذه الشبكة دولاً أفريقية وآسيوية تمثل الإبل فيها أهمية اقتصادية.

وتهدف الشبكة إلى دعم نشاطات بحوث الإبل في المؤسسات الوطنية في تلك الدول من خلال مشروعات متخصصة لتعزيز القدرات الفنية وتطوير ونقل التقنيات الملائمة في تربية الإبل، وفي تصنيع وتسويق ألبانها ولحومها، وكذلك التنسيق بين مراكز وشبكات الإبل، وتبادل ونشر نتائج البحوث المتعلقة بها، ومن أهدافها أيضاً تدريب كادر فني مؤهل لتنفيذ أنشطة دراسات وبحوث الإبل في الدول الأعضاء في شبكة بحوث وتطوير الإبل والتعرف على واقع إنتاج الإبل في هذه الدول ومشاكل الإنتاج فيها، والتعرف على أنشطة العاملين في مراكز تربية وبحوث الإبل فيها.

ويذكر الدكتور محمد فاضل وردة مدير الإنتاج الحيواني في ACSAD (مقره دمشق) أن شبكة بحوث وتطوير الإبل قامت مؤخراً بإجراء الدورة التدريبية الأولى على تحسين إنتاج الإبل، وذلك على مدى عشرة أيام وشارك فيها متخصصون من الدول الأعضاء في شبكة بحوث وتطوير الإبل، وهي السعودية وعمان وسورية والمغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والسودان والصومال وإيران وباكستان.

وتعرف المتدربون على واقع الإبل ومنتجاتها، وتصنيعها وتكثيرها، واستخدام الحاسب في تسجيل وتحليل البيانات، واقتصاديات إنتاج الإبل والتحسين الوراثي لها، وأهم أمراضها وسبل مكافحتها، والطفيليات التي تصيبها، كما زار المتدربون محميات البادية السورية ومراكز تربية الإبل في تدمر ودير الحجر ووادي الغريب. وتستهدف بعض نشاطات ACSAD الوقوف على أسباب تدني إنتاجية الإبل وتعدادها، إذ يبلغ عددها في العالم حوالي ١٨,٥ مليون، تشكل الإبل ذات



السنام الواحد حوالي ٩٥٪ منها وتمتلك الدول العربية معظمها. وهي توفر سنوياً حوالي ٣٢١٨ ألف طن من الحليب، وحوالي ٣٥٧ ألف طن من اللحوم الحمراء. ويواجه إنتاج الإبل صعوبات ومعوقات كثيرة قد يكون أهمها حالياً تعرض مناطق انتشارها إلى موجات متتالية من الجفاف القاسي الذي يجبر الرعاة على النزوح مع قطعانهم إلى مناطق التجمعات السكانية، وإلى تبدل نظم إنتاجها، ومن ثم فإن الإبل تفقد قاعدتها الرعوية الأساسية، الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم المشكلات التي تعيق الإنتاج.

أسنان الإبل

يدل تحديد أسماء الإبل عند العرب على شدة اهتمامهم بها. فأخذوا يسمونها مرة تبعاً لألوانها، ومرة تبعاً لأعمارها، وثالثة تبعاً لسلالاتها، ورابعة بحسب القوة والنشاط، وخامسة بحسب العمل أو المهمة التي تقوم بها، وسادسة بحسب جماعات الإبل وعددها. كما نجد أسماء خاصة لإبل بعينها يختارها صاحبها، بل أسماء لذكور الإبل وأسماء لإناثها وهكذا. وما هذه التسميات سوى صفات أطلقوها على الإبل، فترسخت مع الزمن وأصبحت بمنزلة الأسماء. وقد تعددت هذه الأسماء واختلفت باختلاف القبائل، وتنوعت بتنوع الجهات والأقاليم واللهجات، وتناقلتها الأجيال فأصبحت جزءاً من التراث الشعبي.

ولأعمار الإبل علاقة وطيدة بالأسماء التي أطلقها العرب عليها. كما أن ثَمَّ علاقة وطيدة أخرى بين أسماء الإبل وأعمارها من جهة، وبين أعمارها وأسنانها من جهة أخرى، لأن حركة تطور الأسنان وتبدلها تتوازى مع حركة تطور العمر. ولذلك أصبحت عبارة «سن البعير» مرادفة لعبارة «عمر البعير» ثم توسع العرب في استعمال كلمة «سن» لإطلاقها على العمر حتى تجاوزت الحيوان إلى الإنسان. وهذه العلاقة بين العمر والسن تعارف عليها العرب في القديم والحديث، فجاء في كتب الحديث الشريف (باب أسنان الإبل) وكذلك في



أسنان الإبل تحدد أعمارها



كتب اللغـة، ويراد به أعمارها؛ لذلك قالوا في المثل الشعـبي «من فرها عرف سنها» أي عمرها، وإذا قالت البادية «إبل مسـان» أي: لا تزال شابة، وهـي من جذعة وثَنْية إلى سِدَس، فمن هـنا جاء تحديد عمـر البعير بالنظـر إلى أسنانه، خاصة بمـلاحظة ظهور وتبـدل قواطعه الأمامية حتى ثماني سنوات. وبعد تسع سنوات يتحدد العمر بمدى تآكل الأنياب وشكـل القواطع. ويـقوم بروز الـناب خاصة في فم البعير بدور مهم في تحديد عمره؛ فإذا اشتد ناب البعير وغلظ قيل «عصل نابه»، فإذا طال واصفر قيل «عرد نابه» وهو من عروود النبات وطوله، فإذا جاوز سن العرود فهو عود.

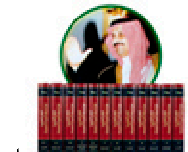
والنـاب: المسنة مـن النوق، وفـي الحديث «لهم من الصدقة الثِّلب والناب» والجمع النِّيب، وفي المثل «لا أفعل ذلك ما حنت النيب»، ولذلك قال ابن الرومي في رثاء ابنه:

وإنـي، وإن مُتّـعـتُ بـابنـيّ بـعده
لـذاكره مـا حنّـت النـيب فـي نجد

وتسمية الناقة بالناب من باب تسمية الكل بالجزء. وعندما يبدأ البعير في السنة السادسة تكون قد سقطت أسنان الرضاعة وحلت محلها ثنايا جديدة، ولذا يسمى الثني، فإذا أتم ست سنوات وبدأ في السـابعة أصبح مجموع ما انقلع من أسنانه أربع أسنان، وهنا سمي الرباع، فإذا أتم سبع سنوات وبدأ في الثامنة وأصبح مجموع ما قلعه من الأسنان ستة سمي السديس، إلى أن يفـطر الناب الأول فيبدأ في حساب جديد ويسمى الجمل حينئذٍ فاطراً، فإذا ظهر الناب سمي في السنة الأولى فطر أول، وفي السنة الثانية فطر ثان، وفي الثالثة فطر ثالث، وتقول البادية للجمل شاقْ وللناقة فاطرْ. وبعد ذلك يشق الأسيْوِد، وهو ناب صغير حالك السواد حين ظهوره، فيستدل بذلك اللون على أن البعير قد بلغ منتصف العمر تقريباً ثم يبدأ هذا اللون الأسود يزول ويتحول السن إلـى اللون الأبيض، ويعني ذلك أنه بدأ في الكبر والتهرش.

وقد اصطلح الناس على تسمية هذه المراحل دون تحديد السن:

القعود: هو الـذكر من المفرود إلى الثني، والجمل: هو الذكر الذي اكتمل نموه، من الـرباع إلى ظهور الأسـيود، والهِـرش: هو البـعير الـذي بلغ سـن الشيخوخة، والثلب: وهو البعير في نهاية عمره. أما الأنثـى فتسمى البكرة: من حوارة إلى لقية، وتسمى في بادية الجنوب عجم إلى أن تلقح. فإذا وصلت الرباع ولم تلقح فهي معدي. ويقال «ناقة بكر» إذا أنتجتْ بطـنها الأول و«ناقة ثِنو» إذا أنتـجت بطـنين، و«ناقـة أم ثالث» إذا



أنتجت ثلاثة بطون، وكذلك «ناقة أم رابع» وهكذا؛ قال ذو الرمة:

إذا غرقت أرباضها ثِني بكرة
بتيهاء لم تصبح رؤوما سلوبها

وأم خامس: لها خمس ولدات: يقال لها خماس، ويكون بهذه الحالة قد بقي فيها من الولادات قدر ما مضى منها، ويقدرون أن الناقة تلد في المتوسط حوالي اثنتي عشرة ولدةً وربما زادت على ذلك.

الناقة: وهي التي تم نموها واكتملت وبلغت متوسط العمر ابتداءً من الثنية حتى ينفطر نابها. ويقال عنها سن، أي ما زالت صغيرة في عمرها.

الناقة الفاطر: ابتداء من فطر نابها، ويقال فطر الناب إذا شق وظهر، وعندما يبدأ الناب بالفطور تكون الناقة بأوج قوتها واكتمالها، ولذلك كثر وصفهم لها بالقوة في ذلك العمر، قال سعدون العواجي:

ياراكبٍ من عندنا فوق مهذاب
مامون قطّاع الفيافي ليا انويت
حرٍّ صغير وتو ما شَقّ له ناب
عقد القرا يجدع رجال لهم صيت

وقال عدوان بن راشد الهربيد:

ياراكبٍ من فوق بنت العماني
وقم الرباع وتو ما شق نابه

وقال تركي بن صنهات بن حميد:

ياراكبٍ من عندنا نابية شط
تشدى ظليمٍ بالخلا صايعه ذور
وقم الرباع ونابها ما بعد نط
تكسر عْصِيّ الكور لو كان ماسور

وسمت العرب صغار الإبل الدرادق، قال قيس بن جروة الطائي:

فأقسمت جهداً بالمنازل من منى
وما خبَّ من بطحائهن درادقه

والإبل الصغيرة تسمى الدِّقْ، ودِق الإبل هي الحشو، والحشو من مفرود إلى لقي (حقه)، والقعدان والبكار. والكبيرة الجِل وقيل: الجل السِّمَان، والجِل: الإبل الثقيلة الكبيرة، وجل الإبل من أم ثالث فما فوق إلى الفاطر (الجل ما تجاوز الثنية، وإن كان المقصود بها بوجه عام كبار السن منها). قال هميان بن قحافة:

يتبعن دهماً جلةً حراججا
كوما كأن فوقها هوادجاً

ومن الحداء:

ياسعد قد للجلي
نِيّة قليّب خلي

ومن الحداء أيضاً:

يامرحبا واهلي
بيدقهن والجلي

ومن الحداء أيضاً:

البل يابهيدله
البل دقّه جله



وكثير من كتب اللغة عددت أعمار الإبل وصنّفتها وأطلقت عليها أسماء ترسخت في متن اللغة، وشواهد ذلك موجودة مثلاً في كتاب فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، والمخصص لابن سيده، ونظام الغريب للربعي، فضلاً عما تفرق في معاجم الألفاظ، والمعاني وما أكثرها.

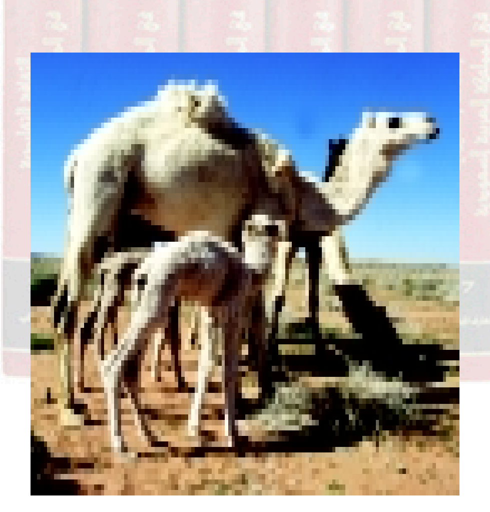
ومنذ القديم وقف العلماء عند ظاهرة عمر البعير؛ إذ عدوه من الحيوانات متوسطة الأعمار، ونادراً ما يصل عمره إلى الثلاثين. وهذه أسماء الإبل وصفاتها وفقاً لتطور أعمارها:

السليل أو السقب. هو ولد الناقة ساعة تضعه قبل أن يُعلم أذكر هو أم أُنثى، ويسمى حواراً، فإذا كان ذكراً فهو سقب، ويقال: صقب. ولا يقال للأنثى سقبة، وأمه مسقب. والسليل عربية فصحى، جاء في اللسان قوله: إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليل قبل أن يُعلم أذكر هو أم أنثى، وجمع السقب: أسقُب، وناقة مسقاب: إذا كانت عادتها أن تلد الذكور، وفي الأمثال «أذل من السقبان بين الحلائب»، وقد أسقبت الناقة: إذا وضعت أكثر ما تضع الذكور.

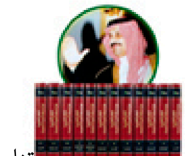
الحوار. من ولادته إلى ستة أشهر، وسمي بهذا الاسم لأن أمه تحير عنده ولا تسير إلا وهو معها ولمدة ستة أشهر من تاريخ ولادته. والحوار ينهض ويسير على مهل مع أمه خلال ساعات من ولادته تقريباً. والحوار العجي هو الذي ماتت أمه وغذي بلبن غيرها. وهذا الحوار يألف الراعي ويتبعه، وتبلغ الألفة بينهما أن الحوار قد يوقظ الراعي من النوم ليلاً إذا جاع، فيحلب الراعي له ويقدّم له



سليل أو سقب بجوار أمه



حوار في شهره الأول





البو

الحليب في إناء خاص ويسقيه (يوجّره) حتى يشبع، وتسمى الأنثى عجية.

وقد ورد ذكر الحوار في التراث كثيراً فقالت العرب في أمثالها «أذل من حوار»، وقال ذو الرمة:

يطرحن حيراناً بكل مفازة
سقباً وحولاً لم يتم تمامها

ويتصل بالحوار البو: وهو جلد الحوار إذا حشي تبناً أو ثماماً أو حشيشاً لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها أو ذبح، ثم يُقرَّب إلى أم الحوار الذي مات لترأمه فتدر عليه؛ قال الشاعر:

فما أم بوٍّ هالك بتنوفةٍ
إذا ذكرتْه آخر الليل حنّتِ

وكذلك يتصل به الدهاي: اسم يطلق على الحوار أو المخلول المصاب بالمرض كالقرع، ويكون مصاباً بالهزال والضعف. قال الشاعر:

تلقى الدهايا في حضون المفاليس
شروى هليم الضان ما يطرد الجوع

وكذلك مما يتصل بالحوار تسمية الراشح: جاء في لسان العرب: رشحت الأم ولدها باللبن القليل: إذا جعلته في فيه شيئاً بعد شيء حتى يقوى على المص. وهو الرشيح. ورشحتْ الناقة ولدها: هو أن تحك أصل ذنبه وتدفعه برأسها وتقدمه، وتقف عليه حتى يلحقها، وتزجّيه أحياناً أي تقدِّمه وتتبعه. وترشّح هو: إذا خالطها ومشى معها وسعى خلفها ولم يعنّها، وقيل: إذا قوي ولد الناقة، فهي مرشح، وولدها راشح والجمع رُشّح، قال الأصمعي: إذا وضعت الناقة ولدها فهو سليل، فإذا قوي ومشى فهو راشح، وأمه مرشح، فإذا ارتفع عن الراشح فهو خال.

المخلول. (من ٦ إلى ١٢ شهراً) وتسميته تلي تسمية الحوار، وهي من بداية الصيف إلى عشار أمه في الشتاء، سمي بذلك لأنه يوضع له خلال حتى لا يرضع أمه. وفي المثل «حَنة مخاليل». ويطلق عليه هذا الاسم أيضاً عندما يبدأ في شرب الماء في الصيف؛ ولأنهم يضعون في أنفه الخلال منعاً له من الرضاع، ولكي يعطش فيشرب الماء، ويجوع فيأكل العلف، والخلال عود بطول ١٠سم تقريباً يغرز في أنف الحوار (الحبردي، ١٤٠٩: ٥٤).

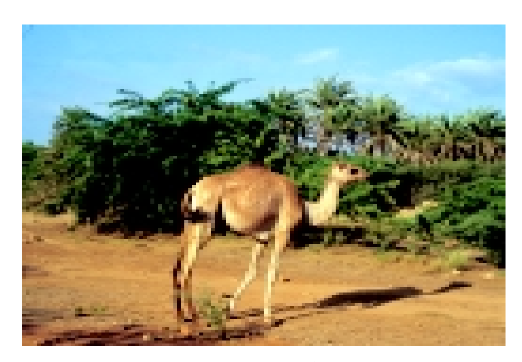


قال صاحب لسان العرب: وفصيل مخلـول إذا غُرز خلال على أنـفه لئلا يرضع أمه؛ وذلك أنها تزجيه إذا أوجع ضرعَها الخِلال، والخلال: عـود يجعل في لسان الفصيل لئلا يـرضع ولا يقدر على المص. قال امرؤ القيس:

فــكــرّ إلـيـه بمـبـراتـه
كـمـا خلَّ ظـهـرَ الـلـسان المُـجِـرّ

وقيل: خلـه: شق لسانه ثم جعل فيه ذلك العود.

المفـرود أو الفصـيل. (من سـنة إلى سنتـين) أو هو ما أتم سنـة من عمره، فيكـون قد انفرد أي انـفصل عن أمـه، واعتمد علـى نفسه في الرعي والشـرب لمدة سـنة أخـرى. والمفـرود، وجمعـه مفاريد، هو الفصيل وابن المخاض واللطيم والأفيل، ويقال: سمي مفـروداً لأن أمه



حوار مفرود مقيد

طردته لـعشارها ولعدم قـبولها رضاعـه منها. قال الشيخ خلف بن دعيجاء:

مـا لافـتن عـنـد اول الـذود لابـنِ
ولا مـصّهـن مفـرودهـن بالـفطـام

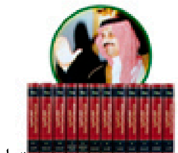
وقال مشارع الجعيري الشراري:

يوم انـتحـوا في جـلّهـن والمفـاريد
أرخصـت خبره غالـي العمـر غادي

ويطلق علـيه الفصيل لأنه انفصل عن أمـه. وهذه كلـها يطـلق علـيهـا



المقهور: حيران تجمع وتحجز في مكان منفصل عن أمهاتها التي تترك ترعى بحريتها بعيداً عن حيرانها لئلا ترضعها.



حاشي، والجمع (حشوان)، ومن حداء الإبل:

الفاطر ام الحاشي
من درّها نعتاشي

ومن الحداء أيضاً:

مزهومةٍ وتطرّدي
والحشو عنها شرّدي
ناقتك ياولد الردي

قال مؤرج السدوسي: إن المنتوج يدعى فصيلاً إذا شرب الماء وأكل الشجر وهو بعد يرضع. فإذا أرسل الفحل في الشول سميت أمه مخاضاً ودُعي ابنها ابن مخاض، وهو المفرود. والمخاض: الحوامل من النوق، وفي المحكم: التي أولادها في بطونها، واحدتها خَلِفة على غير قياس، ولا واحد لها من لفظها. ومنه قيل للفصيل إذا استكمل السنة ودخل في الثانية: ابن مخاض، والأنثى ابنة مخاض، وإنما سميت الحوامل مخاضاً تفاؤلاً بأنها تصير إلى ذلك وتستمخض بولدها إذا نُتجت، وقال الأصمعي: إذا حَمَلْتَ الفحل على الناقة فلقحت فولدها إذا استكمل سنة من يوم ولد ودخل في السنة الأخرى فهو ابن مخاض؛ لأن أمه لحقت بالمخاض من الإبل وهي الحوامل، وقال ثعلب: المخاض: العشار يعني التي أتى على حملها عشرة أشهر، وقال ابن سيده: لم أجد ذلك إلا له، أعني أن يعبر عن المخاض بالعشار، وتدخل الألف واللام على ابن مخاض فيقال ابن المخاض، كما قال جرير:

وجدنا نهشلاً فضلت هجيماً
كفضل ابن المخاض على الفصيل

وهذا البيت يشرحه قول العرب في أمثالها «كفضل ابن المخاض على الفصيل» أي الذي بينهما من الفرق قليل، وهو المعنى الذي ورد في بيت جرير. وقال أبو تمام:

عادت المكرمات بزلاً، وكانت
أدخلت بينها بنات المخاض

ويسمى ابن المخاض الخَل، والأنثى خَلة.

واللطيم: الصغير من الإبل الذي يُفصل عند طلوع سهيل، وذلك أن صاحبه يأخذ بأذنه ثم يلطمه عند طلوع سهيل ويحلف ألا يذوق قطرة لبن بعد يومه ذلك. ثم يصر أخلاف أمه كلها ويفصله عنها، ولهذا قالت العرب «إذا طلع سهيل، برد الليل، وامتنع القَيل، وللفَصيل الويل»؛ وذلك لأنه يُفصَل عند طلوعه، وقال الجوهري: اللطيم: فصيل إذا طلع سهيل أخذه الراعي وقال له: أترى سهيلاً؟ والله لا تذوق عندي قطرة! ثم لطمه ونحاه، وقال ابن الأعرابي: اللطيم أيضاً الفصيل إذا قوي على الركوب لُطِم خده عند عين الشمس، ثم يقال: اغرُب، فيصير ذلك الفصيل مؤدَّباً ويسمى لطيماً. ومن جهة أخرى تطلق



اللطيم على العِيْرْ التي تحمل المسك والطيب وبزّ التجار، وتسمى اللطيمة أيضاً.

كما يسمى الأفيل: جاء في لسان العرب: قال ابن سيده: الأفيل ابن المخاض فما فوقه، والأفيل: الفصيل، والجمع إفال وهي صغار الإبل بنات المخاض ونحوها، والأنثى أفيلة. ومنه قول زهير:

فأصبح يُجرى فيهُم من تلادكم
مغانم شتى من إفال مُزنّم

قال الشاعر سالم بن قحفان:

فإنِّيَ لا تبكي عليَّ إفالها
إذا شبعت من روض أوطانها بقلا

اللقي. (من سنتين إلى ثلاث) وهو الذي اتم سنتين من العمر والتقى مع أخيه الذي ولدته أمه بعده. ويطلق عليه في نجد والجنوب الحق، وفي الشمال اللقي. ويسمى ابن اللبون لأن أمه صار لها لبن وتسمى الأنثى بنت لبون. قال الراجز:

إذا سهيل مغرب الشمس طلعْ
فابن اللبون الحِق والحِق جذع

وقال الشاعر:

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرَن
لم يستطع صولة البزل القناعيس

الحِق. (من ٣-٤ سنوات) والأنثى حِقّة، قال الشاعر الشعبي محمد العوني:

تبكين فرقا حقّةٍ شدّة العرب
ضاعت يمين البوش والا شمالها

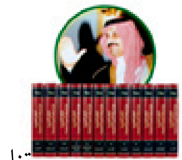
والجمع لكليهما: حِقاق. الحِق من أولاد الإبل الذي بلغ أن يُركب ويُحمل عليه ويضرب، وقيل: إذا بلغت أمه أوان اللقاح من العام المقبل فهو حِقّ بيّن الحِقة، ويقال: أحقت البكرة إذا استوفت ثلاث سنين. وعرَّفته بعض الكتب بأنه إذا فُصل أخوه وذلك لاستكمال ثلاث سنوات ودخول السنة الرابعة فهو حِق، وفي المثل «حق شايف أخوه» وفي المثل أيضاً «بنت الرشيده الحِقه». وفي المثل أيضاً «حقة شرارات». قال عمارة ابن طارق:

فاعجل بغربٍ مثل غرب طارق
ومسد أمرّ من أيانق
ليس بأنياب ولا حقائق

الجَذَع. (من ٤-٥ سنوات) والجمع جِذْعان. والأنثى جَذَعة، وجمعها جذعات. والجذع البعير إذا استكمل أربع سنوات ودخل في الخامسة.

الثّني. (من ٥-٦ سنوات) والجمع ثِنْيان وثنايا، والأنثى ثنيّة، وجمعها ثِنيّات وثنايا، وهو الذي أتم خمس سنوات وبدأ في السادسة وسقطت منه ثنيتا اللبن في السنة السادسة وحل محلهما ثنيتان جديدتان، قال الراعي:

فقلت لرب الناب خذها ثنيةً
وناب عليها مثل نابك في الحيا



ويقال للثني: بكر وقعود. والقعود هو الذكر الذي بدأ يكتمل، أما البكرة فهي الثنيه التي بدأت تكتمل واستعدت للركوب واللقاح.

وقال أبو عبيدة «البكر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس، والبكرة بمنزلة الفتاة، والقلوص بمنزلة الجارية، والبعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة» (الدميري ١٩٩٥: ج١، ١٤٩). قال فجحان الفراوي:

ياراكبٍ هجنٍ كبار المثاني
بين الحجر ومحقّبه يوم يرعن
حرايرٍ ومضرّباتٍ عماني
بكرات يزهن كل ابوهن على سن

وقيل: البكر ابن المخاض إلى أن يثني، والجمع أبكار وبكار. وبعد البَكرة تأتي الناقة وهي التي تمَّ نموها واكتملت وبلغت متوسط العمر.

الربّاع. (من ٦-٧ سنوات) والأنثى رباعية وجمعها رباع. وهو من الإبل الذي أتم ست سنوات وبدأ في السابعة، وسقطت اثنتان من أسنانه اللبنية بالإضافة إلى التي سقطت سابقاً عندما كان ثنيا، وصار مجموع ما قلعه أربع أسنان، قال محمد ابن عبدالله التميمي:

ياراكبٍ من فوق حمرا جليله
ومرمّلينه لاختلاف العلومِ
ترعى بقفرٍ عقب ما هي نحيله
وقم الرباع اللي عريبٍ كتوم

وقديماً قال ذو الرمة:

رجال ترى أبناءهم يخبطونها
بأيديهم خبط الرَّبّاع الجوابيا

السديس. (من ٧-٨ سنوات) وإذا ألقى الجمل السن التي بعد الرباعية فهو سدس وسديس، وذلك إذا أتم سبع سنوات وبدأ في الثامنة. وأصبح مجموع ما قلعه من الأسنان ستاً. ويسمى جالساً أو جلسًا حتى يشق الأسيود؛ قال أحد الشرارات:

حمرا على أول جلس ما شقّت الناب
ولا فلّها ركض العدف والزباره

والجلس: الناقة الوثيقة الجسم المشرفه.

وفي السديس يقول جُبيهاء الأشجعي:

سديساً من الشُّعْر العِراب كأنها
موكرة من دهم حوران صافح
رعت عُشُب الجولان ثم تصيفتْ
وضيعة جلس فهي بدّاء راجح

وقال عبدالله بن حمود السبيل:

ياراكبٍ عشرٍ من الهاربات
ما وقّفوهن بالمبيعه للاثمان
أسنان من خامس زمان لقوات
أسداس ما شافوا لهن طلع نيبان

الفاطر. (من ٨-١٠ سنوات) جمع فاطر، وذلك بعد أن يفطر الناب الأول



يبدأ في حساب جديد، تسمى عندئذ فطّر وهي كما يلي:

شق/فطر أول: وهي السنة الأولى التي فطر فيها الناب.

شق/فطر ثان: وهي السنة الثانية بعد فطر الناب.

شق/فطر ثالث: أي السنة الثالثة بعد فطر الناب، قال شليويح بن ماعز العطاوي:

يامن لقلبٍ عانق الفِطَّر الفِيح
كنّه على كيرانهن محزومي

قال محمد البسام:

قودا هميمٍ من بنات عثافر
مامونةٍ ذا تو فاطرها فطرِ

الناب. (من ١٠-١٤ سنة) ويسمى أيضًا المخلف والبازل، وهو الذي شق الأسيود وهو ناب صغير حالك السواد حين ظهوره، وبعد ذلك يتحول إلى اللون الأشقر فيستدل بذلك على أن الجمل قد بلغ منتصف العمر تقريباً ثم يبدأ يتحول إلى اللون الأبيض، ويعني ذلك أن البعير قد بدأ في الكبر أوالتهرش وإذا خرج الناب فقد بزل فهو بازل، وتسمى الناقة في أول البزول الناب ومنيب، وجمعها نيب، قال ابن لعبون:

أبرد إلى ذقته من الثلج مذيوب
شربة ضحى خامس على حنّة النيب

وقال عبدالله القضاعي:

ياراكب اللي تَوّ سِنّه منيبي
عِمْلِيّةٍ ما سطّغوها بالامجار

ولخلف أبو زويد:

مْحَنّي خشوم الفوس من شِمّخ النيب
اللي يعيشون العرب من حليبه

وتسمى الأنثى بازلاً أيضاً بدون هاء وبعضهم يسمى البازل: القهب. قال عدي بن زيد:

لا يستضيف الدهر من شربها
ما حنت النيب إلى النيب

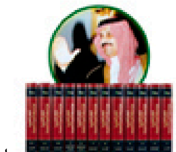
ويقولون في المثل «عض الناب على القارح» ومثله قولهم «شمّخ النيب». وإذا أتى على الجمل عام بعد البزول فهو مخلف ثم يقال مخلف عام ومخلف عامين فصاعداً ثم لا يزال كذلك حتى يصبح عوداً. قال شبيب بن البرصاء:

ومخلفة أنيابها جدلية
يشد حشاها نسعة ونسيج

والمخلفة التي أتى لها عام بعد البزول

العوْد. (من ١٤-١٨ سنة) والأنثى عودة، والبادية تسميها فاطر وهو الذي محا الاسيود وكاد يهرم، والفاطر هي التي قاربت التوقف عن اللقاح. قال جري الجنوبي:

على فاطرٍ هباعة السير والسرى
لها في مهاميه القفار رقيل



وقال آخر:

فـاطري ولْـيـا نـوينـا بـالـنكـوفـه
اصـبري والـلـه يعـين الـصابـريـنِ
عاد لا فـاطر ولا انـتيـب مْعـسوفه
شـمّخ الـنـابـين مثـل الـشوكـتـين

وقال خلف بن حماد بن مسرع الزراع:

يـاونـتـي ونـة هـزيـل المعـاويـد
عقـب العـدل خلي بـوسط المراحـه

الثِلْب. (من ١٨-٢٠ سنة) وهو بعد أن يمحي أسيوده تماماً ويظل كذلك حتى ينتهي هرمه. وإذا أسن فهو الشارف سواء أكان ذكراً أم أنثى. قالت العرب «حمله علـى الشرف الـذلل». الشرف جـمع شارف، وهي النوق المسنة. قال أبو تمام:

وكانـت كتابٍ شارف الـسن طرَّقت
بسـقبٍ وكـانت في مـخيلـة حائـل

وعلى ذكر الثـلب من الإبل، وهو الجمل الهزيل كبير السن، يقول حميدان الشويعر:

يـــاشٍ فـــي راســي لـــه زنّـــه
كـــنـــه يـــومـــي فـــي دوّار
إن قـــمـــت فـــلا بـــد الـــونـــه
والمـــمـشـــى كـــنـي بِـــهْـجـــار
وســـنـــونـــي كـــبـر طـــاحـــنّـــه
وكـــلـــي نـــتـشٍ بـــالاظـــفـــار
أشـبـــه لـــثـــلـيـبٍ بـالـــعـنّـه
وان شـــاف المـــرعـــى مـــا ثـــار
وان حـــاول يمـــشـــي كـــنـــه
فـــي رجـــلـــه قـــيـــد وهـــجـــار

وهنا يصف حميدان الشّويعر نفسه بعدما كبر سنه وضعفت قواه وسـقطت أسنانه حـتى أصبح يقطع أكلـه وينتش اللحم بأظـفاره لعدم وجود أسنان له، وإذا مشى فكأنما رجلاه مقيدتان كالثليب من الإبل (تصغير الثلب)، وهو الجمل الكبير سناً والهزيل جسماً، حيث يوضع في مكان (عُنّه) ويحاط عليه بالأشجار لحمايتـه من البرد، كما أنـه لضعفه لا يستطيع أن يقف ولو شاهد المرعى.

الهِرش. (ما بعد ٢٠ سنة) إذا دخل سن الشيخوخة وبدأ يهزل.

وللإبل المسانّ أسماء أخرى منها:

الماجّ: وهو البعـير الذي ارتفع عن صفة الثلب، وسُمّي الماجّ لأنه يمجّ ريقه (لعابه) ولا يستطيع أن يحبسه من الكبر. وتسـمى الأنثـى بهذه الـصفة مـاجّة. والدرداء من الإبل المسنة، وقيل الجمل الأدرد هو الذي نحلت أسنانه، والأدرم: البعـير الذي ذهبت جـلدة أسنانه ودنـا وقوعها، والـهردش هي الناقة المسـنة، والكزم الهرمة من الإبل. وإذا استحكم هرم البعير فهو كِحكـح. وهناك نعوت أخرى تدل على الهرم كالدردج، العرزم، والضرزم، والدلقم، واللطلط.



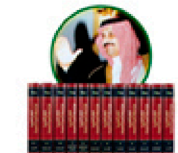
سير الإبل وحداؤها

حركة الإبل

يختار البعير عادة الأماكن اللينة ليبرك عليها، وهو يبـرك متدرجاً ببطء. وتتم هذه العملية على عدة مراحل: ثني يديه الأماميتين وسقوطه بصورة مفاجئة على عظمتي الرسغـين الأماميتين فالركبتين؛ ثم ثني رجليه الخلفيتين، ثم ينزل مقدمة جسمه إلى أسفل. ومن ثم فإنه يمد يديه الأمامـيتـين المثـنيـتين بحـيث تمـتدان مستقيمـتين في مقدمة حوضه. ويتركز ثقل الـبعير عندئـذ على قَصِّهِ الـصلب (الزور، الكركرة) ثم يثني رجليه ويستوي باركاً. ويمكن للبعير أن يظل باركا لعدة ساعات يجتر خلالها ويريح جسمه وينام. وأحيانا يـأكل مطمئنا إلـى عدم تعرض جسمه لأشعة الشمس سوى جزء محدود منه. وعندما يكون البعير متعبا، فإنه يمد رقبته إلـى الأمام على الأرض في خط مستقيم مع جـسمه، ويغط، وهو على هذا الوضع، في نوم عميق.

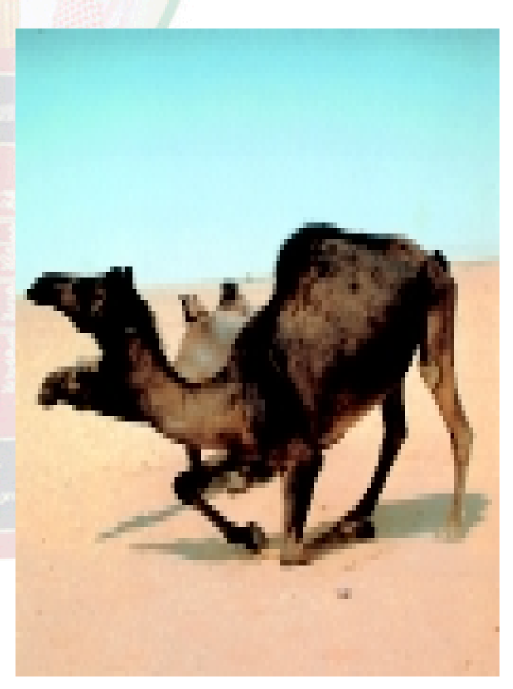
الاستعداد للبروك

البروك



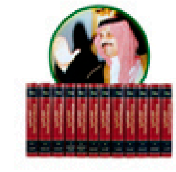
وينهض البعير من بروكه في ثلاث حركات واضحة: الأولى هي أن يرفع مقدمته أولاً، حتى ترتفع مقدمته وركبتاه عن الأرض، الثانية هي رفع مؤخرته حتى تستقيم رجلاه واقفتين. الثالثة هي رفع يديه واحدة بعد الأخرى، وذلك بوضع خفيه على الأرض ورفع مقدمته ليستوي واقفاً.

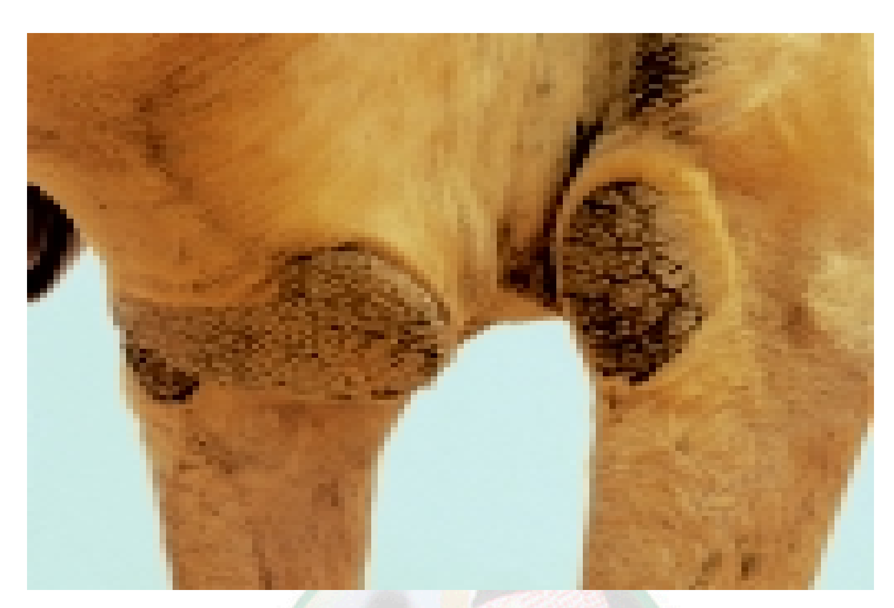
ويجد البعير صعوبة في النهوض إذا كانت إحدى قوائمه مجروحة. وفي هذه الحالة، يمكن أن يظل البعير باركا لمدة أسبوع أو أطول، حتى تشفى الرجل ويستطيع النهوض.



الاستعداد للنهوض

وفي جسم البعير مناطق صلبة شبه دائرية في كل من القص والأكواع والعراقيب. تساعد في دعم وزن البعير عند بروكه. وهذه الأماكن تشاهد في الإبل حديثة الولادة، ولكنها ترى بوضوح في الحوار الذي يبلغ عمره شهرين ونصفاً تقريباً والذي يكون وبره قد سقط في هذه المناطق التي تتصلب فيها الأنسجة الخارجية نتيجة لتكرار ملامسة جسمه للأرض عند البروك. وتزداد صلابتها بمرور الوقت. وهذه المناطق غير ملونة، ويتراوح قطرها بين ٥ و١٠ سم بحسب المنطقة فيما عدا منطقة القص (الكركرة)، فقطرها يتراوح بين ١٥ و٢٠ سم. وإذا ثوى البعير بمبركه ولم يستطع النهوض، لهزال أو مرض، فإن عصا غليظة توضع تحت زوره ويرفعه بها عدد من الرجال، بينما يرفعه آخرون من مؤخرته حتى يعتدل واقفاً على قوائمه. ويستطيع البعير عند سيره أن يحمل أثقالا تزيد عما يحمله الحصان بسبب تقوس ظهره، وتحدبه. وقد يحمل الجمل أثقالا يصل وزنها إلى ١٥٠ كجم ويسير بها لمسافات طويلة. ويمكنه أن يحمل ضعف هذا الوزن أو يزيد، أي أثقالا يصل وزنها إلى ٣٠٠ كجم ولكن لمسافات قصيرة فقط.





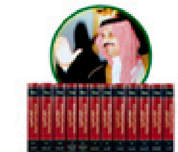
بعض المناطق الصلبة في جسم البعير

والوزن الذي يمكن أن يحمله البعير يكون، غالباً، محدوداً بذلك الوزن الذي يستطيع النهوض به من وضع البروك. فإذا كان وزن الأثقال أكبر من طاقة احتماله فإنه لا يستطيع النهوض، خاصة رفع مقدمة جسمه، فإذا تمكن من رفع هذا الجزء من جسمه فإنه يستطيع أن ينهض على يديه الأماميتين.

وأحياناً يزاد على حمل البعير بعد وقوفه حملاً آخر فوق الذي قام به من مبركه حتى ينوء به فلا يقوى عليه، ومن ذلك جاء المثل «كالقشة التي قصمت ظهر البعير»، وتختلف الإبل في قوة النهوض بأحمالها، ويشبه الرجال بالإبل في تحمل المسؤوليات والأعباء ويوصف الرجل شديد التحمل بأنه «جمل المحامل». قال مقحم الصقري العنزي:

خطو الولد مثل البليهي ليا ثار
إن كبّروا حمله تزايد زفيفه
يشدى هديب الشام حمّال الاقطار
زود على حمله نقل حمل اليفه

ويقول الحبردي إن بعض الإبل عندما ترتوي وتصدر عن الماء قد تبرك أو تبدأ بالتمرغ، مستلقية على أحد جانبيها وتحرك قوائمها، لتضع عن أجسامها عناء ذلك اليوم. وعلى كل حال فالبعير بطبيعته عندما يبرك على الأرض بعد الجهد فإنه يتمرغ، إذ يستلقي على أحد جانبيه ويدعك جسمه على الأرض بحركة من قوائمه الطويلة، ثم يعتدل ويعود إلى التمرغ على الجانب





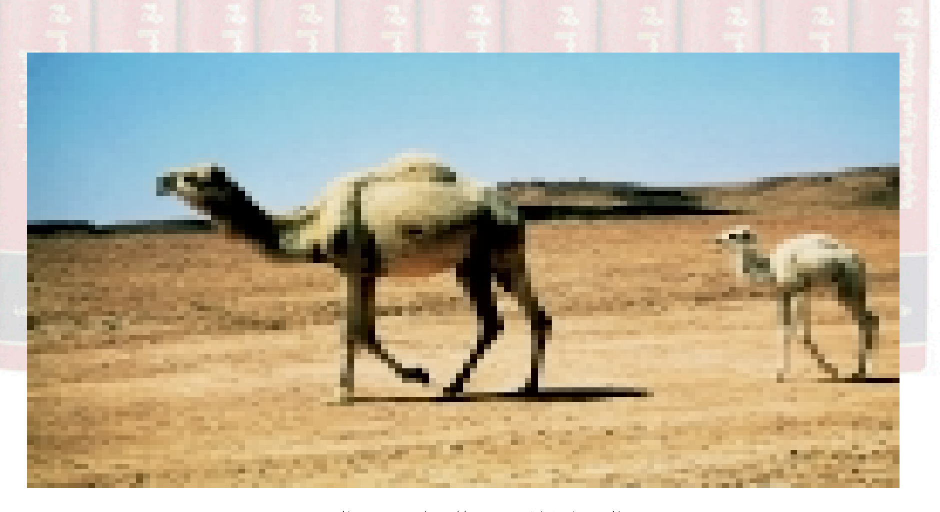
التمرّغ

الآخر، ويكرر هذه العملية حتى يستريح تماماً، ثم يبرك لفترة من الوقت وبعدها ينهض على قوائمه ويرفع رأسه إلى أعلى وينفض بدنه بقوة؛ حتى يتساقط عنه كل ما علق به من الأدران وغبار الأرض (١٤٠٩: ١٥).

سير الإبل

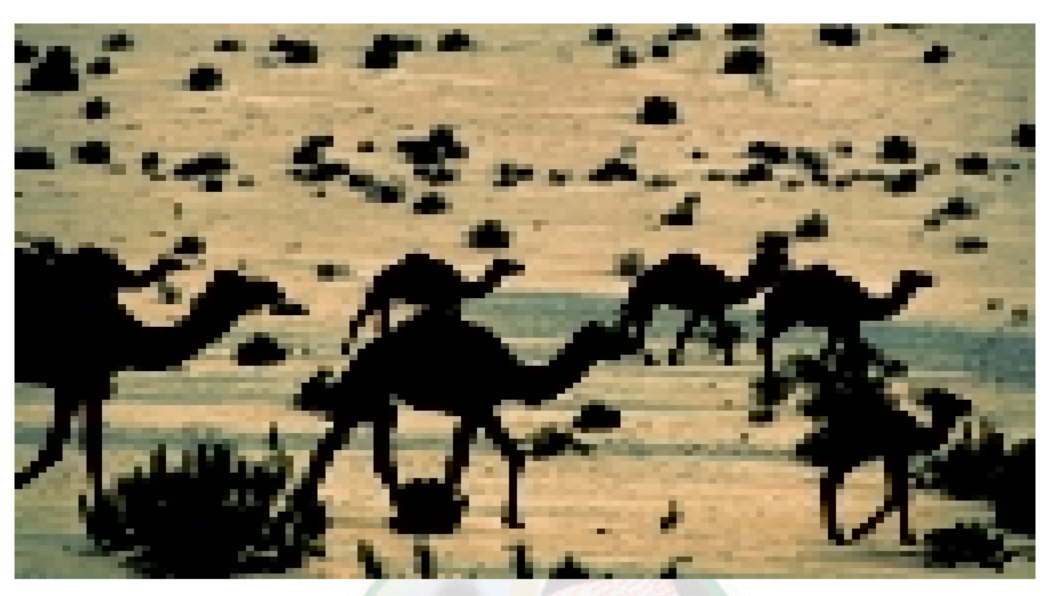
يمشي البعير على أربع وكأنه يمشي على رجلين اثنتين، إذ تتحرك الرجل واليد في كل جانب من الجسم حركة موحدة إلى الأمام، وإلى الخلف، بالتبادل مع الرجل واليد على الجانب الآخر، ويشترك معه في ذلك بعض الثدييات كالفيل والزرافة مثلاً.

وتسير الإبل فرادى وببطء تتقدمها الجل وتتبعها حشوانها إذا كانت ذاهبة للمرعى، أما إذا كانت واردة الماء، وقد اشتد بها الظمأ، فإن الحشوان تكون أول ما يصل إلى الماء. فإذا كان البدو منتقلين إلى مناطق بعيدة (محيلين) فيتقدم الركب نشيطات الإبل، أياً كان سنها، وتسمى السريعات منها الطرعات وآخرها الجرور. وتتجنب الإبل في سيرها الصخور والحجارة التي تؤثر في أخفافها الرقيقة وتصيبها بالجروح. وقد لاحظ بعض الدارسين لسلوك الإبل، أنها خلال أشهر



الحركة الموحدة للقوائم عند السير



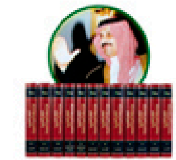


إبل في طريقها إلى المرعى

البرد تسير أحياناً في ثلاث مجموعات متتالية. الأولى مجموعة النوق مع حيرانها في المقدمة ومعها جمل فحل واحد؛ والثانية مجموعة الجمال المخصية فقط؛ أما الثالثة فنوق مع حيرانها فقط. ويسير الجمل الفحل أغلب اليوم إلى جانب واحد من قطيع النوق ولا يتحول إلى الجانب الآخر إلا مرة أو مرتين خلال هذه الفترة. ولكن متى كان الفحل هائجاً في موسم الهداد فإنه يسير في أطراف القطيع أو خلفه، ويغير مكانه بين الحين والآخر. فإذا فدر فإنه ينفرد عن القطيع ويسير بعيداً ووحيداً، فتتبعه المعاشير من الإبل التي ألقحها، فيرده الراعي إلى القطيع حتى لا يتفرق.

والبعير سريع العدو إلى حد ما، لكن من الحيوانات الثديية الأخرى أنواع تفوقه في سرعة العدو، وهو يفوقها جميعاً في شدة تحمله للظروف الجوية غير المناسبة لمسافات طويلة. ويستطيع البعير أن يقطع مئات الكيلومترات بسرعة ٧كم في الساعة، وتختلف الإبل في ذلك، ومنها ما هو أكثر سرعة.

وقد استفاد الإنسان فوائد جمة باستئناسه الإبل، ليس أقلها انتفاعه بلحمها ولبنها وبعض أعضاء جسمها، ثم قدرتها على التنقل به وبمتاعه والسير لمسافات طويلة في ظروف بالغة القسوة، وبالسرعة التي يريدها. وهذه الخاصية الأخيرة في الإبل تعد من أهم خصائصها



بسبب حاجة الإنسان، والبدوي خاصة، إلى الحل والترحال في رحلاته للبحث عن مقومات العيش. وطول مرافقة العربي للإبل في مختلف حالات سيرها جعلته يخصص أسماء متعددة لوصف كل حالة من سير الإبل. فخصص من الأسماء ما يناسب حالة المشي أو الهرولة أو العدو أو ما هو فوق ذلك، سواء أكانت ركوباً للمرأة على شكل هودج، أو ركوباً للرجل على شكل هجين، أم سباقاً في أقصى سرعة، كالذي نشاهده مما يسمى في هذا الزمان بسباق الهجن.

ما ورد عن سير الإبل في مأثور القول والأدب

أعطى العربي كل نوع من أنواع السير اسماً يدل عليه، وبسبب تعدد القبائل التي كانت تطلق هذه الأسماء أو الصفات لأنواع السير، تعددت تلك الأسماء وكثرت. فجمعتها كتب اللغة والمعاجم وصنفتها تصنيفاً أولياً، يدل على أنواعها أو درجاتها، وتناولها الشعراء في أشعارهم، ونسوق هنا طرفاً مما جاء في نثرهم وشعرهم.

في النثر. أطلقت العرب على السَّوق الشديد أسماء عديدة كالخبز والتجليح والإحواز والحَوْذ والطمْل والذأو والسن والهرع والذوخ والحَزْء وغيرها. كما أعطوا السير الشديد أسماء كثيرة كالنجر والملْس والهبهبة والحتحتة والعجران والخيطف والولق والوجيف والزيفان والنس والإرمداد والإغذاذ والادرنفاق والهفيف والميح والوخط والإرقال، وغيرها.

أما السير الرفيق فقد سموه التهويد والملْخ والملْق والدلْو والتطفيل والبشْك والدفيف والرِّسل والرهو ونحو ذلك.

وأما السير في السرعة فمنه الاجلوّاذ والإعصاف والبزبزة والنجاء والهزع والمزع والمصع والزفيف وما كان في معناه.

ومن الأسماء التي أطلقوها على السوق والقيادة الهجم والتقتقة والعكل والمَرْد والنَسأ والنجش والنهم والطر والألب والفن وهلم جراً. كما أعطوا السير مقروناً بالزمان أو المكان أسماء تدل عليه، فقالوا الإسآد: وهو أن تسير الإبل الليل مع النهار. أما إذا كانت الإبل تسير النهار وتنزل الليل فذلك هو التأويب، فإذا آثر الراكب المسير في الليل فقط فذلك هو المسد، فإذا سارت كأنها تنزو فذلك هو الجمزى والولقى والوكرى. فإذا تلوَّت الناقة في مشيها فهو التمعج أو التعمّج، وإذا اعترضتْ الناقة سير قطيع الإبل فهو العِرْضنّة، أما التبغيل فهو صفة للمشي



فيه اختلاط بين الهملجة والعنق، فإذا تبارت النوق مع بعضها على وتيرة واحدة في المسير سموا ذلك المواضحة أو المواعدة، فإذا كانت مثقلة في المسير فهو التهادي، فإذا ركبت رأسها في السير فهو السدو.

وكذلك أعطوا درجات السير وتسارعه أسماء بحسب ذلك التسارع؛ فالعَنَق من السير الممتد، فإذا ارتفع عن العنق قليلاً فهو التزيّد. والجمز أشد من العنق، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل أو الزفيف، وهو سرعة الخطو ومقاربة المشي، وفوق الذميل يأتي الرسيم، وهكذا.

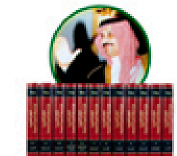
ومن أنماط السير الهادي: الدفيف وهو السير اللين، والدلو والتطفيل وهما السير الرويد، والتهويد سير الإبل الرفيق، والطم هو العدو السهل، والوضع هو أهون سير الإبل. فإذا تبختر البعير فهو الزياف والناقة زيافة، أما السير البطيء فمنه المكرى، ومن السير الخفيف البشك. وإذا اتسعت خطوات البعير فإن لذلك أسماء أيضاً منها التبغيل والإيعاس والخطرفة والوخد. والرمل من سير الإبل شبيه بالهرولة.

ومن السير السريع الحوذ والارقداد والرسيم والعنق والإيعال والوجيف. وإذا عدا البعير فذلك يسمى الخبب ودونه الإحفاد ودون ذلك الهربزة والتقريب، ومنه الوكر وهو عدو فيه نزو.

ومن السير الشديد النبل والوهس. وأشد عدو الإبل يسمى الدأداء والرَّبع، وهو أن يضرب البعير بقوائمه كلها، وهو الغارة، وذلك أن يجمع قوائمه كلها الأمامية والخلفية والقفز إلى الأمام بسرعة وبحركة متتالية ويكون هذا عادة في بداية السباق. وقريب من ذلك الدرهام وهو أن يمد البعير خطواته، ثم يتابع بينها بسرعة وانسياب، وهو الدفلاج والزرفال والإهذال والحضن. وإذا استمر البعير على هذه السرعة تقول البادية «سك البعير». ومن السير العنيف الذوح والذأو والطمل.

ومن أنواع السير التي تصحبها بعض الحركات المواهقة، وهي المواظبة على السير مع مدّ الأعناق، فإذا ارتفعت الإبل وانخفضت فذلك العوم. وإذا رأيت الراكب يعلو ويهبط بحركات متتالية كما يرفرف الطائر بجناحيه فذلك الفديد وهو أقل من القرونة وأسرع من الدرهام.

ومن ضروب السير المتقدمة اتخذت الإبل بعض صفاتها؛ فالذمول هي الناقة التي تذمل في سيرها، والذميل السير السريع للإبل، والذميل أيضاً السير اللين، وقيل: هو فوق العَنَق، وإذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزيد فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم.



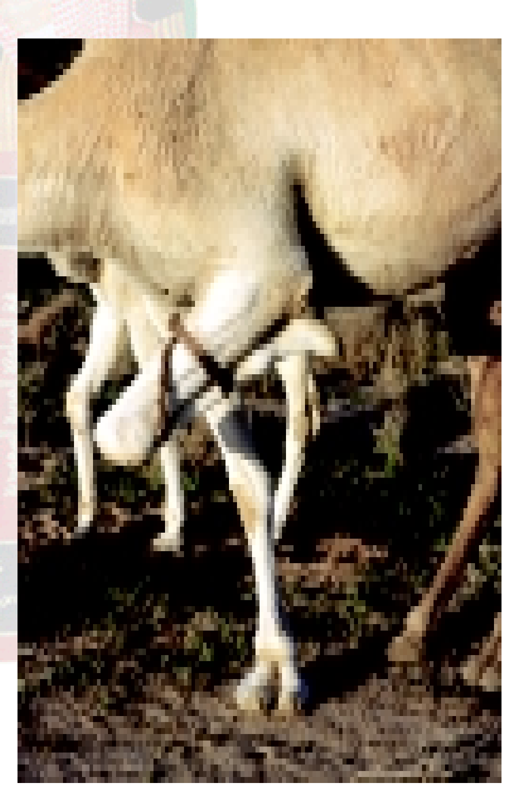
والعجول: الناقة التي معها ولدها فتسرع العدو إلى ولدها إذا حن إليها. والعجول أو العجلى عند البادية هي الناقة السريعة المشي أو التي ترعى وتتحرك في المرعى بصورة سريعة ولا تثبت في مكان واحد.

والعصوف: الناقة السريعة التي تعصف براكبها وتذهب به كالريح. كما يقال ذلك للذلول التي لم يتم عسفها جيداً فتعصف بجسمها لتسقط راكبها.

والكبيع: الناقة السلسة القياد. وكاست الناقة: إذا عقرت (قيدت) إحدى قوائمها فمشت على ثلاث قوائم. وهو كذلك أشد الجري. والمكابعة أن يرفع البعير يديه معاً ورجليه معاً ويضرب بهما الأرض يقفز قفزاً. وإذا تعدى الرجل حده بالفعل أو القول وصفوه بالبعير إذا كبع، وهو كذلك التوقف الفجائي، أو العودة للخلف عند رؤية الناقة ما يفزعها. وهو أيضاً جمع البعير لقوائمه الأمامية ورفعها إلى أعلى ثم إنزالها إلى الأسفل وجمع القوائم الخلفية كذلك ومتابعة القفز في مكان واحد تقريباً. ويحدث ذلك عندما يجفل البعير، وهو الرثيع.

والهوجاء من النوق هي القلقة السريعة الحركة، وهي محمودة عند العرب. والهلواعة هي الناقة السريعة التي تخاف السّوط، فإذا استوحشت الناقة وهربت تقول البادية هجّت، والاسم منه الهجيج.

وورد في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، أن سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله: أصب (اشتر) لي نجائب كراما، فقدم رجل على جمل سباعي (عظيم الطول) عظيم الهامة له خلق لم يروا مثله قط، فساموا، فقال الرجل: لا أبيعه، قالوا: لا ندعك، ولانغضبك، ولكنا نكتب إلى أمير المؤمنين بسببه، قال: فهلا خيراً من هذا؟ قالوا ماهو؟ قال: معكم نجائب كرام، وخيل سابقة، فدعوني أركب جملي، وأبعثه واتبعوني، فإن لحقتموني



السير على ثلاث قوائم



فهو لكم بغير ثمن، قالوا: نعم، فدنا منه، فصاح في أذنه، ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فكبا ثم انبعث واتبعوه فلم يدركوا كيف أخذ (أين ذهب) ولم يروا له أثراً، فجعل أهل اليمن علماً على وثبته يقال له الكفلان (١٩٢٥, ١ :١٦٢).

ورد في كتاب الحيوان للجاحظ «وقد علمتم أن أول شأن الجمازات، أن أم جعفر أمرت الرحالين أن يزيدوا في سير النجيبة التي كانت عليها، وخافت فوت الرشيد، فلما حُرّكت مشت ضروباً من المشي، وصنوفاً من السير، فجمزت في خلال ذلك، ووافقت إمرأة تحسن الاختيار، وتفهم الأمور، فوجدت لذلك الجمز راحة، ومع الراحة لذة، فأمرتهم أن يسيروا بها في تلك السيرة فما زالوا يقربون ويبعدون، ويخطئون ويصيبون، وهي في كل ذلك تصوبهم وتخطئهم على قدر ما عرفت، حتى شدوا من معرفة ذلك ما شدوا، ثم إنها فرغتهم لإتمام ذلك حتى تم واستوى» (١٣٦٤، ج١ :٨٣).

الجمازات: نوع من سلالات الإبل سبق التطرق لها، ويبدو أن اسمها اشتق من طبيعة السير سابقة الذكر.

وقالت العرب في أمثالها «إنك لتحدو بجمل ثقال» أي بجمل بطيء الحركة. وكانت العرب أيضاً تضرب المثل في طلب ما يتعذر بقولهم:

تسألني أم الخيار جملا
يمشي رويداً ويكون أولا

في الشعر الفصيح. أما ما ورد في الشعر العربي عن سير الإبل وأنواعه ونقلها لأطرافها فكثير نذكر منه قول طرفة بن العبد:

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت
وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد

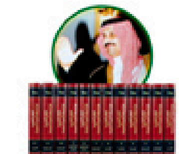
تباري: تسابق، والناجيات: المسرعات في العدو، والوظيف: ما بين الرسغ إلى الركبة، وهنا يقول الشاعر: إن ناقته تباري إبلاً كراماً مسرعات في السير وتتبع وظيف رجلها وظيف يدها. أما الحطيئة فيقول: إن يدي ناقته ترميان بالحصى إلى الخلف، أما الرجلان فترميان به مؤخرة رسغ اليد، وذلك قوله:

وترمي يداها بالحصى خلف رجلها
وترمي به الرجلان دابرة اليد

وقال الأخطل:

والرجل لاحقة منها بأولها
وفي يديها إذا استعرضتها رَفَق

يقول الشاعر: إن أرجل مطيته كادت أن تتلاحق وتتلامس من سرعة العدو وتدفقها فيه دون تعب أو كلل. ويصف



أوس بن حجر حركة البعير ونقل بعض قوائمه مع بعض كما سبق أن أشرنا إلى ذلك؛ فيقول:

توائم آلاف نوال لواحق
سواة لواة مربذات خوانف

ويقصد الشاعر بتوائم آلاف: أي كأنها في حركتها توائم متآلفة تنهض معاً وتحط معاً تتوالى وتتلاحق وهي لينة السير (سواة) لا تتعب راكبها، والربذ (مربذات): خفة نقل القوائم في المشي، والخوانف: تهوي بأيديها إلى ضبعها (عضدها). ويقول ذو الرمة:

زجول برجليها نغوصٌ برأسها
إذا أفسد الإدلاج لوث العصائب

زجول: يعني أن الناقة تسير بالوخد، نغوص: تحرك رأسها عند عدوها. ويقول أبو تمام:

فزمت للرحيل مخيسات
يصلن بها الذميل إلى الوخيد

يقول: جهزت الإبل المحبوسة، وسارت بسير الذميل ومنه ارتفع سيرها إلى الوخيد. ويقول أبو الطيب المتنبي:

أرى النوى تقتضيني كل مرحلة
لا تستقل بها الوخادة الرسم

النوى: البعد، والوخادة: من الإبل هي التي تسير بالوخد، والرسم: التي تسير بالرسيم.

أما الأخطل فيعبر عن ناقته التي تعدو عدو الوخد كأنها مجنونة، كأنما يوجد بكنف جنبها هِر مسعور أصابه داء الكلب، ينهشها ويخدشها بأظافره ويثيرها فتعدو، يقول:

كأنها يعتريها كلما وخدت
هِر جنيب به مس من الكَلَب

أما المثقب العبدي (عائذ بن محصن) فيقول:

بصادقة الوجيف كأن هراً
يباريها ويأخذ بالوضين

أراد أن ناقته صادقة في وجيفها أي سيرها السريع ولا تكذب، ولشدة هذا السير وسرعته كأن هراً يخدشها وينهشها ويمنعها من الهدوء والسير ببطء ويأخذ بحزام رحلها (الوضين). ويقول أبو الطيب المتنبي أيضاً مشيراً إلى الإبل التي سيرها الرسيم:

تخبو الرواسم من بعد الرسيم بها
وتسأل الأرض عن أخفافها الثفن

أما الحارث بن ظالم فيقسم برب الراقصات، وهي الإبل التي تسير كأنها راقصة، وهو سير الخبب، فيقول:

تمنيت جهداً أن تضيع ظلامتي
كذبت ورب الراقصات الرواسم

ويقول امرؤ القيس:

فدعها وسل الهم عنك بجسرة
ذمول إذا صام النهار وهجرا



ذمول: من الذميل وهو السير اللين السهل للإبل. ويقول كعب بن زهير بن أبي سلمى:

ولا يبلِّغها إلا عذافرةٌ
فيها على الأين إرقال وتبغيل

الإرقال والتبغيل، من ضروب سير الإبل. ويقول طرفة بن العبد:

وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت
مخافة ملويٍّ من القد محصد

يقول الشاعر: هذه الناقة مذللة ومدربة ومروضة فإن أردت أسرعت في سيرها، وإن أردت لم تسرع مخافة سوط ملوي موثق. ويقول الأخطل:

وحارت بقاياها إلى كل حرة
لها بعد إسآد مراح وأفكل

حارت: سقطت، والأفكل: النشاط، يقول الشاعر: إن الضعاف من المطايا قد سقطت في الطريق إعياءً، ولم تسلم منها إلا المطايا الأصيلة الكريمة التي تسير في الليل دون أن تتعب أو يصيبها الكلال. والإسآد: هو إسراع الإبل في الليل خاصة. ويقول الشاعر بشر بن أبي خازم الأسدي:

بذعلبة براها النص حتى
بلغت نضارها وفنى السنام

النص: إجهاد الإبل على السير السريع، والذعلبة: الناقة السريعة، والنضار: الخالص، أي سرت عليها وأجهدتها على السير السريع حتى ذهب لحمها وقوتها. ويقول النابغة الذبياني:

قد تجاوزتها وتحتي مروح
عنتريس نعابة معناق

عرمسي ترجم الآكام بأخفا
فٍ صلاب منها الحصى أفلاق

العنق هو السير السريع، والمروح: النشيطة، والعنتريس: الصلبة، ونعابة: أي تمد عنقها عند عدوها، والعرمس: الصلبة أيضاً، والآكام: المرتفعات. ويقول الأخطل أيضاً:

على مذكَّرة ترمي الفروج بها
غول النجاء إذا ما استعجل العنق

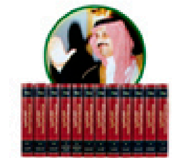
المذكرة: الناقة الشبيهة بالجمل الذكر، وتسميها البادية جماليه والفروج: تشعب الطريق، والغول: الشديد، والنجاء: السرعة. وقد أشار أبو الطيب المتنبي إلى سير الهيدبى، وهو ضرب من سير الإبل فيه سرعة، يقول:

ألا كل ماشية الخيزلى
فدا كل ماشية الهيدبى

الخيزلى: مشية فيها استرخاء وتفكك وتغنج كمشية النساء.

والسواك: مشي الإبل المهازيل الضعاف، يقول أبو الطيب المتنبي:

أحاذر أن يشق على المطايا
فلا تمشي بنا إلا سواكا



أما السدو، فهو أن يرمي البعير بيديه عند السير، يقول ذو الرمة:

ورجل كظل الذئب ألحق سدوها
وظيف أمرَّته عصا الساق أروح
وسوج إذا الليل الخداري شقه
عن الركب معروف السماوة أقرح

عصا الساق: عظم الساق وهو الوظيف، وسوج: تسير الوسيج وهو أحد ضروب سير الإبل، والزفيف: عدو الإبل بخطى متقاربة. يقول الشاعر عبيد الراعي (عبيد بن حصين):

قذف الغدو إذا غدون لحاجة
دلف الرواح إذا أردن قفولا
قوداء تذرع غول كل تنوفة
ذرع الموشح مبرما وسحيلا

القوداء: الطويلة، والموشح: الثوب المتداخل، يقال: هذه ناقة تذرع بُعْدَ الطريق: أي تمد باعها وذراعها لتقطعه، وهي تذارع الفلاة وتذرعها: إذا أسرعت فيها كأنها تقيسها.

الرهو: هو سير الإبل ببطء. يقول الشاعر القطامي:

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة
ولا الصدور على الأعجاز تتكل

قال الأصمعي: جاءت الإبل رهواً: أي يتبع بعضها بعضاً، لا تخذل أعجازها صدورها ولا صدورها أعجازها.

وقد ورد في التراث العربي أيضاً ما يفعله السير في جسوم الإبل، وما تفعله هي أثناء مشيها وعدوها.

قالت العرب في أمثالها «إذا زحف البعير أعيته أذناه» يقال زحف البعير: أي أعيا فجر فرسنه عياً. وتقول العرب في أمثالها أيضاً «لطمه لطم المنتقش» إذا لطمه لطماً متتابعاً، وذلك أن البعير إذا شاكته الشوكة (دخلت في رجله) لا يزال يضرب يده على الأرض يروم (يريد) انتقاشها (إخراجها). قال لبيد بن ربيعة العامري:

وإذا تغالى لحمها وتحسرت
وتقطعت بعد الكلال خدامها

تغالى اللحم: ارتفع إلى رؤوس العظام، وتحسرت: أي صارت حسيراً، فهي كالة مُعْيِيَة عارية من اللحم، والخدام: جمع خدمة: وهي سيور تشد بها النعال إلى أرساغ الإبل. وقال المتنبي:

إذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطي ورازمه

الرازم من الإبل: الذي قام من الإعياء، وأقعده الهزال عن المشي. وقال أعشى باهلة:

وراحت الشول مغبراً مناكبها
شعثاً تغير منها النيُّ والوبر

ومعنى قول الشاعر: إن مناكب هذه الناقة مغبرة من الرياح، والعجاج وغيَّرها



الجدب والقحط، وقلة المرعى فصارت هزيلة. وقال الأخطل:

تـفـل جـلاذي الأكـام إذا طـفـت
صـواها ولـم تفـرغ بمجـمرة سـمر

يريد الشاعر أن الناقة بالرغم من عدوها الشديد، ما زالت تطأ الحجارة فتفلقها (تكسرها) وتشقها، وهي تعلو الآكام بأخفافها المجتمعة الصلبة.

وتقول العرب: بعير مرجم، وناقة مرجم، أي ترجم به الفلاة. وقد ورد ذكر الرجم في السير في معلقة طرفة بن العبد وهو يصف ناقته:

واعـلم مـخروت مـن الأنف مـارنٌ
عتـيق مـتى ترجـم به الأرض تـزددِ

وقال أيضاً:

تـدافـع أجـواز الـفـلاة وتـنـبـري
لهـا مثل أنـضاء القـداح من السَّـدر

أنضـاء القـداح: القداح الـدقيـقة، والسدر: هنا التشرد والحيرة، ويعني الشاعر أنها تتدافع بأقدامها مسرعة في عدوها، لاجتياز الفلاة وإنها قد هزلت فبدت كالقداح الدقيقة من شدة الضياع والسير على غير هداية. وقال أبو فراس الحمداني:

لئـن لم أُحَلِّ الـعيس وهـي لواغب
حدابـير مـن طول الـسرى وظوالـع

ولواغب: تعبة، وحدابير: الواحدة حدبار أي الناقة الضامرة، وظوالع: الواحدة ظالعة أي عارجة. والظَلَع: يكون بسبب العقر أو الحفاء أو أي ألم في قوائم الناقة، فيقال لها ظالع، وعادة لا تطأ بالقائمة التي تظلع بسببها على الأرض كثيراً، يقول كثير عزة في التائية:

وكـنـت كـذات الظـلـع لمّـا تحامـلـت
علـى ظلعـهـا بعـد العثار اسـتقلـت

ويقال: عتب البعير يعتب عتباً إذا ظلع أو عقل أو عقر فمشى على ثلاث قوائم يقفز قفزًا. ويقول طرفة بن العبد:

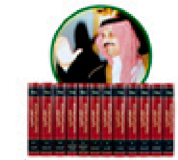
وإن شئت سامى واسط الكور رأسها
وعـامت بـضبـعيـها نجاء الخفـيدد

ومعنى قوله: إذا أردت جعلت رأسها موازياً لوسط رحلها في العلو من فرط نشاطها وشدته وجريها وجذبي زمامها إليَّ، وهي تسرع في عدوها كأنها تسبح بعضديها مسرعة مثل إسراع الظليم (ذكر النعام). ويقول شبيب بن البرصاء:

إذا هـبطـت أرضـا عزازا تحـاملـت
مـنـاسم مـنـهـا راعف وشـجـيـج

ومعنى ذلك أن ناقة الشاعر إذا سارت على أرض صلبة تكلفت مشقة ذلك، حتى ولو خرج الدم وسال من أطراف أخفافها (المناسم). ويقول جابر بن حُنَيْ التغلبي عن ناقته:

أنـافت وزافـت في الـزمـام كأنـهـا
إلـى غـرضـهـا أجـلاد هـر مـؤدّم



ومعنــاه أن ناقته تخــطر وتختــال في سيرها وهي مزممة، كأن هراً قــبيح الخلقة عظيم الهامة (المأدوم) في غرضها ينهشها بمخالبه فتهيج في عدوها. ويقول الأخطل:

صــعر الخــدود وقد بــاشرن هــاجرة
لكــوكب مــن نجوم القــيظ ملــتهــب

ومعناه أن المطايا تصعرت خدودها أي رفعت رؤوسها وأعنــاقها عند عدوها في الحر الشديد والأرض الملتهبة من الحرارة.

في الشعر النبطي. اختص سير الإبــل في التــراث الشعبي بــأسماء عرف بهــا، تُستمد تارة من سرعته وأخرى من بطئه؛ فالنجائــب سريعة كالصقر أو كالــنعامة، والتي هي أقــل نجابة تكون أقل ســرعة، وهكذا. ولا يكتمل ركض الــذلول حتى تبلغ خمس سنوات أي تصبح ثنية (تقلع الثنايا)، أما قــبل ذلك فلا يعتبر ركضهــا تاماً، ولا يزيد بعد أن تقلع الثنايا أي أنها تبلغ قــمة قدرتها على الــركض في هذه السن. وللإبل قدرة فائقة على الاتزان في السير إذ إنــها تستطيع الســير على ثلاث قوائم، فعندما تعقل إحدى قوائمها الأمامية فإنها تنهض من مبركها وتْعَتِب وقد تسير على ثلاث قوائم لمسافة طويلة.

ولسير الإبل أسماء وصفات تتصف بها النجائب من الإبل، وإذا ساروا فوق الركائب يظهرون ما يلبسونه إياها من دلال. ولذلك تختلف الإبل في مسيرها، منها السريع ومنها البطيء. ومن أنواع السير الجفيل والإهذال والدفلجة وفي المثل «ما كل غارة بدفلاج» والتدرهــم، وينطقــه بعضهم: الــدرهمه والدرهام، وهو من الفصيح.

وقد ورد في الشعر الشــعبي الكثير من القصائد التي تصف سير الإبل نورد منهــا قول الشاعــر طلال بن فريج بــن سعيد:

ياراكــبٍ من فــوق عجــل الزفــيفــي
مــامون قــطّــاع الــفيــافــي عمــانــي
أبــو وروكٍ يــكــهـــلــن الــرديــفــي
أسرع مــن اللــي كعــكعــه بالــعنــان
يــشدى ظــليــمٍ شــاف زولٍ ذريــفي
أول مْــشِــكٍّ وتــالــي الــزول بـــان
أقــفــى يومّــي بــالجناح الخــفــيــف
الــريش هــزّه بــالــشــادي الــســمان

وقال شاعر آخر:

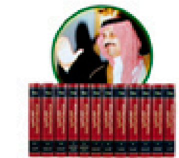
يــاراكـــب الــلـــي فــديـــده زيــن
مــا ضـــيّــقــت صــدر راعــيــهـــا
ممــشى الــشــهــر تــقــطــعه بــشــوين
والــشـــمـــس مــا هَــفّ تــالــيــهـــا

وقال راكان بن فلاح بن حثلين:

وخــلاف ذا يــاراكــبٍ فوق هــيّــاف
بــتّيــل شــاي ومــقــتــفــيــه الولامــي
وليــا دعم زوله عــلى حد الاسـيـاف
قــلّــط ثــلاثٍ يــشــبهــن الــولامــي



بـواطنٍ مـثـل الادامـي بالاوصـاف
وان زرفـلـن يـشـدن لجـول النـعـام
وقال محدا بن فيصل الهبداني :
يـاراكـبٍ سربـالـةٍ تـقطـع الـبـيد
حـمرا ولا فـوقـه رديـفٍ محـنـها
أول نـهـاره خـل مشـيـه تـفـاديـد
وافهـق الى الـبـردين عقـبيـك عنهـا
وقال محسن بن عثمان الهزاني :
قـم يانـديـبـي فوق حـرٍّ هـجـينـا
ممشاه يـومٍ للـهجـاهيـج عـشريـن
طـويـل بذلات الخـطـا بـالجـريـنا
بوعـه على بـوعات الانضـا ثمانـين
وقال محمد بن عبدالله العوني :
يــانــديـبــي فــوق مــوجـافٍ
يــقـطــع الــديّـان بـاهــذالـه
وقال العارضي :
يـوم نط الـرقـيـبه راس مـشـذوبـه
قـال زلـوا وجاك الجـيـش زرفـالي
وقال خلف بن زيد الأذن العنزي :
ياراكـب اللـي مشـيهـا روج ورواج
حايل ثـمان سنين مـا احلى ظهرهـا
مع الـبياحـه مشيـها العـصر دفلاج
هـمـيـمـةٍ كـان المـغـنّـي نـزرهـا
وقال عادي بن محمد الرمالي :
راكـبٍ حرٍّ مـن الـهـجن مـنحـوفي
يـقـطـع الـدو الـبـعـيـده بـذومـالـه
وقال محمد بن هادي القحطاني :
يـاراكـبٍ مـن فوق طـلق الـذراعين
يطـوي مسيـر الـيـوم في طول بـاعه
يـسرح مـن الطـفره بـلاد النـسيـين
يعـجبـك بالخـد السـماح ارتـباعـه
ومن شعر الحداء قولهم :
يــــاذود درهـــــم جــــلّـــــه
وإن درهـــم درهـــم كـــلّـــــه
وقال أحد الشرارات «ما يدفق السمن درهامه». والدرهمه من أنماط سير الإبل؛
قال صقر المسعري :
كبيرة لابـاهر نافجاتٍ ضلاف العـاج
والى درهـمت لكن الادمـي تحاليهـا
وقال الرقاص :
هنـي من درهـمت بـه فرخـة الحره
معـطٍ مزالـيج والا مـعطي الجـودي
والدفلاج نوع من سيـر الإبل ذكره صقر المسعري فقال :
وين ابـالقـى فاطري زيـنة الـدفلاج
عجـله وريّـضةٍ علـى شف راعـيها
وقال خلف الأذن :
مع الـبياحـه مشيـها العـصر دفلاج
هـمـيم الـى مـن المـغـنّي نزرهـا
والإدلاج : هو السير آخر الليل قبل طلوع الفجر، سواء كانت إبلاً أو غيرها وسواء كان سريعاً أو بطيئاً؛ قال أحد الشرارات :
ركبـت عليـهن تالـي الليـل وادلجن
والصـبح وانا بـوسط خولات عـايم



وكانوا ولا يزالون يحبون مسير الإبل ليلاً لبرودة الجو. ومن الأمثال قولهم «ظهورهن والهدان نيام».

ومن سير الإبل الزرفلة، وهو الجد في السير السريع تتابع فيها الخطوات بسرعة؛ ومن شعر الحداء قولهم:

إن زرفلن مع حاله
من له رديفٍ شاله

قال الشاعر عبيد النتيفي:

زينها لى زرفلت عقب ربع واردين
فيه مثل العلم طافح بحيالها

وقال ابن قويد الدوسري:

يبكن فعلي ناقضات الجعود
لى زرفل المظهور واللاش خلاه
لى زرفل المظهور قدم الجرود
كم واحدٍ باطرافهم قد طرحناه

وقال محمد بن سلطان المسعري:

إلى من نهمها قايم الحظ زرفلت
تسوق الركايب سوق من زود ما بها

ومن السير الزفزفة ويقولون: بعير زفزاف، ومن غناء النساء قولهن:

يابنت من يرمي والركب له زفزاف
يرمي ولا يخطي يقعد ولا ينشاف

والذميل (الذومال): السير السريع اللين ومن شعر حدائهم قولهم:

إن ذوملن والتمن
زهاب اهلهن تِمّن

وقال أحد الشرارات في الشل:

يشلّها شل الخلاوي ذلوله
إن هرّفت شمس المغيرب للادماس

وزاوع الناقة: أي حرك زمامها لتزيد في السرعة، وزوع الإبل: أي شتتها وفرقها. ويقال ناقة مواشك إذا كانت لا تتعب من السير.

والميح: ضرب من المشي ورهوجة حسنة. ماح يميح أي يتبختر. ومن أقوالهم «تميح روحها موح في مشيها».

والمرخاء: الناقة المسرعة نشاطاً. ويقال مرح البعير، ومرحت الناقة إذا جرت جرياً غير مستمر.

وإذا ريعت الناقة خوفاً من شيء، فركضت على غير اتجاه قيل رْثَعَت. قال محمد الفليو:

من اول ترثع على غير تقدير
واليوم ليته لو لمشى تقادي

فإذا ضرب البعير بقوائمه كلها على الأرض فتلك الربعة، ومنه قولهم «يصكه ربع»، فإذا جعل كأنه يضرب بقوائمه كلها فتلك اللبطة، يقال «مر يلتبط التباطاً».

والأحرد: البعير إذا سار ونفض إحدى يديه، ويحدث ذلك بسبب مرض يصيب اليد، ويقال: يخنف وخنف خنافا: وهو أن يمشي البعير على أحد



شقيه وأن يهوي بيديه إذا رفعهما. ويقولون «جت تحارد على جنوبها من العطش».

والشغور: هو ركض البعير حتى لم يدع جهداً قيل: تشغر يتشغر تشغراً. ويقول المثل: «ركبها شغرى». ويقال: ناقة طفاحة القوائم أي سريعتها. والخبب عدو للإبل تراوح فيه بين يديها، والإرقال نوع من السير، والرقلاء من أسماء الإبل.

ويسمون البعير الذي يبرك بعد مسير ولا يقوم حرونْ، فإذا ما ابتعد عنه صاحبه قام وتركه، والبعير المجون عندهم هو الذي لا يسير إلا بضرب. والشرود هو الجمل الذي يهرب عن صاحبه.

أصوات الإبل

من عادة العرب دائماً إعطاء اسم لكل شيء، سواء أكان مادياً أم معنوياً، ولم يخرقوا هذه القاعدة في أصوات الإبل فقد سموا كل نوع من أصوات الإبل سواء أكان مرتفعاً أم منخفضاً، في حالة الحنين والعطف أو في حالة الغضب والهياج، وكان كل إنسان يسمي هذه الأصوات أو ينعتها فتشيع تلك الأسماء أو الأوصاف في القبيلة ويتداولها الرعاة وغيرهم، ثم جاءت كتب اللغة فجمعت هذه الأسماء وتلك النعوت وصنّفتها. ويُعبر كل اسم أو صفة عن حالة من حالات الصوت، ولقد تفَّننتْ المعاجم في تصنيفها فجعلَتْ قسماً لأصوات الإبل، وثانياً لهدير فحول الإبل، وثالثاً لأصوات أنياب الإبل، ورابعاً لأصوات أخفافها، وخامساً للأصوات التي تُنادى بها الإبل وهكذا.

وفيما يلي تعريفات تكشف عن الفروق بين هذه الأسماء والنعوت:

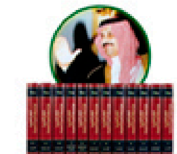
وأول ذلك الإرزام وهو صوت تخرجه الناقة من حلقها لا تفتح به فاها، وذلك على ولدها حين ترأمه. وهو صوت منخفض قليلاً، وكثيراً ما ترزم الإبل عند العطش، تقول البادية ترزم أو تحتطم، وقال المتنبي:

أثْلِثْ، فإنا أيها الطلل
نبكي، وترزم تحتنا الإبلُ

ومن أصوات الإبل عموماً الأطيط، وهو ما تصدره من صوت إذا ثقل عليها الحمل؛ قال الشاعر:

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا
ولست ضائرها ما أطّت الإبل

وإذا شربت الإبل فصوت مشافرها هو الشّيب، وإذا نقلت أخفافها فالصوت الذي تحدثه هو الهجيس، وإذا ضربت



الإبل فرغت وفتحت أفواهها قيل عجعجت.

ومن أصوات النوق الحنين، والحنين في الناقة أشد من الرزمة، وكلا الصوتين ناتج عن حنان أو فرح؛ قال ذو الرمة:

ونكباء مهياف كأن حنينها
تحدث ثكلى تركب البوّ رائم

والأد ترجيع الإبل الحنين في أجوافها، والإصغار حنين الناقة الخفيض، والإكبار هو حنينها العالي. والإهجال نوع من الحنين أيضاً فيه تعبير أكثر، وكثيراً ما تهجل الخلوج. أما البغام فهو تقطيع الناقة الحنين، فهي بغوم، وهو ناتج عن خوف أو حرقة؛ قال المتنبي:

عيون رواحلي إن حرتُ عيني
وكل بغام رازحة بغامي

فالبغام صوت الناقة بين الحنين والرغاء، وهو إخراج الصوت من غير فتح الفم. وهو عند البادية صوت الحوار أيضاً. قال القطامي (عمير بن شُيَيم):

فما راعها إلا بغام مطية
تريح بمحسور من الصوت لاغب

وقال جعفر بن علبة الحارثي:

وأصهب جوني كأن بغامه
تبغّم مطرود من الوحش مرهق

وقال عتيبة بن مرداس:

تسنحتُ حرجوجاً كأن بُغامها
أحيح ابن ماء في يراع مفجّرِ

ويقولون: سجعت الناقة، إذا مدت الحنين على جهة واحدة. وسجرت الناقة إذا مدت حنينها فطربت في أثر ولدها؛ قال الشاعر:

حنت إلى برق فقلت لها قري
بعض الحنين فإن سجرك شائقي

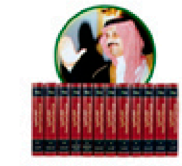
ويسمى حنين الناقة على ولدها أيضاً الهدجة، وناقة هدوج ومهداج، فإذا اشتد الحنين والترجيع فهو الهزيم.

ومن أصوات النوق أيضاً الحريق، وهو صوت صريف أنياب الناقة، وحرق الإنسان نابه إذا فعل ذلك من غيظ وغضب. والصريف: صوت احتكاك أنياب البعير؛ قال أوس بن حجر:

ينقّر طير الماء منها صريفها
صريف محال أقلقته الخطاطف

وإذا صوتت الناقة في ضجة فذلك الرغاء، وناقة كثيرة الرغاء أي كثيرة التصويت، ويكون الرغاء للناقة إذا خافت أو مسكت، وكذلك يرغو (يرغي) البعير إذا طرح أو أمسكت به فيتحول هديره إلى رغاء، وقيل في المثل «بَدَّل هديره برغا»، قال البحتري:

لئن كان مستغوي ثمود لقد غدت
على قومه بالأمس راغية البكر



وقال المتنبي:

ويبكي خلفهم دثر بكاه
رغاءٌ أو ثؤاجٌ أو يعار

والكتوم عكس الراغية، وقيل هي التي تشول بذنبها ولا تبشّر بلقاحها. كما أن الناقة التي لا ترغو (ترغي) تسمى الركوب.

أما صغار الإبل فمن أصواتها الإنقاض وهو لجّة الحيران. وإذا كان رغاء الفصيل ضعيفاً فهو العواء وتسميه البادية بغام؛ قال ذو الرمة:

به الذئب محزوناً كأن عواءه
عواء فصيل آخر الليل محثل

والهتهتة والهتيت هي صوت البكر وكأنه يعصر صوته. والتزغم في الفصيل حنين خفي، وتزغم الجمل ردد رغاءه في لهازمه، هذا الأصل ثم كثر حتى قالوا: تزغم الرجل إذا تكلم كلام المتغضب، وأنشدوا:

على خير ما يلقى به من تزغما

وقد وصفوا أصوات الفحول والجمال وأكثروا في ذلك ونوّعوا؛ ومن ذلك التدوية، يقولون دوّى البعير: سمع لهديره دوي، تقول البادية «قصف البعير» أو «تعصف البعير». والتدوية أيضاً صوت يصدره صاحب الإبل سواء عند شرابها أو جفالها تعرفه الإبل فترتاح له وتطمئن.

ومنه الترجيع وهو ترديد الصوت في الحلق، ورجّع البعير في شقشقته إذا هدر، ورجعت الناقة إذا حنت.

والجرجرة: تردد هدير الفحل في حنجرته، ويقال للفحل جُراجِر، وتخمط الفحل إذا هدر. والرجس الصوت الشديد من هدير الفحل، وكذا شدة الحنين عند الناقة. والزغد: الهدير الشديد. وقيل: إذا جعل البعير يهدر هديراً كأنه يعصره قيل: زَغَدَ؛ وأنشد:

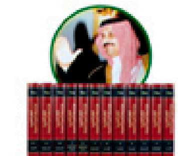
بخٍ وبخباخ الهدير الزَّغْد

والزغردة: ضرب من هدير الإبل. وقد زغرد الفحل: هدر في غلاصمه ورده في جوفه. والشحشحة في الهدر ما ليس بخالص من الهدير، وأنشد:

فردّد الهدر وما إن شحشحا

وقبَّ ناب البعير: إذا سُمعت قعقعة أنيابه، والاسم منها القبيب، والقبقبة صوت هدير الفحل من الإبل، وقيل هي اضطراب لحييه إذا هدر، خاصة إذا أسرع في مشيته، وهي أيضاً القضع أو القضيع وهي صوت لحييه إذا اصطك بعضهما ببعض حين يركض هاجماً أو حين يطلق من مربطه فيركض نحو القطيع.

والقرقرة: هدير البعير إذا صفا صوته ورجّع. وقد ورد عنهم بيت شعر سار مسير المثل وهو:



ربَّ عـجـوز مـن نُمَـيـر شـهـبـره
عـلمـتهـا الإنقـاض بعـد الـقرقـره

والقرقرة: هنا كثرة الكلام.

وإذا هدْر البكر والفحل الذي ليست له شقشقة فـذلك الغطيط، وقيل: هو الهدر في الـشقشقة، فإن لـم يكن في الشقشقة فـهو هدير، والناقة تهدر ولا تغط؛ لأنه ليس لها شقشقة، تقول البادية «يزجم القعود زجم». قال امرؤ القيس:

يـغط غـطيـط الـبكـر شد خـناقـه
لـيقـتـلـني، والمـرء لـيس بـقَـتّال

والأخرس مـن الفحـول والأفحـم سواء، وهو الذي يهدر في شقشقة ليس لها ثقب، فـهي في شدقيه لا تخرج، ولا يخرج الصوت منـها؛ لأنها ليست بمثقـوبة، وتقول الـبادية أعجـم، وهم يستحبون أن يرسلوا الأخرس في الشول؛ لأنه لا يـكاد يكون إلا مـئناثـا، وناقة خرساء: لا ترغو.

والقـشقشة: الـصوت في محـض الشقشقة قبل أن يزغد بالهدير، فإذا ردّد الهدير فتلك الكهكهة، والقَصف هو شدة الهدير، وصوت صريف أنيابه أو الهدير في الشقشقة. والـهجهاج صوت هدير الفحل.

والهدير صوت في غير شقشقة، وفي المثل «كالمهدِّر في العنة» يضرب لمن يصيح ويجلّب ولا ينفذ قوله ولا فعله، كالبعير يُحبس فـي العُنة (الحظيرة) ممـنوعاً من الضراب.

وأول الهدير الكشيش فإذا ارتفع قليلاً فهو الكتيت ثم الهدير، وأعلاه البذخ، وبعير شديد الهدير، وفحل هداهد، أي كثير الهـدهدة: أي يهدر في الإبل ولا يضربها. وأنشد:

فـحـسـبـك مـن هـداهـدة وزغـد

أما البـخبخة فهـي إخراج الماء مع الهواء مـن الفم وتسمـى الزوير، وهو صوت الهدير قبل إخراج الهدارة.

والسّكوت: هو الجمل الصموت عند الرحلة والركـوب. والصهميم: البعيـر الذي لا يرغو (لا يرغي) ويسمى الأعجم والأزيم والأزجم والأسجم. والضموز أيضاً البعير الذي لا يرغو يقال له ضامز. والناقة الضامز أو الضَّموز التي تضم فاها فلا ترغو (لا ترغي).

أما الضبح فهو صوت إصدار الهواء عند الفزع بلا رغاء. قال تعالى في صفة الخـيـل: ﴿والـعـاديـات ضـبـحـاً﴾ (العاديات: ١).

ويلحق بأصوات الإبل تلك الأصوات التـي تنادى بـها، سواء لـورود الماء، أم للتوجه إلى المراعي، أو للعودة إلى خيام أصحابـها ومنازلـهم، ولكل راعٍ رموزه



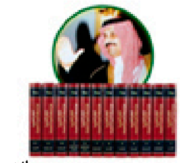
الخاصة التي ينادي بها إبله، ويدعوها بها إلى واحد من الأغـراض الخاصة. وكما تختلف النِّداءات من راعٍ إلى آخر تختلف كذلك من قبيـلة إلى أخرى، ومن إقليم إلى آخر. وهذه العادات في مناداة الإبل بأصواتٍ معينة كانت معروفة منذ القديم، وقد جمـعت منها كتـب معاجم المعانـي ومعاجم الألفاظ قـدْراً لا بأس به، نذكر منها كتاب المخصص لابن سيده في الفصل الذي خصصه لأصوات الإبل وفي القسم الذي سمـاه (باب الصوت بـالإبل) وقد جمع طائفة منها وحكاها بلغة أصحابها.

أما في العصر الحديث فخير من تكلم على الأصوات التي تنادى بها الإبل علي محمد الحبردي في كتابه الإبل في الفصل الذي عنونه «نداء الراعي للإبل» وجاء فيه:

> يركب الراعي الـرحول (القعده)، وهي تلك الناقـة التي يضع فوقها أشيـاءه مثل: الـصميـل والطعـام والعقل والتوادي وبقية أشيائه، وهذه الرحول تتبعها الإبل أينما ذهبت، يركبها الراعي ويصيح منادياً للإبل فتترك المرعى وتـتبعه أينما ذهب، ولكل إبل نداء، أو أنه فـي الواقع لكل صاحب إبل نداء يسمي به إبله مثلما تسمي القبائل أنفسها ببعض الألـقـاب. وهذا الـنـداء خـاص بصاحب الإبل تعرفه إبله ويتوارثه أباً عن جد ويسمى النداء المشايعه.

وكل صوت أو نـداء يطلقه الـراعي لإبله يسمى في بادية الجنوب تكلام. وتختـلف هذه الأصوات حسب مـا عود الراعـي إبله عليه. فـإذا كانت بعيدة عنه في المرعى قبل الصباح فإنه يرفـع صوته بالـنداء حسب بـعدها وقربـها منـه، وقد ينادي كـل ناقة باسمها. فإذا كان النداء لعودة الإبل من المرعى يقال «ينقر لها»، وإن كان النداء لشرب الماء يقـال «يدوّه لها»، فإذا أراد حلب إحداها فيقال «ينقض لها» فلا تهابه. وعندما ينادي صاحب الإبل إبله بـهذا النداء فإنها تـتوقف عن الـشرب إذا كانـت تشرب ولو كانت ظامئة، وتتوقف عن الرعي ولو كانت جائعة، وتلتفت نحو صاحبها، وتبدأ بالحنين. والحنين صوت تصدره الإبل ولا يصدر عن غير الإبل، تعبّر عن تجاوبها مع صاحبها، وعن محبتها له، فتنطلق معه حيث يتجه، تاركـة وراءها الماء والمرعى.

وإذا أراد الـراعي الـورود إلى المـاء والرواح إلى منازل العرب ناداها نداء الرواح (نـقر لها)، فـاتجه بهـا من المرعى إلى مورد الماء أو المراح، وهذا



النداء أو الحداء تعرفه الإبل فتترك المرعى وتقتفي أثر الراعي نحو مورد الماء، وللصدر من الماء نداء تترك بعده الماء وتنهض من مباركها متجهة إلى المرعى، ويسمى نداء الصدر من الماء.

ولكل إبل نداء تعرفه مثل الاسم العام لها جميعاً خاص بهذه الرعية دون بقية الرعايا الأخرى، ولكل رعية من الإبل نداء معين. فيقال هذه مشايعة (آل فلان) وتلك مشايعة (زيد) وتلك مشايعة (عبيد).

والمشايعة مثلها مثل الوسم الذي يوضع علامة على الإبل لتمييزها عن الاختلاط والاختلاف، ولكنها تختلف عن الوسم إذ إن الوسم كيٌّ بالنار والمشايعة بالصوت تخص هذه الإبل وصاحبها وتميزها عن غيرها.

فلو فرضنا أن عدة رعايا من الإبل اختلطت، وأراد واحد من الرعيان (الرعاة) الانفراد بإبله فإنه بدلاً من أن يستخرجها واحدة واحدة، بدلاً من ذلك فإنه يركب ظهر رحوله أي (القعده) ويبدأ يصيح بمشايعته لإبله ويتجه إلى الناحية التي يشاء، فتترك إبله بقية الإبل التي كانت مختلطة معها وتتبعه إلى الجهة التي يرغب أن يتجه إليها؛ لأنه ناداها بهذا النداء الخاص بها، أي كأنه قال (لا يتبعني سوى إبلي التي تخصني)، فتتبعه إبله. أما غناء (حداء) الرواح وهو حداء للإبل بأن تتجه من المرعى بعد غروب الشمس إلى منازل أهلها كي تمرح (تبيت) في مراحها قريباً من أهلها أثناء الليل وهو حداء تطرب له الإبل فتتجه جميعها بأثر الصوت عندما يحدو به الرعاة ومثال ذلك قولهم:

حدا الوضحا وين
يابنيه حدا الوضحا وين
اربعه واثنين
وقرونك اربعه واثنين
مزيونه مار أبوك عفين
مار ابوك عفين ؟!!

(بويه بويه بويه) أو (مله مله مله) وكلمة (بوه) تعني البويضاء تدليلاً وتحببا لها وكذلك (مله مله) تعني المليحاء، ويقولون كذلك:

وضحا بن عايش
وضحا بن عايش
يابنيه للحجب نايش
وقرونك للحجب نايش

إرشره إرشره (أي تعالي ياشرهه) وشرهة اسم ناقة من النوق وحين



تسمع النداء تترك المرعى وتتبع ذلك الصوت الذي تعـرف أنه يريد منها أن تعود إلى مبيتها أثناء الليل وحتى الصباح. وعند الفجر تحن المخاليل في وقت واحد، والبدو يؤقتون بهذا الحنين فيقولون وقت (حنين المخلول) أي مع الفجر فتتجاوب بقية الحيران والأمهات بالإرزام ويكون هذا الوقت هو وقت إطـلاق عقل الإبل وشـد الرحول ومن ثم جمع العقل حزمة واحدة ووضعها مـع بعض الشمال القديمة على ظهر الرحول بعد وضع الحداجة، والغاية من وضع الشمال القديمة على ظهر الرحول (الـقعده) هي جعل الحيران تشم رائحة أمهاتها في هذه الشمـال فتتبع ناقة الراعي (القعده) (١٤٠٩: ٦٤-٦٨).

الحداء

ومما يلحق بأصوات الإبل والأصوات الخاصة بندائـها ما يسمى الحداء، وهو عادة عربية قديمة، ويسمى هذا الغناء إذا كانت الإبل ترد الماء غرهاد. والحُداء على وزن (فُعال) من قولهم: حدوت الإبـل أحدوها حدواً؛ قال الراجز:

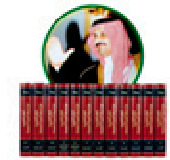
حـدوتــهـا وهــي لـك الـفــداء
إن غــنـــاء الإبـــل الحـــداء

ومن أمثال العرب «كالحادي وليس له بعير». وأول الحـداء الهيد وذلك أن الحادي إذا أراد الحداء قال: هِيد، هيد، ثم زجل بصوته، قال الراجز:

وقـد حـدونـاهـا بـهـيــد وهـلا
حـتـى تـرى أسفـلـهـا صـار عـلا

ويقال: إن الحـداء هو المنطلق الأول للشعر العربي. ومن ارتباط الإيقاع بالإبل وسيرها أن العروضيين اتخذوا من جريها (الخَبَب) اسماً لإحدى صور البحر المتدارك (فعلن) ثماني مرات. وقد عُرف من الحدَّائين في الإسلام البراء بن مالك، وأنجَشَة، وقد كانـا مع النبـي ﷺ في بعـض أسفاره، فجعل البراء يحدو بإبل الرجال، وأنجشة يحدو بإبل النساء حتى إن رسول الله ﷺ قال لأنجشة وهو يحدو «رويداً ياأنجشة لا تكسر القوارير» يعني ضعفة النساء وقيل: إن عبدالله بن رواحة كان يحدو بين عيري الرسول ﷺ وعامر بن الأكوع وعمه سلمة بن الأكوع، ومنهم عدي بـن أبي الزعباء حادي جيش المسلمين في عودتـه من بدر منتصراً، وغيرهم، ومن أشعارهم في الحداء قول الحادي:

دع الـمـطــايـا تـنـسـم الجـنـوبـا
إنّ لـــهـا لـــنـبـــأً عـجــيـــبـا
حـنـيـنـها، ومـا اشـتـكـت لـغوبـا
يـشـهـد أن قـد فـارقْت جـنـيـبـا



لو ترك الشوق لنا قلوبا
إذاً لآثرنَ بهن النيبا
إن الغريب يسعد الغريبا

ويروون أن رجلاً من حداة الإبل اسمه سلام اشتهر بالحداء حتى ضرب به المثل، وروي في سيرته أنهم كانوا يعطشون الإبل أياماً ثم يوردونها الماء، ويقف سلام من ورائها يحدو لها فتنصرف عن الماء إليه. يقول الشاعر كشاجم محمود بن الحسين الشاعر العباسي المتوفى سنة ٣٦٠هـ في فائدة الألحان، مشيراً إلى أن صوت الحادي قد يذهل الإبل عن شرب الماء بعد أن تكون شرعت في الوِرد:

إن كنتَ تنكر أن في الـ
ألحان فائدة ونفعا
فانظر إلى الإبل التي
لا شك أغلظ منك طبعا
تصغي لأصوات الحداة
فتقطع الفلوات قطعا
ومن العجائب أنهم
يظمونها خِمساً ورِبعا
فإذا تَوردت الحيا
ض وشارفتْ في الماء كرعا
وتشوّفت للصوت من
حادٍ تصيخ إليه سمعا
ذهلت عن الماء الذي
تلتذه برداً ونقعا
شوقاً إلى النغم التي
أطربنها لحناً وسمعا

ويقوم مقامه عند العامة الهجيني قال خلف الأذن:

مع البياحه مشيها العصر دفلاج
هميم لي من المغني نزرها

وقال فهيد السكران:

وجنا على حس الغنا تستلجا
والكور خطرٍ من قراها يموج

وقال مريبد العدواني:

مرّات نلفي بالغنا والتصاويت
ننحى الروك بنحور عجلات الاهذال

ويقول الحبردي:

إن الحداء كذلك هو ذلك الصوت الذي يطلقه الراعي أو المالك إلى الإبل لتتبعه إلى المرعى أو للعودة منه أو لدعوتها إلى الشرب. ولكل صاحب إبل نداء مميز تعرفه إبله وقد يكون متوارثاً في القبيلة أباً عن جد، وقد استخدمه وعرفه العرب منذ القدم. وبواسطة الحداء تعرف الإبل أصحابها وما يريدونه منها، وهو في الحقيقة دليل على قوة ذكاء الإبل (١٤٠٩: ٦٤).

وذكر أبو سويلم بعض ما يقال عند دعاء الإبل وزجرها، مثل: جوه، وجها،



وحل، وحي، وعيـه، وعاه، وهيب، إخ، إخ، هاه، ياه وياه.

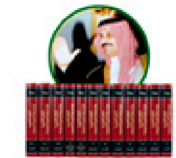
وورد في كتبٍ التراث أن الحداء في العرب كان قبل الغناء، وكان سببه أن مضر بن نزار بن معد قد سقط عن ظهر بعير في بعض أسفاره فانكسرت يده فـجعل يقول: يا يداه، يا يداه، وكان من أحسن الناس صوتاً فاجتمعت الإبل وطاب لها السير، فاتخـذه العرب حداء، فجعلوا كلامه في أول الحداء، فمن قول الحادي المتغني للإبل: يا هاديا يا هاديا ... ويا يداه يا يداه.

ونقل الشراري عن جواد علي قوله:

والحداء هو من أقدم أنواع الغناء عند العرب، يغنىّ به في الأسفار خاصـة، ولا زال علـى مقـامه ومكانته في البـادية حتى اليوم، ويتغنى به في المـناسبات المحزنة أيضاً؛ لملاءمة نغمته مع الحزن. وكان الحداء أول السماع والترجيع في العرب، ثم اشتق الغناء مـن الحداء، اشتقه جناب ابن عبدالله الكلبي، فغنى النصَب، والنَصَب من أوجه الغنـاء الجاهلي، وهو غنـاء الركـبان وغنـاء الفـتيات والقينات، يغنّى بـه في المراثي، ولذلك دعاه إسحق بـن إبراهيم الموصلي الغناء الجَنابي نسبة إلى ذلك الـرجل، وهو الذي يـقال لـه المراثـي، ومنـه كـان أصل الحداء، وكله يخرج من الطويل فـي العـروض (١٤١٢: ٣١٣-٣١٤).

يتفنن الحادي في كلمات تجلب كافة الرعاة الآخرين، وكذلك القاطنين على المورد، والذين يأتون عادة يـستمتعون بما يقـوله الحادون من أنغام وكـلمات شجية ومعان ذات أبعاد تتعلق بشؤون حياتهم ومعاشهم. ويتفنن الحادون في صياغة الحداء بـشكل مشوق يتضمـن طرح مشـكلة أو قصـة ما تحتاج إلى تكاتف الجميع لحلها. أو يطرحون قضية لحلها جماعياً، أو يتبـنون عادة قبائلية تذكر النـشء وتعلمهم أمـور حياتهم وكيفية التعامل حسب عادات وتقـاليد القبيلة.

قال سـعد الصويـان «وكان الرجز يستخدم في الحداء منذ الجاهلية وبنفس الطريقة التي كانت سائدة في بادية الجزيرة حتى وقت قريب. ينقل صاحب كتاب الأغاني عـن ابن حبيـب قوله: كانـت العرب تقول الرجز في الحرب، والحداء والمـفاخـرة ومـا جـرى هذا المجـرى» (١٩٨٨: ٢٧).



وهناك نماذج لقصائد الحداء ترددت في كتب الإبل وفي كتب الشعر الشعبي، نقتطف منها قولهم:

ما قـلـت لـك يامـضحـي
الـيـوم ورد الـوضـحـي

وقولهم:

حـمـرا تـرص الجـالـي
رص الـوديـد الـغـالـي

وقولهم:

يـا قـلـيّـب أبـو جـفـين
يـامـرحـوم الـوالـدين

وقولهم:

يـابـنـت يـانـصّـابـه
تـرا الحـيـاة نْـهـابـه

وقولهم:

عـمـراً عـلـيـه طْـلابـه
غـزا عـلـيـه وجـابـه

وقولهم

هـب الـهـوا شـمـالـي
هـلا يـاريـح الـغـالـي

وقولهم:

يـاالله صـبـاح الخـيـرِ
عـلـيَّ وعـلـى غـيـري

وقولهم:

يـاالله عـلـيـك ارواهـن
غـيـثـاً يـبـل ذْراهـن

وقولهم:

الـبـل عـطـايـا ربـي
تـدعـي الـبـغـيض يـحـبـي

وقولهم:

يـاعـشـيـر الحـطـابـات
نـيـاقـك مـا هـن شـرّابـات

وقولهم:

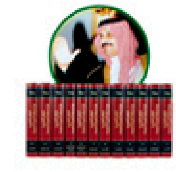
طـاح المـطـر واشـلـنـا
ونجـددمـنـازلـنـا

وقولهم:

يـا شـمّـخ الـعـشـايـر
يـامـجـوّزات الـبـايـر

يقول القويعي عن الحدي أو الهوبلة:

الحدي لإخراج الماء من البئر من الغناء الشعبي الذي بدأ يزول وينقرض شأنه شأن غيره من أغاني تراثنا القولي (لا يزال الحداء مستخدماً في البادية). وكانوا يقومون بتأديته عند سقاية الإبل، واستخراج الماء من البئر بواسطة الدلو التي يطلقون عليها اسم القلص، وهي كبيرة الحجم؛ ولهذا فهي تستقبل بواسطة اثنين من الرجال عند حافة البئر لحملها وصب الماء منها. ويسمى هذا الغناء جذبًا إذا كان المغني يجذب الدلو بنفسه من القليب، فإذا كان الحبل على المحالة سمي الغناء



(هياباً)، أما إذا كانت الدلو تسحب بمطية وكان الحبل على السانية، فإن غناء الشخص الذي يتلقى الدلو ويصبه في الحوض يسمى (عوبال). وهناك من يقول الهياب إذا كان الشخص يذب الدلو بيده أو يعاونه شخص آخر، كذلك إذا كانت البئر قليلة الماء واحتاج الأمر إلى نزول شخص إلى قعرها، ويسمى المياح، ليغرف الماء بإناء ويصبه في الدلو أو الغرب، فإن غناءه يسمى أيضاً (عوبال).

وأورد القويعي بعض الأهازيج التي كانوا يستخدمونها في حدائهم مثل قولهم:

وضحا حلايا نوره
ووسيمها الباكوره

وقولهم:

وضحا سنامه يومي
مثل القمر بغيومي

وقولهم:

صبّوا لنياق الشايب
شقح وبهن جنايب

وقولهم:

غروٍ على ام رْضمه
ريحة زباد بشمه

وقولهم:

متى يضيح البارق
عن هالقليب انفارق

وقولهم:

الاشقر المنقوضِ
على ردايف موضي

وقولهم:

البرق وين تخيله
على سجا وسحيله
ملحا تجر خْطاها
والمنخره ما اضماها
وام الجواعر ماها

وقولهم:

خلّه ترص الجالِ
رص العزب للفالي

وقولهم:

صبوا لراعى الكاسه
شقرٍ ذوايب راسه

وقولهم:

يابنت شومي شومي
للي ذلوله تومي

وقولهم:

لى عاد ما ترويها
جَنّب وانا راعيها

وقولهم:

وضحا سنامه عالي
وردت على أم اوعالِ



أغاني الرعاة

عندما تبدأ الإبل في ذهابها للمرعى صباحاً، فإن أبناء البادية في الجنوب ونجد عادة ما يغنون بألحان الهجيني المعروفة. وفي الجنوب يغيرون الألحان في الظهيرة إلى نوع يسمى الطرّاق، وهو من أنواع الهجيني، والمسحوب. وعند العصر يغنون بلحن يسمى الدندان ومن أمثاله:

ميح ياجبل من طريق البل والا توط
القلب لي انوى بنيّه محط الارض محط

وقولهم:

ياهل الديار البعيده ليتكم تقربون
تمشون الايام واطراف الليالي تجون

وقولهم:

ياونتي ونة الهازل إلى ناط رد
إن ورد ما يشرب الما وان صدر ما ورد

وقولهم:

قالوا لي الناس يالسارق وانا اللي بري
السارق اللي على بوقة خويه جري

وقولهم:

ياهجن ياماشيه ياناصيه حضرموت
هو صدق ياناس من فارق وليفه يموت

وقولهم:

ياويلي من الموت والنود تذري عصير
ياليت من له جناحٍ يم خله يطير

وقولهم:

من ضيقة الصدر عيني باح مكنونها
تكفون ياهل المعرفة لا تبكّونها
ما تبكي الا على ناس يحبونها

أما قبل مغيب الشمس فإنهم يلعبون بلحن يسمى الرواح وهم في طريق عودتهم لمضاربهم، ومن أمثال هذا اللحن:

ياشلي العرب شب لي نارك
من مبان الخلا ينبني جارك

وقولهم:

ياوجودي على زين لاماهم
في المرابيع والا على ماهم

وقولهم:

ياهل الهجن يالي بها اروافي
شرّعوها على المشرع الصافي

وقولهم:

ياغزال ثرا الميل بعيونه
ياهله بالثمن ما تبيعونه

وقولهم:

ياهلي ما تشوفون ما جاني
ما ذبحني ولا جاني

وجدير بالذكر أن الدندان والرواح لا يعرف إلا لدى الدواسر وآل مُرَّة. وهو في الأساس من ألحان الساحل العماني، خاصة المناصير والعوامر والدروع، ويسمونه التغريد، وإن كانت قبائل قحطان وشهران ويام يلعبون الرواح



إلا أنه يختلف في لحنه عن رواح الدواسر وآل مرة، وأبياته لا تتعدى بيتين إلا ما ندر، ولا يعرف قائله، فهو لا ينسب لشخص معروف ويبدو أنه متوارث من جيل إلى آخر.

ويقول السويداء عن الحداء: إذا صاح راعي الإبل بصوته تجمعت عليه من أقاصي مرعاها.. ومتى صاح الراعي بصوته فإن الإبل تحاول قطع الشكايم والعقل والقيد إن كانت مربوطة أو معقولة أو مقيدة. وإن كانت في المنحاة (السانية) بدأت تتلفت يكاد صوت الحادي يمزق أفئدتها ويخرجها عن طورها، وتكاد تخرج من المنحاة، فإن لم تستطع ألمت بها حالة هستيرية لبعض الوقت، ثم تنزف عرقاً وتنحدر الدموع من عينيها جزعاً على عدم المقدرة لتلبية هذا النداء الحبيب إلى نفسها. ويضيف السويداء أن الحداء على نوعين؛ الأول نوع من الغناء المجرور والذي يفصل بين البيت والآخر صيحة طويلة حادة مثل:

يـــافـــاطـــري يا شـــعـــيـــلـــه
حـــنـــا سريـــنـــا الـــلـــيـــلـــه

وهذا الحداء يتم في المرعى عندما يريد الراعي العودة بإبله إلى مضارب البيوت، ولكل راعٍ صوته المميز الذي تعرفه إبله.

أما النوع الثاني من الحدا: فهو الحداء الذي يطلقه راعي الإبل عندما يريد أن يسرح بها (الذهاب للمرعى) فيشايع لها. ويتكون من كلمات يفصل بينها صيحات طويلة حادة مثل «دوها... العليا... واه. دوها... العليا... واه». ويردد الراعي هذا الحداء سواء في مضارب البادية أو في القرى، غير أنه في القرى يختلف بعض الشيء حيث إن له صيحتين فقط للمرة الأولى والتي تعني نهاية سائق السواني من السياق (السني) ويحط (يضع، يُنزل) عنها عدتها ويحضرها في مكان تجمع الإبل، وبعدها يبدأ الحادي بحدائه للمرة الثانية لثلاث صيحات، وهذا دليل على أن الإبل ستتحرك سارحة (متجهة) إلى الفلاة. ومن الحداء لسقي الإبل قولهم:

يـــادلـــونـــا بـــالـــلـــيـــه
صـــبـــي عـــلـــى الـــرعـــيـــه

وقولهم:

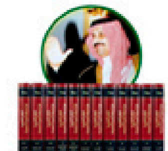
الـــبـــل مـــا يـــرويـــهـــا
إلا زعـــب راعـــيـــهـــا

وقولهم:

هـــب الـــهـــوى شـــمـــالـــي
جـــانـــا بـــريـــح الـــغـــالـــي

وقولهم:

يـــامـــا احـــلـــى سـقـــي الـــذودِ
واســـقـــيـــه أنـــا بـــعـــضـــودي



وقولهم:

هـذي الـوضـيـحـا تـردي
تـقـول هـذا وَرْدي
جـانـا غـزال الجـردي
يـلـبـس ثـويـب وَرْدي

أما عن الحداء للسقي (سقي الإبل) فيقول الحبردي: إنه عندما يـرد الرعاة على موارد المياه فإنهم يحـدون بحداء خاص لزعب المـاء (إخراجه من البئـر) بواسطة الدلو أو القلص ونزفه (سحبه) من الآبار وصبه في القرو (حوض الماء) أو المشرع ... ولهذا العمل حداء خاص تطرب له الإبل وتفرح بالماء بعد العطش وهذا الحداء مثل قولهم:

وضـحـا سـنـامـه يـومـي
مـثـل الـقـمـر بـغـيـومـي

وبعد أن ينزعوا الدلو من جمة البئر (قاعها) حتى المقام تندلق (تصب) الدلو إلى مجمع الماء الذي تـشرب منه الإبل الظـامئة فيـعودون مرة أخرى لـلحداء فيقولون:

يـاشـيـقـر الـذوايـب
قـلـبـي غـدا لـهـايـب

وقولهم:

يـالابـس الاحـيـمـر
غـضٍّ تـوّه وضـويـمـر

وقولهم:

أم الـهـدوم الـسـمـر
بـلـتـنـي عـلـى عـمـري
(١٤٠٩: ٦٩-٧١).

أما الشراري فيقول عن الحداء إنه أقرب ما يكون للنـظم البسيط المكون من بيتين من الشعر بقافيتين. وبصوت يردده اثنان، وأحيانا عندما تكون الدلو كبيرة يردده أربعة من الأشخاص بصوت يسمعه كافة الواردين على العد (البئر)، كما يسمعه أيضا البادية القاطنون على نفس العد، وقد يتناهى صدى صوتهم أثناء الليل أو مع الفجر إلى مسافة بعيدة قـد تـصل إلـى أكـثـر مـن عشـرة كيلومترات.

ويضيف الشراري أنه لا يتقيد الحداء بلحن واحـد، بل تتعدد ألحانه حسب الحادي وقدراتـه الصوتية وتـفننه بـها. وتخـتلف ألحان الحـداء من قبيـلة إلى أخرى، إضافة لذلك فإن حداء الرحيل مثل حداء الموارد، ولـكنه يختلف عنه في نمـط الكلمـات واللحـن وأسلوب الحـادي، بسـبب اخـتلاف المـوضـع والمناسبة.

ويقول كذلك: إن من حـداء الإبل حداء المراح لحراسة الإبل، وهو خاص للرعاة جرت به العادة أن يقال عند الإبل ليلاً، وذلك لـلحفاظ عليهـا وليسمعه



الحوف، وهم مجموعة غزاة صغيرة تنهب الإبل ليلاً أو نهاراً ويطلق عليهم الحنشل، وكانوا ينتشرون في وقت المغازي خلال عهد الفوضى وافتقاد الأمن. وعندما يتربص الحوف ليلاً فإن هدفهم هو إطلاق عقل الإبل ثم سوقها والهرب بها. وتسمى هذه الطريقة في اللصوصية أيضاً عندهم الرقع، ويعني النهب خلسة. وقد قالت إحدى نساء الشرارات:

خزاير اللي يحوف بليل
طلايق اعقال بالمرحى

ويتميز نمط حداء الحراسة للإبل بإنشاد أبيات الشعر القصيرة بحيث تكون بيتاً أو بيتين من الشعر، فالبيت عادة كصيغة حداء الغارة على الجيش (الإبل)، والبيتان كصيغة حداء الغارة على الخيل. وقد يرد الحداء بصوت طويل (مرتفع) بين فينة وأخرى، ويكون الهدف من هذا الحداء إرهاب الحائف والغازي وتحذيراً أو تنبيهاً للرعاة وأصحاب الإبل بألا يغفلوا أو يناموا ليلاً. وفي حدائهم هذا يقولون:

يانايمٍ عن فاطره
ياعل عيونه للسهر
حلوبته ركوبته
جلوبته يوم الدهر

وقولهم أيضا:

ياهجرة دونها حراس
والموت عند اركانها
ياما قطع عنده من راس
لْيا ادرجت حيرانها

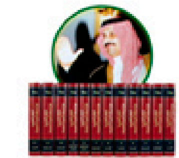
وهذا الحداء يمكن أن يكون عندهم من الكلمات التحذيرية كقولهم «العدو معثور».

ومن الأمثال عند الشرارات قولهم «ما بي حدا ومتح» يضرب للعاجز عن الجمع بين أمرين أو لصعوبة الجمع بين أمرين.

ويضيف الشراري أن للغناء والهجيني أنواعاً، فمن الغناء ما يسمى بالحنده على الجيش الذي يُجهز للإغارة أو الغزو. قال الشاعر:

يوم لحقوا هل البل
يلعبون الجديبه
يوم (فلان) يحول
والردى يتقي به

ويقول أيضا: أن الشياع (المشايعة) هي من شاع أي عرفت الإبل نداءها الخاص بها، والمشايع: هو الشخص الذي يصيح بالإبل لتجتمع وتنساق. وشايعت بها (بالإبل) دعوتها. والمشياع المناداة للإبل. ومن الأمثال قولهم «ما تدري وين شياعة البركه» وقولهم



«هنـفٍ على حسـن المشايع يـجن».
ولكل إبل مـشايعة معينـة خاصة بها تعودت عليهـا بحيث إن الراعي عند ندائه للإبـل بالمشايعة الخاصة بـها قد ترجع من مسافات طويلة، ولا يستطيع أن يمنعـها أحد من العـودة لراعيهـا. وأثناء الـغزو فإن الراعي إذا اسـتطاع النجاة والهرب على رحوله من الغزاة وقام برفع صوته بمشياعة إبله، فإنه لا يستطـيع أحد أن يردها أو يمنعـها من العودة إليه واللحاق به، ومن أقوالهم «الله يجيب شياعة البركه». ومن شعر الدحه قولهم:

الليله دحّه ومزاحي
لمن الصبح ينباحي
لمن راع البل يشايع
وراع المعزا يْتاحي

وجاء فـي كتـاب الإبل للـشراري أيضا: إن للإبل ألفاظاً معروفة تستجيب لها، ومن بعض تلك الألفاظ قولهم:

دهى: وهي كلمة لضرب من المشايعة للإبل، و«دهي» عند تكرارها هي: هيد (هـ ي د هـ ي د).

أره: لفـظة تسـتعمل لنـداء الحوار الصغير لتدر عليه أمه ويسمى التدهرش.

أقه: كلمة تـستخدم لطرد الجمل، وفي المثـل قولهم «أقه.. تـقوم الزمل كلهـا»، ويقولون أيـضا «يُكبـر الجمل بقولة.. أقه».

كله: كلمـة تقال للجمل المتصدي لجمل مهاجم.

حي: كلمة تـقال لحث الناقة على السير.

حيت: كلمة زجر لحث البعير على القيام من مبركه والسير، وفي المثل قولهم «حيت جميلي بس أنا».

إخ: مأخوذ من صوت الجمل والناقة عند الإناخة وتـقال للإبل لتبرك، وفي المثل قولهم «ما يعرف الناخه» و«ما تعرف الناخه».

حرس: كلمة زجر لطرد الإبل.

حد: كلمة زجر لطرد الناقة.

يه: كلمـة زجر تقال لترجع الإبـل لبعضها.

كشـوه: كلـمة زجر أيـضا للإبـل (١٤١٢: ٣٢١).

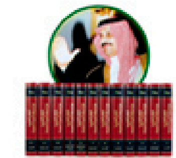
ويقول السـويداء: أن يَهْيه: ياه، ياه: من دعاء الإبل ويهيه بالإبل دعاها، أي قال لها «ياه، ياه»، أما نداء الإبل فيقولون دوهـاه، ودوها الرجل لإبله نادى لها: دوهاه دوهاه، وذلك لتنقاد معه للـمرعى. ويسمى الوقت الـذي ينادي فيـه الراعي إبله بالمـسير دوهاة الراعي، وينادي الراعي للإبل «دوهاه،



دوهاه، العـليا» ليذهب بـها للمفلـى (المرعى) أو لـلعودة بهـا إلى المنزل. وكلمة «جها» لزجر الإبل وهي للجمل على الأخص والمثل يقول «يكبر الجمل بقولة جْهَا».

ومن تأثير التَّدْوِيْه أو الدعاء للإبل ما حدث لـركب كانوا مسافـرين بين مدينة سميراء ومـدينة الروضة بمنطقة حائل في أيام السلب والنهب. فطلع عليهم قطاع طرق (حنشل) وسلبوا ما معهم من ركاب ودواب وغيرها بما في ذلك مطيـة لرجل منهم معه امـرأته. وكانت هـذه المطية شديدة الالـتصاق بزوجة صاحبها إذا دعتها من مكان بعيد أسرعت إليها، وعندما أخذها الحنشل مع ما أخذوا صارت المرأة كلما أبعدوا بغنيمتهم تصيح بأعـلى صوتها منادية مطية زوجـها شعيله فـتنحرف الناقـة وتتجشم من في طريقـها وتعود جرياً إلى صـاحبتـها. فدفـع ذلك الفعـل اللصوص إلى مجازاة المرأة وتهديدها بالقتل إن هي عاودت نداء النـاقة مرة أخرى.

وهناك قصة تناقلها الرواة حدثت منذ عهد غير بعيد وهي باختصار تخص رجلاً يقال له الشليمي من الظفير كسب أباعره عـبدالكريم الجربا وبـعد مرور سنتين على فقده لها ذهب إلى واحد من جماعته شاعر يقال له ابن دهامان وشكى له الحال وأنه مقهور لأخذ أباعره وأن عبـدالكـريم الجربـا رجل كـريم ويوجّب الشعراء وطلب مـنه الذهاب معه إليه وأن يقول فيه شعرا لعله يرد النياق. وذهبوا فعلاً إلى الجربا وقابلهم والقى ابن دهامان قصيدته وبعد أن قال البـيت الأخـير، قـال الجربـا: أنت الشليمي، قال: نعم، قال: أبشر بنياقك وسأكلف الرعيان يعزلونها لك. فقال: ياطويل العمر أنا طـالبك تامر عليهم يجيبوا البل جميعها إلى مورد الماء وأبى ادوّه لها فاللـي تعرفني ما يرده راعيه واللي ما تعرفني فبليّاها. فقال له الجربا: نياقك لها سنـتين ولا ظنتي تعرفك. ولكن الرجل أصر فأمر الجربا بإحضار الإبل وقام الشليمي وارتقى على زبارة وابتدا يدوه لها، فقامـت نياقه، وهي نوق وضح مغاتير، تتسلل من بين النياق واحدة بعد الأخرى حتى اجتمعت عليه ما عـدا واحدة بقيـت مترددة، فـقام الشليمي بضربها بالسيف من عراقيبها وقال للـجربا اذبحها وعـش الجماعة منها، فقال له: ليه سويت بالبهيمة كذا؟ فقال: إن هاذي خارجية ما هي منهن لأن أمها عصت الفحل وبعد فترة جانا



فحل كسب وضربه ولقحــت وجابت   فتركتها ترضع أمها وبعدين أقلعه أذبحه
ها البكره وأمه ما ابغاها ولكن خفت   أو أبيعه ولكنكم كسبتوا النياق قبل ذلك
على أمــها إن ذبحتهــا يزيد شحــمها   فلا لي لازم بها.

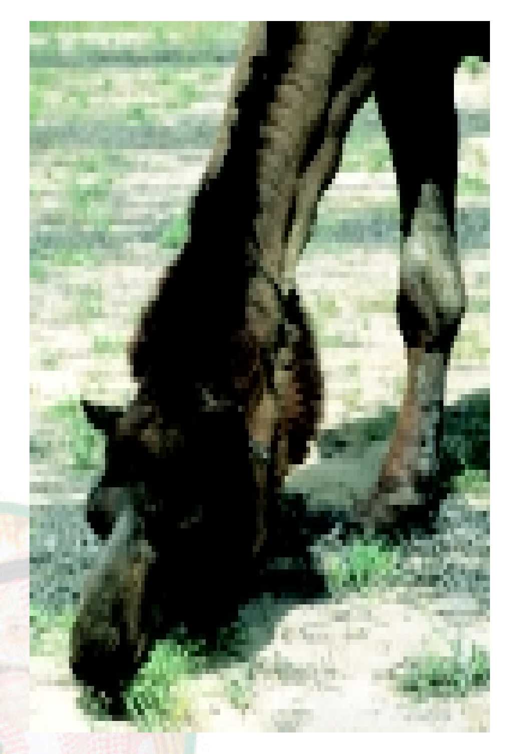


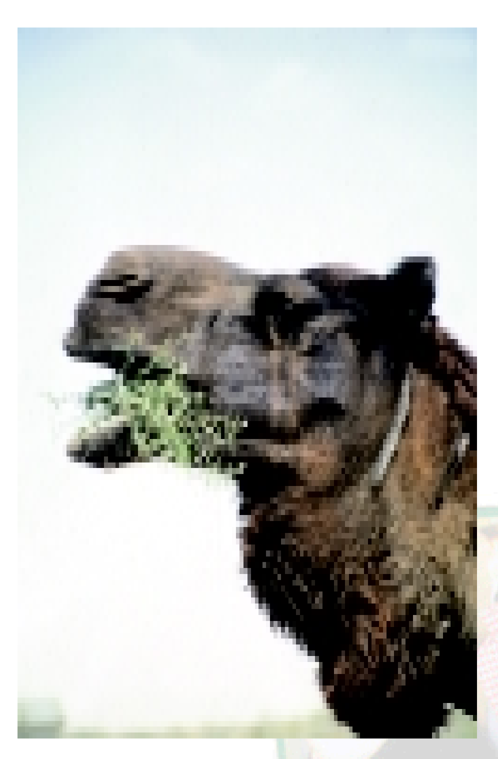
رعي الإبل وسقياها

رعي الإبل

تعيش الإبل في المناطق الصحراوية، وهي بيئات فقيرة من حيث الغذاء والماء، وذات ظروف مناخية صعبة كارتفاع الحرارة والجفاف الملازم لها. والبعير بطبيعته يفضل رعي الأشجار والشجيرات، ولكنه يُقبل على رعي النباتات العشبية أيضاً، خاصة الطويلة منها. وهو واسع الاختيار في الرعي، أي أنه يرعى عدداً كبيراً من نباتات المراعي الطبيعية. ومن عادته في الرعي أيضاً صِغرُ حجم القضمة الواحدة من النبات، مع عدم التركيز في الرعي على منطقة صغيرة، مما يساعد في المحافظة على المراعي من التدهور نتيجة الرعي الجائر الذي تتصف به بعض أنواع الماشية. ويحتاج البعير في المرعى لفترة ما بين ٦–٨ ساعات يومياً لكي يؤمن الغذاء اللازم لجسمه. وتحتاج مدة الرعي هذه إلى حوالي ست ساعات للاجترار. ويستطيع البعير الرعي طوال النهار، لكنّ رعاة الإبل يفضلون أن يرعى في الصباح وقبل الغروب؛ لإعطائه فرصة للراحة والاجترار في وسط النهار حيث تشتد الحرارة. أما الجمل الذي يعمل في الحقل أو في السّني فعمله غالباً ما يكون في الصباح أو قبل الغروب؛ لذلك يُترك للراحة والرعي في وسط النهار. ويجب أن يُعطى البعير الذي يعمل أطول مدة ممكنة للراحة بين فترات العمل. كما يجب تقديم الأغذية الإضافية له في المساء. وقد لوحظ أن الإبل تتناول أغذيتها ببطء أكثر من الأغنام. وعندما تتغذى بعلائق خشنة من مخلوط التبن مع الدريس، فإنها تتناول الاثنين معاً، من دون تفرقة بينهما، في حين تبحث الأغنام عن قطع الدريس وتتناوله أولاً حتى إذا نفدت تبدأ بتناول التبن ثانياً.




قضمة البعير صغيرة الحجم


رعي النباتات الشوكية

ومن المعروف علمياً أن التبن علف مالح يستثير غدد الجهاز الهضمي على إفراز الأنزيمات الهاضمة عند كل الحيوانات. ويقدم مربو الإبل العلف لها على شكل كُتل (درابي) وهي كرات صغيرة من الغذاء الذي هو مزيج من التبن وكسر القمح والشعير والكرسنة مع الماء بمعدل ١٠-١٥ كجم من التبن و٢ كجم من الحبوب.

ومن مميزات الإبل أنها تستطيع التغذي بالنباتات الشوكية وغيرها من النباتات الأخرى التي لا تأكلها بقية الحيوانات. أمَّا أفضل ما تحبه الإبل من مرعى في فصل الربيع فهو العشب، أي النباتات الفصلية؛ مثل الحوذان والسعدان والقرنوه والقفعاء والنفل والربلة وغيرها من النباتات الفصلية. وهي لا تكثر من أكل القلقلان والخزامى والصفار والغريرا والسمنة؛ لأنها تعتبر من حرار العشب وما عداها فهو من الحلاوي. وأما في فصل الصيف فالإبل تكثر من رعي النصي والسعدان وما لان من نباتاته. وفي منطقة الربع الخالي فإن الإبل في فصل الصيف تفضل الزهر والعندب





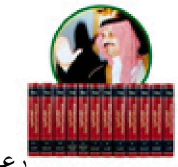
رعي النباتات العشبية

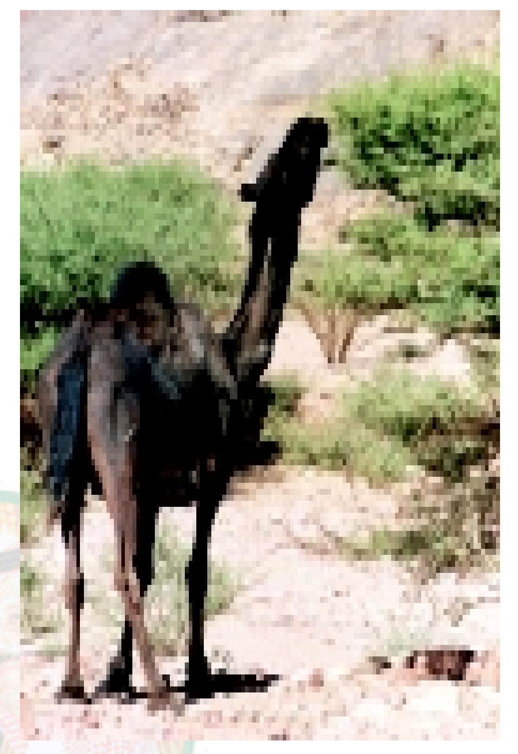
(الثداء). وأما في نجد فيكثر النصي في الصيف وهو نبات مفضل للإبل. وفي الشمال ترعى ما يسمى الحميس وهو ما بقي في الأرض من نباتات الربيع.

وأما النباتات الحمضية التي تأكلها الإبل في كل الأوقات فأفضلها لها الروثة ثم الرغل والعراد والسواد، وفي منطقة الربع الخالي لا يتوافر لها سوى نوع واحد هو الحاذ.

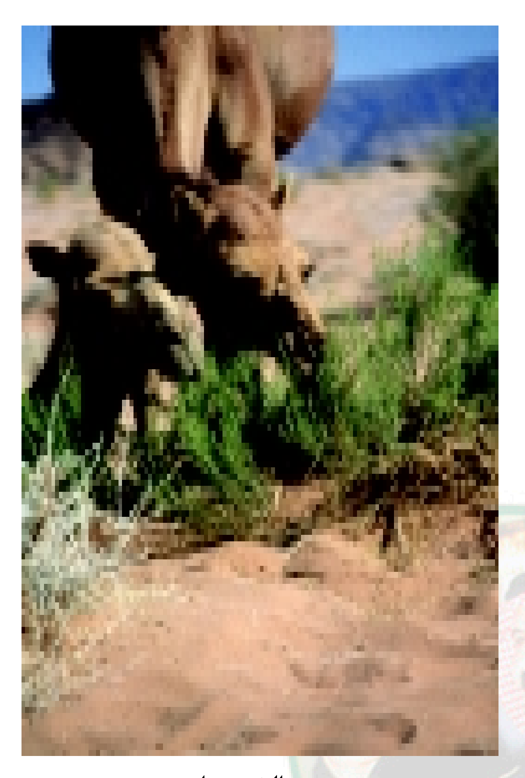
أمَّا ما تسميه البادية بالقشع أو الشمع وهو الشجيرات، فإنه أفضل ما ترعاه الإبل من نباتات في المناطق الصلبة أو الجبال، وهو العرفج والثمام؛ بينما تفضل في المناطق الرملية الزهر في الربع الخالي وكذلك العندب والسبط والحماط والبركان. وأما النباتات التي ليست بعشب أو شمع، بل هي بين ذلك، فإن أحبها للإبل الرمرام والنقد والرقروق والشكاعى، وتسميه العرب الجنبة.

وقد ذكر الصانع أن البعير في المملكة العربية السعودية والعراق والكويت يتغذى بنبات الرمث والرغل والنصي والشيح ونباتات أخرى. وتفضل الإبل دائما رعي الأشجار والشجيرات، وترك النباتات العشبية الصغيرة، وهي على عكس ذلك





رعي الأشجار



رعي الشجيرات

إذا كان المرعى جيدا، فإنها ترعى الأعشاب الصغيرة الخضراء.

وتهدف تغذية الإبل إلى تحقيق أمرين؛ الأول حفظ حياة الإبل وصحتها، والثاني إمدادها بالمركبات الغذائية للنمو والحركة ولإنتاج اللبن واللحم. وهذه المركبات هي: المركبات البروتينية، والمركبات الكربوهيدراتية، والمركبات الدهنية، والمركبات المعدنية، والمركبات الواقية أو الفيتامينات.

ويستطيع بعير واحد أن يأكل خلال رعيه ما مقداره ٢٥ إلى ٣٥ كجم من النباتات في اليوم الواحد. أما أقل احتياج يومي للإبل من النبات فهو ٥ كجم، ويتطلب ذلك أن تقضي الإبل حوالي ٨-١٠ ساعات في المرعى، لأنها بطيئة في الأكل والاجترار والتنقل من مكان لآخر. وتطول مدة الرعي إذا كان المرعى جافاً أو محتوياً على نباتات شوكية.

وينقل الصانع أن إحدى النوق في أثيوبيا أعطيت ما مقداره ٢,٥٠ كجم من نبات الحلفا، وكان وزنها ٣٦٠ كجم فأكلته، من دون أن يظهر عليها أي نوع من الانتفاخ أو التلبك المعوي أو المعدي.



وذكر أن مجموعة من النوق في أثيوبيا غذيت بنبت الثمام، وكان قد تخطى فترة إزهاره وأصبح جافاً نسبياً، فسجلت هذه النوق إنتاجاً زائداً من اللبن.

كما ذكر الصانع أن أفضل النباتات التي تقبل عليها الإبل في جميع الدول العربية هي نبات الثمام ونبات النصي ويرجع ذلك لسعة انتشارهما. أما في الجزيرة العربية فإن الإبل تقبل على رعي نبات النصي والرمث. أما الإبل المخصصة للعمل فهي تتناول دائماً الأعلاف الخضراء والحبوب العلفية والنخالة وكسب القطن، والتبن والقير والدريس والبرسيم. وتحصل الإبل من نباتات المرعى على ٣-٣٠ لتر ماء يومياً، وتتناقص هذه الكمية إذا كانت نباتات المرعى جافة، بخاصة في فصل الصيف (١٩٨٤: ١٤٣-١٤٤).

ويذكر الحتي أن الإبل تقلُّ أوزانها في فصل الشتاء من كانون الأول (ديسمبر) حتى نيسان (إبريل) إذا كانت تعتمد في غذائها على نباتات الرعي فقط. وعلى كلٍ فالأمر يعتمد على نوعية المرعى، فقد تزيدُ أوزانها أو تنقص حسب نوع المرعى في تلك الفترة، ما لم تكن الإبل من تلك التي تطعم الشعير أو المكعب فإنها لو تركت أكلهما واعتمدت على المرعى وحده خسرت من وزنها، وإن كانت قادرة على استعادته بعد فترة من الزمن. وتقول البادية «نقضت البل» أي خسرت السمنة والشحم الذي كسبته بأكلها الشعير أو المكعب، وبدأت في بناء شحم جديد معتمدة على المرعى. أما إذا حدث العكس أي بنت شحماً من رعيها العشب والشجيرات ثم اعتمدت على الشعير والمكعب فإنها لا تخسر شيئاً من شحمها الأول. وقد لوحظ أن معدل هذه الخسارة بلغ ١٩,٧٪ عند الأمهات و ١٠,١٪ عند الذكور التي فوق عمر أربع سنوات. أما لدى الذكور التي عمرها ثلاث سنوات فقد بلغ متوسط هذه الخسارة ٩,١٪. وتنخفض هذه النسبة كلما كان الجمل صغيراً في السن. أما التي لم تزل ترضع من أمهاتها فلم يتأثر وزنها بسبب اعتمادها على حليب أمهاتها. وتعوض هذه الخسارة في فصلي الربيع والخريف مع زيادة في النمو. وتصل الإبل إلى أقصى أوزانها خلال شهري أيلول (سبتمبر) وتشرين الأول (أكتوبر). لذلك يجب عدم الاكتفاء في التغذية بما ترعاه الإبل في فصل الشتاء، وفي مواسم القحط والجفاف، بل لا بدّ من تقديم الأعلاف المركزة لها (١٩٩٠: ١٤٣-١٤٤).

ويذكر أن الإبل ترعى الأشجار والشجيرات، فارتفاع قوائمها وطول



رقابها يجعلانها قادرةً على الوصول إلى الأجزاء العلوية من الأشجار والشجيرات، كما تقبل الإبل أيضاً على رعي النجيليات والنباتات العريضة الأوراق. ويعتمد اختيار الإبل أو تفضيلها للأنواع النباتية الرعوية وكمية المادة التي تستهلكها منها أساسا، على البيئة التي توجد فيها، وتنوع النباتات وكثافة كل منها ومرحلة نموها، وفصل السنة ودرجة استغلال المرعى، وتوفر ماء الشرب، ويتم ذلك ضمن الدورة الرعوية المتبعة كل عام. ولذلك فإن تركيب العليقة يختلف يومياً من مرعى إلى مرعى، ومن فصل إلى آخر، كما أن القيمة الغذائية لكل عليقة تختلف وفقاً لهذه العوامل، ووفقاً لنسب الأنواع النباتية الداخلة فيها.

ونظرا لاهتمام العربي بالإبل اخترع الكثير من المسميات لأنماط سلوكها ولتصرفاتها ولعلاقته بها ولأساليب تعامله معها، ومن ذلك أشكال الرعي. فقد وضع لكل شكل نعتاً خاصاً؛ ولهذا تعدّدت أوصاف عملية الرعي. يقول العرب: رعت الماشية: إذا سرحت بنفسها وأكلت النبات، ومنه اشتقوا الراعي، والمرعى وهو المكان الذي ترعى فيه الماشية، ورجل تَرْعِية للذي يجيد رِعْية الإبل. وتقول عنه البادية مصلاح.

وسامت الماشية: رعت بنفسها حيث شاءت، ويقال لها في البادية هامل وجمعها همل. والسائمة: الإبل تُرسَل لترعى ولا تُعلف. وسَرَحت الماشية: رعت بنفسها في الغداة. وفي المثل «ماله سارحة ولا رائحة»، أي ليس له شيء. وسَرَبَت الماشية: رعت نهاراً بغير راع. ورَتَعَت: رعت كيف شاءت في خصب وسعة، والمَرْتَع: المرعى، كل هذا إذا كان نهاراً. وغديتْ: إذا رعت في أول النهار. وضَحِيتْ: إذا رعت في الضحى. والتَعْشِيَة: رَعْيُ الماشية بالعشي وأول الليل. ويقال: معشّية. وربّعت الإبل: سرحت في المرعى وأكلت كيف شاءت، فسمنت وكثر الشحم في أسنمتها. والاختضار: رعي الخُضرة. وكلأت: أكلت الكَلأ. ونَجَعَت المكان: أتته ونزلتْ به وتتبَّعتْ مواضع الكلأ فيه. والنُّجعة: طلب الكلأ ومساقط الغيث والسير إليه. وجَرَزَتْ الإبل الأرض: أكلت نباتها فلم تترك منه شيئاً. وجلحت الإبل الشجر: أكلتْ أعاليه. وسَمُّوا الناقة طَرِفة: إذا كانت تتبع المرعى ولا تثبت على مرعى واحد، وتقول البادية عنها: صلفة أو عجلة أو غير رتّاعة، ويقال هي التي تتبع أطراف المرعى ولا تختلط بالنوق، ومثلها العاندة، والعَسوس،





إبل سارحة

والقَسوس. أما القَدَمة فهي التي تكون أمام الإبل في المـرعى وتسميها البـادية الطّياحه. وقالوا: الفَرُود للتي تنفرد في المرعى وتسميها البادية الرجوع. والمِدْقاع هي الناقة التي تأكل النبت حتى تلصقه بالدقعاء وهي الأرض لقلّته. أما الخَذول



إبل مفلّية

فهي التي تخذل عن أوالفها (وليفاتها)، وتتخـلف في المرتع وحدهـا وتسميهـا البادية خدوع أو خنوس. والمِرْياع الناقة التي تذهب إلى المرعى وترجع بنفسها، ومثـلهـا المِسـياع. كل هـذه النـعوت والأسماء قـديمة فصيحة، حـفلت بها الـكتـب والمعـاجم، ومـا زال النـاس يستعملون الكثير منها إلى أيامنا هذه.

وتقـول البـادية إذا خرجـت الإبل صبـاحاً للمـرعى سرحـت أو ندرت، وتُسَمي مرعـاها من الصباح إلى وقت الظهيرة مضحَّى وهي إبل مضحِّية، وإذا ظلت في المرعى من بعد الظهر إلى العصر فهي إبل مفالي أو مفلِّيه. وأما إن خرجت



بعد العـصر وظلت حتى أواسط اللـيل فهي إبل معشيِّة. وإذا تأخرت في مْعَشّاها عن موعدها المعتاد لعودتها قيل عتمت. وإذا بركت في الليل ثم عاودت الرجوع للمرعى مرة أخرى آخـر الليل قيل إبل سفير ويقال سفرت الإبل.

أما عودة الإبل من مرعاها فتـسمى مهداف ويقال هدفت الإبل، وإبل هادفة وكذلك يقال أنكفت الإبل، وإبل منكفة، إذا كان رجوعها من المرعى بعد غروب الشمس. أما إن كان الرجوع عند العصر أو بعده بقـليل فيقال: روحـت الإبل، وإبل مروِّحه، وإبل مراويح.



إبل مراويح

ويـحرص أصـحـاب الحـيوانـات عموماً، والإبل على وجـه الخصوص، على حفظها وحمايتها، فالرعاة يخافون من خروج إبلهم ليلاً، فتتلف ممتلكات الغير أو تختلط بإبل مريضة أو يصادفها فحل غير أصيل فيلقحها، وقد تتعرض أيضاً للضيـاع، لذلك درج الرعاة على عمل حظائر لها، تحفظها مما تقدم وتكون حماية لها من البرد.

والحَظِيْر والحَظِيْرَة ما أحاط بالشيء، وهي تكـون من قصب وخشـب، قال المرّار بن مُنقذ العَدوِيّ:

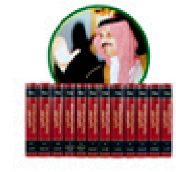
فـإنّ لـنـا حـظـائـر نـاعـمات
عـطـاء الله ربّ الـعـالمـيـنـا

فاستعاره للنخل، والحظار حائطها.

وكلّ مـا حال بيـنك وبين شـيء فهو حِظار، وحَظَار، وكل شيء حجر بين شيئين فهو حِظار وحِجار. والحِظار أيضاً الحظيرة تعـمل للإبل من شجر لتقيـها البرد والرّيح. وهي عنّة تقام حول البيت من أغصان الشجر على هيئة دائرة تبيّت فيها الغنم وضعاف الإبل لتدرأ عنها برد الرياح الباردة شتاء. وهي لفظ فصيح. وحظيرة الإبل تكون في الخلاء وتعمل على شكل هلال من جهة الريح لتحتمي بها الإبل من البرد؛ قال شالح بن ماضي العتيبي:

ما هـيب مـن صفر الـعيون المـهبّاه
الـلي عـليها يـسحـبون الحـظـير
راعي الـغنم دايم علـى النار تصلاه
يـخـاف من ذيـب علـيهـا يغـيـر

وقال نمر بن عدوان:



ولا خمخمت مع قبلة الليل ربقها

ولا جات مع السرعه تجر حظير

والعِنَّة في كلام العرب هي الحظيرة من الخشب أو الشّجر تُجعَل للإبل والغنم تُحبس فيها، وقيّد بعضهم استعمالها فقال: لتدرأ بها برد الشمال. في اللسان «العنّة الحظيرة تكون على باب الرجل، فيكون فيها إبله وغنمه». فالعنة والحظيرة واحد، تتخذ من أغصان الشجر، تقام حول البيت، تأوي إليها الغنم ليلاً، وتبيت فيها لتحميها من ريح الشتاء الباردة، وكذلك تكون لضعاف الإبل، وجمعها عُنَن؛ قال الأعشى:

ترى اللحم من ذابل قد ذوى

ورطب يُرَفّع فوق العِنَنْ

وفي المثل «كالمهدِّر في العُنّة» وهو قولهم «يْهَدِر في العنّه». وأصله الفحل الذي يحبس عن الضراب، يضرب مثلاً لمن يهدّد ولا ينفّذ. ومن الأمثال الشعبية قولهم «بَرَكْ في العنَّه». أي لم يعد يقدر على القيام؛ قال حميدان الشّويْعر:

ياشبه ثليبٍ في عِنّه

لو شاف المرعى ما ثار

إن قمت فلا بد اونه

والمشي كنى بهجار

والثلب: الجمل المسن (الهرش).

ومن أدوات الرعاة اللصيقة بالحظائر المعالف، واحدها مِعْلَف، وهو حوض يوضع فيه علف الحيوانات (الإبل والبقر والحمير) يبنى في أحواشها، بعضه ذو هيئة دائريّة وبعضه مستطيل، وهو فصيح. ومما جاء منه في الشعر الشعبي قول عبد المحسن الصالح:

اكتب واصحى ياخطاط

يصدر بكتابك أغلاط

أكسر قعوك بالملقاط

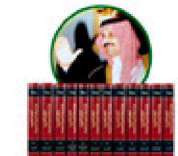
ثم أدفنك بتبن المعلف

ويستخدم رعاة الإبل أدوات متعددة يحتاجون إليها وتساعدهم في أداء مهامهم؛ بعضها للحلب وبعضها لحفظ الحليب، وبعضها للسقيا، وأخرى لحفظ الطعام (الزاد) يضاف إلى ذلك أدواته الخاصة (الإداوة) التي يحمل فيها ما يلزمه من ثياب ونحوها.

فمن أدوات الحليب الزُّكرة وهي جلد صغير يُحلب به الحليب يكون مع الرعاة وهو خاص لهم، ويقال «زكرة راعي». ومنها السِّعِن وهو وعاء صغير من جلد الضأن أو الماعز لحفظ اللبن، يكون مع أغراض الراعي؛ قالت مغيظة الدليمان:

الى حْلبوها ولموا له بسِعنين

يروون اهلها والقعو والخطارا



ومنها الشكوة وهي القربة الصغيرة، وتصنع من جلد السخلة ما دامت ترضع، ويصفونها بالسّقاء الصغير، وتستعملها النساء لمخض اللبن، وفي طلوع الثريا تقول العرب:

طلع النجم غديه
ابتغى الراعي شكيه

ويستعملها الرعاة وغيرهم. وإذا أرادوا تبريد اللبن وضعوه في المجدل وهو خيوط من وبر الإبل، وله عروة ويتشابك مثل الشبكة إلا أن فتحاته واسعة، وعراه تكون من جهتيه اليمنى واليسرى، يوضع على شجرة، ويوضع فيه سقاء اللبن ليبرد.

ويستخدمون المِحْلَب وجمعه محالب ومحاليب، جاء في اللسان «المِحْلَبُ، بالكسر، والحِلاب: الإناءُ الذي يُحلَب فيه اللبن، قال:

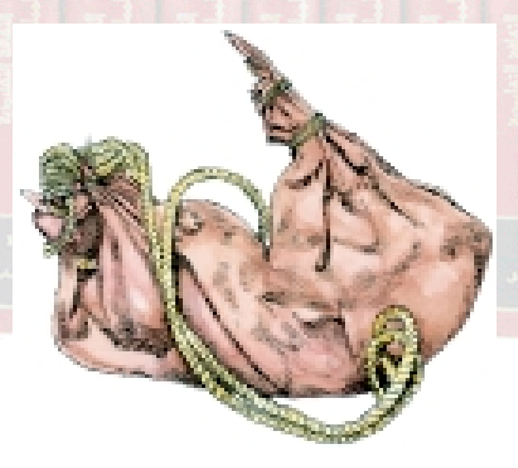
صاح هل رَيْتَ أو سمعتَ بِراع
رَدّ في الضّرع ما قَرَا في الْحِلابِ

وجمعُه المحالِب». فالمِحْلَب هو الإناء الذي يحلب فيه راعي الإبل إبله، ويكون قدحاً مصنوعاً من خشب الطّلح، وقد يكون من خشب الأثل وربُما كان من معدن؛ قال جهز بن شرار:

مع درب شيخ ما يبوق الصحيب
يشكون منه القوم كفي المحاليب

ومن أدواتهم المِشْراب وجمعُه مشارِيب، ويقصد به القدح الذي يحلب راعي الإبل الناقة فيه ويشرب به، وغالباً ما يكون مصنوعاً من خشب الطلح، وقد يكون من خشب الأثل، أو الغَرَب أو الإبراه ويُسمّى أيضا محلبا. ومنها أيضاً الهنابه، وهو قدح مجوّف مصنوع من الخشب يحلب فيه اللبن.

أما أدوات السقيا فمنها الصميل، وهو السقاء الكبير مع الراعي، ومن الأمثال «فلان صميل قيظ». ومنها أيضاً القِربة التي تتخذ من جلد يوضع فيه الماء يستعمله الرعاة وغيرهم. ويسمي الحضر الغضارة التي يشربون بها الماء مشربه، جاء في اللسان «والمِشرَبَة بالكسر إناء يشرب فيه»؛ قال هويشل بن عبدالله:



القربة





الصّميل

قيل الدبش حيل دونه ماش مطلاب
صار الشريده لراعي الذود مشرابه

ويحمل الرعاة طعامهم (زادهم) في الحيزاء وهي نوع من الزقاليب يصنع من وبر الإبل ويوضع فيه طعامهم من التمر والحبوب. ويسمى خرج البِلْ أو عِدْل القربة. كما يستخدمون القِراف وهي أوعية من جلد يحمل بها الزاد في السفر، وفي المثل «اسمعي ياشَن قرفه».

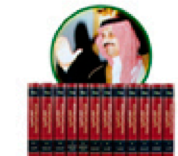
وأما اللبيد فأداة الراعي التي يضع فيها مستلزماته وتُصنع من وبر الإبل أو الصوف، وهي المزهبة أيضاً، وهي حافظة ملابسه وأشيائه الخاصة.

أنواع المراعي

تُعد الأشجار والشجيرات الغذاء الرئيسي للإبل في معظم المناطق، خاصة في فصل الجفاف، لأن نسبة البروتين والكالسيوم والفسفور والليجنين ترتفع فيهما. أما النجيليات (الأعشاب) فترتفع فيها نسبة الألياف والسليلوز، وتعتبر مصدراً للطاقة. وتكون النباتات العريضة الأوراق متوسطة بين الشجيرات والنجيليات. ومع تقدم فصل الجفاف، أو زيادة استغلال المرعى تتناقص أو قد تختفي نباتات كثيرة ذات قيمة غذائية مرتفعة وتبقى الأنواع النباتية الأقل استساغة والنباتات الجافة والشوكية، إضافة إلى الأشجار والشجيرات التي لا تستطيع صغار المجترات، كالغنم والماعز، الوصول إليها.

ونتيجة لاعتماد الإبل في بيئتها الطبيعية على نباتات خشنة شوكية كثيرة الألياف، فإنه يعتقد أنها تعتمد في غذائها على العلائق الفقيرة من الناحية الغذائية. إلا أن لهذا الموضوع شقين؛ الأول يتعلق باختيار الإبل لغذائها في المرعى، والثاني خاص بالجزء المأكول من النبات، وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن الإبل تحصل من المرعى على غذاء مرتفع القيمة الغذائية.

كما أن الإبل في الصحراء الغربية تفضل نبات الخفج الذي يشكل حوالي ٣٠٪ من عليقتها، من أصل ٤٠ نوعاً نباتياً موجوداً في المنطقة. كما تستهلك نبات العجرم والنصي التي تقاوم الجفاف وتشكل الغذاء الرئيسي للإبل مدة خمسة أشهر من العام في موريتانيا وغرب



الجزائر، على الرغم من وجود نباتات غضة مثل النصي الريشي، والثمام الصلب.

أما في شرقي السودان فتعتمد الإبل على الطلح الأحمر والسدر والهجليج وذلك في فصل الجفاف. بينما تعتمد على الثمام الصلب والساروب أو القبار والسّلم في مناطق شمالي البطانة في السودان. وقد تراوح محتوى البروتين في هذه الأنواع النباتية من ٩,٥٪ إلى ١٣,٥٪، وهي غنية بالمادة المعدنية أيضاً، إذ يتراوح محتواها من الكالسيوم من ٢,٣٪ إلى ١٠,٧٪ ومن البوتاسيوم من ٢٩,٠٠٪ إلى ٤٩,١٪.



السدر

وترعى الإبل في الشمال الأفريقي أنواعاً شجيرية مثل الشيح والقطف الملحي والسويدة التي تتصف بأنها غنية بالبروتين (١٧,٤٪ إلى ١٩,٢٪) والعناصر المعدنية (١٠,٦٪ إلى ٢٣,٦٪). بينما تفضل في الصومال بعض النجيليات مثل الصبط وأبو ركبة الذي يتراوح فيه محتوى البروتين بين ٧,٢٪ إلى ١٣,٣٪ ومحتوى الألياف الخام من ٢٩٪ إلى ٣٨,٤٪ والرماد من ٧٪ إلى ٩,٨٪. كما تفضل الأشجار مثل الظيَّان والشجيرات مثل الأراك، ويتراوح محتواها من البروتين بين ١٢,٢٪ إلى ١٧,٥٪ والرماد من ٥,٧٪ إلى ٨٪ والألياف الخام من ٢٨٪ إلى ٣٨٪.

وفي الشمال الشرقي من الجزيرة العربية وفي منطقة الجوف في السعودية، فضلت الإبل حوالي ٢٠ نوعاً نباتياً كان أهمها القيصوم والعجرم والشيح والقطف الملحي والربل والسواد والسلة، وهي بشكل عام غنية بالبروتين (٧,٨٪ إلى ١٤,٩٪) والرماد (٩,٣٪ إلى ٣٤,٦٪).

أمّا في بوادي شرقي البحر الأبيض المتوسط فقد اختلفت مكونات غذاء الإبل حسب الموسم. فاختارت الإبل في مركز وادي العزيب شرقي مدينة السلمية في البادية السورية ٢٦ نوعاً نباتياً على مدار العام. وتتكون علائقها في بداية موسم الأمطار من النباتات العريضة الأوراق



ومن النجيليات ومن الشجيرات، وفضلت الإبل نباتات القفعاء والخبيزة والصريرة والشلوى وهي جميعها نباتات فصلية. وفي بداية فصل الربيع تكونت معظم عليقة الإبل من الشجيرات مثل الصريرة والصر والشيح والهربك، وكانت مرتفعة في قيمتها الغذائية بشكل عام مما أدى إلـي زيادة أوزان الإبل في هذين الفصلين. أما في فصل الصيف، فقد اعتمدت الإبل اعتماداً أساسياً على شجيرات الصر في غذائها نتيجة بداية مرحلة النمو الخضري في هذا النوع النباتي من جهة، ونتيجة جفاف الأنواع الأخرى من جهة ثانية، ولم تكفِ كميات المادة الجافة المستهلكة لسد احتياجات الإبل فتناقصت أوزانها.

وذكر السويداء عدداً من الأعشاب والحشائش والشجيرات التي تتغذى بها الإبل مثل الربْله، الْحَوْذَان، الرَّخَامَى، الذنبان، الْبَخْتَرِيّ، النَّفَل، الْخُزَامَى، الْخَطْمِيّ، الْقَفْعَاء، الرَّقْم، الْمَكْر، الْخُبَّيْز، الْمرَار، الْكَحَل، الْذُّعْلُوق، الْخمْخِم، الْشُّقَّارَى، الْيَرَاع، الْدِّرْبِيَاء، الْفُنُّوْن، الْسَّعْدَان، الْغُرّ، رجلُ الْغُرَاب، الْشَّرْشِيْر، الْجَنْبَة، الْصِّفَّار، الْسِّلِّيْح، الْبِسْبَاس، الْقُلْقُلاَن، الْحُمَّاض، الْجَهَق، الْحُمَّصِيْص، الْحِنْبَاز، الْقُرَّيْص، الْصَّمْعَاء، الْحَمَاط، الْحَنْوَة، الْحَسَار، الْسُّمَيْسِمَان، الْضُّرَيْسَة.

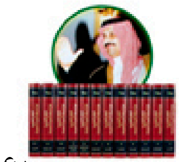
ومن الحشائش الْغَرَز، النَّصِيّ، الْقِبَة، الْضَّعَة، الْسَّبَط، الْحَمْرَاء، الْصَّحَا، الْسَّخْبَر، الْعَضِيْد، الْثُمَام، الْشَّكِيْر، الْصِّلِّيَان، الْمِصَّيَع.

ومن الشجيرات الشوكية وغير الشوكية، والأشجار كذلك الْجُرَيْبَاء، الْجَعَد، الْتَّش، الْنُّقْد، الْنَّقِيْع، الْخرْشَف، الْجُرَّيْد، الْعَرْفَج، الْشِّيْح، الْسِّلاَّء، الْقُرْضَا، الْرُّمْرَام، الْرُّقْرُوْق، الْجَفْن، الْقَيْصُوم، العيهل، الْصِّرّ، الْطَّلْح، الْعَوْسَج (الْعَوْشَز)، الْخِضْر، الْسُّوَاسَة، الْجَعَد، الْلِّصَّيْق، الْعَاذِر.

ويضيف السويداء في مادة حمض: وأحماض الإبل الرئيسية سبعة وقد تكون أكثر من ذلك حيث يقال «مرعى فيه سبع الحموضات» والأحماض المشهورة هي الرِّمْث، والْعَجْرَم، والْشِّنَان، والْفِرْس، والْخِرَّيْط، والروثه، والْضِّمْرَان. وقد ذكر بعضها الشاعر عدوان بن راشد الهربيد بقوله من قصيدته المشهورة الشيخة:

غَيّى لك الضمران والفرس ياسعيد
ياعل ما لحميض الاطعاس والي

ولما كانت هذه الحشائش والشجيرات لا تتوافر في كل مكان وزمان فإن



أصحاب الإبل يرحلون بإبلهم إلى المناطق التي تتوافر فيها في رحلات طويلة ما بين الربع الخالي والصمان والحزون القريبة منها منذ العصر الجاهلي؛ إذ عرفت بأنها من أفضل مناطق رعي الإبل. قال بعض العرب «من قاظ الشريف وتربع الحزن وشتا الصمان فقد أصاب المرعى». ولذلك كانت قوافل الإبل تتجه من مناطق مختلفة إلى الصمان فور وصول الأخبار عن نزول الأمطار بها. قال سعد بن عبدالله الجريس مشيراً إلى انتقاله من الدوادمي إلى الصمان بإبله:

ذودي ليا من المزون حْدَرَنّي
وقالوا لي الصمان عشبه مغطّيه
وتليّمن كل الطروش ومشنٍّ
كلٍّ يبى المظهار والعتش معطيه
وليا انهن قدامهن يقدعنٍّ
يشدن لصيد مفلسٍ منه راميه

أما محسن بن سلطان المسعري فقد قال قصيدة طويلة عن الإبل وعن ارتحال أهلها بها خلف المرعى من وادي الدواسر إلى الصمان وإلى الربع الخالي نورد منها ما يلي:

عسى الله يعز البل ومن هو يعزها
وعسى الله يرفع بابة من اعتنى بها
يزيدون اهلها من طربها وزودها
ويذهب بعد دوارها من ذهابها
يفزّون لى جاهم من القفر رايد
يسجّون دار الخوف لى من نووا بها
لى من لفاهم طرقيٍّ يذكر الحيا
قرايب فروع الصبح دنوا ركابها
يتلونها من ديرةٍ صوب ديره
يبون الربيع لديرةٍ قد رعوا بها
دارٍ من الوسمي تملّت هجالها
لفوهم طوفهم عقب ما دوّجوا بها
لفوهم وقادوهم وينقاد نوّهم
على ديرةٍ طوّافهم قد مشوا بها
تزبّر من المنشا قنوفه وحدّرت
تكاشف بروقه والرعد في عَقابها
يخيلونه اللي دايمٍ ينجعون له
على جَوّ فيصل مدْلِهمٍّ ربابها
تحدّر على دارٍ سريعٍ نباتها
وطلع الزبيدي دايمٍ ينلقى بها
مرابيعها الصمان لى زاف نبتها
لى لبست الجيّان زينة ثيابها
تِسجّه مجاهيمٍ طوالٍ ظهورها
زيان الوجيه اللي طوالٍ رقابها
تسجّه شمام في سهور عيانها
سبعين ليله في الخضر ربّعوا بها
خذت صالحه لين اصرم النبت وانتهى
لى هبّت النكبا وزاد التهابها
وهبّت هبوبٍ يجذب الشول يمها
يشكون رعيان الدبش من عذابها



خذتـهم تبي درب المـفاريع وانـتوت　　　الـى وردوهـا هجـلـةٍ خـابريـنـهـا

هي لى قـزت من ديرةٍ ما رضوا بهـا　　　كـلٍّ يـبى الاول يـطـيّـخ شـرابهـا

نووا بـالشديـد وجهّزوا يـوم عزّمـوا　　　تماروا وتـلّوهـا على نـقض جزوهـا

وقد ذي بيوت البـدو يطوى حجابها　　　عقـب ما انتهـى مرباعهـا ورّدوا بها

يـبون المـقـيظ بـديـرةٍ يـرغبـونـهـا　　　ثـعوهـا غيـاطيـل المغـنّين بالـغنـا

إذا زل زملـوق الخضر هاجـسوا بهـا　　　مجـاهيـم للمـشى يـزيد ارتـكابهـا

سقتها قنـوف الصيف من رايح المطر　　　خذى الجـايزه راعـي طفوحٍ مـدللـه

حقـوقٍ غثـا سيـله يـغبّـي سرابـهـا　　　وخذوا مـن هجاله شـربةٍ فوّزوا بهـا

تكاشف بـروقه تعجب اللي يخـيلها　　　يامـا حلى حـزّة ليـالي اجتـماعهـم

عطـية سريـع المد لى اللـه نوى بهـا　　　على وردةٍ في الصيف يـاما حلى بها

لا انشـت قنوفـه تنـثر الما سـحابهـا　　　راع الذاهـبه له مـع هل الورد عـينه

همـاليل صـيفٍ والمعلّـم حكى بـهـا　　　يصيـد الخبر منهـا ولو ما التقـى بها

غـثيـره يبـشّرهـم صبـاحيـة المـطر　　　تـلافـوا علـى عـدٍّ يـودّون منـزلـه

جـذبهـم علـى دارٍ يفـزّون صابـهـا　　　علـى عقـلةٍ لى فـرّعوا قـيّظوا بـهـا

تمالوا على المفراع في الليل واصبحوا　　　عـلى قـريـه اللـي دايمٍ ينـزلـونهـا

شديـدٍ تحت نو الـكريم اجنـبوا بهـا　　　علـيهم بـليـل النور يـوم نْزلوا بـهـا

لى زلّـهم نـصفٍ مـن اليـوم قيّـلوا　　　قطـينٍ عطينٍ طـرشهـم فوق عِدّهـم

تلافـوا بربـعة نـشمـيٍّ ينـثنـى بهـا　　　بيوت الكرم عند الـضحى شيّدوا بها

ولى هب نـسناس النـفانيف روّحـوا　　　بنّـوا بيـوتٍ يعجـب العـين شوفـهـا

الـى مال مـنهـا فـيّهـا روّحوا بـهـا　　　مجـالس نشامـى ما يمِـلّك جنابـهـا

مراويـحها تـبعد بـهم عن مـقيـلها　　　وخذوا سجة المقطان من فوق عدهم

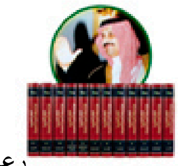
وهم عـن ديارٍ ما يـبون ابعـدوا بها　　　لى جت حلول سـهيل وتْباشروا بها

عطوها طـرف يومٍ بليلٍ علـى الوجه　　　يـبون الـعثـا اللـي دايمٍ يدهـلونـهـا

مع فـرجةٍ ذيب الخـلا قد عوى بـهـا　　　الى اللـه عمّرها بالـزهر صقّروا بـهـا

يسـجّون نجدٍ فـي هوى شمخ الـذرا　　　صقّـوا همـلهـم والمراحـيل قـرّبت

وكم هـجلةٍ فـي دربهم شرّعـوا بها　　　وخلى عـدّهم وبيوتهم جـلوعوا بها



دبشـهم ورا الـقرنين تـلقى دروبـها
تـلقـاه مـع ثلـمـة غراب مـذابـهـا
يزل السـلف وسبورهـا في نحورهـا
عـلى قـد ربعٍ خـالـيٍ حدّروا بـهـا
يسـوقونـها لـلجزو قـطّاعـة الفـرج
مداويـن عيـلات العـدو تيّعـوا بهـا
عليـهم بليـل النور لى طال جـزوها
وقنانيصهـم تلقى الجوازي ضووا بها
قنـانيص صيـدٍ والدبش يسـبرون له
لـنشايلٍ تـو نحـورها شـرعوا بـهـا
هل الـبل مـقزّية الحـبارى بـرمسها
يـاكم ديـرةٍ في شـقّـها لـوّذوا بـها
هل البل على الموت المصقّى تسوقهم
على الخوف من شان الربيع جْزعوا بها
الى من ضوت من غربـةٍ عقب غربه
تنومـس الى منّه ضـوت من غيابـها

أما عبدالله بن سبيل فقد قال قصيدةً هي بمثابة تقويم سنوي لحركة البادية في الفصول المختلفة من السنة:

الـله لا يـسقـى ليـال الشـفاشـيف
ايام راعـى السـمن يـخلـص ديونه
فرّاق شـمل أهل الـقلوب المـواليف
وكـلٍّ علـى فـاله يـباري ظـعونـه
والى نشـد عن واحدٍ قيـل ما شيف
ازروا هَـل الـقـعدان لا يـذكـرونـه
الـشيـخ كنـه صايـلٍ يتبع الـريف
يـاخذ اسـبوع الـبيـت ما يـبتـنونـه
يتـلون مـشهـاة البـكار المـشاعـيف
كـلٍّ يبـي قـفره قِـدِم يـسهـجـونـه
سقوى الى جت نقضة الجزو بالصيف
وابـعد ثـرى نقـعـه وكنّـت مزونـه
والعشب تلوي به شعوفٍ من الهيف
والشاوي اخـلف شربتـه من سعونه
وجـتنـا جرايـرهم تِـدِقّ المشـاريف
الـبيـت يبـنى والـضعـن يقـهرونـه
وتـقاطـروا مثـل الجـرار المقـايـيف
وراعى الغـنم عن مرحـهم يفهقـونه
وتـواردوا عـدٍّ شـرابـه قـراقـيـف
الـعد لـو هو بـالفـضا يـشحـنونـه
وكلٍّ نـصا القـريه يدور الـتصاريف
والـلى لـه احـبابٍ لـبـابٍ يجـونـه
وتسعـين ليله جـانب العد مـا عيف
ولا لـلـشديـد مـطـريٍّ يـذكـرونه
وهبّـت ذعاذيـع الوسـوم المهـاريف
وسهـيل يبـدي ما بدا الـصبح دونـه
وجاهم مـن القبله ركـيبٍ مواجيـف
وحضـور يوم ان النـخل يـصرمونـه
والعصـر بالمجلس مـضال وتواقيـف
وامـسوا وتـالى رايـهـم يقـطعـونه
والصـبح طوّن الـبيوت الـغطـاريف
والمـال قِدْم اطـلاقـته يـصـبـحونـه
وراحوا مـع الريدا وساع الاطـاريف
يـذكر لـهـم منـدىً شبـيـعٍ يبـونـه



مـقيـاظهـم خِلّـي بْلَـيّا تـواصـيف
قـفرٍ عـلـيه الـذيـب يرفـع لحـونه
أويّ جـيـرانٍ عـلـيـهـم تحـاسـيـف
لولا انـهم قـلب الخـطا يـشعـفونه
والى تـعلّـوا فوق مـثل الخـواطيف
كـم مايـقٍ بارمـاحـهم يـزعجـونـه
ولهـم على حـلّ المواسم مـحاريف
والـى جـذبـهم قـايـدٍ يـتـبـعونـه
هـذى مغـاوير وهـذى منـاكـيـف
وهـذا يـبـيـعونـه وذا يـاسـمـونـه
والى تـقضّـوا ما علـيهـم تحاسيف
ومن ايـن ما طـاح الحيـا ينجـعونـه

وعلى كلٍ فـإحماض الإبل هو أكلها لأي نوع من أشجار الحمض، وهـو ما كان مـالحاً من الـشجر، فـإن لم تجده استعاض أصحاب الإبل عنه بإعطاء إبلهم الملح.

وذكر الحبردي أن للإبـل أنواعاً من الأشجار والأعشاب التي تستمتع بأكلها وتكتنز أسنـمتها بالشحم وتكثر ألـبانها عندما تتوافر لها، وهي تختلف باختلاف المناطق إلا أن شجرة الروثة هي أشهرها. وقد أورد قصة خرافية طريفة عن أفضلية هذه الشـجرة للبعيـر مقارنة بالأشجـار الأخرى فقال:

يقال إنه عندما كان كل شيء يتكلم، كان الحوار يسيـر بجوار أمه الناقة ويسألها عن أسماء الأشجار فتخبره بها. فكل ما قال الحـوار: ما اسم هذه الشجرة؟ قالت له: هذه عرفجة وهذا سعـدان وهذا حمض وهـذا رمث وهذا سبط وهذا نصي وهذا غضا وهكذا، حتى وصلت النـاقة إلى الروثة فعندما سألها عنها قالت له: هذه (كُلْ واسكت) أي أن هذه الشجرة يجب أن لا تخبر بها أحداً فـيسـبـقـك علـيـها ويـأكـلـها (١٤٠٩: ٧٠).

وتتحرك الإبل وهي تأكل ويمكن أن يقطع حوالي ٥كم في ساعتين ونـصف أثناء الرعي. وعند مرورها بالأعشاب، والنباتات فإنـها تلتقط منها قليلاً مـهما كانت نوعية النبات جيدة أو غير جيدة، بسبـب إقبال الإبل عـلى تنوع مصـادر غذائها. أما في حالة الجفاف فإن قطيع الإبل يتوزع في مـجاميع، كل بعير أو بعيرين معاً، وقد اتضح لعلماء البيئة أن الإبل لا تسـبب أضراراً للمـرعى، بل بالعكس من ذلك فقد لوحظ أن نباتات المكان الذي رعته الإبل في حالة أفضل من المكان المحمي.

وفيما يلـي تعريف بأشهر النباتـات التي تتغذى بها الإبل، ووصف لقيمتها الغذائية:





تتوزع الإبل في مجاميع عند الرعي في حالة الجفاف

العرفج: هو من النباتات المنتشرة في المملكة العربية السعودية والكويت والعراق. ونباتات العرفج نباتات معمَّرة، لها رائحة عطرية وذات سيقان خشبية رصاصية اللون، أوراقها خضراء طولها نحو ٢سم، وتكون عادة ملساء، أو ذات شعيرات طويلة، ولون أزهارها ذهبي أصفر. ويحتوي هذا النبات على ٥, ٤٧٪ من البروتين و٥, ٣٪ من الدهن، أما الألياف فنسبتها ٢٠, ٤٤٪ في الأوراق والسيقان.

الرمث: من النباتات الحمضية الرعوية للإبل، ترعاه إذا لم تجد أفضل منه من النباتات الحمضية. وتستعمل أغصانه وجذوعه وقوداً وهي طيبة الرائحة عندما تشتعل فيها النار. وتمتاز هذه النبتة باحتوائها على ٤, ١١٪ بروتين و٨, ٢٪ دهن، ٨٦, ١٤٪ ألياف، وذلك في دور نموها الخضري. وشجرة الرمث شجرة معمرة، ارتفاعها حوالي متر، وهي ذات أغصان وسيقان أسطوانية، مفصَلية الشكل، لها أوراق حرشفية مغطاة بطبقة



الرّمث



شمعية خضراء داكنة، تنبت في مراعي المملكة العربية السعودية والكويت والعراق وسوريا والأردن. وهناك أسطورة تقول بأن الإبل أول ما خُلقتْ من الرمث، وعلامة ذلك -كما تروي الأسطورة- أنك لا ترى دابة تريده إلا الإبل.

الرغل: نبتة ذات سيقان خشبية متعددة ومتفرعة، لونها رصاصي، أوراقها رمادية اللون، ومحتواها من البروتين ٤, ١٥٪ ومن الدهون ٨١, ٠٪ ومن الألياف ٦, ٢٠٪ وذلك في بداية النمو. وينتشر الرغل في الجزيرة العربية والكويت والعراق وسوريا والأردن. ويُعرف رعيه في عَبَس الإبل تظهر آثاره على أرجلها. والرغل جنس من الروثة تفضلها الإبل في المرعى. وهي من أشهر وأفضل نباتات الحمض التي تسمن عليها الإبل.

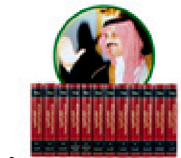
القيصوم: شجيرة معمَّرة، لها رائحة عطرية، سيقانها عديدة، بيضاء أو رمادية، صوفية الملمس، صلبة ورفيعة، أزهارها صفراء برتقالية، تحتوي على ١٨,٢٤٪ من البروتين و٦, ٢٪ من الدهون، و١٧,٣ من الألياف، وذلك في دور الإزهار. تنبت في المملكة العربية السعودية والكويت والعراق. وأكثر ما تستسيغها الإبل في فصل الشتاء.

الشيح: شجرة معمَّرة، ذات سيقان عديدة متفرعة من قاعدتها الأرضية، ارتفاعها ٥٠سم، أوراقها خضراء داكنة، لها رائحة عطرية طيبة، تحتوي أوراقها على ٥, ٢٥٪ بروتين، في دور النمو الخضري، وعلى ٣, ٣٪ دهون، و٦, ١٠٪ من الألياف وتنتشر في جميع البلاد العربية. والشيح من أمرار الأشجار. وهو والقيصوم من أكثر ما تستسيغه الإبل.

القيصوم



الشيح



الثمام: نبات معمَّر، لونه أصفر مائل إلى الزرقة، سيقانه خشبية منتصبة أو زاحفة أو منحنية، كثيرة التفرعات، الأوراق السفلية شريطية إلى رمحية قاسية، طولها حوالي ٨سم وعرضها ٦-٨مم. وينتشر في المملكة العربية السعودية والكويت والأردن وسوريا وعُمان واليمن وموريتانيا والسودان.

الثمام

النصّي: نباتٌ معمَّر، ربيعي، سيقانه منتصبة، أوراقه خشنة، يبلغ ارتفاعه حوالي ٤٠سم، في دور الإزهار، يحتوي على ٥,٩٪ من البروتين، و٥,١٪ من الدهن، و٢٩٪ من الألياف. وينتشر في جميع البلاد العربية تقريباً.

الثـدّاء: نبات عشبي معمَّر، يبلغ ارتفاعه من ٣٠ إلى ٦٠سم، ذو سيقان وأغصان مفصلية غليظة، لون أوراقه أخضر باهت، ولون الأزهار أصفر مخضر.

العجرم: نبات ذو سيقان وأغصان أسطوانية مفصلية غليظة، أوراقه حرشفية، ينتشر في الجزيرة العربية والعراق والكويت، وهو من الحمض.

الفِرس: وهو شجيرة من أشجار الحمض المفضلة لدى الإبل، جيدة الحطب في الشتاء، وفيها المثل القائل «عينك بالفِرس إذا ابتلّ الحطب».

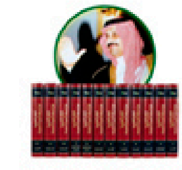
الروثة: وهي من الحمض، ويفضل الشرارات رعي الروثة المخومة في الصِّفْري، والخوم هو بذورها، ويصفونها بحب الرمان.



النصي



الرّوثة



الضـمران: وهو نبـت من مراعي الإبل المفضلـة، والضميرينة جنس من الضمران، ولكنه أصغـر منه، وهو من الحمض.

الغضا: من مراعي الإبل المشهورة. وتستعمل أغصانه وجذوعه وقوداً، وناره تبقى مدة أطول، وجمر الغضا مضرب الأمثال عند العرب؛ قال الشاعر الكذبية:

تلـقين مـن شمط الـهبايـب مذاري

وجمر الغضا يشعل سناهن بلا طرق

السحم: ويسمى الهتلا، والحمرور، يقـولون في المـثل «يهـزني عليـه عود السحمه» لأن الإبل إذا شبعت من السحم تأخذ فترة أطول وهي بدينة، أما النصي فهو ينهمك بسرعة في بطونها وتضمر؛ قال النابغة:

إنّ الـعــريمـة مـانــع أرمـاحـنــا

مـا كان مـن سـحـم بهـا وصـفار

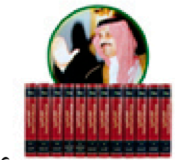
السـبط: وهو عـلف تُحـشى منه الأوثار، ويقال إن السبط يأخذ في كرش البعير خمس عـشرة ليلة، وتظل الإبل التي تأكله تدمن السبـط؛ وذلك لمنفعته وطول بقائه. قال أبو حنيفة: وزعم بعض الرواة أن العرب تـقول: الصليان خـبز الإبل والسبط خبيصها.

الثغام: وفي المـثل «أبيض من لون الثغامة»، وهو قريب من النصي.

الكداد (الكتاد أو القتاد) وهو شجر له شوك يحرقونه ويعلفونه الإبل الثاوية فتسمن عليه لقيمته الغذائية، وهذه طريقة قديمة عرفها العرب حيث تضرم به النار لتحرق أشواكه العاسلة وتبقى أغصانه، ويسمى الشَّوِيط، ثم ترعاه الإبل فتسمن عليه وقت الجَدب، وقـيل «إبل قتادية» لأنها تأكل شوك القتاد فضلاً عن نبات الزهر والحـاذ والعبل (الأرطـى)، وهو كذلك مما تقبل الإبل على رعيه في منطقة الربع الخالي.

وتختلف النباتات التي تتوافر للإبل وتتغذى بها باختلاف المناطق التي تعيش فيها وتتكاثر. ففي موريتانيا يكثر النصي والثـمام، وفي الـسودان يكثـر المرخ والطلح والسلـم، وفي اليمن وعمان ينـبت الأثل والكـفل والأراك. وفي تونس ينـبت النصي والشيح والحـلفا والثمام.

وعن كيفية تـعليف الفلاحين لإبل السواني، ذكـر السويداء أن المرأة تجهـز علف الإبل؛ فتجمعه من المزرعة إن كان أخضر، أو تدقه وتقـطعه إن كان يابسا بأداة تشبه السكين الكبيرة تسمى الحيف، ثم تخلطه بـبعض المغذيات مثل الخبط (ورق شجـر الطلح ومـا شابهـه)، ثم تحضره في إناء كـبير (الجذعه) لتعليف



الإبل. فتضع العلف في أشداقها لقـمة بعـد لقمة حـتى ينـفد ما فـي الماعون (الجذعه). وأوقات علف الإبل مع طلوع الشمس أو قبله قليلا، وعند آذان الظهر، وبعد المغرب. وكيفية الإطعام أن تأخذ المرأة اللقمة ملء يدها اليمنى وتفتح فم البعير بيدها اليسرى ماسكة شفته العليا، ثم تدفع الـلقمة في فمه ليـمضغها ثم يزدردها، وهـكذا دواليك إلى آخـر ما معها.

وقد وضع الصانع جدولاً بيّن فيه المكوّنات الأساسية التي تحتـوي عليها بعض الأعشاب الرعويـة التي ترعاها الإبل. وهـي تشـكل مـؤشراً عـلى محتواها الغذائي، مع ملاحظة أن هذه المكونات تتغير وفقاً لأطوار النمو فـي النبات.

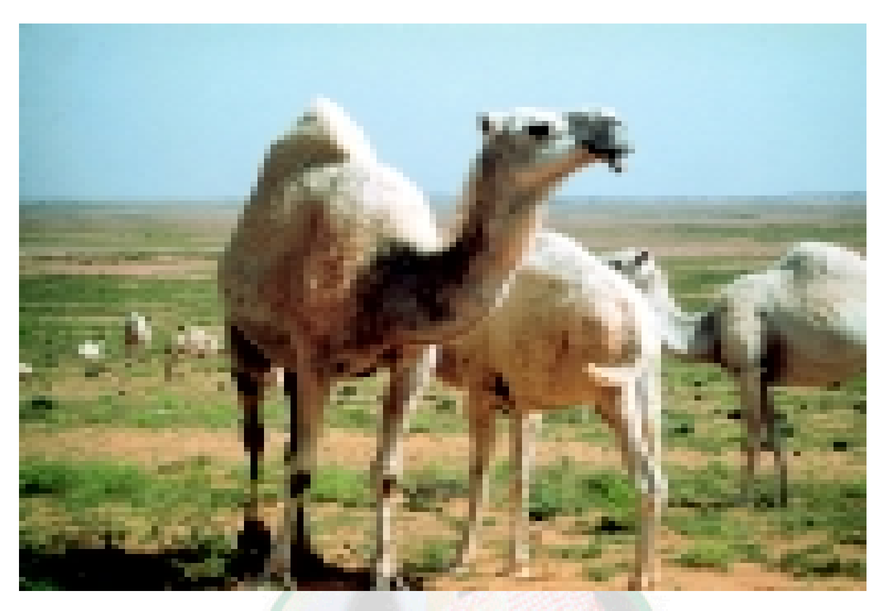
ومما يلحـق بتغذية الإبل ما يسـمى اجترار الإبـل وقد ذكر العـرب له عدة أسماء، منها الجِرَّة وهي ما يخرجه البعير من كرشه فيأكـله ثانية. والقريض: ما يرده ثانية من جـرته ويمضغه. والضمز هو أن يمسك البعير عن جرته فلا يجتر، وتسميه البادية الكظم، فإذا كظم البعير جِرته فازدردها وكف عن الاجترار فهو كَظوم. أما الدَّسع فهو إخراج البعير الجرة من جوفه ودفعها إلى فمه. والمِزرَد خيط يخنق به البعير لئلا يدسع (يدفع) بجرته إلى خارج فمه. وإخراج الجرة عند الرغاء يسمى الـبغرة، وتسمى الجـرة المخرجة البغار.

وعندما يمتلىء فم البعير بالعلف يبدأ بمضغه (يعـلكه) ببطء، خاصة إذا كان يحـتوي عـلى أشواك طـويلـة، وهذه

النبات	الرمث	الثمام	الثدا	العرفج	القيصوم	الرغل	النصي	الربلة	الروثة	الشيح
الرماد ٪	١٦,٩٨	٨,٣	٧,٦٥	٨,٧٤٤	١٠,٦٦	٢٥,٥٧	١٨	٤٦,٧٨	٢٢,٧٤	٩,٥٩
الألياف ٪	٢٠,٤٥	٣٤,٩٤	٢٨,٩	٢٥,٦٦	٧,٢٨	٤٠,٢٥	٤٥,٨٧	١١,١	٣٢,٧	٢٦,١٤
البروتين ٪	١٤,٤٨	٧,٨٩	٦,٤٢	١١,٦	١٠,٠٧	١٧,٥	١٥,٧٥	٤,٦٩	٧,٥	١١,٦
البوتاسيوم ٪	١,٥٠٦	٠,٩٧٩	١,٠٢٥	١,٠٥٦	١,٢٥١	٢,٦٥٩	١,٤٩	-	-	-
الفوسفور ٪	٠,١٣٥	٠,١٩٤	٠,١٠٢	٠,٢١٨	٠,١٣	٠,٣٦٨	٠,٧١٤	٠,٦٨	-	٠,٧٥
الكالسيوم ٪	٢,١٤٨	٠,٧٢٦	٠,٨١٤	١,٠٠٧	١,٣٢٩	-	١,٣٦٠	٨,٢٨	٨,٤	٠,٩٧

(الصانع ١٩٨٤: ١٤٦).



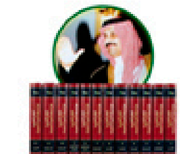


إبل تجتر وسط النهار

الأشواك تجعل البعير يمضغ وفمه مفتوح بسبب عدم قدرته على إغلاقه، فيمضغه في كل مرة على جـانب من فمه؛ مرة على الجانب الأيسر وأخرى على الجانب الأيمن حيث تتلامس الأسنان المتقابلة في كلا الفكين. ويرجع ذلك لضيق الـفك السفلي لدى البعير عن الفك الـعلوي. ويمضـغ البعـير طعـامه، مثـل معظـم الحافريات الأخرى، عدداً من المرات على جانب واحد من الفم قبل أن يتحول إلى الجانب الآخر. ولكنه عندما يجـتر فإنه يمضغ الجرة على الجانبين بالتبادل. وكل جرة تمضغ من ٤٠-٥٠ مرة، وفي بعض الأحيان يصل عدد مرات المضغ إلى ٧٠ مرة، وتستغرق كل مضغة مدة زمنية تقدر بحوالي ثانية واحدة. ويجتر البعير عادة في وسط النهار وخلال الليل، ويتغذى معظم الوقت الباقي.

سقيا الإبل

إنَّ المركز الفعلي للإحساس بالعطش يقع في منطقة صغيرة من الجدار السفلي للدماغ، الذي يسمى سرير المخ، بجوار الغدة النخامية مباشرة. ففي هذه المنطقة توجد أعضاء الإحساس بالظمأ، حيث يمكن لهذه الأعضاء أن تعرف نسبة الماء إلى الملح في الدم. وعند أي نقص في هذه الـنسبة بمـقدار ١-٢٪ من النـسبة الأصلية يرسل مركز الإحـساس بالظمأ إشارات حسية للجدار البطني لسرير المخ،

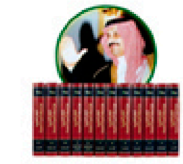


الذي يفرز بدوره هرموناً يؤثر في الخلايا المبطنة للجزء الخلفي من الحلق. وما إن تتأثر تلك الخلايـا بهذا الهرمون، حتى تبدأ بـإرسال إشارات حسية إلــى قشرة المخ فتسبب الشعور بالظمأ. وهذا المؤشر الحسي يعني أن نسبة الماء إلى المـلح في الدم قد اختلت، ولا بد من شرب الماء لإعادة هذه النسبة إلى حدودها الطبيعية. ولهذا فإن الإنسان أو الحيوان عندما يشرب الماء فإنه يعمل على توازن نسبة الماء إلى الملح في الدم، إضافة إلى استخدام الماء عبر الكليتين في طرد مخلفات البروتينات والأملاح خارج الجسم. أما الإبل، فإنها تستطيع أن تفقد عشر ما في بلازما الدم من ماء، ونحو ثلث ما في باقي أجزاء جسمها دون أن تتأثر بذلك. ويمكن أن تعوض النقص كله في دقائق معدودات، إذا ما أتيحت لها فرصة للشرب.

وينقل الصانع أن الإنسان لا يستطيع أن يتحمل العطش أكثر من يوم أو يومين في الظروف المناخية الحارة من دون ماء؛ فهو إذا فقد نحو ٥٪ من وزنه ماء فـقد صواب حكمه على الأمور. أما إذا فقد ١٠٪ من وزنه ماء فـإنه يفقد إحساسه بالألم وتصم أُذناه، ويهذي. أما إذا تجاوز فقده لنسبة ١٢٪ من وزنه ماء فإنه يفقد قدرته على البلع، فتستحيل عليه النجاة حتى إذا وجد الماء، إلا بمساعدة منقذيه،



حشوان واردة إلى الماء



ويسقى بالتدرج. ولكن الإبل قد تفقد ثلث وزنها من الماء وتمضي في حياتها، لا تخور قواها. فإذا ما وجدت ماء عبَّتْ منه دون مساعدة أحد. وقد لوحظ أن بعيرا حرم الماء في قيظ الصحراء ثمانية أيام، ففقد من وزنه مائة كيلوجرام، فلما قدم إليه الماء، تجرع منه نحو مائة لتر في عشر دقائق.

وتعتمد قدرة الإبل في الصبر عن الماء على نوع النبات الذي ترعاه. وقد تبقى سنة كاملة دون ماء إذا وجدت نباتات خضراء في مرعاها مثل الزهر والعندب في منطقة الربع الخالي مثلاً. وفي هذه الحالة فهي لا ترعى إلاّ بالليل، أما في النهار فتبرك تحت ظل أشجار الأرطى والسمر، وهما شجرتان تكثران في جبل العارض. وعندما لا تجد الإبل نباتاً أخضر ترعاه فإن فترة الجزو لا تطول أكثر من خمسة أو ستة أشهر. فإذا قطعت الجزو ووردت الماء، فإنها بعد ذلك لا تستطيع أن تصبر عن الماء أكثر من أسبوع إلا عندما يكون في مرعاها نباتات خضراء تحتوي على كميات من المياه كما تقدم.

كما أن الإبل تمتاز عن الإنسان بقدرتها على إطفاء ظمئها بأي نوع من الماء تجده، فهي إذا اضطرت تشرب من مياه المستنقع الشديد الملوحة، أو المرارة، وتأكل إذا ما شح المرعى من الأعشاب المالحة. وترجع مقدرة الإبل على تجرع محاليل الأملاح المركزة إلى استعداد خاص في الكليتين لإخراج تلك الأملاح.

ونظراً لعدم وجود حوصلة صفراوية في كبد البعير فإن كبده تحول نسبة كبيرة من المواد النيتروجينية إلى المعدة ليُعاد استخدامها في بناء مواد بروتينية أخرى. وهذا عكس ما يحدث في كبد الإنسان والحيوانات الثديية الأخرى التي تحول جميع المخلفات البروتينية التي تتكون لديها إلى الكليتين، لتطردها خارج الجسم.

إن قدرة الإبل في الصبر على الظمأ، قدرة كبيرة، وهبها الله لها، لتستطيع أن تتكيف مع ظروف بيئتها القاسية. فهي تستطيع أن تصبر عن الماء في هجير الصيف إلى مدة أسبوع أو أكثر قليلاً. وتعتمد في هذا الصبر على صفاتها الوراثية، ومدى إجهادها، ودرجة الحرارة، ونسبة الرطوبة، ونوع الغذاء الذي تقتاته. فهي في الشتاء تصبر عن الماء لمدة شهرين حتى أربعة أشهر، إذا كانت نباتات المرعى خضراء وطرية غير يابسة، فهي تأخذ منها ما تحتاج إليه من الماء.



ويقول الصانع: لاحظت عند سلخ جلد الجمل، أن اللحم وجميع أجزاء الجسم بعد السلخ مباشرة رخوة وطرية، وليست متصلبة، وذات ملمس ناعم، ورطب، وكأن اللحم مبلول بالماء، وبشكل واضح، ومختلف عن لحوم الأبقار والأغنام. وبعد فترة جفت العضلات اللحمية، وبدت أكثر جفافاً. ولهذا فإن الاحتمال بوجود الماء موزعاً بكميات على أجزاء جسم البعير وبين عضلاته أمر وارد (١٩٨٤: ٨١-٨٤).

ويقول الصانع أيضاً إن هذا يؤكد ما ذكر عن احتواء كروش الإبل على جيوب مائية تعدّ مصدراً من مصادر إمداد الحيوان وقت الحاجة. والمقصود بالجيوب المائية هذه الخيوط المتشعبة للحجرة، إلا أن الأمر الذي لم أجد له تفسيراً علمياً هو ما ذكر عن خالد بن الوليد #، حينما أمره عمر بن الخطاب # بالتوجه من العراق إلى الشام، وبأسرع وقت لنجدة أبي عبيدة بن الجراح #، في معركة اليرموك. فكان عليه أن يقطع مفازة من الصحراء القاحلة، التي يحتاج قطعها إلى أسبوعين، فعمد إلى إرواء الجمال التي سوف تنقله وجنده إلى اليرموك، عبر هذه الصحراء. ثم ربطوا أفواهها. وكانوا كلما قطعوا مسافة وعطشوا، قاموا إلى بعض الإبل ونحروها وشربوا مما بها من ماء. هذا ما نقله الرواة لنا. والمعروف في مثل هذه الحالات، أن أبناء البادية إذا احتاجوا للماء الذي في جوف البعير فإنهم يتركونه يرعى لفترة قد تصل يوماً كاملاً من مرعى أخضر، ثم يتبعون إحدى هاتين الطريقتين:

١) التبغير: فيبركون البعير -بعد عِقاله- ويفتحون فمه عنوة، ثم يدخلون عوداً أو نحوه في الحلق. فيقذف البعير ما بجوفه من فرث، فيتلقونه في إناء ثم يعصرون البغار في قطعة من قماش خفيف.

٢) الذبح: وهنا يستخرجون الكرش ويعلقونها، ثم يخرقونها في مواضع عدة، بشوكة أو مخيط، ويضعون تحتها إناءً لجمع الماء.

وفي كلتا الحالتين، التبغير أو الذبح، فإنهم عند شرب الماء يضعون قطعة من قماش يصفُّون الماء من خلالها لزيادة نقاوته. وأمر طبيعي أن يكون لهذا الماء المستخرج بالتبغير أو بالذبح رائحة كريهة، ولكنه يكون دافعاً للعطش عند الضرورة.

إذاً فالأمر يدعونا إلى التساؤل عن مصدر أو مكان الماء الذي وجدوه في كروشها، هل هو من الكرش؟ أم من الجيوب الموجودة في الحجرة الثانية



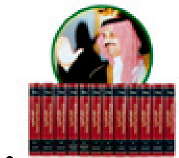
للمعدة، والتي تحتوي، كما ذكرنا، على مقدار من الماء وبها العصارات الهضمية والكائنات الحية الدقيقة مما يجعل الأمر صعباً في اجتراع هذه السوائل؟ لا بد أن يكون هناك مصدر آخر لخزن الماء صافياً إلا أنه لا زال خافياً علينا (١٩٨٤ : ٨٤).

يقـول السويـداء معلقـاً على هـذه النقطة: في مثل هذه الحالة الاضطرارية لا يتطلب أن يكون الماء عذباً صافياً بل يضطر الإنسان في حالة العطش أن يشرب الماء العكر ليروي غلته، وهذا ما جرى لخالد ابن الوليد رضي الله عنه وأصحابه. ومثل هذه الحادثة جرت في بداية القرن الرابع عشر الهجري على مجموعة من الغزو شربوا الماء من عصارة فرث البعير؛ بحيث يترك المـاء قليلاً بعدما يستخـرج من الفرث حتى تـترسب بعض عوالقه ثم يأخذون مـنه بقدر ما يبل حـلوقهم بحيث لا يزيد ما يأخذه واحد عن الآخر حتى يـجدوا الماء. وهنـاك من ذكر أن البادية كانت تقوم بقطع لسان البعير بعد إروائه حتى لا يتجرر ومن ثم الاستفادة مما في بطنـه من الماء وذلك عند السفر لمسافة طويلة تنعدم فيها موارد المياه وهذا على كل حال أمر نادر الحدوث.

لهذا فإن كل الاحتمالات التي ذكرت كمصدر لإمداد الإبل بحاجتها من الماء، هي احتمالات واردة. ولكن لا بدّ من التركيز عـلى دراستها دراسة مستفيـضة لتتـحول هذه الاحتمالات إلـى حقائق مؤكدة.

أما عن كيفية استخدام هذا الحيوان للماء استخداماً اقتصادياً فيقول الـصانع إنّ الله تـعـالى وهـب الإبـل بـعـض الخصائص التي ساعدتـها على التكيف والاقتـصاد في اسـتهلاك الميـاه، وهي خصائص مازالت أيضاً بحاجة إلى دراسة وبحث، ومازال ما كشف مـنها عرضة للاجتهادات.

ومن الثابت علمياً أن أهم المواد التي تعتـبر مخلفات، تـنتج عن هدم المواد البروتـينية. فـكلما دعـت الحاجة إلى استخراج كميات أكبر من اليوريا استهلك الإنسان أو الحيوان كمية من الماء. ولكن الأمر يختلف لدى الإبل، فمعظم اليوريا تفرز من بطانة المعدة، حيث تكون هذه اليوريـا مصدراً غذائياً لـلكائنات الحيـة الدقيقة الـتي تعيش في كروش الإبل، وتعمل على هضم السليلوز. كما أن ما يزيد عن حاجة هذه الكائنات الدقيقة، يخرج مع الدمن، دون حاجة إلى إذابته في ماء. وبهذا الأسلـوب يتوافر مقدار كبـير من المـاء ويخفـف العبء عـلى الكليتين، ويقتصر عملهما على إخراج



الأملاح الزائدة على هيئة بول شديد التركيز، بعد استعادة معظم ما فيه من ماء يرد إلى الدم.

ومن مميزات الإبل في الاستفادة من الماء، وتقليل الفاقد منه، ما يمكن أن نسميه جهاز ضبط الحرارة في أجسامها، وهو جهاز غاية في الدقة. فإذا كان الجمل مرتوياً، يباشر الجهاز عمله كالمعتاد دون تفاوت كبير في درجات الحرارة في الجسم، سواء في النهار أو الليل، في الصيف أو الشتاء. ويكون التفاوت في درجات الحرارة في حدود سبع درجات، ما بين ٣٤ْم في الصباح الباكر و٤١ْم ظهراً، وهذه كلها درجات طبيعية يتحملها الجمل دون أي تأثير مرضي عليه.

وتكون نتيجة هذا التفاوت في درجات الحرارة، زيادة سعة الجسم في اختزان الحرارة، فلا يضطر البعير إلى التعرق إلا إذا تجاوزت حرارة جسمه ٤١ْم، ويحدث ذلك في فترة قصيرة من النهار. أما في المساء فإن الجمل يتخلص من الحرارة التي اختزنها بإشعاعها وتوصيلها إلى الجو المحيط به، دون أن يفقد قطرة ماء، وهذا يوفر للجمل ما مقداره خمسة لترات من الماء.

ويكتسب الجسم الحرارة من الوسط المحيط به بمقدار الفرق بين درجة حرارته ودرجة حرارة ذلك الوسط. فلو كان الفرق بين درجة حرارة الجمل ودرجة حرارة الجو كبيراً، كالإنسان مثلاً، لامتص الجسم كمية من الحرارة كبيرة نسبياً. ولكن الإبل لها المقدرة على رفع درجة حرارة أجسامها إلى ٤١ْم، ليصبح الفرق قليلاً، ويصبح تبعاً لذلك ما يمتصه الجسم من حرارة قليلاً أيضاً.

وعلى هذا يمكننا القول بأن كبر حجم الإبل ميزة من ميزاتها لأنها تجعلها أقدر على الاقتصاد في استهلاك الماء الموجود في أجسامها. فمن المعروف أن معدل اكتساب أو فقدان الحرارة يتناسب طردياً مع مساحة الجسم، وكلما كان الجسم كبيراً، زاد مقدار ما يفقده أو يكتسبه من حرارة. ولهذا فإن كمية الحرارة التي يكتسبها الجمل من الوسط الخارجي كبيرة، إلا أن مقدرته على رفع درجة حرارته إلى ٤١ْم تقلل من كمية الحرارة المكتسبة، وتقل من ثَمَّ كمية العرق المفرز لتلطيف الجسم والتخلص من الحرارة الزائدة. ولذلك فإن حجم الجمل الكبير، بموجب هذه القاعدة، سوف يفقد كمية من الحرارة بالإشعاع، ولكن مقدرته على خفض درجة حرارته إلى ٣٤ْم تجعل كمية الحرارة المفقودة قليلة نسبياً.



ويلاحظ كذلك أن سنام البعير والجزء العلوي من جسمه، مغطى بوبر كثيف يسقط معظمه بعد انتهاء فصل الشتاء. ولكن نلاحظ في المنطقة الجنوبية مثلاً أن كل الوبر يسقط مما يدل أن كمية الوبر لا علاقة لها بتقليل كمية الفاقد من الماء، وعلى كلٍ فإن ما يتبقى منه في الصيف يعمل عازلاً لجلد البعير عن الجو الساخن، فيقلل من تعرضه للحرارة. ومع هذا فإن قلة كثافة الوبر على أجسام الإبل في الصيف لا تحول دون تبخر كمية من العرق نظراً لجفاف الجو، إلا أن كمية العرق ستكون كبيرة لو كان الجسم غير مكسو بالوبر. وهذه ميزة في تقليل كميات المياه المفرزة لتلطيف درجة حرارة جسمه. كما أن رقة الطبقة الدهنية في جلده بسبب اختزان معظم الدهن في سنامه، تجعل الأوعية الدموية قريبة من السطح الخارجي لجسمه، مما يسمح بإشعاع حرارة الدم، أو نقلها إلى الجو المحيط به، دون الحاجة إلى إفراز عرق وفقد كمية من المياه.

ويختتم الصانع كلامه فيقول «هذه العوامل التي وهبها الله سبحانه وتعالى لهذا الحيوان، وغيرها من العوامل الأخرى التي لم تكتشف بعد، جعلت منه نموذجاً فريداً لمقاومة ظروف بيئته ذات المناخ المتطرف برداً أو حراً، والغذاء الشحيح الفقير في مكوناته الغذائية» (١٩٨٤: ٨٤-٨٨).

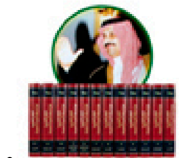
ويرتبط الماء والصحراء بالإبل ارتباطاً شديداً؛ فالصحراء وما فيها من نباتات مصدر غذاء الإبل، والصحراء بينابيعها وعيونها وغدرانها ووديانها ومستنقعاتها وآبارها مصدر لهذا الماء الذي لا يستغني عنه البعير، وطبيعي أن انقطاع أحد هذين العنصرين، أو كليهما، انقطاع لحياة البعير أو لحياة أي كائن حي آخر.

صفات السقيا

لطبيعة العلاقة الحميمة بين الماء والإبل، ارتبطت عملية الإرواء والسقي التي تتكرر بين الفترة والفترة بأساليب خاصة بها. والسقي عملية يؤديها الرعاة ويتفاوتون في إتقانها. وقد قال أحد الشعراء مخاطباً رجلاً لا يحسن سقاية الإبل:

أوردها سعد وسعد مشتمل
ما هكذا تورد ياسعد الإبل

فذهبت مثلاً على رغبة البدو في حسن القيام على سقاية الإبل التي هي نصف مهمة الراعي. وقد تفنن الرعاة في ابتكار أسماء وصفات ورود الإبل الماء وهيئة ذلك، وأشكال السقاية والري



والعطش، وأيام الظمأ التي يتحملها البعير. واتخذوا لكل حالة من هذه الحالات أو الهيئات أسماء وصفات وتعابير تتصف بالدقة في وصف الحالات المتقاربة والمتفاوتة والمتشابهة؛ فمن ذلك أن تجتزئ الإبل بالعشب الرطب عن الماء، ويسمونه الأُبول والجزءُ والجزو، فإذا احتاجت إلى الماء اتجهت إلى موارد المياه ويسمون ذلك الورد ويسمى مكان الورود المنهل (المشرب) ثم كثر حتى سميت منازل المسافرين مناهل.

ونقضة الجزو عندهم هي وقت اشتهاء الإبل للماء بعد فترة الربيع ورعي أعشابه، وأشد وقت تحتاج فيه الإبل للماء عند طلوع الجوزاء وطلوع الكليبين، وهما نجمان متوازيان يظهران بعد ظهور الشعرى اليمانية بنحو ٢٦ يوماً، وهما من النثرة، هذا الوقت هو قلب جمرة القيظ، وهو الذي يقال له «محنّن الجمل» من شدة العطش. ونقضة الجزو أشار إليها شايع الأمسح الرمالي عندما قال:

أبي عليها نقضة الجزو غزوه
يا شافت الخفرات غاوي دلالَه

نبي عليها ذود قنٍّ مقصّر
قليل الحساني قاطعٍ في عياله

لا مِكرِمٍ جاره ولا الضيف لافي
يمناه بالمدّات ما اعطت شماله

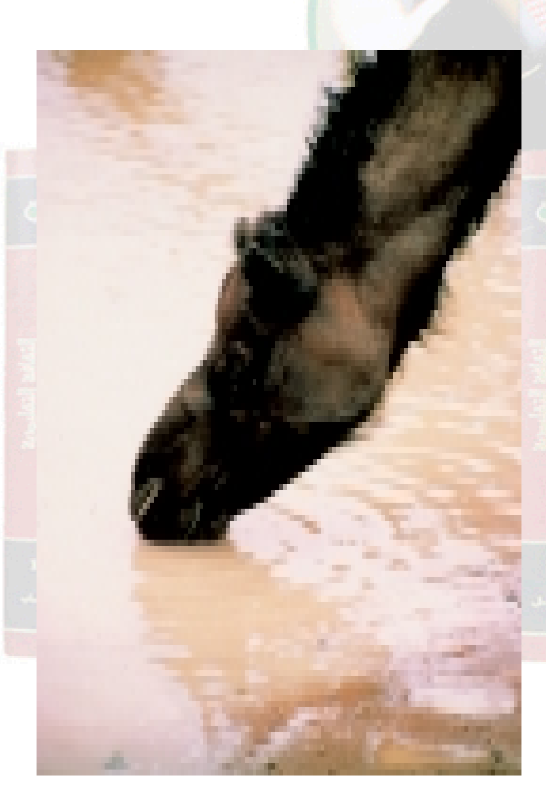
وقال عنها محسن بن سلطان المسعري:

ليا وردّوها منهلٍ يعجب الورّاد
مقْرٍ لهم في نقضة الجزو يردونه

فإذا كانت الإبل بعيدة المرعى من الماء، فأول ليلة يوجهها الراعي إلى الماء تسمى ليلة الحوز أو ليلة الجر، كما تسميها البادية ليلة القرب؛ وأنشدوا:

حوّزها من بُرَق الغميم
أهدأ يمشي مشية الظليم

فإذا وردت ماءً لا يمتح من آبار فإن ذلك يسمى التشريع، وهو سقي الإبل



الإقناع



شراع الماء، أي دون أن يستقى لها، ومن أمثالهم «أهون السّقي التشريع». وشرعت الإبل إذا مدّت رؤوسها للماء، وهو الإقناع أيضاً، وقيل الخافضة رؤوسها عند الشرب.

ويسمون أول شربها النَّهَل، فإذا شربت مرة أخرى فذلك العلل، وقد أعللتها أي أصدرتها ولم تروها حتى علّت، وقيل العلل تتابع الشرب.

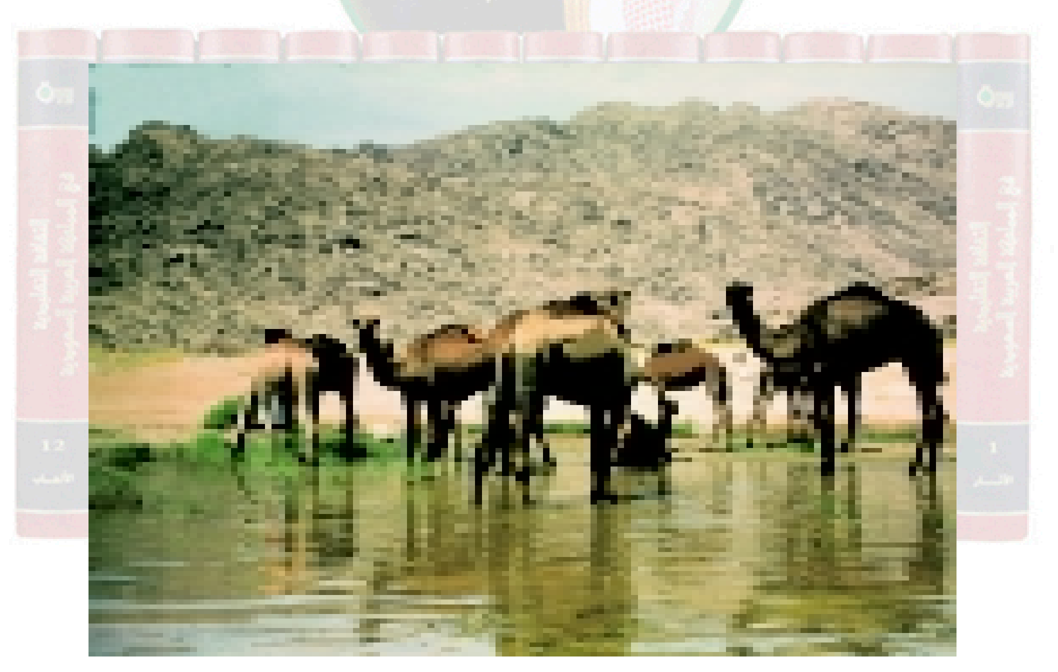
وإذا خلّوا وجوه الإبل إلى الماء وتركوها ترعى تلك الليلة فهي ليلة الطلق، والطالق هي الناقة المتوجهة إلى الماء، وقيل هي ناقة ترسل في الحي ترعى من جنابهم حيث شاءت ولا تعقل.

ويقال للناقة المتوجهة إلى المنهل قارب أيضاً. وليلة القرب هي الليلة الثانية التي تترك فيها الإبل لتقترب من الماء بعد الرعي. سئل أعرابي ما القرب؟ فقال: سير الليل لورود الغد. وإذا كانت إبل القوم قوارب في طلب الماء قيل هم قاربون، ويسمون شدة القَرَب إلى الماء التخيب؛ قال ذو الرمة:

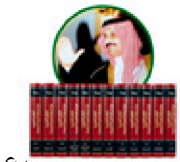
ورب مفازة قذف جموح
تغول منحِّب القَرَب اغتيالاً

فإذا وصلت إلى الماء سميت أوائلها عوارض وعارضات؛ قال شاعرهم:

كرام نيال الماء قبل شفاههم
لهم عارضات الورد شم المناخر



التّشريع



وصبحت الإبل إذا سقيتها أول النهار، والظاهرة والقائلة إذا شربت كل يوم نصف النهار، وهي إبل ظواهر. أما الرغرغة فأن يوردها يوماً بالغداة ويوماً بالعشي، وهو أول الإظماء وأقصره. والرغرغة أيضاً هي كثرة رغاء الإبل عند رسنها بالرسن أو شكمها بالشكيمة أو عند الإمساك بها أثناء الطلاء. ويسمى ما بين الشربتين الظِّمْء، ونسأت في ظمأ الإبل: زدت في ظمئها يوماً أو يومين، ونسأتها عن الحوض أخرتها.

والثِّلْث في موارد الإبل ظمأ يومين أو شربتين، ويسمى عند البادية الرّبع. والربع عند العرب أن تحبس عن الماء أربعاً ثم ترد في اليوم الخامس، وقيل هو أن ترد في اليوم الرابع، وقيل هو لثلاث ليال وأربعة أيام، وتسمى الإبل الروابع وصاحبها مربِّع. وأما الخمس فهو أن ترد الماء في اليوم الخامس. وإذا وردت الإبل الماء في اليوم العاشر فذلك هو العِشر، فإن زادت على ذلك فليست له تسمية ولكن يقال هي ترد عشراً ثم كذلك إلى العشرين، فيقال حينئذٍ ظمؤها عشران، فإذا جاوزت العشرين فهي جوازئ. وسنذكر طرفاً من بقية الأظماء لاحقاً.

وإذا شربت إبلهم ثم تباعدت عن الماء قيل شطنت أو شطرت، فإذا كانت ذاهبة للمرعى قيل مُصْدِرة، وإذا لم تكن ذاهبة للمرعى وانتشرت قيل منتشرة. فإذا صدرت وتباعدت عن الماء وانتشرت قالوا كشحت، فإن رجعت إلى الماء مرة أخرى قيل عفقت، وكل وارد عافق. وإذا مُنعت من الماء وهو موجود في الحوض فهو القَرْع، ويقال قرعت. فإذا منعها الراعي من الشرب قالوا حلأها، أي ذادها ومنعها وقرعها.

وإذا شربت الإبل ثم سارت بعد الورد ليلة أو أكثر قيل زهت، وتسمى تلك الليلة ليلة الغِبّ أو القمى، سواء أكانت تسير أم ترتع، والغب أيضاً ثاني أيام الصدر (الصدور). وإذا أطيلت أيام الإعزاب عن الماء فذلك هو الرفع، وإذا أورد الراعي إبله يسقيها بالعشي بعد صدور الرعاة سمي ذلك خلفة الورد. ولهم في السقيا طرق تختلف باختلاف أحوال الإبل ومرعاها؛ ومن ذلك التندية وهي في الإبل والخيل، وذلك إذا أوردوها حتى تشرب قليلاً ثم تعود لمرعاها ساعة ثم يردونها إلى الماء. واختصم حيان من العرب في موضع فقال بعض الحيين: مركز رماحنا ومخرج نسائنا ومرح بهمنا ومندّى خيلنا. والمندّى هو مرعى أهل القرية، يخرجون إليه في الربيع لترعى فيه دوابهم بحيث يكون قريباً من مورد المياه وكأنه يكون ندياً لقربه من المورد؛ قال شاعرهم:



وقـرَّبـوا كــل جُـمـالـيّ عــضـه
قـريـبـة نـدوتُـه مـن مـحـمـضـه

والإرباغ عـندهم هو إرسـال الإبل على الماء كلما شاءت وردت بلا وقت، ويقال: تركت إبلهم هملاً مُرْبَغاً. والرِّفْه: أن تشـرب إبلـهم كـل يوم، وأهـلـهـا مرفهون، أما إذا شربت ولم ترو فيقولون تغمـرت، أي شربت قلـيلاً ولم ترو. وتقول البـادية تفثفت. والتـعددية: إذا منعت من ماء لتشرب في ماء غيره.

فإذا شربت الإبل كل ما في الحوض قالوا أذاعت به، يعني ذهبت به. ويقال أيضاً انتضفت ما في الحوض وانتصفته. فإذا رويت قيل قمرت وقمحت وثأثأت ونصحت؛ قال الراجز:

هـذا مقـامي لـكِ حتـى تنـصحـي
ريـا وتجـتـازي بــلاط الأبـطــح

فإذا ذهب الري بها كل مذهب قالوا: قصعت صارتها، والصارة هي العطش يعني قضت عليه.

فإذا رويت تركت في المعطن وهو موضع بروكها حول الماء والجمع أعطان. ولا تكون الأعطان إلا مبارك الإبل حول الماء.

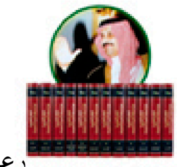
فإذا شـربت الناقـة دون الري قيل نشحت. وإذا سقـيت قليلاً قليلاً فهي المصرِّد. وتسمى الإبل الممتنعة عن الماء قاصـبة، وفي المـثل «رعـى فأقصـب» وقصب البعير الماء مَصّه. وقد تمتنع الإبل عن الماء وإن كـان صافياً فيـقال عافت الماء، والناقة عيوف والبعير عيوف.

وإذا تزاحمـت الإبل على الـشرب سمّوا ذلك الوعكة والأكّة والبكّة واللّكاك والتكاك، وأنشدوا:

مـا وجـدوا عـن الـتكـاك الـرَّوْس



الازدحام على الحوض (الأكة)

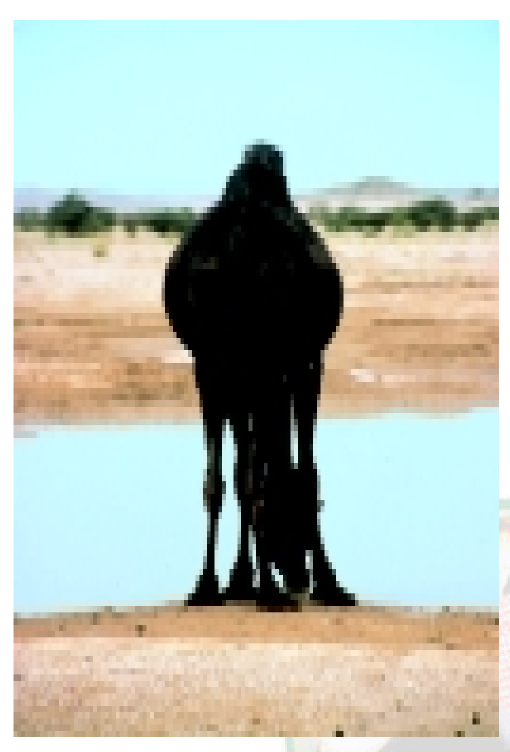


وإذا هابت الإبل الزحام وهي عطشى حامت حول الحوض ويسمونها الحُوَّم (حيام) فإذا منعها الزحام من الوصول وصارت تطوف حول الحوض سمّوا ذلك اللّوب. واتخذت الإبل كثيراً من أسمائها وصفاتها من الوِرْد والصَّدَر؛ فالنّاقة الدحوم هي التي تندفع نحو الحوض وتدحم الإبل حتى ترد الماء. وأهل البادية يفضلون الناقة الدحوم وتسمى أيضاً الضَّيِّزن، وهي بعكس العيوف.

والدِّخال هو أن يُدْخِل الساقي بعيراً قد شرب بين بعيرين لم يشربا. وقيل الدّخال والنَغَس أن يورد إبله الحوض، فإذا شرِبتْ أخرج من كل بعيرين بعيراً قوياً وأدخل مكانه بعيراً ضعيفاً، تقول: سقاها دخالاً. والدِّخال من وجه آخر أن تسقي قَطيعاً من الإبل ثم يعطن، ثم تأتي بقطيع آخر، فيقوم واحد من القطيع الذي شرب فيدخل في القطيع الثاني على الحوض ليشرب، والدِّخال أيضاً أن يحملها على الحوض دفعةً واحدة (عراكاً)؛ وأنشد:

فأوردها العِراك، ولم يذدها
ولم يُشفق على نَغَص الدِّخال

والدَّفُون هي الناقة التي تكون في وسط الإبل عند الورد. والرَّقُوب الناقة التي لا تدنو إلى الحوض مع الزحام؛ وذلك لكرمها. والزحول الناقة التي ترد



الرّقوب

الحوض، فيضرب الذائد وجهها فتولي عجزها، ولا تزال تزحل حتى ترد الحوض، أي تتأخر. والسلوف الناقة التي تكون في الأوائل عند الورد، وتسمى العجلة وتتبعها القلاط. والعُرَيجاء هي التي تشرب يوماً غُدوة ويوماً عشية. والعُطُون أن تراح الناقة بعد شربها، ثم يُعرض عليها الماء ثانية، وأعطن القوم وعطنت إبلهم حول الماء.

وناقة مقامِح، وإبل قِماح هي التي ترفع رأسها عن الحوض ولم تشرب، ويسمى شهرا كانون الأول (ديسمبر)



وكانون الثاني (يناير) شهرَيْ قُماحٍ لأنه يكره فيهما شرب الماء إلا على ثُفْل، وقيل سُمّيا بذلك لأن الإبل تقامح عن الماء فلا تشربه. والقامح والمقامح هو الذي اشتد عطشه حتى فتر فتوراً شديداً. والناقة المسهاف هي السريعة العطش (ملهاب) ومثلها الملواح والمهياف والهافة، وأهاف القوم: عطشت إبلهم. والمِلحاح: الناقة التي لا تكاد تبرح الحوض (شرّابه).

يقول الحبردي: عندما يرد الرعاة موارد المياه فإنهم يحدون حداء خاصاً لزَعْب الماء بالدلو أو القلص ونزفه من الآبار، وصبّه في القرو أو المشرع وهو إناء يصنع من جلود الإبل يُصَب فيه الماء فتشرب منه، كما يصنع المشرع من الطين أو الحجارة، ويوصل بجدول صغير ينقل الماء إليه من مصب الماء في المقام أو الجابية التي تكون قرب البئر. ولهذا العمل حداء خاص، وهو يسمى في الشمال حداء



استخراج الماء لسقي الإبل قديماً

وفي نجد والجنوب عوبال، تطرب له الإبل، وتفرح بالماء بعد العطش، فيقولون في حدائهم:

وضحا سنامه يومي
مثل القمر بغيومي

وقولهم:

ياشيقر الذوايب
قلبي غدا لهايب

وقولهم:

ياالابس الاحيمر
غضٍّ توّه ضويمر

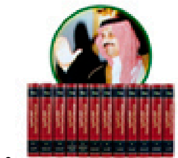
وقولهم:

أم الهدوم السمرِ
بلتني على العمر

ويتم ترتيب سقي الإبل من الموارد في أوقات معينة بحيث يسقي كل منهم في وقته المحدد ويومه المعلوم (الوردة أو الوقعة)، وكثيراً ما تحدث المنازعات عند موارد المياه إذا وردت إبل في غير وقتها، أو إذا طرد أحد إبلاً عن الماء لعدم معرفته لها، أو إذا زاحمت إبلٌ أخرى إبله على الماء (١٤٠٩: ٦٩-٧٠).

وعن ورود الإبل وشربها قال عبدالله بن شريم الدوسري ولقبه الدندان:

عريضة الامتان تشرب كل مبنوقه
تركا نهل حوضها في يوم الارادي



ترزم إلى اوحت صبيب الدلـو مشلوقه

تفـرع وتذرع ولا لـلضـرب تنذادي

لا ورّدت هاربٍ مـا هيب مـلحوقـه

تـزله وتمـلـه لو ان حـوارها غـادي

والإبل لا تستطيب شرب المياه الكدرة الغليظة، ولكنها عندما ترد مياه الغدران والخباري تتدافع وتحركها بأرجلها فيتكدر لون الماء. وقد يـظن بعض الناس أنهـا بسبب ازدحامها عليه تقصد تكديره حتى تشربه، ولكن الحقيقة أنها ترشحه على أجسادها لترطبها من شدة الحرِّ. وأهـل الإبل يحبون الناقة التي تشرب الماء الكدر لأن الماء الصـافي قد لا يتوافر فـي كل الأوقات؛ تقول شاعرتهم:

شـرابـة المـا لـو تـزايـد حـفـيـره

غـبوقـة الخـطـار برصـا المـواخـير

ومن الحداء:

تـشـربـه حـرش الـعـطـين

تـشـربــه وان قــيـل طـين

وقيل: إن الإبل تحتاج إلى الماء في آخر فصل الربيع عندما تجف الأعشاب ويسمى نقضة الجزو. وذكر الشراري أنه إذا انتهى فصل الربيع ونضبـت الخباري والغدران والمستنقعات في البراري لشدة حر الشمس وسمومها، فإن الإبل تحتاج إلى المياه، فيتجه الرعاة بها إلى المناهل، فإذا وردت المناهل احتاجت إلى العزيب لرعي الفلاة من يابس العشب. والعزيب هو أن ترعى الإبل عدة أيـام بعيدة عن أهلها ومرعاهـا وهو المعزاب. والصدر هو ذهاب الإبل إلى المرعى وتسمى الليلة الأولى ليلة الصدر والليلة الثانية الغدر، وفي المثل «الورد غـارة والصدر انهزام» ويقولـون أيضاً عن الإبـل «وردن على غب» ويسمون الليلة الأولى للورد قرب، والقرب سير أول الليل لورود الغد.

وإذا وردت الإبل على الماء فالسقية (الشربه) الأولـى تسمى النهل والـثانية العـلل أو الحثه لأنّ الإبـل تشرب أول الورد ثم تـعطن ثم تسـقى وتندى من المرعى، وفـي المثل «ليل يـنهل». وإذا عزبت الإبل فـي المرعى ثلاث ليال أو خمس إلى سبع ليال ثم وردت يسمونه وتكون عدد لياليه مفردة، وما بعد السبع لا يسمى غبا (١٤١٢: ٦: ٣٠٦).

وفي <u>لسـان العرب</u> «الغب هو ورد يوم وظمء آخر، وقيل: هو ليوم وليلتين، وقيل: هو أن ترعى الإبل يوماً وترد من الغد». أما الربع فهو ليلتان، ويكره أن ترد الإبل غبا لأنه يكون في اشتداد الحر. وتكون حالة الإبل عند ذلك غير حسنة، ولا تستـطيع الشـرب على طبـيعتهـا، فيصبح الشرب ضررا عليها؛ ومن الحداء قولهم:



أذهـــبـتـــهـــن يـــاراعـــي
بـــالخـــمـــس والاربـــاعـــي

والربـع: أن ترعى الإبل بـعد يوم الصدر يومين، فيوردونها في اليوم الثالث وهو المعتـاد لسقي الإبل في الصـيف، فإذا عطشـت الإبل ورغبت في الورود على الماء قيل: استربعت الإبل، فيوردها الرعاة الماء؛ ومن الحداء قولهم:

وردن الله يـــحـــيـــهـــن
يـــوم الـــضـــمـــا حـــاديـــهـــن

وعند ظهور سهيل يبدأ الرفع للإبل في أيام ورودهـا، أي زيادة أيام الرعي في معـزابها لأن الجو يبـدأ في البرودة وخاصة بالـليل. وعند طلوع الشـعرى يكون مدى احتمال الإبل للعطش قصيراً لشدة ما يكون فيها من حر. فالجمل لا يحن لشدة العطش الذي يصيبه، لذا فأكثر ما يـكون شرب الإبـل للمـاء في حر الشعرى وفي المثل «قران حادي على الما ترادي»، غـير أن «قران حـادي» بداية اشتهاء الإبل وغيرها للماء وليس طلوع الشعرى (١٤١٢: ٢: ٣٠٢–٣٠٧).

أما في الشعر العربي فقد ورد الكثير من ذكر شرب الإبل للماء مثل قول أبي تمام:

أمـا وحوضـك مملـوء فلا سـقـيت
خوامـساً إن كـفى إرسالـها الـعزب

وقوله:

يـاذائـد الـهـيـم الخوامـس وقّـهـا
عـشرا وواف بـهـا حـياض مـحمـد

وقوله:

سَـقَـتْ رفـــهـا وظـاهـرةً وغِـبَّـاً
أبـا بـشـر أهــاضـيـب الـغـمـام

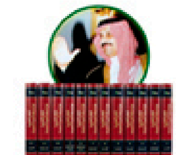
والهيم جمع هيماء وهي الناقة التي أصابها داء الهيام، وهو داء يصيب الإبل من شدة العطش. وقال عمر بن حوط بن سلمى:

كـأنـهـــمُ لـوقـع الـبـيـض بُـــزْلٌ
تـغـض الـطـــرف واردة قـمـــاح

القـامح من الإبل هـو الذي اشتد عطشه حتى فتر فتورا شديدا كما أسلفنا. ويقول مزرد (يزيد بن ضرار بن حرملة):

تـدقـــق أوراك لـهـــن عـرضـنـــة
عـلـى ماء يمؤود عـصـا كل ذائـد

يمؤود: ماء معروف قديما، والذائد: المانع. وهنا يذكر الشاعـر بعض سلوك الإبل القوية عند ورود الماء. فإن أوراك هذه الإبل لقوتها ومتانتها وصلابتها تدقق العصي (تجعلها دقيقة من ضرب الذائد بها)، فعـند ورودها الماء تتزاحم الإبـل وتكب عـلى الحياض؛ لـذا فإن الذائد يدفعها ويبعدهـا عنه باستخدام عصاه. ويعـني الشاعـر أن هذه الإبل رعـت، وأكلت الحمض فعطـشت؛ لذلك فهي



شديدة الحـرص على الشـرب وهذا ما يوضحه قوله من قصيدة أخرى:

أكـلن حـمـضـا فالـوجـوه شيب
شـربـن حـتـى نـزح الـقـليـب

ويقول ذو الرمة:

عـلى ضُـمَّرٍ هـيم فـراو وعـائـف
ونائـل شيء سيّـىء الشرب قـاصبه

ويقصد الشاعر إن من الإبل ما روي ومنها ما هو عائف لا يريد الماء، ومنها ما يشرب الماء قـليلا، وهذه هي وجوه (حالات) شرب الإبـل للماء. ومعـنى قصب شـربه أي قطعه، والعـيوف من الإبل الذي يشم الماء فيتركه وهو عطشان.

ويصف الأخطل شرب ناقته فيقول:

ترد عـلى الـظمء الـطويـل نطافـها
إذا شـوت الجـوزاء وُرْقَ الجـنـــادب

نطافها: ما بقي في جوفها من الماء القليل. يعني إنها تردُّ فيما بين ورد وآخر ما بقي من ماء في حوضها وقت الهاجرة (عز الظهيرة) والتي تكاد من حرارتها أن تحرق الجنـادب الوُرْق (الرمادية اللـون) وتحيل لونها إلى سواد. ويقول الحطيئة:

وألـقت سـبـاطا راشـفـات كأنـهـا
من الـسبت أهـدام دقاق خـصورها

يقــول إن هذه النـاقة ألـقت علـى الأرض بمشافرها الطويـلة اللينة ترشف بها الماء كأنها نعال السبت (جلـود البقر تدبغ بالقرظ ويتخذ منها نعال). ويقول ذو الرمة أيضا:

لأخـفـافهـا بـالـلـيـل وقع كـأنـه
على الـبيد ترشـاف الظماء السـوابع

والسوابع كما تقدم هـي الإبل التي لها سبعة أيام لم ترد الماء، فهي عطاش. شبَّه الشاعر صوت أخفاف الجمال على الأرض بصوت رشـفات الماء لإبل لهـا سبعة أيام عطاش. والرشف هو شرب الإبل بأطراف المشافر.

ومن أمثال العرب التي تدور حول السقيا قولهم «آخرها أقلها شربا» يعني أن المتأخر عن الورود ربما جاء وقد انتهى صفو الماء. وقولهم «ضرب أخماساً لأسداس» والخمس والسدس من أظماء الإبل، والأصل في هذا المثل أن الرجل إذا أراد سفرا بعيدا عوّد إبله أن تشـرب خمسـا ثم سدسا، حـتى إذا استمرت في السير صبرت عن الماء. ويُضرب المثل لمن يسعى في المكر، أي رقَّى إبله من الخِمْس إلى السِدسْ.

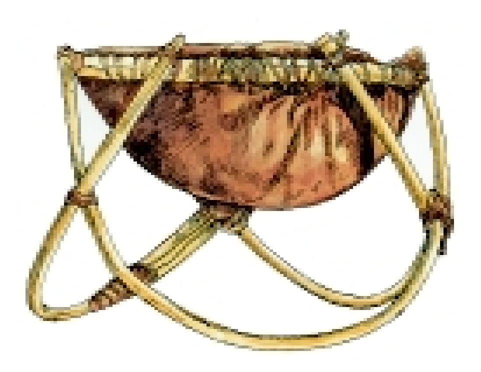
والمثل السابق يوضح لنا كيف أن العرب كانت تتعامل مـع إبلها وتأخذها بالتغيير التدريجي ولـيس التغيير المفاجيء. ومـن أمثال العــرب أيضا «كانوا مخلّـين فلاقوا حمضا» وذلـك أن الإبل تكون في الخلة وهو مرتع حلو (نباتاته غير مـرة) فتأجمه أي تكـرهه، فـتذهب إلـى مكـان كثيـر



الحمض، فإذا رتعت فيه أعطشها حتى تترك المرتع من الظمأ. وقولهم «رعى فأقصب» تقول العرب: قصب البعير يقصب، إذا امتنع عن الشرب، وأقصب الراعي إذا فعلت إبله ذلك. كما قالوا أيضا «أساء رعيا فسقى» أصله أن يسيء الراعي رعي الإبل نهاره حتى إذا أراد أن يريحها (يرجعها) إلى أهلها كره أن يظهر لهم سوء عمله، فيسقيها الماء لتمتلىء منه أجوافها. وتقول العرب في أمثالها أيضا «شربت الإبل حتى تحببت» أي امتلأت. وتقول أيضا «النَّسء خير من خير إمارات الربغ» والنسء: بدء السمن، والربغ: أن ترد الإبل كلما شاءت. ومن أمثالهم أيضا «أهون السقي التشريع». والتشريع: هو أن ترد الإبل ماء لا يحتاج إلى متحه (إخراجه من البئر) بل تشرع فيه الإبل شروعاً.

ومنها أيضاً «يدق دق الإبل الخامسة» والخمس عند العرب هو أشد الإظماء لأنه في القيظ (شدة حرارة الصيف)، ولا تصبر الإبل في القيظ أكثر من الخمس، فإذا خرج القيظ، وطلع سهيل وبرد الجو قل ظمأ الإبل. وإذا أوردت الإبل في القيظ خمسا اشتد شربها.

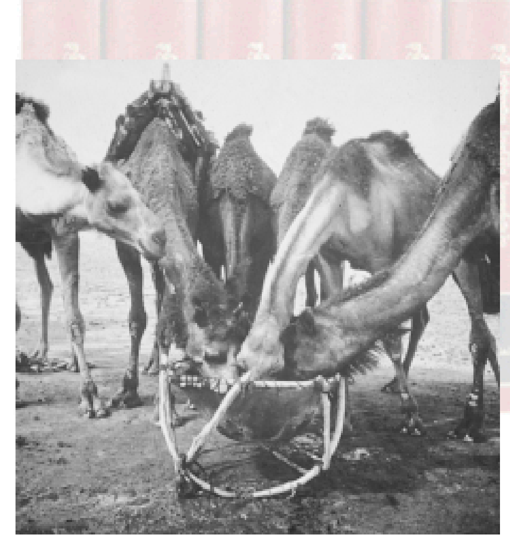
وأدوات سقيا الإبل ثلاثة أنواع؛ ما يستخرج به الماء من الآبار والعدود (مفردها عِدْ) كالدلاء ونحوها، وما



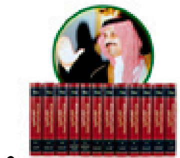
حوض السُقيا

يحمل فيه الماء بعد استخراجه إلى أماكن الحاجة إليه كالروايا، وما تسقى فيه الإبل عند البئر أو في حظائرها أو معاطنها كالأحواض.

أما الدَّلو فهو وعاء دائري أو أسطواني مصنوع من جلد سميك، تكون قاعدته ذات قطرٍ أصغر من فوهته، ولها أطراف معقوفة ومخروزة بشكل متين، بحيث



الشرب من الحوض



يُثبت عليها عارضتان خشبيتان متقاطعتان تسمى واحدتهما العرقاة، يربط بهما الحبل الذي يُخرج به الدلو من البئر. وأكبر الدلاء الغرب، ومن حداء الموارد:

الغرب طير يشنبه
من واحد تذنبه

وقولهم:

الغرب ويش اللي به
يجيبني واجيبه

ومن أمثال العرب «الدلو تأتي في الغرب المزله»، يضرب في التخويف من وقوع الشر.

ومن الدّلاء القَلَص، وجمعُه قِلْصَان، وهو نوع من الدّلاء المصنوعة من الأدم، غير أنه يختلف بأنه لا عراقي له، وأنّ له عروتين طويلتين مجدولتين من سيور أدم، وحافته مجدولة بالسّيور جدلاً جيداً. ويستعمل كالدّلو لرفع الماء من البئر. وقد يستعمله المسافرون لأغراض أخرى، فيحملون فيه المركى الذي يصنعون فيه الطعام، وتمر المضَحّى، وسحلة الشراب، وغير ذلك من الأغراض. وهو من أدوات السّفر، ولا يستعمل في ركايا البيوت ولا في مساقي المساجد؛ قال هُويشل بن عبدالله:

واجذ قلبي عليهم جذ الاطنابِ
أو جذ حبل القلص من كف جذّابه

وقال عوض بن جبر الجياشي الشلوي:

عطها القلص من جمة الجروليه
وونس لها في حس طير طار

وقال الآخر:

فاطري تضلع ولا ادري وش بلاها
ما عليها الا القلص والزمزميه

وقال حنيف بن سعيدان:

أبي المعوضه يوم ماتت ذلولي
لْيا علّقوا قلصانهم بالمدال

وقال شليويح العطاوي الروقي العتيبي:

لا والله الا تل قلبي بشبّاك
يتل به تل القلص من عفيف

واستحدثوا الطربال، وهو من إطارات (لساتك) السيارات، أي الجزء الداخلي من الإطار الذي يُنفخ بالهواء، واستعمل لدى البادية في الفترة المتأخرة مع ظهور السيارات وذلك بقطع اللستك وتحويله من شكل دائري إلى شكل هلالي وخياطة أحد طرفيه وملئه بالماء ثم ربط الطرف الآخر بحبل بعد ثني أطرافه ويحمل على المطايا سواء للشرب أو سقيا بقية الإبل التي لم ترد الماء. أو يحملونه في الروايا، وهي من جلود الإبل، تُصنع للسقي.

أما حوض البِلْ فإنه يُتخذ من جلود الإبل، يركَّب على عصيّ محنية ويستخدم لسقيها الماء.

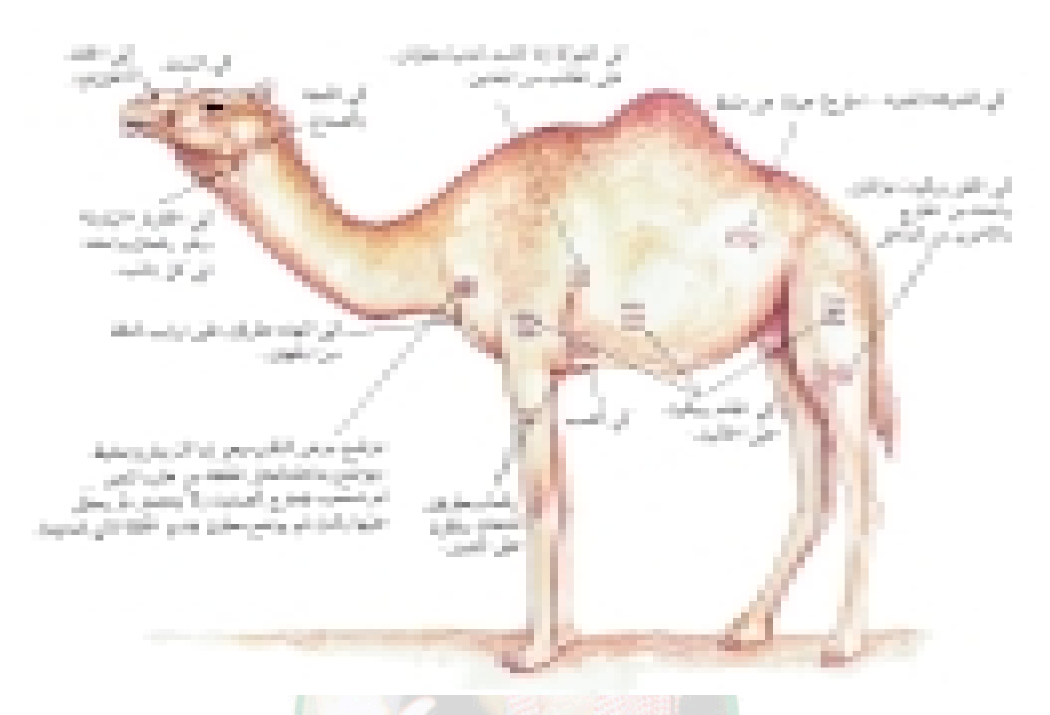


أدواء الإبل

على الرغم من أنّ الإبل رزقت جهاز مناعة قوياً يجعلها قادرة على التأقلم مع مناخ الصحراء القاسي والظروف المختلفة، إلا أنها تصاب بكثير من الأمراض. بعض هذه الأمراض تسببه الجراثيم والطفيليات التي تنتقل إليها مع العلف والشراب والمناخ، وبعضها ينتقل بالاحتكاك والملامسة، وبعضها تسببه الحركات العنيفة والتدافع والسقوط والإجهاد القسري، وقلة العلف وعدم توافر الفيتامينات والأملاح الضرورية لبناء أجسامها. أضف إلى ذلك عوامل المناخ من حرارة مفرطة أو برودة قاسية. فكل هذه العوامل تلحق الأمراض بالإبل، وهي أمراض تأخذ أشكالاً متنوعة؛ فبعضها سطحي بسيط، وبعضها داخلي خطير قد يصيب أجهزة الجسد بل يتعدى الجسد فيصيب الجهاز العصبي فيترك آثاراً سلبية على سلوكها وطباعها. وكثيراً ما تنتقل الأمراض من الإبل فتلحق الإنسان من جراء الاحتكاك بها وتناول ألبانها ولحومها، واستخدامها في الركوب ونقل الأثقال.

ومنذ القديم عرف العرب، بحكم التجارب الواسعة في التعامل مع الإبل، مجموعة من الأدوية التي توارثتها الأجيال. وبعض هذه الأدوية من موجودات الطبيعة المتوافرة لديهم في الأرض كالقار، وبعضها الآخر مُصَنّع من أوراق النباتات الصحراوية وجذورها، أو من مخلفات الحيوانات ومن الإبل نفسها، كما يعالج أطباء الإبل الشعبيون بعض الأمراض بالكي والفصد واستعمال أدوات بدائية في الجراحة الخارجية، وربما الداخلية أيضاً.

ومن الطبيعي أن يوجد في المجتمعات البدوية وحتى الحضرية فئة من المعالجين البيطريين -إن صحت التسمية- يزاولون



مواضع كي البعير

معالجة أمراض الإبـل. وتحرص القبائل على أن يكون فيها مثل هؤلاء المعالجين، كما يحرص المعالجون أنفسهم على نقل معـارفهـم الطبـية بـالوراثة لأولادهـم وأحفادهم؛ لأن ممارسة العلاج البيطري، في مجتمع تكثر فيه الإبل كثرة تستدعي وجود مثل هؤلاء، عملية مربحة للـفرد وللقـبيلة. وعلـى الرغم من أن الرعـاة يمارسون هذه المهنة، وكذلك بعض كبار رجال القبيلة أو نسائها في بعض الأحيان، لكن هذا لم يمنع من وجود معالجين مهرة متخصصين يلجأ الناس إليهم لمداواة إبلهم من الأمراض المستعصية.

الوقاية من الأمراض والإجهاد

تجد الإبل عناية خاصة من أصـحابها لأنها ثروتهم، فهي وسيلة تنقلهم، عليها يسافرون وينقلون أمتعتهم وبضائعهم وعليها يغيرون في حروبهم، ومن ألبانها يشربون ومن لحومها يأكلون ومن صوفها يصنعون ما يفرشون وما يلبسون. ومن الطبيعي أن يلقى حيوان يؤدي كل هذه الوظائف عناية خاصة بـه، يضاف إلى ذلك أن التـصاق البدوي بهذا الحيوان على مر السنين، أوجد لـديه خـبرات مـتراكـمـة عن أمـراضه ومسبباتها، ولـذلك سعى إلى وقايتها مما قد يصيبها واستخدم في ذلك وسائل شتى.



ومن وسائل الوقاية أن تمنع الإبل من شرب المياه الكدرة أو الراكدة التي فيها بغاريث أو علق لأن العلق يتشبث بحلوقها ويمتص دمها. وأما سقي الإبل من المياه الراكدة في المستنقعات فقد يسبب لها مرض الهيام وهو أشد أنواع العطش.

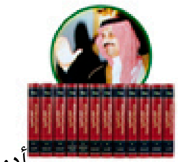
ويحرص على أن ترعى الإبل لأن ذلك يحميها من مرض الثَّوَى وهو الضعف والهزال الشديد الذي يمنعها القيام والحركة، وهذا الأمر له أصل من هدي رسول الله ﷺ إذ قال: «إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في الجدب، فأسرعوا عليها السير، وبادروا بها نقيها، وإذا عرستم، فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدواب، ومأوى الهوام بالليل» (النووي ١٩٨٢ :٤٠٨-٤٠٩). فهذا أمر صريح بتخيّر أماكن الرعي وقت الخصب أما في الجدب فيسرع عليها لتصل إلى غايتها في مدة قصيرة وتستريح ويعود إليها صفاء مخها (نقيها) ويحافظ عليها بالابتعاد عن الطريق في الليل وقت الراحة والنوم. وقال رسول الله ﷺ «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة» (النووي ١٩٨٢ : ٤١٠) وقد نهى الرسول فتى من الأنصار كان يجيع جمله ويتعبه كما ذكره النووي (١٩٨٢ : ٤١٠).

وتمنع الإبل من الإكثار من رعي الحمض لأن كثرة الحمض تسبب لها السلاق وهو الهرار أي الإسهال.

ويتفادى أيضاً نقصان الملح في غذاء الإبل لأن ذلك يسبب لها مرض النويره الذي يظهر على شكل قروح وأورام صلبة.

ولا شك أن النظافة عامل مهم من عوامل المحافظة على صحة الإبل، ويشمل ذلك تقريدها، وهو إزالة القردان التي تعض الجمل في مناطق رقيقة يسهل عليها امتصاص دمه منها، وهي تكثر في آباطها وضروعها وآذانها، والقراد والحلم من أخطر الحشرات على الإبل فهي تمتص من الدم ما يجعلها كرة مليئة بالدم، وفي المثل الشعبي «أثقل من دم الحلمه» يضرب للرجل الثقيل المتطفل وللشيء المكروه. وقد ينتقل القراد من جمل إلى آخر، ويسبب الهرش والدمامل وفقر الدم ثم النفوق بعد ذلك.

إضافة إلى التقريد ينبغي إبعاد الإبل عن أماكن تكاثر الذباب والبعوض لأن الذباب يسبب لها مرض الهيام وهو مرض الذبابة ومن أعراضه الهزال وفقدان الشهية.



أما عند الحلب فـينبغي غسل اليد وتنظيفهـا قبل حلب الناقة لئلا تـصاب بـالنزر وهو التهاب يصيب الضرع.

ومن الضروري عزل الإبـل المصابة بالجرب أو أيـة أمراض أخرى حتـى لا تعدي غيـرها بتلك الأمراض لأن «من قارب الجربا على الحول يجرب». وفي المثل الشعبي الآخر «هضلة الجرب على العرب»، وفسر الجهيمان هذا المثل قائلا: هضـلة بمعـنى قدوم، والجـرب مرض جلدي معروف وهو مُعْد سريع الانتشار والانتـقال من حـيوان إلى آخـر. وقد يصـاب به الإنـسان أيـضاً، والـعرب يتشاءمون بالجرب، ويتحامون من يصاب به في نفسه أو في مواشيه.

كذلـك تفحص الإبـل في الوقت الحاضر بصـفة دورية لتفادي مـيكروب الحمى المالطية.

وفي سيرها ينبغي الابتعاد بالإبل عن سلـوك المسالك الخـشنة ذات الحـجارة والصخور الحادة تفادياً للإصابة بالحفا. ويحـسن تجنـب إرهاقهـا وهي مثـقلة بالأحمال أن تسير مدة طويلة لأن ذلك قد يجهـض النياق وقد يصيب الجـمال بالسلاق وهو الإسهال.

كما يستحسن تجنب عـقل الصغار من الإبل لأن ذلـك يسبب لهـا العرج (الظلع). وإن كان البعير قد طال سيره فلا يحسن حبسه مـدة طويلة بعد ذلك لأنه مما يسبب له الملاءة وهي الترهل.

وعلى صاحب الإبل ألا يجور عليها أثناء الحمل وأن يتجنب وضع الأحمال الثقيلة عليها لأن ذلك يجهدها، ويؤثر على ظهر البعير فتظهر الدبرة فيه وهـي تشبه الدمامل. ويحسن المبادرة إلى حل الأحمال عنه عند النزول والراحة، وقد ورد هذا في الهدي النبوي فيما رواه أنس # أنهم لا يصلُّون إذا نزلوا مـنزلاً حتى يحلوا الرحال (النووي ١٩٨٢: ٤١١).

وتحتاج الإبل التي يحـمل عليها أو تستخدم ظهورها في أعمال شاقة كالحراثة والسني والنقل إلى ما يقي من جسمـها ما يتعرض للاحتكاك، وذلك بوضع وقاة تحت شداد البعير، وتحت القتب، ويراعى في الحبال التي تربط الأحمال على تلك الحيوانات أن تكون لينة غير جارحة لجسده فلا يتخذ البطان أو الحقب أو الثفر من الليف. وإن اتخذت من الليف فلابد أن تلف بقماش ليخفف من خشونتها.

أمراض الأطراف

اَلْحَرَدُ: هو حركة من إحدى القوائم الأمامية تختلف عن بقية حركة القوائم الثـلاث الأخرى، إذ تنثـني إلى أعلـى





مرض الحفا

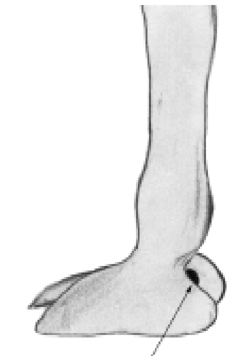
وتسبب للبعير العرج (الظلع) وضعف المشي. وهو التواء في عصب إحدى القدمين الأماميتين، ويكون عادة منذ الصغر واستعمال العقال في سن مبكرة أحد أسبابه الرئيسية.

الحفا: ليس الحفا قروح تصيب أخفاف الإبل من كثرة المشي على أرض صخرية تحتك بها أخفافها حتى تذهب الطبقة الحرشفية الصلبة الواقية لباطن الخف فتظهر دوائر حمراء بقدر بصمة الإبهام فتظلع الإبل نتيجة لذلك، ويرفع البعير قائمته المصابة من شدة الألم. وكانوا يخيطون الجلد الطري على خف الناقة على هيئة نعلة لئلا يصاب بالحفا أو لترقيعه بعد إصابته به. وكانوا أيضا يعالجونه بالمماراة، وهي ملح وبول وبعر ذلول يطبطبونه (يلطخونه) على خفها حتى يغلظ فلا تتأثر بالأرض الصلبة.

الحلل: مرض يصيب أرجل الإبل فتضعف وتنعقل وهو أشبه بالشلل، وعلاجه الكي، وفيه المثل «كي الحلل» وقولهم: «حلل يحلحل رجليك».

الخفج: وقد يسمى الذيبه وهو رعدة عند البروك والقيام.

الخمل (الخيل): داء يأخذ بقوائم الإبل وتظلع منه. ويداوى بقطع العرق، وإذا لم يقطع العرق فإن البعير يموت. وهناك من يعالجه بالكي في الظهر.



موقع مرض السأي «البيض» بعد شقه وسحب الماء الموجود فيه يكوى موقع المرض نفسه برقمه

كي مرض السأي

السأي: داء في طرف خف البعير، ويسمى عند البادية البيض.

الضبط: وهو عاهة وراثية في التكوين إذ تلتصق الأكواع بالزور (الكلكل) ولايستطيع البعير المشي بسرعة.

الظلع: هو العتب أو المشي على ثلاث قوائم، وهو ليس مرضاً قائماً بذاته بل نتيجة لأحد الأمراض السابقة؛ قال علي بن جبلة:

حتى إذا تمت له أعضاؤه
لم تنحبس واحدة على عتب

يقولون: هذا البعير أجنف، أي يميل بمشيته لتأثر زوره، وهذا ليس ظلعاً، ويقولون أيضاً: بعير رهيص أو مرهوص، إذا أصيب بالرهصة وهي ناتجة عن إصابة أطراف الخف ويظلع منها البعير. وتعفج البعير إذا صار في مشيته تعرج. وظلع الركاب مرض يصيب عرقوب الذلول على شكل ورم يمين وشمال العرقوب من الصعب علاجه، أما مرض ظلع العريقيب فإنه يشفى.

ويقول الشراري: وحفى الإبل (الصوانة) يحدث بعد طول سير الإبل في أرض صوان (صلبة فيها حجر) فيقال: حفيت أيديها، لذلك يبيد (ينمحي) خفها فيضيع دمها، وقد تدخل أحجار الصوان في يد الذلول وتسبب لها ألما وظلعاً. ويستعملون رقعة للذلول لحماية خفها (١٤١٢: ٢٦٠-٢٦١). وقيل في ذلك:

هذي توردها وذي براسها زود
وهذي يشختر دمها من حفاها

العضد: مرض يصيب عضد البعير، وعلاجه الكي.



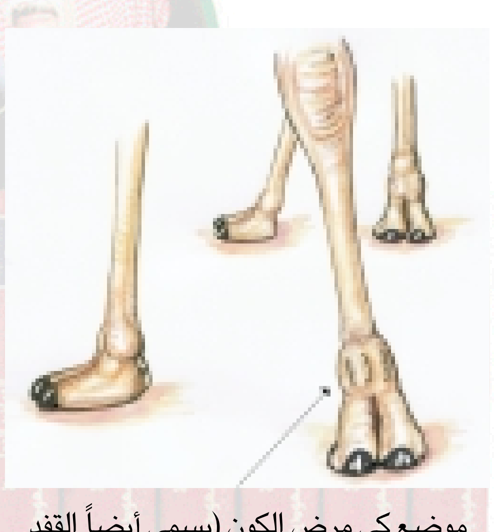
كي الطرق (الفدع) ويسمى تخفيض



الفدع: عوج وميل في المفاصل وهو عاهة وراثية وليس بمرض، فإن كان في اليدين فهو الطرق، وإن كان في الرجلين فيسمى العياب، وعلاجه الكي.

الكساح: داء يصيب الإبل، وجمل مكسوح لا يمشي من شدة الظلع.

الكون: هو ميل في خف البعير إلى الداخل أو الخارج، فإن كان الميل إلى الداخل فهو القفد وإن كان الميل إلى الخارج فهو الصدف، وعلاجه الكي.



موضع كي مرض الكون (يسمى أيضاً القفد والصدف)

الملاءة والملآة: رهل يصيب البعير من طول الحبس بعد طول السير.

النكب: مرض من أمراض الإبل؛ ومن أمثال البادية: «حزم النكب» وهو ظلع بالبعير أو داء في مناكبه يظلع منه، ويعالج النكب والظلع بوضع هلبة بالكتف عند القريعا ويوضع عليها قطران وكبريت، كما يحلَّق عليها بالمكوى.

الوهن: (الوهان) آلام في عضلات المطية نتيجة الحمل على السيارات أو كثرة البراك. وهو أيضاً عجز البعير عن الاعتدال والنهوض من مبركه عندما يمترغ لعدة أسباب؛ منها شدة الضعف، والسمنة وكبر حجم السنام، أو إذا امترغ على أرض غير مستوية. ويقال له توهن فهو متوهن، وهو القعاد؛ ويعالج بكي (رقمه) في حفرة الكرسوع من أعلى، وهناك من يعالجه بمطرقين على الذراع من الأمام ورقمة في ملتقى عكرة الذنب مع العروق، وهناك من يضع رقمه في ملتقى شقرتي خف المطية من الأمام والتي تسمى المفادر.

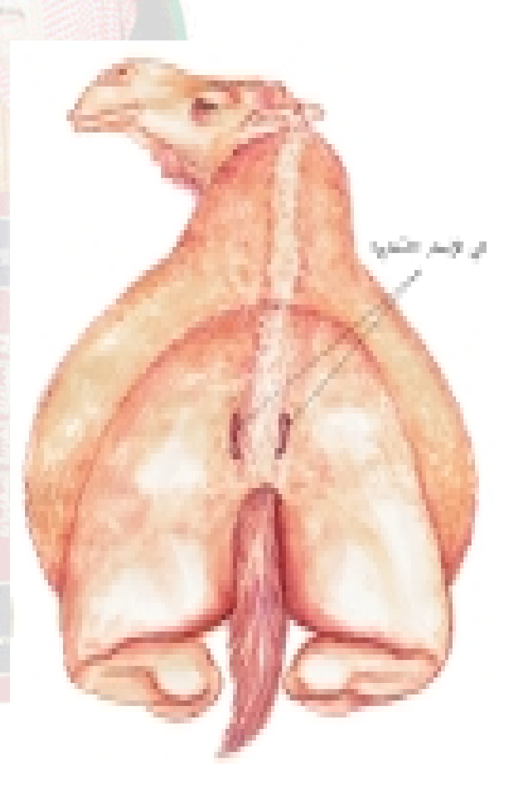
أمراض الجهاز التناسلي

ابترام الرحم: من مسببات الحياص، وهو مرض يمنع اللقاح في الإبل نتيجة التواء في العصب في الرحم. ويعالج بإدخال اليد داخل الرحم، فقد يجد المعالج أعصاباً ملتوية ويجد بعض حِلَق الرحم واسعة

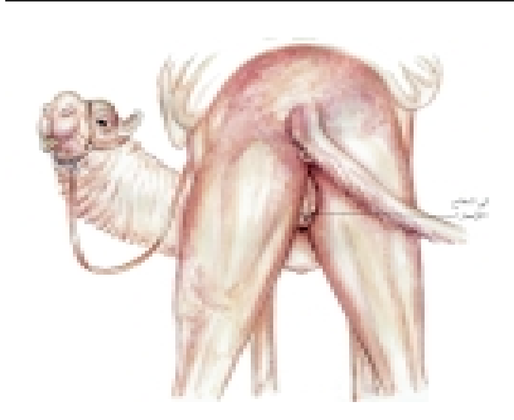


والأخرى ضيقة والحافظة مختلفة فينفضها بيديه ويضع ملحاً كدواء، ويسمى هذا العلاج التعديل. أما الملاح فهو معالجة حياء الناقة، إذا اشتكت، بخرقة (قطعة قماش) تطلى بالدواء ثم تعلق على الحياء.

الإبحار: النزيف، ويسمى السفاح، وتعالجه البادية بكيتين (مطارق) عن يمين ويسار عكرة الذنب (الخويرمات). وهناك من يعالجه بكية على شكل رقم ٧ تحت الحياء.



كي الإبحار (السّفاح) لدى بادية نجد والمنطقة الجنوبية



كي الإبحار (السفاح) لدى بادية المنطقة الشمالية

الإرحام: وهو خروج رحم الناقة عند الولادة، ويقال له الترحيم أيضا، وعندئذ تقول العرب إن الناقة أرحمت. وقد يتلوث الرحم بالتراب عند خروجه، فيؤتى بصحن كبير نظيف ويوضع تحت حياء الناقة ويغسل الرحم الخارج جيداً بالماء الدافئ والصابون، ثم يدهن بالسمن النظيف ويعاد إلى موضعه، ثم يخاط حياء الناقة، من فوق ومن أسفل، وتترك فتحة صغيرة للبول، لكي لا يخرج الرحم مرة أخرى. ويستمر ذلك لمدة أربعة أيام. وبعد ذلك يصبح الرحم طبيعياً، فتفك الخيوط.

الإكسار: وهو عدم حدوث التلقيح بعد ظهور علامات الحمل في الأنثى كرفع الذنب. والإكسار أو التفيخ قد لا يكون عن مرض، فتلقح الناقة إذا ضربها



الفحل مرة أخرى، ولكن إذا تكرر ذلك فإن الخبير بأدواء الإبل يدس يده في رحم الناقة، وقد يجد بقايا جنين بدأ في التخلق ثم مات ولصق بالرحم يكون هو السبب في عدم لقاحها مرة أخرى. وتسمى الناقة في هذه الحالة مْعِسّ وتسمى بقايا الجنين عِسّ.

البدية: ظهور أجزاء خارجية من الرحم عند اللقاح أو بعد الولادة ويسمون هذه الأجزاء البدوة وتسمى الناقة بدياء. ويحدث ذلك عادة نتيجة لضغط الرحم على فتحة حياء الناقة، فيبدو الحياء كأنه منتفخ، وهو خطير على حياة الناقة، إذ إن الناقة البدياء مهددة بالترحيم (الإرحام) وهو خروج الرحم مع الحوار عند الولادة. ولعلاجه تضع البادية على رحم الناقة رواعات من خيوط أو خشب على فتحة الحياء وتربط في جناب الشماله بعد إبعاد صحن الشمالة حتى تلد الناقة.

وهناك نوع آخر من البدية يسمى الشعرور وهو خروج جزء صغير من حياء الناقة الداخلي، خاصة إن كانت الناقة سمينة وكانت باركة. والشعرور لا ضرر منه على الناقة.

جرب الرحم: مرض من مسببات الحياص وهو جرب في الرحم يعالج بالملح.

الحياص: وهو مرض يكون في رحم الناقة يمنعها عن الحمل، ومنه قولهم: حاصت الناقة عن الفحل، وناقة حائص: إذا لم تلقح.

عسر الولادة: يحدث أحياناً أن تتعسر ولادة الناقة لاصطدام رأس الحوار بعظام الحوض أو لانعكاس وضع الحوار في الرحم بحيث يكون رأسه في المؤخرة. ولذلك يدخل صاحب الناقة أو الراعي يده، بعد أن يحتاط ما أمكن لكي لا يضر بالرحم ويعدل وضع الحوار أو يساعده على الخروج سليماً. وأحياناً تنفق بعض الإبل، خصوصاً السمان منها نتيجة لتعسر الولادة.

وفي بعض الحالات يموت الحوار في رحم أمه قبل الولادة مما يعرضها لخطر الموت. ومهمة المعالج هنا صعبة جداً وتحتاج إلى خبرة ومهارة فائقتين. حيث يدخل يده إلى رحم الناقة، وفي يده شفرة حادة، ويقوم بتقطيع الجنين الميت إلى أجزاء صغيرة ثم يخرجه قطعة قطعة، محاذراً من أن يصيب جدار الرحم بجروح. وتستعمل هذه الطريقة مع الأبقار أيضاً.

العقر: كالعقم عند البشر، وقد يكون الشحم من أسبابه. والناقة إذا كبر سنامها لا يستطيع أن يضربها الفحل؛ ولذلك



يقال «عاقر من الشحم، وإبل عقرهن الشحم». أما العقرة فهي ورمة في معقل المطية، يُحلَّق عليها بالكيّ، وهي في موقع العقرة نفسها إلا أنها كبيرة ولا علاج لها.

النزيف: قد تنزف بعض الحيوانات بعد الولادة. فيستعمل نبات المرخ الأخضر، والمرخ هو شجر النار المعروف -سريع الوري كثيره- بعد دقه ونقعه في الماء ليلة كاملة، ثم تسقى به الماشية في الصباح، طوعاً أو كرهاً. ثم تكوى على جنبيها بمطرق واحد على كل جنب، فيؤدي ذلك إلى إيقاف النزيف. وهذه الطريقة مستعملة بكثرة في جازان.

النساس: هو أن يرتخي المضيار ويتورم حياء الناقة فتضعف وتموت.

الوذم: اسم مرض يصيب رحم الناقة من الداخل ينمو كما تنمو الثآليل ولكنه أطول منها. وهو شبيه بالسيور فيتسبب في منع الناقة من اللقاح. وكان يعالج في السابق وقبل الطب البيطري بأن يدخل خبير العلاج يده بعد أن يدهنها بالدهن في رحم الناقة وبين أصابعه شفرة (موس) يقطع بها تلك الثآليل بحذر شديد، إذ لو أصاب رحم الناقة بجرح من الداخل لتسبب في موتها. لذلك فلا بدّ أن يكون المعالج على جانب كبير من الخبرة والمعرفة بهذا العمل وما ينتج عنه.

وإذا كانت الناقة لا تلقح ولا يوجد بها وذم ولا عس، وهو بقايا حوار ميت في رحمها، فلا تعرف البادية لذلك اسماً معيناً، ولكنهم يعالجونه بوضع قليل من التمر المعبوط بقدر حبة الليمون الصغيرة تحشى بالملح وتدس في رحم الناقة وتسمى العطرة.

أمراض الجلد

الجثام: بقع تصيب جلد البعير مشابهة للصلع الذي يصيب فروة رأس الإنسان. ويسمى في البادية الخدم وهو ينتشر في جلد الإبل، وعلاجه أن تكوى بمطرقين في مؤخرة الفخذين. وهناك من يكويها بثلاث مطارق على العضد وثلاث جذم على الجنب وثلاث على الفخذ من كل الجهات.

الجدري: وهو مرض فيروسي شديد العدوى، يمكن أن ينتقل للإنسان ويصيب أصابعه وأذرعه إصابة خفيفة. ويظهر الجدري على الإبل التي تتراوح أعمارها بين ٦ أشهر إلى ٣ سنوات على هيئة بقع جلدية حمراء اللون، تتحول إلى بثور صديدية بنية اللون، خصوصاً على السطح الداخلي للمشفر، وحول العينين وفي الأفخاذ، مع تورم المشفرين، والعقد اللّمفاوية تحت الحنك. وتحدث الإصابة



بهذا المرض عن طريق الملامسة، أو بأي طريقة أخرى مباشرة أو غير مباشرة. وعندما تكون الإصابة حادة تنتشر البثور بكثرة، وقد تسبب موت البعير. وتكتسب الإبل مناعة ضده بعد شفائها فلا يصيبها مرة أخرى. ولعلاج هذا المرض تعزل الإبل المصابة، وتستخدم بعض المضادات الحيوية دهانات لمسح البثور مع تغذية الإبل تغذية جيدة. ويمكن في الوقت الحاضر تحصين (تطعيم) الإبل ضد هذا المرض قبل انتشاره.

الجرب: ويسمى أيضاً الخوق وهو مرض جلدي شديد العدوى، يبدأ أول أمره في الأجزاء الرقيقة من الجلد، فيصيب منطقة الرأس والرقبة غالباً، ثم ينتشر إلى باقي مناطق أجسام الإبل القصيرة الوبر. ويظهر المرض خلال فصل الربيع ويقل في الشتاء. وتسبب مرض الجرب، قراديات صغيرة يصعب مشاهدتها بالعين المجردة تسمى بالحلم الحافر أو الحاس، وتنتج الإصابة به عن تكاثر الحلم في الجلد. حيث تبيض أنثى الحلم في أنفاق تحفرها في جلد البعير، وعندما يفقس البيض يبدأ الحلم الصغير في عمل أنفاق جديدة بالجلد مما ينتج عنه حدوث الالتهاب والهرش المؤلم المستمر للبعير. ونتيجة للإصابة بالجرب



الجرب

يزداد جلد البعير سمكاً ويتقشر ويتحبب ويسقط وبره. ويصاحب ذلك هزال البعير وتشقق جلده وجفاف الإفرازات الجلدية. كما يتعفن جلد القوائم الخلفية والأفخاذ وما حول العرقوب. وينتشر المرض بين الإبل بالمخالطة أو باستخدام الأدوات والأربطة. وهو مرض سريع العدوى والانتشار، خاصة بين الإبل الهزيلة. ويكافح هذا المرض، من الناحية العلمية، بالنظافة العامة وعزل الحيوانات المريضة والرش بالمبيدات الحشرية الخاصة.

وقد ورد في الأمثال العربية قولهم «أبغض من الطلياء» وهي الناقة المطلية بالهناء وهو علاج لمرض الجرب كانت العرب تستخدمه قديماً، ويسمونه الطلاء أيضاً. ويروى المثل بلفظ آخر فيقال «أبغض إليَّ من الجرباء ذات الهناء»، ذلك لأنه ليس شيء أبغض إلى العرب من الجرب لأنه مرض مُعْدٍ.



ومن أمثال العرب أيضاً قولهم «أخشن من الجذيل (تصغير جذل)»، وتسميه البادية مِعرار وهي خشبة تثبت في الأرض لتحتك الإبل الجرباء عليها لما يحدثه الجرب من أكلان. وقالت العرب أيضاً «عنيته تشفي من الجرب» والعنية: بول البعير يعقد (يركز) في الشمس ويطلى به البعير الأجرب. وقيل أيضاً أن العنية قشور الشجر تطبخ بالبول وتطلى بها الإبل الجرباء. وقالت العرب أيضاً «ليس الهنء بالدس» والهناء: القطران (القار) والهنء: طلي البعير بالهناء وهو أن يهنأ الجسد كله، والدس أن تطلى المغابن (مَرَاقّ الجلد). ويطلقون على الجرب أيضاً العُر. كما يسمى العلاج الذي تهنأ (تدهن) به الإبل المصابة بالجرب الخضحاض. وكانت البادية تستعمل الذرنوح لطلي الناقة الجرباء فتشفى، والذرنوح حشرة سوداء تشبه الخنفساء إلاّ أنها تطير وهي مخططة بلون أصفر في أجنحتها. أما النّقب: فهي القطع المتفرقة من الجرب والواحدة نقبة، وقيل: هي أول ما يبدو من الجرب؛ قال النابغة الذبياني مشيراً للجرب:

فلا تتركنّي بالوعيد كأنني
إلى الناس مطلي به القار أجرب

والقار هو القطران، ويصنع من حرق الأشجار، وكان يستخدم منذ قديم الزمان لعلاج الإبل الجرباء. وقال زهير بن أبي سلمى:

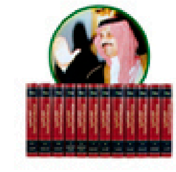
كأن بضاحي جلدها ومقذها
نضيحاً كحيلاً أعقدته المراجل

والمقذ: ما بين أُذني البعير من الخلف، والكحيل: الخضحاض الذي تهنأ (تطلى) به الإبل من الجرب. وقال طرفة بن العبد:

إلى أن تجافتني العشيرة كلها
وأفردت إفراد البعير المعبد

تجافتني: تجنبتني، والمعبد: البعير الأجرب.

ويقولون: طليت البعير بالقطران وطليته بالزيت، ويطلى البعير الأجرب بالنورة، وهي رماد شجر الطرفاء، ثم الدهن المخلوط بالسم الأصفر. وجمل عارّ: أجرب ويقولون: هذا البعير قد عره الجرب فهو معرور. أما الوبش فهو الرقط (النقط) في جلد البعير من الجرب، يقولون: لقد بقي على جلد البعير وبش بسيط أي بقايا جرب. وفي المثل «طَلْيَةٌ خَبْقَانْ» وهو رجل أراد أن يطلي بعيراً ليبرأ من الجرب فزاد في كمية السم فلما دهن به البعير هلك وفقد بعيره، ولذلك صار مضرب المثل للأمر



تريد علاجه فتزيده سوءاً أو تفقده، يقول الحبردي:

والجرب سريع العدوى والانتشار في الإبل لذلك يبعد البعير ويحجز عن بقية الإبل بعد أن يطلى بالقطران. وطريقة علاجه هي أن يطلى البعير بالنورة كي يتساقط وبره أو يحلق بالموس ثم يدهن بالدهن المخلوط مع (الذرنوح) والذرنوح حشرة بها سُمٌّ، أكثر ما تعيش في شجر العرفج ونبات السليح. وتصطاد بقطعة قماش (خرقة) وتترك حتى تجف ثم تسحق وتخلط مع الدهن ويمسح بها البعير الأجرب فيشفى. ويعالج الجرب أيضاً بالبرغي (النفط) (١٤٠٩: ١٢٤).

ويعد الجرب من أسوأ الأمراض التي قد تؤدي إلى موت الإبل، فهو سريع العدوى؛ لذلك استعمل البدو منذ القدم عزل البعير المصاب؛ قال الراجز:

انفع حالك من حلالك
قبل الثلاث تجرّبْهن
إما قومٍ وإما دهر
وإلا جربٍ يخربهن

وقال إبراهيم بن جعيثن:

ولا يغريك في الجربا شحمها
إلى جلبت فلا فيها تغالي
تراها سلعة الجزار واحذر
تقرّبها الصحيح من الحلالي

وتقول العرب «لهو أصرد من عين جرباء»، وتقول «لهو أعدى من أجرب»، ومن أمثال العامة قولهم «من رافق الجربا على الحول يجرب»، ويقولون «المبرك عدوى». والعر المدمن هو أسوأ حالات الجرب. وتتم عملية علاج الجرب بنتف الوبر ليصل الدواء إلى الجلد، وتستعمل لذلك أدوات تسمى المباري، قال الشاعر:

الذود جِرْبٍ والدهر صار فوقه
كل يوم نتفٍ بالمباري ورغراغ

والملح من الأدوية المستخدمة لعلاج الجرب، ومن أمثالهم في الجرب «فلان مثل الأجرب اللي كل من جاه يطرده»، و«بلوى الجرب للعرب»، «الأجرب ما يعود مطلاه»، «من خاوى الجربا على الحول يطلى» (الشراري ١٤١٢: ٢٥٣-٢٥٧).

وتختلف وسائل معالجة الجرب من بادية منطقة إلى بادية منطقة أخرى حسب ما توارثوه وما جربوه وما هو متوافر في بيئتهم. ففي القصيم يؤخذ رماد خشب السرح ويخلط مع الماء بحيث يكون على هيئة عجينة رخوة، ثم يطلى به الجرب. وتكرر العملية يومياً عدة مرات حتى يتم الشفاء. وإذا لوحظ أن البعير يتألم منه



فإنه يخفف بالماء. وفي منطقة الجنوب يستخدمون القطران لعلاج الجرب وقد يجمعون حشرة الذرنوح التي تكثر وقت الربيع وتجفف وتسحق ثم تخلط مع قطران، ويطلى به موضع الجرب. ويجب أخذ الاحتياط الشديد عند استعمال هذه الوصفة، ولبس قفازات عند استعمالها لأن حشرة الذرنوح سامة جداً. والمادة السامة في هذه الحشرة تمتص عن طريق الجلد. كما يُستخدم رماد نبات الأراك في علاج جرب الإبل، حيث يؤخذ الرماد ويخلط مع الماء ويغلى، ثم تغمس فيه قطعة من الخيش الخشن ويدلك بها جلد البعير. وهناك طريقة أخرى تستعمل في تثليث وبيشة، وهي أن يؤخذ حوالي كيلوجرامين من النورة وتخلط مع ضعف وزنها من الماء، ويضاف لها حوالي كيلوجرام من الكبريت الأصفر، مع كيلوجرام من الزرنيخ، ويغلى المزيج على النار حتى ينضج (يمتزج وتذوب المواد تماماً)، ثم تؤخذ جريدة نخل وتدق حتى تصبح كالفرشاة ثم تغمس في المزيج، وتحك بها أماكن الجرب. وبعد ذلك تهرس كمية من التمر بالماء، ويدهن بها جلد البعير، ثم ينظف الجلد بالماء والملح، ويدهن بعد ذلك بخليط من الكركم والكبريت والسمن لمدة ثلاثة إلى أربعة أسابيع متتالية، ويصب السمن يومياً في أنف البعير المجروب. ومن الأغاني التي يرددها طلاة الجرب بالكبريت (الخفان) قولهم:

أطلاك يالجربا ولا انتي باريه
اطلاك بالخفان واللي جاريه

وفي نجد يُستعمل رماد نبات الطرفاء حيث يغلى الرماد مع الماء، ثم يدهن به جسم البعير. كما يُستخدم حجر يعرف بحجر البيم (يحصل عليه من البحر) وهو ذو تجاويف تشبه الإسفنج، حيث يحرق ويمزج رماده بالماء، ويغلى على نار هادئة، ثم يدهن به جلد البعير. كما يستخدم أهالي الشمال نبات النيتول، ولعل النيتول هذه تحريف نيتُون الفصيحة فقد ورد أن النيتون شجر منتن الرائحة خبيثها (الدمياطي ١٩٦٥ :١٥٣)، لعلاج الجرب، فيؤخذ النبات ويدق وهو أخضر، ثم يدهن به الجمل المجروب، وهذه الوصفة جيدة.

أما في منطقة حائل فإن البعير الأجرب يطلى بالنورة أو رماد شجر الطرفاء أو العدام، وأحياناً يجمع بين الرماد والنورة حتى يجف وبر جلده تماماً وينظف، ثم يستخدم موسى لتنظيف قروح الجرب بالحك. ثم يحضر سمن



أو قطران ويمزج به قليل من السم أو الزرنيخ ويدهن به البعير كاملاً أو البقع المراد طلاؤها. بعد ذلك يعاود دهنه بالدهن فقط بعد كل يومين لمدة أسبوع حتى يبرأ. ويعتمد البرء على كمية السم التي وضعت أول مرة بحيث تكون بمقدار متوازن. لا هو كثير يجور على البعير، ولا قليل لا يفيد في قتل فيروسات الجرب.

القرع: وقد يسمى الرضيفة، وهو مرض جلدي يصيب صغار الإبل فقط على شكل كي، ويعالج بالكي (حلقة حول الإصابة). وكذلك يصيب الإنسان كما يصيب الحيوانات الأخرى، وتسببه فطريات جلدية. ويشاهد هذا المرض في الإبل الصغيرة خاصة في الشتاء، حيث تدخل هذه الفطريات في الطبقة الخارجية للجلد وتتكاثر وتغزو الشعر مسببة سقوطه. ثم يلتهب الجلد، وتتكون قشور من الإفرازات الجلدية، التي لا تلبث أن تسقط، مكونة مناطق مستديرة مختلفة الأحجام عارية من الشعر. وتكثر إصابة الإبل به في الرأس والرقبة وجانبي الجسم، ثم تنتشر في باقي الجسم. وينتشر هذا المرض بين الإبل بالملامسة والمخالطة. وقد ذكرته العرب في أمثالها فقالوا «أحر من القرع». وللوقاية من هذا المرض، يجب مراعاة النظافة وقواعد الصحة العامة للإبل المرباة بالحظائر أو الأحواش الضيقة، مع عزل المريض منها، وعلاجها، بإزالة القشور الجلدية، وتنظيف مكان الإصابة جيداً ووضع المضاد الحيوي المناسب. والتقريع هو معالجة الإبل لنزع قرعها وهو أن تطلى بالملح وحباب ألبان الإبل، فإذا لم يجدوا ملحا نتفوا أوبارها ونضحوا (غسلوا) جلودها بالماء ثم جروها على السبخة (التراب).

كرحة الجمال: قد تصاب الجمال بمرض جلدي يُسمى كرحة الجمال، وهو يشبه مرض الحصبة. وعلاجه أن تؤخذ دِمّنَ إبل مر عليها عام، ثم تحرق، ويشمم دخانها للبعير المصاب.

الهلاس: مرض يصيب الإبل وقد تكون له مسببات متعددة منها أن الإبل تهلس: أي يطير وبرها من النحاز ومن الجرب، ويقولون تمعط وبرها وقد ينتج من قلة رعي الحمض حيث تقوم الإبل بنتف وبر بعضها.

أمراض الجهاز العصبي والتنفسي

الخازباز: داء يأخذ الإبل في حلوقها. وسببه ذباب أخضر يظهر في وقت الربيع. وعلاجه الكي في الحنجرة.

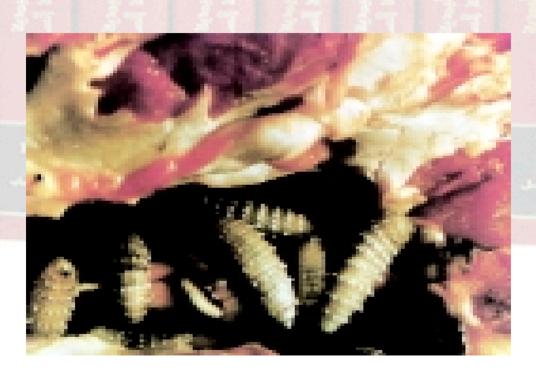


الخنان: داء يصيب الإبل في مناخرها وقد تموت منه. وعلاجه كي الخشم بمطرقين صغيرتين.

داء الكلب (السعار): هو مرض فيروسي يصيب الإنسان، وجميع الحيوانات بما في ذلك الإبل، ويتكاثر الفيروس في المخ والنخاع الشوكي. وينتشر المرض بواسطة الكلاب والحيوانات الأخرى آكلة اللحوم كالثعالب والضباع وبنات آوى. كما ينتشر في بعض الأماكن بواسطة الخفافيش (السحاة)، وهو مرض قاتل. وينتقل المرض إلى الإبل إذا عضها حيوان مسعور (مغلوث)، ويلاحظ على الإبل المصابة به ظهور شيء من العصبية والهياج في سلوكها، ونزول إفرازات لعابية ورغوية من الفم، وتقلصات عضلية، وأحياناً هرش شديد، مع حك أو عض لأجزاء الجسم. وأثناء حياة الحيوان المريض، يُفرز الفيروس المسبب للمرض بكثرة في اللعاب والدموع. وتتم الوقاية من هذا المرض بقتل الكلاب الضالة، وتحصين (تطعيم) الكلاب المستأنسة باللقاحات والتخلص من الحيوانات المصابة بقتلها ودفنها في حفر عميقة.

الدرأ: درأ البعير ورم حلقه من الغدة، وهو طاعون الإبل. ويسمى في البادية الريشه. يعالج بكي على المنخر على شكل قلاده.

السرو (الهريشة): هذا المرض تسببه يرقات ذباب النغف وهي يرقات كبيرة قد يصل طولها إلى ٣,٥سم، وهي ذات أشواك في حلقات على طول جسمها، توجد في أنف البعير وتسبب له عطاساً والتهاباً في الأغشية الأنفية والبلعوم وضيقاً في التنفس، وهزالاً وفقر دم في الحالات الحادة. وتنتج الإصابة بهذا المرض عن وجود ذبابة النغف التي تنشط خلال الصيف، حيث يشاهد الذباب بكثرة وهو يحوم حول أنف البعير ليضع بيضه داخل التجويف الأنفي لتبدأ دورة الحياة (نمو الذباب) حيث إن كل ذبابة يمكن أن تضع ٥٠٠ بيضة. ويكافح المرض بمكافحة الذباب أولاً، مع تقطير بعض المطهرات المستخدمة لهذا الغرض في أنف البعير. ولا يعتبر هذا المرض



النغف الأنفي



مرضاً خطيراً بحد ذاته، ولكن وجوده بشكل وباء يضعف من إنتاجية الحيوان على المدى البعيد.

وقد ورد في بعض أشعار العرب ذكر لذبابة تقع في أنف البعير فيشمخ (يرفع) لها بأنفه، واسم هذه الذبابة (الخنزوانة) فاستعير سلوك البعير عندما تقع في أنفه هذه الذبابة فتقول العرب «بفلان خنزوانة»؛ قال أبو الطيب المتنبي:

شديد الخنزوانة لا يبالي
أصاب إذا تنمر أم أصيبا

كذلك ورد ذكر للذباب الأزرق، الذي يعتقدون أنه يهلك الإبل؛ قال ذو الرمة:

وأجمال مي إذ يقربن بعدما
وخطن بذبان المصيف الأزارق

والنغف دود يسقط من أنف الإبل واحدته نغفة ويقولون: رأيت النغف يسقط من أنف البعير أي ذلك الدود الأبيض، ويكون النغف في غالبية الإبل وخاصة الهزلى منها. ويعتقد بعض الناس أنه لولا وجود هذه الديدان في رأس البعير لما قدر الإنسان على تسخيره وترويضه واستخدامه. وعند الدعاء على الشخص يقولون «أعطاك الله النغفة أو النغيفة» أي مثل تلك الديدان التي تسقط من أنف البعير (السويداء ١٤٠٧: نغف).

الشحطة: داء يأخذ الإبل في صدورها فلا تكاد تنجو منه.

الطَّنى: لزوق (التصاق) الرئة بالأضلاع.

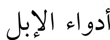
النحاب: هو السعال، ويسمى الحشر، وقد يكون من غير مرض.

النحاز: ويسمى الدعك، من أمراض الإبل يأخذها في صدورها كالسعال، ويسمى في البادية النحاز؛ قال أبو الطيب المتنبي:

وأطاعتهم الجيوش وهيبوا
فكلام الورى لهم كالنحاز

فالنحاز داء يصيب الإبل في الرئة فتظل تسعل منه بصوت قوي كدق المنحاز (الهاون، النجر) وكان في الماضي يعالج بالكي وجعل البعير يسير معظم الوقت. (الحبردي ١٤٠٩: ١٢٣-١٢٤).

وجاء في كتاب الإبل للشراري عن النحاز أنه يشبه ما يسميه العامة الشربة التي تصيب الإنسان، وهذا المرض تقع الإبل منه منحوزة. وتعالج منه بالبصل والفلفل وتكوى على جهة قلبها مطارق يميناً ويساراً، وقد تشفى خلال ثلاثة أسابيع. ويذكر بعضهم أنهم يعالجونها بتخفيف سقي الماء عنها ثم يتم طردها (إركاضها) وإتعابها لتكح وتخف بعد ذلك.

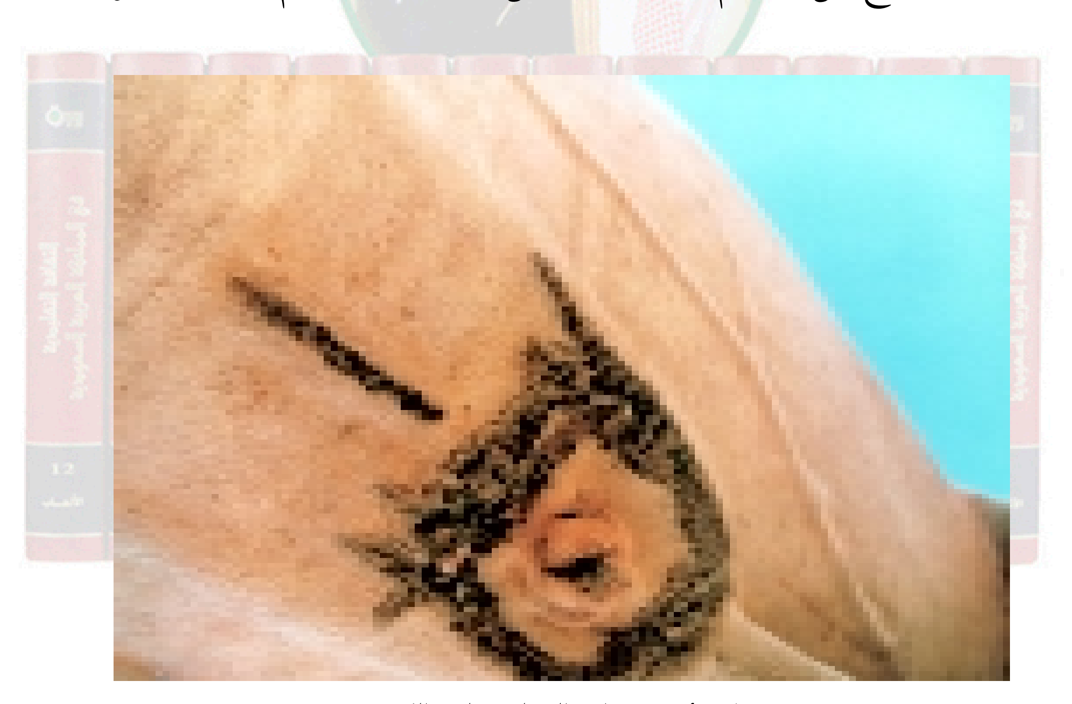



ومن كلامهم «يقح (يكح) تقل منحوز». ويذكرون أنه إذا أصاب النحاز البعير فلن يصيبه مرة أخرى، وبعض الإبل تصاب بقرنة بصدورها أي بجزء من رئتها للمرة الأولى، ويقال «أصيبت بقرنة وسلمت» أي أن المرض أصابها خفيفاً، وإذا ضرب المرض بالقرنتين (فصي الرئة) فهو مرض ثقيل على البعير ويكون خطيراً. والنحائز هي الإبل المضروبة (المصابة)، من النحز وهو الضرب والدفع واحدتها نحيزة، والنواحز: التي بها نحاز فتكوى في جنوبها وأصول أعناقها فتشفى. وقيل النحاز سعال ينتج عن تضخم الطحال، وفي المثل «جاه نحازه وذبابة» (١٤١٢: ٢٦٦-٢٦٧).

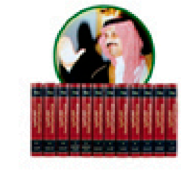
النحط: داء يصيب الإبل في صدورها وهو شبه الزفير، ولعله النحاز.

الدمامل والأورام

أبو ضربان: ورم على شكل دمل ينبت تلقائياً في مواقع مختلفة بين الزور والمنكب بأعلى العضد، وليس له علاج. كما أنهم لا يذبحون البعير المصاب بهذا المرض، وهو مرض مُعْد يصيب صغار الإبل، وينتقل من حوارٍ إلى حوار. ومن أعراضه ظلع الحوار من يده أو رجله ثم يضعف ويموت.



علاج أبو ضربان بالتحليق عليه بالكي



وهناك من يقوم بشقه وتنظيفه، ومنهم من يحلِّق عليه بالنار.

الحبط: الانتفاخ من داء، وقد يكون ورماً في الضرع أو ورماً في الجلد.

الحبن: جمعه حبون، وهو عبارة عن أورام كالدمامل تصيب العين. ومن دعاء العامة «ياmال الحبن».

الضب: قد يكون ورماً أو ورمين بين الجلد والبطن بحجم كف اليد أو أكبر قليلاً، وعلاجه الكي بمطرقين على الورم أو شقه براس سيخ مدبب محمى في النار.

الظبطه: دمل حول دغدغ البعير يؤثر في سيره ويضلع بسببه، ومنه سميت الناقة (الظبطاء).

العرن: شبيه بالبثر يخرج في أعناق الإبل وتحتك منه، ويسمى في البادية الغرن.

اللخة: غدة تبرز تحت الأذن، وفيها قولهم «يامال اللخه»، ويسمى في البادية ناجمة.

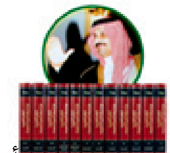
النويرة (النعيتة، العنية): يسبب هذا المرضَ أنواعٌ مختلفة من الميكروبات (الجراثيم) ويكثر في الإبل التي تربى داخل الحظائر، ويعتقد أن له علاقة بنقصان ملح الطعام في غذاء الإبل. ويظهر هذا المرض على هيئة قروح وأورام صلبة، ومؤلمة



مرض النويرة

خاصة في الرقبة والقوائم الخلفية وأحياناً في الظهر والسنام. ويلاحظ أن الإبل تعض أو تحك هذه الأورام مما يؤدي إلى تقرحها وامتلائها بالصديد، إضافة إلى انسلاخ الجلد، وأحياناً ظهور نواسير جلدية. وتنتشر عدوى المرض عن طريق الهواء والمعدات (الأدوات، الأغراض) الملوثة بالميكروبات، كما أن الجروح الناتجة من السروج والأربطة تساعد على سرعة الإصابة.

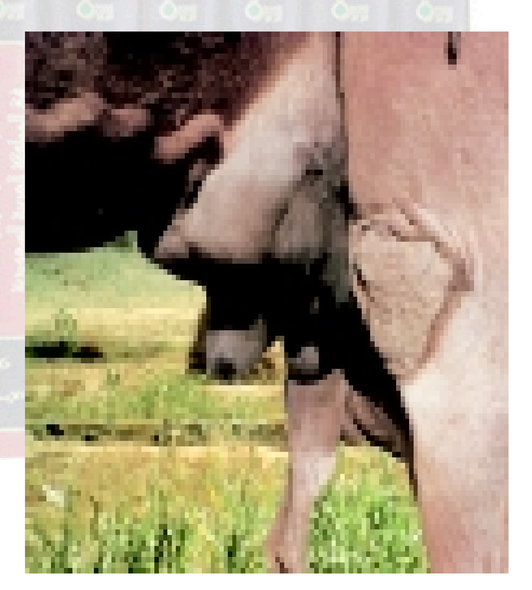
ويعالج بالودك أو سمن الإبل والمضادات الحيوية عن طريق الحقن، وتنظيف القروح وغسلها بمحاليل مطهرة، وتستعمل بعض الأحيان لبخات ملح الطعام للعلاج. وللوقاية من هذا المرض ينصح بالنظافة واتباع طرق الرعاية والعناية الصحية السليمة.



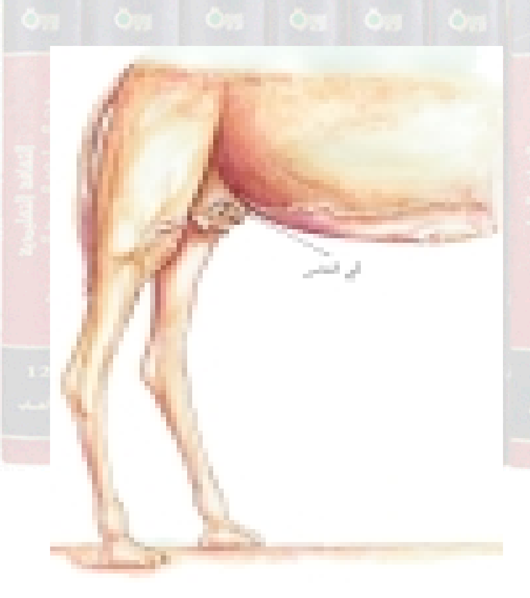
أمراض أخرى

التهاب الضرع (النزر): مرض شائع في النوق تسببه غالباً بكتيريا التهاب الضرع، وقد يصيب جانباً من الضرع أو جميع الضرع. وينتقل هذا المرض عن طريق الأيدي الملوثة، أثناء الحلب، وكذلك الأدوات الملوثة المستخدمة للحليب، وعن طريق الجروح والذباب أحياناً. وفي الحالات الحادة من المرض يكون الجانب المصاب في الضرع متورماً وساخناً ومؤلماً، كما يلاحظ تغير لون الحليب مع احتوائه على رواسب وأحيانا على دم. وللوقاية من هذا المرض يجب مراعاة النظافة أثناء الحلب، وغسل الأيدي والأدوات قبل الحلابة، مع مكافحة الذباب. أما الحيوانات المريضة فتعالج بحقن الضرع بالمضادات الحيوية. ولالتهاب الضرع ثلاثة أسماء لثلاثة ألوان من الالتهابات هي: النزر والنداس والوريم.

والنزر، ويسمى أيضًا الذية، لا تسلم الناقة منه إن أصابها، وغالباً ما يقضي عليها بعد يومين أو ثلاثة، ولا علاج له عند البادية. ومكانه عادة أعلا مواخير الناقة، فتتكون ورمة ليست بالكبيرة، سوداء اللون أو حمراء قانية، وترتفع حرارة الدبر. والنداس يصيب الخلف (الديد أو الضرع) وهو يعدي فينتقل إلى الأخلاف الأخرى، وتعالجه البادية بالكي بالنار، وذلك بالتحليق



التهاب الضرع



كي النداس، تحليق على الخلف (الضرع)



على جميع منطقة المرض سواءً كان في الديد أو جزء منه. وأما الوريم: فقد يصيب شقاً من ضرع الناقة، وقد يصيب الضرع كله، فينتفخ وترتفع حرارة الناقة، ولكنه لا ضرر منه، ويعالجونه برشه بالماء لخفض درجة حرارته أو دهنه بعبس الناقة.

التَرَمُّث: والترمث في حقيقته عارض من الأعراض التي تصيب الإبل، وليس مرضاً بمعنى المرض والداء، وإنما هو جوع فإذا أكلت الإبل أي نوع آخر غير الرمث انتهت أعراض الترمث التي من أظهرها أن تدمع العين.

التسمم الدموي: مرض بكتيري حاد تسببه جرثومة البكتريا وتصاحبه حمى عالية، وسعال (كحة) وضيق تنفس وزيادة في عدد ضربات القلب، مع تورم في الحلق والرقبة، قد يمتد إلى الكتف والقوائم الأمامية. وتحدث الإصابة بهذا المرض بالعدوى، خاصة في حالة الإجهاد وبرودة الجو، وتموت الإبل خلال أيام من الإصابة الحادة به، التي تتميز بالأورام الموضعية، والتهاب الأمعاء والصدر، مع نزول إفرازات من الأنف وسعال، كما يُصاب البعير بإسهال (هرار) أسود كريه الرائحة، وتجهض النياق العشار.

ويكافح هذا المرض بعدم إجهاد الإبل بالنقل لمسافات طويلة، وعزل الإبل المصابة، وتطهير أماكنها وحرق بعرها (دمنها) وإجراء التحصين للقطيع في حالة ظهور الوباء فجأة، مع استخدام السلفا والمضادات الحيوية اللازمة للشفاء من هذا المرض.

الثفن: وهو مرض يصيب الثفنة ويعالج بالكي.

الثّوى: وهو ضعف وهزال شديد يصيب الإبل فيجعلها غير قادرة على القيام والحركة، ويعلفونها في هذه الحالة شجر القتاد فتسمن عليه. والثوى ليس مرضاً بل جوع، فإذا وجدت الإبل ما تأكله صح حالها.

الجعام: مرض غذائي من أمراض الإبل المشهورة. ومرض الجعام مضرب المثل عند البدو في الدعاء على الإبل، ومنه قولهم «جعام كبود» وذلك لتأثيره على الكبد.

الحقوة: تقطيع يأخذ الإبل من النحاز يتقطع له البطن، ولا علاج له.

الحلقة: من أدواء الإبل وهو وجع في البطن.

الحمى المالطية: الحمى المالطية أو الإجهاض الساري أو الإجهاض المعدي مرض بكتيري، يصيب جميع



الحيوانات بما فيها الإبل، وهو مرض مُعْد للإنسان، وتأثيره قد يستمر، فقد أكدً بعض الأطباء من خلال البحث والتجربة، أن ميكروب الحمى المالطية يكمن في جسم الإنسان المصاب به حتى وأن شفي من المرض، حيث تعاوده الحمى مرة أخرى بعد عام وفي الموعد الذي حمل فيه المريض ميكروب الحمى. وينتقل الميكروب عن طريق الفم ثم عن طريق الدم إلى أنسجة الجسم متجها لرحم أنثى الحيوان عند حدوث الحمل. ويتكاثر بالمشيمة (الحبل السري) فيتلفها مسبباً إجهاضها. ويكثر الميكروب في إفرازات الولادة والمشيمة والأجنة المجهضة (المرمية) مما يلوث البيئة. ويتركز الميكروب بعد الإجهاض في الضرع، ويصبح الحيوان حاملاً للمرض، ويُفْرز الميكروب (الجرثوم) باستمرار في الحليب. وللوقاية من هذا المرض تفحص سلامة الإبل مع اختبارها دورياً. كما يبستر حليب النوق قبل استخدامه من قبل الإنسان. إضافة لذلك يجب إتلاف مخلفات الإبل المصابة بدفنها أو حرقها.

الحمى المجهولة: تسبب هذا المرض ميكروبات دقيقة تحملها الحيوانات الجرابية والقوارض والطيور البرية، وهو مرض معد للإنسان. وقد وجدت إصابات الحًمى المجهولة في الإبل في بعض الأقطار، مما يدعو للاعتقاد بأن الإبل نفسها هي مصدر العدوى للإنسان. ولا تظهر على الحيوانات المصابة بالمرض أعراض مرضية معينة، ولا يمكن اكتشاف المرض إلا بواسطة اختبارات خاصة.

الدبرة: وتحدث من أثر الأحمال على الإبل، ويسمون آثار الدبر التباشير. وقد ورد في كتاب الحيوان للجاحظ أنه إذا كان في ظهر البعير دَبَرة غرزوا في سنامه إما قوادم ريش أسود وإما خرقاً سودا لتفزع الغربان منه ولا تسقط عليه. ويعالجها أهل البادية بمسح الدمن الطري عليها.

الدميه: مرض يصيب الإبل في الشوايا (الكبد وغيرها) والقلب وقد يموت البعير المصاب به، وليس له علاج.

الديدان: توجد أنواع عديدة من الديدان يتطفل أغلبها على الجهاز الهضمي للإبل، وهي تنتقل بواسطة الأعشاب والأغذية الملوثة ببيض الطفيليات أو يرقاتها. وتعالج باستخدام مواد كيماوية طاردة للدود.



الرمي (الإجهاض): هو ولادة الناقة قبل ميعادها (وِطاها)، فيقال له إعجال أو رمي، وفي الأمثال «حوار رمي»، و«ذنب رامي». ومن أسباب الرمي عندهم العطش والإجهاد في السير وكذلك إذا كانت سمينة يضايقها (يزحمها) الشحم فترمي عيالها.

الرهل (الترهيل): هو نوع من السمنة أو الرهل ويشبه الورم وليس بداء، وقد يكون الرهل من كثرة شرب الماء والرعي الوخيم، والرهل استرخاء اللحم وتورمه إذا كانت الناقة كثيرة الوقوف وقليلة المشي، ويسمى في البادية الرخيهْ. ويصيب الإبل المحجوزة القليلة الحركة.

السرر: داء يأخذ الإبل في السرة، وليس له علاج.

الشدق: مرض من أمراض الإبل ومن أعراضه أن البعير لا يستطيع إرجاع الجرة إذا تجرر بها، وكانوا يعالجونها بكي على ملتقى الحنك مع الرأس على شكل +، ويسمى لدى البادية لزز.

الشوكة (الجنبة): مرض يصيب الإبل، ويعرف عندما تتشكل دمنة البعير فيصبح شكلها بشكل الشوكة من الناحيتين أي من الطرفين وتصبح مدببة شبيهة بالشوكة. ويعالج هذا المرض بكي البعير يميناً ويساراً أسفل عمود الظهر وفوق الكليتين.

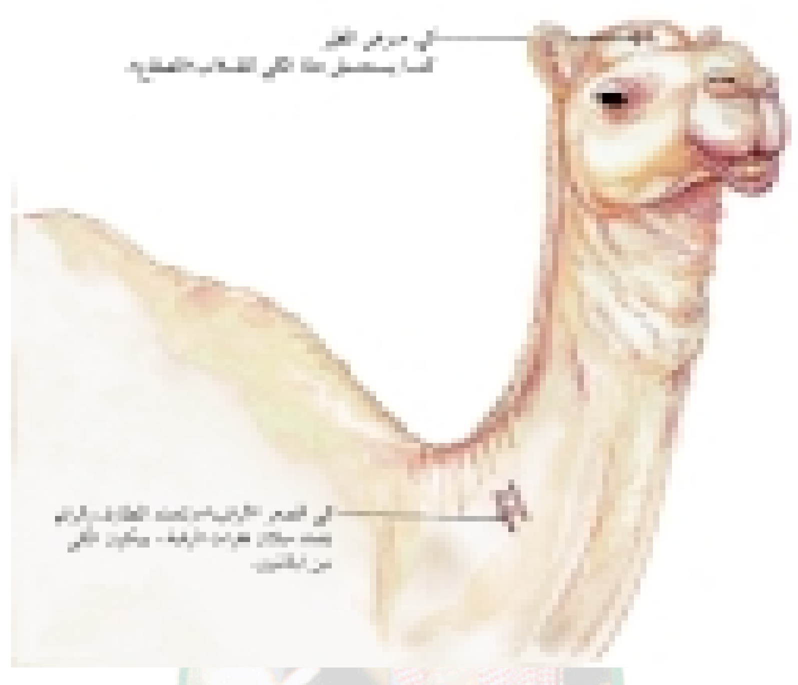
الصعر: داء يأخذ البعير فيلوي عنقه، وعلاجه كي الرقبة أربع مطارق على المنطقة التي يبدأ منها الميلان من الجهتين، ويسمى الرقب والصَّيَد، ويقال جمل أصيد إذا كان في عنقه اعوجاج من داء به، ويقال عكس البعير رأسه إذا عطف؛ قال أبو الطيب المتنبي:

وشامخ من الجبال أقود
فرد كيافوخ البعير الأصيد

الضواه: مرض يصيب البعير في رأسه أو في صدغه ويكون من نزيف في الأذن أو دمل. وعلاجها الكي على العلباء، ويسمى في البادية الصداغ.

الطير: مرض أكثر ما يصيب رأس البعير فيأخذ بنفضه يميناً وشمالاً وكأنه يحاول إزالة ذلك الألم من رأسه، ويصاب بارتعاش ورفيف في أجزاء من جسمه، وهذا المرض تتوارثه الإبل وقد يكون التهاب السحايا بالدماغ. ويعالج بفصد (قطع أو جرح) عرق أمام العينين. وبعضهم يعالجه بالكي في الرأس ومطرقين على الأوراك، وهناك من يضع عرقاة على الهامة. (الحبردي ١٤٠٩: ١٢٥).



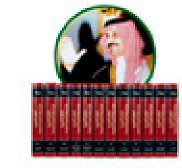


كي مرض الطير، وكي الصّعر

العطاش: مرض يشاهد في الحيوانات المذبوحة، ويكون في شكل أكياس مائية تكثر على الكبد والرئتين، ويمكن أن توجد في مختلف الأعضاء الأخرى. وقد يصيب هذا المرض الإنسان، وتحدث إصابته في كثير من المواضع كالعظام والدماغ والعيون. والأكياس المائية متفاوتة الحجم وتحتوي على سائل ورؤوس طفيلية، كل واحد منها يمكن أن ينمو إلى دودة شريطية كاملة. وينتشر هذا المرض عن طريق المراعي الملوثة بجعر الكلاب، الذي يحتوي على بيض الطفيل؛ فعندما يبتلع الإنسان أو الحيوانات آكلة الأعشاب هذا البيض فإنه يفقس في الأمعاء، وتخرج منه أجنة صغيرة تخترق جدار الأمعاء، وتنتقل بواسطة الدم إلى مختلف المواضع في الجسم مكونة الأكياس المائية. وللوقاية من هذا المرض يمنع الذبح خارج المسالخ، وعدم تمكين الكلاب من



مرض العطاش (العطشة)



الوصول إلى مخلفات الحيوانات المصابة بهذه الأكياس، مع قتل الكلاب المصابة وعلاج الكلاب المستأنسة.

الغدة (الطاعون): ورد في كتاب الإبل للشراري أن الغدة طاعون الإبل يصيبها في بطونها فتموت منه، ويقولون للدعاء على الإنسان «عطاك الله الغده»؛ فهي داء يصيب الإبل في لهازمها ومراق بطونها ويظهر لها حجم على هيئة الخُرَّاج، فيقال: درأت الغدة إذا ظهرت واستبان حجمها، وبعير دارىء. ويعتقدون أنه لا علاج لمرض الغدة، ويقال للإبل المريضة «كأنهن كبد مغدود» (١٤١٢: ٢٦٤-٢٦٥). وقالت العرب في أمثالها «غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية» ويروى «أغدة وموتا»، ويقال «أغد البعير» إذا صار ذا غدة وهي طاعونه؛ قال مزرد بن ضرار:

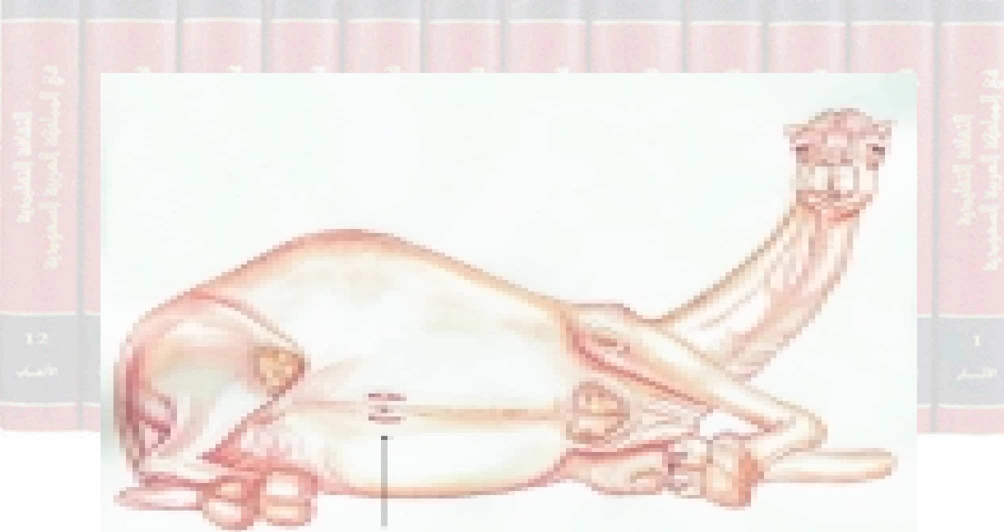
فيا آل ثوب إنما ذود خالد
كنار اللظى لا خير في ذود خالد

بهن دروء من نحاز وغدة
لها ذربان كالثدي النواهد

جَربْنَ فما يهنأن إلا بغلقة
عطين وأبوال النساء القواعد

الدروء جمع درء وهو النتوء، والذربان جمع ذربة وهي رأس الخُرَّاج. وذكر الشاعر هنا ثلاثة أمراض تصيب الإبل هي النحاز والغدة والجرب.

الفتاق: يأخذ الإبل بين ضرعها وسرتها ويكوى بمطرق على منطقة الفتاق، وقد لا يكوى لأنه يزول بعد فترة ويسمى في البادية البعج.



كي الفتاق



الفشه: وجع ببطن البعير من كلأ يستوخمه أو من كلأ يكثر من أكله فتنتفخ منه بطنه فلا يخرج منه شيء (لا يدمن)، وقد يتسبب الانتفاخ في تمدد كرش الدابة، وقد يبطونها (ينخزونها) من القويعر لتظهر بعض الغازات المسببة للانتفاخ.

القراد: ليس القراد مرضاً، بل هو حشرة طفيلية خارجية تتطفل على جسم البعير، خصوصاً في المناطق الرطبة واللينة منه (مراق اللحم) مثل منطقة الذنب والحياء والضرع وفي أرفاغ الإبل وآباطها وقرب آذانها وبنقرة خلف العين وغير ذلك من الأماكن الرقيقة. وقد يوجد القراد في بعض الأحيان داخل أذن البعير. وتكثر أعداد القراد في فصل الربيع، وينتقل من جمل لآخر بسهولة لقدرته على الحركة، ويسبب القراد دمامل وهرشاً وجروحاً بسبب امتصاصه لدم البعير، وقد يسبب فقر الدم وموت الإبل، وقد يصيب الإبل بالشلل المعروف بشلل القراد. وللوقاية منه ترش الإبل بمبيدات الطفيليات المعروفة. والقراد حشرة مؤذية للإبل وغيرها، ولها ثلاثة أطوار؛ الطور الأول الحَاس ويخرج من الحَلَمْ صغاراً بمقدار حب الخردل أو أصغر، لونه أحمر. والطور الثاني القراد، حيث يخرج بأعداد كثيرة ويغشى الإبل فيعلق بها ويعضها ويمتص من دمها حتى يكبر فيكون في حجم حبة العدس وأكبر قليلاً ويكون لونه بنياً فيصير قراداً. والطور الثالث الحلمه، حيث يكبر فيصير حلمة بقدر حبة الزيتون وأكبر قليلاً، ويطلق عليه في بعض المناطق حمنانه، ويتغير لونه من البني إلى الأشهب، ثم تسقط الحلمة في مبارك الإبل ويتكون منها الحاس مرة أخرى. وتكثر القردان في البعير الهزيل أكثر منها في السمين وتؤذي البعير وتثيره من مبركه. (السويداء ١٤١٢). قال الشاعر عبيد بن علي الرشيد:

يامسندي ما حرّكوا طبلة الراس
وعندك خبر يقزي البعير القراد

وقال جلوي بن منصور التبيناوي:

ياحلو ترك الشين وابداك للزين
بس القراد أقزا البعير بحساسه

قالت العرب في أمثالها «أثبت من قراد» لأنه يلازم جسد البعير فلا يفارقه، وقالت أيضاً «هو مكان القراد من إست البعير»، وقالوا «القراد عدوى» و«قرده حتى أمكنه» ويقولون «أمهات القرد» يريدون أمهات القردان وهي النقر (الحفر) التي في رأس البعير لأن القردان تجتمع بها؛ يقول ذو الرمة:

رمى أمهات القرد لذع من السفا
وأحصد من قريانه الزهر النضر

القروح: هو مرض العر، وهو قروح تخرج بمشافر الإبل (شفاهها،



براطمها) فتأخذ العرب جملاً سليماً وتكويه بين أيدي الإبل المريضة بحيث تنظر إليه فتبرأ (تطيب) كلها كما يزعمون. يقول النابغة الذبياني في بيت أصبح مثلاً:

لحملّتني ذنب امرئ وتركته
كذي العر يكوى غيره وهو راتع

وقالت العرب أيضاً في أمثالها «من أبعد أدوائها تكوى الإبل».

القلاب: داء يأخذ الإبل في رؤوسها فيقلبها إلى فوق، ويسمى في البادية صقاعْ.

الكزاز: داء يصيب البعير في عنقه، وعلاجه الكي بمطرقين على الرقبة.

الكلبة: مرض خطير على الإبل، خصوصاً النُّوق، فقد يتسبب في موتها. وأهم أعراضه خروج الدم مختلطاً مع بول الناقة، ويعالج هذا المرض بالكي فوق الظهر من الخلف وفوق الكليتين وقد تكون هي الجنبة.

الكلع: انشقاق فرسن البعير.

اللهد: البعير اللهيد والملهود الذي أصاب جنبه ضغطة من حمل ثقيل فأورثه داء أفسد رئته، قالت الشاعرة ترفة السليطية الشمرية:

يابو فهد واعلة بي لهيده
لو هي ببلهانٍ جزع ما يشدي

المطلب: هو البرد يصيب الحيران على بطونها في الشمال وعلاجه عندهم الكي.

المغلة: من أدواء الإبل إذا أكلت البقل (العشب) مع التراب. ويسمى وخام ويزول بأكلها الحمض أو الملح.

الميقعة: داء يصيب الفصيل كالحصبة لا يقوم منه.

الناسور: العرق الغبر (المدجي) الذي لاينقطع، وهو عرق في باطنه فساد (مرض) فكلما برأ (طاب) أعلاه رجع غبرا فاسدا، ويقولون «أصابه غبر في عرقه».

الناكت: قرح يصاب به البعير في باطن الذراع (حرف الرجل)، أما البعير الأَسَرّ عند العرب فإنه الذي يكون في سرته داء فيتجافى إذا برك على الأرض الصلبة. قال الأخطل:

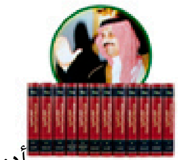
هل تدنينك من أروى مقتلة
لا ناكتٌ يشتكى منها ولا زور

ويقول معديكرب بن الحارث:

إن جنبي عن الفراش لناب
كتجافي الأسَرِّ فوق الظِّراب

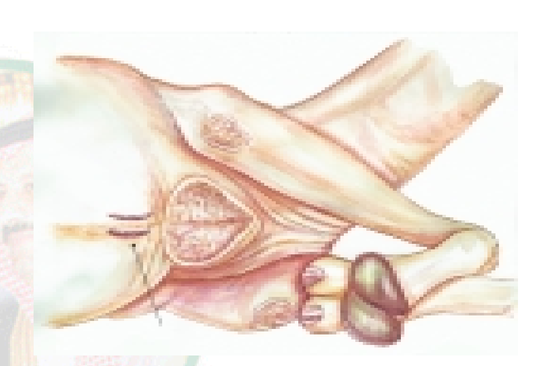
بعير أسر: إذا كان في سرته داء فيتجافى إذا برك، والظراب جمع ظرب وهو ما نتأ من الحجارة.

النفه: هو مرض مفاجىء ومميت يشبه السكتة القلبية، يصيب الإبل أيام



الخريف وفي نهاية الصيف مع دخول الوسم.

الهدد أو الفضخ: مرض يصيب المطية السمينة التي لم تركب منذ فترة ثم ركبت وأجبرت على الجري بسرعة مما يؤدي إلى آلام شديدة في عضلاتـها وتعالج بالكي بمطرقين في البطن مما يلي السعدانة.



كي الهدد أو الفضخ

الهرار: هو الإسهال الذي يصيب الإبل وقد يصيب المخاليل، وقد يكون سبب بعضه من رعي بعض نباتات الحمض. ويقال: هرت الإبل إذا أكثرت من أكل الحمض، وبعير مهرور أصابه الهرار.

الهيام: هناك مرضان يصيبان الإبل ويطلق عليهما اسم الهيام، وهما مرض جرثومي مستعص، ومرض يسبب العطش والحمى. أما الأولُ فالهيام (مرض الذبابة) الذي يسببه طفيلي صغير الحجم يمكن مشاهدته تحت المجهر. ويظهر هذا المرض في فصلي الربيع والصيف، ويوجد غالباً في شكل مزمن (مستعصي) أو تحت حاد. وقد يستمر المرض لفترة طويلة، تصل إلى ثلاث سنوات، تصاب خلالها الإبل بالهزال والإسهال وفقد الشهية وفقر الدم وشحوب الأجفان وخشونة الجلد وانخفاض الخصوبة أو إنتاج اللبن. وقد تصاب باليرقان (الصفار) وأحياناً تدمم (نزول الدم) مع البول مما يسبب موت الحيوان. وتتم الإصابة بهذا المرض بالعدوى الناتجة عن انتقال الطفيلي (الجرثوم) إلى بعير سليم بواسطة الحشرات الماصة للدم الحاملة للطفيلي، كبعض أنواع الذباب والبعوض. ويعالج هذا المرض بالرعاية الصحية والتغذية الجيدة وضرورة توافر الظل للإبل المصابة وكذلك الماء البارد، وإبعادها عن المناطق التي يتكاثر فيها الذباب والبعوض مع إعطائها الأدوية المستخدمة لعلاج هذا المرض، وتعالجه البادية بشدّ كيس محشو بالملح بين جلد الناقة ولحمها عند البطن، وقد تعيش الناقة بعد إصابتها بالمرض لمدة خمس سنوات.

ويقال «إبل هيام» أي عطشى، و«إبل هيماء» أي مصابة بالهيام، و«بعير مهيوم» مصاب بالهيام. قال أمية بن الأسكر:

تكنفها الهيام وأخرجوها
فما تأوي إلى إبل صحاح



وقال ذو الرمة:

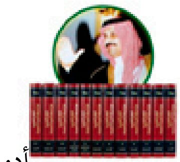
كـأنـني من هــوى خـرقاء مـطـرف
دامـي الأظل بـعيـد السـأو مهـيوم

أما النوع الثاني من الـهيام فقد ذكر الشراري أنه مرض يأخذ الإبل مثل الحمى ولذلك عـرف بحمى الإبل، وقـيل إنه جنون يصيب الإبل فيهلكها في الموضع المهيم الوبئ الذي تكون فيه نقوع ساكنة (راكدة)، ولذلك قال أهل الأخبار: إن الهيام يحدث من ماء تشربه الإبل مستنقعاً (راكداً)، وعن شرب النجل (المياه الراكدة) إذا كثر طحلبه واكتـنفه الذبان، وبتهامة مياه من هذا النوع. وقيل الهيام داء يأخذ الإبل من أكلها الكلأ وعلـيه الندى قبل أن تطلع الشمس، فيصيبها على ذلك أن تسخن جلودها وتلقي روثها فلا تعتلف ولا تشرب الماء (٩٠٤١: ٢٦٣-٢٦٤). قالـت العرب في أمـثالها «أشـرب من الهيم»، وأهيـم وهيماء من الهيام وهــو أشد العطش، قال تعالى ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ (سورة الواقعة: ٥٥).

العلاجات

للحيوانات أمراضها الخاصة، ولكنها قليلة مقارنة بأمراض الإنسان. والسبب في ذلك أن الحيوانات تتـغذى فقط بالنباتات والماء، والنباتات فيها غذاء ودواء. فالحيوانات تنتقل من مكان إلى آخر، فتـأكل من هنا عشبة، ومن هناك أخرى فتخرج بحصيلة وافرة مــن مختلـف الأعشاب فــي اليوم الواحد، مما يقيـها من الإصابة بكثير من الأمراض. ولكن كثيراً ما تصاب الحيوانات ببعض الطفيليات الخارجية، التي تعيش على جلدها وتمتص دماءها، مثل الحلم والشذاة والقراد والحشرات والبراغيث. والأساليب المتبعة في علاج الحيوانات هي أساليب الطب الشعبي نفسها المتبعة في علاج الإنسان، من حيث اعـتمادها على الـكي، والمنتجات الطبيعية، مثل الأعشاب.

الكـي. يستـخدم الكـيُّ في علاج العديد من أمراض الإبل، فعندما يصيب الإبل داء الكبد، وهو يؤدي إلى هزالها وضمورها، يعالج هذا المـرض بالكي، عند الـضلع القصـير، بمطرق واحدة. وبعض الناس يكويها في الجهة اليسرى من مؤخرة البطن، وهذه الطريقة معروفة في أغلب مناطق المملكة. أما الغش فهو مرض أكثر ما يصيب الإبل، ويقـال إن سببه رعي الإبل عشباً مبتلاً بالطل، وعليه طبقة من الغبار، فتمتنع عن الأكل وتعتل صحـتها. ويعـالج هذا المـرض بسقي الحيوان السمن والملح، وكـذلك يُصبّان في أنفه، ثم يكوى بعد ذلك على البطن بأربـع مطارق بشـكل عرضـي، وهذه



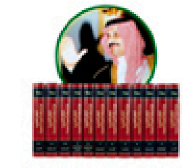
الطريقة متبعة في الشمال. ويسمى البعير المصاب بالإسهال منخور ولعلاجه يكوى في فخذيه من الخلف، كيّة واحدةً على كل جنب، وكيّة أخرى فوق الذيل.

ويصيب الجمل في أحد جنبيه داء الفتاق، ويكتشفه صاحبه عندما يراه يميل على الجانب المصاب عندما يبرك على الأرض، ويمكن أن يكون الفتق تحت إبطه. ويقال إن سببه الحمل الثقيل، أو شدة الركض، أو سقوط الحيوان في هوة أو بئر. ويعالج بالكي حيث يكوى مطرقاً على كل جنب، في موقع العرق الذي يقع خلف الكتف تماماً، ويُمَيَّل، أي يكون قريباً، من الجهة المتجهة للأرض، وهذه الطريقة معروفة في جميع مناطق المملكة. كما يصيب الإبل داء الكلبة، حيث يتوقف الحيوان المصاب عن الأكل وعن الحركة، ويبرك على الأرض، ويحرك رجليه من شدة الألم، ويقشعر جسمه ويرتعش. ويعالج بكيِّه ثلاث مطارق، على جانبي البطن من أسفل عند الفخذ. وهذه الطريقة معروفة في مناطق شمال المملكة وشرقها. ويصيب النياق مرض الكهل، وهو تمزق يحدث في الصدر نتيجة للركض السريع، وقد يحدث أيضاً للإنسان. وعلاج هذا المرض الكي على جانبي الصدر على شكل عرقاة وهي علامة الزائد +. وهذه الطريقة معروفة في جنوب المملكة وغربها.

كما تصاب الإبل بالأمراض الجلدية مثل الحكة في مناطق مختلفة من الجسم، خاصة في الرقبة والجنبين، وتسمى أم النار. فيحك الحيوان جسمه أو رأسه في الشجر، وقد يتمدد على الأرض، ويتمرغ عليها لكي تخفف من آلامه. وتعالج هذه الحالة بكيٍّ الحيوان حول مناطق المرض بدوائر من المطارق. وبعض المعالجين يكوي البعير ابتداء من رأس السنام وينزل إلى البطن ويعود إلى رأس السنام مرة ثانية، على شكل دائرة حول الجسم. وهذه الطريقة مشهورة لدى أهالي تثليث وبيشة وشمال المملكة.

كما تصاب الجمال بالجذام، وهو مرض يصيب جلد البعير، ويظهر على شكل حلقات في جنبيه فيصبح منظره كريهاً. وطريقة العلاج هي الكي بعدة مطارق على كل جنب. وأحياناً تشفى بعض الإبل، وقد يستمر مرضها، ويتخلص من الحيوان المريض بالذبح، ولا يؤكل لحمه.

وتعالج الحيوانات أيضاً بالكي عندما تصاب بالخراريج، إذ يؤتى بمفتاح من الحديد أو سلك سميك نوعاً ما، ويحمى في النار حتى يحمر لونه ثم يحاط الخُرَّاج بالمكوى



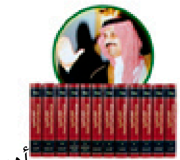
قبل أن ينضج، ثم يترك حتى يقع أو يتساقط الشعر الذي فوقه. حينئذ يؤخذ مخيط ويحمى في النار حتى يحمر لونه ثم يفقع الخُرَّاج به، فيخرج ما به من صديد؛ وهذه الطريقة متبعة في جميع أنحاء المملكة.

كما يتّعرض الرأس وأجزاؤه لبعض الأمراض؛ ومما تتعرض له النياق مرض يسمى الجفن إذ يبدأ جفن الناقة في الانسدال على عينها فيغطيها. فلا تستطيع الحركة لعدم قدرتها على الرؤية. وعلاج هذه الحالة هو الكي، حيث تكوى الناقة ثلاث رزات على رأس الحاجب. وهذه الطريقة معروفة في أغلب مناطق المملكة، وتعرف في جازان بالترفيع.

وتصاب بعض الحيوانات، خاصة الإبل، بالحراش أو الحريشاء وهي قروح تخرج في باطن الفم، فتمنعها عن الأكل. وعندما يفتح البعير فمه تبدو واضحة جداً، والحريشا أيضاً دودة رخوية تسمى نغفة تنشأ في الخياشيم إذا عطس الجمل خرجت، وليس لها أضرار. ويصيب هذا المرض الأبقار أيضاً، خصوصاً في منطقة الجنوب. وطريقة العلاج كشط تلك القروح بواسطة معالج ماهر، ثم تسقى الحيوانات مزيجاً من الروب والملح وتكوى تحت الفم مباشرة، بثلاث مطارق عرضية. وهذه الطريقة معروفة في جنوب المملكة وشمالها. كما تصاب الناقة في لسانها بمرض العرق فيجعلها لا تستطيع الأكل والشرب، وعلاجه بالكي مطرقاً بين العينين، وهذه الطريقة معروفة في شمال المملكة وشرقها.

ويصيب أنف (خشم) الناقة من الداخل مرض الخشايم، فتظهر فيه تقرحات تشبه الجرب، تؤثر عليها عند الشرب. وتعالج هذه الحالة بأن يدخل المعالج إصبعه في أنف الناقة ويحك القروح أو البثور المتراكمة في خشمها، حتى يخرج الصديد والدم، ثم يُصب في أنفها، في كل فتحة، ملح لتطهير الجروح، ثم تكوى بمطرق في كل جانب من جوانب الخشم. وتستعمل هذه الطريقة في جميع مناطق المملكة. أما الفطاس فهو مرض يصيب أنوف الإبل من الداخل فيؤلمها كثيراً، ويلاحظ على شكل انتفاخ في عرق الأنف يعالج بإدخال الإصبع في الأنف حتى يخرج الدم. ثم يسقى الحيوان ماء الحناء والليمون حتى تنخفض حرارته. ويمكن علاج هذا المرض بالكيّ، مطرقين أمام العين على كل جانب من جانبي الأنف، وتستعمل هذه الطريقة بكثرة في وسط نجد وفي الشمال.

وقد تصاب الإبل في أزوارها بالذبحة، فيؤدي ذلك إلى ضعف صوتها مع بحة،



وينتفخ اللسان ويخرج الزبد من الفم. وقد يموت الحيوان إذا لم يعالج بالكي، ويكون على هيئة عدة مطارق على مذبحه، أي نحره، على شكل نصف دائرة، تتدلى من محيطها ثلاث مطارق. وهذه الطريقة معروفة في شمال المملكة وشرقها.

وعندما يفقد البعير بصره، يكوى بمطرق واحدة تحت العين. وهذا العلاج متبع في المنطقة الشرقية وفي شمال المملكة، أما في المنطقة الجنوبية فيكوى مطرقين تحت العين، ومطرقين خلف الأذن، ويعطى يومياً في الصباح رشاداً منقوعاً، حتى يعود إليه بصره.

وقد تصاب الإبل السمينة بمرض القطع في حنجرتها. وهو مرض سببه تعب الإبل من الركوب. وعلاج هذا المرض، كي الحيوان بمطرقين؛ مطرق على عكرة الذيل (نقطة التقاء الذيل بالجسم) بالعرض، ومطرق على المنحر، وهذه الطريقة معروفة في شمال المملكة وشرقها. كما تصاب الإبل في أفواهها بمرض اللغوب، ويقال إن سببه ظهور زوائد لحمية داخل الفم. وتمنع هذه الزوائد الإبل من الأكل. وعلاجها قطع تلك الزوائد على يد خبير، ثم يفرك مكانها بالملح، أو تحك الزوائد اللحمية بخرقة خشنة ثم يفرك مكانها بالقُرْط الناعم والملح، والقُرْط نبات تعلفه الدواب، فإن لم تشف، استعمل الكي، حيث تكوى في المذبح مطرقاً بالطول، ورزة واحدة تحت الأذن، وهذه الطريقة متبعة في شمال المملكة وشرقها.

أما ضعف الشهية عند الإبل فيعرف بالذيبة إذ يختلف سلوكها، ولعلاجه يكوى الحيوان بطول المعدة، ابتداء من منطقة الصدر حتى الثدي في الإناث، أو حتى الأعضاء التناسلية للذكور من الحيوانات.

ويصيب أرجل الإبل مرض الرقف، فلا تستطيع رفع أرجلها عند المشي بل تسحبها. وعلاجه كي الحيوان المصاب ثلاث مطارق، عند الثفنة من الخارج والداخل. أما الشافة فهي مرض يصيب أخفاف الإبل في أطرافها الأمامية والخلفية فيعيقها عن المشي، ويقال إن سببه غدة تظهر في الخف، أو دقة مسمار، أو حصاة. ولعلاجها يُطهّر مكانها بالغسل بالماء والصابون، ثم يصب فوقه الصدو (خلطة نباتية تباع لدى العطارين) بعد أن تحمى على النار، وبعد ذلك يربط الخف بصوف، ثم تكوى بمطرق واحد على الخف أو على الشافة نفسها من أعلى. وهذه الطريقة معروفة في شمال المملكة وشرقها. وتصاب أعضاد الإبل بالعضاد فيجعلها تعرج عند المشي. ويعالج هذا



المرض بالكـي مطرقين متصالـبين على رأس الكتف، وهذه الطريقة معروفة في المنطقة الشمالية وبيشة.

ومما يصيب سيقان الإبل فتنتفخ، وتفقد القدرة على السير، مرض المشش. ويقال إن سببه الركض لمسافات طويلة، والركوب المتصل. ويعالـج هذا الورم بتجميع الدم في تلك المنطقة ثم يفصـد بسكين صغيرة فيخرج الدم الفاسد. ويربط عليه بعد ذلك بشعر مبـلول بلبن الضأن، ويوضع علـى شكل لبخة، فـتضم الجرح مثل الجبس، وإذا لم ينفع ذلك، يكوى الساق المصاب بمطرقين على مكان الألم، وهذه الطريقة متبعة في شمال المملكة وشرقها.

أما الـلين فـمرض يصـيب الخـيول والجمـال والحميـر عنـد الركبـة، يشبـه الروماتزم. ويؤدي هذا المرض إلى ارتخاء أطراف أو قوائـم الحيوان فـتصبح لينـة. وعلاج هذا المرض الكي ست مطارق فوق الركبة، على كل جهـة ثلاث مطارق في اليـد الواحدة، وسـت مطارق فـي اليد الثانية؛ ثلاث مطارق على كل جهة. وهذه الطريقـة معروفة لدى قبائـل قحطان في جنوب المملكة، وفي منطقة تثليث وبيشة.

كما يقعد الوهن الإبل، فلا تستـطيع الوقوف أو المشي بسبب الضعف الشديد. وعلاجـه الكي، مـطرقين عـلى كل يـد ورجل، وهذه الطريقة معروفة في شمال المملكة.

ويصيب ظهور الإبل مرض العضال فلا تقوى عـلى النهوض من مـكانها. ويعالج بكي الحيوان المصاب على سلسلة الظـهر مطـرقين أو يكـوى أربع رزات متقابلة في منتصف الظهر. وهذه الطريقة معروفـة في شمال المـملكة وشـرقها. ويصيب إحدى فقرات رقبة البعير مرض يسمى النـقر فلا تقوى على مدهـا إلى الأمام، ولا علـى رفعها أو خـفضها. وطريـقة العلاج هـي أن تسحب رقـبة الحيوان المـصاب إلى الأرض، ويمسـك بها جيداً، ثم تكوى بعدة مطـارق على الجهتين؛ عـلى كل مفصل من فـقرات الرقبة مطرقين، أو يكون الكي على امتداد الرقبة على هيئة مطارق بالعرض، ويكوى بين كل مطرق والآخر رزة واحدة. وهذه الطريـقة معروفة في المـناطق الشمـالية والشرقية من المملكة.

وقد تتعرض الحيوانات لأمراض أخرى مثل الإبجار وهو نزيف الرحم عند الناقة بعـد الولادة. وإذا ازداد نزول الـدم فإن ذلك يسبب الضعف ويؤدي إلى النفوق. ويستعمل الكي لعلاجه؛ حيث تكوى الناقة بمطرق تحت الحياء مباشرة. ويحدث أحياناً أن تجهض الناقة أو البقرة وتسقط جنـينها



لأي سبب من الأسباب. ولعلاج هذه الحالة تُكوى تحت الحياء مقدار إصبعين، ثلاث رزات، ويعاد تلقيحها ثم تكوى مرة أخرى بعد لقاحها بشهرين، رزة واحدة تحت الحياء، بمقدار إصبعين إلى ثلاث أصابع، وذلك حتى لا تجهض مرة أخرى.

أما إذا كسرت رقبة البعير نتيجة لشدها بقوة زائدة، فلا يعرف علاج لهذا النوع من الكسور إلا الكي، حيث تكوى الرقبة من بدايتها حتى نهايتها من الجانبين. ويكون الكي مرة مطرقاً ومرة رزة بالتناوب، وقبل نهاية الرقبة بحوالي عشرين سنتيمتراً تكوى مطرقاً من تحت، وأخرى من فوق.

وتتعرض الإبل للهياج، وهو مرض يعرف بالطير، ويقال للمصابة به مطيوره. ويعد من أخطر الأمراض لأن الحيوان يجري ولا يقف، أو يحوم في جميع الاتجاهات كالمخبول، أو يحرك رأسه إلى أعلى أو إلى أسفل باستمرار. وتعالج الحيوانات المصابة بالهياج، بالكيّ في رؤوسها فوق الهامة ست مطارق متقاطعة. وبعض الناس يكوي كية واحدة تحت كل أذن، وفي وسط الرأس مطرقين صغيرتين، وآخرى فوق المشفر. وهذه الطريقة متبعة في المنطقة الشمالية من المملكة.

تجبير الكسور. تتشابه الطرق المستخدمة لتجبير كسور الحيوان، مع تلك المستخدمة للإنسان. ويستخدم المجبرون الشعبيون أدوات بسيطة مأخوذة من البيئة في عملية تثبيت الكسر؛ مثل البيض والعنزروت وورق السدر والأظفرة والملح وشعر الضأن، ويعملون منها جبيرة على القائمة المكسورة للحيوان، وتثبت بجريد النخل وتربط، وتبقى حتى يلتحم الكسر ويشفى.

وعند معالجة كسر إحدى قوائم الحيوان، فإن المجبر يجمع كمية من أوراق نبات الشث، وهو أخضر، ويدقه حتى يصير مثل العجينة، ثم يذوِّب صمغ الطلح في قليل من الماء، ثم تغمس فيه قطعة قماش حتى تبتل تماماً، ثم يوضع الشث على مكان الكسر، وتوضع فوقه قطعة القماش المبللة بالصمغ، وبعد ذلك تؤخذ قشور نبات الطلح وهي على هيئة صفائح، وتوضع فوق قطعة القماش وتربط برباط جيد وتترك حتى يشفى الكسر ويعود إلى طبيعته. وهذه الطريقة مستخدمة في جنوب المملكة.

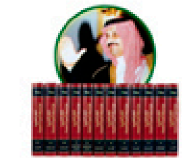
أما مصع ورك الناقة، فعلاماته أن تعرج الناقة أو تظلع في مشيتها. ويعالج بعجن رشاد مطحون ببول الناقة، ثم يوضع فوق وركها على هيئة لبخة فتشفى بإذن الله. وهذه الطريقة تستخدم في القصيم.



وسوم الإبل

الوسم تقليد عربي قديم، أقرَّه الإسلام، وتوارثه الخلف عن السلف، والعمل به سنة ثابتة عن النبي ﷺ. وكان الوسم للقبيلة كالعلم للدولة فهو شعارها الذي يميّزها عن غيرها من القبائل. ورموز الوسم يعرفها العام والخاص من أبناء القبيلة رجالاً ونساءً، وبه تُحَددُ هوية الجماعات والقبائل والقوافل والرعاة والمقابر والمراعي والديار والآبار، وسائر الممتلكات. وقد كان الوسم هو شعار السلام عند الأصدقاء، وشعار الحرب عند الأعداء؛ فطالما ترك الغزاة غنيمتهم لأن سمتها سمة الصاحب، وطالما قُتل رجال لأن سمة إبلهم سمة العدو، لهذا فإن معرفة وسوم القبائل عند البدو أمرٌ لا بدّ منه. فالوسم هويّة البدوي، به يكرم عند الأصحاب والحلفاء، أو يهان ويسلب وقد يقتل عند الخصوم والأعداء. وهو الدال على أصل المرء ونسبه، لذلك يقول البدو «وسمك أصلك» ويقولون «وسومها على خشومها» لأن القبيلة تلتزم بوسم واحد وإن تباعدت ديارها. وعند البدو فإن شكل الوسم يدل على اسم القبيلة، لهذا فإن دراسة رسوم الوسم وتبيان أشكالها عند قبائل عرب هذا الزمان قد يكشف عن أصول بطونها التي انتشرت في أنحاء متفرقة، والتي احتفظت بسمة قبيلتها الأم. ومن هنا تبرز أهمية دراسة الوسوم وإعداد جداول سمات قبائل العرب في الجزيرة العربية، وبخاصة في المملكة العربية السعودية التي ينتسب إليها كثير من قبائل العرب في بلاد الشام والعراق والديار المصرية وغيرها.

ونار الوسم من أشهر نيران العرب، ومن نيران العرب الأخرى: نار الاستمطار ونار التحالف ونار الأهبة



للحرب ونار الطرد ونار الحرس ونار السعالي ونار الأسد ونار القِرَى ونار السليم ونار الفداء. وكانوا يقولون للرجل ما نارك؟ أي: ما سمة إبلك. وذكروا أن أحد اللصوص قَرَّب إبلاً للبيع فقيل له: ما نارك، وكان قد أغار عليها من كل وجه، وإنما سُئل عن ذلك لأنهم يعرفون ميسم كل قوم وكرم إبلهم من لؤمها فقال:

يسألني الباعة أين نارها
إذ زعزعوها فسمت أبصارها
كل نجار إبلٍ نجارها
وكل دارٍ لأناسٍ دارها
وكل نار العالمين نارها

وقال آخر:

يُسقون آبالهم بالنار
والنار قد تُسقى من الأوار

يقول: لما رأوا نارها خلوا لها المنهل، فشربت لعزّ أصحابها.

والوسم علامة يخلفها أثر الكيِّ أو الحرق، بغير المكوى، أو أثر قطع أو قرم أو حز في الجلد، أو علامة في غير ذات الجسد تعلق في أذن البعير أو عنقه. وللوسم أنماط من مختلف ضروب الصور وأشكالها. والمراد به أن يُعلِّم الشيء بشيء يؤثر فيه تأثيراً واضحاً، وأصله أن يُجعل في البهيمة ليميزها عن غيرها، إلا أن ذلك يشمل غير البهائم كالديار وسائر الممتلكات. وهو العلامة التي تستخدمها القبيلة لتميز بها أنعامها وممتلكاتها عن أنعام وأملاك غيرها. والوسم لا يخرج عن طرق ثلاث؛ إما أن يكون قطعاً في الجلد، أو علامة في غير ذات الجسد، أو كية أو لذعة أو حرقاً بالنار، وهذا هو الغالب الأعَمُّ، وبغير ذلك لا تكون الأنعام أو الممتلكات موسومة كما يقول راشد الأحيوي. (مجلة العرب ١٤١٣-١٤١٤: أعداد متفرقة).

وللوسم أسماء أخرى منها: الكي والرسم والشارة. وتجرى عملية الوسم بأدوات بعضها للكي أو للقطع وبعضها للحزّ. أما الكي فإنه يتم بإحماء أداة الكي لدرجة حرارة عالية مناسبة، في الوقت الذي يتم فيه تعقيل البعير وشد وثاقه ثم يرسمون وسم القبيلة في الموضع المناسب الذي اختارته القبيلة.

والعادة أنّ العرب يَسِمُون إبلهم حينما يكون البعير في سن الفصيل، وهو المفرود؛ لأنه في تلك السن يُفطم وينفصل عن أمه، فلا يعود تابعاً لها، فيخشى عليه من الضياع فيتم وسمه بسمة صاحبه. قال ابن منظور «وفي



الحديث: لا رضاع بعد فصال، قال ابن الأثير: أي بعد أن يفصل الولد عن أمه وبه سُمي الفصيل من أولاد الإبل. قال: والفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه، ويسمى المفرود لأنه ينفرد عن أمه بعد الفطام. والفَرود من الإبل: المتنحية في المرعى والشرب» ومنه سمي المفرود لتنحيه وابتعاده عن أمه بعد الفطام أو الفصال.

ووسم الإبل قديم قدم الإبل. وقد أَقَرَّه النبي ﷺ، وثبت أنه وسم؛ فعن ابن عباس قال «رأى رسول الله ﷺ حماراً موسوم الوجه فأنكر ذلك قال: فوالله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه فأمر بحمار له فكوي في جاعرتيه، فهو أول من كوى الجاعرتين» (صحيح مسلم د.ت.: ٦: ١٦٤) وعن أنس أنه غدا إلى رسول الله ﷺ قال: فغدوت فإذا هو في الحائط وعليه خميصة جونية وهو يسم الظهر الذي قدم عليه، في الفتح. (صحيح مسلم د.ت.: ٦: ١٦٤). وقوله يسم الظهر أي يسم بعيره. ومنه حديث مسلم في كتاب اللباس عن أنس قال: دخلنا على رسول الله ﷺ في مربد يسم غنماً. (صحيح مسلم د.ت.: ٦: ١٦٤).

وفي الحديث عن أنس قال: رأيت النبي ﷺ وهو يسم إبل الصدقة (مسلم د.ت.: ٦: ١٦٤).

وقد جاء النهي من النبي ﷺ عن الوسم في الوجه، فعن جابر أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال «لعن الله الذي وسمه» (صحيح مسلم د.ت.: ٦: ١٦٣). وفي حديث جابر قال نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه (صحيح مسلم د.ت.: ٦: ١٦٣). قال ابن حجر العسقلاني «ولم أقف على تصريح بما كان مكتوباً على ميسم النبي ﷺ إلا أن الصَّبَّاغ من الشافعية نقل إجماع الصحابة على أنه يكتب في ميسم الزكاة أو الصدقة».

وقد كان البدو يَسِمون إبلهم بمياسم معروفة لديهم تختلف أشكالها ومواقعها، وهي في الأجزاء الظاهرة من أجساد الإبل؛ في الرقبة أو الخد أو إحدى اليدين أو أحد الأفخاذ، ولكل قبيلة وسم خاص، وقد يكون لكل فخذ من تلك القبيلة وسم معين، وكل خامس منهم يضيف الشاهد الذي يميز إبل القبيلة أو الفخذ بعضها عن بعض. فالوسم للقبيلة أو الفخذ من القبيلة والشاهد للخامس المنبعث من الفخذ أو لأفراد الفخذ أنفسهم.

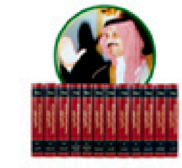




وسم حلقة ورقمة وشاهدان أعلاها، وشاهد متصل بها من أسفل (نموذج للوسم على الفخذ)

وكان الوسم خير علامة لمعرفة القبيلة أو من كان دخيلاً عليها أو في وجهها، أكّدت ذلك رواية ابن بليهد التي ذكرها في كتابه صحيح الأخبار ولخصها الجودي فذكر «أنه جاء من الحناكية سنة ١٣٣٧هـ، وليس معه خَوِي يحميه ممن يقربون لسكان تلك المناطق، فصحب عيراً قاصدة القصيم، ولما كان عند طمية متوجهاً إلى قرية مسكة جاء القبيلة وبات عندهم، ولما أصبح قال عند توجهه إنه رجل منقطع، وليس معه رفيق منهم، وليس معه إلا رفيق حضري ويخشى أن يعترضهما أحد من القبيلة التي هو ضيف عندها ليلة البارحة قبل أن يصلا مقصدهما، ولذا قدم عصاه إلى صاحب الدار الذي استضافه ليلة البارحة، وطلب منه أن يضع عليها الوسم فانطلق هو وصاحبه الحضري إلى بلدة مسكة، فلما كانا في عريق الدسم أغار عليهما مجموعة غزاة فناداهم ابن بليهد قائلاً: ليس فينا طماعة، فقال رئيسهم: إن كنتم من قبيلتنا أو في وجيه قبيلتنا فأنتم آمنون، فأتوهم، فإذا الوسم الذي كان على ركابهم هو نفس الوسم الذي وضع على العصا؛ فنجوا لأنهم في وجيه قبيلتهم» (١٩٩٥: ٤٣-٤٤).

وللوسم فوائد كثيرة يدركها العرب، وتجعلهم لا يستغنون عنه في سبيل المحافظة على أصولهم ومصالحهم وأملاكهم؛ ومن هذه الفوائد أن الوسم هو شعار القبيلة، ومظهر تميزها عن غيرها والدال على شخصيتها وسبيل معرفتها لأنه رمز أصلها. والوسم وهو وسيلة تمييز وفصل لأملاك القبيلة عن أملاك غيرها. ويُعد الوسم من النواحي العُرفية والقانونية والقضائية من وسائل إثبات الملكية عند فقدها أو ضياعها أو سلبها أو الاستيلاء عليها. كما أنه من



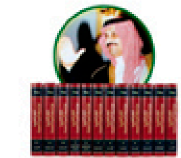
دلائل وحدة النسب وروابط القربى بين بطون القبيلة على الرغم من تباعد ديارها وتفرقها. وفوق ذلك فإنه وسيلة لحماية ممتلكات بعض القبائل العربية الضعيفة لكي لا يُعتدى عليها ولا تُسلب أموالها وأملاكها ولا تُغزى. والوسم ضرورة لا بدّ منها عند ازدياد أملاك القبائل، وتعدد بطونها، وذلك للتفريق بينها، وفي الغالب فإن القبيلة تلتزم بوسم عام واحد، تضعه جميع بطونها وأفرادها مع وضع إمارة خاصة بالبطن أو الفخذ بجانب الوسم العام الواحد.

من وسوم الإبل على الفخذ

وقد يستخدم الوسم أحياناً في تحديد حدود الديار بين القبائل لعزل ديار بعضها عن ديار بعض. وقد ينقُش على قبور موتى القبيلة ومزارات أوليائهم وجدودهم للدلالة عليها عبر الزمان (وقد ورد النهي عن الكتابة على القبور، بخلاف وضع علامة غير الكتابة). بل قد يستخدم الوسم للتأريخ لبعض الحوادث والوقائع في بادية العرب للذكرى وعدم نسيانها.

وكانت الإبل بمثابة العملة التي يتقاضى بها العرب قبل الإسلام ويقدرون بها أثمان مهورهم ودياتهم وعتادهم وخيولهم ونعمهم وسائر معاملاتهم، ولهذا كانت كل قبيلة تتخذ وسماً خاصاً لإبلها تميزها به، وهو شبيه بما تتخذه كل دولة في العصر الحديث رسماً خاصاً لنقدها. وميسم كل قبيلة يختلف عن وسم أو ميسم القبيلة الأخرى، إما لأن إبلها تنتمي لسلالة أصيلة من الإبل، وإما خوفاً من اختلاطها بهجْمات (رعايا) القبائل الأخرى.

وتحفل كتب الإبل بصحف كثيرة في سمات الإبل لكنها في الغالب لا تشير إلى أصحاب السمة، ومن هذه السمات اللحاظ وهي ميسم في مؤخر العين إلى



الأذن، وهو لبني سعد. والشعب، سمة كهيئة المحجن، وهو لبني منقر. ومنها المحلق وهو ميسم في العنق وهو حلقتان، وهو ميسم بني فزارة ذكره عوف بن الخرع التميمي في شعره فقال:

وذكرت من لبن المحلق شربة
والخيل تعدو بالصعيد بداد

(أبو سويلم ١٤٠٣ : ٣٠).

وذكر الثعالبي في كتابه فقه اللغة وأسرار العربية من سمات الإبل الدمع ويكون في مجاري الدمع، والعذر، وهو في موضع العذار، والعلاط في العنق بالعرض، والسطاع في العنق بالطول، والهنقة في منخفض العنق، والصدار في الصدر، والذِّراع في الأذرع، واليسرة في الفخذين. كما ورد في كتاب الحيوان للجاحظ قوله «قال الأولون: بل لعمري إن للإبل في السمات لأعظم المنافع، لأنها قد تشرب بسماتها ولا تذاد عن الحوض إكراماً لأربابها، وقد تضل فتؤوى، وتصاب (تؤخذ) في الهواشات (الجماعات من الإبل) فترد».

ولما كانت معظم ممتلكات الناس من بهيمة الأنعام، وهي بطبيعة الحال تتشابه في كثير من الصفات والألوان، ولا بدّ من إيجاد رمز يضعه كل إنسان على ممتلكاته، لذلك اتخذت كل قبيلة أو عمارة أو بطن أو فخذ أو فصيلة أو رهط أو أسرة علامة تضعها على مواشيها تسمى وسماً. فالوسم بمثابة السمة التجارية التي تتميز بها الشركات والمؤسسات في الوقت الحاضر، وحتى السلطة الحاكمة لها وسم خاص تضعه على ما يخصها من المواشي. ويكون الوسم إما كية بالنار بالإشارة المعينة على وسط صفح فخذ البعير أو على خده أو رقبته أو خاصرته من اليمين أو الشمال. وقد يكون الوسم بشق الأذن من الأمام أو الخلف أو قطع طرف الأذن من اليمين أو الشمال أو سرد شريحة من الجلد تبقى عالقة بمكانها (السويداء ١٤٠٣ : ٣٩٥).

والوسام ما وسم به البعير، والميسم المكواة. فيقولون: هذا البعير غفل لا وسم عليه، وذلك البعير عليه الوسم الفلاني ويقولون أيضاً: ناقة جهل أي لا سمة عليها ويطلق ذلك أيضاً على الذلول التي لم تدخل سباقاً بعد أو البكر التي لم يعرف مقدار حليبها. ويقولون أيضاً: ناقة سمط لا وسم عليها (السويداء ١٤٠٧، ج٢ : ١٠٢٥).

يلجأ العربي للوسم لتحديد ملكية جميع الأنعام وخاصة الإبل. وحفظ

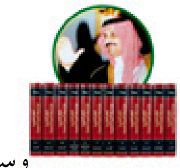


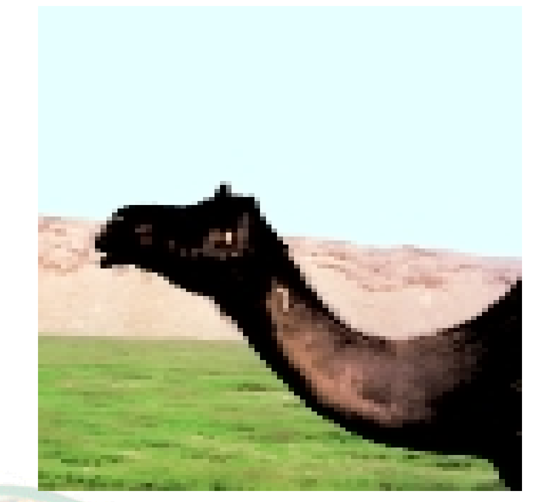
العربي هذا الوسم وأخذ يتوارثه أباً عن جد ويحرص عليه وعلى معرفته. والوسم علامة تشبه الوشم إلا أن الوشم نقش على جسم الإنسان والوسم علامة ثابتة فارقة (مُعرِّفة) على جسم الحيوان، وذلك لتحديد ملكية أي حيوان مثل الإبل والبقر والغنم، أما الخيل والبغال والحمير فإنه لا وسم لها، وأكثر ما يكون الاهتمام بوسم الإبل لأنها أكثر الحيوانات تعرضاً للضياع والنهب والذهاب بعيداً عن مقر أصحابها وموطنها بحثاً عن الكلأ.

وللوسم قواعد، ولكل قبيلة أو عشيرة وسم عام، تتفرع منه شواهد أخرى، وهذه الشواهد تحدد بدورها انتماء هذا الحيوان إلى أي فرع أو فخذ من القبيلة، يعني أن هناك وسما عاماً يحدد القبيلة أو العشيرة، ثم يتبعه وسم فرعي يحدد فرع القبيلة أو العشيرة. ولنفرض أن اسم العشيرة (أ) وأن فرع هذه العشيرة اسمه (ب) وأن فرعاً آخر من العشيرة نفسها اسمه (ج)، وأن وسم العشيرة (أ) هو هذه العلامة (ـــــ) على الرقبة من اليمين وأن الشاهد لفرع القبيلة (ب) هذه العلامة (=) على الفخذ الأيمن وأن وسم شاهد الفرع الآخر (ج) هذه العلامة (ِ) على الفخذ الأيمن، أي أن البعير إذا وجد بعد أن كان مفقودا وعلى رقبته من الناحية اليمنى هذه العلامة (ـــــ) وعلى فخذه من الناحية اليمنى هذه العلامة (=) فإنه بدون جدال سوف يُسلَّم إلى فرع القبيلة (ب)، أما لو وجدت عليه هاتان العلامتان (ـــــ ،) في مواضعهما فإنه يُسلَّم إلى فرع القَبيلة (ج) وفرع القبيلة بدوره يسلمه إلى صاحبه.

ويحدد الوسم عادة على جسم الحيوان بالكي، وله أدوات خاصة مجهزة تسمى الميسم. أما العلامات الأخرى مثل الجرفة أو الشلقة فتحدد بواسطة أدوات حادة. ومثل ما يحدد رمز الوسم، يحدد كذلك موضعه من جسم الحيوان، كأن يكون حلقة على الفخذ الأيمن أو باكورة على الرقبة من اليمين أو عرقاة على الخد الأيسر وهكذا. ورموز الوسم كثيرة، فلكل قبيلة وسم، ولكل فخذ من القبيلة شاهد، ولكل عائلة في مدينة معينة وسم وشاهد، وقد تتقارب هذه العلامات في الشكل ولكن مواقعها في جسم الحيوان تختلف.

وعلامات ورموز الوسم كثيرة، ولكل منطقة ولكل قبيلة وفروعها رموز وأسماء خاصة لعلامات الوسم، منها: الباعج، الباكورة، العرقاة، الهلال،

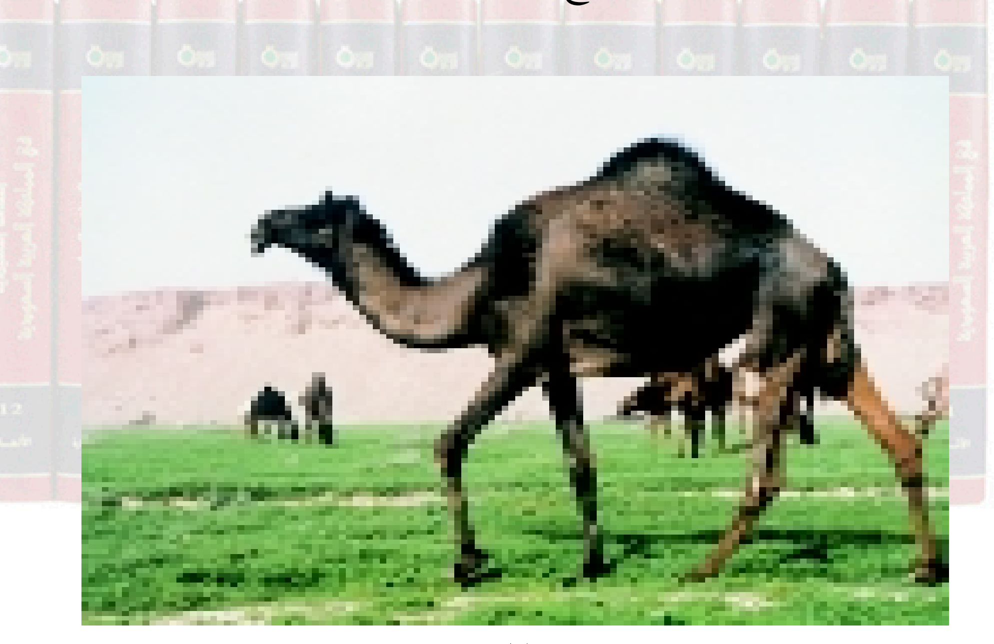




وسم هلال مكفي على الرقبة

المغزل، المحجان، الحلقة، الجرفة (جرف الجلد)، الجدعة (قطع طرف الأذن)، الباب، الشلقة (شق الأذن طوليا)، المشعاب، الحية، المشط، الأربع، الخمس، الكاز، الحنوة، الجلم، الرثمة، القلادة، المبيجيج.

وذكر الشراري أن الوسم علم بدوي رعوي قديم، يستطيع الراعي أن يعرف بواسطته لمن تعود ملكية الحيوان. وعلامات الوسم رموز سهلة الفهم استنبطها الراعي من بيئته الرعوية. ومن أشكالها البرثن وهو كمخلب الطير، والبرثن عصا الراعي، أو شكل مغزل أو هلال. ومع أن الوسم ليس وليد هذا العصر بل موجود منذ القدم، إلا أنه يصعب وجود وسم متشابه مع وسم آخر على الإطلاق، وإن وجد فإن موضعه أو الشاهد الذي يرافقه ويوضع بجانبه يكون مختلفاً للتفريق بين قبيلة



وسم هلال يميني





وسم هلال مكفي على الخد

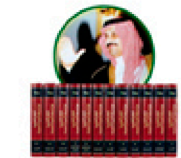
وأخرى أو فخذ وفخذ أو عائلة وعائلة أو شخص وآخر. وهذا يدل على ذكاء البادية والرعاة. وتضع كل قبيلة وسماً عاماً لها على إبلها، ثم تقوم عشيرة من القبيلة بإضافة شاهد لهذا الوسم يميز العشيرة عن باقي فخوذ القبيلة. فكأن الوسم بطاقة تميز اسم القبيلة ثم الفخذ ثم العائلة ثم الفرد بواسطة الوسم العام والشواهد الفرعية.

وهذا الأمر معروف عند كافة القبائل العربية، ويتضح من أشعارهم أنّ سمات الإبل هي: السطاع، والخباط، والدلو، والمشط، والفرتاج، والثؤثور، والدماع، والصداع، واللجام، والخراش، والعراض، واللحاظ، والتلحيظ، والتحجين، والصقاع، والدمع. ومن وسوم العرب المعروفة وسم الخباط واللحاظ، وهما لبني سعد. والخباط سمة تكون في الفخذ طويلة، وقيل تكون فوق الخد. والوسم على الفخذ قديم، وهو من وسوم العرب ولا يزال يُستخدم حتى اليوم. والمجدح سمة للإبل على أفخاذها وأجداحها. والمفتاح سمة في الفخذ والعنق. أما الصيعرية فقيل إنها سمة لا يوسم بها الجمال وإنما يوسم بها النوق خاصة، ويصدّق ذلك قصة طرفة بن العبد البكري مع خاله المتلمس؛ فإن الأخير كان ينشد:

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره
بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

فقال طَرفة، وكان صغيراً، ساخراً من خاله «اسْتَنْوَقَ الجمل» يعني أصبح الجمل ناقةً؛ لأن الشاعر وصف جمله بأن عليه وسماً لا توسم به إلا الناقة خاصة.

ومن وسومهم التي ذكرها الشراري الخطام أو الرثمة وهو ميسم على أنف البعير. والتزنيم أن تشق أذن البعير ثم تُفتل حتى تيبس فتصير معلقة. أما وسم الخطّاف فهو أن تخط خطّاً حيثما كان ثم



يعوج له برأس. ووسم المفعَّاة وهو على صورة الأفعى، والمثفاة على صورة الأثافي، والجلم من سمات الإبل على هيئة المقص، أما الزايع فهو سمة أو ميسم على الحلق فيعنق. والجرفة: هي عبارة عن حزة تُحزّ على أنف البعير، ثم تلوى فتبقى قائمة كأنها زيتونة أو كرزة. والترعيل: من وسوم الإبل، يقال: ناقة رعلاء، وأنيق رُعْل: وهو أن يُشقّ شقة في أذن الناقة ثم تترك مدلاة (١٤١٢: ٢٣٥-٢٤٣).

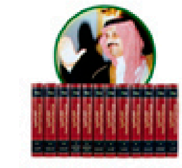
وعلى الجملة فإن لكل قبيلة وسمها وعلاماتها الخاصة بها. وهذه تبين شعار ملكية العائلة. ولا يضع البدو الوسم على رايات الحروب. وتعني الوسوم بصورة طبيعية تعريف المحيط البدوي من هو صاحب ذلك الجمل الذي عليه الوسم.

وقد اعتبر العرب الوسم بمثابة الجنسية والانتماء لقبيلة أو أفراد، ومن أمثالهم «الوسم وجه راعيه» أي بطاقته التي من خلالها يمكن التعرف عليه. ويقال في أمثالهم أيضاً «لا ياسم وسمي ولا يرسم رسمي». وقيل أيضاً «وسمك رسمك»، وقيل «لا وسم ولا رسم». ويسمون الإبل التي ليس لها وسم الأغفال (غفل)، وقالوا «ماعليها قدحة بنار». ويقال في المثل «صدقني وسم قدحة».

ومن ناحية أخرى فإن الإبل كلها تكون موسومة ببعض وسوم القبيلة أو وسوم قبائل أخرى مهما كان الشخص المالك لها، وهذا أمر راسخ في أعرافهم حتى لاحظه بعض الأجانب فقال:

> ويمكن أيضاً بالوسم حماية الممتلكات الخاصة، مثل أحمال الجمال التي تركت في الصحراء نتيجة لموت البعير الذي كان يحملها. فإنه يمكن حمايتها بأن يرسم المالك وسمه الخاص به على الأرض بالقرب منها. وقد أصبح عرفاً بدوياً أن من يجد مثل هذه الأغراض والممتلكات فإنه لا يقربها أبداً (Dickson 1949: 17-28).

ويرى بدو اليوم في بعض ديار العرب أن أشرف السمات هي السمات البارزة الظاهرة مثل سمات الرأس والوجه والصدر. ومن أقوالهم «وسومها على خشومها»، وهم لا يعدون الوسم على الجاعرتين أو الورك من دلائل شرف النسب. كما يعدون الضرب على الوجه والرأس والصدر من دلائل الرجولة للضارب والمضروب. وعند بعضهم ليس



للضرب في المؤخرة قصاص في عرفهم القضائي. وأشار العارف إلى أن في الدابة مواضع مخصوصة ومعينة لدى كل عشيرة لأجل رسم الوسم، ولكل موضع منها مغزى خاص؛ فالوسم على الورك مثلاً لا يدل على شرف الأصل، كما أن الوسم على الصدغ والرأس من دلائل الشرف، ومن هذا جاء قول البدو «وسمك رسمك».

والبدو يعللون ذلك أنه إذا قابل رجل يركب بعيراً رجلاً آخر عرفه الآخر إن كان الوسم بارزاً ظاهراً، وهذا لا يتحقق إلا في الجزء الأمامي من البعير كالرأس والوجه والعنق، وهذا العرف البدوي مرفوض من ناحيتين؛ الأولى أنهم جعلوا الوسم في الوجه من دلائل الشرف، مع ورود نص شرعي ينهى عن الوسم في الوجه كما مر. والثانية أن كثيراً من قبائل العرب تسم في الجزء الخلفي من البعير كالوركين والجاعرتين، بل ورد نص شرعي صحيح أن النبي ﷺ هو أول من وسم الجاعرتين كما مر. وهذا يعني أن لا علاقة بين نسب القبيلة وشرف أصلها وبين موضع وسمها كما زعمه بعض البدو وأقرته أعراف وتقاليد بعض القبائل (مجلة العرب ج٣ س ٢٨ : ٢٤٠).

أطلق العرب على الوسوم أسماءً ونعوتاً واشتقاقات رتبنا أشهرها على حروف المعجم، وذيلنا الحديث عنها بمعجم بأسماء الوسوم وأشكالها، وهي:

الأثر: سمة في خف البعير، ليس لها رسم محدد. جاء في لسان العرب «الأثر سمة في باطن خف البعير يقتفى بها أثره، والجمع أُثُور». والأثرة والثأثور والثؤثور مثلها.

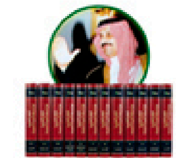
الإدبارة: أن تشق أذن البعير من خلفها فتفتل فتصير مثل الزنمة.

الأربع: أربعة خطوط أفقية.

الباب: وسم على هيئة مربع يقطعه طولاً خط في الوسط ويكون معه شواهده.



وسم باب ورقمه



الباعج: خط أفقي ينتهي من طرفيه بخطين عموديين متجهين للأسفل، وفي وسطه خط ثالث.

الباكورة: كية معقوفة الرأس تكون على هيئة الباكورة، ويكون لها شواهد عن يمينها وشمالها وفوقها.

الباهل: الناقة التي لا سمة عليها، والجمع بُهَّل، وتسمى أيضاً الغُفل.

البحيرة: الناقة التي تُشق أذنها بنصفين، وهي سمة كان عرب الجاهلية يسمون بها بعض الأنعام ليحرّموها على أنفسهم، وهو فعلٌ أبطله الإسلام؛ قال الله تعالى ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (المائدة:١٠٣).

وقال ابن منظور: قيل للناقة التي كانوا يشقون في أذنها شقاً: بحيرة، وبحرت أذن الناقة بحراً: شققتها وخرقتها. وقال ابن سيده: بحر الناقة والشاة يبحرها بحراً شق أذنها بنصفين وقيل: بنصفين طولاً وهي البحيرة، وكانت العرب تفعل بهما ذلك... والبحيرة هي الناقة التي إذا نتجت خمسة أبطن فكان آخرها ذكراً، بحروا أذنها أي شقوها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ولا تُحلأ عن ماء ترده ولا تمنع من مرعى، وإذا لقيها المعيي المنقطع به لم يركبها. وجاء في الحديث: إن أول من بحر البحائر، وحمى الحامي، وغَيَّرَ دين إسماعيل عمرو بن لحي بن قمعة بن جندب».

ولم يعد لهذه السمة وفق تقليدها الجاهلي أي وجود عند العرب بعد أن عم الإسلام ديارهم.

البرثن: سمة على هيئة البرثان توضع على خد البعير، والبرثان وسم ثلاثة أعلاط في خد البعير، وهذه السمة تشبه برثن الطائر.

البُرْقع: من سمات الإبل على هيئة البرقع، جاء في اللسان قال ابن شميل: البرقع سمة في الفخذ على شكل حلقتين بينهما خباط في طول الفخذ وفي العرض الحلقتان.

التحجير: أن يوسم حول عين البعير بميسم مستدير.

التَّحوير: سمة مدورة حول العين وتُسمى أيضاً بالحوراء، وهي الكية المدورة، وحجرت عين البعير وحورتها وسمت حولها بميسم مستدير.

التَّذرية: سمة تكون بإبقاء شيء من الصوف فوق الظهر وجز البقية، وهي علامة تكون في الإبل والضأن.





وسم (البُرقع) حلقتان وبينهما مطرق

التر‌عيل: قطع الجلد (الرعلة)، وهي أن يُشَق من الأذن شيءٌ ثم يُترك معلقاً، وقيل: الترعيل الشق في مؤخر الأذن، وكل متدلٍّ من شيء رعلة، وناقة رعلاء؛ وأنشد:

فقأت لها عين الفحيل عيافةً
وفيهن رعلاء المسامع والحامي

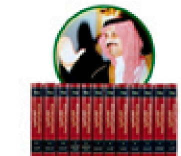
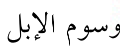
والرعلة من سمات البادية المعاصرة، يشلقون من عرض الأذن شليقة تتدلى.

التساويق: سمة في عرض الساق، ولا يكون الخباط والعراض أبداً إلا في الفخذ؛ فالخباط في طول الفخذ والعراض ما عرض في الساق والتساويق في عرض الساق.

التلحيظ: اللحاظ والتلحيظ سمة تحت العين.

التّوَاءُ: سمة قد تكون خطوطاً أو عرقاة + موضعها الخد والفخذ والعنق واللحاظ بأسفل العين. فأما في العنق فإنه يبدأ من اللهزمة وتخط بحذاء العنق خطاً من هذا الجانب وخطاً من هذا الجانب ثم تجمع بين طرفيهما من أسفل لا من فوق، وإذا كان في الفخذ فهو خط في عرضه.

الثلوث: سمة تكون بأن تُيَبَّسَ ثلاثة من أخلاف الناقة بكيها بالنار.

الجراف والجـرفة: قطعـة من جلد البعير، تقطع بموس أو أداة حادة، وغالباً ما تكون على الصابرة، ويتركونها تدلقم (تتدلى) على الخد فتصير جريفة، والجرفة على الخد الأيسر.

الجَرْف: سمة في فخذ البعير، قال ابن منظور «الجَرْف بالفتح سمة من سمات الإبل وهي في الفخذ بمنزلـة القرمة في الأنف، تقطع جلدة وتجـمع في الفخذ كما تجمع على الأنف».

الجعار: سمة على الجاعِرَتَيْن وهما حرفا الوركين المشرفان على الفخذين، وهما الموضعان اللذان يرقمهما البيطار، أو هما موضع الرقمتين، وهما لحمـتان تكتنفان أصل الذنب.

الجَلَم: سمة في الفخذ لبني فزارة، والجلم هو المقص.

الحزة: وهـي حزة تحز بـشفرة في الفـخذ أو العـضد، ثم تـفتل فـتبقـى كالثؤلول.

الحَلْـقَة: سمـة مدورة في الـفخذ والأذُن، والمحلَّق من الإبل وهو الموسوم بحلقة في فخذه أو في أصل أذنه وهي كية دائريـة على هيئة الـرقم ٥ ويكون هناك شواهد لها عن اليمين واليسار وفوق وتحت. والحلق سمة قبائل الأشراف في جنوبي بلاد الحجاز، قال البلادي:

كان وسـم الأشراف الحلق، عـدة حلقات على شكل دوائر، يضعونها على فخـذ الناقة أو البقرة، وكان الأشراف في قديم الزمان نشروا بين الناس أن من يأخذ شيئاً للشريف، أو يغصبه، تصيبه قارعة، لذا تجد إبل الأشـراف وأبقـارهم تـعيـش همَلاً، فلا تُسْرق، ولا تُؤخـذ في إبَّان الغزوات، ولذا تمسكوا جميعهم بوسـم واحد، حمـاية لمواشـيهم (١٩٨٢: ٣١٨).



حلقتان وبينهما مطرق



الحلقتان وبينهما مطرق: هذا الوسم قديم منذ العهد الجاهلي وكان يسمى البرقع ويرسم به في الفخذ، وقد وسمته عدد من السلطات منها إمارة الرشيد بحائل، وسمي (مُطَقّعْ) أي معجز ثم وسمه الملك عبد العزيز وسماً للمملكة العربية السعودية، وأضاف إليه فيما يخص الأسرة المالكة حلقة ثالثة.

الحية: وهي كية ملتوية ولها شواهدها.

الخباء: سمة تخبأ في موضع خفي من الناقة النجيبة، وإنما هي لُذيعة بالنار، والجمع أخبئة.

الخباط: قال ابن منظور: الخِباط بالكسر سمة تكون في الفخذ طويلة وعريضة وهي لبني سعد، وقيل: هي التي تكون في الوجه، والجمع خُبُط. قال وعلة الجرمي:

أمْ هَلْ صبَحْتَ بني الديّان مُوضِعَةً
شَنْعاء بقّاية التَّلْحيم والخُبُط؟

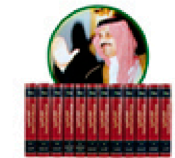
الخِدَاد: سمة في خد البعير، يقال: بعير مخدود أي موسوم في خده وبه خداد.

الخَدَمة: ذكر ابن سيده أنها من سمات الإبل.

الخراش: سمة مستطيلة كاللذعة الخفيفة.

الخَرْق: سمة تكون بثقب الأذن ثقباً مستديراً. روى الإمام أحمد بسنده عن علي بن أبي طالب # قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن وأن لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء. قلت: فما المقابلة؟ قال: يقطع طرف الأذن. قلت: فما المدابرة؟ قال: يقطع من مؤخر الأذن. قلت: فما الشرقاء؟ قال: تشق الأذن. قلت: فما الخرقاء؟ قال: تخرق أذنها للسمة.

الخَضْرَمة: سمة تكون بشق الأذن أو بقطع طرف الأذن أو الذنب، قال ابن منظور: ناقة مُخَضْرَمَةٌ: قُطِعَ طرفُ أذنها، والخضرمة: قَطْعُ إحدى الأذنين، وهي سمة الجاهلية، وخضرم الأذن: قطع من طرفها شيئاً وتركه يَنُوسُ، وقيل: قطعها بنصفين، وقيل: المخضرمة من النوق والشاء المقطوعة نصف الأذن. وفي الحديث: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر على ناقة مخضرمة، وقيل: المخضرمة التي قُطع طرف أذنها، وكان أهل الجاهلية يخضرمون نعمهم، فلما جاء الإسلام أمرهم النبي ﷺ أن يخضرموا من غير الموضع الذي يخضرم منه أهل الجاهلية، وأصل الخضرمة أن يُجعل الشيء بَيْنَ بَيْنَ فإذا قُطع بعض



الأذن فهي بين الوافرة والناقصة، وقيل: هي المنتوجة بين النجائب والعكاظيّات. . . قال إبراهيم الحربي: خضرم أهل الإسلام نعمهم أي قطعوا من آذانها في غير الموضع الذي خضرم فيه أهل الجاهلية، فكانت خضرمة أهل الإسلام بائنة من خضرمة أهل الجاهلية، وقد جاء في الحديث: أن قوماً من بني تميم بُيِّتُوْا ليلاً وَسِيْقَ نعمهم، فادعوا أنهم خضرموا خضرمة الإسلام، وأنهم مسلمون، فردوا أموالهم عليهم، فقيل لهذا المعنى لكل من أدرك الجاهلية والإسلام: مخضرم لأنه أدرك الخضرمتين. . . قال ابن بري: أكثر أهل اللغة على أنه مخضرم بكسر الراء لأن الجاهلية لما دخلوا في الإسلام خضرموا آذان إبلهم ليكون علامة لإسلامهم إن أغير عليها أو حوربوا.

الخُطّاف: سمة على شكل خُطاف البكرة، وبعير مخطوف إذا كان به هذه السمة. والخطافة تأتي على هيئة سهم معقوف الطرفين ولها شواهدها.

الخطام (الرثام): سمة على أنف البعير تنبسط إلى خديه، وقيل هي سمة في عرض الوجه إلى الخد كهيئة الخط.

الخَطْرة: بفتح الخاء وكسرها، سمة في باطن الساق؛ قال ابن منظور: الخَطْرة من سمات الإبل وخَطَرَهُ بالميسم في باطن الساق.

الخمس: خمسة خطوط أفقية يرتكز آخرها من الأسفل على خط عمودي.

الدال: وسمٌ يوضع على صفحة الفخذ أو العنق ويكون وجهه إلى اليمين أو إلى اليسار، ويكون معه شاهد عن يمينه أو عن يساره أو فوقه أو تحته، والشاهد كية على هيئة خط، وقد يكون الوسم على الفخذ والشاهد على الرقبة أو العكس.

الدلو: من سمات الإبل على هيئة الدلو.

الدِّماع: سمة في مجرى الدمع، قال ابن شُمَيْل «الدِّماع ميسم في المناظر سائل إلى المنخر، وربما كان عليه دماعان». قال ابن منظور «الدُّمُع بضم الدال، والدِّماع كلاهما من سمات الإبل في مجرى الدمع. والدويمع: وهو عبارة عن خط أفقي قصير جداً أكبر من النقطة يضعونه بجوار المغزل من الناحية السفلى وكأنه دمعة صغيرة من أعلى المغزل.

الذَّابح (القلادة): سمة على حلق البعير، وجاء في اللسان أن الذابح ميسم على الحلق في عرض العنق ويقال للسمة ذابح.



ذات إقبال وإدبار: إذا شُق مقدم أذن الناقة ومؤخرها وفُتلتْ كأنها زنمة قيل لها ناقة مقابلة مدابرة.

الذايع: سمة من ميسم على الحلق في عرض العنق.

الذراع: سمة تكون في الذراع، وكان ميسم بني مالك بن سعد.

الرَّبَذ: سمة من عِهْنٍ يُعلّق في عنق البعير.

رِجْلُ الطَّائِر: سمة على هيئة رِجْلِ الطائر.

الرحبي: سمة تسم بها العرب على جنب البعير.

الردوع: وتأتي على هيئة ثلاث كيات مثل الهوادي لكنها متقاربة ولها شواهدها.

الرقمة: سمة في الأوظفة والقوائم والأعضاد والجاعرتين. والمرقوم من الدواب الذي يُكوى على أوظفته كيات صغاراً فكل واحدة منها رقمة. والوظيف مُستدّق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما والجمع الأوْظِفة.

الرويكب: وهو مصغر راكب، وهو عبارة عن خط صغير يقف عمودياً بجوار المغزل.

الزَّاجَل: سمة في عنق البعير. وقالوا: وسم في عرض عنق البعير.

الزند: وسمٌ من خط معقوف الجانبين، وكأنه حلقة مفتوحة من أحد جوانبها بما يزيد على ثلث دائرتها، وهو شبيه بالحرف ب في اللغة العربية إلا أنه غير منقوط، وهو رسم للزناد الذي يقدح به.

السِّطاع: سمة في عنق البعير وجنبه.

السهيلي: وسم شعبي، وهو جدعة وشلقة على الأُذن وجرفة على الصابر الأيمن، تجدع اليمنى وتُشلَق اليسرى؛ وهذا وسم عيال سهيل.

الشاغور: وهو وسم على شكل الرقم ٨ ويَسِمُ به القضاة، رأسه باتجاه هامة البعير بين العين والأذن، ويوضع على الخد الأيمن، وتَسِمُ به الدحيلان ويوضع فوق الثفنة اليمنى واتجاهه للأعلى يشبه الرقم ٧.

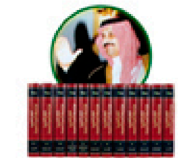
الشّبب: سمة لبني منقر كهيئة المحجن.

الشِّجار: سمة في الجسم على الفخذ والرجل وغيرهما على هيئة الشِّجار، وهو خباط محجون.

الشداق: وسم على الشدق.

الشَّرَقة: وتسمى الشلقة سمة تكون بالشقّ أو القطع في الأذن بصور مختلفة، وقد مرّ حديث النهي عن التضحية بالشرقاء وهي المشقوقة الأذن.

الشِّعاب: سمة في فخذ البعير. قال ابن منظور «الشِّعاب سمة في الفخذ في



طولها يُـلاقى بين طرفيهـما الأعليين، والأسفلان متفرّقان وأنشد:

نار علَيْها سِمَةُ الغَواضرْ

الحَلْقَتان والشعاب الفاجرْ

قال أبو علي في التذكرة «الشَّعْب وسم مـجتمـع أسفله مـتفرق أعـلاه وجمل مشعوب وإبل مُشَعَّبَة: موسوم بها».

الشِّيطان: سمة بأعلى ورك البعير، وفي اللسان «الشيطان من سمات الإبل وسم يكون في أعلى الورك منتصباً على الفخذ إلى العرقوب ملتوياً».

الصدار: سمة على صدر البعير.

الصِّداغ: سمة في صدغ البعير.

الصِّقاع: سـمة على جماع مـؤخر رأس البعير وهو القذال.

الصـيعرية: سـمة في عنـق الناقة خاصة.

الضّراس: من سمات العرب أنشد الأصمعي لأبي الأسود الدؤلي:

أتانـي في الـضّبْعـاء أوْسُ بنُ عامـرٍ

يُـخادعـني فـيهـا بِـجِنٍّ ضـراسهـا

الطَابِع: سمة أنعام الزكاة المُؤدّاة لبيت المال ولفظها بفتح الباء وكسرها.

الظَّبْي: سمة للإبل لبعض العرب.

العاذور: سمة للعرب كالخطّ. قال أبو وجزة السعدي واسمه يزيد بن أبي عبيد يصف أيّاماً له مضت وطيبها من خير واجتماع على عيش صالح:

إِذِ الحَـيُّ والحَـوْمُ المُـيَسِّـرُ وسْـطَـنـا

وإذ نحْنُ في حالٍ من الـعَيْشِ صالح

وذو حَـلَق تُـقْضـى العـواذيرُ بـينـه

يـلوح بـأخـطـارٍ عِظَـامِ الـلقـائـحِ

العذار والعذر والعذرة: سمة عـلى القفا إلى الصدغين.

العِراض: سمة في فخذ البعير وعنقه وساقه. قال ابن الرّماني في تفسير الخباط في كتاب سيبويه إنه الوسم في الوجه والعـلاط والعراض في الـعنق، قـال: والعراض يكون عرضا.

العرقاة: وتأتي العرقاة على نوعين نوع مستقيم كإشارة الجمع + ونوع مائل مثل علامة الضرب ×، ويكون لهذا الوسم شواهده كما أسلفنا عن اليمين والـيسار وفوق وتحت، وأحيانا يلحق بها باكورة من أعلى، والباكورة كية معقوفة، ذكرت قبل.

العضاد: من سمات الإبل وهو وسم في العضد عرضاً.

العَضْب: سمة تكون بشق الأذن أو قطع شيء منها، ويسمى التشريق، يقال ناقة عضباء مشقوقة الأذن، وكانت ناقة النبي تسمى العضباء.

العُطْل: الناقة التي لا وسم عليها، ويقال لها غُفل أو فراغ.



العلاب: سمة في طول العنق، فإن كان في عرضها فهو القصار، وهو ما توسم به قصرة عنق البعير.

العِلاط: سمة في عنق البعير. قال الهجري «العلاط يكون وسط العنق مستديراً بأكثر العنق سمة لبني حمال من معاوية بن حزن من عبادة عقيل».

غِفار: سمة في الخد؛ أنشد شمر الطائي:

إذا أَعْرَضَتْ لِلناظِرِينَ بَدَا لهمْ
غِفَارٌ بأعْلى خدّها وغُفارُ

الفرتاج: سمة من سمات الإبل.

القرمة: حزة في أنف البعير، ثم تلوى وتبقى قائمة كأنها زيتونة أو كرزة.

القصوة: سمة بحذف شيء من طرف الأذن. وكان لرسول الله ﷺ ناقة تسمى قصواء ولم تكن مقطوعة الأذن، وفي الحديث: إنه خطب على ناقته القصواء، قال: والقصواء التي قطع طرف أذنها. وكل ما قطع من الأذن فهو جدع، فإذا بلغ الربع فهو قصو، فإذا جاوزه فهو عضب، فإذا استؤصلت فهو صلم. ولم تكن ناقة سيدنا رسول لله ﷺ قصواء وإنما كان هذا لقباً لها (مجلة العرب: ج١١ س ٢٨ : ٨٢٠-٨٢١).

قيد الفرس: وتسميه البادية الهجار وهو سمة في الفخذ أو العنق على هيئة القيد. وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه أمر أوس بن عبدالله الأسلمي أن يسم إبله في أعناقها قيد الفرس، وهي سمة معروفة وصورتها حلقتان بينهما مَدّة في النهاية؛ وأنشد الأحمر:

كوم على أعناقها قيد الفرس
تنجو إذا الليل تدانى والتبس

وهذه السمة لقبيلة أسلم وسَمُوا بها بطلب من النبي ﷺ حين هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة (مجلة العرب: ج١١ س ٢٨ : ٨٢١-٨٢٢).

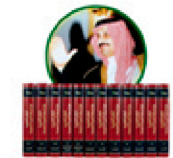
الكاز: مطرق مركوزة ورقمتان من جهة، ورقمة ثالثة من الجهة الأخرى.

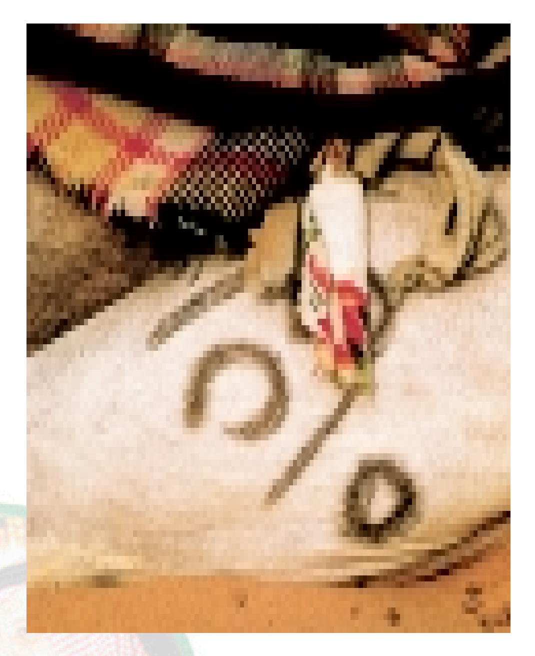
الكفة: كية على هيئة حلقة لها عصا على هيئة الرقم ٩ ويكون لها شواهد.

اللاحي: وهو اسم مشتق من لحي الإبل أي: أسفل مقدمة الوجه، ويوضع في أسفل اللحي بشكل خط عمودي أو مائل.

اللجام: ضرب من سمات الإبل في الخدين إلى أصل صفحتي العنق.

اللحاظ: اللحاظ ميسم في مؤخرة العين إلى الأذن وهو خط ممدود. ومنه





وسم مطرقان وحلقتان

جمل ملحوظ بلحاظين. وهو وسم بني سعد.

اللذعة: لذعة الميسم من باطن ذراع البعير.

اللهاز: ميسم في اللهزمة.

اللويبد: كية تأتي من خلف الأذن على خد البعير وتمتد إلى أعلى الرقبة.

المثفاة: وسم على صورة الأثافي.

المحجن: سمة للإبل على أفخاذها وأجداحها، يأتي على هيئة كية طويلة بطرفها عقفة بزاوية حادة وقد يكون محجانين وله أو لهما شواهدهما.

المحلّق: الموسوم بحلقة في فخذه أو في أصل ذنبه. والمحلق ميسم بني فزارة وكانوا يسمونه في العنق وهو عبارة عن حلقتين.

المُرَقَّم: سمة في الفخذ. قال الهجري: أرسل بعض بني نمير إلى يزيد بن الجعد يخبره بِنَعَمٍ بدار من السودة بشق البحرين قال:

الا يابن جعد لو عملت بغرّةٍ
بدارَ لأنضيت المطيّ المُخْزَّما

إلى نَعَمٍ يرعى بتؤثورَ أهله
مسطّعة أعناقه ومُرقَّما

قال: المرقم نقط ثلاث في الفخذ مثل نوشة الكلب بأظفاره وهي سمة بني ضبة.

المزلم أو المزنم: البعير الذي تقطع أذنه وتترك له زلمة أو زنمة، وإنما يفعل ذلك بكرام الإبل؛ قال الشاعر:

مغانمُ شتى من إفالٍ مزنّم

المشط: سمة من سمات البعير على صورة المشط في الخد والعنق، وهي ثلاثة أو أربعة خطوط ترتكز في قاعدتها على خط واحد وأطراف الخطوط الأخرى مفتوحة. ويكون وجه المشط إلى أسفل أو إلى أعلى أو إلى اليمين أو إلى اليسار، ويكون معه شواهد من يمينه ويساره وفوقه وتحته.

المشعاب: وهي سمة تشبه العصا ولكنها مثبتة من أحد جوانبها.



المشغار: وهو على هيئة غصن شجرة وله شواهده.

المُشَيْطَنَة: سمة من سمات الإبل.

المطرق: سمة على شكل خط، أحياناً يكون أفقياً هكذا (–) أو عمودياً هكذا (ا) والمطرق في مفهوم البدو المعاصرين هو العصا التي تستخدم لتأديب الحيوان.

المغزل: ويأتي على شكل كيتين وله شواهده.

المِفْتاح: سمة في عنق البعير وفخذه.

المُفْضاة: سمة تكون بقطع في الأذن.

المُفَعَّاة: بتشديد العين سمة من سمات الإبل تشبه الأفعى، تكون على صورة الأفعى، وجمل مفعّى: إذا وسم بها.

المقابلة: سمة تكون بقطع في مؤخر الأذن.

الوَقَّاع: سمة مدورة حيثما كانت.

اليَسرَة: سمة في فخذ البعير.

ونجد ذكرا لوسوم الإبل في الشعر النبطي أكثر منه في الشعر الجاهلي. ولعله من الواضح أننا لن نستطيع حصر كل ما قيل عن الوسوم من أشعار. فالشعر النبطي يزخر بالعديد من القصائد والأبيات التي ورد فيها ذكر الوسم. ولم نهدف هنا إلى حصر جميع تلك الشواهد، وإنما اقتصرنا فيما يلي على التمثيل بنماذج يسيرة جدا من تلك الأشعار:

قال خلف أبو زويد الشمري:

ياراكب اللي كن فخذه من الجيم
ماسومة الكفّه على الساق وهلال

وقال ساكر الخمشي العنزي:

ياراكب اللي وسمها عارفينه
حذرٍ من الثفنه على الساق مندار

وقال خضران الرشيدي:

ياذلولٍ وسمها مْطَقّع
عليه الكفّه وسمناها

وقال عبد المحسن بن حمود الهذيلي:

ياراكب اللي توّنا واسمينه
من سوق حايل بالدراهم شريناه
مرباعها عامين باطراف لينه
تشرب على السبعان والعش منداه

وقال سالم بن فرج الغريس:

ياراكبٍ زينة القوران
حمرا على فخذها الحيه
لا اقفت تقل ينهشه سرحان
مثل المرايا مواطيه

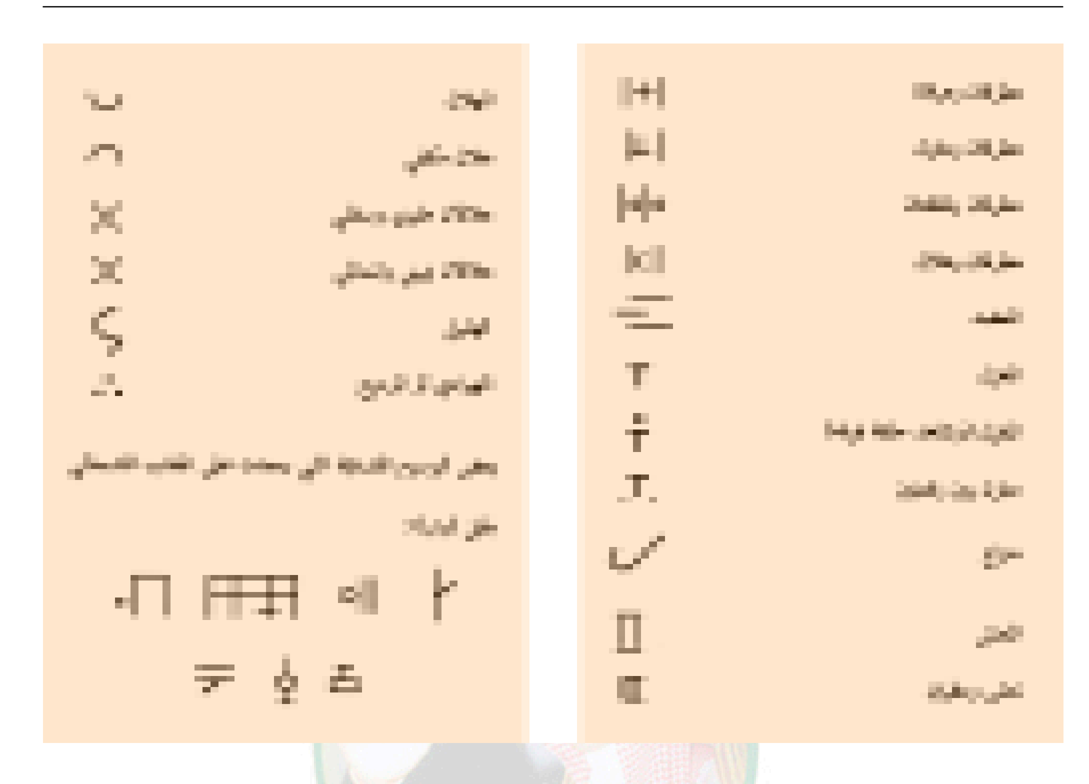
ومن الشعر الفصيح قول المتلمس:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره
بناج عليه الصيعرية مكدم

وقد مرَّ بنا أن الصيعرية سمة في عنق الناقة خصوصاً.









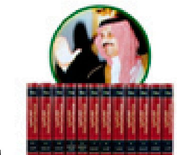


مراكب الإبل وأدوات العناية بها

إنَّ علاقة العربي الحيوية والصميمة والدائمة بالإبل، واحتياجه إليها، واعتماده عليها في تنقلاته وأسفاره وحروبه وحمل أمتعته وبضائعه، فرضت عليه اختراع العديد من الأدوات التي تتطلبها طبيعة المرافقة المستمرة للإبل، وطبيعة استخداماته لها في جميع شؤون حياته في الحل والترحال؛ لذلك عمد البدوي إلى تصنيع كل ما يحتاجه من هذه الأدوات تصنيعاً فيه بدائية وعفوية، ولكنه يفي بمتطلبات حياته وحاجاته. وأكثر هذه الأدوات، إن لم تكن كلها، مصنعة من المواد المتوافرة حوله وفي محيطه، كالجلود والوبر والصوف والأعصاب المتينة والأخشاب والحبال المستخرجة من أغصان ولحاء الأشجار، والحدائد التي تطولها يده. صنّع كل ذلك ليسد به حاجاته الضرورية، ثم تجاوز الضروريات إلى الكماليات، فصنع منها بعض الزينة والزخرف. وأسعفه في التفنن في الزخرفة، الألوان المتوافرة في وبر الإبل وصوف الغنم وشعر الماعز، ومعالجة الجلود.

ولما كانت استعمالات الإبل متعددة الأغراض فقد اختلفت أدوات الركوب تبعاً لذلك واختص كل نوع منها لأداء غرض معين قد لا يتوافر لنوع آخر. ومراكب الإبل المشهورة هي: الغبيط، الهودج، الكواجة، الشقدف، الشداد، الهولاني، الحداجة، المسامة، الحني.

والأنواع الأربعة الأولى تختص بركوب النساء في العادة وقد تحمل أكثر من شخص؛ فالغبيط هو لنساء البدو وخاصة نساء علية القوم، والشابات منهن أكثرهن استعمالاً له، وقد اعتنين به وقمن بتزيينه وتجميله كل حسب قدرتها وذوقها الخاص فيكون آية في الجمال عند رحيل البدو على ظهور إبلهم (المظهور).



والكواجة عرف لدى نساء الحضر في المدن والقرى وكذلك الهودج، وإن كان في استعمال البادية له لم يلق تلك العناية من قبل النساء كما لقي الغبيط. أما الشقدف فقد عرف في الحجاز وقوافل الحج القادمة إليه من العراق والشام ومصر وكذلك بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

أما الرجال فقد اختصوا باستعمال الشداد والهولاني والحداجة، واعتنى الرجال بالشداد كما اعتنت النساء بالغبيط واهتموا بتزيينه والعناية به وأكثروا من وصفه في أشعارهم وتنافست المناطق في صناعته؛ فسمعنا عن الشداد الجباوي والمشرقي والعقيلي وغيرها من الأشدة التي اعتنوا بصناعتها وتجميل أشكالها بالرسوم والمواصفات الخاصة التي كانت بطبيعة الحال تهدف إلى إراحة الراكب، خصوصاً وأن من كان يستعملها هم علية القوم والقادرون على اقتنائها، ومع ذلك لم تكن وقفاً عليهم وإنما شاركهم الكثير من العامة في استعمالها، والمعروف لدى البادية أن كبار شخصياتهم كانوا يأنفون من ركوب الحداجة على سبيل المثال.

ولما كان الشداد ثقيلاً وملحقاته متعددة ويصلح للرحلات الطويلة فقد صنعوا مراكب أخرى أصغر حجماً وأقل تكلفة وأخف وزناً ليكون متوائماً مع الرحلات القصيرة كالهولاني الذي عرفت به المنطقة الجنوبية، وفي نجد والمنطقة الشمالية كثر استعمال الحداجة.

وكما أن البعير لم يكن مخصصاً لركوب الإنسان فقط وإنما لحمل الأثقال وإخراج الماء من الآبار ونقلها فقد تفننوا في صنع المراكب القادرة على الإيفاء بالأغراض المتعددة فصنعوا المسامة (الكتب أو القتب) الخاصة بالأحمال الثقيلة والكتَب الخاص بإخراج الماء من الآبار وأنواعاً من المراكب الخاصة لحمل الحطب وغير ذلك.

أما الحني فإن له وضعاً خاصاً واستعمالاً محدداً لوقت محدد، واستعملته البادية في أغراض الحرب وهو شبيه بالغبيط غير أن لا ظلة له، وحناياه أربع وليست ستاً كما هي في الغبيط لتتمكن إحدى الفتيات الجميلات من علية القوم من الوقوف فيه متمسكة بالحنايا وقد كشفت الغطاء عن رأسها لتستحث أبناء قبيلتها على الدفاع عن شرفها الذي هو شرفهم وشرف القبيلة كلها فيظهرون ألواناً وصنوفاً من الشجاعة تمكنهم من هزيمة أعدائهم.

هذه المراكب المتعددة الاستعمال والأغراض تتكون من أجزاء كثيرة تكوّن في مجموعها الصورة العامة لهذا المركب



أو ذاك، وبعض هذه الأجزاء صغير دقيق وبعضها كبير ضخم، بعضها ضروري لا يكون المركب إلا به، وبعضها من قبيل الزينة والتجميل. ويطلق على جميع مراكب الإبل في التراث العربي اسم عام هو الرحل وهو مركب البعير أو الناقة وجمعه أرحُل ورِحال، والرِّحالة أيضاً هي الرحل، ورحَلت البعير شددت عليه أداته، وإبل مرحَّلة: عليها رحالها. وللرَّحل أسماء وأجزاء كثيرة ونعوت ذكرتها كتب اللُّغة كالمخصص الذي أوردها في جزءٍ جعل عنوانه «الرحال وما فيها».

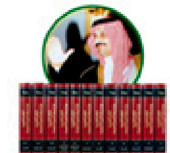
أنواع مراكب الإبل

استعمل العرب في الماضي البعيد والقريب أنواعاً متعددة من المراكب اختلفت باختلاف وظائفها أو باختلاف ما تصنع منه، كالتخت والحداجة والحني والشداد والظلة والغبيط والهودج والمسامة والقتب والقن والمحمل، وسنحاول التعريف بها هنا ثم نفصل الحديث في أجزائها.

الشْدَاد. جمعُه أشدَّة، يقصد به الرّحل الذي يستعمل للركوب على الإبل، وهو مصنوع من خشب الأثل ويتكون من أربع ظلاف، كل اثنتين متقابلتان، ورؤوسهما تسمّى غزلان، وله أربع عصي متقاطعة، ودخاشان صغيران يشدّان كل ظلفتين إلى بعضهما، واسمه مأخوذ من الشدّ، يقال شدّ على راحلته إذا حمل عليها رَحْلَه، وشدّه عليها، ويقال للشداد أيضا كور ونجير. وتشدّ عصيّه إلى ظلافه بسيور من الجلد أو من عصب رقبة الناقة (الجلمد) وتسمى في البادية وسورْ، بخلاف المسامة والقتب فإنهما يشدّان بالقدّ، وذلك لأن المسامة والقتب تحمل عليهما أثقال لا يتحملها إلا القدّ لصلابته وقوته، ولو ضغط الحمل على المسامة أو امترغت عليها الراحلة فإنه لا ينكسر، ولو انكسر شيء من ظلاف المسامة فإن ثمنها رخيص وتعويضها سهل.



الشّداد



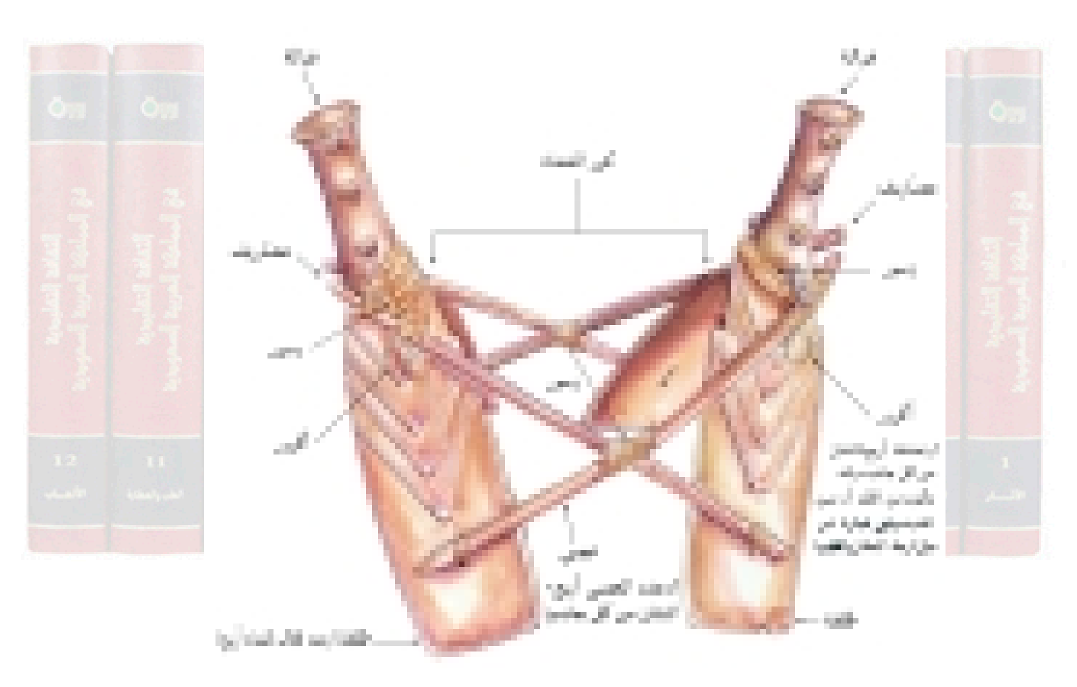
أما الشدّاد فإنه يؤسّر بالجلمد لأنه لو وقع عليه شيء من الثقل فإن الجلمد ينكسر وتسلم ظلافه، إذْ لو انكسر شيء من ظلافه لصعب تعويضه لارتفاع ثمنه وصعوبة إتقانه.

ومن أجزاء الشداد الظَلِفَة وهي صفيحة الخشب التي تستند على دفة ظهر الراحلة من الشداد أو الرّحل والمسامة، ولكل رحل أربع ظلاف، وكذلك القتب، وهو عربيّ فصيح، قال ابن سيده: الظّلفتان ما سَفُلَ حنوي الرّحل، وفي الرّحْل الظلفات وهي الخشبات الأربع اللّواتي يكنّ على جنبي البعير، تصيب أطرافها السفلى الأرض إذا وضعت عليها، وشاهده قول الشاعر:

كأنّ مَواقع الظِّلفَات منه
مَواقع مُضَرحيّات بقار

يريد أن مواقع الظلفات من هذا الجمل قد ابيضّت كمواقع ذرق النّسر. ويقال للجمل إذا ابيضّت مواقع الظلفات من ظهره: أبيض دَفّه. لأن مواقع الظلفات تسمى دفاف، جمع دفة. يقول القحطاني:

لى واجملنا اللي يشيل الروايا
لا قرّبوا للشيل وثنات الاجمال
لو ان الاربع من ظلافه دمايا
ما هوب من شيل العلايق بملال



أجزاء الشّدّاد



وقال محمد بن عبدالله القاضي:

ما فـوقه إلا الـكور طـفح الـظلاف

وخرجٍ ومعـلوقٍ على الـكور وعذار

وقال فهيد المجماج:

يـاراكب الـلـي مـا لَحَنّـه ظْلافـه

ولا داره الجمـال يـدني العـلف لـه

وقال الزعيلي الشمري:

خـلاف ذا ياراكـبٍ فـوق عـمعـوم

بـاربـع ظـلافٍ لَـمّـهـن الحـــزام

وقال محسن الهزاني:

من سـبعة أعـوامٍ وهن كـنس حيـل

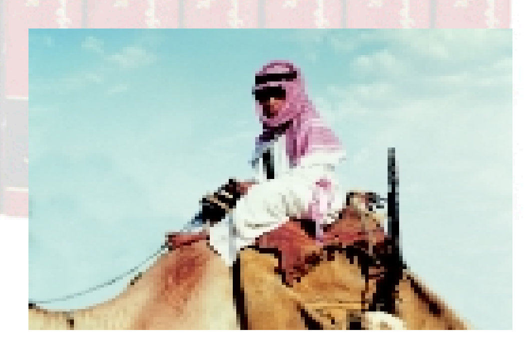
ما لِـمّسَن عن سـوج عوج الظـلاف

ومن جيد ما قيل في الظلاف، قول حميدان الشويعر:

حط الجـدي بين الظلـفتين وخلـفك

سـهيـل الـيـمانـي مـن وراك لـموع

ويقال فـي المثل «رموا الظلـفه» أي أنهـم لا ينوون الـرحيل، دلـيلاً علـى استـمرار البـقاء في المورد أو الـربيع.



الكور، مكان الرّكوب على الشداد

وتستعمل الظلفة لحصد السمح، ويقال حينما يكون السمح وفيراً «دز الظلفه».

والحدائد التي تضم ما بين الظلفتين تسمى الاهِلّه (مفردها هلال)، ولم يكن الحديد في السـابق متوافراً لدى البدو، ولذلـك كانوا يضـمون الظلـفتين إلـى بعضهما بقطعة من الخشب بعد خرمهما، وتسمى هـذه الخشبة المشظاظ. وأعلـى الظلفتين مما يلي العراقي يسمى العصي (العضود) وتشدّ بالوسور وهي سيور من الجلد أو عصب الناقة.

أما الغَزَال وجمعُه غِزْلاَن، فـيقصد به غزال الشّداد، وكل شداد له غزالتان، وهمـا الرأسان الـعلويـان البارزان مـن ظلافه، تكـون إحداهما أمام الراكب، والثانية خـلفه، وفيهما تعلّق الأمـتعة. وتسمى المسافة بين الغزالتين بالكور وهو مكان الركوب؛ قال محمد الحداري من بني عمرو من حَرَب:

يـاراكــبٍ كــور مـنـجـوبـه

الحـايـل الـلـي هـوى بـالـي

مـا طـبّـت الـسـوق مـجـلـوبـه

ولا قـــلّـــبـــه كـــل دلال

الـقـيـظ مـا اونـســت لاهـوبـه

بـين الـغـزالـين مـقـيـالـي

وهناك الأكرار أو الكرور وهو جمع مفرده كر، وهو الحلقة، حيث تربط في





الشداد وملحقاته

عصي الشداد أربع حلق بجانبي الغزالتين، وتصنع من الحديد أو من الحبال، وذلك لربط البطان والحقب.

وفي الشداد الدخاش وجمعُه دْخاشات، وهو خشبة صغيرة مصفّحة، تدخل في غزال الشداد (الكور) من فوق ملتقى الظلفتين، تجمع رؤوس الظّلّفتين، وترفع أطراف النطع ليحفظ عليه شيئاً من التوازن، كما تضفي عليه مسحة من الجمال، ويتّخذ كذلك للمسامة؛ قال ساير بن راجح العجل الحربي:

واكوارهن ما دق فيهن دخاشٍ

ومزيّنٍ شغل الميارك ولا ناش

ويوضع الوثر تحت الشداد لحماية ظهر الراحلة من خشب الشداد. ويوضع النطع فوقه لوقاء الراكب وهو ما يلي الشداد ويكون من الجلد، ويوضع فوق النطع الجاعد وهو من جلد الخراف. أما الميركه فتكون على غارب المطية وهي من الجلد المنقوش بزينات مختلفة لتجميلها ولإراحة رجل الراكب إذا وضعها عليها. ويربط الشداد بالحقب والبطان (الزور) إذا كانت المطية ضعيفة، والسفايف وهي للزينة تربط مع الحقب وجميع هذه الأجزاء سيرد تعريفها لاحقاً.

ويذكر الجنيدل أن الشداد صناعة محلية، يصنع في كل بلدان الجزيرة العربية، وأفضله أربعة:

الشّداد الجبلي: سمّي بهذا نسبة إلى بلاد الجبلين (منطقة حائل) لأنه يصنع



فيها، وهو أكبر الأشدّة حجماً وأجملها شكلاً، وأريحها مركباً.

الشداد الجوفي: يصنع في بلاد الجوف. وهذان الشّدادان يجمّلان بالنقوش المحفورة على ظلافهما وعصيّهما، ويرشمان بحبّات صغيرة من الرصاص، ويلاحظ فيهما عرض ظلافهما وعصيّهما مما يجعلهما مريحين للراكب. كما يلاحظ في رشمهما بالرصاص أن الغزال الخلفية ترشم كلها، أما الغزال الأمامية فالغالب أنه لا يرشم إلا أعلاها، وذلك أن الغزال الأمامية يثني الراكب عليها ساقه، ومع الحر وطول الوقت تعرق عليها رجله فيتحوّل العرق إلى صدأ أخضر، يؤثر في ساق رجله، لهذا فإن الغزال الأمامية لا ترشم كلها.

الشداد الجبّاوي: يصنع في بلدة جبّة في منطقة حايل، حجمه صغير ومركبه مريح، يقول فيه الشاعر:

وشديّده شغل اهل جبه
ما يثني الورك ركّابه

الشّداد المَشْرقي: وهو أنواع: الماربي والشبوي والشبامي، ويختلف عما تقدم من حيث تجميله بالنقوش المحفورة والرشم، ومنه ما هو كبير الحجم، ومنه ما هو صغير، وعصيّه غير عريضة، ويصنع في جنوب الجزيرة العربية. ومن صفات الشّداد الجبلي والجبّاوِيّ أن غزلانها تكون منتصبة مستقيمة، أما ما سواهما من الأشدة كالشّداد المشرقي فإن غزالاتها تكون مائلة قليلاً، فالغزال الأمامية تميل إلى الأمام لتبتعد عن صدر الراكب، والغزال الخلفية تميل إلى الوراء لتبتعد عن ظهر الراكب، وتبدو هذه الصّفة واضحة في الشّداد المشرقي أكثر من غيره.

كما يوجد نوع خامس من الأشدة وهو الشداد العقيلي وهو شداد لطيف (وَذْف) أصغر من الشداد الجباوي يصنع بالجوف في شمال المملكة؛ قال فيه الشاعر محيسن الريشاني الرويلي:

هات العقيلي وانسفه فوق زبني
وافرق نحرها يم وجه اليمامي

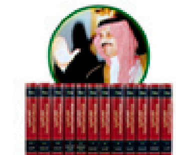
وقال الهذيه الودعاني الدوسري:

قم يانديبي وارتحل عمليه
نقش العقيلي ينبهه فقارها

أما الشداد عامة فقد كثر ذكره في أشعارهم؛ يقول إبراهيم بن جعيثن:

وانا مثلهم ذكرت حيي وعزوتي
والكل منا ولّم الخرج وشداد

وقال حميدان الشويعر:



وبالـناس ظفرٍ مـا حضر فـي هوشه
ولو هـو حضرهـا كان شيـل شْداده

وقال عبد المحسن الصالح:

سـاعة قـريـته والـنـضا مـسـتعـده
أمـلاط غيـر خـروجهـا والـنجيـر
وفـروخ عـقـبـانٍ بـروس الاشـده
مـخلابـهـاً ذكر الحـديـد الشـطيـر

ومن جيد ما قيل في الشداد، قول عيسى بن جدعان العيساوي:

خطو الـولد ما رافق الـهجن باوعاد
ولا ذاق لـذ المـيـركـه والـشـداد

وقال نـاصر المسـيمـيري من أهـل الرس:

والـشــداد مـعـلّـق بــه مـارتـين
أم نصف خـشاب ما هيب الـقصيره

وقالت ظاهره الشرارية:

ياعـبيد راعـي الجوف سوّى الاشـده
واقـرد عـيـنـه ويـن ودّك تـغـزّيـه

وقال عبدالله بن دويرج:

ياراكب اللي كنها الادمي إلى شاف القنوص وذار
رعت عـامين في الـنوار
خفيفه ما عليها إلا الزهاب وخرجها وشداد فولاني
من العــيرات مـقران

والشداد بشكل عام يسمى نجيره لأنه ينجر؛ قال عجلان بن رمال الشمري:

يـاراكب الـلي بـالـنجيـره تْشَـدّي
اللي ليـا جا العصر ما احلـى مراحه

وقال راشد الخلاوي:

عـلى عـيدهـي أو علـى عـيدهـيه
حـداكـم بين الـنـجـيـريـن قاعـد

والاسم العربي الفصيح للشداد هو الكُور، جمعُه أكْوار، وهو الرّحل الذي يستعمل للركُوب على الإبل بين الغزالتين، ولا يستعمل لحمل الأثقال، وهو مصنوع من خشب الأثل، له رأسان وأربع ظلاف ودخاشان وأربع عِصيّ، ويوضع على ظهر البعير، تحته بدود تحمله عن ظهره، وبعضه يزين بنقوش محفورة فيه، وزخارف من القُمور الصّفراء أو يرشم بحبّات صغيرة من الرّصاص؛ قال الراعي النميري:

عـلـى أكـوارهـنّ بـنـو سـبـيـل
قـلـيـل نـومـهـم إلاّ غـرارا

وقال طرفة:

وإنْ شئتُ سامَى وَاسِطَ الكُوْرِ رأسُها
وعـامتْ بـضبـعيـها نجـاء الخَفَـيْدَدِ

وفي اللسان: الكُور بالضّم الرّحل، وقيل: الرّحل بأداته، والجمع أكوار وأكور وكؤور، وقال ابن الأنباري: كور الرحل جمعُه أكوار وكيران؛ قال الشاعر:

أناخ بَـرمل الـكوْمـحَيْـن إناخَـة الْـ
يمـاني قـلاصـا حـطّ عنـهُـنّ أكْوُرُ

وقال كثير عزة:



على جلّة كالهَضب تختال في البُرى

فـأحمــالـهـا مقـصورة وكُـؤُورُهـا

وتردد ذكر الكور في الشعر الشعبي أيضاً؛ يقول حويد العتيبي:

والله يـالـولا الـرسن يـتـلّـهـا تـل

ان تصـرم الكـور لين الحبـل يازنهـا

وقال عبدالله بن عويويد:

لَحَيثْ رِعْـيِ الْقَـفِرْ بـانَـتْ مِوارِيـهْ

والـكور دونِـكْ نـابي مِـنْ سَـنامِـهْ

وقال محمد بن عبدالله القاضي:

ما فـوقه إلا الـكور طـفح الـظلاف

وخرجٍ ومعـلوقٍ على الـكور وعذار

وقال راشد الخلاوي:

وهو عـقيـد الركـب لولاه ما غـزوا

ولا نـسّـفوا بـاكـوارهـن الجـواعـد

وقالت عليا الهلالية:

لكـن صريـر الكـور تحتـى وفوقـها

مـحـاور سدرٍ ضـايمـتـها المحـايـل

وقال صاهود بن لامي المطيري:

كم فـاطرٍ مـن نيّـها تـزعج الـكور

تقـطع مـضاريـس الرسـن والخطام

وقال عبدالله بن حصيص:

يـانـديبـى فـوق مـنبـوز الـفـقـاره

آركـي وحـبــال كــوره كـالـفـات

وقال محمد بن مهدي:

وخـلاف ذا يـاراكـبٍ كور مـقـران

عـملـيةٍ يـزهى الـعقـيـلي سـنامـه

وقال ساير بن راجح العجل الحربي:

واكـوارهـن ما دق فـيـهـن دخاشِ

ومـزيّـنِ شـغـل الميـارك ولا نـاش

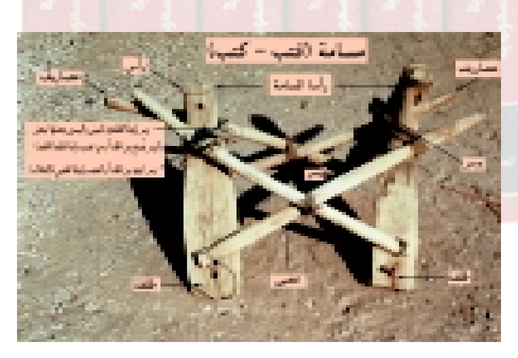
وقال سعد بن محمد أبو صقيعه:

شيـلوا علـيهـن الكلايـف والاكوار

والله يـسـاعدكـم بْــنَــوّ المـروفـه

ومن الأمـثال «حـط الكـور علـى الباكور، وافرش جواعدنا ننام».

المِسامه. جمعُه مِسَـامٌ، رَحْل يصنع من خشـب الأثل ويشدّ عَـلى حداجة (حوي) من الـصوف محشـوة بالتبن، وتشد على ظهر الـبعير لحمل الأثقال، وهي نوعان: مسامة مكوسر صالحة لحمل الأثقال وللركوب عليها؛ ومسامة مدوفع صالحة لحمل الأثقال ولا تصلح للركوب عليها. والفرق بين المَسامتين هو أنّ مسامة المكَـوْسَرَ مصالـيبهـا (عصيّهـا) العلـيا متقاطعة، فيكون وسطها منخفضاً هابطاً فإذا وضع عليـها الفرش أصبحت لينـة

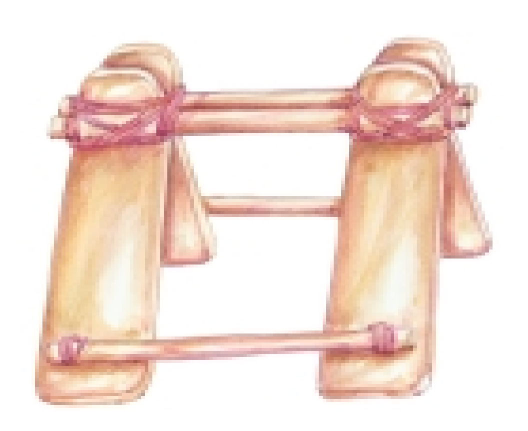


مسامة مكوسر



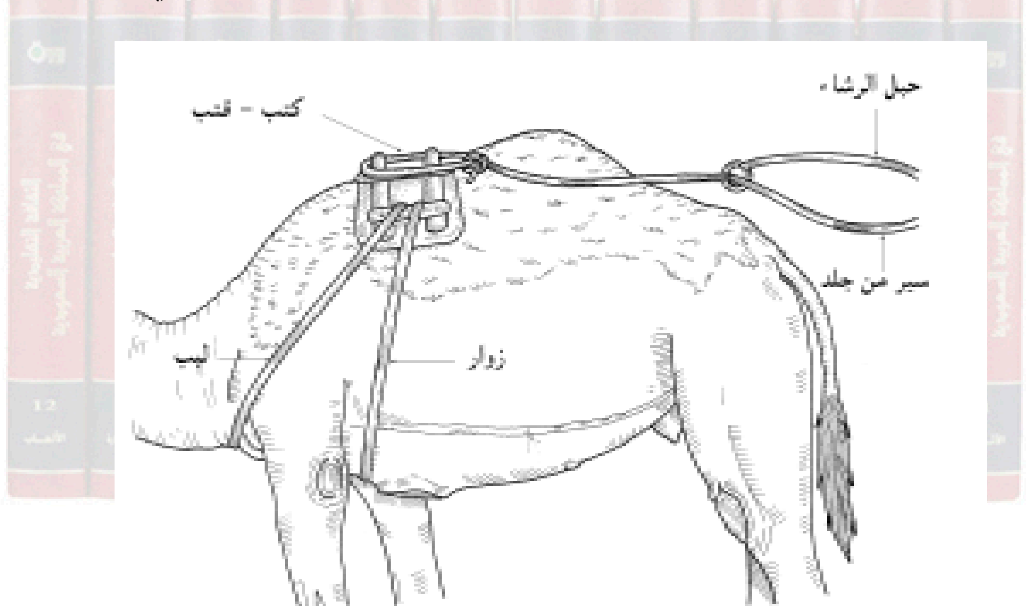
مريحة للراكب، أما مسامة المُدوْفَع فإن كلّ مصاليبها وعِصيّها معترضة بين رأسيها الأمامي والخلفي مثبتة في ظلافهما قوية لتتحمل الأحمال الثقيلة.

والقِتب أيضاً هو المسامة، والعامة من الحاضرة تسميه الكَتَب وأكثر ما كان يستعمل لاستخراج الماء من الآبار (السني)، أما البادية فتسميه المسامه وهو من أدوات مراكب الإبل، وهو الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير. وقيل القَتَب لبعير الحمل، والقِتْب لبعير السانية والجمع أقتاب، والقَتوبة الراحلة التي يحمل عليها. ويلاحظ أن كِتب استخراج الماء يكون صغيراً وعادة ما يوضع على غارب المطية. أما كتب البادية المخصص للحمل ولاستخراج الماء فيكون كبيراً ويكون على سنامها مثل وضع الشداد والريسان.



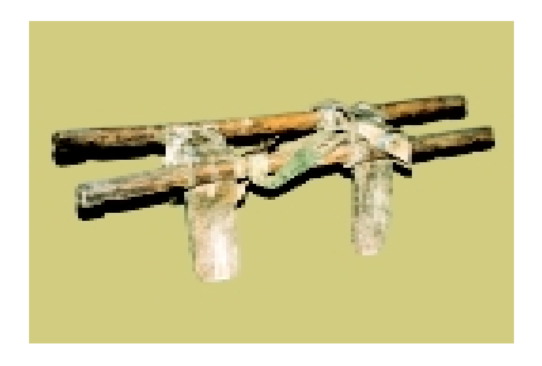
مسامة مدوفع

وأجزاء المسامة الرئيسية ثلاثة؛ هي الأظلفة والمصاليب والكنايف؛ فالأظلفة عددها أربع، ومنها تتكوّن الرؤوس، كل ظلفتين يكونان رأساً، وأعالي الظلاف



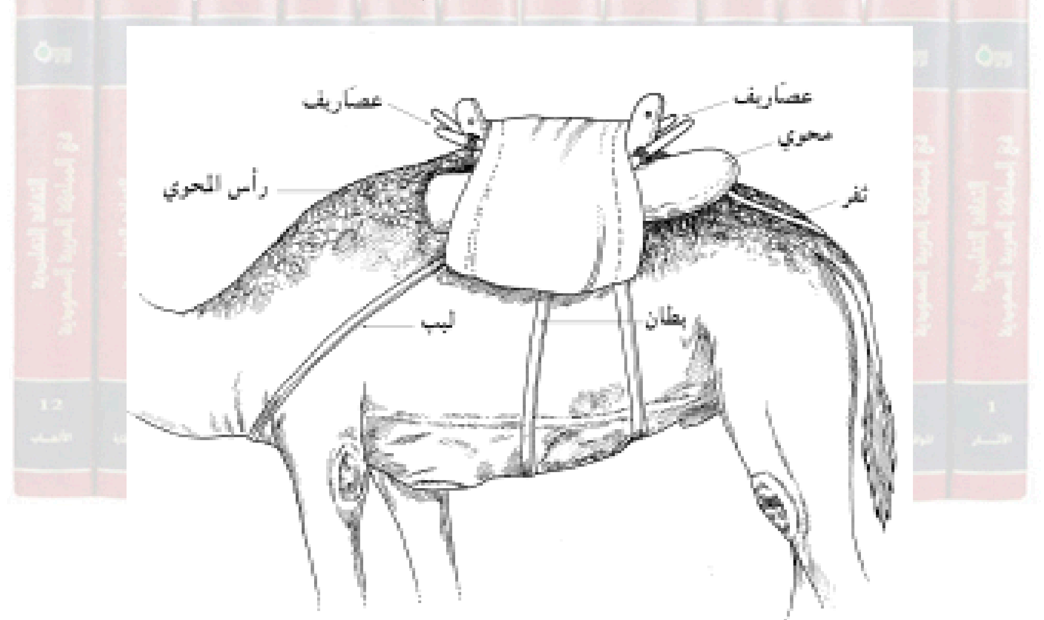
كتب لسحب الماء من الآبار ويستعمل في المزارع في الحجاز



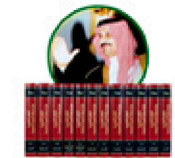


نوع من القتب

تكوّن الرؤوس، وأسافلها عريضةَ تـثبّت فيها العصيّ، وتستند الأماميـة على البد والخلفية علـى الحوي، وهي التي تحمل الأحمال، وتشدّ كل ظلفة إلـى مقابلتها بدخـاش (عود) مصفـح ينفـذ الاثنتين ويجمـعهما معـا، وكذلك تشـدّ أعالي رؤوسهـما بوسار قـوي من القدّ، وقـد يضاف إلـى ذلك مسمار واحد فـي كل رأس ليزيد من شدّهما. والمصاليب هي العصـيّ العليا، وهـي عصيّ قويّة غيـر مصفّحة، تكون في مسامة المَدوْفع اثنتان منها، كل واحدة في جنب من جنبيها، وفي مسامـة المكوْسَر أربع متقـاطعة في كل جنب اثنتان. أما الكنايف فالواحـدة كنيفة وهي عصيّ مصفّحة تثبت في جنبي المسامة، وتثبت في مسامة المدوفع ثلاث منها في كلّ جنب، وفي مسامة المكُوْسَرْ في كل جـنب اثنتـان وتسمى رؤوسـها العصـاريف ويقال لهـا العصافـير وهي رؤوس عصي المسامة، واحدتها عصفور وهي الخشب الذي تشد به رؤوس الأحناء وتضم به، وتعلق عليها العدول والراوية



المسامة (القتب) ويستعمل عادة لنقل الأحمال لملاءمته لذلك، وهو أكبر من الشداد



وما حُمل على ظهر المطية. وتثبت في الظلاف بسيور من القدّ من خلال ثقوب في الظلاف عملت لهذا الغرض. وسمّيت الكنايف بهذا الاسم لأنها تكتنف الحداجة والظلاف من جانبيها وتحمل عنها الثقل؛

قال عبد المحسن بن صالح:

جده عماني وام ابوها نعامه
تيهيّةٍ ما رددت بالمسامه

وقال هويشل بن عبدالله:

ما داره الجحلوط فوق المسامه
ولا انسدح فوقه كما الغرب مشبوح

وقال محمد بن مهدي:

منجوبة الجدين من نسل ظبيان
ما علّق الجمال فوقه مسامه

قال محمد بن عبدالله القاضي:

عوص ممس حبالهن شاب مقلوب
من سوج مس عقوب حبل المصاليب

وقال حمد بن عمار:

حاجاتنا فيهن وحق الركايب
بظهورهن الني حشو المصاليب

وقال أبو ذيب السبيعي:

حنا ذيابة مقرعات التوادي
إلى ركبنا فوق عوج المصاليب

وقال محمد بن منصور من أهل الرس:

خوينا ما نصلبه بالمصاليب
ولا يشتكي منا دروب العزارى

ومن جيد ما قيل في المصاليب ما قال خلف أبو زويد السنجاري الشمري:

حمرا وتكسر من عياها المصاليب
إلا وتوّه في جهلها منيبه

وقال عمر بن ماضي:

لى رقّعوا للنضا واقتلت خطاها
خطرٍ على كورها تكسر مصاليبه

وقال محمد بن سلمان:

كم كالفٍ قد رخص عنده مقامه
لى صرصرت علقانها بالمصاليب

أما الوقاء الذي يكون فوق المسامة لوقاية الراكب وراحته فقد يكون ساحة أو خفا (خافيه) أما ما يوضع تحت المسامة أو الكتب لوقاية ظهر المطية فما تحت الظلاف الأمامية يسمى البِد أما الذي تحت الظلاف الخلفية فيسمى حوي وهو متصل ببعضه ويلتف على سنام المطية من الخلف. وتربط المسامة بالزوار إذا كانت الذلول قافلاً (ضعيفة) والبطان والثفر إذا كان البعير بديناً، وقد يوضع الحقب وقد يكتفى عنه بالثفر.

الحْدَاجَه. وتسمى الوثر، وهي كيس مستطيل، يصنع من صوف خفيف النّسج ويقطع أربع غرف متّصلة بواسطة الخياطة ويُحشى بالتبن. وإذا



وضعت مسامة على الحوي فلا يعود اسمها حداجة، فالحداجة تكون بدون مسامة، فإذا وضع عليها مسامة سميت مسامه أو كِتَبْ. فالحوي جزء من الحداجة وكلمة حداجة تشمل الحوي. والحداجة الصغيرة التي على الغارب تربط بالبطان والحقب ويوضع عليها غطاء (وقاء) قد يغطي السنام. والعرب تُسمّي مخالي القتب أبدَّة، واحدها بداد، فإذا ضُمّت وأُسرت وشُدّت إلى أقتابها محشوةً فهي حينئذ حداجة، وجمع الحداجة حدائج. وفي اللسان «الحِدْج الحِمل، والحِدْج من مراكب النساء يشبه المحفة، والجمع أحْداج وحُدوج. والحِدُوْج الإبل برحالها، قال:

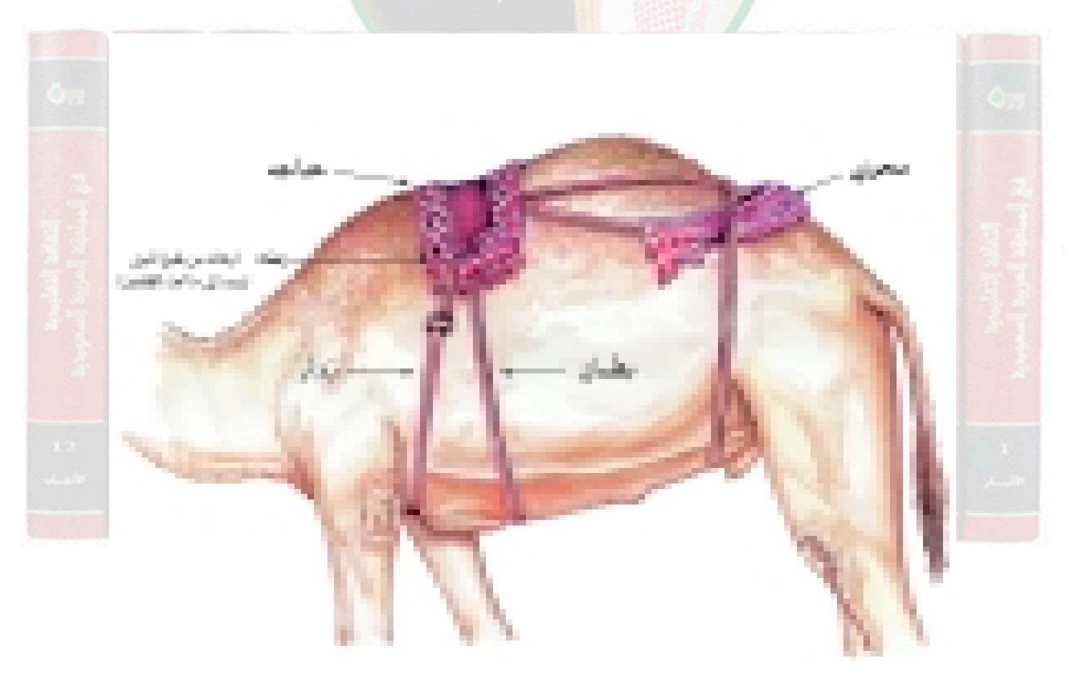
عينا ابن دارة خير منكما نظرا
إذ الحدُوج بأعلَى عاقل زُمَرُ

قال الليث: الحِدْج مركب ليس برحل ولا هودَج تركبه نساء الأعراب».

وعلى ذلك قول الشاعر:

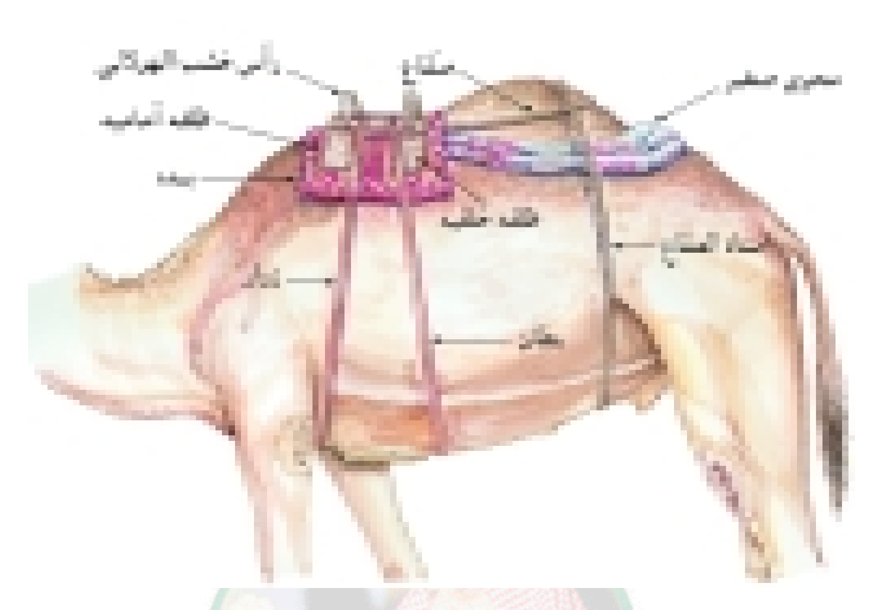
إن في الأحداج مقصورةً
وجهها يهتك ستر الظلام

والحداجة هولاني كبير يستعمل في الشمال، أما ما كان تحت المسامة فالأمامية تسمى البدَّه، والخلفية تسمى الحوي. وتتكون الحداجة من قطعتين من القماش مثبتة في نسيج قوي، ومحوي مثبت في



الحداجة وملحقاتها





الهولاني وملحقاته

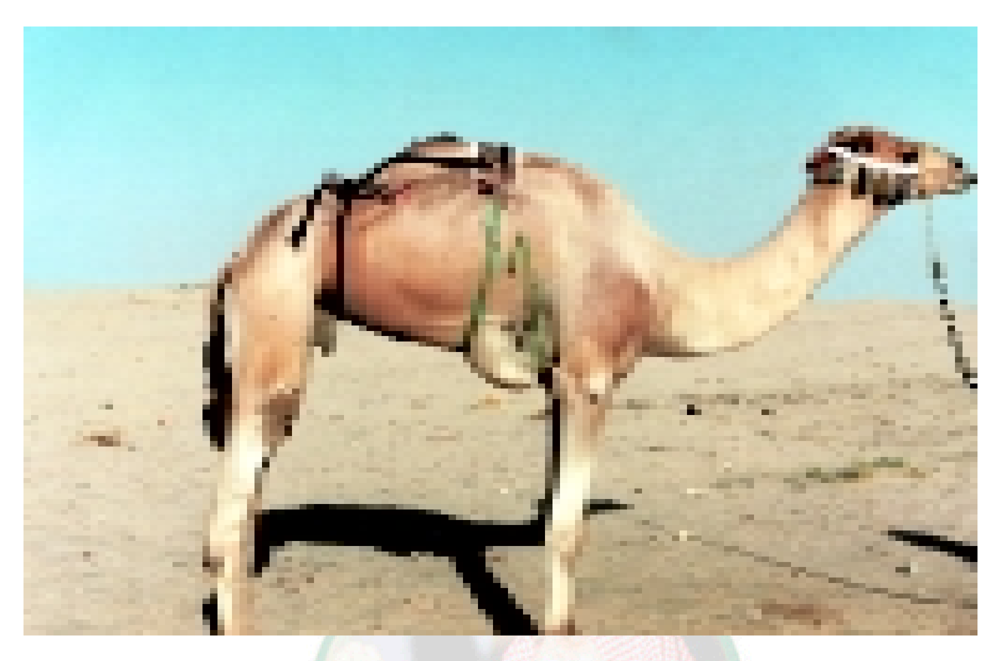
الحداجة من الطرفين يلف على سنام المطية ماراً عـلى فقارتـها، وقد يوضـع وقاء إضافي على المحوي وقد يـغطى السنام إذا كانت المطيـة ضعيفة. أما الهولانـي فيـتكون من ظـلاف وعضود ومحـوي صغير يدور على السنام، وتربط الحداجة والهولانـي بالبطان والحقـب، ويوضع تحت خشب الهولاني اثنتان من البِدّ من اليمين والشمال، وخشب الهولاني يكون على غارب المطية.





خشب الهولاني





حداجة صغيرة للسباق

ووجـوه الاخـتـلاف بـين الحداجـة والهولاني أن الحداجة لا خشب لها يوضع على الغارب وإنما قطعة قماش تلف على قطعتين من الخشب تلف على كل جانب. كما أن المحوي الخاص بالحداجة أكبر من المحوي الخاص بالهولاني، كذلك تختلف في الاستعمال؛ فالحداجة تعـتبر مراكب متواضعة توضع على الرحول وعلى قعدة الإبل وهي مركب غير مرغوب فيه عند البادية، أما الهولاني فقد يـستعمله كبار رجال القبيلة وتزين بسفائف.

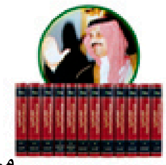
ومن أمـثال الـعرب فـي الحداجـة والحدج قولهم «كالفاخرة بحدج ربتها» ومن أمـثال العامـة قولهم «مـن دونك حْداجه، ومن وراك حداجه، ولا قضيت لك حاجه». والذلول التي عليها حداجة تسمى حدوج. أما في الشعر النبطي فقد قال محمد بن مسلم:

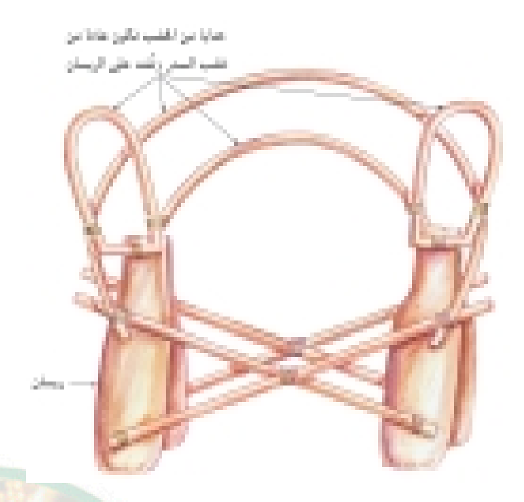
حـيـذوركـم يـاراكـبـين الحـداجـه
عن الحضـر في مكرهم لا يصـيدون

وقال شاعر من الدواسر:

هـجـنـنـا داجن عـلـى نجد بـراجـه
عـقـب مـا هن بـالحضـايف ربّـعـن
فـوقهـا اللـي ما يـديرون الحـداجه
ما حـلـى بـاكوارهـا صوت المـغنـي

الْحني. وتجمعها البادية على حنايا، وحُنْوَة جمعه حَنَايا وحِنًا وحِنيّ. وحِنْوُ الرّحل والقتب، والسّرّج كل عود معوج





الحني، مركب من دون ظلة

من عيدانه، وتطلق التسمية على نوعين الأول اسم لمركب من دون ظلة، يتكون من أربع حنايا؛ جانبيتين وأمامية وخلفية، يشد على المسامة أو الريسان وتركب فيها أجمل نساء أو بنات القبيلة لتستحث رجالها على القتال والدفاع عنها لأنها تمثل شرفهم وعرضهم، وتكون ناثرة شعرها مكشوفة الرأس والوجه. ويسمى الجمل الذي تركبه العطفه أو العّماريه، وهذا الحني هو حني الحرب. ومن جيّد ما قيل في الحنيّ، قول فهيد المجماج:

شدوا ودنوا للحني كل مطواع
كل أشقحٍ ما احسن قرينه ورمله

وقال شالح بن هدلان القحطاني:

باغي عليها باوّل الخيل مرواس
لى حل في تالي الظعاين زعازيع
لى طار ستر معكرشة مقدم الراس
وتوايقن بين الحنايا مفاريع

والنوع الثاني الحنايا التي تكون للغبيط والهودج وهي عصي تُحنى ويتّخذ منها ست تشدّ أطرافها في الريسان خاصة، وتتكون منها غرفة غبيط المرأة، وغرفة الظلّة، وتغطّى من أعلاها بغطاء جميل. والشعراء يعبرون بالحنايا عن الغبيط والظلّة، وهو عربيّ فصيح؛ قال محسن الهزّاني في الحنايا:

يامن إلى وردن االاظعان ما ورد
يامن رشوش قرونه الشقر ما ورد
علي ما ركب الحنايا ولا ورد
بالزين مثل بنية عند سرداح

وقال أيضا:

سالت مدامع ناظري فوق خدي
وابديت للجهال مكنون سدي
نهار عاينت الحنايا تشد
على ظعون الترف مياس الاردان

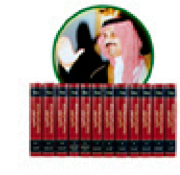
وقال نمر بن عدوان:

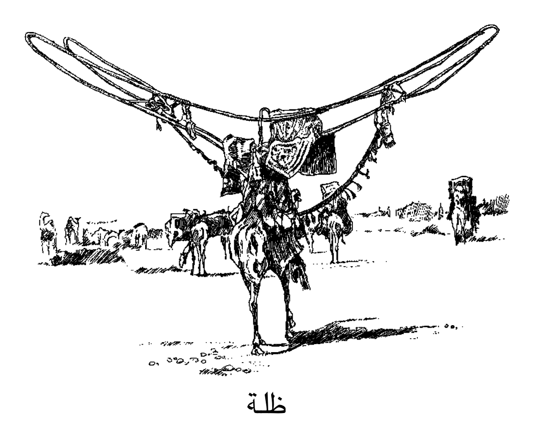
ولو جن بنات البدو صف تبارا
على الحنايا دللن كل خوار

وقال عبد الرحمن بن ناصر:

كن الظبا من بين عوج الحنايا
مع جانب البترا وهن مقفيات

الظِلّه. نوع من مراكب نساء البادِية، وهو هودج صغير غير مجونح، له حَنايا

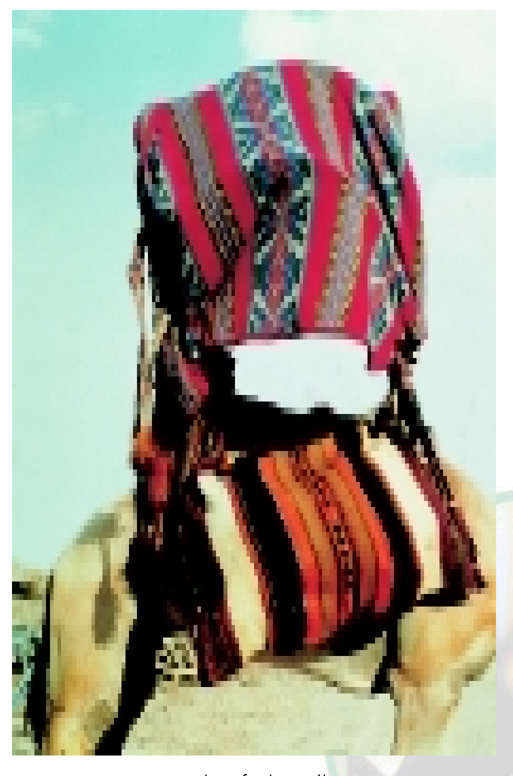




ظلة

تحمل غطاءه الواقي عن الشمس. والظلة الشيء يُستَتَر به من الحَرّ والبرَد وهي كالصُّفّة. والظلّة كذلك تحمي المرأة في داخلها وتسترها من الشمس والبرد، وهي غطاء الغبيط، سُمّيت بذلك لأنها ذات ظلّ في داخلها حيث تجلس المرأة، فلا تصيبها شمس. وحنايا هذا المركب ثابتة في مسامته، والبعض يسميّها غبيطاً، وهي أصغر من الغبيط. وتختلف عنه من حيث الشكل، والبدو الذين يستعملونها لا يسمّونها غبيطاً، إنما الغبيط عندهم هو المجونح.

الغَبِيْط. جمعُه غبْطَان وهو مركب من مراكب نساء البادية، له عصيّ محنية مرتفعة فوق حوضه مثبتة أطرافها في الريسان، يوضع عليها أغطية جميلة للظلّ ويعلق فيه كتل ملونة تتطوّح إذا مشى الجمل للزّينة. والغبيط عربيّ فصيح؛ قال امرؤ القيس:

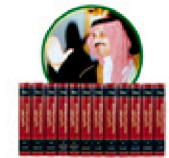


الغبيط وأجزاؤه

تقول وقد مال الغبيط بنا مَعاً
عقرت بعيري يامرأ القيس فانزلِ

وفي اللسان «الغبيط المركب الذي هو مثل أُكُف البخاتي، قال الأزهري: ويقبب بشجار ويكون للحرائر. وقيل هو قتبة تصنع على غير صنعة هذه الأقتاب. وقيل هو رحل قتبه وأحناؤه واحدة. والجمعُ غُبُط».

ولا تنافي ولا اختلاف بين هذه الأقوال في وصف الغبيط فكل قول منها يصف جانباً منه، فهي أقوال متكاملة وصائبة. ومراكب نساء البادية غبيط كبير واسع،



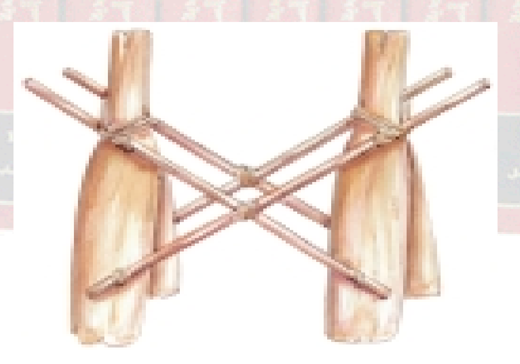


الغبيط وأجزاؤه من الخلف

يسمّونه غبيطاً، ويسمّونه مجونحْ لأنَّ له أجنحة تمتد يَمنة ويَسرة. ويُسمّونه مُطاولْ لأنه ذو شكل مُستطيل. وقد ورد في الشعر الشعبي بكلّ هذه الأسماء.

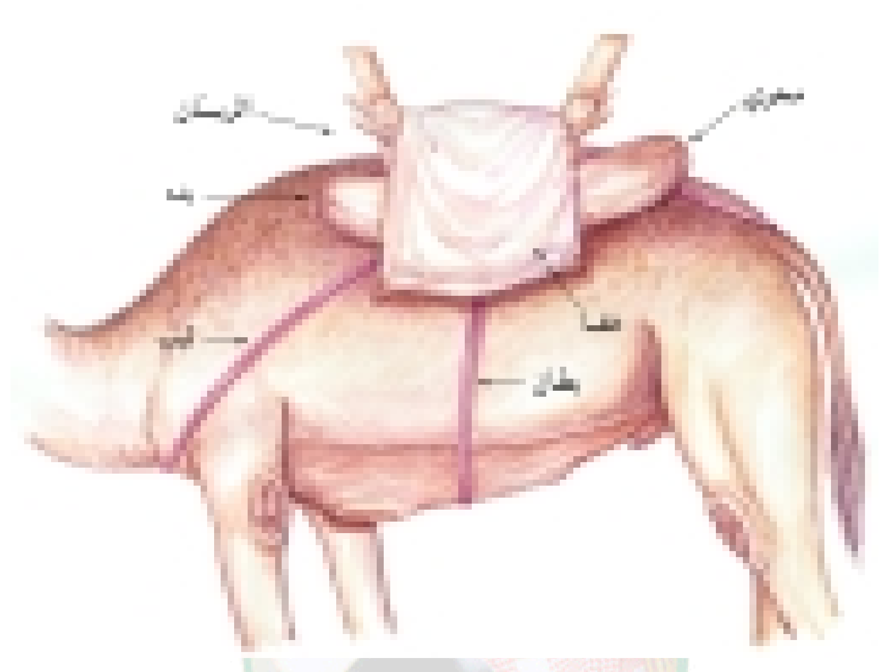
والخشب المستعمل في الغبيط والمحمل والحني والهودج هو الريسان لأنه يختلف شكلاً عن الشداد وعن المسامة بطول رأسيه، فإذا وضع عليه ست حنايا سمي غبيطاً، وإذا وضع عليه أربع اثنتان متخالفتان من كل جانب فهو محمل وإذا وضع عليه أربع واحدة من كل جهة فاثنتان في الأمام والخلف واثنتان على اليمين والشمال سمي حنيْ، ومثله الهودج إلا أن الحني يستعمل في الحروب ولا غطاء له مثل الهودج وقد يستخدم الريسان مركباً للنساء والأطفال الصغار. ويوضع تحت الغبيط البد والمحوى وهناك من يضع على المحوى فشايخ لزيادة الأمان على البعير من الظلاف الخلفية، أما ما يوضع فوق الغبيط فهو مضرب أو أي وقاء جميل آخر، وظلة (عشوه) والترياشه وهي عبارة عن ستارة خلفية. ويربط الغبيط بالبطان، وثفر مزرج للتجميل، ولبب عريض يتم تجميله.

ولا تختلف الغُبُطُ بعضها عن بعض إلاّ فيما يزاد على بعضها من مظاهر الزينة، كالأجنحة المستطيلة التي تكسى بأكسية مُلوّنة زاهية، وما يعلّق فيها من الأهداب والكتل. وعند تأمل وصف الهَودج ووصف الغبيط في مصادر اللغة



الرّيسان





الريسان على ظهر البعير

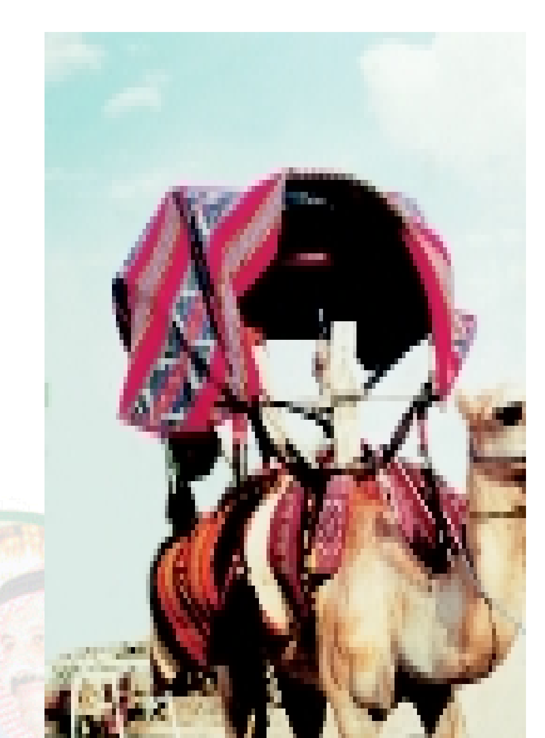
نجد أنه لا فرق بينهما. والغبيط الخاص بالفتيات يعتنين بتزيينه وتغطيته باللون الأحمر، أما كبيرات السن فلا يعتنين بذلك، وغالباً ما يكون الغبيط الخاص بهن أصغر حجماً من الغبيط الذي يخصص لركوب الفتيات. والغبيط المجونح مركب نساء أمراء القبائل، الذين لا تخلو بيوتهم من عدد من العبيد والخدم، الذين يتولون حمله على الركوبة ووضعه عنها في حلّهم وترحالهم، لأنه كبير الحجم وثقيل لا تستطيع المرأة حمله على بعيرها. ويتميّز الغبيط المجونح بأشياء كثيرة يُقصَد بها جمال المظهر وراحة المرأة فيه، وقبل ذلك فهو يحتاج إلى البعير الذي يحملُه، فإنّهم يخْتارون له بعيراً أعْفَر (أبيض يشوب بياضه حمرة خفيفة) كبير الجسم واسع الخطو، وقد أشار إليه بعض الشعراء لأهميته؛ قال بصري الوضيحي:

دَنُّوا لهـا من زمـل ابـوها مضـنّه
أشقـح يسـاوي خطـوته يـوم ناض

وقال أيضا:

يـاعلـي واخـلـي ورد جَبُـو جـدلا
وشـعـاع والغـرا نـسفهـن يمـينه





غبيط مزين بأكسية زاهية

أقفى معَ زبن الحدير اخو بتلا
فوق اشقحٍ كن المطارق يدينه

ومن هذه الأشعار تتضح صفات الجمل الذي يختارونه لحمل الغبيط. فهو أشقح كبير الجسم واسع الخطو مذلَّلٌ طَيِّعٌ ينقاد بزمامه، حسن السّير.

وتميز الغبيط الأجنحة الممتدة منه يمنة ويسرة وما يضفى عليها من الستائر والأغطية. ومن فوائد هذه الأجنحة أنّهم إذا نزلوا منزلاً وكانوا لا يريدون الإقامة فيه، فإنهم في وقت الظّهيرة يستظلون تحتها؛ يقول شاعر من عتيبة في الغبيط المطاول:

وادي الهيشه حل به قطعان
ومطاولاتٍ ناحَرَت لسهيل

وقال عبدالله بن دويرج:

هني من تلّه وهو في محلّه
تلة قعود مجونحٍ بالزمام

ويتميز الغبيط أيضاً بالخزام؛ لأن جمل الغبيط لا يستعمل له خطام كغيره من الجمال، وإنما يُستعمل له خزام يُشدّ في أنفه، لأنه أقوى من الخطام في التحكم في انقياد الجمل، ويتميز مقود الخزام عن غيره بتجميله بالألوان المختلفة. وفي الغبيط اللّبب، ويتميز بأنه عريض ومنسوج من الصوف الملون، ومزين بالأهداب الجميلة. أمّا الأهداب والسَّفايف الجميلة الّتي تُعلّق بالأجنحة، وتتطوّح مع حركة سير الجمل، فهي من مميزات الغبيط التي أشار إليها عبد الرحمن بن سليمان الباهلي بقوله:

والقلب داله والطرب والغواني
ما بين شطب وبين سمر اللحاليح
فيه البني مدعجات العيان
غبطانهن تومي بهن المطاويح

والغبيط صناعة محلية، يصنع قتبه من خشب الأثل، أما أجنحته وحناياه فإنها تتخذ من أخشاب السدر لقوتها. ولم يعد الغبيط مستعملاً منذ وقت مبكر





عظام الغبيط

من القرن الرابع عشر الهجري، بعد أن أقيمت الهجر واستقر أمراء القبائل فيها، وتركوا حياة البداوة والحلّ والترحال.

ومن جيد ما قيل في الجمل الأشقح الذي يحمل الغبيط وفي لببه المزيّن، وفي الأكسية والأهداب التي يجمّل بها قول سليمان بن شريم:

علمي بهم يوم اختلاف البصاير
فوق اشقحٍ يزهى اللبب والنشير
فتخٍ يدينه من كبار الفقاير
لا هوب لا جرمي ولا هوب ديري
يبرا لنجع معمّرين الكساير
شدوا بها واقفوا وانا مستخير

ومن أنواع الغبيط **المِقْصَر**، وجمعهُ مقاصِر، ويسمى أيضاً مقَوْصَر، وهو مركب من مراكب نساء البادية في ترحالها، وهو ما يسمّى مطاولاً ومجونحاً. قال إبراهيم بن جعيثن:

شايلين بالمقاصر والوهيد
ناقلين كل ما تحت العمود

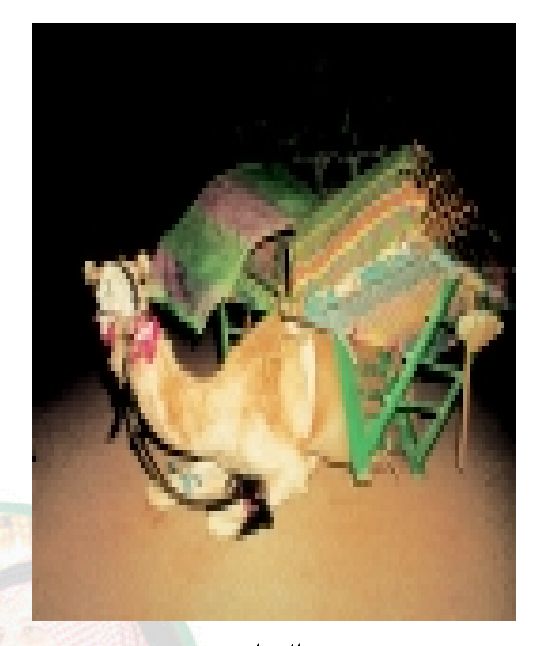
المِحْمَل. جمعهُ مَحَامِل، جاء في اللسان: والمَحملْ: واحد محامل الحجّاج قال الرّاجز:

أوّل عَبْد صنَع المحَامِلاَ

والمِلْبَن المِحْمل، قال: وهو مُطَوّل مُربّع، وكانت المحامل مُربّعة، فغيّرها الحُجّاج إلى مستطيلة، لينام داخلها الحاج. وكانت العرب تسميها المِحْمَل والمِلْبَن والسّابل.

والحمول بالضم الهوادج، سواء كان فيها نساء أو لم يكن فيها أحد. وهو مركب من مراكب نساء الحضر، يختلف عن غبيط نساء البادية، في أنّ البعير يحمل منه اثنين متعادلين على كل جنب منهما واحد، وأنه ذو ستائر ضافية من كل جهاته، وهو عربي فصيح. وحنايا محمل البادية حنيتان متقاطعتان في كل جانب ولها ظلّة واحدة، وهو مركب لا يصل في مستوى فخامته وزينته إلى مستوى الغبيط.





المحمل

ومن طرائف ما ورد في المحمل قصة رجل من أبناء البادية بَار بوالديه اللذين قد بلغا من العمر عِتِيّاً، وكان يحملهما معاً في محمل على بعير واحد يتقابلان ويتحدثان طيلة مسافة النجعة، وذات يوم قال الشيخ الهرم بتلهف لزوجته العجوز واسمها شفاقة «حبيني ياشفاقه» أي قبليني، فأجابته العجوز بدلال وإغراء «ما احبك ياكود بْناقه» فنظر إليها شزراً ومطَّ شفتيه وهو يقول «لو انك غضه ورقاقه، عطيتك مع الناقه ناقه» فجزعت العجوز وغضبت وتطاير الشرر من عينيها الغائرتين في كهفي حاجبيها وقالت متحدية له «والله لاجذب شظاظك» فرد عليها متحديها بمثله وهو يقول «والله لين جذبت شظاظي لاجذب شظاظك» فجذب كل منهما شظاظ الآخر، وسقطا على الأرض فاندقت عنق كل منهما وفارقا الحياة من يومهما إثر تلك السقطة (السويداء ١٩٩٣، ج٢: ١٠٠).

ومحمل نساء الحضر يُصنَع على هيئة غرفة صغيرة من الخشب، ويبطن من داخله بقماش قطني ويكسى من خارجه بالخياش ثم يلبس فوقها بشفوف جميلة من الصّوف، وتوضع لمقدمته ستارة جميلة، ويعلّق على جنب الراحلة بعروتين قويتين، موثقتين بالقدّ.

أما محامل الحُجَّاج التي تستعمل للرّجال فإنّها من النّوع نفسه، غير أنها لا تستر من الأمام، ولا يكون عليها شيء من أكسية الزينة، ويحمل البعير منها اثنين متعادلين. ويقال «جمل محامل» للرجل القوي الذي يتحمل المسؤولية ولا يشتكي.

ويسمّى محمل المرأة أيضا كواجه وجمعه كوايج، وهو اسم تركيّ أصله «كوج أوبه» أي هودج وهو ما يركب به.

وأشار الجنيدل إلى نوع آخر يُسمّى محْمَل طَيَّار، كان مستعملاً في نجد تركب فيه النّساء في سفر الحج، وأكثر من



يستعمله أهل القرى، وهو أشبه ما يكون برف يعلّق على جنب البعير وتجلس فيه المرأة، ليس له جوانب قائمة ولا غطاء، وهو مصنوع من خشب الأثل. يتكوّن من ألواح مستطيلة تثبت أطرافها في خشبتين قويتين من خشب الأثل أيضاً، ويكون بين كل لوح وآخر فتحة بقدر خمسة سنتيمترات تقريباً. وفي أطراف الخشبتين تثبت أربع عُرى قويّة يُعلّق المحمل بها في رأس مسامة البعير، ثم يفرش بفراش وثير وتركب فيه المرأة جالسة. قال زامل بن سليم:

بالعمار الغوالي سمحنا

دون صرّة محامل نسانا

وقال شاعر آخر:

يالهجن شلن بنا شله

من فوق عوج المصاليب

الهَوْدَج. جمعُه هوادج، مركب تستعمله النساء في ترحالهن، يعمل على هيئة غرفة صغيرة من الخشب تثبّت في المسامة، وله عصيّ محنية في أعلاه توضع عليها أكسية جميلة من الصّوف تحميه من الشمس والبرد، ويتسع مقعده لامْرأة واحدة، وأصله عربيّ فصيح؛ ففي اللّسان: الهَوْدَجُ من مَراكب النساء مُقَبَّب وغير مُقَبَّب، وفي المحكم: يصنع من العِصيّ ثم يجعل فوقه الخشب فيُقبَّب.

ولـلهودج أربع ظلاف من تحت كظلاف الشداد، ورأس أحدها طويل يرتفع من المتر إلى المتر ونصف، وله عارضة من تحت تؤسر على كل ظلفتين من جهة. وعلى هذه القاعدة وعلى رأسي الهودج الأمامي والخلفي تؤسر الأحناء التي تركب عليها ظلفة الهودج. وتتخذ الأحناء من أغصان الأشجار المطاوعة للحني حيث تُقطع وهي خضراء وتحنى بالقدر المطلوب والدرجة المرغوبة وتثبت على ذلك حتى تجف، ثم يجري تهذيبها ثم أسرها على جسم الهودج. ويغطى الهودج أحياناً بما يسمى الظلة وهي أنسجة مختلفة. والهودج هو مركب النساء المترفات منذ قديم الزمن، وله ذكر واسع في الشعر العربي الفصيح والشعبي؛ فمن الفصيح قول عروة بن أذينة:

ما زلت أبغي الحي أتبع ظلهم

حتى دفعت إلى ربيبة هودج

وقال عنترة:

فقدت التي بانت فبت معذبا

وتلك احتواها عنك للبين هودج

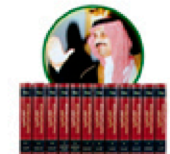
وقال لبيد بن ربيعة:

وبيض تربتها الهوادج حقبة

سرائرها والمسمعات الروافل

تروح إذا راح الشروب كأنها

ظباء شقيق ليس فيهن عاطل



ومن الشعر الشعبي قول محمد بن لعبون:

وانتي على هودجٍ مزموم

ومن الغوالي جهاجيله

وقال عبدالله البراهيم الجابر الخويطر:

لى جن مثل مقوطرات الجوادي

لا قوّض الهودج سويعات الامعاج

والباصرة والباصر نوع من الهوادج ذكر ابن سيده في المخصص أنه قتب صغير مثّل به سيبويه وفسَّره السيرافي وليس له شيء اشتق منه. وهو أقصر في عصاه المرتفع وأوسع في حناياه، وتستعمل الباصرة لركوب الأطفال الصغار وأمهم؛ وذلك لسعة حناياه التي تحيط بجسمه.

وللهودج عضادة عند بابه يُسد بها تسمى عنجة الهودج، أما القواعد فهي خشبات أربع معترضات في أسفل الهودج وقد رُكّب فيهن.

التخت. من مراكبهم التَخت، وجَمعُه تخُوْتٍ، وفي قاموس ردّ العامي إلى الفصيح ذكر أن التخت بمعنى السرير دخيل تركي، كان يجلس عليه الملك في المواكب، نشأت منذ زمن المماليك. وهو مركب على هيئة غرفة مسترة يحمل راكباً واحداً ويحمل على بعير، ومنه ما يحمل على البغال.

وذكر في صبح الأعشى أنّ لهم مركباً يكون سريراً يحمل بين بغلين أو بين بعيرين ويسمّونه تخت رُوان، وبعض العامة ينطقونه تخت روام (بالميم) قال محمد بن عبدالله القاضي:

فان برّكوا للراي شالت حماله

جمال التخوت اللى يشيلون الاثقال

وقال سعد بن مساعد مطوع نفي:

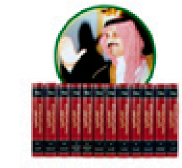
جمال التخوت اللى تقرّب من الشيل

وجيههم طول الدهر ما تشينِ

القن. من مراكب النساء وهو شبيه بالظلّة إلاّ أنه ليس له حنايا، وإنما يكون



القِن



ظلّة من عصي مثبتة أطرافها السفلى بالقتب بسيور القدّ، وهي أربع متناوحة، ويجمع بين رؤوسها الأربعة العليا أربع عصيّ تشد أطرافها بسيور القدّ فهي التي تحمل الغطاء، ويكون أعلاه مربعاً، وهو مركب لامرأة واحدة، ويستعمل في شمال المملكة.

ربط المراكب وشدّها

يراد بربط المراكب شد أجزائها إلى بعضها في مرحلة الصناعة، ثم ربطها بعد تثبيتها على ظهر الراحلة. وتستخدم العرب في ذلك سيوراً وحبالاً وانساعاً تتخذ من القد والعصب والصوف والقطن والليف واللِّحاء ونحوه. ويستعملونها للشدّ أو الربط أو السَّحب. وأول ذلك الحبل وهو لفظ فصيح، قال الله تعالى: ﴿فِي جيدها حبل من مسد﴾ (المسد: ٥).

قال عبيد بن هُوَيدي:

القلب كنه بالكلاليب مجذوب
والا تجره بالحبال السواني

والشاعر يعني حبال الأرشية التي تجذب بها السّواني غروب الماء من البئر. وتسمى حبال الرحل الأرباض واحدها ربض؛ قال الشاعر:

إذا غرقت أرباضها ثني بكرة
بتيهاء لم تصبح رؤوماً سلوبها

ومن الحبال البطان، وجمعه أبطنة وبطن، يتخذ من حبال الليف المفتولة القوية، ويتكون من حبلين متساويين متوازيين، ويلف عليهما خرق تتداخل بينهما، ويشدّ أحدهما إلى الآخر. ويجعل البطان خلف زور البعير وأمام السرة، ويربط أحد طرفيه في رحل البعير من جانبه الأيمن ثم يلف حول زور البعير ويربط طرفه الآخر في الرحل من جانبه الأيسر ويشدّ بقوة ليثبت الرحل على ظهر البعير وقد يتخذ من حبال الصوف؛ قال عبد المحسن الصّالح:

ارخ الحقب واكرب بطانه ورده
والكور من جبه سْتاده شطير

والبطانة قد تؤثر في غارب الناقة وأثرها يسمى الحوح؛ ومن الحداء قولهم:

ملحا والحوح بغاربها
ملعون الشيبه ضاربها

أما الثفر فهو حبل يمتد من الغبيط إلى عكرة ذيل المطية لمنع انزلاق الغبيط إلى الأمام. كما يوضع للشمالة ويكون طويلاً يصل الظهيرة بصحن الشمالة. ومثله الحِيال وهو حبل يشدُّ من بطان البعير إلى حقبه لئلا يقع الحقب على ذيله.

ومن الحبال أيضاً الحقب، وجمعُه محاقب ومحاقيب، وهو ما يلف حول



البطن. جاء في اللّسان الحَقَبُ بالتّحريك: الحزام الّذي يلي حقو البعير، وقيل هو حبل يُشد به الرحل في بطن البعير مما يلي ذيله لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدمه، تقول: أحقبت البعير. والحقب حزام يشد به رحل البعير يربط خلف السرة وأمام الفخذين ليمنع انزلاق الرحل، يتصل طرفه بالرّحل من ناحيته اليمنى ثم يلف حول بطن البعير مما يلي خاصرتيه ويربط طرفه الآخر بالرحل من ناحيته اليسرى، ومحله في مؤخرة الرحل، ليمنعه من التقدم، ولا يشدّ ربطه مثل البطان، واللفظ عربيّ فصيح.

ويكون حبل الحقب لينا وعريضا، مجدولا من الصّوف أو الوبر، أو يكون مفتولا من اللّيف وملفوفا بالخرق. وأكثره استعمالاً ما كان من الصّوف، وهو مثل حبل البطان، ويكون من اللّيف؛ قال خلف أبو زويّد السنجاري الشمري:

حمرا حقبها للملوّح ينوطِ
يشوق قطّاع الخرايم ركوبه

وقال عبدالله بن ربيعة:

بندر إلى لز الحقب للحزاما
حمّاي زمل مخدّرات بالاكتاب

وقال عبدالله بن سبيل:

بيض المحاقب والغوارب مشيبات
للتلو ما سووا لهن التوادي

قالت مغيظة الدليمان:

مع كل مسيوفٍ حقبها يلوحي
ياكثر ما نز الفرنجي وراها

ومما قيل في الحقب قول حمود بن عبيد العلي الرشيد:

واحلو دله والحقب والسفيفه
والا الرسن والميركه فالهوايل

وفي بعض المناطق يكون الحقب معمولاً من السفيفة نفسها؛ لهذا فإنها تُسمّى سفيفة وتُسّمى مِحقبة.

ومن الأمثال الشعبية «لَزّ الحقَبْ البْطان». يقال إذا اشتد الأمر. وفي الفصيح «ضاقت حلقات البطان». ويطلق على الإبل «ملافخات المحاقيب».

أما الولم أو الوكم فهو حزام السرج والرحل.

والزِّوار حبل من الصوف يربط به ما كان على ظهر المطية، إذا كانت ضعيفة أو هزيلة، وهو يساعد البطان والحقب، ولكنه ضروري لكتب السواني، يربط في الجانب الأيمن من الكتب، ثم يلف على المطية بين ذراعيها والبركة (السعدانه)، ثم يربط في الجانب الأيسر من الكتب.

أما السِّناف (اللبب) فهو حبل يشد أمام قائمتي المطية أي لبتها وتحت العنق ليمنع انزلاق القتَب إلى الخلف، وهو



مرادف للوضين والسفيف والبطان والحقب والغَرَض مع اختلاف بسيط. وجمع السِّناف سنايف وهي حبال الشد.

ومن الحبال المِرِيْرَة وجمعها مَرايِر، ومِرَّة الحبل طاقته، وهي المريرة، وقيل: المريرة الحبل الشديد الفتل، والمُمَرّ الحبل الذي أجيد فتله، ويقال المِرار والمَرُّ، وكلّ مفتول مُمَرّ. وكلّ حبل يفتل من القطن الخالص يسمّى مِريرة، ويسمّى أيضاً مقطا ومقطيّه. ويسمى مقود الراحلة الذي يأخذ برسنها وتقاد به مريرَة إذا كان مجدولاً من القطن، وهذا النوع نادر الاستعمال، وإنما يستعمله أهل التأنق في أدوات رواحلهم، ويسمى السميمه. قال ناصر المسيميري من أهل الرس:

الزهاب يسار والقربه يمين
والرسن في راسها مقط مريره

وقال عور المقرن العتيبي:

راعي قعود بالمراير يجره
ياوصل ما يطرى عور وانت توحى

والمِقْط الوارد في بيت المسيميري جمعُه مُقُوْط، ومقطيّة جمعُه مقَاطِي، يُقصد به كلّ حبل قوي مجدول أو مفتول من القطن أو غيره، ولا يقال لحبل اللّيف أو حبل الصوف مقط أو مقطية، وهو فصيح. والمقاط حبل صغير يكاد يقوم من شدة فتله؛ قال رُؤْبة يصف الصُّبح:

من البياض مُدّ بالمِقاطِ

وقيل: هو الحبل أيّا كان، والجمعُ مُقُط، مثل كتاب وكتُب، ومقطه يمقُطُه مقطاً: شدّه بالمقاط.

كان ذلك ما يفتل من الحبال لربط المراكب أو شدها، أما ما ينسج أو يضفر أو يقد من الجلد فمنه السيور والوكائد والأنساع. والإسار والوُسر هي الوسار في اللسان العامي وهي القد الذي يشد به الخشب وتسميه البادية الوسور. والقد الذي يضم العرقوتين والحنكة، والحنك هي القدة التي تضم العصاريف (العصافير)، وهو من الجلد أو العصب. والعصب المستخدم في ذلك يسمى الجَلْمَد وجمعُه جَلاَمِد، وهو عَصَب أصفر يمتد في أعلى رقبة البعير من خلف رأسه إلى أن يصل مقدمة ظهره، ثم يفترق عن ظهره ممتداً من جانبي ظهره إلى مؤخرته، يقدّ وتؤسر به أشدّة الإبل، وقبّ المحالة وغيرها، ووسره لا يلين إلاّ أن يكسر.

قال هويشل بن عبدالله:

جلمد ما ينعلج تبل شديد
شربة من توت صور من قتاد

ويسمى ما بين أحناء المحامل من تشبيك القد الشبائك، الواحدة: شِباكة، وكل ما تَضَامَّ وتقابل فكل طائفة منها شِباكة، ومنه قيل للسفائف والقصب



المنسوج على هيئة البواري: شبائك، والحبائك كالشبائك، وهي ما بين أحناء المحامل من تشبيك القد. والحباك هو الصوف الملون الذي تنسج منه المفارش والخروج والسفائف الملونة.

ومما يشد به أيضاً الكتاف وهو وثاق في الرحل والقتب، وهو أسر عودين أو حِنوين يشد أحدهما إلى الآخر، وربما كانت كأنها صحيفة؛ قال الشاعر:

سيوفُ الهند لم تُضرب كتيفا

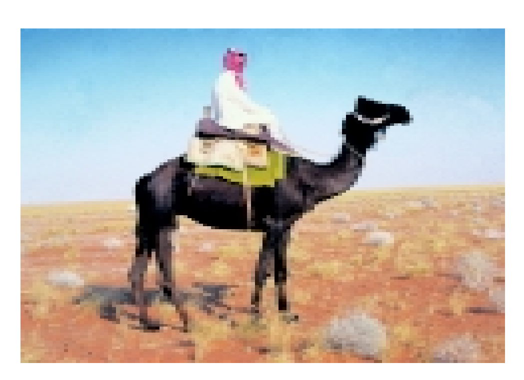
أي لم تُطبع طَبع الكتائف، والوَكائد السيور التي يشد بها الرحل. والسيور خيوط من جلد يُشَد بها الرحل وهي مثل الوكائد.

ومن حبالهم النسع وهو سير مضفور على هيئة أعنّة البغال تُشدّ به الرحال من تحت البطان والجمع أنساع ونسوع.

والنِّسعة سير ينسج عريضاً على هيئة النعال، تشد به الرحال؛ قال الشاعر:

أوصيك بمطوية على نِسعة
إلى قل الطعام صبور

ومنها الوضين وهو من أدوات الرحال كالبطان والحقب واللبَب والسِّناف والغَرَض والغُرْضة والسفيف. وهذه الثلاثة الأخيرة من حزام الرحل خاصة، والوضين يصلح للرحل والهودج. وهو المنسوج من شعر؛ لأنه يوضن بعضه



البطان والحقب

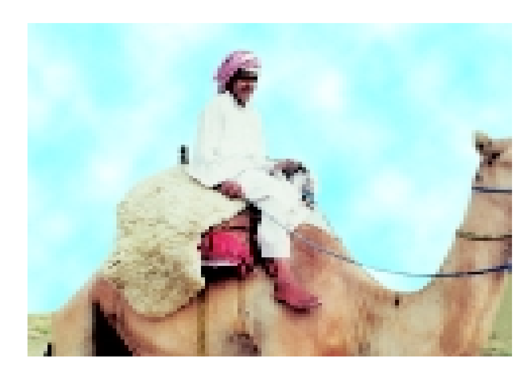
على بعض أي يُنضَّد، وقيل لا يسمى حزام الرحل وضيناً حتى يكون من أدم مضاعف، ومنه سرير موضون: أي مضاعف النسج، وفي التنزيل: ﴿على سرر موضونة﴾ (الواقعة: ١٥): أي منسوجة بالدر والجوهر، بعضها داخل في بعض، وكل ما نسجت بعضه على بعض فقد وضنته.

ما يوضع فوق المراكب لوقاية الراكب

يحتاج راكب الإبل إلى ما يقيه من خشونة خشب الرحل فيتخذ فُرُشاً وحشايا وأغطية من الجلد أو الليف أو الصوف أو القطن ونحوه تكون وقاءً له، كالجاعد والدويرع والنطع وغيرها من الفرش والأغطية.

والجَاعَد جمعه جواعد، وهو جلد ضأن يُدبغ بصُوفه ويُتّخذ فراشا





الجاعد

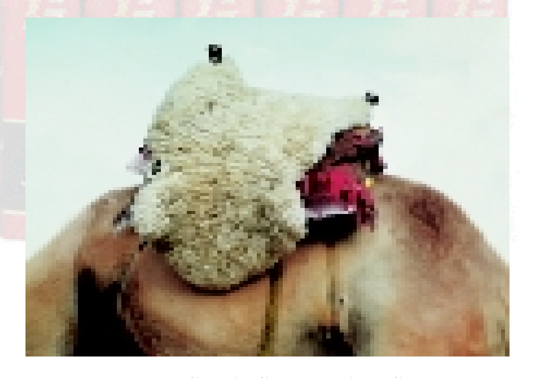


النطع

فوق الشداد على الراحلة يفترشه الراكب لخفته وقوته ولين صوفه؛ ليعطي ليونة وراحة للراكب ويكون في الغالب للشداد. ويستعمل أيضاً فراشاً لاسيّما في مسوّى القهوةْ بجانب الوجار، حيث توقد النار لإعداد القهوة في مجلس الرجال؛ قال راشد الخلاوي:

وهو عقيد الركب لولاه ما غزوا
ولا نسّفوا باكوارهن الجواعد

وقال عبد المحسن الصالح:



الشداد وفوقه النطع والجاعد

والنطع والجاعد وخرجه معده
لكنها حرٍّ شهر مستذير

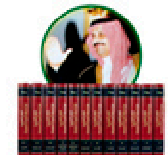
وقال فيحان الرقاص العتيبي:

ما فوقهن إلا الجواعد والانطاع
وعيال في وقت الغداري دواليل

ويفرشون النِطع، وجمعُه نُطُوْع وأنْطَاع، وهو فرش من أدم مبطن ببطانة من نسيج صوفي، فيه حشو قليل، يوضع على الرّحل (الشداد) يجلس الراكب عليه، وأطرافه مزينة بسيور ملونة من الأدم، وهو ذو أصل فصيح. والنطع جلد مدبوغ يوضع تحت الجاعد أو غيره وفوق الشداد. أما نطع الراحلة فإنه فراش وثير وجميل، مَحشوّ، وفيه فتحتان تسقطان في غزالي الشّداد. قال التميمي:

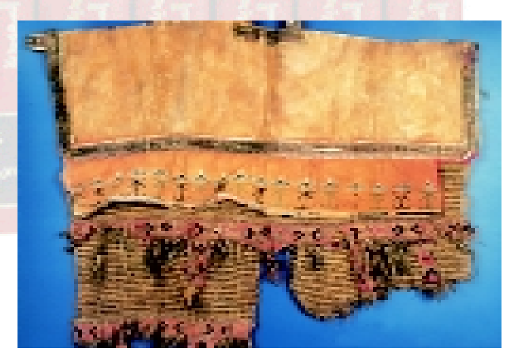
يَضْرِبْنَ بالأزمّة الخُدودَا
ضَرْب الرِّياح النِّطَع المندودا

أمّا السَرِيّة فهي كساء محشو بثُمام أو ليف ونحوه، يجعل على ظهر



البعير، وإنما هو من مراكب الإماء وأهل الحاجة.

ومن الحشايا المِيْرِكَة جمعُه مِيَارِك، وهو كيس من الأدم يعمل على هيئة دائريّة تقريباً ويُحشى صُوفاً أو قطناً وقد لا يكون محشواً، ويعلّق في غزال الشداد الأمامية منفرشاً على غارب الراحلة، ويضع الراكب رجله عليه لتستريح أثناء الركوب. وغالباً ما يكون فوق الميركهْ دويرع للزينة، وهو عربيّ فصيح؛ جاء في اللسان: المَوْرِك والمَوْرِكة: الموضع الذي يثني الراكب عليه رجله قدّام واسطة الرحل إذا مَلّ من الركوب. قال ابن سيده: مَوْرِك الرّحل ومَوْرِكتُه ووِراكُه الموضع الذي يضع فيه الرّاكب رِجْلَه، وقال أبو عبيدة: والمِيْرَكَة تكونُ بين يدي الرّحل يضع الرجل رِجْلَه عليها إذا أعيا، وهي المَوْرِكَة، وأنشد:



الميركة

إذا حَرَّد الأكتاف مَوْرُ المَوارِكِ

وقال أحد الشعراء الشعبيين:

ما فوقه إلا جديد الخرج وشداد
والميركه حشوها ريش النعام

وقال ساير بن راجح الحربي:

ياراكب اللي مشيهن باهتواشِ
عليهن الدل الحمر زين الانقاش
واكوارهن ما دق فيهن دخاش
ومزين شغل الميارك ولا ناش

وقد جود في الميركه مشعان بن هذال حيث يقول:

ياراكبٍ حرٍّ به الجري يزداد
ومن الميارك شايباتٍ متونه

وقال بديوي الوقداني:

كوره عقيلي مشترينه من الحاج
والميركه والخرج والفرضتين

وقال عبدالله بن سبيل:

شيلوا عليهن يوم لي دربهن بان
نجاير يعمل عليهن بتنقيش
وميارك تنقل عن الرجل وليان
وخروج نصبات هدبهن مشاويش

وقال سلطان بن عبدالله الجلعود:

لي بكرةٍ تزهى الميارك كتوفه
صعب على راعي الدراهم شرا له

والدُوَيْرِع جمعُه دُوَيْرعات، وهو كساء من الأدم المزين بالأهداب والسّيور الملوّنة، والزخارف المخروزة، يعلّق في مقدّمة



شداد الراحلة فوق الميركة ويضفى على رقبة الراحلة ومنكبيها للزّينة. وهو صناعة محلية، وله أشكال متعدّدة، وأجمله وأجوده ما كان يصنع في منطقة رنية. ويصنع أحياناً من جلد الغزال المضفور (الملفوف) بشكل عقائص كثيرة، يوضع من الأمام فوق كتفي الذلول، ويضع الراكب قدميه فوقه أثناء الركوب وله منظر جميل، وهو يحمي عقب الراكب، وبعضهم يسميه الميركه. قال عمر بن ناحِلْ الحربي:

ياراكبٍ حرٍّ خفافٍ مواطيه
فوقه دلال زين ودويرعين

وقال حمد بن إبراهيم بن عمار:

ما فوقه الا الكور من شغل نصاب
ودويرعٍ يزهاه زين انتشاره

وقال سليمان بن ناصر بن شريم:

إلى ذكرت اشقر على الردف مرجود
مثل الدويرع فوق حسن الدلال

وقال فهد بن دحيم:

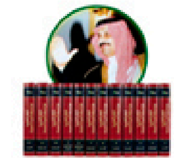
ياراكبٍ حمرا زهت كل دل
تزهى الدويرع والمعاني كليفات

ومن الحشايا النُمْرُقة (الطِنفِسة) التي فوق الرحل، وهي الوسادة. والمجنحة قطعة من أدم تطرح على مقدم الرحل يجتنح عليها الراكب، أي يميل عليها كالمتكئ على يد واحدة.

ويستخدمون الخفا وهو قطعة منسوجة من الصوف بطول خمسة أمتار تقريباً تستعمل وقاءً للراكب فوق المسامة، وقد تستعمل خرجين متصلين لوضع الأطفال أو بعض لوازمهم أو لحمل الماشية العاجزة عن السير وذلك بخياطة أطرافها وردها إلى وسطها حتى تصبح ثلاثة أمتار تقريباً، وعند النزول من المطية تستعمل للجلوس أو للتدثر بها في أيام البرد. والساحة أيضاً نسيج من الصوف أطول من الخفا تستعمل وقاءً فوق المسامة، وتستعمل أيضاً للجلوس في البيت أو التدثر بها أو غطاءً للنوم في أيام البرد. ويستخدمون الخَفْعَة وهي قطعة من أدم تطرح على مؤخرة الرحل. ومثلها السنيف وهو ثوب يشد على كتف البعير والجمع سُنُف، وهي ثياب توضع على أكتاف الإبل مثل الشليل على مآخرها. والمِفْرَشة الوطاء الذي يكون فوق صُفّة



السّاحة





الخفا

الرحل ويسمى الوقا أو (الوقاة)، ومثله المفرش (الشمله) وهو أكبر من المفرشة.

ومن أدوات مراكب الإبل أيضاً الفئام، وهو وطاء يكون للمشاجر وهي مراكب أصغر من الهوادج تكون للنساء، قال الشاعر:

وأَرْبَدَ فارس الهيجا إذا ما
تقعرت المشاجر بالفئام

وجمعه فُؤوم. وقيل الفئام الهودج الذي قد وُسّع أسفله، ومنه قيل للرحل مُفَأَّم. ومن أدوات الهودج أيضاً الفشل، تجعله المرأة تحتها، وجمعه فشول.

ما يوضع تحت المراكب لوقاية المطية

يحرص أهل الإبل على سلامتها مثلما يحرصون على سلامة أنفسهم، فيتحرون في مراكبها أن تكون مبطنة حتى لا تصيب ظهورها بالدبر، فيصنعون لذلك البدود والحصر والحوي وقاية لها.

والبَدّ مفرد عندهم وجمعُه بُدُوْد، وبِديْد، وبِدَّان، وأَبْداد. توضع البدود تحت أظلاف المسامة والريسان والغبيط، وتكون تحت أظلافها الأمامية، وقايةً للراحلة من مسّ خشب الرحل، وكذلك سرج الفرس، وهو اسم فصيح؛ ففي اللغة بداد السّرج والقتب وبديدهما ذلك المحشو الذي تحتهما، وهو خريطتان تحشيان فتجعلهما تحت الأحناء والأظلاف لئلا يدبر الخشب ظهر الفرس أو البعير. وقال أهل اللغة: البدادان في القتب شبه مخلاتين تحشيان وتشدّان بالخيوط إلى ظلفات القتب وأحنائه، والجمع بدائد وأبدّة. والبدود تصنع صناعة محلية من الأدم مبطنة ببطانة من الصّوف، وقد تحشى بالثمام أو الهضيد أو الساف لدى البادية، أما ما يلي ظهر البعير فيصنع من الصوف، وتزين مؤخرتها بسيور من الأدم الملوّن والجوخ الأحمر. وتسمى الخيوط التي تشدّ بها إلى ظُلُفات الرّحل نتائش، الواحد منها نتاشة؛ قال محمد بن عبدالله القاضي:

سفن بر شرعها مس البديد
في نجير مع خنانيق تحاف

وقالت الزعبية:





البدّة

يقطع قبيلٍ صنفهم ما يذرّي
يشبه جمالٍ عضّها في بدودها

وقال عثمان بن منيع:

ياراكب اللي نيها كب الابداد
مفتولة الذرعان فجّا العضاد

وقال سليمان بن شريم:

تسعين ليله من ورا الحول داير
يرعن زهر نوار عشب المحير
لما اعتلاهن مثل روس المناير
حشو البدود ولا يضيم النجير

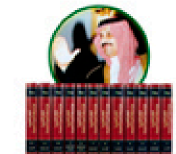
ومن جيد ما قيل في البدود، قول عبدالله بن سبيل:

ودي بحمرا ردومٍ دلها زين
عمليّةٍ ما ينوش الزور كيعانه
اللي مضى له تذب القفر عامين
لما غدا النّي فوقه حَشْوُ بِدّانه

وقال خلف أبو زويد الشمري:

ياراكبٍ من فوق حيل مراميل
غلاظ العتاري والشحم حشو الابداد

والجَدَيات عندهم واحدتها جَدْية، وهي القطع من الأكسية المحشوة تُشد تحت ظلفات الرحل، تصنع من اللِّبد ويُلزق بها من الباطن. ويستخدمون الحِصْرَة وجمعها حُصُر ويُقصَد بها الوقاية



التي تُجعَل بين مَسامة البعير وبين حمله لئلا تُحْدث له عصيّ المسامة تمزّقا، وتكون الحصرة إما ساحة صوف صغيرة أو لبّادا من الخياش وغيرها، وتسمى الرفادة؛ قال شاعر من أهل شقراء:

نقل الموارت ويش هو له على شان
من فوق هجن مايلات حصرها

فالحصرة وقاية من النسيج توضع على مردف الذلول، وتكون ساحة تجمع أطرافها وتربط بالشداد من الخلف على شكل حرف U بحيث يجلس عليها الرديف لكي لا ينزلق عن ردوف الذلول. وهي شبيهة بالحواة التي تلفُّ حول سنام البعير عند عسفه. وتعمل الحصرة على وسق البعير لكبار السن أو المرضى أو الأطفال. وقد تعمل للطفل الصغير حصرة على الأرض ليتعلم الجلوس بسرعة. والحِصْرَة في الفصيح جمعها حُصُرٌ، والحِصَار والمِحْصَرَة كساء يُطرح على ظهر الجمل يُكْتَفل به، وأحْصَرْت الجمل وحَصَرْتُه: جَعَلتُ له حِصارا، وهو كساء يُجْعَل حَول سنامه. وتسمى فراشاً أو وقاة وقد تكون من خصف أو من غزل منسوج. والكِفْل أيضاً من مراكب الرحال، وهو كساء يُعقد طرفاه ثم يلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على عجز البعير، وهو الحصرة.

أما الحوي فهي كساء محشو حول سنام البعير، وهي السويّه. وجمعها الحوايا توضع تحت ظلفتي المسامة أو الريسان الخلفية أو للحداجة، وإذا كانت صغيرة فهي للهولاني. ويعرِّف أهل اللغة الحوية فيقولون هي كساء يُحوّى حول سنام البعير ثم يركب.

ويضعون تحت لبد السرج بطانة يسمونها المرشحة؛ سميت بذلك لأنها تنشف الرشح أي العرق، وقيل هي ما تحت الميثرة. أما الفرش الواقي بين الشداد والسنام لحماية ظهر البعير فهو الوثر، ويصنع من الوبر؛ قال سويلم الشراري:

رعيت لْيا ما اوفيت والشرط مني
وتوي هقيت ان المعزّب بغاني

وشلَّعت سنٍّ ثاني عقب سنّي
وعقلاي منهن الجما واللّساني

كني حدي الوثر والوثر كني
واللي يجي للبيت عنده لقاني

ما يوضع على ظهر المطية للحمل

تتنوع الأوعية التي يحملها العرب على إبلهم يضعون فيها لوازم سفرهم وتحركهم، ومن ذلك الوساقه وجمعها وسايق، والأصل في الوَسْق الحِمْل، وكلّ شيء وَسَقْتَه فقد حَمَلْتَه. والوَسْق في اللغة هو حمل البعير، وقيل الوَسْق



العِدل، وقيل العِدلان، وقيل هو الحِملُ عامة، والجمـع أوسُق ووُسُوْق وغيره؛ قال أبو ذؤيب:

مـاحُـمِّل الـنَـجـشـيّ عـامَ غِيـارِهِ
عـليـه الـوُسُوْقُ بُـرُّهـا وشَعِـيـرُها

والوسق لدى البـادية الشيء المستوي بين رأسين قائمين أرفع منه، ويطلقونه على ظهر كل شيء فيقال: وسق الشداد، ووسق الجبل، ووسق العرق، أي: ظهره المستوي. ويقال في المثل الشعبي «حط على الحمل وساقه» أي زاد عليه حملاً آخر.

فالوُسَاقَة (العلاوة) عدلة ثالثة تحمل على البعير علاوة على حمله العادي الذي يتكون من عدلتين، يُمنى ويُسرى، تكون على وسقه بين العدلتين، ووسقه: وسط ظهره، والوساقة مضنية للبعير، ولذلك لا تحمل إلاّ على القوي من الإبل وهي كل مـا يوضع عـلى ظهر الـبعيـر بين الفردتين؛ قال عبدالله بن دُوَيْرج:

يالطيف الحال الصبايا كـيف ياون لي
حملني من كثيب الرمل ملموظ عليه وساقه

ومن أوعـيتـهم الخِـرْج، وجمـعُه خرُوج، وخـْرِجَة، جاء فـي اللسـان: والخُرْجُ من الأَوعـية، معروف عَربـيّ، وهو جُوالِق ذو أَوْنَيْن (عِدْلَيْـن) والجمع أخْراج وخِرَجة مثل جُحْر وجِحرَة.

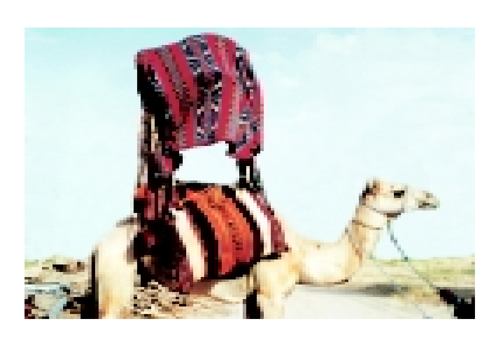


خرج مزين بأهداب جميلة

وهو أيضاً وعاء من الصّوف الملوّن، بعضه ذو شق واحد، وبعضه لـه شقان مزين بالأهداب والـسّفايف، يحمل به المسافر لوازم سفره عـلى راحلته. ومنه ما هو صغير يتكون من مزودة واحدة، يحمله القناص وغيره لحمل زاده.

والخرج نوعان، خرج حساوي يؤتى به من الأحساء، وهو ذو الأهداب الجميلة، وهو الذي سيـشير إليه ابن سـبيل بقوله «هَدَبْهِنْ مشاوِيش»، وهو أنفس النوعين. وخرج زلّ وهو مستورد من خارج البلاد، وهو أخف على الراحلة غير أنه لا أهداب له، ووجهه يشبه زولية الزّل. وهناك أنواع





خرج زِل

أخرى تستعمل في مختلف مناطق المملكة يصنعونها على هيئة الخرج الحساوي، غير أنها ليست في مستوى جماله، من أشهرها الخرج التبوكي؛ قال محمد بن عبدالله القاضي:

ما فوقه إلا الكور طفح الظلاف
وخرجٍ ومعلوقٍ على الكور وعذار

وقال رميزان التميمي:

طفاحة الخرجين يومي راسها
شروى يدٍ أومى بها بذارها

وقال إبرهيم بن جعيش:

قنّاصه ما يخلا خرجه
قبل جيرانه مدسومه

ومن جيد ما قيل في الخرج قول بديوي الوقداني:

كوره عقيلي مشترينه من الحاج
والميركه والخرج والفرضتين

وقال علي بن سعد الزرقا:

قطم الفخوذ اللي بنا تقطع اللال
مامونةٍ خرجه صخيفٍ حساوي

وقال عبدالله بن سبيل:

شيلوا عليهن يوم لي دربهن بان
نجايرٍ يعمل عليهن بتنقيش
وميارك تنقل عن الرجل وليان
وخروج نصباتٍ هدبهن مشاويش

وقال سعد الضحيك المطيري من أهل عنيزة:

حبل الرسن مرصوف وخروجهن صوف
فيهن رمع شنوف ومهدبات

وهناك خرج أصغر من الحساوي والشمالي يسمى الخرج العقيلي، وهو أقصر من الخرجين الحساوي والشمالي في عثاكيلهما بحيث لا تكاد تصل إلى مستوى رُكب المطية، وأدق نقوشاً وأصغر عثاكيلَ. وهذا النوع من الخروج كان يستخدمه العقيلات.

والعدْل أيضاً هو الخرج الذي يعادل به حِمْلُ المطية. والزقلوب عندهم عدلٌ صغير يصنع من الوبر، وهو يعادل نصف العِدل العادية، ومن أمثلة العوام «فوق الحمل زقلوبه»؛ قال الشاعر:

لا تموّع الزيت بالزقلوب
ولا تنطح القيظ بالشّنه
ولا تزرع الزرع فيه دروب
ترى المواشي يدقنّه

ويستخدمون العِياب، ومفردها عيبة، وهي أوعية من جلود الإبل تُحمل فيها



الأغذية وخاصة التمر، وغيره من أمتعة البادية عند الرحيل ويسمونها أيضاً الخافهْ.

أما أوعية الزاد فهي المزاود، مفردها مزودة. والزّادُ طعامُ السَّفر والحضر جميعاً، والجمعُ أزواد. وإذا كانت المزودة كبيرة فإن بعضهم يسمّيها العاروك وجمعُه عواريك، وتسمّى أيضا عدلاً وجَمعُه عدُوَل. والمِزْوِدَة وعاء ينسج من الصُّوف ويخاط على هيئة كيس، وفوهته واسعة، وغالباً يكون فيه ألوان تجميلية من أصل نسيجه، وله عروتان يعلق بهما على الراحلة، يستعمل لحمل الأشياء الجافة والملابس وغيرها من لوازم السّفر. ومن المزاود ما يسمى المتوبكه وهي وعاء ينسج من الصوف الملون أو الوبر له عروتان من الجانبين، وتطوق جوانب الفتحة بغطاء من الجلد فيه عرى كثيرة من الجانبين يدخل بعضها ببعض على التوالي، إلى أن تصل إلى الأخير، فتقفل بقفل لحفظ الأشياء الثمينة. قال راشد الخلاوى:

ترى إن كان قد ماتوا فياطول ما ملوا

مزاود ضيوفٍ من قراه القواصد

وقال خلف الأذن العنزي:

يابو زويد فاطرك به شواذيب

يرتك على هطل المزاود هذيبه

وقال سعد بن عبدالله بن دلامه من أهل تباله:

فالى قال قايلهم على الله توكلوا

راعى العمامه في المزاود شالها

ويستخدم أهل الإبل عصياً وأعواداً يثبتون بها الأحمال والأمتعة على رواحلهم منها المِلْمَاظ وجمعُه مَلاَمِيظ، وهو عُود بمقدار شبر، يكون صلباً وناعماً، وغالباً ما يتخذ من أغصان الأثل ويلطّف أحد طرفيه، يشدّ به الحمل على ظهر البعير (وهو الشظاظ أو المشظاظ) وهو خابور من خشب لجمع الظلفتين. وكلّ حمل فوق البعير له ملماظان، وهو يسهّل الحمل وكذلك إنزاله عن ظهر البعير، وذلك أن كل حمل يتكون من عدلتين متساويتين، وكل عدلة لها عروتان، فإذا حملت العدلتان على ظهر البعير أدخلت عروتا إحداهما بالأخرى ثم يُدخل فيهما الملماظان، في كل عروة ملماظ، وعندئذ ترتبط العرى بعضها ببعض. وعندما يراد إنزال الحمل عن البعير يجذب الملماظان من العرى فتنفك إحداهما من الأخرى ويسقط الحمل على الأرض.

ويستعينون بالمِرْبعة وهي خُشيبةٌ يرفع بها العِدل على البعير يؤخذ بطرفيها فيُلقى عليه. وكل ما رفعتَ به شيئاً فهو مِربَعَة.

قال إبراهيم بن جعيثن:

سمي من يطري على الناس بشواظ

عبدٍ ورا الجمّال يشري ملاميظ



زينة الإبل ومراكبها

تزيّن الإبل ومراكبها بالبُرى والجدايل والأجراس ونحوها، وتهتم نساء البادية قديماً بتزيين ركائبهن، فالزينة أكثر ما تكون في الهوادج ونحوها من مراكب النساء. وقد تكون الزينة أهداباً وضفائر تتدلى من الشّداد أو تكون حبالاً وأجراساً تعلق على أعناق الإبل أو رحالها. فمن أدوات الزينة عندهم الدَشِن وجمعُه دشُوْن، وهو كلام عراقي مُعَرب، وليس من كلام أهل البادية، كأنهم يعنون به الثوب الجديد الذي لم يُلْبس، أو الدّار الجديدة التي لم تسكن ولا استُعمِلت. والدَشن هو ما تزيّن به الراحلة من الأمتعة الجميلة ذات الأهداب والألوان الزاهية والفرش، وكانت كلها تصنع من الصّوف المصبوغ بالألوان؛ قال قاسي بن عضيب القحطاني:

ياطول ما يبرا لنا فوق مرعاب

فوق أشقحٍ دشن الحساوي نشيره

نسب الدَّشن الجميل إلى الأحساء، وذلك لأن الخروج الجميلة والشّفوف الزاهية الجميلة التي تلحّف بها غبطان النساء كانوا يأتون بها من الأحساء؛ قال سليمان بن شريم:

ياهل الفاطر اللي فوقها من كل دشن جديد وغالي

سلموا لي عليه الى لفيتوا صاحبي ياهل المامونه

أما الهوادج فكانوا يزينونها بالجِزْجِزَة وهي خصلة من صوف تُعلق بالهودج يزين بها، ويعملون حبل الغوى وهو زينة توضع على الجمل الذي يحمل القن وهو خشب الهودج، قال الشاعر:

حبل الغوى سوّته حبله

لْيا ما ادبرت غارب الفاطر

ويلحقون بها الذَّباذب، وهي أشياء تُعلق بالهودج أو رأس البعير للزينة، ويضعون عليها الرجازة وتكون في شكل كساء تُجعل فيه أحجار ويعلق بأحد جانبي الهودج إذا مال ليعتدل. وقيل الرجازة شعر أو صوف يعلَّق على الهودج في خيوط يزين به.

ومما يعلق بالهودج أيضاً النحيزة والجمع نحائز، وهي نسيجة طويلة يكون عرضها شبراً وعظمة ذراع تُعلق على الهودج يزيّن بها، وتسمى أيضاً مذنبه.

ومما يزين به الشداد عموماً الغُرضة وهي نوع من الزينة والدلال للذلول توضع على مؤخرة الشداد. والغُرضة والغَرض، وجمعه غروض وأغراض، يرادف الوضين والسفيف والبطان والحقب واللبب والسناف والشكال. فأما الغَرض والغُرضة والسفيف فهو حزام الرحل خاصة. والوضين يصلح للرحل والهودج.



وكما زينوا الشداد والهودج اهتموا بتزيين مقدمة الراحلة ومؤخرتها فوضعوا عليها الدباديب، واحدها دبدوب، وتتخذ من خشب أو نسيج مشدود بقوة، بطول الشبر أو أقل، توضع على ظهيرة الشمالة (الجزء الخلفي). وهناك دبدوب يسمى الكتافه يوضع على غارب الناقة، ويكون على الشمِّالة؛ قال مِخلد القثامي:

اللي يعزلون امّهات الدباديب
وام الجرس والطوق والعرب الاشباب

وقال بصري الوضيحي:

ردفه كما شط الفتاة ام دبدوب
قدام ذود قاصب العقل بقداه

وقال سلطان الأدغم السبيعي:

أنتي من اللي يبعدن المفالي
شقح البكار اللي زهن الدباديب

وقال خلف أبو زويد الشمري:

ياشبه وضحا به دباديب واجناب
اللي يحط بها الجرس والكتافه

ويقول عسكر الغنامي الروقي العتيبي:

وان لاح برّاق الحيا صوب ديره
زرناه بالعفر امّهات الدباديب

وقال مشحن بن صليهم:

وحطوا بزينات العشاير دباديب
لعيون حكمٍ بالمواتر حماها

حكم الأمام اللي تجيه المراكيب
كل الخشوم اللي تزوره وطاها

عبدالعزيز لْيا ضرب بالمخاليب
ضريبته لازم ينثّر شواها

أحرار وبعين المعادي مشاهيب
نارٍ تلهب تاكل اللي عداها

وزينوا جوانب الرحل والراحلة بالسفايف، واحدتها سفيفة، وهي ما تدلّى من رَحل الراحلة من الحبال المزينة بالألوان والربث للزّينة تكون من نسيج الصّوف، وهي كذلك حزام عريض من الصّوف تُحقَبُ به الرّاحلة وله طرفان طويلان يتدلّيان عن يمين الراحلة وعن يسارها مما يلي خاصرتيها مزينان بالكتل والأهداب



السّفايف



الملونة. وهي تربط في الحقب، وهي التي عناها سلطان الجلعود بقوله:

عسى لكم ياهل الركايب سموح
يامدندشين اكوارهن والمحاقيب

وقال ذو الرمة:

تشكو البرى وتجافى عن سفائفها
تجافي البيض عن برد الدماليج

وهناك سفيفة لا تربط في الحقب، بل لها فتحة في وسطها تدخل في غزال الشداد الخلفية وتنحدر أطرافها مما يلي خاصرة الراحلة، وقد فرق الشعراء بينها وبين ذات الحقب، كقول حمود العبيد العلي الرشيد:

واحلو دله والحقب والسفيفه
والا الرسن والميركه فالهوايل

ففرق في شعره بين الحقب وبين السّفيفة. فالحقب هو ما يلتف حول بطن المطية، والسفيفة هي أطراف الحقب التي يكون فيها كتل وعثاكيل من غزل؛ قال ناصر بن ضيدان الهرشاني:

ياحمود وان جاك النضا عقب سيره
شفت السفايف سابحات إلى الزور

وتسمى العثاكيل التي تتدلّى من الخرج الحساوي سفايف، كما في شعر ناصر بن ضيدان المتقدم، وهي عربية فصيحة. وهي طويلة فيها عرض تتدلى (تدودل) من الجانبين، وتعلق في غزالة الشداد الخلفية، وتكون عادة أطول من هدب الخرج تتماوج بحركة جميلة أثناء سير الذلول. والسّفائف ما عرض من الأغراض؛ قال محسن الهزّاني:

بالله ياهل طافحات السفايف
حدب الظهور معلكمات الكلايف

وقال سليمان بن شريم:

أبو قرونٍ تْغَذّى بالشمطري
مثل السفايف على كور النجيبه

وقال بديوي الوقداني:

الكور شارينه بخمسة ولايف
والميركه والقش وايا السفايف

وقال ناصر بن ضيدان الزغيبي السالمي الحربي في السفيفة:

يجفل إلى شاف السفيفه تباريه
جني وذيبٍ وطار عنه اليقين
يشدي ظليمٍ ذيّره شوف راميه
مع سهلةٍ والشوف فيها يبين

وقال فجحان الفراوي:

وجدي على اللي يرمحن السفيفه
في كل مرواحٍ وفي كل مغباش

وقالت مغيظة الدليمان:

إن حطها بين السفيفه وحبلين
تسمع ورا عطب الضرايب عْواها

وقد اعتادوا في الزينة أن يجعلوا جنائب الناقة الملحا (السّوداء) من الصوف الأبيض، وفيه خطوط سود، وجنائب





الجرس

الناقة المغتر (البيضاء والحمراء) من الصوف الأسود وفيه خطوط بيض. ويزيّنونها بكتل تتدلى تحت نحر الناقة تسمى الجرس؛ قال حمد بن عمّار:

أحلى من السكر على الثلج مصيون
عليه در المقصر ام الشماله

وقال شايع الأمسح:

يعيش ابن شايع تقصى بمطلبه
من الخيل غيره من كبار الشمايل

وكان رأس البعير وعنقه محل اهتمامهم في الزينة لأنه أول ما يواجه الناظر إليه، فاتخذوا لذلك الأقاليد والبُرى، والبُرة قطعة من صفر تجعل في أحد جانبي مُنخر البعير، والإقليد هو البُرة التي يشد فيها زمام الناقة وهو طرفها يثنى على الطرف الآخر ويلوى ليّاً شديداً حتى يستمسك، وكذلك ينقل ببعض الأسورة إذا كان بُرة وكان قلداً واحداً. وعملوا أيضاً النشير وهو أهداب من خيوط موشاة بألوان زاهية توضع على معذر الذلول؛ قال محسن بن سلطان المسعري:

وشدّوا على كل اوضح بالخزام يقاد
عليه النشير وكايف الفنك يشعونه

والفنك هو الزينة، ويثعونه: يتلونه.

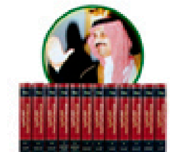
كما اتخذوا أيضاً العذار وجعلوه على معذر الناقة أي يحيط برأسها من خلف الأذنين، وشدوا عليها العلاقة وهي خيط زينة للإبل يكون أسود في الإبل الوضح، ومن حدائهم:

الوضحا أم علاقه
ما تستوي للعاقه

ومن آلة الزينة عندهم الجدايل واحدتها جديلة أو جديل، مأخوذ من الجدل يعني الفتل، وهي نوع من الزينة تدلّل به الذلول، وتوضع في الرسن؛ قالت مغيظة الدليمان:

تفرط جديلتها وهي حشو الايدي
أقصر جديلتها بغربه غزاله

ويتخذون الزرج، واحدتها زرجة، وتكون في آخر حبل الخطام وتربط على غزالة الشداد ويعلقون أهداباً من



الخيوط الملونة حول عنق المطية يسمونها الخناقهْ.

ومن أهم ما يعلّق على عنق البعير الجَرَس ويجمعونه على جِرْسان وأجراس. والجرَس بالتحريك الذي يعلّق في عنق البعير، قال ابن دريد: اشتقاقه من الجرس أي الصوت، وخصه بعضهم بالجلجل، ومنه الحديث: لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس. قيل: إنما كرهه لأنه يدل على أصحابه بصوته. وكان عليه الصلاة والسلام يحبّ ألا يعلم العدوّ به حتى يأتيهم فجأة. قال عبيد بن هُويدي:

يشادي هديب الشام دلّه وجرسانه
لى طب الابطح وقفّوا له بالاسواق

وقال عبدالله بن علي بن دويرج:

سيد العذارى إلى منه مشى توحي دنين حجوله
شروا دنين الجرس بالمهره اللى لبّست مزغاف

وقال علي البراهيم القري:

دارٍ لها بقلوبنا مثل الاجراس
تدق مع رقي النفس وتحويله

وقال سعد بن عبد العزيز البواردي:

على عشيرٍ كن حسّه جرس ماو
ما ذكر بين احدٍ وبينه مهاوى

وقال هويشل بن عبدالله:

صْويتٍ سمعته واحسب انه
رنين الجرس والا الريال

وجرس الماو: زينة للإبل، ومن الحداء قولهم:

وضحا على البناوي
دنة جريس الماوي

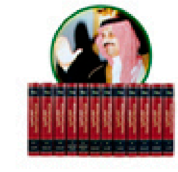
والماو هو مادة الصفر التي يصنع منها الجرس، ونجر الماو هو النجر الأصفر. وقد يتخذ الجرس من الصوف الملون بأصباغ ويكون على شكل عقد كبيرة يعلق في عنق الذلول، ولا يكون له صوت بل يتخذ لغرض الزينة. ومن أنواع الأجراس الحليمات وتسمى زرجات وهي أجراس صغيرة من أدوات الزينة للذلول، ومثلها النحيلات.

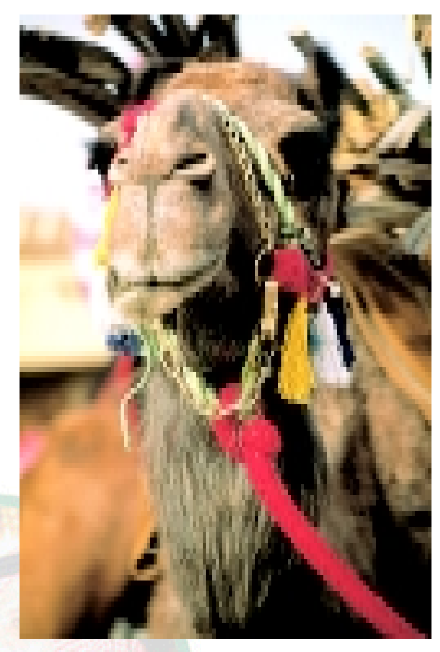
ما تقاد به الإبل

تشد في أعناق الإبل وأنوفها حبال وأدوات تقاد بها وتوجه، وتستخدم في تذليل الصعب منها، كالرسن والخطام والخزامة والشكيمة ونحوها. فالرّسن هو الحبلُ، والرّسن ما كان على الأنف من الأزمة، والجمعُ أرسان وأرْسُن، وقد أرْسَنَ الدّابة والفرس والنّاقة يَرْسِنُها ويَرْسُنُها رَسْنا؛ قال ابن مقبل:

هَرِيتٌ قصيرُ عذار اللّجام
أسيل طويل عذار الرَّسَنْ

والرِسَن كما ينطقه أهل الإبل هو الحبل الذي تقاد به الناقة، وكذلك يقال لرسَن





الرسن

الفرس، وشكيمته التي تكون فوق الأنف واللحيين سلسلة من حديد، أما عذاره فإنه يجدل من صوف مزين بالألوان.

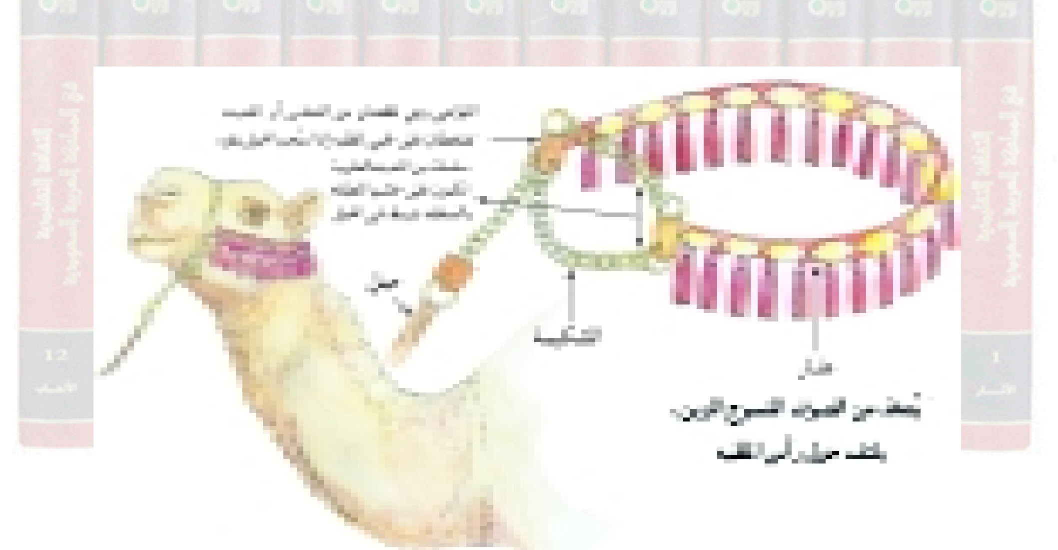
والرسن الكامل به العذار والخِطام والقراريص والجديلة.

أما المِقود فإنه حبل مجدول من الوبر أو من الصّوف ويزين بكتل في طرفه، وقد يكون مريرة القطن؛ قال امرؤ القيس:

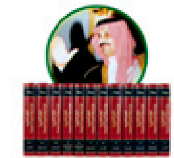
مَطوْتُ بِهمْ حتّى تكلّ مَطيُّهمْ
وحتّى الجيادُ ما يقَدْنَ بأرْسانِ

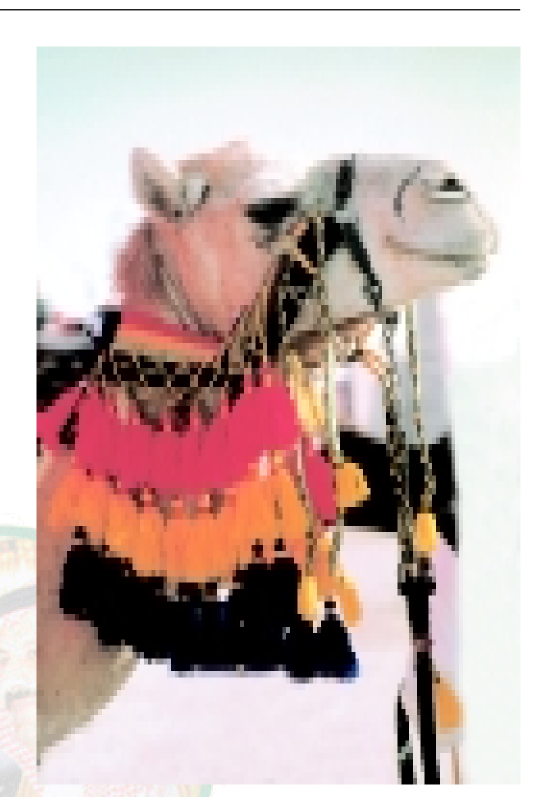
والبعير المرسُون هو الذي جُعل عليه الرّسَن، وهو الحبل الذي يقاد به البعير وغيره؛ قال سعد الضحيك المطيري من أهل عنيزة:

ياراكبٍ عيرات بالدو طفقات
حرايرٍ نزرات ومرمّلات
عامين وسط الريف عوص المواجيف
مربعاهن والصيف متعوصبات



الرسن وملحقاته





مقود مطية مزين

حبل الرسن مرصوف وخروجهن صوف
فيهن رمع شنوف ومهدّبات

وقال صاهود بن لامي المطيري:

كم فاطرٍ من نيّها تزعج الكور
تقطع مضاريس الرسن والخطام

ومن جيد ما قيل في الرسن، قول إبراهيم بن جعيش:

صر صاحي لا تصر وندى
مع الرسن حط خنّاقه

وقال حويد العتيبي:

والله يالولا الرسن يتلها تل
إن تصرم الكور لين الحبل يازنها

وقال محمد أبو دباس:

والعصر بالصمان توحي لها اضراس
حبل الرسن خطرٍ تْبَتّر جريره

وقال سعد بن حمد بن ضويان من أهل الشعرا:

يازين منقوش الرسن في قفا الراس
وزين التفاته للرديف إن نهمها

أما الزِّناق فهو حبل تجذب به رأس البعير إليك وأنت راكبه، وفيما سوى البعير فهو مستعار، ومثله الشناق. ويسمى الرسن أو الحبل بالخليج لأنه يختلج ما شُدَّ به، أي يجتذبه.

ومما يتصل بالرسن الخِطَامٌ وجمعُه خطم، وهو الحبل الذي يقاد به البعير. ويُجْدل الخطام من الصّوف يوصَل بحلقة رَسن البعير يقاد به، ويجذبه الراكب لكف البعير عن الجور في السير. والخطام هو المقود، والبعض يطلقونه على الرّسن وخطامه مقوده كما يطلقون الرّسن على مجموع الرّسن والخطام. والمخاطم هي أنوف الإبل، ثم استعيرت للناس، وهي في الإبل أصل لموضع الخطام. وخطمتُ البعير: إذا حززت أنفه حزاً غير عميق ليوضع عليه الخطام؛ قال الأعشى:

أرادُوا نحتَ أثلِتنا
وكنّا نمنعُ الخُطُما



وقال حنيف بن سعيدان:

ياراكب اللي يقطع البعد موّاط

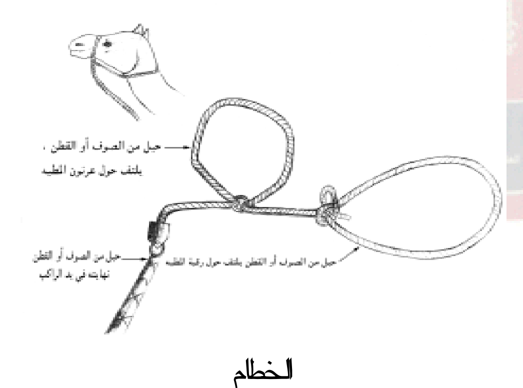
أشقر ضياحيٍّ يتلّ الخطام

شد الرسن تراه للحبل فرّاط

يعطيك منكب من صليب الخطام

ويسمى ما وقع على أنف البعير من خطامه الرجاع (الرشمهْ) والحديدة التي يخطم بها البعير تسمى السّفاء، أما الخيط الذي يشد على خطم البعير فهو السلبة وهو دون الخطام، والعلاط حبل يستخدم في خطم الإبل، والكظامة يشد بها أنف البعير وقد كظموه بها.

والخْزَام جمعهُ خزم، وهو أيضاً حبل يشدّ في أنف البعير ليقاد به، فيشق في أحد منخري البعير شق وتثبت فيه نسعة يشدّ بها حبل الخزام. وقد تكون النسعة من أدم أو من شعر، وهي الخزامة، واللفظ عربيّ فصيح. قال في اللّسان «خَزَمَ الشيء يخزِمُه خَزْماً،



الخطام

الخطام

وقال ذو الرمة:

يضحي بها الأرْقط الجون القرا غردا

كأنه زجل الأوتار مخطوم

قال محمد بن عبدالله القاضي:

بجور الجري غب سراه تقطع

قراريص الرسن لولا الخطام

وقال إبراهيم بن مزيد:

وهو ما مقصده نصح ولكن

يبي يلبسك للحاجه خطامه

وقال صاهود بن لامي المطيري:

كم فاطرٍ من نيها تزعج الكور

تقطع مضاريس الرسن والخطام



شكَّه، والخِزَامَةُ: بُـرَة، حَلَقــة تُجعل في أحد جانبي منخري البعير.

وقيل: هي حلقة من شعر أو جلد تجعل فـي وَتَرَة أنفه يشدّ بـها الزِّمام». ويستعمل ذلك للبعير الصعب الذي لا يطاوع. وعادة ما يقاد به جمل الغبيط. قال في اللسان «إن كانت من صفر فهي بُرَة، وإن كانت من شعر فهـي خِزامَة. وقد نهى النبي ﷺ عن شقّ أنف البعير وخزمه». وورد في الأدب العـربيّ باسم الزمـــام، وهـو لـغـة فيـه؛ قـال ذو الرمّـة:

عـلَـى خَـوْصاءَ تـذرِفُ مـأقـيـاهـا
مـن الـعِـيْـديّ قد لَـقِـيـتْ كَـلالاَ

إذا بَـركَـتْ طَـرحْـتُ لـها زِمـاما
ولَـمْ أعـقِـلْ بِـركْـبـتـهـا عِـقـالاَ

وفي لسان العرب «والزِّمامُ: الحبلُ الذي يُجعل فـي البُرة والخشبة، وقد زمّ البعير بالزِّمـام... وقال الجوهريّ: الزِّمامُ الخـيطُ الّذي يُشَدّ فـي البُرة أو في الخشاش ثم يُشَدّ في طرفه المقوَد، وقد يُسـمّى المِقْوَدُ زِمامـا... وزمَمتُ البعير خَطَمتُه. وفي الحديث: لا زمام ولا خِزام في الإسلام»؛ قالت أمّ خلَف الخثعَميَّة:

فَـلـيـتَ سِـمـاكيّـا يَـحـارُ رَبـابُـهُ
يُقـــادُ إلى أهْـــل الغضا بِـــزِمـامِ

وفي شعر امرىء القيس، قال:

تـظاهَـرَ فـيـهـا النّـيّ لا هـيَ بكـرة
ولا ذات ضَغْـن في الـزِّمامِ قَمـوصُ

وقال:

فـقلـتُ لَهـا سِيْـري وأرْخِي زِمـامَهُ

والخِزامة: بُرةٌ من الشعر. قال عبدالله بن علي بن دُويْرج:

هَـنـيّ من تـلّـه وهـو في مـحـلّـه
تـلـة قـعـود مـجـونـحٍ بـالخـزام

وقال فراج التويجري العضياني:

ليـا جا مـن الاجنـاب جمـع رزين
قـدنـا جـمـلـنـا يـمـهـم بـالخـزام

ومما يكون فـي أعناق الإبل الجرير وهو حبل مفتول من أدم يكون في أعناق الإبل وربما كان في الرأس، والجمع أجِرّة وجُرّان، وأجررتُ الناقة: ألقيتُ جريرها لتجره. وكل حبل جرير، والمقصود هنا حبل الخناق، قال الشاعر الشعبي:



الخزام



جيشٍ تـخـافق خـنـانـيقـه
يـجـعـل بـعـيد المـدى داني

والمقصود بالجيش مجموعة الإبل.

والخِنّاقَة جمعها خَنَانِيقْ، وهي الحبل الذي يُخْنَقُ به، والخناق والمخنقة القلادة الواقعة على المُخنّق، وهو الطوق أيضاً، وقال الجوهري: بلغ منه المخنَّق، وأخذت بمخنَّقه، أي موضع الخناق؛ وأنشد ابن بريّ لأبي النّجم:

والنّفسُ قد طارَتْ إلى المخنَّق

يقال: أخذ بخُناقه، ومنه اشتقّت المِخنَقَة من القلادة. والخناقة قلادة جميلة من الصُّوف الملوّن، توضع في أعلى رقبة الراحلة، وتوصل بحلقة صفر بصريمة رسنها. وسمّيت خناقة تشبيها لها بخناقة المرأة، لأنها تشدّ في الرّقبة محيطة بها، وهو عربيّ فصيح؛ قال محمد بن عبدالله القاضي:

سفن بَرّ شْراعها مس البديد
في نجيرٍ مع خنانيقٍ تحاف

وقال مشعان الرشيدي:

بنات عمليٍّ بعض لونه أسحم
يازين ذود ارقابهن بالخنانيق

وقال محسن الهزاني:

عوجوا رْقاب ركابكم بالخنانيق
ياربما للريق عندي تفكون

وقال آخر:

ما يفرج الصدر من ضيقه
ياكود سلسات الاقران
جيش تواما خنانيقه
تجعل بعيد المدى داني

ومن جيد ما قيل في الخناقة قول حنيف بن سعيدان المطيري:

القفل زاويهن على أول وثاني
كبار اللحوم مجاذبات الخنانيق

ومن الحبال أيضاً الغرفة وهي حبل معقود بأنشوطة يلقى في عنق البعير. أما القران فهو حبل، ولا يقال له قران إلا أن يقرن فيه بعيران.

وقد يدخل الحديد والصُّفر في صناعة ما تقاد به الإبل أو تذلل، ومن ذلك الشكيمة أو الحكيمة، وهي سلسلة من حديد فوق الأنف واللحيين تستعمل لصعاب الإبل وقد تتخذ من الليف أو الصوف المضفور وذلك



الخُناقة





القِران

للعسيف لأنه يتحمل عنف السلسلة. ومن أجزاء الشكيمة العِذَار وجمعه عِذِر، وهو ما يُدار وراء رأس البعير، متّصل الطّرفين بسلسلة الشكيمة، وغالباً ما يكون منسوجاً من الصّوف المزين بالألوان الجميلة، ويكون بعرض ثلاثة أصابع، وقد يكون من الأدم. وهو عربيّ فصيح؛ جاء في التهذيب: وعذار اللّجام ما وقع منه على خَدَّي الدّابة، وقيل: عذار اللّجام السّيران اللّذان يجتمعان عند القفا، والجمع عُذُر. وغالباً ما يكون عذار البعير من الصّوف المنسوج، ويكون عذار الفرس سيراً من الأدم؛ قال محمد بن عبدالله القاضي:

ما فوقه إلا الكور طفح الظلاف
وخرجٍ ومعلوقٍ على الكور وعذار

وقال إبراهيم بن جعيش:

بالدو كن النضو ياطا على حار
ما ينقهر لولا شكيمة عذاره

أما الصرِيْمَة وجمعُها صَرايم، فهي نوع من أرسَان نجائب الإبل المُذلّلَة. وهي سلسلة من الصّفر، طرفها الأسفل فيه حلقة ذات مجول متحرك يعقد فيه المقود،





الصريمة وأجزاؤها

وفي طرفها الأعلى حلقتان؛ إحداهما تثبّت فيها الخناقة، والثانية تثنى فيها السّلسلة فوق أنف الناقة، ويجعل لها عذار دقيق قد يكون مريرة من القطن القويّ، تدار خلف رأس الناقة؛ قال سعُود السّعيْدي:

ياخوي قرّب لي من الهجن موجاف
طوع الصريمه مثل عبدٍ لسيده

وقال صنيتان بن محمد الدوسري:

قم يامتيرك فوق حمرا ردوم
تزهى العقيلى مع جديد الصريمه

وقال مرزوق بن صقر:

قالط النسنوس والورك متبني
ما يلين من العصا لولا الصريمه

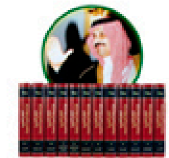
وقال سليمان بن شريم:

من فوق من لاداج بالسوق مجلوب
حمرا قضبها بالصريمه قضابه

ومن جيد ما قيل في الصريمة قول راكان بن حثلين العجمي:

ياراكبٍ حرٍّ تِذَرّب سنامه
عليه نيٍّ راكب نيه العام
إلى ورد عدٍّ يطيّر حمامه
جا للصريمه من لْحيّه تقصام

ومن أدوات الحديد المِضْراس وجمعُه مِضَارِيْس، ويقال لها قراريص، وهي صفيحة حديد تكون في رَسَن الناقة متصلة الطرفين بسلسلة الرسن، وتكون على لحي الناقة تضغط عليه



وعلى أضراسها إذا نازعت الرسّن، ولذلك سميت مِضْراس، والجمع مضاريس، ويقال لها أيضا لواحيْ لوقوعها على لحيي الناقة؛ قال حمود البدر:

زرفالهن بين الجري والطيارا
لولا اللواحي عانقن رقط الاطيار

والقراريص هي أجزاء من الحديد تتألف منها الصريمة؛ قال الراعي:

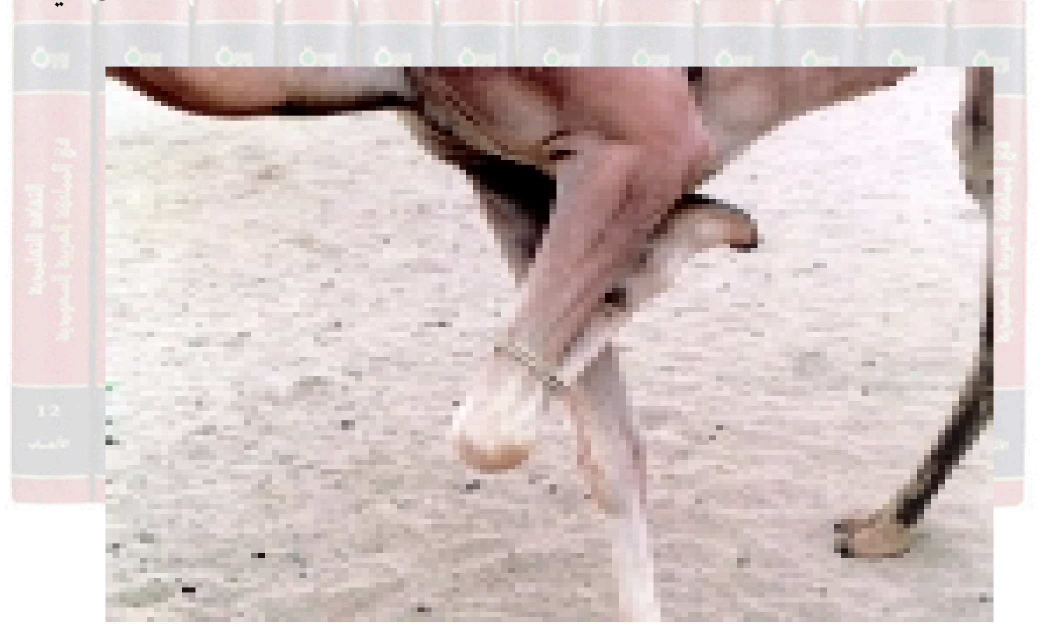
إذا ما اشتكى ظلم العشيرة عضه
حناك وقراص شديد الشكائم

ويقال أيضا مصاريع لأنهما يصارعان رأس الناقة عند منازعتها للرّسن. والمضراس فصيح، مأخوذ من الضَّرْس، وهو أن يُلْوى على الجرير قدّ أو وتر، إذا أرادوا أن يذلّلوا الجمل الصّعب ويلوثون على ما يقع على خطمه قِدّا فإذا يبس حَزّوا على خطم الجمل حزّا ليقع ذلك القدّ عليه، فيؤلمه فيذل، فذلك القدّ هو الضِرّس، وقد ضَرَسْته وضرَّسته، قال فَرّاج التّويْجِري العضيّاني العتيبِي:

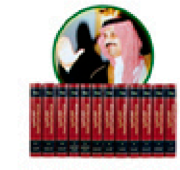
ياراكبٍ حمرا تهوش المضاريس
ما دارها الجمال واوقر ظهرها

الرباط والقيد

يستخدم أصحاب الإبل أنواعاً من الحبال والأربطة يربطونها بها، أو يقيدونها إذا خافوا هروبها أو أرادوا الحدّ من حركتها. ويربط الحبل في



جمل معقول



اليد أو الرجل؛ في الذراع والأرساغ والأوظفة. وبعض هذه الأربطة يتيح للبعير حركة محدودة وبعضها يمنعه من التحرك. وأول ذلك العِقَالُ وجمعُه عُقُلٌ، جاء في اللّسان «وعَقَل البعير يَعْقِلُه عَقْلا وعَقَّلَهُ واعْتَقلَه: ثنى وظيفه مع ذراعه وشدّهُما جميعاً في وسَط الذّراع، وكذلك الناقة، وذلك الحبل هو العِقال، والجمع عُقُلٌ، وعُقّلت الإبل من العَقْل شدّد للكثرة؛ قال بُقَيْلَة الأكبر وكنيتُه أبو المِنْهال:

يُعَقِّلُهنّ جَعْد شيْظميّ
وبِئسَ مُعقِّلُ الذَّوْد الظُّؤارُ

...والعِقال الرِّباط الذّي يُعْقل به، وجمعه عُقُل».

والعقال الذي يُعقل به البعير نوعان: عقال من حديد وله قفل، وعقال من حبل يشد على يد البعير،



العقال

ويستعمل عقال الحديد ذو القفل لنجائب الإبل خوفاً عليها من اللصوص؛ وهو صناعة محلية، ومنه نوعان: عقال قفله ثابت فيه، وعقال قفله منفصل عنه، وأيّ قفل يصلح أن يستعمل له، وهو يجمع بين ذراع البعير وعضده حين يثني ركبته فيشدّ عليهما فوق الركبة؛ قال ذو الرمة في العقال، وذكر موضعه من يد الناقة:

علَى خَوْصاءَ تَذْرُفُ مأْقَياها
منَ العِيْديّ قد لَقِيتْ كِلالاَ
إذا بَركَتْ طَرَحْتُ لها زماما
ولم أعْقِلْ بِرُكْبتِها عِقَالاً

وقال محمد بن عبدالله القاضي:

البل معروفٍ بالايدي عقاله
والخيل تزلج بالشبيلي والاقفال

وقال محمد بن عون الشريف:

وإن جاد حظك قام واطلق عقالك
ومشى معك في كل درب يباريك

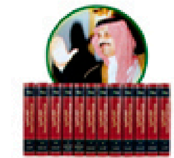
وقال بصري الوضيحي:

ردفه كما شط الفتاة ام دبدوب
قدّام ذود قاصب العقل يقداه

وقال عبدالله بن سبيل:

تفتل لك الدنيا كتافين وعقال
ويفضّون عنك وكنهم جاهلينك

ويستخدمون الإباض وهو حبل كالعقال يشد به مأبض البعير إلى رسغه،





الإباض

والمأبضان في يدي البعير هما باطنا المرفقين كما في لسان العرب؛ قال ذو الرمة:

يبايته فيها أحم كأنه
أباض قلوصٍ أسلمتْها حبالُها

والعِراس أيضاً من أدوات عقل البعير وشده، ويسمى في البادية العراص وهو حبل يربط في يد المطية الباركة، ويؤتى به من فوق رقبتها، ثم يربط في يدها الأخرى فيقال ناقة معرَّص لها، وهو من التَّعريس أي الإقامة والنزول بالمكان.

ومن طرق الحد من الحركة استخدام القَيْد أو القياد أيضاً، والقيدُ معروف، والجمع أقياد وقيود، وقيّدت الدّابة...

قال امرؤ القيس:

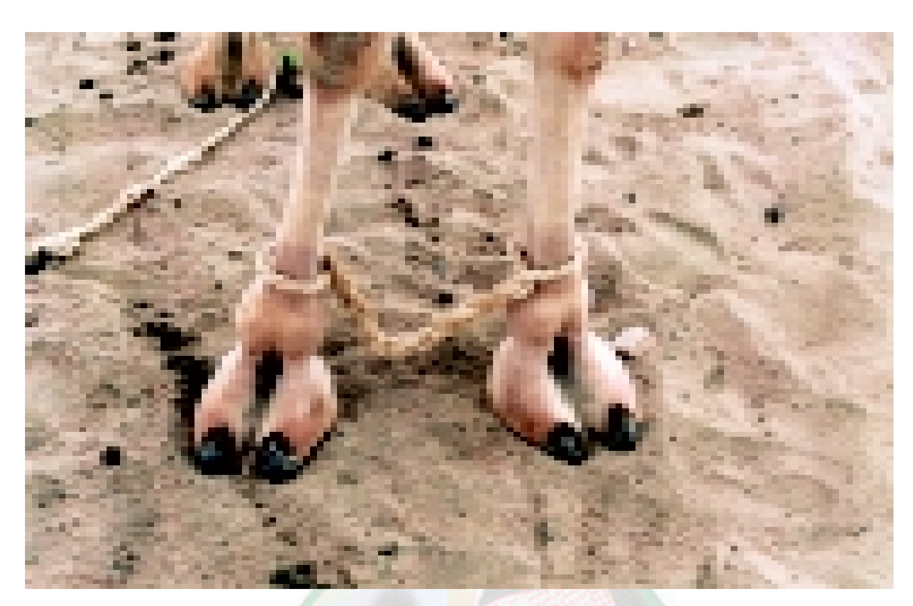
وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكَلِ

والقَيْد أيضاً يصل بين ذراعي الدّابة بعيراً كانت أو فرساً أو حماراً، وهو



العِراص (العِراس)





القيد

حبل مفتول يشدّ طرفه بأحد الذراعين وطرفه الآخر بالذراع الثاني، ليقصّر خطو البعير إذا مشى، ويجعله يمشي ببطء فلا يذهب بعيداً عن المرعى أو عن البيت، والقيد ما يقيد به البعير في يديه من أسفل الوظيف وفوق الرسغ، أما إذا كان القيد من فوق الركبتين مع أسفل الذراعين فهو التعضيّد، وهو بمثابة الشكار للفرس وهو مما يمنع الفحل عن ضرب طروقته. ومن جيّد ما قيل في القيد قول أحدهم:

أنا ورى ما ابكي وتبكي ضمايري
على منهلٍ قيد القعود رشاه
أبكي على مرّان عدٍّ به الروى
والحفر يعنى للعليل بماه
وسجا مرب القود عن ديرة الوبا
مقف على ساق العناب وراه

وقال آخر:

ومنهن من ترخص بتسعين بكره
ومنهن من تغلى بقيد قعود

قال محمد بن زيد من أهل القويعية:

عزّي لمن رجله تلوّى بها قيد
مربوط ما لي نوهةٍ عن بلادي

وقال خالد بن عمهوج:

كم جاهلٍ منا بزومات الانفاس
يصير طوعٍ للرسن والقياد

وقال سلطان بن عبدالله بن جلعود:

طنب برغاه من عقب الهدير
مشى بالقيد طاوع بالهجار





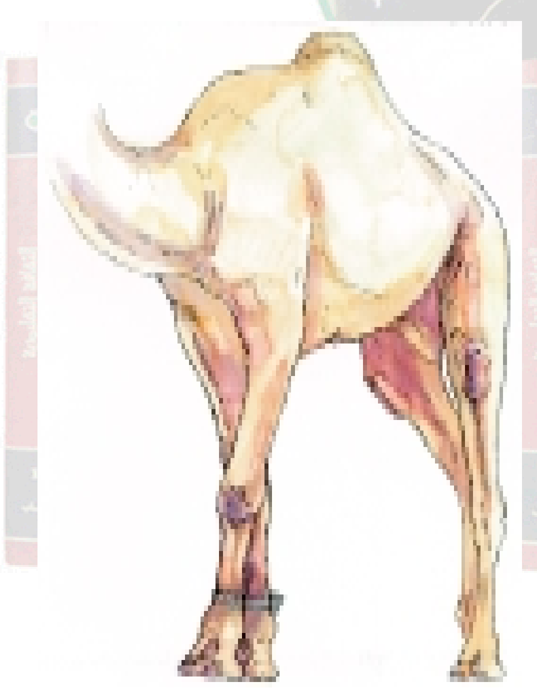
موساغ



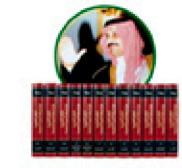
هجار

والذراع شبيه بالـقيد ولكنه يربط بالذراع فوق الركبة في القوائم الأمامية للبعير. ويتخذون حبلاً يُشد في الرسغ بقوة فيمنع البعير من الإسراع في المشي وهو المرساغ، ويقال رسغت البعير إذا شددت رسغ يـديه بخيـط، ويسمى ترصـيص. ومن أشـد أدوات الربط إيلاماً للمـطية الرصاص، وهو حبل يربط به رسغـا المطية بحيث يخـالف الواحد الآخر، ويـشد حتى يلتـصقا ببعضهما، فإذا أرادت أن تسير اضطرت إلى رفع يديها معاً مما يؤلمها فلا تبعد عن مكانها.

ومن طرق الربط التي تحد من حركة البعير التفقير وهو أن يربط بحقو البعير حبل ثم يربط طرفه بعرقوبه فيمنعه من الهرب، وهو للبعير الذي يراد الحد من حركتـه أو هربه، أو الذي يـحمل في الوقت الحاضر على سـيارة أو نحوها، ويصنع أحياناً من حبل مبروم من الوبر أو الصوف ومن لـيف النخيل. ومـثله الحجاز الذي عرّفه ابـن سيده بأنّه حبل العكم الذي يُشَد به، والعرب تقول «إنّ لفلان عندي يداً ما تحجز في العكم» أي



الرّصاص



ظاهرة ما تخـفى، فالحجاز حبل يلقـى للبعير من رجليه، ثم يُناخ عليه ثم يُشد به رسغا رجليه إلى حقويه وعجزه. أما الهْجَار وجمعُـه هِجْر، فهو حبل يعقد في يد البعير، ورجله في أحَدِ الشّقّين، وربُما عـقد في وظيـف اليد ثَم حُـقِبَ بالطرف الآخر. وقيل: الهِجارُ حبل يشدّ في رسغ رجـله ثم يشدّ إلـى حقوه إن كان عريانا، وإن كان مَـرحولاً شدّ إلى الحقَب.

وهَجر بعيرَهُ يَهجُرُهُ هَجْراً وهُجُوراً: شدَّهُ بالهِجار، أي شدّ حبلاً متيناً من أحد طرفـيه في ذراع البـعير، بيـنما يشدّ طرفـه الآخر على ساقه لـيقصر من خطوه ويمنعه من النفور والـعدو. وإذا ربط بالوظيف الأمامي فقط وأدير حول الحـقب قيل لـه فقارْ وإذا ربط بالوظـيف الأمامي والخـلفي قيـل له هجـارْ. وقد يُحقـب بأحد طرفـيه، والهــجار عربـي فصـيح؛ قال امـرؤ القيس بن حجر:

وأَت هَـلَـكـا بـنـجاف الـغَـبـيـط
فـكـــادتْ لـذاك تجـدّ الـــهِـجَـارَا

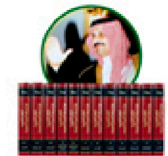
قال سلطان بن عبدالله الجلعود:



التفقير



الخيّة



طَنَبْ بِـرْغـاهْ من عِـقْـب الهَـديـرْ
مِـشَـى بِالـقَـيْـد طاوَعْ بـالْـهـجـارْ

وإذا لم يـجدوا مـا يشـدون إليه دوابهم من شجرة أو صخـرة ونحوها اتـخـذوا الخَـيَّة أو الآخـيـة، بـالمدّ والتشديد، واحدة الأواخي وهي عُود يُعْرض فـي الحائط ويدفن طرفـاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشدّ إليه الدّابة. وهو أيضـاً أن يدفن طرفـا قطعة مـن الحبل في الأرض وفيه عُصيّة أو حجر ويظهر منه مثل عروة تشدّ إليه الدّابة. وقالـوا أيضاً: الأخيّـة حبل له عـروة واحدة يوضع في رجل الفرس، ويوثّق طرفها في الأرض، وهي الرِّبَقَة. والخِيّة عند البادية حفرة ضيقة، يكون أسفلها أوسع من أعلاها، ويوثق حجر بحبل جيّد، ثم يوضع في أسفلهـا، وطرف الحبل الآخـر ممتد خارج الحـفرة، ثم تدفـن علـى الحجـر وتدكّ بـالتـراب والحـصَى، ويـوضع لـطرف الحـبـل الظـاهري عروة يربـطون بها الحـمير وغيـرها، وهـو اسم عـربيّ فصـيح حذفت هـمزة أوله؛ قال هويشـل بن عبدالله:

كنـي اللـي حدى قـينـيه في الخـيه
أرقب القـفل وابطا الـقفل ما جـاني

وقال فراج التويجري القحطاني:

يـاعد يـالـلي فـوقك ألـفـين خيـه
ألـفين خـيـه غيـرهـا ألفـين قـراب

وقال إبراهيم بن جعيش:

أسـبـاب الـلـي هـيـض قـولـي
كـنـي مـربـوط فـي خـيـه

أدوات أخرى

بقيت طائفة أخرى من أدوات الإبل وأصحابها لم تصنف ضمن ما مضى، ولم نقصد إلـى ذكر كل ما يستعمـله أصحابهـا في الماضي والحاضر، ولو قصدنا ذلك ما أمكننا لكثرته ولكنا نشير إلى المهم والمعروف المشهور.

وتتضمن الطائفة المذكورة هنا أدوات تخص الإبل أو رواحلها أو أصحابها مثل بعـض أجزاء الـرحل أو الـعصـي التي يستخدمها الرعاة ونحو ذلك. ومن ذلك المِرْقَاع وجـمعُه مَرَاقِيْـع، أداة تتكون من منقاش وحَرْبَة ومخراز ومجذاب وسكين صغيرة، تجمعها حلقة صـغيرة يحملهـا المسافرون لتـنظيف خفاف الإبل ورقعـها برقعة من أدم سميك من جلود الإبل غالباً، وذلك حين يصيب أخفافها حَفَى أو تتمزّق رهقاً من شدة السّير وطوله، وهو صناعة محلية؛ قال كنعان الطيّار العنزي:

يـاراكـبٍ مـن فـوق حـرٍ مـشـذّر
مـا دنّـق الـرقـاع يـرقـع رهـوقـه



وقال محمد بن فهيد:

ما قلّبوا خقّه بسيرٍ ومرقاع
يشدى لدانوقٍ بموج مولّي

وقال مفرج الهرشاني:

هجنٍ تقافا والرقع مستديره
مْبيّدين خفوفهن كل منعور

وقال ناصر بن ضيدان الزغيبي الحربي:

ما دنّق الرقاع يرقع سماريه
خص الشعر والجلد صافٍ بلين

وقال محمد بن عبد الرحمن العجاجي:

فج النحور منبّزات المحاصير
ما دارها الرقّاع يرقع حفاها

ومن الألفاظ التي يحسبها الناس عامية وهي من الفصيح لفظة القَش وجمعهُ قشُوْش وقشّان، وهو ما يحتاج إليه المسافر من أدوات راحلته، وما يلزم لها، كالشداد والمزاود والفراش والقربة وغيرها، يقال له مجتمعاً القش والبعض يسمّون أثاث البيت قشّاً، وما يزال هذا المعنى الأخير مستعملاً في الجزائر؛ قال السّعيدي السّبيعي:

كم علقت بالدرب من قش بكره
وكم جاب راسي من صبي وشايب

وقال شاعر آخر:

وسمعت عقب العصر مصياح رجَّالِ
واثره حراجٍ على قَشّهِ يبيعونه

ومن أدواتهم العَصَا وجَمعُها عِصِيّ، يقصد بها العَصا المعُروفة، التي تتخذ لتساق بها الإبل، والعِصيّ القديمة التي كانت مستعملة نوعان؛ إما خيزرانة، والخيزران مستورد، وإمّا متخذة من الأشجار المحلية القوية الصّلبة، كالأثل والطرفاء والسّلم والطلح والسّدر والسّمر، وغيرها من الأشجار. والعَصَا لفظ عربيّ فصيح؛ قال امرؤ القيس:

أَلاَ إِلاَّ تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى
كَأَنّ قُرُوْنَ جِلّتِهَا العِصِيُّ

وفي القرآن الكريم: ﴿قال هي عصاي أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾ (طه:١٨).

ومن النصوص المتقدمة يتبين أنّه كان للعَصا أدوار متعدّدة أهمّها سوق الدّواب والتّوكؤ عليها؛ قال الشاعِر:

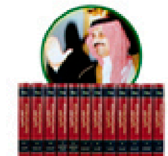
ثمان ليالٍ نلطم العوص بالعصا
وادنى مواردها سجا وعفيف

وقال عبيد بن هويدي الدوسري:

تراني دخيلك ياجنيح من الخطا
عن البيض لا تكسر مفاصل يديّاتي
تراني عويدٍ ما امشي الا على العصا
ضعيف وابطن لا يجنى بنيّاتي

وقال فيحان الرقاص العتيبي:

عوصٍ عصن مع العصا عوص واطواع
شعلٍ شمعليات رملٍ مراميل



وتتخذ بعض العصي من الخيزران وهو نبات ليّن القضبان، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب، وإنّما ينبت ببلاد الرّوم، ولذلك قال النّابغة الجعدي:

أتانِي نَصْرُهُم وهُمُ بعِيْد
بلادُهُم بِلاد الخَيْزرانِ

فالخيزران نبات معروف، تتخذ منه العصيّ، وتشبّه به قدود النّساء لاعتداله وليونته، وعصيّه تتوافر في البلاد مستوردة من خارجها، وهو مستعمل؛ قال عبيد بن هُويدي:

ضامر الوسط عمهوجٍ متاعه قليل
ويتغطرف يشادي مطرق الخيزران

وقال عبدالله اللوح (لويحان):

أي عود الجريد الشين وايّا مطرق الخيزران
كان هوجست بالمطراش تقدي فيه راس المطيه

وقال فجحان الفراوي:

وعصيان أهلهن كلهن خيزران
وكل الكلايف فوقهن ما يخطرن

وقال حنيف بن سعيدان المطيري:

القفل زاويهن على أول وثاني
كبار اللحوم مجاذبات الخنانيق
وعصي أهلهن ليّن الخيزران
حمر العيون محضيّات المساويق

وذكرها شالح بن ماضي المقاطي العتيبي فقال:

ياراكب اللي مشيهنه بزل
وعصي أهلهنه من الخيزران
مثل ألادامي يتبعن الاظل
حمر عليهنه من البقل ثاني

والسّيسَّيّة وجمعه سياسيّ وسيس تعني أيضاً عصا الخيزران، يذكر الجنيدل أنها سميت بهذا الاسم لأن أول من عرف باستيرادها في نجد كان يدعى السيّسي. وتسمى المبشع وتدخل في نسيج السدو من قبل النساء، وقد شبهت قدود الفتيات بها في اعتدالها وليونتها؛ قال محسن الهزاني:

بنتين صعبات الموده مداليع
بالوصف عيدان السّياسي النعانيع

وقال الدحملي من أهل القويعية:

أحد لبس له مشلحٍ عاريه
يميح به يبغى عساه يشافِ
واحْدٍ يخبط الخد بالسيسيه
يشدى قعودٍ مصعبٍ هيّاف

ومن أدواتهم الزمزمية وجمعها زمازم وزمزميات، وهي قارورة أسطوانية الشكل لها فوهة ضيقة وثعبة صغيرة وهي ثلاثة أنواع؛ زمزمية خزفية ذات لون أشقر، وهي أكثرها، ومنها ما لونه أسود، ومنها ما لونه أبيض، وهي أقلها. وزمزمية زجاجية بيضاء، وهذان النوعان مستوردان. وزمزمية نحاسية، مدورة





عضاد للركوب

ويستعين الراكب على ركوب الإبل إذا لم تُنَوَّخ بأشياء منها العضاد وهو حبل يلف على عضد المطية ليساعد على ركوب المطية وهي واقفة، فيضع الراكب رجله على العضاد معتمداً عليه في امتطاء ظهرها. ومنها الفَرْز، وهو ركاب الناقة أو ركاب الرحل. وقد غرزت رجلي فيه أي ثبتّها. وكل ما كان مِساكاً للرجلين في المركب فهو غرز؛ قال المثقَّب العبدي:

قد اتخذتْ رجلاي في جنب غرزها
نسيفاً كأفحوص القطاة المطرق

وفي الرحل أدوات كثيرة لم تذكر فيما مضى، منها الجُلْب والجلبة وهي عيدان الرحل، والجلبة ما يؤسر به الرحل سوى صُفّته وأنساعه، وقيل: هي حديدة تكون فيه. ويسمى خشب الرحل قتوداً وأقتاداً، فإذا كان بلا أنساع سمي عظماً. وقدوح الرحل عيدانه؛ قال الشاعر:

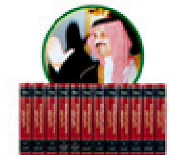
لها قِردٌ كجثل النمل جعد
تعضّ به الغرافي والقدوح

والمُسال عندهم من أدوات الرحل، ومُسال الرحل عضداه. وفي الرحل الجِنيبَة وهي ما تدلّى منه على جنب الناقة، وكل رحل له جنيبتان متدليتان، لهما أهداب جميلة تنحدر تحت

الشكل، ولها رقبة وغطاء نحاسي، وهذه كانت تصنع في نجد بأحجام مختلفة.

وتكسى الزمزمية بنسيج من الليف أو السوتلى تُلبس به، وليس معنى ذلك أن كل زمزمية ينسج عليها، ولكن زمزميات أهل العناية والتأنق والقدرة هي التي ينسج عليها، وهذا النسيج خاص بزمزميات الخزف والزجاج أما زمزمية النحاس فإنه لا ينسج عليها؛ قال الشاعر:

فاطري تضلع ولا ادري وش بلاها
ما عليها الا القلص والزمزميه



خاصرتي الرّاحلة، وهي منسوجة من الصوف. وكذلك يقال للمزودة وللخرج الذي يُحمل على جنب البعير جَنيبَة، والجمع جنايب، وهو عربي فصيح.

وجنيبتا البَعير ما حمل على جنبيه، وجنْبته طائفة من جنبه، وكل ما وضع على جنب المطية فهو جنيبة. وهي أيضاً الذلول التي تمشي بجانب الذلول المرحولة (المركوبة). قال زامل بن عُوين من المصعبين من أهل تباله:

ياراكبٍ حر هميم
إلى مشى واصله مديم
يلاعب للجنايب والخطام

والحِلال هو متاع الرحل، قال الشاعر:

وكأنها لم تَلْق ستة أشهرٍ
ضُرًّا إذا وضعت إليك حِلالها

والنَعْفَة، وتسمى أيضاً العَذَبَة والذؤابة، هي الجلدة التي تعلق على آخر الرحل. وفيه الكُلاّب ويسمى أيضاً الخُطّاف والعقربة وهو حديدة تعلق بالرحل وتعلق عليها أدوات (إداوة) الراكب. وفي الرحل شرخان واسطته وآخرته، وهما جانباه، وتضمهما خشبتان تسميان العرقوتين، ويسمى الأديم الذي يضم العرقوتين من أعلاهما وأسفلهما الصُفَّة.





منافع الإبل

تمثل الإبل قيمة اقتصادية كبرى في القديم والحديث. فهي بجانب استخداماتها المتعددة سواء في القوافل أو الحروب أو السني، ظلت تقدم فائدة اقتصادية لا تنكر، حيث يستفيد المجتمع بحليبها ولحمها ووبرها وجلدها، فضلاً عن أنها تجارة رابحة لمن يربونها للتجارة فيها. ونتحدث في هذا الفصل عن منافع الإبل وأهميتها الاقتصادية.

حليبها

يُعتَبر الحليب أهم منتجات الإبل، وهو يستخدم في تغذية مختلف فئات البدو والفَلاّحين، وتعتمد عليه شعوب آسيا الوسطى اعتماداً كبيراً في تغذيتها، وهو لا يقل جودة عن حليب الأبقار إن لم يفضله في بعض النواحي. وكان الغذاء الرئيسي للعربي على مرَّ الأزمان.

العوامل المؤثرة في إنتاج الحليب. يتكون ضرع الناقة من شقين، يسمى الأمامي منهما مقاديم، والخلفي مواخير، وعند البادية تسمى فتحة الحلمة السمه. ويترك عادة أحد هذين القسمين للحوار إذا كانت الناقة مرضعاً، ويحلب القسم الآخر. ويتصل الضرع بالجدار البطني للناقة بواسطة غشاء سميك، ويربط الحلمات الأربع للضرع نسيج رابط. أما الحلمة فتتركب من قناة الحلمة التي تحاط بعضلة قابضة تعمل على حفظ الحليب المخزون فيها من التسرب للخارج، وتنتهي قناة الحلمة من الخارج بفتحة الحلمة ومن داخل الضرع بحوضها. ويتصل حوض الحلمة بمركز تجمع اللبن، الذي يعرف بحوض الغدة، ويكون مرتبطاً بقنوات اللبن حيث يتفرع إلى قنوات أصغر فأصغر، تعرف بالشعيرات اللبنية، وظيفتها نقل اللبن من البصيلات





ضرع الناقة، وقدتُركت المقاديم للحوار، والمواخير للحلب

(الغدد) اللبنية. ويمثل الغدد اللبنية زوجان، كل منهما عبارة عن تجويف مغلف بطبقة واحدة من الخلايا الغشائية رقيقة الجدر. وتحاط كل غدة أو بصيلة من الخارج بشعيرات دموية وأوعية ليمفاوية وظيفتها استخلاص مكونات اللبن من الدم واللمف وتوصيله إلى الخلايا الغشائية التي تتولى تكوين اللبن (الصانع ١٩٨٤ : ١٥٣).

وتتم عملية الإدرار بتفاعل الهرمونات التي تفرزها الغدة النخامية (هيبوفيز) وأهمها هرمون أوكسيتوسين. ينقل هذا الهرمون في الدم ويصل إلى الضرع ليأمره بالانقباض، وبعملية الانقباض هذه يتصفى الحليب من الدم ويتجمع في خلايا الضرع وأقنيته الداخلية. فالحليب يتصفى من الدم، وكل ٥٠٠ ليتر من الدم الذي يسري في عروق وشرايين الضرع ينتج لتراً واحداً من الحليب.

إن عملية إدرار الحليب عملية دقيقة ومعقدة، وهي تتأثر بعوامل عديدة ومتداخلة. ويجدر الانتباه خلال عملية الحلب إلى اتباع الطرق السليمة مما يساعد في إدرار الحليب، والمحافظة على النظافة التامة للوقاية من الأمراض أو الالتهابات التي تصيب الضرع.

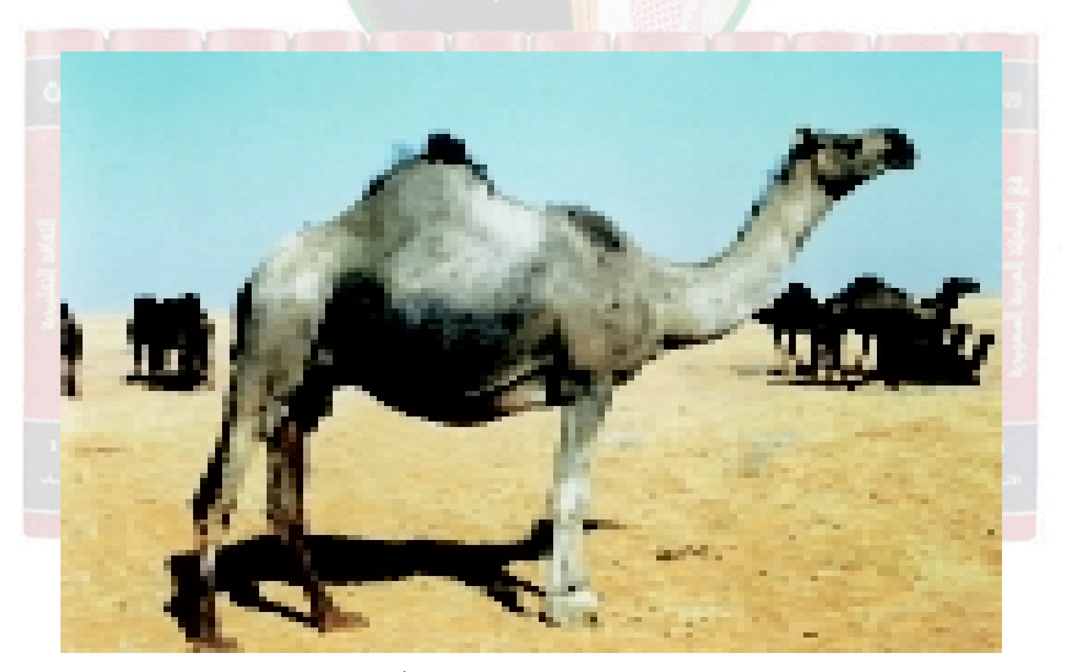
ويعد الحليب الإفراز الطبيعي للغدة اللبنية، وقد هيأه الله سبحانه وتعالى



ليلائم احتياجات المولود الجديد بما يحتويه من مركبات ضرورية لازمة لنموه. والإبل من الحيوانات التي تدر كميات كبيرة من اللبن زائدة عن حاجة وليدها، مما أعطى الإنسان إمكانية للاستفادة منه في الغذاء.

وتشير بعض الدراسات إلى أن متوسط إنتاج الناقة من اللبن في اليوم يتراوح ما بين ١٥ و ٤٠ كجم ويكون الإنتاج عاليا في الأسابيع العشرة الأولى بعد الولادة حيث يبدأ بعد ذلك في الانخفاض بسرعة، وتبلغ أطول فترة للإدرار في المتوسط اثنيْ عشر شهراً وتختلف هذه المدة باختلاف الرعاية والتغذية اللتين تؤثران في الإنتاج الكلي للموسم، ويتراوح إنتاج الموسم حسب ما ورد في التقارير البحثية من ١٠٠٠ كجم إلى أكثر من ٣٥٠٠ كجم في بعض المناطق.

تختلف القدرة الإنتاجية للحليب من ناقة إلى أخرى بسبب عوامل عديدة منها نوع الإبل والعوامل الوراثية، إذ يلعب هذا العامل دوراً أساسياً في قدرة الناقة الإنتاجية. فبعض السلالات تدر إدراراً عالياً يفيض عن حاجة ولدها، فيستخدم حليبها في التغذية على نطاق واسع. والبعض الآخر يدر حليباً يشبع المولود فقط ونادراً ما يزيد عن حاجته بعض الشيء. والمعروف أن المجاهيم والآركيات



المجاهيم من أكثر السلالات إنتاجاً للحليب



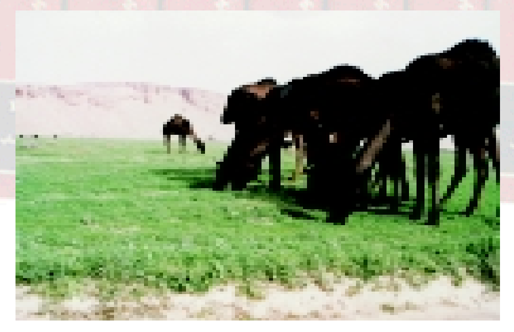


الآركيات من السلالات المعروفة بإنتاج الحليب

التي ترعى شجر الأراك من الحمر هي الأكثر حليباً.

ومن أهم العوامل المؤثرة على إنتاج الحليب في النوق عامل التغذية. فالغذاء الكافي كمّاً ونوعاً يزيد من إنتاج الحليب ويؤثر على نوعيته، فيزيد من احتوائه على البروتينات والدهون والعناصر المعدنية. ويؤثر سوء تغذية الناقة بشكل واضح على حليبها، كما يؤدي إلى حدوث أمراض عديدة أهمها الأنيميا أو فقر الدم، إذ تضطر الناقة اللبون أن تعطي من مخزون جسمها من البروتينات والعناصر المعدنية كالكالسيوم والفوسفور إذا لم تتوافر هذه الأخيرة في أعلافها. ففي الفترات التي تتوافر فيها المراعي الطبيعية في البادية يرتفع إنتاج الحليب عكس فترات الجفاف حيث تقل كميته.

وتعتمد كمية اللبن على المرعى ونوعيته. ومن أقوالهم «لا آتيك ما اختلفت الجرة والدرة» وفي المثل «الدرّه من الجرّه»، ويعني هذا المثل أن كثرة اللبن هو من الجرة (اجترار البعير) أي من العلف الذي يأكله (الشراري ١٤١٢: ١٠٥).



يزداد الحليب في الربيع لتوفر المراعي الطبيعية



والحالة الصحية أيضاً عامل مهم مساعد على إنتاج الحليب. فالمرض يحد من إدرار الحليب ويؤدي في معظم الأحيان إلى توقف كلي للإنتاج. كما أن المرض يؤثر سلباً على نوعية الحليب فيصبح غير مرغوب فيه وقد لا يصلح للاستهلاك الإنساني، ولذلك تجدر العناية بصحة الإبل والاهتمام بها لوقايتها من الأمراض التي قد تفتك بها وتؤدي إلى هلاكها. وتعد الحالة النفسية للناقة عاملاً مهماً يتوقف عليه إدرار الكمية الوافرة من الحليب، حيث يقل حليبها إن لم تكن مرتاحة نفسياً، ولذلك قالت العرب في أمثالها «الـمْغَصوبه ما بها لبن». كما أن العمل الشاق والمرهق يؤدي إلى خفض حاد في إنتاج الحليب. وإذا استمر الإرهاق في العمل فقد تتدهور صحة الناقة اللبون، ويتوقف إدرار الحليب كلياً قبل أوانه.

ويعتمد إنتاج الحليب على فصل السنة، فإذا تمت الولادة في الفصل الذي تتوافر فيه الأعلاف ارتفعت نسبة إنتاج الحليب، والعكس صحيح. وكذلك فترة موسم الحلب إذ تزداد كمية الحليب التي تدرها الناقة إذا طال موسم الحلب. ويتراوح طول هذه الفترة من ١٠-١٦ شهراً، وهذا نادراً ما يحدث، حيث أن كمية الحليب تأخذ في الانخفاض وتزداد نسبة الأملاح ابتداء من الشهر الثامن للولادة، فإذا حصل الحمل باكراً بعد الولادة، قصر موسم الحلب وقلّ إنتاج الحليب. ومن الطبيعي أن يخف هذا الإنتاج وأن تتوقف الناقة كلياً عن الإدرار في المرحلة الأخيرة من الحمل وقبل الولادة بشهرين لتؤمن الغذاء الكافي والنمو الطبيعي لجنينها، دون أن يؤثر ذلك على صحتها بشكل عام وعلى مستقبلها الإنتاجي، وتقول عنها البادية «غرزت». كما أن الحوار الذي يولد من ناقة مدرار تستمر في إدرار الحليب حتى فترة متقدمة من الحمل، يولد ضعيفاً هزيلاً ويتأخر نموه وقد ينفق أحياناً أثناء عملية الولادة أو بعد ولادته بقليل.

ويقول الشراري إن أقل فترة لإنتاج الإبل للحليب هو فصل الصفري (الخريف) ولذلك قالوا «صافرت الإبل فقل لبنها» لأنهم يخشون من شرب لبن الناقة التي لا تحلب يومياً، وتسمى الـمْحَيّنه إذ يعتقدون أنه يسبب أمراضاً للإنسان ومنها المرض الذي يسمونه الكلبه، لذا فهم يقومون بغليه على النار قبل شربه ويسمونه في هذه الحالة وغيرهْ أو طيوشْ أو مفوَّحْ.





الإبساس عند الحلب

وإذا أرادوا حلب الـناقة استعـملوا الإبساس، وهو دعوة الناقة للحلب يقال لهـا «بس، بس» وهـو صوت الراعـي لتسكين الناقة عند حلبها، وناقة بسوس تدر عند الإبساس، وقيل أيضاً الإبساس هو مسح ضرع الناقة لتسكن وتدر وهو المرا والمري.

وعند حلب الناقة لا بد أن يكون رضيعـها بجانبهـا حتى لا تمتنـع عن الإدرار، إلا إذا كانت مسوحْ أو مريْ، وغالباً ما يحلب نصف الضرع، ويترك النصف الآخر ليرضعه الحوار. وأكثر الـنوق لا يمكن حـلبها دون أن يـبدأ حوارها بلهـج ضرعها، فهي ترفض أن تدر الحليب (تـعطف) ما لم يكن حوارها هـو البادئ. وقد يـكون في حكم الـنادر وجود تلك الـناقة التـي تعطف بمجرد أن يمسح من تعرفه على ضرعهـا، وهي التي تسـمى مريْ أو مسوحْ. وقليل من النوق تعطف لكل من مـسح علـى ضرعـها بيـده عدة مرات. وإذا ارتفع الحلـيب من ضرع الـناقة بـعد إدرارها، تـقول الـباديـة «غارت» أو «خالفـت» ويحدث ذلك قبل بدء عملية الحلب أو بعد ابتدائهـا بقليل. أمـا إذا كانت الناقة لا تحلب إلا بعد شد فخذيها بحبل قوي فتقول عنها البادية «نحوس».



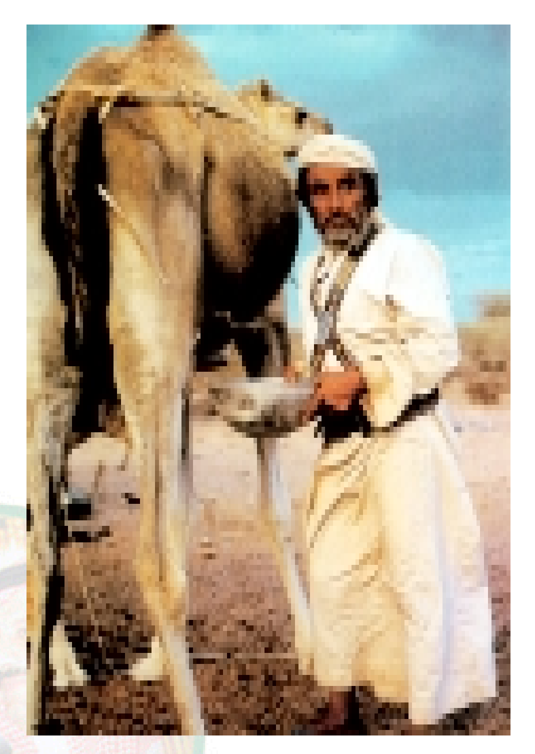


عندما يلهج الحوار الضرع تدر الناقة

وإذا أراد أهل البادية حلب الناقة قربوا حوارها منها، فتعطف وتحن عليه وتدر لبنها، فإذا غـارت (خالفت) عند بداية الحلب، فإنهم يتركونها فترة مـن الزمن ثم يقربون حوارها منها مرة أخرى لتعطف عليه، فإذا عطفت وحلبت قالت البادية «فاقت الناقه» وسمي حليبها فُوَاقْ وجمعه أفاويق. وإذا حُلبت الناقة صباحاً، سمِّي حليبها صـبوحْ وإذا حلبت مساءً سمِّي غبوقْ، وهنـاك من أهل البادية مـن إذا سرحت إبلهم صباحاً من دون حلبها ثم أعادوها وقت الضحى للحلب، يسمون هذه الحلبة الفايه. ولكن أكثر أهل البادية يطلقون الـفايه على حلبة الغـنم فقط، وربما أجاز بعضهم تـسمية الفايه إذا لم تحلب صباحاً ثم حلبت عند الـضحى. أما إذا حلبت صباحاً ثم حلبت مرة أخرى فتسمى العلاله، وهي من العل أو العلل وهو الـشرب مرة أخـرى بعد الـشربة الأولى.

ويتميز حليـب الإبل بلونه الأبيض الطبـاشيري، وطعـمه ورائحتـه الحلوة الخفيفة، وقد يكون له طعم ملحي واضح حسب نوعية المرعى أو زمن الحلب منذ الولادة، فكلما طالت المدة أو تقدم العمر زادت نسبة الملوحة خاصة عندما تكـون الناقة عشراء. كما تعتـمد الملوحة أيضاً على عمر الناقة المنتجة، والوقت، وزمن





عند الحلب يقرب الحوار لتعطف عليه أمه وتدرِ

الإدرار. ويكون حليب البكر التي تلد لأول مرة ألذّ طعماً من حليب الفاطر (أي التي فطر نابها).

إن لون لبن الإبل وشكله واحد ولكنه يختلف في طعمه فأول اللبن يسمى السويدا، ثم الصحفه ويكون أصفر ويقال له اللبا (لبته) وهذا يكون بعد ولادة الناقة مباشرة.

وهناك عدة أسماء لحليب الإبل؛ فالرِّسل والدرة الحليب، والمحض هو الحليب الخالص (أي لم يخلط معه شيء كالماء مثلاً). وفيه يقولون «شربة محض» أي حليب خالص، ويقولون أيضا «امحضني إياه». والعسال هو الحليب الحلو المذاق. وفي المثل قولهم «حلو لبنهن حاضر راعيهن». والضيح هو الحليب الرقيق (الخفيف) الممزوج بماء كثير، وهو المذق أيضاً، والعبيلة حليب يضاف إليه مرق اللحم، والقافي هو حليب الناقة بعد اللباء (قافيه: أي يقفوه ويتبعه).

ويقولون: مهج اللبن أي فسد، وذلك عندما ترعى الإبل الوخيم من المرعى (غير النظيف). والمالح هو حليب الإبل عند لقاحها. والمجروط هو الحليب المتغير الطعم الناتج عن السقاء الذي لم يدبغ أو يصان وينظف، ولتجنب حدوث هذا الطعم يقومون بدبغ السقاء بدباغ أشجار الأرطى أو القرظ أو الشث. وحليب الناقة يمكث مدة طويلة قد تصل إلى أربع وعشرين ساعة، إذا وضع في صميل دون أن يتعفن أو يتخثر.

ويسمون السمن الذي يستخرج من حليب الإبل جبابْ، وهو ما اجتمع من حليب الإبل فيصير كأنه زبد يدخل مع القارص وإذا زادت حموضته ظهرت الجباب. أما الجبن فإنه يصنع من الحليب بعد غليه، وذلك بخلطه بقطرات من حليب شجر العشر أو حليب شجر



الحماط، أو من المعصرة أو الجعدود أو المجبنة، وهي حليب يكون عادة في كرش جفر صغير يشبع بالحليب بعد ولادته مباشرة، ثم يذبح ويستخلص الحليب الموجود في كرشه قبل تحلله، ويحفظ بطريقة خاصة تعرفها البادية، حيث توضع كمية قليلة منه مع الحليب فيصير جبناً. أما الآن فتباع أقراص صغيرة مصنعة لعمل الجبن.

وإذا زاد الحليب عن حاجتهم صبوه على حامض حتى يروب فيشربونه خالصاً بعد جدحه أو يضيفون إليه الماء، ويطلقون عليه عدة أسماء، منها الشنينه، وهي الحليب الحامض مضافاً إليه الماء، ويفضلون شربه عند العطش. وهناك من يسميه شهاله، أو قريعة أو نسيئة، فإذا أضافوا إليه ماء كثيراً فهو الشهابه؛ والشهبة لون بياض يصدعه (يخالطه) سواد، والشهابة ثلث حليب وثلثان ماء، ولا يستحب تقديم الشهابة للضيوف. والطعام عندهم هو الحليب الحامض يضاف إليه حليب خالص ليعطي نكهة خاصة المذاق. وإذا أضيف إليه السمن أصبح وجبة كاملة عند البادية. أما الرثيئة فهي الحليب الحامض مضافاً إليه الحليب الخالص، ويقال الرثيئة أن تحلب حليبا على حامض فيروب ويغلظ فتجدحه بالمجدحة (تخلطه) حتى يغلظ. وفي المثل «الرثيئة تفثأُ الغضب» (أي تهدئ الأعصاب)، ويقال إن سبب هذا المثل أن رجلا غضب على أهله فسقوه الرثيئة فسكن غضبه. والبدو يسقون الجمل الهائج الرثيئة فيهدأ. والقارص هو الحامض من حليب الإبل والذي يوضع بعد حلبه في السقاء ويكون فيه شيء من الحموضة المرغوبة، ويقال له أيضا المقرص. ومن الأمثال «عدا القارص فحرز» والقارص هوالذي يحذي (يؤلم) اللسان لحموضته. أما الحليب المتناهي في الحموضة فهو الحارز.

مكونات حليب النوق وفوائده. ذكر أن حليب النياق يحتوي على كمية كبيرة من فيتامين ج، إضافة إلى أن محتواه من المواد الدهنية والبروتينية والمعدنية أكثر من تلك الموجودة في لبن البقر والغنم. ولقد أعطى العلماء تحليلاً نسبياً لمكونات لبن النياق؛ فهو يحتوي على ٢,٩٠٪ دهون، ٣,٦٦٪ بروتينات، ٥,٧٨٪ سكر اللاكتوز، ٠,٦٦٪ أملاح معدنية، ٨٩٪ ماء.

ويوضح الجدول التالي صفات وتركيب ألبان إبل ترعى في مناطق مختلفة طبقاً لما أورده الصانع (١٩٨٤م).



مصدر الجمال	المكونات الرئيسية (٪) الدهون	البروتين	الرطوبة	الرماد	سكر لاكتوز	كلوريد صوديوم	مكونات أخرى ملجم/ ١٠٠جم	الكثافة النوعية جم/ سم٣
نوق تعيش في صحراء الكويت ١٩٧٦	٥,٤٠	٣,٨٢	-	-	-	-	-	١,٠٢٨
نوق تعيش في صحراء الكويت ١٩٧٨	٣,٩٠	٢,٧٠	-	-	-	-	-	١,٠٢٢
نوق تعيش في صحراء السعودية	٢,٠ إلى ٦,١٠	٢,٤٨ إلى ٣,٩٩	٨٥,٦٠ إلى ٨٩,٩٤	١,٠٢	٣,٠٠ إلى ٣,٩٩	٠,٦٦		٨١,٠٢ ٣٨١,٠
نوق وحيدة السنام تعيش في صحاري أفريقيا وأثيوبيا والصومال	٥,٥	٤,٥	٨٥,٦	٠,٩	٣,٤٠		كالسيوم ٤٠ فوسفور ١٣٨ ٠,٥ حديد ٠,٠٦ ف ب (١) ٠,٠٦ ف ب (٢) ٢,٣ ف جـ	

ويتضح مما سبق الاختلافات في مكونات لبن النياق من مكان لآخر، وهذا يوضح تأثير نوعية ما ترعاه الإبل من الأعشاب والحشائش والأشجار المختلفة على محتويات ألبانها.

إن لبن الإبل يعد الغذاء الرئيسي لبدو الصحراء، وهو اللبن المحبب لديهم، وهم يشربونه طازجاً في غالب الأحيان. ومن أمثال الشرارات التي تعبر عن حبهم للبن الإبل قولهم «ضروة لبن ما ني فطيمٍ على الزاد» والمعنى هو أنني متعود على شرب لبن الإبل ولست ممنوعاً من الأكل والطعام. ويقال إنّ الطفل إذا فطم على نوع من الغذاء فإنه لا يفضل عليه غيره من الأغذية على الإطلاق، وأن الغذاء الذي فطم عليه الطفل يبقى مفيداً له حتى في كِبره لذلك فهو يقول إنه فُطم على اللبن ولا يفضل عليه غيره (١٤١٢:١٠٨).

وتشتهر كثير من القبائل العربية في الماضي والحاضر بتقديمها حليب الإبل مع التمر لضيوفها وزوارها. ويعتبر اللبن



من أهم الأغذية التي تقدم لإكرام الضيف وقد يغني اللبن عن غيره من الولائم، فإذا وضع السمن على حليب الإبل فإنه يكفي في الكرم لمن لا يستطيع أن يذبح لضيفه. ويقولون في وصف اللبن «يدخل ولا يدخل عليه» أي إذا شربت لبن الإبل لا تدخل عليه شيئاً آخر (أي لا تأكل ولا تشرب بعده شيئاً). ومن أمثالهم في ألبان الإبل قولهم «قرطوع يطرد الظما والجوع» ويعني هذا المثل أن شرب مقدار معين من لبن الإبل يطرد ويبعد الظمأ والجوع عن الشارب. واللبن لدى البادية دليل على الكرم حيث يقولون عنه «المشبع المروي المقيت» أي أن فيه غناء عن الماء فهو يروي وعن القوت (الطعام) فهو يشبع. وعند تقديم اللبن أو غيره يقولون «عطه در واكفه الشر»، ويقولون أيضا «اللبن مقطع الشهوات» أي أن من شربه لا يرغب بشرب أو أكل بعده (الشراري ١٤١٢: ١٠٦-١٠٧).

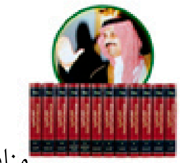
ويعتبر البدو حليب الإبل مصدراً لجلب الصحة ووقايتهم من العلل، وذلك لما يمثله من مكون رئيسي في غذائهم اليومي (الشراري ١٤١٢: ١٠١). ولقد أثبتت البحوث الطبية أن لبن الناقة ذو مفعول جيد في معالجة النزلات المعوية، والسل، ويستخدم لبن النياق بكثرة في مجال الطب. وفي الآونة الأخيرة شاع استخدام حليب الإبل في علاج بعض الأمراض، خاصة المعوية، اعتماداً على ما جرى عليه من أبحاث علمية موثقة. إضافة لذلك فقد كان أفراد البادية وغيرهم، ولا يزالون، يعتقدون أن حليب الإبل له القدرة على شفاء بعض الأمراض، حتى قبل أن تثبته الأبحاث العلمية. ومن المتعارف عليه عند أهل الجزيرة أن أهل البادية إذا أحسوا بخمول في أجسامهم أو آلام في الأمعاء، فإنهم يشربون من أبوال وألبان الإبل، إذ يقومون بخلط بول البكرة التي لم تلقح مع حليب البكر ويطلقون على هذا الخليط المقشورهْ ويشربونه علاجاً لأكثر من علة. وحليب الإبل يطلق عليه عند أهل البادية اسم الدواء وفي هذا يقول أحدهم:

جينا صلاة الجمع والخيل ترزي
واقفوا على حمرٍ لبنهن يداوي

ومن الحداء قولهم:

حمراً لبنها حامي
يداوي عن الاوهامي

إضافة لذلك فإن كثيراً من الناس يعتقدون أن حليب الإبل جيد ضد السموم. وقد ذكر لنا أحد رجال الدواسر أنهم يعتقدون بأن شرب حليب الإبل له مفعول جيد ومقوٍّ للباه (الشراري



١٤١٢ : ١١٠). وحليب الناقة عقب ولادتها مباشرة يسمى السويداء، ولا يشرب لأنه يسبب إسهالاً شديداً، ولكن يمكن غليه واستخراج اللبأ منه، كما تقدم، وحينئذٍ فإنه لا يضر.

النوق الخلفات ونعوتها. أطلقت العرب على النوق الحلوبة أسماء وصفات، من أشهرها الخلفه (جمعها خلفات)، وسموها بذلك لأنها خلفت ولدها، أي ولدت حديثا، ويقال لها خلفه حتى تمضي ستة أشهر من ولادتها فهي عند ذلك عْشَرا، فإذا لقحت سميت مْعَشّرْ، فإذا تبين لقاحها وكبر بطنها سميت لْقَحه. ومن صفات الخلفات سماحة الطبع والهدوء وضخامة الجسم وسماحة الوجه وكبر الضرع، ومعظمها ملحاء (سوداء) وتوجد في جنوب المملكة العربية السعودية أكثر مما هي موجودة في الشمال (الحبردي ١٤٠٩ : ٤٦-٤٧).

ومن نعوت الناقة الحلوب أيضاً الدحور، وهي الناقة الكثيرة اللبن، ومن أمثال الشرارات «ناقة دحور» و«دحور العيله (الأسرة)» وهي الخلية، وكذلك الـمْجَمّعه فلا يجمع إلا بها لكثرة لبنها وهي التي تُحلب للبيت من النوق، وتكون من أكثر الإبل لبناً، وهم ينحرون حوارها ويضيرونها على حوار ثان لتدر عليه، وتسمى أم الحوار الثاني بسوطْ، ومن هنا فإن الناقة الـمْجَمّعه لا يذوقها (يرضعها) حوارها. ويذكر الشراري أنه إذا عطفت اثنتان من النوق على حوار واحد فرئمته كلتاهما فغذي بواحدة والأخرى بقيت لأهل البيت فواحدة منهما الخليه والأخرى بسوط وجمعها بسط. ومن أقوالهم «راعي البلْ عنده طخاة» والطخاة هي السحابة المثقلة بالماء. ومنها أيضا «عنده دحور وبسوط» وذلك لكثرة اللبن عنده، والدحور مشتقة من الدحر وهو ذبح فصيلها، وهي الخلية في اللغة.

والحشود هي السريعة جمع اللبن، والحفول الناقة التي احتفل لبنها في ضرعها وتجمَّع، وناقة حلباة ركباة أي ذات لبن تحلب وتركب، وتقول البادية «محلابه مركابه». والـمْحَيّنه هي الناقة التي تُحلب ثم يترك حلبها في موعدها المعتاد مرة أو مرتين ليتجمع اللبن في ضرعها. وهناك من يلجأ إلى تحيين الناقة عندما يريد جلبها في السوق للبيع، لكي ينخدع المشتري بحجم الضرع ووفرة حليبها فيقبل على شرائها. والضرع المحتقن عندهم محمود وهو الواسع الفسيح ويستعملون في ذلك التصرية وهي ألاّ تحلب الناقة حتى يجتمع اللبن في ضرعها، فهي صراء وصرية ومُصرَّاة،



وهي «الـمْحَيّـنه»، ويسمون شدة الدرّة في الضرع الحشك.

ورد في كتاب نظام الغريب في اللغة أن الخور هي أغزر الإبل لبناً. وإبل حافلة إذا اجتمعت ألبانها في ضروعها، وضرع حافل أي مـجتمع اللـبن. ويقال ضرع حاشك أي ممتلئ. والفيقة اللبن المجتمع في الضرع، وفواق الناقة بدايـة الحلب، أي الشخبات الأولى من الحليب، والتفوق الاحتلاب، وتَفَوَّقْتُ الناقة إذا حلبتها حيناً بعد حين. والغبر ما يبقى في الضرع من اللبن (الربعي ١٤٠٠:١٧٦).

والخرخوب الناقة الخوارة الكثيرة اللبن في سرعة انـقطاع، وهي قصيرة الـوبر ورهيفة الجلد. والخرخر الناقة الغزيرة، والخنجرة والخنجور الناقة الغزيرة اللبن، وناقة درور كـثيرة اللـبن، ومثلها نـاقة صفيّ، والـعتوم النـاقة الغزيـرة الدر. والغزيرة أيضاً من الإبل هي الكثيرة الدر. وناقة لهوم غـزيرة اللبن. وناقة وكوف غزيرة الحليب.

أما قلة الـلبن في الناقة فـيسمونها الطلـل، وغرزت الناقـة فهي غارز إذا توقفت عن إدرار اللبن للقاحها. والناقة الذعور هي التي إذا مس ضرعها غارت بلبنها وتسميها البادية نحوسْ. ويسمون ذهاب اللبن التجنيب، وكثرته التيسير.

والإبل بـكافـة أنواعـها الـثلاثـة: المجاهيم والحمر والمغاتير يأتي منها خُور، وعِرْب، والخوارة تكون أرق جلداً وأقصر وبراً، وأكثر حليباً، وأقل قدرةً على تحمل البرد مـن العِرْب. أما الـعِرْب، فعلـى العكس مـن ذلك تكون طويلة الـوبر، سميكة الجلد، قـليلة الحليب، تتحمل البرد، قال الشاعر:

ريق سـاره مثـل شكْـرٍ في غـضاره
أو حـليـب نيـاق عرْبٍ مـسمـنات

وقد يدل هذا البيت على أن حليبها ألذ من حليب أنواع الإبل الأخرى.

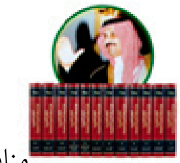
والمتـالي هي الـنوق التـي تتلـوها حيرانها، وكذلك النياق التي تلد متأخرة. قال شاعر من الشرارات:

عسـى الحيـا يسقـي بلاد الشـرارات
الـلي قـهـاويهـم حليـب المتـالـي

ومن أهازيج الموارد قولهم:

الخـــوارات المـــتـــالـــي
صـــبـــحـــن الجـــو خـــالـــي

والعصـوب هي الناقة التـي لا تدر لبنها حتى تعصب (تربط) فخذاها، أما العضوض فهي الناقة التي تعض حالبها، وتذب (تدافع) عن ولدها، واللفوخ أو الرموح هي الناقة الـتي تضرب برجلها ويطلق على هذه جميعها اسم النحوس. أما الهدية (الهادئـة) فهي الناقة التي لا



ترفع رجلها ولا تتسبب في نثر اللبن. والمسوح، كما تقدم، هي الناقة التي تخصص للحليب لموت فصيلها من مرض ونحوه وتدر بمجرد أن يمسح (يلمس) ضرعها، وهي سهلة الحلب. ومن ذلك قولهم «تمسحت ثفنتها» والثفنة من البعير والناقة ما مس الأرض من أصول أفخاذه والتفنة هي كل ما جف من الجلد، ومن حدائهم قولهم:

لا تضرب المسوحِ
لى ياسنايد روحي

أما المُسُح فهي الإبل التي يدر حليبها، وهي غير التي يرضعها ولدها.

والخفوت هي الناقة التي مات حوارها ولم تحلب، أما الحيول فهي الناقة التي تحلب على مدار العام ولا تسمى حيولا إلا بعد انقضاء سنة كاملة على حلبها المستمر، أما ما قبل ذلك فتسمى عشراء. والعصوص (العزوز) هي الناقة صعبة الحلب لصعوبة نزول الحليب من خِلْفها (ضرعها) لعيب في الثدي أو بسبب نوعيتها وتسميها البادية نحوسْ. ويطلقون على النياق التي يصعب حلبها «إبل قحص وعصص»، وفي اللغة إذا ضجرت الناقة عند الحلب قيل ناقة عصوص وهو من سوء خُلقها. وإذا صعب خلف الناقة (إذا لم يخرج منه الحليب بسهولة) قيل عصوص أو فيها سدد في الضرع. ويقال الناقةْ مسدد من الشحم، وهي الناقة العدلة السمينة من كثرة الشحم إذا ولدت خلفة لا يخرج لبنها كله، ولو نزل (ذهب) نصف الشحم لا يأتي لبنها كله لذلك تتوقف كمية اللبن على كمية الشحم في الناقة. وإذا اتسع شجنها قيل للناقة شجنها هش، ويقال ناقة هشوش لاتساع شجنها حيث يتذارع (ينزل) منها اللبن إذا رعت فشبعت من المرعى. والناقة الهشوش هي التي يكون جلد ضرعها (خلفها) رقيقاً كثير اللبن.

والصعود هي الناقة التي تلد قبل موعدها ويقال لها «أصعدت ومصعدهْ»، أي رمت جنينها من بطنها قبل أن يظهر عليه الغزْل. وتزيد مدة لقاحها على نصف السنة وتقصر عن وطاها (وقت ولادتها) ويسمون الولادة في هذه الحالة قبل أن يظهر عليه الغزل الإغراق. وفي هذه الحالة فإن الناقة تدر على ولدها الذي رمته فيقولون «أصعدت عليه» أي درت فتسمى صعودْ. ولا يكره الرعاة أن يكون في إبلهم صعائد لذا فهم يمنعون ولدها من رضاعتها ليحلبوها لأنفسهم لأنها ولدت قبل الخلفات. كذلك عندما يقل لبن



العشائر في الصفري (الخريف) يوصف لبن الصعـود بأنه طيب الطعـم حسن المذاق؛ ومن حدائهم قولهم:

بـــشــــر الـــصـــعــــــودِ
عـــلـــى الحـــمـــاد رْعـــودي

ومن أمثال الـعرب قولهم «أكلـكم فليحتلب صعوداً».

وأما الخلية فهي الناقة التي تلد فينحر ولدها ليدوم لـهم لبنها، والعقـود الناقة يموت حـوارها فتعـطف علـى فصيلـها وتسـمى مكوخـره في بعـض المناطق. والخلوج الناقة التي جذب (سحب) وأبعد عنها ولدها بذبح أو موت فحنت عليه، والناقة الخلوج تظل تطاول مراحها ومعزابها ومرضـاعها لـه وتظل تحن وتمـشي بين الغريـب والسرح والورد، وتمـر بجميع الأماكن التي مـر عليها ولدها، وعندمـا تتعب تيأس وتنساه (تعزاه). وقد ضربت بالناقة الخلوج الأمثال الكثيرة في كثير من أشعار الشعراء الشعبيين مثالاً لشدة الحنين والشوق والحزن. والأباكير هي الإبل التي تلد لأول مرة ومـن طيب لبنها وجودتـه وحسن طعمه قالوا في الأمثال «لبن بكر».

ويعتقد العرب أن لبن الأبكار أطيب الألبان وهو لبنهـا لأول بطن وضعت، فهو أحلـى من حليب الفطَّرْ، قـال أبو ذؤيب الهذلي:

مـطافـيل أبـكار حـديـث نتـاجهـا
تـشـاب بماء مـثـل مـاء المـفـاصل

يقول الأصمعي في معنى هذا البيت إن أبا ذؤيب إنمـا عنى بقولـه «مطافيل أبكار» أن لبن الأبكار أطيب الألبان وهو لبنها لأول بطن وضعت.

وقالت العرب أيضا «مانحت الناقة» إذا درت الحليب للشرب. والناقة المنيح أو المنيحـة أي التي خصصت لـلحلب وجمعهـا منايح. وفي هذا المعنـى قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

مـبـاركـة كـانت عـطـاء مـبـاركـاً
تمـانح كـبـراها وتـنـمـي صـغارهـا

أما الصفي فهي الناقة الغزيرة اللبن يقول دريد بن الصمة:

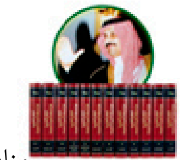
ألا هـل أتـاه ما ركـبـنـا سراتـهـم
وما قـد عقرنـا من صفي ومـن قرم

وقالوا أيضا نـاقة شطور وهي التي يبس أحد ضرعيها. يقول أبو تمام:

حـيـث لـبـون الـنـوال تـهـمـي
غـيــر شـطــور ولا ثـلـوث

يهمي: يسيل، والثلوث: الناقة التي يبـس لها ثلاثـة أخلاف. وقد تسـمى رَجْما، وهي التي في خلفها (ضرعها) أو خلفيها أو ثلاثة من أخلافها عيب.

وتقول الـعرب: حارت الإبل إذا انقطعت ألبانها، وتقول البادية غرزت.



أما الجماد من النوق فهي الناقة التي لا لبن فيها، والشول هي التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم ولادتها أو ثمانية أشهر فلم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن (مقدار ثلث ما كانت تحلبه حين ولادتها) أو التي تشوّل بأذنابها أي ترفعها إلى أعلى إذا لقحت (عشرت).

ولإدرار اللبن عند الإبل في حالة موت الفصيل عدة طرق عند البادية، منها اتخاذ البو، وعمل الظئار. ولا يعمل الظئار والغمائم إلا للناقة التي تظأر على حوار آخر غير ولدها (الشراري ١٤١٢: ١٣١-١٣٩). والبو جلد حوار الناقة عندما يسلخ عنه عند ذبحه أو موته ويحشى بتبن أو غيره ويأخذ شكل الحوار فيوضع أمام الناقة فتدر عليه وتحلب لاعتقادها أن البو هو حوارها. وهذه الطريقة معروفة منذ القدم ومنذ أن استأنس العربي الإبل في الجزيرة العربية كما سبق أن أشرنا لذلك، ويلاحظ أن هذه الطريقة لا تزال تستخدم حتى أيامنا هذه. وقد ورد في التراث العربي قديمه وحديثه ذكر البو. ومن الأمثال العامية قولهم «بو يحلب على فِمه» ويقال أيضا «بوّه معلقٍ على جنبه».

لحومها

تعتبر الإبل مصدراً حيوياً ومهماً في المناطق القاحلة والمجدبة حيث لا تستطيع الحيوانات الأخرى العيش فيها. فإضافة إلى اتساع هذه المناطق وانتشارها فهي توجد في كثير من الأقطار الفقيرة، ومن هنا يمكن الاستفادة من الإبل ليس فقط للحليب والنقل في البر وإنما من لحمها أيضاً كمصدر غذاء لهذه البلدان الصحراوية الفقيرة.

وفي المملكة العربية السعودية قامت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بطرح عدة مشاريع بحثية تتعلق بالإبل وألبانها ولحومها وتناسلها. ولا تزال هذه الأبحاث جارية حتى يومنا هذا.

يُعتبر لحم الإبل، بعد الحليب، أهم منافعها الاقتصادية نظراً إلى الكميات الكبيرة من اللحوم التي توفرها الإبل، مما يجعل تجارة الإبل بهدف ذبحها وتسويقها تجارة رابحة عند أربابها، خاصة في البلدان المنتجة لها مثل الصومال، والسودان، وموريتانيا، والبلدان المستهلكة لها مثل المملكة، ومصر، وليبيا.

عرف العرب لحم الإبل منذ القدم، وكانت أكثر اللحوم التي يأكلونها لحوم الإبل، حتى ظن بعضهم أن العرب هم وحدهم من يأكلون لحم الإبل، أو هم



أول من أكل لحم الإبل. غير أن البحوث التاريخية أثبتت أن أول من أكل لحم الإبل هم الهنود، ثم تبعهم الصينيون. وكان أبناء فارس يأكلون لحم الإبل في أعيادهم، ومثلهم الإغريق الذين كانوا يقدرون لحم الإبل، حتى إن شاعرهم الهزلي الشهير أرستوفان قال عن لحم الإبل «إنه يليق بموائد الملوك»، كما أن فيلسوفهم الكبير أرسطوطاليس كان يشيد بذكر الجمل ويثني على خصائصه، والرومان أكلوا لحم الإبل. وقد قدم الذواق اليوناني الشهير غافيوس أبيلوس طبقاً في إحدى ولائمه مؤلفاً من ألسنة العصافير وقوائم الجمال التي كانت تعتبر أطيب ما في لحمها. وفي عهد الإمبراطور الروماني غاليان Gallien (٢٣٥-٢٦٨م) كان لحم الإبل في مقدمة الأطعمة المفيدة للصحة. وعرف البربر الذين سيطروا على الإمبراطورية الرومانية أكل لحم الإبل من سكان أوروبا أنفسهم.

ولحم الإبل، خاصة الفتية منها، مناسب للوجبات التي يدخل فيها اللحم، سواء أكان مطبوخاً، أم مسلوقاً، أم مشوياً. وإذا ذُبحت الإبل في عمر ١-٣ سنوات فإن جودة لحومها لا تخفى. ويفضل أن تذبح الإبل المعدة للذبح في حدود الثلاث سنوات الأولى من عمرها حيث يكون متوسط وزنها ٣٠٠ كجم. وكلما كان عمرها صغيراً ارتفعت جودة لحومها. ويمكن استعمال الجمال حتى عمر الأربع سنوات لإنتاج اللحم الجيد عموماً. وبعد هذا العمر يصبح اللحم قاسياً وذا ألياف غليظة فيصعب شواؤه جيداً، أو إنضاجه عند الطبخ. ويبلغ وزن الجمل الحي حوالي ٣٠٠-٤٠٠ كجم عند عمر الأربع سنوات.

ويذكر الصانع أن لحوم الإبل تمتاز باحتوائها على أنسجة عضلية كبيرة، ومحتوى عال من الماء. ودهن الإبل أبيض، وطعم اللحم لذيذ، وهو من اللحوم الحمراء. وتعتبر لحوم الإبل شبيهة بلحوم الأبقار من حيث محتواها العام، فهي تحتوي من البروتين على نسبة من ٧٣,٢ إلى ٧٦,٤٪. كما أن لحم الإبل في عمر سنتين من أطيب اللحوم، وقد قال عنه أطباء العرب في التراث إن لحم الفصيل من ألذ اللحوم وأطيبها وأقواها غذاء، وهو لمن اعتاده بمنزلة لحم الضأن لا يضرهم البتة، ولا يولّد لهم داء، وإنما ذمه الأطباء لأهل الترف من أهل الحضر، وفيه قوة غير محمودة (ربما يقصدون الصفراء أو أن كرياته الدموية لها أنوية بخلاف كل الثدييات المعروفة) (١٩٨٤: ١٦٦).



وذكر قدامة (١٩٨١) أن لحم الإبل أغلظ من سائر اللحوم الوحشية، ويزيد في شدة الجماع، ويصلح لأصحاب الكد الشديد، والرياضة المرهقة، وعرق النسا، ويزيد في شهوة الطعام، ويحسن أن يؤكل معه الفلفل والكمون والكراويا والخردل والخل.

ولحم الإبل أشد احمراراً من لحم البقر. وقد حرم في التوراة «وأما هذه من المجترات ومن ذوات الأظفار فلا تأكلوها. الجمل فإنه يجتر، ولكنه غير مشقوق الظفر، فهو رجس لكم» (سفر الأحبار ١١: ٤). وقد حلله الإسلام ﴿يأيها الذين آمنوا، أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ (المائدة: ١). ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع، ومنها تأكلون﴾ (النحل: ٥). ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير﴾ (الأنعام: ١٤٥).

ويسمي البدو لحم الإبل التي تذبح لحم الجزور. والجزور لفظ يطلق على الذكر والأنثى من الإبل التي لم تحمل الأثقال، ويكون لحمه رخصاً بعكس لحم البعير الذي يستخدم في الزراعة، والحصاد، وحمل الأثقال، وغير ذلك من الأعمال. ولا ألذ على قلب البدوي من نحر الجزور لضيفانه. ويكثر في الشعر العربي الفخر في التسابق إلى إطعام الضيفان بنحر الإبل لهم.

وقد ذكر بعض أفراد قبيلة الدواسر أنهم لا يأكلون لحم الحوار حديث الولادة، ولا يأكلون لحمه إلا بعد أن يبلغ عمره أربعة أشهر فما فوق. والحوار إذا ذبح بعد ولادته مباشرة يسمى مجروراً، ويؤكل لحمه بارداً.

وقد ورد ذكر لحوم الإبل وشحومها في بعض أقوال وأمثال وحداء سكان المملكة العربية السعودية، خصوصاً البادية وأهل القرى، ومن ذلك قولهم «طنخت الناقة» أي سمنت واشتد سمنها وطنخت من الشبع أي امتلأت. ويقال أيضا «أكترت الناقة» عظم كترها أي سنامها. ويقولون هذه الناقة كوماء أي عظيمة السنام قد تكوم (تجمع) شحمها في سنامها وتعاظم، ويقال جب (قطع) سنام البعير أي استأصله من أصله. ويقولون للناقة المذبوحة الجزور، فيقال: جزر (قطع) الجزار الجزور. ويقال أيضا: هذه الإبل قد ملأ دفوفها (جنوبها) الشحم، أي أجنابها وسنمها (السويداء ١٤٠٧).

وذكر الشراري أنهم يقولون للناقة التي ليس لها سنام عراء. ويقال للناقة التي تحمل سناماً كبيراً درفوس أو ظهير فيقال

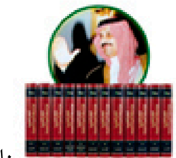


«عليها طول رقبتها» أي أن سنامها طويل، أو «عليها طول يدها»، كما يقال «الشحم بالبل يامطاريس الغنم». والنابية عندهم الطويلة السنام، وقولهم «ما يقطع القرم غير لحم الإبل». ويقال أيضا «مستحه ومدفدفه من الشحم» وذلك إذا زاد شحمها وبنى على الدفوف، ويسمى السنام النى، والتي سنامها مائل تسمى العجفاء، ونابية السنام أي المرتفعة السنام. ويقال أيضا «شطها طول الذراع»، والشط السنام بعد ذبح الناقة. ويقال أيضا «دلخت» أي سمنت، ويقال لشحم سنام الجمل كتره أي رائحة الدهن حيث تكون له رائحة معينة عند الطبخ أو الشوي. ويقولون أيضا «ناقة جرمه» كبيرة الجرم أي ضخمة، والجرم الجسم. ويقال أيضا «ناقة جعيفه، هليمه أو هلامه» أي أنها ضعيفة وهزيلة جدا. ويقولون أيضا: عبط الناقة أي ذبحها (غرها) بدون علة (مرض).

وفي البادية يستخرجون من مرق اللحم دسمه ودهنه ويسمونه الصفو. ويسمى شحم الإبل المذاب الودك. وفي الشمال يصنعون من أمعاء (مصران) الإبل مرو وعكة. ويقومون في البادية بعمل القديد من لحم الإبل، ويسمونه في منطقة حائل الوشيق وفي المنطقة الوسطى قفر وفي الجنوب شريح، وهو عبارة عن تمليح اللحوم وتجفيفها دون أن تتعرض لضوء الشمس ويستخدم في الطبخ ويكون على هيئة قطع صغيرة ويسمى التثمير مقارنة له بثمرة نبات بري يضرب بثمرته المثل فيقال «أكبر من ثميره». والمضيره عند الشرارات هي لحم الحوار عند ولادته وطبخه وهو لا يستحب. ويضيف الشراري أن المضيرة عند العرب هي أن يطبخ اللحم باللبن البحت (الصريح) الذي قد حذى اللسان (حامض) حتى ينضج، والمضير هو الأقط، ويسمى في الجنوب المحرور (١٤١٢: ٩٦-١٠٠).

وبرها

لوبر الإبل قيمة اقتصادية مهمة، ففي تركيا وجنوبي غرب الاتحاد السوفيتي سابقاً يعطي الجمل من ٢ إلى ٣,٥ كجم من الوبر سنوياً. أما في الصحراء الكبرى فإن الجمال تجز لجمع وبرها أو يجمع عندما تطرحه من تلقاء أنفسها. وفي تونس تعطي الجمال الصغيرة سنوياً ٣ كجم من الوبر، أما البالغة منها فتعطي ٢كجم سنوياً. ويخلط البدو وبر الإبل مع صوف الماعز وينسجونه على هيئة خيوط طويلة لعمل بيوت الشعر. إضافة لذلك فإن وبر الإبل يستخدم لصنع الملابس والبطانيات والحبال والحقائب والخروج فضلاً عن صنع أدوات




النـقل والأحـزمة والـفرش. وفـي عام ١٩٣٨م صدر إلـى بريـطانـيا أكثـر من ٥٠٠,٠٠٠ كجم من الوبـر (Gauthier-Pilters, Hilda and Dagg, 1981).

وغني عن الذكر استخدام العرب وبر الإبل في صنع الأكسية والبيوت والمفارش وغيرها منذ أقدم العصور. وهذه المنتجات ما زالت حتى عصرنا هذا تستخدم وتصنع من وبر الإبل. ففي شمال المملكة وسوريا لا تزال تُصنع العبي والمشالح من وبر الإبل، وكذلك بيوت الشعر والمفارش وغيرها.

يذكر السويداء (١٤٠٧) أنهم يقولون «ناقة كثة الوبر» أي خـشنته مع كثرته، ويقـال «إبل مدفـأة» أي كثيـرة الوبر. ويضيف أن وبر الإبل أحد العناصر الثلاثة في النـسيج؛ وهي وبـر الإبل وصوف الضأن وشعر المـاعز. وينسج من الوبر المنسوجات الوبرية الفاخرة الناعمة الزاهية ذات الألـوان الجذابـة. ويغـزل عـلى طريقتين، الغزل بالمغزل، وهو عمل تقوم به النساء، والنَّصْحُ علـى العود وهو ما يقوم بـه رعاة الإبل من الرجـال حيث يبرم الراعي الـوبر بخيط دقيق ويطـويه على العود نفسه حـتى يكّون منه خيطاً طويلاً يحوله إلى دُرْعَةٍ. ثم يدمجه مع خيط مماثل آخر فيكوّن منهما خيطاً واحداً طويلاً، وينسج من هذه الخيوط مستلزماته من الكساء، كجبة وجوارب وغطاء رأس وشملة للناقة وغير ذلك. وهذا الـعمل ينجزه الراعي خلال رعي إبله بالنـهار،



وبر خشن

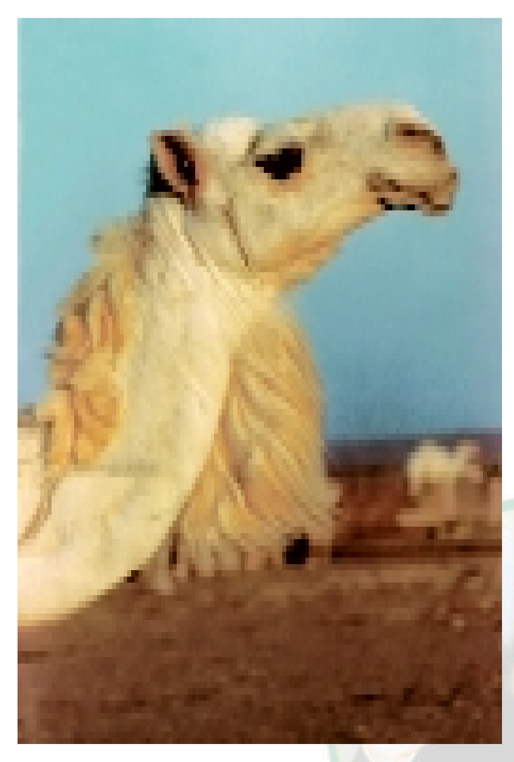


فيجمع بين رعي إبله وإنتاج عمل مفيد قوامه وبر إبله والعود الذي ينصح به.

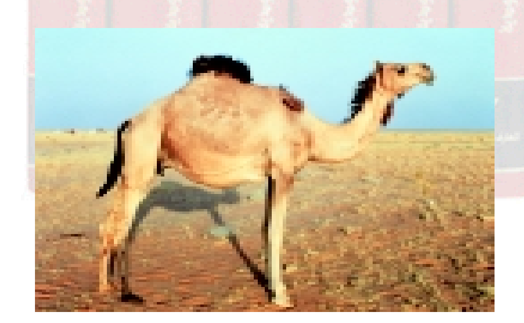
ويصنع من وبر الإبل الكثير من أنواع النسيج وأهمها المشالح (العبي) الجيدة. ووبر الإبل على ثلاثة أنواع؛ وبر خشن، ووبر متوسط الخشونة، ووبر لين يقارب ليونة الحرير، وهذا النوع من الوبر يؤخذ من على جانبي السنام. كما يصنع من الوبر عُقُل الإبل، ويقال في المثل «البل يفتل من وبرها عقالها» (الحبردي ١٤٠٩ : ١١٨).

أما البادية فتستخدم وبر الإبل في أغراض عدة، ويقولون في المثل «وبرها بالعدول» والعِدْل كيس كبير مصنوع من أصواف الغنم. ومعنى هذا المثل أن وبر الإبل كثير. ويقسم وبر الإبل من حيث جودته إلى أربعة أقسام: الوبر الناعم، والوبر الخشن، ووبر العرف، ووبر الفخذ والبطن. أما الوبر الناعم فيكون قصيراً، ورفيع الألياف، ومؤلفاً من أوبار وألياف وسطية مع وجود كمية ضئيلة من الشعر الخشن. ويتركز هذا النوع من الوبر على جذع البعير من الجانبين، وعلى جانبي الرقبة. والوبر الخشن يتألف من ألياف خشنة ومن الشعر الجاف، وتكون كمية الوبر الناعم فيه قليلة. ويتركز هذا النوع في أعلى العنق والمنطقة التي بين السنام والجذع. ووبر العُرف وهو أخشن من الوبر الذي في القسم الثاني ويتركز في السنام. ثم وبر الفخذ والبطن وهو أخشن الأوبار.

ويجز البعير باركاً، جاء في أمثال العرب «لقي ما يلقى المنتوف باركاً» ذلك أن البعير ينتف وهو بارك، والنتف هو



وبر الرّقبة



وبر العُرف



الجز. وبعد عملية الجز يفضل تغطية جلد الإبل بالزيت، أو الطين، كما يفعل بعض البادية أو بغير ذلك لكي تقي البعير من لسعات البرد ولفحات الشمس المحرقة.

جلودها

ذكر بعض الباحثين أن رجال البادية في الصحراء الكبرى لا يبيعون جلود إبلهم ولكنهم يستعملونها لصنع السروج والحبال والأوعية الجلدية (Gauthier-Pilters and Dagg, 1981).

وذكر السويداء (١٤١٢) أن الجلود معروفة بالفوائد التي تستعمل لها، وجلود الإبل لها عدة استخدامات؛ فما كان منها نيّئاً فيتخذ منه الْقِدُّ وهو ما يؤسر به الأشدة والأقتاب وغيرها وكان يتخذ كرباط للأسير، وقد ورد له ذكر في الشعر الجاهلي. وهو يؤدن في الماء حتى يلين ثم يربط به فيجف ويمسك بما ربط به. ومن جلود الإبل النيئة يتخذ السَّرِيْحُ وهو أحد حبلي الدَّلو.

ومن جلود الإبل المدبوغة تتخذ الْعِيَابُ واحدتها عيبة أو الْقِرَافُ واحدتها قرفه، وهي أوعية للأشياء والأطعمة الرطبة كالتمر وغيره. ومن جلود الإبل المدبوغة تتخذ حياض شرب الإبل، كما يتخذ منها بيوت السكن. كما تتخذ القباب من الأدم المدبوغ والمدهون، وكان النابغة الذبياني تتخذ له قبة من أدم في عكاظ يجلس فيها ويحكم بين الشعراء. ويتخذ منها الرُّوِيُّ واحدتها راوية وهي بمثابة القربة الكبيرة لنقل الماء، وتخرز منها الأحذية.

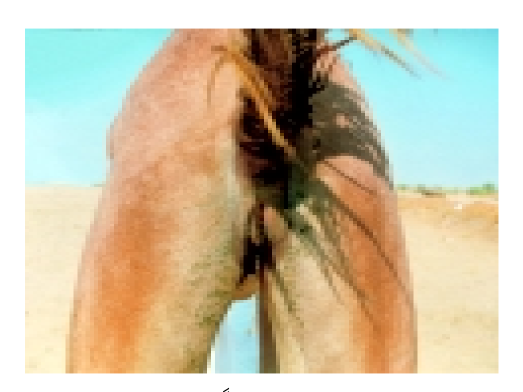
ويذكر الحبردي إن جلود الإبل تُصنع منها أنواع من القرب، أقواها وأمتنها تسمى الراوية. وكذلك تصنع منها الأحذية والأرشية (الحبال) الجلدية والدلاء والقلص. والحبال المصنوعة من جلود الإبل بعد برمها وتجفيفها تكون قوية ومتينة جداً وقد تصل إلى درجة عالية من التحمل والمتانة (١٤٠٩: ١٧٨).

وتصنع من جلود الإبل صناعات عديدة ذات أهمية لمعيشتهم، كالدلاء، وبعض العدد الحربية والأحذية، أما أكتافها (عظام الكتف) فقد كانت قديماً تستخدم للكتابة (الشراري ١٤١٢: ٩٦).

فضلاتها

يختلف بول الإبل، بصورة أو بأخرى، عن بول الثدييات الأخرى في محتوياته المختلفة. لذا كان العرب في السابق، وما يزالون حتى اليوم، يستخدمونه لعدة أغراض مختلفة. وذكر





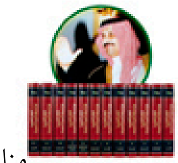
يستخدم بول الإبل علاجاً لبعض الأمراض

الجبردي أنهم في الماضي قبل وجود المطهرات الطبية يغسلون الجروح والقروح وينظفونها بأبوال البكار من النوق. إضافة لذلك فإنهم إذا أحسوا بخمول في الجسم أو آلام في الأمعاء فإنهم يشربون من أبوال وألبان الإبل، فيشفون من أمراضهم، ويتمضمضون بأبوال الإبل للقضاء على التهاب ووجع الأسنان. كما أن أصحاب الإبل يغسلون رؤوسهم وشعورهم بأبوال الإبل فينمو ويتكاثر الشعر ويشفى من أمراض قشرة الرأس، كما يفيد في قتل القمل. وإن أهل البادية يستنشقون أبوال الإبل كعلاج للزكام خاصة بول البكرة التي لم تلقح. إضافة لذلك فإنهم يخلطون بول البكرة التي لم تلقح مع لبن البكر (التي ولدت أول بطن) ويسمون هذا الخليط المقشورة فيشربونه كعلاج لأكثر من مرض. ويضيف أن غسل العيون ببول البكرة من النوق التي ترعى في الصحراء يقضي على كثير من التهابات العيون. ولعلاج القروح والجروح يقومون بخلط مادة الصبر مع بول البكرة ويوضع على الحفا والجروح فتشفى بإذن الله (١٤٠٩: ١١٩-١٢١).

ويقول الشراري:

> ويَعُد بعض العرب من أهل البادية بول الإبل خير علاج للدمامل والجروح التي تظهر في جسم الإنسان ورأسه. كما يغسلون رؤوسهم ببول الإبل لإطالة الشعر، كذلك كانت البادية تعالج تشقق رؤوس الشعر بمشطه ببول الإبل، إضافة إلى أن بول الإبل يعطي الشعر لون شقرة، إضافة لذلك فإنهم يقومون بسقي المحموم (المورود) بول الإبل مخلوطاً مع أشياء أخرى، ربما لإزالة الحمى عنه... وإن بعض أهل البادية يقومون باستنشاق بول الإبل إذا كان بهم حساسية أو رشح ويفضلون لذلك أبوال الإبل التي رعت الحمض (١٤١٢: ١١٠-١١١).

إضافة لما تقدم فقد تواتر أن أفراد قبيلة الدواسر يستخدمون وزر (بول) البعير لعلاج الحمى المالطية خاصة إذا كان البعير يتغذى بأعشاب برية.





(بعر الإبل) استخداماته متعددة

أما بعر الإبل (دمنها) فيستخدم لعدة أغراض أهمها أنه وقود جيد للطبخ وغيره، ويسمى دمن الإبل جَلَّةْ، وكان يستخدم للوقود عند الحاجة حتى في المدن، إضافة إلى أنهم يقومون بطحنه ودقه ويستخدم كبودرة للأطفال حديثي الولادة حيث يوضع على الجهاز التناسلي قبل مهد الطفل ليمتص رطوبة بول الوليد.

منافع أخرى

أسهمت الإبل بدور حاسم في ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية منذ استئناسها قبل الميلاد، فغدت جزءاً لا يتجزأ من حياة أهل الجزيرة العربية، قبل إدخال التقنية الصناعية في النصف الثاني من القرن العشرين. ونقلت قوافل الإبل الناس والبضائع عبر الصحارى، بين المراكز المعزولة والزراعية في الواحات، وربطتها بالموانيء الساحلية ومدن الهلال الخصيب التي تقع إلى الشمال. وشجعت تجارة القوافل في التمور والكماليات بين جنوبي شبه الجزيرة العربية والبحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، على نمو التجارة التي جمعت بين خليط من السكان، وتميزت بنظرة عالمية. وحظيت تلك المدن التجارية بحكومات تخطت النمط القبلي. وكانت الإبل وسيلة ناجحة للنقل عبر مسافات طويلة.

مكّن التطور في صناعة رحال الإبل والمعدات المتعلقة بها العربيَّ من وضع حمولات أكبر على ظهورها، كما جعل راكبها أكثر أمناً وطمأنينةً على متنها. فأضحت الإبل وسيلة ممتازة للقوة العسكرية بالإضافة إلى أنها مظهرٌ للقوة الاقتصادية؛ إذ كانت كالنقد في معاملاتهم المالية. وفي بعض أنحاء الشرق الأوسط استخدمت الإبل لحراثة الأرض وتشغيل مطاحن الحبوب وجر المركبات.

وبعد أن منَّ الله سبحانه وتعالى على البشرية بدين الإسلام كانت الإبل وسيلة لنقل الحجاج إلى البيت المعمور. واستمرت طرق الحج تؤدي مهمتها طوال تلك القرون على ظهور



الإبل، إلى جانب القوافل التجاريـة، بالإضافة إلى تجارة الإبل التي اشتهرت بها قبائل العقيلات بين وسط الجزيرة العربية (نجد) وكل من العراق والشام وفلسطين وغيرها. إضافة لما تقدم فقد لعبت الإبل دوراً فـي حروب المغفور له جلالة المـلك عبدالعزيـز آل سعود لتوحيد المملكة.

في الأغـراض الحربيـة والعسـكرية.

كانـت الإبل هي الـوسيلة، وهـي في الوقت نفسه الغاية التي من أجلها قامت الحروب والغزوات بين القبائل العربية. ومن أهم الحروب المأساوية التي حدثت قبل الإسلام، حرب البسـوس بين بكر وتغلب وقد اسـتمرت أربعين سنة كما ثبت ذلك في المصادر التاريخية. وكـان سببها ناقة البسوس بـنت منقذ التميمية ولذلك قيل «أشأم من البسوس».

أما بعد الإسلام فقد خرج الفاتحون الـعرب الأوائـل علـى ظهـور إبلـهم

قوات الملك عبدالعزيز



وصهوات خيولهم لنشر الدين الإسلامي الحنيف في أرجاء المعمورة.

وقد ورد ذكر لكيفية استخدام العرب للإبل في إحدى حروبهم قبل الإسلام. ففي يوم شعب جبلة، وهو تحالف بني عامر وبني عبس ضد بني أسد وحنظلة وغطفان، في هذه المعركة أشار قيس بن زهير العبسي على قومه فقال: أدخلوا النعم في شعب جبلة ثم تظمأ الإبل هذه الأيام ولا تورد الماء، فإذا جاء القوم فإن لقيطاً، سيد تميم، فيه طيش وسيقتحم الجبل وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم، واخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم، فقال الأحوص بن عوف سيد بني عامر: نِعْمَ الرأي، وأمر الأحوص بالإبل التي قد ظمئت لفترة وقال: اعقلوا كل بعير بعقالين في يديه جميعاً بعدما صعدوا بها إلى عرض الجبل. وبعد ذلك قالت بنو عامر للأحوص: قد أتاك الأعداء فقال الأحوص: دعوهم حتى إذا نصفوا الجبل (وصلوا إلى منتصفه) وانتشروا فيه حلوا عُقُل الإبل، ثم احدروها (دعوها تتجه إلى أسفل الجبل) واتبعوا آثارها، وليتبع كل رجل منكم بعيره حجرين أو ثلاثة. ففعلوا ما أمرهم به ثم صاحوا بها فلم يفجأ الناس إلا والإبل تريد الماء والرعي، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل، وأقبلت الإبل على الأعداء تحطم كل شيء مرت به، وجعل البعير يدهدي (يدحرج) بيديه كذا وكذا حجراً، وكان لقيط بن زرارة، سيد تميم، وأصحابه قد سخروا منهم (من بني عامر) حين صنعوا بالإبل ما صنعوا. فانحط الناس منهزمين من الجبل إلى السهل، فلما بلغ الناس السهل لم يكن لأحد منهم همة إلا أن يذهب على وجهه لينجو، فجعل بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم فانهزموا شر هزيمة؛ فقال رجل من بني أسد:

زعمت أن العير لم تقاتل
بلى إذا تقعقع الرحائل
واختلف الهندي والذوابل
وقالت الأبطال من ينازل
بلى وفيها حسب ونائل

وقد استمر استخدام الإبل في مداهمة الأعداء لتحقيق غرضين: الغرض الأول شغل المحاربين في الجبهة المضادة وإرباك تنظيمهم، والغرض الثاني اتخاذها تقية (متاريس) للمحاربين الرامين بالنبال في القديم ثم بالأسلحة النارية في العصور المتأخرة. وقد حدث أن استخدمت هذه الطريقة في عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م عندما



عمدت إحدى فئات المحاربين إلى ربط أجسام تقرقع ولها صوت مثل الصفائح الفارغة والقرب (الشنان) في أذيال الإبل الخفيفة لتجفل من أصواتها وملامستها لعراقيبها ووجهوها نحو خصومهم، وعلى إثرها مباشرة دفعة ثانية من الإبل الرزينة وهم يتقون بها ويتخذها الرماة متاريس لهم ليتمكنوا من رماية أعدائهم عن قرب لتحقيق إصابات أكثر. واستمرت هذه العملية إلى عهد قريب.

وإضافة إلى هذا التكتيك الحربي كان لدى عرب الجزيرة في حروبهم تكتيك آخر يسمونه المناخ. ذكر السويداء استناداً إلى صورة مخطوطة كتاب تحفة المشتاق لعبد الله بن بسام أنَّ المناوخة اصطلاح حربي قديم، ويعني أن تعمد كل فئة من المتحاربين إلى إناخة ما معها من الإبل وحبسها وجها لوجه، ويتلاقى المتحاربون مخلفين إبلهم ومواشيهم خلفهم. ويكون ذلك في الغالب عندما تشتد الحرب بين الفريقين، وتسمى هذه العملية المناوخه. وعلى سبيل المثال لا الحصر، ففي سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م تناوخت عنزة والظفير على نفي، وأقاموا في مناخهم نحو عشرين يوماً. وفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م تناوخت عنزة والظفير مرة أخرى على الضلفعة بالقصيم. وفي سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م تناوخت عنزة والظفير مرة ثانية على وضاخ. وفي سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م تناوخ الفضول والدواسر في الخرج. وفي سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م تناوخت عنزة والظفير على الرس بالقصيم. وفي سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م تناوخ الدواسر ومعهم سبيع وعنزة على الحرملية. وفي سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م تناوخ الفضول والدواسر على مبايض، وغير ذلك كثير مما يفوق الحصر. والغرض من هذه المناوخة استخدام الإبل لأغراض حربية، وفي الوقت نفسه تكون مانعاً يستندون إليه ويدافعون عنه بأرواحهم. فتصبح الإبل وقاية لبيوتهم وذراريهم وأمتعتهم يمكن للخصوم أن يكتفوا بها في حالة هزيمة القوم، دون أن يصلوا إلى الممتلكات الأخرى.

كما استفادت الجيوش الحديثة من الإبل في تشكيل فرق الهجانة. ذكرت جوذير، وداج أن الفرنسيين عرفوا الإبل في نهاية القرن الثامن عشر أثناء حملتهم على مصر. فشكلوا فرقاً عسكرية من راكبي الإبل التي أحضروها من دول أخرى، إذ إن الإبل المستخدمة للركوب لم تكن معروفة آنذاك في مصر، كما جلبوا سروجها من السودان. وفي أول أمرهم جهزوا مئة بعير لغرض القتال،





الهجانة

وبعد فترة أصبح لديهم سبعمائة بعير لهذه الغاية، وكانت ملابس الجنود الفرنسيين المخصصين لركوب الإبل تشبه ملابس الفرسان، وكانت وحدات الإبل هذه، في الحقيقة، ما يطلق عليه اليوم الهجَّانة. وكان هدف الفرنسيين من إنشاء هذه الوحدات هو مساعدة الجيش الفرنسي الرسمي ضد فرسان المماليك في ذات الوقت.

كما أن الهجانة الفرنسيين استخدموا تكتيكاً مشابهاً لما كان يستخدم بواسطة المسلمين الأوائل، فكانت الإبل تبرك على شكل دائرة والفرسان منحنون خلفها حيث يقومون بإطلاق النار من فوق ظهور الإبل عند هجوم العدو عليهم. وقد استمر الفرنسيون في استخدام وحدات الهجانة لمدة عامين. وعندما عاد نابليون إلى باريس حمل معه جمله الخاص به ومنحه إلى حديقة الحيوان في باريس، وبعد موت الجمل تم تحنيطه، وكان يعرض في متحف باريس للتاريخ الطبيعي حتى عام ١٩٣٣م (Gauthier-Pilters, Hilda and Dagg 1981)

إضافة لما تقدم فقد استخدم الجنود الفرنسيون الإبل في عام ١٨٣٥م لنقل الإمدادات العسكرية في بداية احتلالهم للجزائر. وبعد فترة وجيزة تشكلت ثلاث شركات نقل بواسطة الإبل. وفي عام ١٨٤٤م كان لدى الفرنسيين أعداد كبيرة من الإبل معدة للحالات الطارئة. وقد اشتركت بعض الإبل في رحلة استكشافية مدتها ١١٠ أيام. وفي عام ١٨٥٢م استخدم الفرنسيون ١٥٠٠ بعير وحمار لنقل مواد لبناء منازل للقادة العسكريين الفرنسيين في واحات الجزائر، وكانت هذه بداية لبناء مساكن ومساجد في واحات أخرى.

وفي عام ١٨٨٣م شكل الإنجليز فيالق من الإبل في مصر والسودان اشتركت في العمليات العسكرية حتى عام ١٩٢١م. وهذا يوضح أن هناك أعداداً هائلة من الإبل قد ماتت بسبب الحروب، وبسبب عدم العناية بها. وأثناء الحرب الأفغانية الثانية (١٨٧٨/ ١٨٨٠م) خسر الإنجليز سبعين ألف جمل.



وتذكر المؤلفتان جوذير بلترز وداج إنه من عام ١٩٢٧م أصبح الهجانة هم فقط رجال الخيالة في الصحراء. ومن خلال هؤلاء البدو والقبائل الصحراوية تمكن الأوروبيون بالتدريج من الدخول في المجتمعات القبلية.

وبصورة عامة فإن إبل فرسان الهجانة تحتاج من ٦ إلى ٨ أشهر للراحة في كل عام، أما تلك الإبل التي استخدمت بصورة سيئة فإنها تحتاج لسنة كاملة من الراحة حتى تستعيد قوتها.

ووحدات الهجانة لا تزال قائمة حتى يومنا هذا في كلٍ من العراق وسوريا ومصر والجزيرة العربية والأردن وفلسطين المحتلة حيث تقوم بحماية الحدود ومراقبة ما يحدث من تهريب وغيره. ولكن استخدامها للأغراض العسكرية أصبح محدوداً.

يذكر العتيبي أنه يجب التمييز بين الهجانة كقطاع عسكري له كيان إداري مستقل، وبين الهجانة كوحدات صغيرة ملحقة بجهاز آخر تؤدي خدمات إدارية أو أمنية، وهو المتعارف عليه بين معظم سكان الجزيرة العربية والدول المجاورة لها. ويذكر أن الهجانة تنظيم عسكري قديم من أيام العثمانيين؛ فقد كانت لهم وحدات من الهجانة في معظم مناطق نفوذهم، وكانت وحدة الهجانة في الحجاز تقوم بالمهام الأمنية إلى جانب الوحدات العسكرية الأخرى. والهجانة التي أنشئت في عهد الملك عبد العزيز كقطاع عسكري بدأ تشكيله في الحجاز عام ١٣٤٤هـ من بقايا وحدات سابقة من عهد الأشراف، مضافاً إليها بعض القوات التي بقيت في الحجاز بعد انتهاء الحرب هناك، وأعيد تنظيمها وتوحيد قيادتها ثم ألغيت بعد فترة.

أما الهجانة كوحدات صغيرة، ملحقة بإدارة أخرى، فهي مجموعة من الجنود والموظفين اكتسبت هذا الاسم من الهجن التي كانت تستخدمها عندما تؤدي وظائف معينة مثل أعمال البريد والدوريات البرية التابعة للإمارات أو خفر السواحل التي تقوم بأعمال الدورية في المناطق التي يصعب على السيارات اجتيازها. وهذا النوع من الهجانة بقي إلى فترة قريبة من وقتنا الحاضر يعمل في الإمارات وسلاح الحدود وهو لا يرقى إلى مستوى القطاع العسكري.

والهجانة مزيج من التنظيم العسكري والتقاليد البدوية. فالتنظيم العسكري يتضح من أسماء الوظائف؛ جندي، عريف، ضابط، والتشكيلات مثل فصيل وسرية. أما التقاليد البدوية فتظهر في



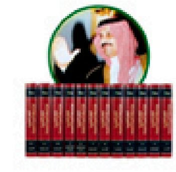
لباس أفراد الهجانة ومواصلاتهم وهي الهجن وعدم انتظام التدريب العسكري. وكانت وحدات الهجانة تقوم بمهام عسكرية، فقد شاركت وحدات منها في الحملتين اللتين تولتا إخماد فتنة ابن رفادة عام ١٣٥١هـ وثورة الإدريسي في العام نفسه. وإلى جانب المهام القتالية للهجانة فقد أوكل إليها معظم الخدمات الأمنية في الحجاز، وبخاصة في مناطق البادية وخارج المدن، وعلى الطرق المؤدية إليها، كما تقوم بجلب المطلوبين من البادية والبحث عن الهاربين وتكافح التهريب؛ وذلك لأن تنظيم الهجانة أكثر ملاءمة لعادات المجتمع البدوي. وهذا ربما يفسر تفضيل الكثير من أبناء البادية الالتحاق بالهجانة دون غيرها من القوات العسكرية، على الرغم من أن مرتبات الهجانة كانت نصف مرتبات القوات النظامية.

وقد بلغ عدد أفراد الهجانة عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م اثني عشر ألفاً وخمسمائة فرد، ومائتين وخمسين ضابطاً. وهذا الرقم يمثل أكثر من ثلث القوات العسكرية العاملة في تلك الفترة.

وبعد أن تم تشكيل القوات النظامية والشرطة في مدن الحجاز الرئيسية والإمارات الحدودية مثل جيزان ونجران وعسير وتبوك والقريات وعرعر، وزعت سرايا الهجانة على معظم قرى الساحل الغربي للمملكة. وربطت كل وحدة بالحاكم الإداري في المنطقة التي تعمل فيها. وعندما يعين أمير على منطقة معينة فإنه يصطحب معه عدداً من جنود الهجانة المتمركزين في مكة المكرمة.

وبعد أن توسعت تشكيلات القوات النظامية والشرطة وخفر السواحل وباشرت هذه الأجهزة مهامها التي كانت الهجانة تقوم بجزء منها، قرر مجلس الوكلاء إلغاء تشكيلات الهجانة اعتباراً من نهاية صفر ١٣٥٤هـ. ووزعت وحداتها على القطاعات العسكرية، فألحق ستمائة هجان بالشرطة، وأربعمائة ضموا إلى الجيش، وأضيف أربعمائة وسبعون للأمراء في الملحقات. أما الباقون فأعيد تشكيلهم تحت اسم ألوية الجهاد، وبذلك انتهت تشكيلات الهجانة (العتيبي١٤١٢).

في الأغراض السلمية. كانت الإبل في الجزيرة العربية منذ فترة ما قبل الإسلام وحتى عهد قريب بمثابة العملة، يتقاضون بها ويقدرون بها أثمان مهورهم ودياتهم وعتادهم ونعمهم وسائر معاملاتهم. ويسوقونها (يدفعونها) في الحمالات والمغارم، وفي الأثر «لا تسبوا الإبل فإن فيها رُقوء الدم» يعني أنها تقدم في الديات



فتحقن بهـا الدماء. والإبل من هباتهم السنية، وهي غايـة ما يتمدحون به في العطاء الجزل، قال شاعرهم:

أعـطوا هـنيـدة يـحدوهـا ثـمانـية
مـا فـي عطائـهـم مَنٌّ ولا سـرف

والهنيدة هي المئتان من الإبل والثمانية رعاتها.

وقال الآخر:

الـواهـب المـائـة الأبـكـار زيَّـنهـا
سعـدان توضـح في أوبـارها اللّـبد

وكانت العرب، ومنذ العهود القديمة وحتى قبل حوالي نصف قرن من الزمن، تسـوق (تدفع) من الإبـل ديات القتـلى والعقائل والحمالات، وأيضاً مهور النساء. يقول جواد عـلي «وقد كان الجمل مقام النقد أي مقام الدينار والدرهم في الغالب، فبعدد من الإبل يقدَّر مَهْر الفتاة، وبعدد من الإبـل تُفَضُّ الـديات والخصـومات وهكذا يتعامل به كما نتعامل اليوم بالنقد» (١٩٦٨، ج١: ١٩٧). وقـد ورد فـي اللسان أن الشنق هو ما دون الدية، وذلك أن يسوق ذو الحمالة مئة من الإبل، وهي الديـة كاملـة، فإذا كـانت معـها ديات جراحات لا تبلغ الدية فتلك هي الأشناق. وكانوا يـدفعون في الـشنق الأسفل فـي الديات عشرين ابنة مخاض، أما في الشنق الأعلى فيدفعون عشرين جذعة.

وأورد أبو سويـلم (١٩٨٣) نقلاً عن التكملة والذيل والـصلة أن الإبل كانت أعلى مـا يدفع مهراً للحرائـر، وفي وصية لأكثم بن صيفي كتب بها إلى طيّئ «لا تسبوا الإبل، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حـقها فإنها مهر الكريمة، ورقوء الدم، وبألبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير، ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت». وكان بعض الآبـاء يغـالون فـي مهـور بـناتـهم الجميـلات، كما أن بعـض الخاطبين يغرون آباء الفتيات بأعداد ضخمة من الإبل يسوقونـها مهراً. وهذا أحدهم يحذر ابنة عـمه من أن تتزوج بحقير جبان وإن قدم مهراً مـغرياً ستين ناقة سمينة ومعها عبيدها ورعاتها:

ولا تـقربـي يـابنـت عـمي بـوهـة
مـن القـوم دفـناسـاً غـبيـاً مـفنـدا

وإن كـان أعطـى رأس ستـين بكـرة
وحكـماً عـلى حكـم وعبـداً مولدا

ألا فـاحذري لا تـوردنـك هجـمـة
طوال الذرى جبساً من القوم قـعددا

ويقول الشاعر الشعبي:

ومنـهن من تـرخص بتـسعين بكـره
ومـنهـن مـن تغـلـى بقـيد قـعـود

ومما كـانوا يرددونـه في الحداء في الإعلاء من شأن الإبل قولهم:



يـــاشــــمّـــخ الـــعـــشـــايـــــر
يـــامـــجـــوّزات الـــبـــايـــــر

وذكر السـويداء العديد من الـصور المتكررة لآبـاء يغالون في مهور بـناتهم كأداة تعجيز لمن يخطبونهنَّ من الأقارب. فإذا كان والد الفتاة لا يـريد تزويج ابن أخيه، اشترط عليه سياقاً لابنته مائة ناقة أو مائة بـعير كما فعـل عم الصمة بن عبدالله القشيري وغيره، وقد استمر هذا الوضع منذ ذلك الوقت إلى أمد قريب في عشر الستيـنيات من القرن الهجري المنصرم حينما كان يشترط من مهر المرأة جملاً أو ناقة تسـمى سنينه عند سكان البادية وسكان الأرياف. وقد يشترط ولي الأمر جملاً بعينه أو نـاقة بعينها لتكون سنينة تلك الفتاة أو المرأة. والشواهد على ذلك كثيرة مثلما طلبت امرأة من الشاعر خلف أبو زويـد أن يسوق عليهـا ناقته المعلومة فأجابها بقوله:

وافاطــري يازينة الـفخذ والســاق
مـا اسوق شـقراي بْعَذيّ الوصوفِ

أو كمـا قال رشيـد بن دخـيل الله الفوزان عندما رفض نسيبه أن يقبل تلك الناقة التي أرسلها إلـيه وأصر على ناقة أخرى فأجابه بقوله:

ددیــه عـيــا يـقبـلـك يالـهـديّــه
شـــرهٍ على نــاقــة فـريـح المعاشـي

أو كمـا قال رجل طلـب منه أحد جماعته أن يسـوق ناقته المعلومة ليزوج ابنته لابن ذلك الرجل، فقال هذا الرجل في قصة معروفة محاولا إقناع ابنه بالعدول عن تلك الفتاة بعد أن جرب نجابة تلك الناقة المثمنة موجها كلامه لابنه:

لى صرت بـالصمّـان والقيظ حاديك
أيـّـا حسـين الـدل وايـّا المـطيّـه

فرد عليه ابنه مفندا رأيه بقوله:

الله كـريـمٍ مـا ومر بـالـتهـالـيك
ولا ومـــر بِــفْراق صـــاف الثـنيـه
لى صـرت بايام الرخـا عنـد اهاليـك
شـوفة حـسين الـدل تسـوى المطيه

(١٤١٣: ٢٧٥).

واستفاد عـرب الجزيرة من الإبل في أعمال الـزراعة، خاصة عمـلية السنـي. والسانـية واحدة السواني وهـي النواضح (الإبل) التـي يخرج عليـها الماء بواسطـة الغرُوب (جمع غَرْب وهو الدلو الكبـيرة) من أعماق الآبار؛ وهي من اسـتخدامات الإبل الرئيسية، وتأتي على نمطين؛ الأول استخدام الإبـل للسني لإخراج الماء لري المزارع وبـساتين النـخيل، وهـذه تخرج الغروب وتسكـب الماء ذاتياً وفق مقاييس معينة في حبلي الغـرب (الرشا والمقاط)، والنمط الثاني السانية التي تخرج الماء من البئر لسقي المواشي من رعايا الإبل وقطعان



الأغنام، بدلاً من متح الماء بكميات قليلة على أيدي الرجال. ويتطلب هذا النوع أن يكون قرب فم البئر رجل آخر غير الذي يسوق البعير يتلقى الدلو ويسكب محتواها من الماء في حوض تشرب منه الإبل، أو في بركة يجري منها ينبوع هذا الماء فترتوي منه هذه الأنعام، وقد استمرت الطريقتان منذ أمد بعيد، حتى بدأت عملية مكننة الزراعة والري قبل حوالي ٤٥-٥٠ سنة من الآن. وقد حفل الشعر العربي والشعبي بذكر عملية السني والأدوات المستخدمة فيها؛ يقول المخبل السعدي:

فكأن عيني غرب أدهم داجن
متعود الإقبال والإدبار

والداجن البعير الساقي أي الذي يستقى عليه. وقال البحتري:

وتأتي الدلو ملأى بعد وَهْيٍ
من الأوذام فيها والعراقي

والأوذام السيور أو حبال الليف الدقيقة تربط العراقي بين آذان الدلو، والعراقي خشبتان تعرضان على فوهة الدلو العليا المفتوحة كالصليب. وقال أبو تمام:

ولا تقل إننا من نبعة فلقد
بانت نجائب إبل من نواضحها

والنواضح الإبل التي يستقى عليها، وهي أقل منزلة من النجائب. وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:



السّني



بـضـرب ومربـوع وعـود تـقـيمـه
مـحـالة خـطـاف تـصر ثـقـوبـهـا

المربوع الحبل يفتل على أربع قوى، والعَوْد البعـير المسن، والمحالة البكرة، والخطاف الحديدة التي تدور عليها البكرة. وقد وصف الشاعر العربي القديم زهير بن أبي سلمى عـملية السقي أو السني بواسطة البعير بالتفصيل تقريباً حيث قال:

لـهـا مـتـاع وأعـوان غـدون بـه
قتـب وغرب إذا مـا أفرغ انـسحـقا

وخلـفهـا سائق يـحدو إذا خشـيت
منـه اللـحاق تمد الـصلب والـعنـقا

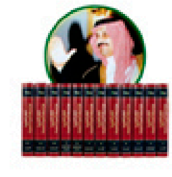
وقـابـل يـتـغـنـى كـلـمـا قـدرت
عـلى الـعـراقي يـداه قـائمـاً دفقـا

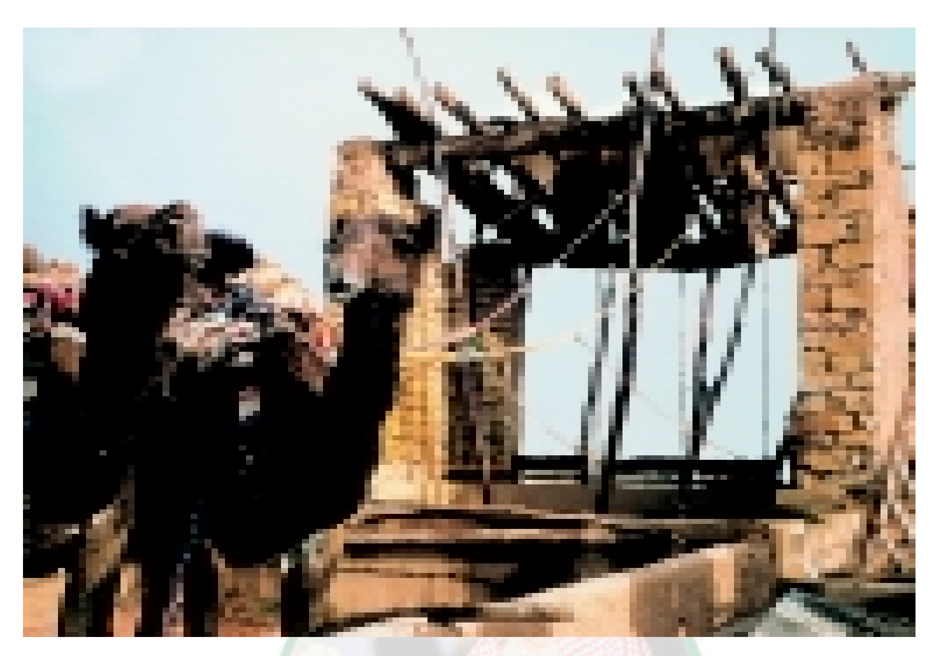
يـحـيـل في جـدول تحـبـو ضفـادعه
حبـو الجواري تـرى في مائـه نطـقا

والقتب أداة الناقة المستقى عليها، وانسحق يـعني مضى وسال مـنه الماء، والصلب الظـهر، وقابل أي ولها قابل يقبل الدلو، أي يتلقاها ويأخذها فيصب ما فيهـا، وهو يتغنى عنـد فعله لذلك فتطرب الناقة وتسرع، وقدرت: وصلت الدلو إليه وقبضت، ودفق أي صب الدلو في الجدول، ويحيل: يصب ماء الغرب، وحبو الجواري هو وثب الجواري أي أن الضفادع تثب (تنط) كما تفعل الجواري، والصبيان إذا لعبوا، والنطق هي الطرائق التي تعلو فوق الماء، وقد شبهها الشاعر بجمع النطاق لأنها درجات يعلو بعضها بعضـاً، وإنما يكون ذلك مع كـثرة الماء وهبوب الريح عليه.

وقد ورد في الـتراث العربي أمثـالٌ عديدة لها علاقة باستخدام الإبل للسقي. ومن الملاحـظ أن العرب كانـوا يتألمون للإبل من جراء السني عليها، ويرون أن ذلك لا يـليق بـها، ولكـن للضـرورة أحكام. وقد قيلت الكـثير من الأشعار التي تتألم لوضع البعير في مجر السني، وقيل مثل ذلك في الأمثال، نحو قولهم «أذل من بعير ساقية» وهو البعير المستخدم للسقي، وقولهـم أيضا «التمر في البئر وعلى ظهر الجمل» أي من سقـى زرعه باستخدام البعير وجد نتيجة عمله أو سقيه في كثرة تمره.

وللسـانية من النمـط الأول، الذي تقدم ذكره، عدة أدوات لإخراج الماء من البئر منها القتب بحباله، والمرشحة. أما الْقَتَـب فهو جهاز مـكون من عدد من الأجزاء لـه أربع ظلاف مصـنوعة مـن الخشب بما يتناسب ومكانه على غارب البعير، وله عصوان في أعلاه يثبت في طرفيهما الأمامـيـين طرفا حبل الْكِدَانْ، وعصوان في أسفل الضلفتين (الزوافر، واحدتها زافرة)، يمنعان ضـلفتي القتب





السّني

عن الحركة والتضعضع عند حمل البعير للدلو الملآنة. والبادية تسني بالمسانة، وتسميها الكَتَبْ والمسامه. ويثبت القتب على غارب البعير بعدد من الحبال كالسِّنَاَف، وهو حبل من عدة حبال ملفوف عليها قماش ومصفوفة بعضها بجانب بعض، منسوجة بحبل من الليف يمسك بينها بحيث تكون عريضة يتراوح عرضها من ٥-١٠ سم تقريباً حتى لا تؤذي صدر البعير وأسفل رقبته، ووظيفة السناف تثبيت القتب على غارب البعير من الناحية الأمامية عند حمل البعير للدلو، ويثبت أحد طرفي السناف بالقتب والطرف الآخر يقرن بزرار خاص بنفس القتب، وموضع السناف من فوق لوحي كتفي البعير، ويلف على أسفل رقبة البعير ونحره من موضع المنحر.

ومن حبال القتب أيضاً الْبِطَان وهو حبل مثل السناف من عدة حبال بعرض ٥-١٠ سم تقريباً، له عروتان إحداهما مثبتة بعصا القتب العلوية، والأخرى تشد على القتب من الجانب الثاني بعد أن يلف الحبل على أسفل صدر البعير وأعلى بطنه. ويشد عليه بحبل قصير مجدول من الليف يسمى المشد أو المشدة. والغرض من البطان هو تثبيت القتب على ظهر البعير رأسياً، وموضع البطان في أسفل الصدر وأعلى بطن البعير مما



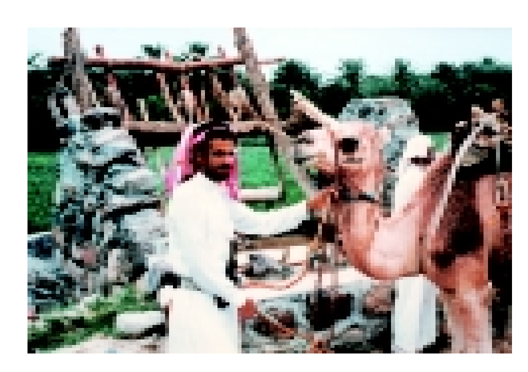


جمل السّانية، وعليه أدوات السّني

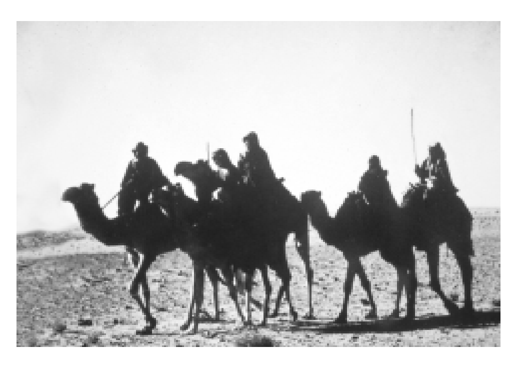
يلي كركرة الزور مباشرة. ومنها اللبب، وهو مثل البطان، إلاّ أنه يكون محاطاً بلبة السانية حتى لا يتأخر القتب عن محله إذا جُذبت الغرب المحملة بالماء. وربما وضع زوار وهو مثل البطان واللبب إلاّ أنه يكون بين البركة (السعدانة) وذراعي السانية حتى يزيد القتب ثباتاً على ظهر السانية. ومنها الْكِدَان، وهو حبل من ثلاث أو أربع قوى (بتوت) ملفوف عليها شرائح من القد، مجدولة بعضها مع بعض جدلاً محكماً، وفي طرفه مما يلي القتب عروتان يثبتان بطرفي عصوي القتب من الجهة الأمامية. ويأتيان من تحت العصا في الجهة التي يستوي عليها سني البعير من اليمين أو الشمال. وفي طرفه مما يلي الرشا زر غليظ يثبت به عروة الرشا عند بدء عملية السني. هذا فيما يختص بالإبل لأنه لو جاء من تحت القتب لآذى سنام البعير وربما لحه وجرحه؛ ولذلك يأتي من بين الظلفة الأمامية والخلفية على اتجاه واحد.

وأما الْمِرْشَحَة فمن أدوات السانية، ويقال لها بدِّة أو وثار بالنسبة للإبل، وهي من نسيج الصوف من ثلاث أو أربع طبقات محشو ما بينها بالليف، ومبطنة مما يلي ظهر البعير بنسيج ناعم حتى لا تؤذي جلد البعير، وحجمها على مقدار القتب أو تزيد عنه قليلاً بمقدار ١٠سم من كل اتجاه،





جمل السّانية، وعليه أدوات السني



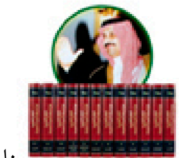
قوافل السفر والانتقال عبر الصحراء

والغرض منها وقاية ظهر البعير من تأثير ظلاف القتب المصنوع من الخشب. وسميت مرشحة لأنها ترشح العرق وتمتصه من ظهر البعير أثناء تعبه خلال عملية السني (السويداء ١٩٨٣).

واعتمد عرب الجزيرة اعتمادا أساسيا على الإبل في أسفارهم وتنقلاتهم حيث نجد كتب الأدب والتاريخ تزخر بالحديث عن القوافل التي كانت تذرع الجزيرة العربية في طرق معروفة، محملة بوسوق البر والشعير والبهارات والثياب والسيوف الهندية أو اليمنية أو الرومية، والرماح السمهرية أو الخطية والقسي العصفورية والدروع الفارسية أو السلجوقية. وذكر الطبري أن عير قريش بلغت خمسمائة بعير، وألفين ومائة رجل. وذكر أيضا أن قافلة بلغت خمسمائة بعير وألفاً؛ ولذلك عيّر أحد الشعراء قريشاً



قافلة تجارية




لانشغالهـم عن المجد والشعر بالتجارة فقال:

ألهـى قريشـاً عن المجـد السفـاسير

وقولـها: رحـلتْ عـيرٌ، أَتَـتْ عِيرُ

وقد وصف بعض الشعراء إبل الميرة وإبل الغيار، وهي ما يعرف باسم العير، وسموا أحياناً الإبـل بحمولتها اللطيمة وهي العـير التي يحـمل عليهـا المسك والعطر والبر، والعسجدية هي العير التي تحمل الذهب والمال، والـريذجان الإبل التي تحمل حمولة التجارة.

وكان استخدام الإبل في حمل الأثقال عبر الصحراء وفي القوافل، منذ عهود موغلة في القـدم. وكان أشهر درب صـحراوي للجمال هو درب الأربعين، الذي يمتد من الفاشر في غرب السودان في رحلة طويلة عبر الصحراء وعلى ضفاف النيل في مسيرة أربعين يوماً إلى مصر.

وقد استعمل البعير لحمل العديد من البضائع من جنوب أفريقيا إلى شمالها، كالعاج وريـش النعام والصمغ الـعربي وجلود وأصواف الحيوانات.

ومع ازدهار تجارة الذهب في القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلاَديّين اشتهر درب يعبر مـوريتانيا ومراكـش إلى نهر النيجر حيث توجد بعض الدول الأفريقية



نقل الحطب للوقود



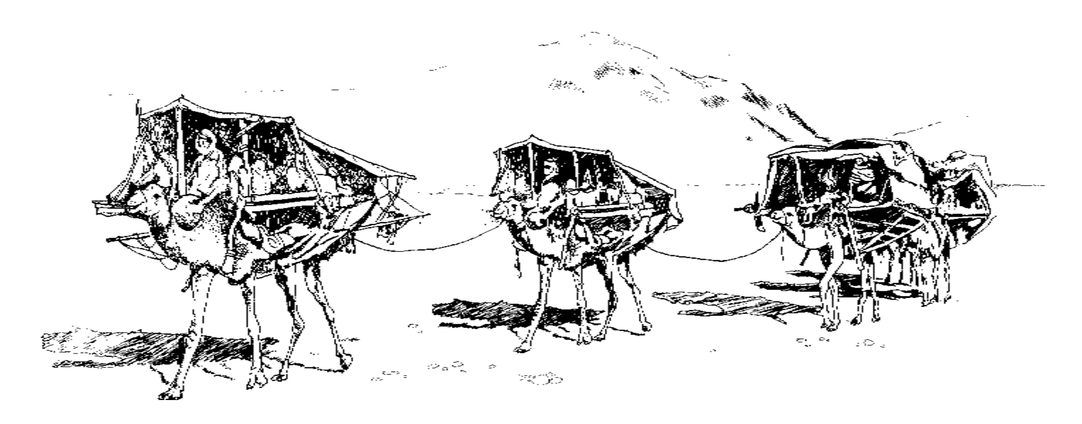
الغنية مثل غانا ومالي. وكان كل جمل يحمل ما يوازي ١٤٠كجم من الذهب في أكياس جلدية. ومع ازدهار تجارة الذهب في أفريقيا انتعشت دول أفريقية عديدة؛ ففي غانا كثر الذهب حتى إنَّ ملك البلاد كان يسمى ملك الذهب وكانت تلبس كلابه الخاصة أطواقاً من الذهب. وعندما نوى ملك مالي الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، حمل معه على ظهور الإبل في قافلة كبيرة ما يوازي عشرة أطنان من الذهب الصافي.

وتعد دروب الحجيج من أشهر دروب الإبل، وقد عبر ملايين البشر عبر القرون هذه الدروب ليصلوا إلى البيت العتيق. ومن أشهر هذه الدروب طريق الحج الكوفي وطريق الحج البصري اللذين أقامت السيدة زبيدة بنت جعفر عليهما البرك والمصانع وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. ويخدم الطريقان حجاج العراق وفارس وخراسان ومنطقة ما وراء النهرين. بالإضافة إلى طريق الحج الشامي الذي ينطلق من دمشق، وطريق الحج اليمني الذي ينطلق من صنعاء، ودرب الحج المصري وقوافل الحجاج أو ما يسمى بالمحمل وغيرها.



قوافل الحجاج





قوافل الحجاج

وتمر تلك الدروب عبر أراضٍ عرفت بتضاريسها المختلفة من عروق رملية وأراض صخرية وسبخات وسهول وأودية وعقاب، لا تستطيع قطعها إلا الإبل، علاوة على طول المسافات ولفح الهواجر ووطأة الظمأ وغيرها من ظروف ذلك الزمان وقسوة تلك البيئة التي لم يصمد لها إلا الجمل، سفينة الصحراء. هذا وقد وردت تلك الطرق مفصلة بمراحلها ومنازلها ومعالمها في مجلدي الآثار والمواقع من هذه الموسوعة. وسنفرد هنا أيضاً فصلاً خاصاً برحلات القوافل.

ولعله من الطريف أن نشير هنا، ولو باختصار، إلى الدور الذي لعبته الإبل في الاستكشافات العلمية. فقد أظهرت الرحلات الاستكشافية والعلمية وغيرها من الرحلات عبر الصحراء، الدور المهم الذي يتميز به البعير عن غيره من وسائل النقل، خاصة الميكانيكية منها. فالعلماء يستطيعون الوصول إلى أي مكان يريدونه على ظهر البعير دون أن يحدث له عطل أو خلل. إضافة لذلك فالبعير له القدرة على منح نفسه الطاقة بما يأكله من النباتات والأعشاب التي تصادفه، كما أنه يعطي العلماء الفرصة والوقت الكافيين للتعرف وفحص ما يحيط بهم عن قرب من نبات وحيوان أو أثر أو أداة من أدوات ما قبل التاريخ مرمية هنا أو هناك أو قد جرفت بواسطة السيول أو غيرها. ومثل هذه الأشياء لا يمكن رؤيتها أو معرفتها لمن يركب عربة مثلاً. إضافة لذلك فقد منح البعير العلماء الفرصة في مشاركة بدو الصحاري معيشتهم ومعرفة أنماط حياتهم المختلفة، ومثل هذه المعرفة لا تتاح للعلماء الآخرين المستخدمين للعربات.



وقد قامت الإبل بدور فعّال في أعمال المسح الجغرافي التي غطت أرجاء واسعة من المملكة، وكانت الوسيلة الوحيدة لرحلات المستكشفين والرحالة من المستشرقين الذين جابوا صحراء الجزيرة العربية. هذا بالإضافة إلى دورها الكبير في رحلات الجيولوجيين والمنقبين عن النفط، وامتد هذا الدور بعد اكتشاف النفط وتمثل في نقل المعدات والتجهيزات وضروريات العيش والعمل في مناطق عرفت بوعورتها وفي وقت كانت فيه السيارات في قلة عدد وضعف كفاءة، فكانت الإبل تقوم بدورها خير قيام.

ويذكر ويلسون أن الإبل الموجودة في القارة الأسترالية لعبت دوراً مهماً في تطور أستراليا، خصوصاً في تطور ونمو اقتصادياتها الحديثة. ومن المستغرب أن الإبل هناك لم تستخدم على أنها مصدر للحوم أو الحليب أو كحيوانات تستخدم في المجالات الزراعية كالحراثة مثلاً، ولكنها استخدمت لجميع الأشياء الأخرى. وفي هذا الصدد يذكر ويلسون أنه إضافة لاستخدام الإبل في رحلات العمليات الاستكشافية في بداية الأمر، فقد استخدم البعير، وحتى فترة قريبة من وقتنا الحاضر، في نقل العوارض الخشبية المستخدمة لمد السكك الحديدية، وحمل الأسلاك والأعمدة لمد الهواتف. (Wilson 1984). وهذا ما حدث تماماً في المملكة حينما دخلت خدمة الهاتف والتي كانت تقوم أساساً على الأسلاك والأعمدة فكان للإبل دور أساسي في نقل هذه المواد من الموانئ إلى أماكن استخدامها. كما وفرت البادية وإبلها مصدراً مهماً من مصادر العمالة البشرية ووسائل النقل حينما قامت سكة حديد الحجاز.

وختاما بقي أن نشير إلى دور الإبل في الرياضة. عرف العرب الأوائل نوعين من الرياضة على الإبل هما الصيد والسباق، وليس هناك ما يدل على أنهم استخدموا الإبل في ملاحقة الطرائد لأن الجوارح والخيول كانت تقوم بهذه المهمة، لكن الإبل استخدمت وسيلة يستتر بها الصيادون فيختلون الطرائد، وتسمى الناقة التي يُستتر بها عن الصيد بالقيدة والسيقة والمِسوق والدريئة والذريعة والسدّ.

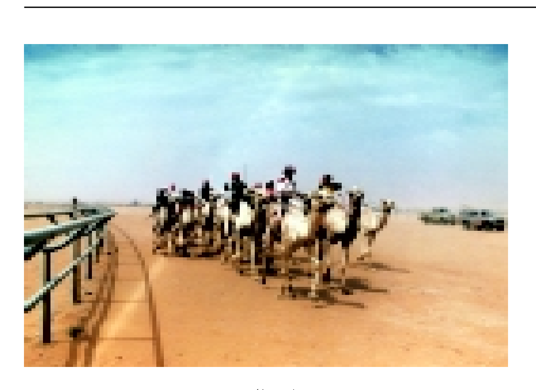
وفي وقتنا الحاضر، ومع انحسار بعض الوظائف المهمة السابقة للإبل، يقام في المملكة العربية السعودية كل عام، ومنذ سنوات طويلة وضمن المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية (قرب مدينة الرياض عاصمة المملكة) سباق وطني كبير للهجن من كافة أنحاء المملكة







سباق الهجن



سباق الهجن

ومن دول الخليج العربي والسودان، ويستمر لمدة يومين على الأقل، ويرصد للفائزين فيه عدد كبير من الجوائز النقدية والعينية القيمة. كما تقام سباقات بالطائف في أشهر الصيف تستمر مدة ثمانية أسابيع، ويشارك فيها عدد كبير من أبناء الخليج. ويعتبر هذا السباق تراثاً وطنياً ضخماً حيث يجري له الاستعداد قبل موعده بعدة شهور، ويحضره عدد غفير من المواطنين والوافدين. ويعتبر هذا المهرجان إحياء واستمراراً لتقليد عربي قديم أوشك على الاندثار تحت ظروف المدنية الحديثة.

إضافة لما تقدم فقد أخذت بعض الدول المجاورة فكرة هذا المهرجان حيث يقام سباق هجن في دولة الإمارات المتحدة إضافة إلى أن مثل هذا السباق يحدث في قارة أستراليا.

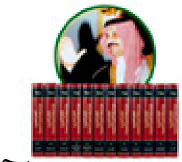


رحلات القوافل

يُعنى هذا الفصل برحلات القوافل، التي كانت قديماً وإلى عهد قريب، تعتمد بشكل رئيسي على الإبل، سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها. فإلى جانب الفوائد الجمة التي ظل العربي يجنيها من الإبل، مستفيداً من ألبانها ولحومها وجلودها وأوبارها، كانت الإبل وسيلته الوحيدة للتنقل والارتحال عبر الفيافي والقفار، كما استغلها في الزراعة والتجارة وطلب العلم والمعرفة والاكتشاف، وكسب الرزق والقوة والثراء والحرب وكافة شؤون حياته.

ومن ثم يعالج الفصل رحلات القوافل وأنواعها وأهدافها وكيفية إعدادها وتجهيزها، وأدبياتها، ووظائف وخبرات الرجال المرافقين لها، وما يتصل بالأعراف والعادات المتعلقة بالسفر والرحلات، وبعض الإلماحات إلى المناخ والتاريخ والجغرافيا خلال الحديث عن هذه الرحلات، وما تحمله القوافل من بضائع وسلع إلى مختلف الجهات والبلاد، وغير ذلك، عبر محورها الرئيسي وهو الأبل التي تعد العمود الفقري لهذه الرحلات.

ويمكن القول إن عرب الجزيرة العربية بصفة خاصة، من أكثر الأمم ولعاً بالتنقل والسفر والرحلات على ظهور الإبل وسيراً معها. فمنذ ما يقرب من سبعة آلاف سنة، انطلق العرب من قلب الجزيرة العربية وأطرافها في رحلات برية جماعية طويلة إلى بلدان الشرق الأدنى العربية القريبة وبلدان الشرق الأقصى، وركبوا البحار والسفن الشراعية في بعض مراحل رحلاتهم، كما عبروا الأنهار واجتازوا الممرات المائية بقصد التجارة وطلب الرزق. وكانوا يحملون في قوافلهم بعض أنواع التمور والجلود المدبوغة والسمن والإقط، وغير ذلك من منتجات الصحراء القليلة إلى أسواق مُدن وموانئ الأقطار



العربيـة كالعراق وبلاد الشـام (سوريا، والأردن وفلسطين)، وإلى مصر والسودان قبل حـفر قناة السـويس، وكذلك إلى موانـئ بلاد فـارس والهـند والـبنـغال والصين. ويجلبون معهم في رحلة العودة مختلـف بضائع ومنتـجات تلك البلاد كالقمح والأرز والحرير والقطن والبخور والتوابل والسجاد وكثير من المصنوعات اليدوية. وإضافة إلى نشاطهـم التجاري الملحوظ عبر قارتي آسيا وأفريقيا منذ أقدم العصور، فقد كانوا حلقة وصل حضاري وثقافي بين سكان الجزيرة العربية وشعوب القارات القديمة الثلاث.

وليـس خافياً مـا كان لقـريش في الجاهـليـة من تجـارة رائجـة ورحلات موسمية تجارية مشهورة إلـى بلاد الشام واليمن. منهـا رحلة جماعية كبيرة في الصيف إلى بـلاد الشام، ورحلة كبيرة أخرى في الشتاء إلى اليمن والبلاد المطلة على المحيط الهندي. وقد ورد ذكر هاتين الرحلتين الموسميتين في القرآن الكريم. قال تعالى ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ (قريش: ١-٢). وقد روي أن الرسـول الكريم علـيه السلام صحب عمه أبا طالب، في صباه، في قافلة لقريش إلى الشـام. كما قام قبيل البعثـة مع ميسرة غلام السيـدة خديجة $ برحـلة إلـى الشام، فـي تجارة لـها ضمن قافلة قريش، وكان عمره خمسة وعشرين عاماً. وقد ظلت قوافل قريش حتى بعد الإسلام تقوم بهاتين الرحلتين.

أما الرحلات الداخلية التي كان يقوم بهـا العرب فـي الجزيرة الـعربيـة عبر الصـحارى والفيـافي شمالاً وجـنوباً، وشرقاً وغرباً بين الخليج العربي والبحر الأحمر، فهي لم تنقطع لأنها كانت عماد حياتهم ومعيشتهم.

وقد كانت الأبل دائماً، قبل الإسلام وبعـده وحتى خمـسين عامـاً مضت، واسطة النقـل والسفر سواء للتجارة أو النقل أو طلب العـلم. فمما هو جدير بالذكر أن من العرب والمسلمين في القرنين الثامن والعاشر الهجريين من قام برحلات علمية واستكشافية عـرفها العالم وأشاد بها المؤرخون لشهرتها وفوائدها، وكانت الواسطة الرئيسية لهذه الرحـلات ظهور الأبل، كرحلة ابن جبير وابن بـطوطة، ثم رحلة ابن ماجد، أشهر رحالة عربي، ويقال إنه هو الذي رافق فاسكو دي جاما ودلَّهُ إلى الهند ورأس الرجاء الصـالح. وقد وضع بـعض هؤلاء الرحـالة كتبـاً وخرائط لا تزال متداولة بين الناس حتى اليوم، ولا شك أن جزءاً كبيراً من مراحل هذه الرحلات قد تم على ظهور الأبل.



ونظراً لما للأبل من دور مـهم في النقل والرحلات فقد أطلق عليها العرب اسم سفينة الصحراء. وظلت حركـة العربي ورحلاته مستمرة داخل الجـزيرة العربية وخارجها حتى حلت السيارات والناقلات الآلية محلها، فأصبحت رحلات القوافل نادرة تثير العجب، ثُمّ توقفت تماماً ولم يعد لها وجود الآن.

ولا شك أن العربي أحب الرحلات من قديم الزمن لتوافر وسيلتها الأساسية وهي الأبل، سفن الصحراء. وقد أفادته هذه الرحلات قـديماً وحديثاً في تـنمية شخصيته وإثبات رجولته والاعتماد على النفس ومواجهة المخاطر في بيئـة كانت محتـاجة لهذا اللون مـن الحياة الخشنة الصعبة. كما تحققت له المكاسب العديدة من التنقل والترحال. ومن جهة أخرى، فجَّرت هذه الرحلات في العربي ينابيع الأدب والشعر بما له فيها من حب وحنين وشوق ووصف، إذ يقال إن ثلثي الشعر العـربي الـقديم قـيل خـلال الرحـيل والاغـتـراب عـن الـــوطـن والأهـل والأحباب. ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن العرب هم أول من ابتكر أدب الرحلات وتركوا تراثاً في هذا المجال. ومن ذلك التراث القديم استـلهم الأدباء والكتاب أدب الرحلات في العصر الحديث.

وخلاصة القول، إنه إذا كان الفينقيون والإغريق والرومان قد اشتهروا برحلات البحر في العصور الماضية، فإن الـعرب هم سـادة الرحلات فـي البر من غـير منـازع، فقـد كانـوا يعتـبرون الـسفر والرحلات مع القوافل متعة، إضافة إلى أن رحلات القوافـل والرحلات عموماً وسيلة للرزق والمعرفة والاكتشاف، قال أحد الشعراء في فوائد السفر:

إذا ضاقـت الدنيا عـليك ولـم تطق
فسافـر، ففي الأسفار خـمس فوائد
تـفرُّجُ هـمٍ، واكـتـسابُ مـعـيشـةٍ
وعلـمٌ، وأخلاقٌ، وصُـحبـةُ ماجـدِ

وقبل الشروع في تفاصيـل رحلات القوافـل ينبغي إعطـاء تعريف للقـافلة حسب مفـهوم المحدثين والقدماء لـهذه الكلمة الجامعة. فمـجموعة الإبل يقال لها قافله وحمله ورِعِيّه؛ فإذا كان على الإبل أحمال سميت حمله، وإذا كانت من دون أحمال سميت رعيـه. والبادية تطلـق على الجمـاميل رْحيـليّه، نسبـة لنزولهم وارتحالهم يومياً، والناقة عندهم تسمى رحـول وهي التي يحمل علـيها وتدربت على الأحمال.

وهناك من يـسمي مجموعـة الإبل المقطير أو المقطار وهي التي تنقل عليها الفاكهة أو الحبوب أو السمن أو العسل



من الجبال إلى المدن، وتكون لشخص واحد يستأجرها أو لأكثر من شخص، وبربط أول هذه الإبل من خشمه، ويكون قائدها راكباً على حمار في أولها، ويكون خلفها شخص آخر راكباً على حمار. و يكون عدد هذه الإبل من ١٠-٢٠ جملاً، وهذه الطريقة لا تستعمل في نجد وإنما تستعمل في المنطقة الغربية بين الطائف ومكة وجدة.

ومن أمثلة ذلك قوافل القرى والمناطق الزراعية في جبال الحجاز للمدن الرئيسية كمكة وجدة والطائف وأبها وبيشة وخميس مشيط، وفي الحجاز تسمى المقطار أو المقطير وتتراوح بين ثلاثة إلى عشرين جملاً تحمل المنتجات الزراعية من فواكه وخضراوات وحبوب أو حطب أو نحوه يكون معها شخص واحد أو عدة أشخاص تحمل منتجات هذه القرى للمدن وتعود محملة بما قد يحتاج إليه أهلها من حاجات.

ويرى آخرون أن القافلة هي الإبل التي تكون محملة في رحلة تجارية، أما إذا كانت من الإناث وحيرانها وبعض الفحول فهي رعية أو هجمة أو ذود، وإذا كانت متنقلة من منطقة إلى أخرى فهي إبل حائلة (حول) أو (حوله) أي متحولون من منطقة إلى أخرى بقصد الرعي، هذا إذا كانت تمشي باتجاه واحد ومعها من يتبعها، وفي ما مضى كان أهل البادية يحمّلون الذكور (الزمل) من



المقطار



إبلهم بمتاعهم عند الانتقال فكانت هذه الإبل تسمى (المظهور)، والقـافلة وقف على التجارية منها.

أما المحدثون فيرون أن كـلمة قافلة تطلق على مجموعة كبيرة من الإبل في حالة سفرها بحمولة أو بغير حمولة إذا كانت مقطورة بعضها وراء بـعض بعيراً بعيراً أو بعيرين بعيرين، فإذا سارت الإبل بغير نظـام وترتيب وبلا أحمال فيطلـق عليها هجمه أو بوش. كما أن هناك من يطلق اسـم قافلة على الإبل فقـط دون مرافقيها من الرجال. ولكن بعض الناس يرون أن القافلة تطلق على الإبل والرجال معاً، وأنه لا يطلق على مجموعة الإبل قافلة إلا إذا كـانت رعية أو أكثر (عدد



حولة

إبل الـرعية مـن ٨١ إلى ٩١ بعـيراً). وتسمى مجموعة الإبل هذه قافلة، سواء كانت مغـادرة إلى هدفها أم عائدة إلى نقطة انطلاقها.

وقد جاء فـي اللسان لابن مـنظور «القـفول. . الرجوع مـن السفر وقـيل القفول رجوع الجند من الغزو. قال أبو



هجمة أو بوش



منصـور: سميت القافـلة قافلة تـفاؤلاً بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته، قال: وظن ابن قتيبة أن عوام الـناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في سـفر أنشأوه قافلة، وأنها لا تسمى قافلة إلا منصرفة إلى وطنها، وهذا غلط. وما زالت العرب تسمي الناهضين في ابتداء الأسفار قافلة تفاؤلاً بأن ييسـر الله لها القفول، وهو شائع في كلام فصحائهم إلى اليوم».

وقد شاعت كلمة قافلة حيث صارت تطلق على صف (رتـل) السيارات بعد ظهورها، فيقال قافلة من السيارات، كما أصبحت تطلـق على الناقلات وخاصة ناقلات الزيت الكبيرة. ومن جهة أخرى أخذت كلمة القافلة في ذهن الناس معنى الجد في السير والنجـاح المتواصل فقيل في المثل «الكلاب تنبح والقافلة تسير».

تأمين إبل القافلة

يحرص صـاحب القافلـة أو رئيس القافلة على تأمين الجمال التي تشترك في الرحلة قبل موعدها بوقت كاف (حوالي ٧-١٥ يوماً)، تفادياً للتـأخر عن موعد بدء الرحلة الذي يكون مقرراً سلفاً باليوم والتاريخ، خصوصاً إذا كانت الرحلة لنقل البضائع من منطقة إلى أخرى أو من بلاد إلى أخرى. وقد تـكون هناك اتفاقيات وشروط مـلزمة بين صـاحب البضـاعة والمتعهد بـنقلها وتوصيلـها خلال وقت محدد. كما أن توقيت بدء الرحلة يكون



قوافل نقل البضائع



مهماً جداً إذا كانت الرحلة خاصة بالحج. وفي معظم الأحيان، تكون جمال القافلة مملوكة لشخص واحد، أو لعائلة، أو لمجموعة من الشركاء يمثلهم أحدهم رئيساً للقافلة. أو قد يُنتدب لرئاسة أو قيادة القافلة شخص غير شريك لقاء أجر معلوم متفق عليه، وتكون له خبرة وتجربة ودراية تامة بمهنة الجِمالة ورئاسة القوافل.

فإذا لم تكن إبل القافلة كافية من ناحية العدد لإنجاز مهمة نقل البضاعة، فلا بد من تأمين عدد آخر من الإبل سواء بالشراء، أو بالاستئجار ممن يملكون جِمالاً برسم التأجير. ولكن مالك القافلة أو رئيسها يفضل عادة شراء إبل أخرى لأسباب تتعلق بزيادة الربح، أو بحرية التصرف في الجمال على نحو يُريحه، وبلا شروط من أي نوع كانت. ويتم تأمين إبل النقل والسفر والرحلات من مصدرين رئيسيين هما أسواق الأبل، والمشوِّم أو الشريطي، وهو التاجر الذي يشتري الإبل من البادية ويبيعها في المدن والقرى.

والشراء من أسواق الأبل أفضل للمشتري من ناحية الأسعار والاختيار وفرصة الفحص والانتقاء. وقد عرفت في نجد مثلاً، منذ عدة عقود ماضية، أسواق شهيرة وكبيرة للإبل في كثير من المدن، كحائل والرياض وبريدة وشقراء. وكان معظم سكان هذه المدن يتاجرون بالإبل، وكان قسم منهم يشتغل في مهنة الجمالة. وكان أهل الإبل في البادية يأتون



سوق حديث للإبل



بإبلهم إلى أسواق الإبل في هذه المدن لبيعها ومن ثم شراء ما يحتاجون إليه من الأطعمة والملابس وغير ذلك. ونظراً لحاجتهم وفقرهم لم يكن لديهم الخيار أو السعة من الوقت للانتظار والمساومة الطويلة، مما يعطي الفرص الذهبية للتجار في شراء ما يريدون من الإبل لكافة الأغراض؛ كالذبح أو السني أو النقل أو الاقتناء لأجل الحصول على الألبان ولأغراض أخرى، بأسعار تُعدُّ رخيصة بالنسبة لأسعارها الحقيقية. وهنا تكون الفرصة أيضاً مواتية لمن يريدون الإبل القوية الملائمة واللازمة لرحلات القوافل.

أما المصدر الآخر لتأمين إبل القوافل، وهو مصدر أقل أهمية من أسواق الإبل، فهو المشوم الذي ينشد الربح الكثير كغيره ممن يمتهنون البيع والشراء. ففي فصل الصيف يتجه أهل البادية بإبلهم إلى موارد المياه القريبة من المراعي الجيدة، فيقطنون مع إبلهم حول الماء وفي المراعي مدة أشهر الصيف، فيأتي المشوِّم إلى هذه المواقع التي يعرف كل منها بالمقطان ليشتري الإبل من القاطنين فيها من أهل البادية الذين يسمون القطين، وفيهم يقول الشاعر:

خف القطين فراحوا عنك أو بكروا
وأعجلتهم نوى في صرفها غِيَرُ

ويشتري المشوِّم الإبل من هؤلاء البدو بطريقة عشوائية ومن دون انتقاء، لا يفرق بين صغير وكبير أو سمين وهزيل أو سليم ومعيب، ثم يسوقها هو ومن يعاونه، ويحضرها إلى المدن ويعرضها للبيع سواء في الأسواق أو خارجها. وفي حين تضم هذه الجلوبه من الإبل بعض الجمال القوية السليمة الصالحة للسفر ورحلات النقل، فإنها تضم الإبل الكبيرة في السن والتي لا تخلو من عيوب، فيكون منها ما يصلح للجمالة، وهي الجمال المخصية ويسمونها الزمل، ومنها الإناث (الحائل غير المعشر) التي تصلح أيضاً للجمالة أو للاقتناء حيث تسمى مَقْنوي، ومنها ما يشتريها الفلاح ليسني عليها، ومنها ما يستعمل لجلب الحطب أو النقل الخفيف بين القرى والمدن القريبة، ومنها ما يشتريها الجزار للذبح والاستهلاك. ومن هنا يتضح أن تأمين جمال الرحلات من المشوِّم يأتي في المرتبة الثانية بعد أسواق الإبل، ولا يُلجأ إليه إلا في حالات الاضطرار أو الحاجة الماسة الملحَّة لتأمين الجمال.

وعند اختيار جمال القافلة للنقل والرحلات الطويلة، هناك مواصفات لا بد من مراعاتها؛ منها أن تكون الإبل، سواء الجمال أو النياق، قوية ممتلئة لحماً



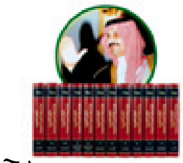
وشحماً، وهذه تتوافر في أيام الصيف، ويستحسن أن تكون معتادة النقل والسفر وهادئة ومطيعة (معسوفه). وأن تكون متوسطة السن من رباع إلى سدس، وأن تكون مخصية إذا كانت ذكوراً، لأن الجمال الفحول غير المخصية تهيج في موسم الضراب (الشتاء) وتلقي بأحمالها التي عليها وتنطلق باحثة عن الإناث. وهذا يسبب المتاعب للقافلة ويخل بمسيرتها بالإضافة إلى خطرها على رجال القافلة عند هياجها. وفي هذا السياق يجب أن تكون الإناث المشتركة في القافلة حائلة لا تحمل أجنة في بطونها (بكرات)، أو تكون خلْفات لا تصاحبها حيرانها حتى تنتظم في السير مع القافلة، ولا تبقى مشغولة عليها. وينبغي أن تكون الإبل سليمة وخالية من الأمراض والعيوب، كالشاذوب أو الرقب أو الجرب أو الجروح أو الدبر أو الحفا أو غير ذلك مما يؤثر عليها خلال الرحلة، ويجعلها غير قادرة على حمل الأحمال الثقيلة والرحلة الطويلة.

وأهم ما يتنبّه له ذوو الخبرة في اختيار الإبل هو امتحان قدرة الجمل أو الناقة على حمل الأحمال الثقيلة وخلوه من قلب العصب الذي يلاحظ على عراقيب الإبل وهي باركة، فإذا كان العصب رخوا ليناً قيل إن في الجمل أو الناقة قلب عصب، وهو عيب يظهر أثره في الحمل الثقيل والسير الطويل. وإذا كانت جمال القافلة مستأجرة كلها أو بعضها فيجب قبل ضمها للقافلة تطبيق المواصفات السابقة عليها أيضاً، لأن الجمل المستأجر المجروب قد يُعدي جمال القافلة السليمة ويسبب كارثة لمالك أو مالكي الإبل. كما أن البعير المريض أو الهزيل قد ينفق في الطريق أو يكون سبباً في إعاقة القافلة عن مواصلة سيرها، وقد يكون ذبحه وتوزيع حمولته على بعض الجمال حلاً أخيراً يلجأ إليه.

وتفضل للقوافل الإبل المجاهيم والصيعرية المستخدمة للركوب على غيرها من الإبل، لقوتها وتحملها للأحمال الثقيلة والسفر والرحلات البعيدة، وكذلك الإبل الجودية وما يماثلها من الإبل القادرة على السير في الرمال وفي المسالك الصعبة.

الاستعداد لرحلة القافلة

على الرغم من أن هناك أنواعاً عدة لرحلات القوافل، سيأتي الحديث عنها لاحقاً، إلا أن أي نوع من أنواع القوافل يحتاج إلى استعدادات أساسية تبدأ قبل الرحلة بأيام وربما بأسابيع. ويحرص



رئيس القافلة بشكل خاص على نجاح الرحلة وتقليل مصاعبها إلى أدنى حد ممكن. وبقدر ما يكون الاستعداد جيداً تصبح الرحلة ميسرة ومريحة. وتكون الاستعدادات والتجهيزات الأساسية للرحلة غالباً مسؤولية رئيس الرحلة قبل أي شخص آخر. غير أن هناك استعدادات أخرى يقوم بها كل من يشترك في الرحلة وتخصه شخصياً، أو تخص بعض رفقاء الرحلة والسفر؛ فمن أهم الاستعدادات والإجراءات التي يقوم بها رئيس القافلة أو الرحلة قبل البدء بها إشرافه بنفسه على تأمين إبل القافلة، وشراء أو استئجار ما يلزم منها للرحلة، والاطمئنان على أنها سليمة وجاهزة وقادرة على الاشتراك في الرحلة، ودفع أجرة الإبل المستأجرة لأصحابها فور تسلُّمها منهم. وقد يُحرر عقد إيجار واستئجار بينه وبينهم إن كانوا من البادية أو غرباء، وقد لا يحتاج الأمر لمثل هذا العقد إن كانوا من معارفه أو أهل بلدته وتوافرت الثقة بين الطرفين.

ويعهد رئيس القافلة قبل الرحلة بيومين أو ثلاثة إلى شخص أو أشخاص للعناية بالإبل من حيث مرعاها وسقياها جيداً، والتحقق من خلوها من الأمراض أو العيوب حتى اللحظة التي تبدأ فيها عملية التحميل. كما يعهد الرئيس إلى شخص أو أشخاص بتأمين وتجهيز كل متطلبات الرحلة اللازمة سواء للرئيس والمرافقين أو للإبل. وفي مقدمة ذلك تأمين مؤونة الرحلة من القهوة والقرنفل والطحين والجريش والأرز والسكر وبعض الأطعمة التي لا تفسد، كالكليجا والإقط، والشعثاء، وهي الإقط المجروش والمعبوك بالتمر، وأحياناً القديد المملح مما يلزم للطبخ. وكذلك يجري تأمين القدور والأباريق وأدوات صنع القهوة العربية والشاهي، إضافة إلى بعض الخيام والفرش الخفيفة، وما يلزم لتجهيز ذلول رئيس القافلة، مثل الشداد والخُرج والجاعد والنطع والميركة، وبعضها أشياء قيمة مصنوعة من الجلد. كما يتم تأمين وتجهيز الحبال والعقل والملاميط أو الأشظه والقلوات، واحدتها قلوه، والقِرب لحمل الماء، وكذلك بعض الأواني للشرب والوضوء، ثم الدلاء والأرشية والأرسان، وبعض الأدوية المعروفة من الأعشاب وغيرها لمعالجة المسافرين خلال الرحلة. وربما تم تأمين شيء قليل من العلف كالشعير أو التمر لإطعام بعض الإبل التي يظهر عليها الهزال كإجراء احتياطي. والحقيقة أن هذا الشخص أو الأشخاص المكلفين من رئيس القافلة بمثل



هذه المهمات هم بمثابة أمين المستودع في الحضر، كما أنهم مسؤولون عن حفظ الأسلحة لاستخدامها عندما يستدعي الأمر استخدام السلاح؛ فرئيس القافلة مسئول عن تأمين الأسلحة لحماية القافلة من اللصوص (الحنشل) وقطاع الطرق، فتحمل القافلة عدداً من السُيوف والخناجر والشباري والبنادق والذخيرة بعد أن توافرت في ذلك الوقت، فإذا هوجمت القافلة تم فوراً توزيع الأسلحة على الشجعان والمهرة في استخدام الأسلحة من مرافقي القافلة للدفاع عنها وصد العدوان، وقد تكون معهم أسلحتهم على أتم استعداد.

ويختار رئيس القافلة بعض الرعاة من البدو (الأعراب) من ذوي الخبرة في رعاية الإبل وسقيها وخدمتها وعلاجها وحراستها، وممن لديهم خبرة في معرفة مواقع المراعي الجيدة والآبار والمياه. كما يختار رئيس القافلة شخصاً صغيراً أو أشخاصاً لمساعدة الراعي أو الرعاة، وهؤلاء يسمون ملاحيق، ويقال للواحد منهم ملحاق. وهناك أيضاً شخص أو أشخاص يختارهم الرئيس لخدمة القافلة والطبخ وإعداد القهوة والشاهي وصبهما وتقديمهما بعد الطعام للرئيس والمرافقين والمسافرين. كما يُحدَّدُ شخصٌ يكون مكلفاً أو موكلاً بإيقاد النار وعمل الأقراص من البُر، وتسخينها إن بردت. ويتولى أمر الفُرش عند النزول ورفعها عند الرحيل، وغير ذلك من الأمور التي يقوم بها بعض المخصصين للخدمة من الكبار أو الصبيان في الحضر والبادية. وعلى الجملة فإن رئيس القافلة يوزع المهمات على جميع من في القافلة بحيث يتحمل كل شخص مسؤوليته ويؤديها بدقة وإخلاص؛ فهناك من يتولى الحراسة ويسمى الناطور، وهناك من يقوم بالرعي، أو الحماية، وغيره للخدمة وغير ذلك من المهمات والأعمال، وتكون مهامهم معروفة قبل بداية الرحلة. بعد ذلك يُحدد الرئيس موعد السفر وبدء الرحلة، وينتدب من ينبه جميع المسافرين ومنهم أصحاب الخُبر، وهم مجموعات لها إبل في الرحلة، بموعد الرحلة ووقت التحميل، كما يشرف على تحميل القافلة بنفسه.

أما الاستعدادات الشخصية لأفراد القافلة فلكل شخص طريقته الخاصة في الاستعداد للرحلة. وعادة يحضر كل شخص ملابس نظيفة يضعها في كيس أو (بقشه) ليغير ملابسه في الطريق إن اتسخت أو عندما يصل إلى المدينة أو المكان الذي تقصده القافلة. كما يودع



أهلـه وأولاده وأصدقـاءه. ونظـراً لأن الرحلات خطرة وطويلة المدة، فهناك من يكتب وصيته وما له وما عليه للناس من دين. وقد يحمل معه أمانات أو رسائل للجهة الـتي تقصدها القافـلة، كما قد يكلفه بعض الناس بشراء حاجـات لهم أو هدايا. وقد تقوم زوجته أو أهله بتجهيز ما يلزم له من أدوات خلال الرحلة.

أما رئـيس الـقافـلة فـإضافة إلـى استعداداته الشخصية، فإنه إن كان يكتب ويقرأ، يحرص على أن يحمل معه بين أغراضه سـجلاً فيه أسمـاء الأشخاص المشاركين في الرحلة وعدد الإبل المملوكة والمستأجـرة، ومواعيد الرحلة والإقامـة وغير ذلك مما يتصل بالقافلة وشؤونها. ويكون هذا السجـل بمثابة مفكرة تفيده في رحلته، وربما كلف أحد مرافقيه بالقيام بهذه المهمـة في وقت فراغه. وأكثر ما يكون هذا السجل ضرورياً في رحلات الحج ونقل المسافرين.

إدارة شؤون القافلة وحمايتها

لا شك أن دور رئيس القافلة، مهما كان نوعها، دور عظيم ومهم جداً، يشبه دور الأمير أو الحاكم أو القائد إلى حـد بعيد؛ فلا بد أن تتوافر في شخصه صفات الأمير أو القائد المسؤول، فيكون شجاعاً كريماً عاقلاً مهـيباً قوياً ذكياً فطناً. كـما يجب أن يكون بعيد النظر واسع الصدر وشديد الدهاء عنـد اللزوم، وأن يكون قدوة حسنة لكل من هو تحت إمرته سواء في أخلاقه أم تصرفـاته. فقيادة القافلة وتدبر أمرهـا ليس أمراً سهلاً، فالقـائد مسؤول عن أرواح الناس الذين معه وعن سلامتهم، إلى جانب مسؤوليته عن الإبل وأحمالـها وما فيـها من أرزاق وأموال ومتاع، خصوصاً إذا كانت هناك أخطار تهدد سلامة القـافلة. وحسبنا أن نذكر دليلاً مهماً على مكانة ولياقة قائد القافلة وهو أن أشهر القوافل في التاريخ العربي كان يقودها أبو سفيان أحد سادة قريش، ولا أحد يجهل من هو أبو سفيان حسباً ومكانة بين قومه. فقافلة قريش العائدة من الشام التي عرض لها الرسول الكريم مع أصـحابه ونجت، كـان يقودها أبـو سفيان بن حرب، وعلى أثر هذا التعرض للـقافلـة وقعت مـعركة بـدر كما هو معروف. وليس بالضرورة أن يكون رئيس القافلة أو قائدها كأبي سفيان تماماً ولكننا ضربنا مـثلاً فقط، إذ القصد أن يـكون رئيس الـقافلة أو قائدهـا مِمَن يتحمـل مسؤولية كبيرة.

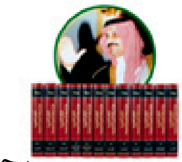
ورئيس القافلة أو قائدها، سواء أكان هو صاحبها أم كان منتدباً لرئاستها، يكون



عادة رجلاً جليلاً مهيباً أو كهلاً معروفاً بحسن الرأي والتدبير، وقد يكون شاباً قوياً معروفاً باتزان شخصيته وحسن إدارته لما يتولاه من شؤون.

ومن الأمور المهمة أو الشؤون الأساسية التي يتولاها رئيس القافلة أو يحرص على الإشراف على تنفيذها أو تحمل مسؤوليتها بنفسه، منذ بدء مسيرة القافلة حتى عودتها إلى المكان الذي انطلقت منه، الاطمئنان الدائم على سلامة الرجال والجمال. فهو أحياناً يتقدم القافلة على ذلوله وأحياناً يسير خلفها، كما يسير إلى جانبها ويسأل المسافرين عن أحوالهم ويطمئن عليهم دون أن يدخل مع المرافقين في حديث طويل. ولما كانت القافلة تتعرض للأخطار واللصوص (الحنشل)، وأحياناً السلب والنهب من قبل القبائل التي تمر بها، فهو دائماً متيقظ لحماية القافلة بكل الوسائل الممكنة. فاللصوص والحنشل الذين ليس لهم أي مرجع أو مسؤول عن تصرفاتهم العدوانية، ليس لهم إلا المجابهة مهما كانت النتيجة. أما قبائل البدو الذين لا يمكن مقاومتهم بسهولة، فإن رئيس القافلة يحتاط بأن يعتمد على معرّف أو دليل معروف ينتمي إلى القبيلة المقبلين على مضاربها أو على حماها ويسمى رِفَق بحيث يعلن الدليل أو الحامي لمن يتعرضون للقافلة من قبيلته بأن القافلة ومن فيها في وجهه وفي جيرته أو في حمى قبيلته، فيعود الغزاة غالباً أدراجهم ولا يتعرضون للقافلة بسوء. وقد يكون هناك اتفاق على دفع شيء معلوم لشيخ القبيلة ورجاله، غير الأجرة أو المكافأة التي يتقاضاها الدليل. ويتبع الرئيس هذا الأسلوب لحماية القافلة في كل مرحلة من المراحل التي تقطعها، حتى يصل بها إلى وجهتها بسلام.

ورئيس القافلة هو أميرها المطلق، ليس لأحد أن يعارضه أو يخرج على أمره، فهو الذي يدبر كل أمر خاص بالقافلة وعلى الجميع السمع والطاعة. فهو الذي يؤمهم في الصلاة، أو ربما اختار من ينوب عنه إن كان أعلم منه وأفقه، وهو الذي يفصل في المنازعات أو الخلافات بين مرافقي القافلة، فهو بمثابة القاضي. وهو أيضاً الذي يحدد زمان ومكان استراحة القافلة، آخذاً في الاعتبار راحة الرجال والإبل بعد كل مسافة أو مرحلة. ويتصرف الرئيس وفق ما يحقق مصلحة القافلة ومن فيها، محاولاً أن يكسب ثقة الجميع ورضاهم واحترامهم. فهو يلاطفهم ولا يبخل عليهم بشيء، بل إنه أحياناً يردف أحدهم



على ذلوله، أو يترك له الذلول ليركبها ويمشي هو إن لم تكن الإبل قادرة على حمل المزيد من الأشخاص، إشعاراً لمن معه بالعدل والمساواة. ورئيس القافلة مسؤول عن سلامة القافلة في حالتي ذهابها وعودتها، كما أنه مسؤول عن تأمين الإعاشة والمسكن للمرافقين خلال الرحلة وعند الوصول، وطيلة مدة الإقامة. كما أنه مسؤول عن رعي الإبل وسقياها وإيجاد المأوى لها بعد الوصول، وذلك بتكليف عدد من رجاله للقيام بهذه المهمات المتفق عليها سلفاً قبل الرحيل.

على أن رئيس القافلة لا يتدخل في الشؤون الخاصة لأفراد القافلة خلال السفر وبعد الوصول. بل يترك لهم حرية السمر والصيد والحداء، كما يترك لهم بعد الوصول حرية التجول في المدينة وشراء ما يرغبون من لوازم وهدايا وبضائع، خصوصاً إذا كانت رحلة القافلة لغرض التجارة.

وهو المسؤول أيضاً عن الخُبَر وهي الجماعات التي تطلب مرافقة القافلة، سواء من بداية الرحلة أم أثناء الطريق، وكل خبرة من هذه الخبر في العادة مستقلة بأدواتها ومعداتها، وإنما تكون منازلها قريبة من بعضها، وكل خبرة تصرف على نفسها. لكن إذا جاء شخص وأراد مرافقة الحملة، فيؤمَّن له الغذاء أسوة بالمرافقين على سبيل الكرم من غير مقابل لقاء قيامه بمساعدتهم.

أنواع القوافل

اهتم عرب الجزيرة العربية القدماء بتسيير القوافل، ووضعوا أنظمة لها كما حددوا أنواعها. وكانت أهم القوافل عندهم قافلة التجارة، وقافلة نقل البضائع في الذهاب والإياب، وهو ما يسمى في المصطلح الحديث التصدير والاستيراد. غير أن هناك نوعاً جديداً من أنواع القوافل عرف بعد الإسلام، سمَّوه قوافل الحج حيث لم تعد زيارة مكة قصراً على سكان الجزيرة العربية، بل نظراً لانتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية أصبح المسلمون يتوافدون على مكة المكرمة لتأدية الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج. ومنذ ظهور الإسلام وقوافل الحج تؤم مكة المكرمة من جميع الأقطار في كل عام. وتبدأ هذه القوافل بالمسير إلى مكة المكرمة قبل فترة من موسم الحج لتصل إليها في الوقت المناسب للوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم الحج الأكبر. كما أن هناك قوافل تأتي إلى مكة تحمل من يريدون العمرة والزيارة، وبعد أن ظهرت وانتشرت وسائل النقل



الحديثة قلّت أو انعدمت قوافل الحج والسفر على ظهور الإبل.

ويمكن تقسيم القوافل بشكل عام إلى عدة أنواع، خاصة القوافل التي اشتهرت باسم قوافل العقيلات.

وعلى ذكر العقيلات، فهناك آراء عديدة عنهم وعن قوافلهم وحول تسميتهم بهذا الاسم الذي اشتهروا به. فهناك من يقول إن العقيلات ينتسبون إلى بني عقيل وهم قبيلة كانت تعمر البحرين (الإحساء) وما بين العراق والحجاز أي جميع أطراف نجد الشمالية الشرقية. وهناك من يرى أن العقيلات امتهنوا رحلات القوافل منذ سبعة قرون نظراً لأنهم أهل إبل وخيل وتجارة. ويرى آخرون أن العقيلات ليسوا قبيلة ولكنها رابطة أو هيئة امتهنت الرحلات والتجارة، فكل من يعمل في هذا المجال يُدعى عقيليْ. ويقول الشيخ سليمان بن ناصر الوشمي، أحد العقيلات «إن العقيلات تسمية أطلقت على النجديين الذين سكنوا شمال العراق حيث استعان بهم العثمانيون ضد البادية واستخدموهم كقوة عسكرية، وكان شعار الدولة العثمانية الطربوش وشعار العقيلات الغترة والعقال ومن العقال جاءتهم التسمية» (السويداء ١٤١٦: ٢٠).

وعلى أي حال فالعقيلات فئات متعددة منهم العقيلات أهل القوافل من القصيم. وكانت لهم قوة وسطوة واتصال ومعرفة بحكام الدول والإمارات في نجد وخارج الجزيرة العربية، قبل تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز. وعقيلات الجبل، والمقصود بالجبل منطقة حائل حيث كانوا هم وعقيلات القصيم يمتهنون النقل والتجارة وينظمون رحلات القوافل بمختلف أنواعها، ولا سيما إلى العراق والشام، إضافة إلى رحلاتهم الداخلية للتموين ونقل الحجاج. وقد قويت شوكة عقيلات الجبل في عهد آل رشيد الذين كانت لهم إمارة الحج العراقي في وقت من الأوقات. وهناك من يسمون أنفسهم بالعقيلات من سائر أنحاء الجزيرة العربية لأنهم يرون أن تسمية عقيلي ليست حكراً على أهل القصيم وأهل حائل. ولكن بين العقيلات عموماً نوعاً من التعارف والتعاون لتحقيق مصالحهم المشتركة في مجال رحلات القوافل الداخلية والخارجية. ويتحدث إبراهيم المسلم في كتابه العقيلات عن رحلات قوافل العقيلات وتكوينها وسيرها وإعداد جمالها ورجالها المرافقين فيذكر أن أهل نجد بصفة عامة وأهل القصيم والزلفي



وشقـراء بصـفة خاصـة، أهل تجـارة، وأصحاب قوافل، وقد هاجر الكثير منهم إلى الأقطار الـعربية المجاورة بحثـاً عن الرزق، وبعد الهدوء النسبي الـذي ساد الجزيرة العربية والأقطار المجاورة خلال النصف الـثاني من القرن الثـالث عشر الهجري، واستقرار الكثير من أهل نجد تجاراً فـي الكويت والـبحريـن والزبيـر والبصرة وبغداد والشام ومصر والهند، وعودة الكثير من العقيلات الذين عملوا مع قـوافل الـتجـارة وقوافل الحـجاج والمحاربين في الجيوش العثمانية للاستقرار في مدن القصيـم بعد تعميرها، فتحوا المحلات التجارية وكانـوا يمثلون التجار في تلك المدن. واستمر العقيلات يقومون بتجارة الإبل والخيول التي يشترونها من أسواق بريدة وعنيزة، ومن ثـم يقومون بتـسويقهـا في بغداد والـشام ومصـر، والعودة بـحمولات من المـواد الغذائية والأقمشة والملبوسات ومنتجات الصناعة والزراعة، لبيعهـا في الأسواق بالجزيرة العربية.

وقد عرف المعاصرون من العقيلات تكوينات رحلات الأوائل منهم، وشرحوا كيفيـة خروج القوافل من القصـيم، إذ كانت القافلـة تخرج من القصيم بنحو ٣٠٠-٤٠٠ شراع، وحـرس للقـافلة يتكون من ٢٠٠-٤٠٠ رجل مع الرفق والدلِّيلة وأمير القافلة وحرسه وحاشيـته وعدد من رعايا الإبل تصل إلى ما بين ٢٠٠-٣٠٠ رعيـة، والرعية الـواحدة تـعدادهـا ٨١-٩١ رأسـاً من الإبـل. والحقيقة أن الرعية هـي مجموعة كبيرة من الإبل وليست محددة بين ٨١ و ٩١ رأساً فـقد تقـل أو تزيد، وإنمـا تكون مجموعة واحدة. وعــدد الخيول ما بين ١٠٠-٢٠٠ رأس، وعدد من الرعيـان والملاحيق والخُويا يصل عددهم إلــى ما بين ٤٠٠-٦٠٠ رجل. وإذا نظرنا إلى هذا العدد نجد أن أفراد القافلة مجتـمعة يصلون إلى ما بين ٢٠٠٠-٣٠٠٠ رجل بما فيهم التجار وأبناؤهم وأقرباؤهم. وقد يرافق القافلـة عدد من التجار الذين لا يملكون إلا القـليل من رؤوس الإبل أو الخيل. ثم بدأت أعداد الإبل في القوافل تنخفض بظهور السفن التجارية، ووسائل النقل الأخرى مثل السيارات والطائرات فانحسرت تبعاً لذلك القوافل وعدد أفراد القافلة.

ويتكـون أفراد القافـلة الواحدة من الأمير، والإمام، والخطيب، لتبـصيرهم بأمور دينهم، وأداء فروض الصلاة، إضافة إلى طباخ وسفرجي وقهوجي ومساعدين للطبـاخ والقهوجي ومسـاعدين لنصب



الخيام الشـرع ودلِّيلة لمعرفتهـم بالدروب ورفق من القـبائل التي يمرون بمواطـنهم وحراس ومعدية (١٤٠٥: ٥٩-٦٠).

ويشتري التجار الإبل عادة من أسواق بريدة وعنيزة بالقصيم، ولكل تاجر حوش كبيـر يدخل فيـه ما يشتـريه من الإبل والخيول. ثم يسم التاجر إبله بـوسم أو علامة مـتعارف عليهـا لدى العقيـلات والقبائل العربية.

ويشتري التاجر أيضاً الخـيام حسب قدرته المادية وعدد ما معه من الرجال، كما يشتري معدات الشرع من الأغـطية والفرش والأثاث ومعدات الطهي والمواد الغـذائيـة التي تـلزم خـلال الرحلـة. ويحرص على تأمين القرب (الصملان) للـماء، وأحـواض تصـنع مـن الجلـد والخشب مع محاله ومقام ودلـو وحبال لسقيا الإبل على موارد المياه. كما يشتري أيضاً ما يلزم القافلة مـن حوائج تُحمل على ظهور جمال الـثايه التي تخصص لحمل الشـراع والأمتعة والمواد الغذائـية والمياه وغيرها. ويتوقف عدد الإبل على ما مع التاجر من هذه المواد. كما يشتري أشدة مميزة توضع على الركائب الخاصة بالتـاجر ومن يرافـقه من أفراد عـائلته وشركائه. ثم يستأجر الطهاة والقهوجي والمساعدين، والأشكي وهو المسؤول عن الثايه ومجموعة من الرعيان يحدد عددهم بعدد الرعايا التي يمتلكها. ويكون لكل رعية راعٍ، أما الملحـاق فيكون مسؤولاً عن تجميع الإبل إذا تفرقت في المراعي حتى تظل قريبة. وإذا أراد الراعي تجميع الإبل يصيح بصوت عال مردداً مشياعه للإبل لـتتجمع حـول قَعدتها. والإبل تعرف صوت الراعي، فعندما يشايع لها تتجمع حوله.

ولا بد أن يكون شـراع الأمير مميزاً عن الشُرع الأخرى، فيكون أكبر منها. وقد يكون للأمير شراعان أو ثلاثة، فهو واجهة القـافلة وكبيرهـا، ويجتمع في شراعه كبـار التجار أثناء إقامـتهم على موارد المياه، ويستقبل في شراعه رؤساء القبائل والضيوف. ويدفع التاجر لرئيس القافلة أو قـائدها مبلغاً من المال يـحدد بالاتفاق فيما بينهم، مقابل إمارته للقافلة، وتؤخذ على الإبل والخيل أجور للصرف منها على حراس القوافل ولدفع خاوات ولإكرام الضيوف، ومساعدة المحتاجين ممن يرافقون الرحلة من الـتجار الصغار أو من المعديه الذين يعرفون الطرق إلى أسواق الشام وفلسطين ومصر والعراق، وأجور الدليّلة والرفق، ورسوم الإبل في تعديتها عـلى الكباري والجسور ونقلها على المعديات عبر قناة السويس.



وبعد هذه الاستعدادات والتجهيزات تخرج الإبل إلى المراعي مع الرعيان والملاحيق، وكلما اشترى التاجر شيئاً من الإبل أدخلها إلى حوشه، ووضع عليها علامته أي وسمه، فيأتي الرعيان ليأخذوها إلى حيث بقية الإبل في المراعي. ثم يُضرب موعدٌ للتجمع على أحد الأمواه القريبة من القصيم، كالطرفية مثلاً إذا كانوا يقصدون العراق، أو قصيبا للقاصدين إلى الشام وفلسطين ومصر. وفي المكان المحدد تجتمع القافلة وتبدأ مسيرتها إلى أهدافها. يقول أحد الشعراء مصوراً رحيل إحدى القوافل:

لى سار ركب عقيل جينا نودّع
واعزتا للحال من يوم يمشون
ياقلب لا تبكي ترى النوح يسمع
وتقول الاعدا وش بهم يوم يبكون
هذا مكان الناس والوسم يطلع
وهذا مكان البل والقوم يشرون
مسيرهم للعز والجاه يصنع
بالسيف والمنسف ويوم ان يسيرون
كم قالةٍ لعقيل والسيف يلمع
ضد الاعادي عزّهم يوم ينوون

وقد اعتادت القوافل أن تبدأ رحلاتها في شهور الخريف اتقاء لبرودة الشتاء وحرارة الصيف. وتتجمع القافلة عادة بعد أن يتم سقيا الإبل واستعداد القافلة بالمياه التي تكفي لاستعمالها للشرب والطهي حتى المورد التالي. وتتحرك القافلة يتقدمها مجموعة من الرماة لصيد الغزلان والطيور. وفي المضحَّى وقت القيلولة تقف القافلة وتُنزل أحمال الثايه التي جهزت بمواد الطهي، ويبدأ الطباخون بتجهيز الغذاء والقهوة. ويتوافد القناصون بما معهم من صيد لتناول وجبة الغداء. وتأخذ القافلة بعد ذلك سيرتها إلى حين وجوب الصلاة ما بين الظهر والعصر، وتتوقف لأداء الصلاة، قصراً وجمعاً، بينما يجهز القهوجيه القهوة والشاي وما يحملونه معهم من الحلويات والتمور. ثم تواصل القافلة مسيرتها ولا تتوقف إلا لصلاة المغرب والعشاء قصراً وجمعاً ويتخلل السير تناول القهوة التي تكون مجهزة في الزمزميات.

وتسير القافلة حتى منتصف الليل، ثم تتوقف للمعشَّى. ويتولى الطباخون تجهيز طعام العشاء بينما القهوجية يجهزون القهوة والشاي، والمساعدون يقومون بوضع الفرش والأغطية، والخويا ينزلون أحمال الثايه، والحراس يتولون مهمتهم في حراسة القافلة. ومن الجائز أن تواصل القافلة رحلتها ليلاً تبعاً لقرب المسافة إلى المورد التالي أو بعدها أو جودة المراعي في هذه الأرض أو التي تليها.



وكقاعدة لتوزيع المياه على الموارد، يقوم أمير القافلة بالاتفاق مع أمير القبيلة التي تقطن على المورد بتوزيع الآبار وتنظيم السقيا بحيث يُقام على البئر أكثر من مقام. وتبقى القافلة على الماء حتى تشرب الرعايا التي غالباً ما يكون قد حُدد لها موعد للمورد حسب ما ينظمه أمير القافلة. فاليوم تشرب كذا رعية، ويحدد أسماء التجار، أما بقية الإبل فتنتظر في مراعيها حتى يرسل لها رسولٌ من الأمير.

وإذا اكتمل شرب القافلة تُجهز الرعايا ويضرب لها موعد على أحد الأمواه القريبة. وتسير القافلة بعد استعدادها لهذا المورد البعيد الذي يحتاج إلى مسيرة قد تطول إلى خمسة أو ستة أيام، وقد لا يكون أمامها من الأمواه بعد موردها الأخير مورد قريب. أو قد تكون المنطقة خالية من المياه، إلا ما يكفي لسقيا أفراد القافلة فقط دون الرعايا. أما إذا كانت المنطقة غنية بمياه الأمطار فإن الرعايا تشرب من هذه المياه وتزيد رحلة القافلة من ثلاثة إلى أربعة أيام ما دامت قد شربت وتزودت بالماء.

فإذا شربت الإبل من مياه الأمطار، فإنها تبقى للرعي من أشجار الحمض التي توفر لها الأملاح، ولو استمرت على رعي الحمض لأضر بها وسبب لها إسهالاً. أما القافلة فتنزل أحمال الثاية وتنصب الخيام ويقوم القناصون بمطاردة الصيد. ويبقى أفراد القافلة في نزهة خلوية؛ من شرب من مياه الأمطار، وصيد الغزلان والأرانب البرية، وطيور الحباري. وفي اليوم المحدد يعاد سقيا الرعايا وتملأ القرب وتسير القافلة إلى حيث المورد التالي، الذي قد يحتاج الوصول إليه نحو يومين أو ثلاثة. ويكون أمير القافلة قد استعد لقيادة القافلة عبر متاهات الصحراء، بحيث يحدد نجماً معيناً للسير على هداه حتى يصل بها إلى المورد المقصود.

وقبل الوصول إلى المورد يسير عادة أمام القافلة حوالي عشرة أفراد من الخويا يسمون القلوط يتعرفون على الماء، وعدد المقامات المنصوبة عليه، وهل عليه ورد للقبائل أم لا، ثم يقصدون إلى رئيس القبيلة ليعلموه بوصول القافلة وأميرها، وعدد الرعايا. وإذا كان البئر مزدوجاً يطلب رئيس القبيلة أن تبقى الرعايا، وتحضر القافلة، وعندئذ تنصب خيامها على المورد، ويحضر رئيس القبيلة وكبار التجار إلى مأدبة عشاء في بيته ويحدد موعد ورد الرعايا ونصب المقامات على البئر، ويخرج إلى الرعايا رجّال الأمير ليحدد لهم موعد الورد. وبعد أن ينتهي



سُقيا الرعايا وتتجهز القافلة للمسير يودعون رئيس القبيلة إلى المورد التالي، بعد أن يقدموا له الهدايا.

قوافل التجارة بالخيول والإبل. وعن هذا النوع من القوافل يقول السويداء في كتابه عقيلات الجبل:

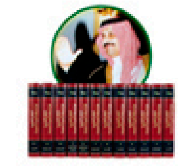
كانت الجزيرة العربية منذ القدم مصدراً رئيسياً للثروة الحيوانية الجيدة من الإبل والخيل والأغنام، وذلك لطيب مراعيها وجودة السلالات الموجودة فيها. فالجواد العربي الأصيل وكرائم نجائب الإبل العربية ذات السنام الواحد بالإضافة إلى الضأن النجدية الجليلة من هذه الجزيرة كانت تُخْرج السلالات الممتازة إلى منطقة الهلال الخصيب العراق وسوريا، ثم مصر والشمال الأفريقي، وكان الذي يقوم بتصدير هذه الحيوانات هم العقيلات. وتأتي الإبل في المرتبة الأولى وذلك لكثرتها وكثافة أعدادها، تليها بالدرجة الثانية الخيول وذلك لعزتها وسمو مكانتها عند أصحابها، سيما وأنها قلعة العربي كما هو معروف، فالعرب لم يتخذوا الأسوار والقلاع وإنما كانت قلعة العربي صهوة جواده كما قال حميد بن الجمال الهلالي:

ونحن ناس بأرضٍ لا حصون لها
إلاَّ الأسنّةُ والجُرْدُ المغاويرُ

ومنذ وقت طويل أورد أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار قوله «وأما البحرين (يقصد الأحساء) فإنهم (أي العقيلات) يصلون إلى باب السلطان وصول التجار يجلبون جياد الخيل وكرام المهاري واللؤلؤ وامتعة العراق والهند ويرجعون بأنواع الحباء والأنعام والقماش والسكر وغير ذلك. ولهم متاجر رابحة وواصلهم إلى الهند لا ينقطع وبلادهم ما بين العراق والحجاز». (هذا الكلام في القرن الثامن والتاسع الهجريين). وكانت تجارة الإبل نجدية وتجارها من نجد (١٤١٦: ٤٢-٤٣).

ويضيف السويداء قائلاً:

إن تجارة الإبل بشكل خاص قد ازدهرت عندما قدمت الدول الغربية إلى المنطقة العربية وبدأت تشتري الإبل لأغراض مختلفة، فقد اشترت بريطانيا في سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م من هذه المنطقة ٢٨٠٠٠ رأس من الإبل والخيول والبغال لغرض النقل في الجيش البريطاني.



وفي الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م) جلب إلى دمشق وحدها ما بين ٣٠٠-٤٠٠ رعية خلال سنة واحدة تتراوح أعدادها ما بين ٢٤٠٠٠-٣٢٠٠٠ رأس من الإبل (١٤١٦ : ٤٤).

ولا بد من الإشارة إلى أن كثيراً من العقيلات قد استقروا في الأقطار العربية وخاصة في مصر والسودان، وقد أشار إلى ذلك أحمد لطفي السيد في كتابه العُلَيْقَات مؤكداً أن العُلَيْقات هم العقيلات (١٩٣٥ : ٨٦).

قوافل التجارة العامة. يرى السويداء أن هذا النوع من القوافل له ثلاثة مستويات؛ المستوى الأول هو أن تكون القافلة كلها ملكاً للتاجر نفسه، حيث يتولى مع مساعديه تجهيز القافلة وقيادتها بنفسه، أو يوكل نيابة عنه من يثق به ويعتمد عليه. ومثل هذه القافلة قد تحمل صنفاً واحداً من البضائع أو عدة أصناف حسب متطلبات السوق. وهذا ما جعل لتجار القوافل الكبار مكانة مرموقة وشهرة عريضة مكنتهم من الاجتماع بالشخصيات المؤثرة في مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة في المناطق التي يغشونها مثل إسطنبول، وفيينا، وباريس، ومصر، وبومباي، وحيدر آباد. وكانوا يشترون من تلك البلاد البضائع المتعددة الأصناف بكميات كبيرة ويعودون بها إلى الأماكن التي انطلقوا منها. والمستوى الثاني هو أن تكون القافلة ملكاً لاثنين أو ثلاثة من التجار ويتولى قيادتها أحدهم. وتحمل مثل هذه القافلة سلعاً رئيسية وعلى مستوى كبير أيضاً، وتباع بالجملة والتجزئة. أما المستوى الثالث فهو أن تكون القافلة لعدد من التجار يملكُ كل منهم مجموعة من الإبل فيها ويتاجر بما يريد من البضائع. ويتولى قيادة القافلة تاجر مفوضٌ منهم ويتصرف باسمهم حتى تصل القافلة إلى غايتها. وتكون مصاريف مثل هذا النوع من القوافل موزعة بنسبة حصة كل تاجر من الإبل، ويكثر التنافس بين هؤلاء التجار في حال العودة من الحواضر العربية نظراً لكثرة الأصناف والأنواع من البضائع التي يجلبونها ويبيعونها لتجار التجزئة بالأسعار التي ترضيهم (١٤١٦ : ٤٥-٤٦).

قوافل النقل العام. تشبه قوافل النقل العام قوافل التجارة من حيث ضخامة عدد الجمال والرجال المرافقين للقافلة. كما أن هذا النوع من القوافل أيضاً له ثلاثة مستويات كما يقول السويداء؛ أولها مستوى يملكه شخص واحد ويكون من المتعهدين الكبار الذين يملكون أعداداً كبيرة



من الإبل جاهزة ومعدة للنقل، وهم يتعهدون بنقل البضائع الكثيرة ولمسافات طويلة، ويشبه عملهم ما تقوم به شركات النقل الكبرى في الوقت الحاضر. وتكون لهم مراكز على الخطوط الطويلة والعامرة، كالطريق الصحراوي بين موانئ الخليج العربي وموانئ البحر الأبيض المتوسط، أو بين المدن الرئيسية في الوطن العربي، وطريق الحج في موسم الحج، ما بين البصرة ومكة المكرمة، أو ما بين دمشق وعمان والمدينة المنورة ومكة المكرمة، وذلك لنقل مئات الآلاف من الحجاج عبر هذه الطرق ذهاباً وإياباً. والمستوى الثاني أن تكون القافلة لعدد من الأشخاص كونوا بمجهوداتهم المشتركة قافلة واحدة يديرها واحد منهم أو أكثر. وهي أقل عدداً وطاقة تقل عن سابقتها ولكنها تقوم بالمهام نفسها، غير أنها تتميز بمرونة أكثر في حركتها وخطوط سيرها المتفرعة إلى مدن ونقاط خارج نطاق القوافل الكبيرة، كنقل البضائع والحجاج. وهذه القوافل بمثابة الشركة المتوسطة في الوقت الراهن. أما المستوى الثالث من قوافل النقل العام فهو الذي يمثل الشركة المساهمة، ويملكه عدد كبير من الأشخاص، كل واحد يسهم بعدد من الإبل المجهزة للحمل تحت قيادة واحدة. ويرافق أصحاب الحصص غالباً إبلهم ليعتني كل منهم بها ويقوم بخدمتها، وتكون هذه القافلة أكثر مرونة من قوافل المستوى الأول والثاني، ولكنها تؤدي مهمتهما. ويفضل الحجاج السفر مع هذا النوع من القوافل لأنها أسرع وتمنحهم عناية أكبر وتكسب رضاهم (١٤١٦: ٥١-٥٢).

قوافل نقل الحجاج. يعتبر نقل الحجاج وحمايتهم وضمان أدائهم فريضة الحج ثم العودة بهم إلى أماكن انطلاقهم من مكان تجمعهم في بغداد والبصرة والكويت ودمشق من مهام القوافل في الماضي. وكانت قوافل الحجاج مثل قوافل التجارة، على ثلاثة مستويات كما في قوافل النقل العام التي ذكرها السويداء. فمنها قافلة كبيرة يملكها شخص واحد على مستوى جيد من الاستعداد والتأهيل، أو تتولاها السلطات الحاكمة مثل سلطة بني خالد في الأحساء أو سلطة آل مهنا وآل أبي عليان في القصيم أو سلطة آل الرشيد في حائل. ويكون حجم مثل هذه القافلة كبيراً جداً ينقل عشرات الآلاف من الحجاج. وقافلة متوسطة ويملكها شخص واحد أو عدة أشخاص ويتولى قيادتها واحد منهم أو أكثر، وتكون مثل هذه القافلة أكثر مرونة



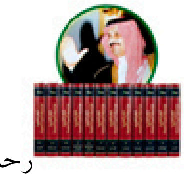
من سابقتها وذلك لعناية أصحابها بإبلهم ومعداتهم واستبدال ما هزل منها أو تلف من معدات الحمل وغير ذلك مما يستلزم سرعة التغيير من أجل راحة الحجاج. ثم قافلة صغيرة نسبياً يملكها العديد من الأشخاص كل واحد يساهم بمجموعة من الإبل بمعداتها وهم من صغار الملاك، وتكون قيادتها لواحد يختارونه منهم. ومثل هذه القافلة تمتاز بالمرونة والعناية كسابقتها لأن الأفراد الذين يملكونها في دور النمو ويحرصون أشد الحرص على العناية بإبلهم وصيانة معدات النقل في سبيل راحة حجاجهم. وفي مثل هذه القوافل يكون لكل حاج هودج أو محمل يركب عليه ويسمى في الحجاز الشقدف، ويأخذ راحته على ظهر البعير الذي يسير به الهوينى طيلة هذه المسافة من مكان الانطلاق إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة. ويكون لكل قافلة من هذه القوافل علم أو أعلام (بيرق أو بيارق) تميز القافلة عن غيرها ويهتدي بها الحاج. ويتبع كل علم ما بين ٤٠٠٠-٦٠٠٠ حاج ينقسمون إلى عدد من المجموعات كل مجموعة (خُبْرَة)، تتكون من ٦-١٠ أشخاص.

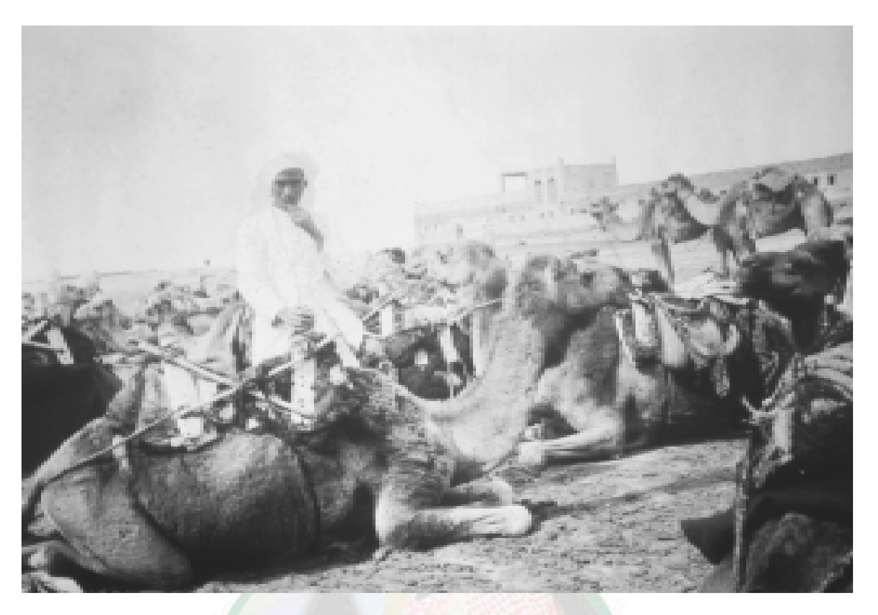
وكان العقيلات بقوافلهم الكبيرة والمتوسطة والصغيرة يتعهدون بنقل الحجاج ولهم تنظيماتهم الخاصة بحيث تأتي المسيرة الرئيسية للحجاج تتبعها شرطة الصيال ويسير في إثر الجميع وعلى مسافة نحو ميلين من المسيرة فيلق من عقيل يحرسون مؤخرة القافلة. وإذا نزلت القافلة شكل عرب العقيلات دائرة حولها لتأمينها من التعديات المفاجئة.

وعندما تحدث الفنلندي والين في كتابه قصة رحلة إلى المدينة ومكة عام ١٨٤٥م عن دخل أمارة آل رشيد في تلك الفترة قال:

> ومنها ما كان من المبالغ التي تفرض على القوافل المارة بالمنطقة للحج أو التجارة وذلك مقابل مرافقتها وحمايتها وتسهيل أمورها ويمثل هذا الدخل حوالي ربع دخل الإمارة. بالإضافة إلى إتاوات الطريق التي تدفع خارج نطاق إمارة حائل بالقرب من مكة المكرمة والمدينة المنورة (السويداء ١٤١٦: ٦٢-٦٦).

الحدرات. هناك نوع من قوافل التموين التي تسمى الحَدْرَات، واحدتها حَدْره كما تسمى الهبيط أو الكيل، واسمها مشتق من الانحدار أو الهبوط للأسواق من موانئ الخليج العربي، كالأحساء والقطيف وعينين (الجبيل) والكويت والعراق إلى مدن البصرة والزبير والسماوة وبغداد والنجف. وقد تذهب





إبل حدرة في ميناء العقير

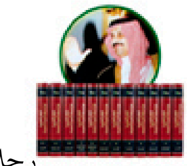
غرباً إلى موانئ البحر الأحمر، مثل ينبع ورابغ ومكة والمدينة. كما تتجه إلى الشام في بعض الأحيان لجلب الحبوب. وهي قوافل مختصة بالبادية والقرى أكثر من غيرهم، وتهتم بالمواد التموينية والأطعمة بصفة رئيسية كالتمور والحبوب. وربما كان معنى الحدرة، هو قدوم القوافل من أمكنة منحدرة وصاعدة إلى نجد.

وللحدرات انطلاقتان رئيسيتان، أحداهما في موسم جداد التمر للاكتيال من هذه السلعة الغذائية المهمة، وهناك المديد من البادية. فبعد جداد النخل تتجه مجموعة من البادية لشراء التمر، ويسمَّون المديد، إلى الأحساء أو الحوطة أو القصيم، ويبعث معهم بعض أقاربهم بعيراً أو بعيرين لشراء ونقل ما يلزمهم. وبعد إحضاره يأخذون حاجتهم منه والباقي يتركونه عند معارفهم من الحضر ويسمى وْضاعه، وكلما احتاجوا إليه حضروا وأخذوا منه، كما أنهم يتركون ما يستغنون عنه أيضاً وضاعه، والحضري يبعث معهم أغنامه أو إبله لترعى وقت الربيع من غير أجر، كما أن البدوي يحضر هدية للحضري من سمن أو إقط. وتكون الانطلاقة الثانية عند الاكتيال من الحبوب بعد تصفية حبوب زرع الشتاء، أي في آخر فصل الربيع وبداية فصل الصيف. بالإضافة إلى رحلات متفرقة أخرى كلما دعت الحاجة إلى ذلك في مدة لا تقل عن شهرين، أو بمعنى آخر



لها معدل من ثمان إلى ست رحلات في السنة بما في ذلك الرحلتان الرئيسيتان. ويقوم بهذه الرحلات أبناء البادية أو أبناء القرى أنفسهم حيث يتولون تجهيز هذه القوافل وقيادتها وحمايتها من نقطة انطلاقها إلى هدفها ثم عودتها. وللحدرة من الترتيب والتنظيم ما للقوافل آنفة الذكر، إلا أن من يشرفون عليها هم أهلها في الغالب. وقد يحتاجون أحياناً إلى الاستعانة برجال من عقيل إذا كانت هذه القوافل ستخترق المنطقة التي يكون للعقيلات جاه فيها، فيعبرونها بمعرفتهم وحمايتهم حتى تصل إلى هدفها وتعود إلى نقطة انطلاقها. أما إذا كانت تحركاتها في مناطق داخلية فإن أهلها هم الذين يتولون حراستها وإرشادها وقيادتها. وغالباً ما تقع لمثل هذه القوافل حوادث نهب وسلب من قبل أعداء متربصين بهذه القبيلة أو تلك، أو أهل هذا البلد أو ذاك، سواء كان هذا العدو سلطة حاكمة أم قبيلة معادية أم من قطاع الطرق.

ويذكر السويداء في كتابه عقيلات الجبل أن قوافل الحدرات تنقسم إلى ثلاثة مستويات؛ مستوى كبير يمثل القافلة الرئيسية التي تنطلق مرتين في السنة لإحضار التمور والحبوب. وتكون مثل هذه القافلة خاصة بأفراد فرع القبيلة الذين يضمهم فريق واحد بما فيهم شيخ ذلك الفرع من القبيلة، ويكون لكل فرد من القبيلة اشتراك في القافلة حسب مقدرته. فمنهم من يرسل معها بعيراً أو مجموعة من الإبل، أو قد يصاحبها بنفسه حيث يحضر من التمر والحب ما يكفيه سنة كاملة أو نصف سنة على الأقل، كل على مقدار حجم أسرته أو مكانته ووجاهته وما ينزل عليه من الضيوف. وتتراوح الإبل في مثل هذه القافلة ما بين ٣٠٠-١٠٠٠ بعير تحمل ما بين ٦٠٠-٢٠٠٠ كيس من الطعام من التمر أو الحب على مختلف أصنافه وأنواعه. ومستوى متوسط يمثل القافلة التي يتراوح عدد الإبل فيها من ١٠٠-٣٠٠ بعير، ويحمل ما بين ٢٠٠-٦٠٠ كيس من الطعام. ومثل هذا المستوى تتكون عناصره من أفراد القبيلة الذين يرتادون مناطق التموين والحواضر لغرض الامتيار والاتجار وجلب السلع التي يحتاج إليها سراة الناس ممن ينفد ما عندهم من مؤنة العام بسبب كثرة الضيوف أو رواد بيوتهم. وهؤلاء دائماً هم شيوخ القبائل والعشائر وأمراء القرى ومن لهم مكانتهم الاجتماعية في القبيلة أو البلدة أو القرية، فهؤلاء دائماً في حاجة إلى الإمداد المستمر.



أما المستوى الثالث فتمثله القوافل الصغيرة التي تقل الإبل فيها عن ١٠٠ بعير، وهي تتخذ للإمداد السريع، سواء بالطعام أو غيره كالقهوة والهيل والقرنفل ونحوه. وهذا المستوى معد غالباً للطوارئ عندما يحتاج الشيخ أو الأمير لشيء من متطلبات الحياة، فينضم إلى القافلة من له حاجة طارئة، فتنحدر القافلة أو تهبط إلى مراكز التموين لتحضر السلع المطلوبة على عجل. وفي الغالب لا يكثر أهل البادية من إحضار الأطعمة إلا إذا خافوا من ارتفاع الأسعار، لأنهم كثيرو التنقل، ويخشون أن يثقل عليهم نقل الطعام مع ما معهم من أمتعة ويجهدهم في النقل، ولا يستطيعون تركه. لذلك فهم يميلون إلى التزود بالطعام عدة مرات في السنة، إلا التمر فإنهم يأخذونه ويخزنون منه كفايتهم في موسمه. أو أنهم قد يلجأون إلى رفاقهم من الحضر حيث يستودعونهم ما يزيد عن نفقتهم من الطعام فيما يسمى الحَضَارْ. ويترددون على رفاقهم الحضر للأخذ من هذا الطعام المودع لديهم بقدر حاجتهم (١٤١٦: ٦٨-٧٣).

قوافل القبائل (الرحيل والهجرة).

لعل قوافل القبائل (راحله ومهاجره) من أقدم الرحلات التي بدأها العربي على الإطلاق. فالمعروف أن هجرات العرب من الجزيرة العربية إلى مختلف البقاع في قارتي آسيا وأفريقيا، بدأت من اليمن بعد خراب سد مأرب. فكانت كل قبيلة ترحل من اليمن لا تجد واسطة للارتحال عبر الفيافي والصحارى الشاسعة إلا الإبل. وعندما بدأت هذه القبائل بالارتحال مرة أخرى من الجزيرة العربية إلى خارجها، كانت الإبل أيضاً هي وسيلتها إلى ذلك. ومن جهة أخرى، فإن كثيراً من القبائل داخل الجزيرة العربية كانت لها رحلات مستمرة من مكان إلى آخر، طلباً للماء والكلأ، أو فراراً من عدوان القبائل الأقوى القريبة منها، أو رغبة في تغيير منازلها إلى منازل جديدة خصبة الأرض وافرة المياه. وقد ظلت هذه القبائل حتى عهود قريبة ترتحل ولا تعرف الاستقرار، حتى نفذ الملك عبدالعزيز مشروعات التوطين فعرف البدو الرحّل نعمة الاستقرار وبناء المنازل وممارسة الزراعة لأول مرة في تاريخهم منذ أقدم العصور.

وكان شيخ القبيلة أو كبيرها إذا رأى أن المصلحة العامة تقتضي ارتحال القبيلة، أمر أفراد قبيلته بالاستعداد للرحيل بكل ما يملكون من إبل وخيل وبغال وحمير ومواشٍ. فتنتقل القبيلة على شكل قافلة كبيرة على ظهور الإبل في رحلة قد تستمر



أياماً أو أسابيع إلى أن تصـل إلى المكان المناسب لتحط رحالها وتبني مضاربها.

وتسمى مجموعة الإبل في حالة ترحال البادية المظهور (الشديد) وجمعها مظاهير إذا كانت بعدد كبير من أفراد البادية؛ قال مدوس الفصام المسعري:

وان جا البراد وهـاضهم برق الوسام
روّوا وطوّوا واعـلن الشيـخ الشديـد
قاد السلـف يبـرى مشـوّرة العـسام
قِبٌّ عـليـها مـن يوصّـلها البعيـد

وتقول بخوت المرية:

ياجماعه لى نويتوا على انكم راحلين
غمغموني عن مـظاهيركم لا اشوفها

وقال عبدالله بن سبيل:

مظـهورهـم كن الطـمامـيع تشـعاه
يتـلي سـلف خـيّال مـن قربـت به

وقال أيضاً:

عزي لـقلبٍ مـن شديد الـعرب بـاه
بـوهة غـريـرٍ بالمـظـامـي رِمَت بـه

وقال صحين بن حويزي الدوسري:

يـاليـت مـظهـوره يبـاري ظَـعَـنّا
يـوم التـقـينـا بـين عـذّال ومْشـيـر

ويقول شالح بن هدلان:

شوري الـى هَجّت تـوالى المظـاهير
شـلفـى علـيـها رايـب الدم قـانـي

كما تسمى الـظعن وجمعها ظعون وهذه الكلمة تستخدم عادة إذا كان معهم أغنام ما عدا قبيلة يام فتستخدمها للإبل.

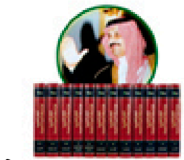
يقول ساجر الرفدي:

ياما حلى يـاخلـيف زوعة ظـعنهـا
وجرد الـسبـايا قايـده قدمـها الخور

ويقول ابن سبيل:



الظعن



البدو هم وظعونهم عذّبوني
هِنّيت قلبٍ لا عرفهم ولا جوه

وقالت وضحا المشعان الحربية:

ياونتى ونة قعود الظعينه
ليا زمّه المعصير واللي يحدّه
لى ركبته خطو الهنوف الحزينه
قالت حلال القوم ما اشين مشده

أما إذا كانت أعدادهم كبيرة كقبيلة كاملة أو فخذ كامل من قبيلة أو عدة أفخاذ ففي العادة يتقدم الركب أصحاب الرأي والمشورة ومن بيدهم الأمر والنهي وتسمى هذه المقدمة السلف، وتتبعها مراكب نساء البادية من الحني والأغبطة وبقية المظهور من الإبل التي تحمل أغراضه كبيوت الشعر وأدواتهم ومستلزماتهم، أما بقية الإبل كالخلفات والعشار واللقحات فقد تكون في المقدمة أو المؤخرة أو على الجانبين وقد تكون بعيدة عنهم يرافقها الجنب، وهم أبناء القبيلة المسلحون لحمايتها؛ قال راكان بن حثلين:

ولا قادنا من يمّة القفر خيال
أصبح شديد البدو عجلٍ رحيله
مد السلف واستجنبوا كل مشوال
والعصر ياما احلى تخييط نزيله

وله أيضاً:

يبراه سلفانٍ إلى ناض بارق
نحت له ولو هو نازحٍ من حدودها

وقال الهذيه الدوسري:

يازينكم يمشي سلفكم واحد
حتى العدو منكم يجيه ذعارها

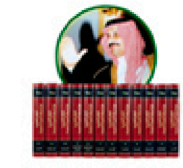
وقال فويران المقابله:

ستين ليله ما يونّي ظعنا
وعشرٍ من الثالث وحنا مدابير
يازين يبرى للتوالي ظعنا
ويرجع علينا جِلّ ذودٍ معاشير

ويقال للبدو عند انتقالهم من منطقة إلى أخرى أنهم حاله وحول يعني متحولين من منطقة إلى أخرى، وجميع هذه المفردات، المظهور والسلف والحول والحاله مفردات عربية صريحة؛ فالمظهور كما ورد في اللسان لابن منظور مأخوذ من الظهر أي الإبل التي يحمل عليها ويركب، وعند فلان ظهر أي إبل ومنه الحديث: أتأذن لنا في نحر ظهرنا؟ أي أبلنا، وتجمع على ظهران بالضم، وفلان على ظهر أي مزمع على السفر، وأورد الشاهد:

لو يستطيعون الرواح تروحوا
معي أو غدوا في المصبحين على ظهر

أما عن السلف فقال: جاءني سلف من الناس أي جماعة وجاء القوم سلفة سلفة أي إذا جاء بعضهم في أثر بعض، وسلاَّف العسكر أي مقدمتهم، وسلفت القوم وإنا أسلفهم إذا تقدمتهم. والسلوف



الناقة التي تكون في أول الإبل إذا وردت الماء وسلاَّف جمع سالف للمتقدم والقوم السلاَّف المتقدمون في السير، وأورد قول قيس بن الخطيم:

لـو عـرَّجـوا سـاعـةً نُـسـائـلـهُـمْ
رَيْـث يُضَـحِّـي جِـمالـهُ الـسَّـلَفُ

وعن الحول يقول: الـتحول التنقل من موضع إلى موضع آخر والاسم الحِوَل والحوِيل وأنشد اللحياني:

أُخِـذَتْ حَمُـولَـتُهُ فـأصـبـح ثاويـاً
لا يـسـتـطـيع عـن الـديار حـويـلا

ويذكر موزل في كتابه أخلاق الروله وعاداتهم أنه شاهـد شديد قبيلة الروله بقيادة شـيخهم نواف بن شعـلان وكان عرض جبهة الـشديد يقرب من ثلاثين كيلومتراً.

وكما هو الحال مع القوافل التجارية وقوافل النقل العام، كانت قوافل القبائل تواجه الأخطـار والمشاق، ولهذا كانت تعتمد على فـرسانها للدفاع عنها وعن حلالها خلال تلك الرحلات.

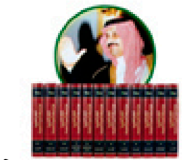
ولا شك أن رئيس القبيلة أو شيخها حريص على أمن قبيلته وسلامة رحلتها، ومن أجل ذلك لا بد أن يضع ترتيبات الرحلة قـبل بدئها، فـيـوزع المهام على مجموعـة من رجالها كما هو مـعروف في استعدادات قوافل الرحلات الأخرى، بل يمكن القول إن قوافل الرحـلات في العصور المتأخرة ما هي إلا صورة طبق الأصل لرحلات الـقبائل وإن اختلفـت الأهداف والمقاصد.

وباستعراض مـا سبق نجد أن الإبل قديمـاً وحديثـاً حتى ظـهور السيـارات والناقلات كـانت العمود الفقـري لحياة العربي في الجزيرة العربية، ولولا الإبل لما استطـاع هذا الإنسان البقاء فـي هذه الجزيرة وتأمين متطلـبات حياته العديدة في بيئة صعبة قاسية وموحشة.

المتطلبات الأساسية لرحلات القوافل

كان لا بد لرحلات القوافل من توافر أركان أساسية، سواء أكانت هذه القوافل كبيرة أم صـغيرة، حتى تُحقـق الرحلة النجاح المطلوب، وتـؤدي مهامها بيسر وسهولة. فالقافلة أشبه ما تكون بالجيش الذي يحتاج إلى التنظيم الدقيق والإدارة الحازمة والجنود المخلـصين، إضافة إلى العُدَد اللازمة والـتموين، وأخذ جميع الاحتياطات والاحتمالات في الحسبان.

وتختلف متطلبات القافلة الكبيرة، من حيث الكم والكيف، عن متطلبات القافلة الصغيرة، ولكن الأساسيات تبقى بمثابة القاسم المشترك الأعظم لجميع أنواع القوافل. فإذا كانت القافلة كبيرة؛ قافلة



نقل أو تجارة مثلاً، احتاجت إلى عدد أكبر من الرجال والأسلحة والخدمات والتموين وغير ذلك. وإذا كانت القافلة حدرة مثلاً فإنها تحتاج إلى عدد أقل من الرجال ولكنه عددٌ كاف ومناسب لتأدية المهمة، كما تحتاج إلى خدمات وتموين أقل مما يجب أن يتوافر لقوافل الرحلات الكبيرة.

وقد أورد السويداء في كتابة عقيلات الجبل معلومات عن أحجام هذه القوافل ومتطلباتها من الرجال والأسلحة والأدلاء، وغير ذلك، فذكر أن من أسس الترتيب والتنظيم التي تكفل للقوافل النجاح وبلوغ الهدف المنشود، انتخاب شيخ أو أمير للقافلة، تسير القافلة بإمرته، ويطيع الجميع أوامره وينقادون لها دون توان أو اعتراض، إلا إذا طلب منهم المشورة في أمر من الأمور وإلا فإنهم يظهرون له كل احترام. وتكون للأمير صلاحيات واسعة على هذه الرحلة ورجالها، وهو يتحمل ما يترتب على تصرفه من تبعات، وعادة لا يكون أمير الرحلة أو شيخها إلا من الرجال المجربين الذين يتمتعون بالرزانة والحكمة والحنكة والأخلاق الحسنة والحزم والروية والشجاعة وغير ذلك من الخصال التي تؤهله للقيادة. أما التجار الأجانب فإنهم يزورون شيخ القافلة ويتحفونه بهدايا صغيرة من قماش أو غيره، ثم يتفقون معه على تكاليف النقل والمبلغ الذي يدفعونه عن حمل كل بعير من السلع والمبالغ التي يدفعونها عن ترحيل أشخاصهم وخدمهم والمرافقين لهم. ومن ثم يقوم الشيخ ومجلسه بتقدير المصاريف اللازمة للرحلة والأعداد المطلوبة من الجمال والحرس والمرافقين وتقدير أجورهم ورسوم المرور وتكاليف الهدايا التي تدفع لشيوخ القبائل التي يعبرون أراضيها أو يمرون عند حدودها. وبمعنى آخر يعدون ميزانية الرحلة من كل جوانبها.

إن أمير القافلة أو شيخها يقوم بمهمات ليست سهلة مثل إدارة شؤون القافلة والاهتمام بالحراسة، والتعامل مع شيوخ القبائل لكسب ودهم، والتفاهم مع أصحاب الموارد التي تمر بها القافلة، وتنسيق ورود قافلته على الماء، وتقديم الهدايا لأصحاب الماء، وترتيب أمر الورود فيما لو وجد على الماء قوافل أخرى، وما إذا كان الماء كافياً أو يجب أن يتعدوه إلى مورد آخر أوفر منه ماء، وغير ذلك من المهام التي توكل إليه. وكل ذلك يؤديه أمير القافلة أو شيخها دون أي مقابل إلا لمجرد أنه أمير القافلة أو شيخها؛ فيكتفي بالسمعة فقط.



وإذا كانت القافلة كبيرة احتاجت إلى أعداد كثيرة من الرجال من الحراس ورجال الخدمات للتحميل والتنزيل. أما إذا كانت لتجارة الإبل والخيول فإن الخدمات فيها تنصب على الرعيان ومن يقومون بعملية السقي. فقافلة تتكون من ٥٠٠-٧٠٠ خيمة أو شراع يتكون حرس القافلة فيها من ٤٠٠-٦٠٠ رجل، وعدد مماثل من الرجال للخدمات. وقافلة تتكون من ٣٠٠-٤٠٠ خيمة تحتاج من الحرس إلى عدد يتراوح ما بين ٢٠٠-٤٠٠ رجل، وعدد مماثل للخدمات. وكلما ارتفع عدد الخيام في القافلة احتاجت إلى حراس أكثر، ويقل هذا العدد طردياً كلما انخفض عدد الخيام. أما بالنسبة للقوافل التي بضاعتها الإبل والخيول فإنها تقسم إلى رعايا؛ فقافلة تتكون من ٢٠٠-٣٠٠ رعية، تتكون الرعية فيها حسب التقسيم من ٨١-٩١ رأساً من الإبل، منها ٨٠ أو ٩٠ رأساً من الإبل العادية والعدد الفردي هو القعده وهي مطية الراعي، وقد تكون الرعية أقل كما ذكرنا آنفاً. فمثل هذه القافلة تحتاج من الرعيان والملاحيق والخويا أو الحرس إلى عدد يتراوح ما بين ٤٠٠-٦٠٠ رجل، وكلما زادت أعداد رعايا القافلة من الإبل، زاد عدد الرجال الذين تحتاج إليهم. غير أن الخيول تحتاج إلى رجال أكثر وذلك لحاجتها إلى الماء. وتتراوح رعايا الخيل من ١٠٠-٢٠٠ فرس وبذلك تحتاج إلى ضعف عدد الرجال والإبل التي تحمل الماء للخيل في المحالات أي الرحلات المتواصلة. ويحمل الماء للخيل في الروايا على ظهور الإبل، مع مراعاة أن سير القوافل التي معها خيول يكون بطيئاً نظراً لقصر المسافة التي تقطعها الخيل يومياً ولحاجتها إلى الماء. وتنتظر مثل هذه القوافل هبوب الرياح الموسمية في البحار الهندية، وعند ذلك يدفع تجار الخيل ورعاتها بالخيول عبر المسارات الشمالية ويقطعون بها سبع عشرة مرحلة حتى يصلوا بها إلى الكويت، ويسوقون معهم في رحلتهم إبلاً تحمل لهم ولخيولهم مياه الشرب التي يحتاجون إليها من الموارد التي يمرون عليها. وبذلك يتضح أن القوافل التي تكون تجارتها الخيول هي أصعب من التي معها الإبل نظراً لأن الإبل تتحمل الظمأ والسير لمسافات طويلة دون الحاجة إلى الماء.

وكذلك تختلف القافلة التي تحمل البضائع عن القوافل التي تحمل الحجاج الذين تتراوح قوافلهم ما بين ٢٠٠٠-٣٠٠٠ فرد وقد تزيد عن ذلك. فمثل



هذه القافلة الكبيرة تحتاج إلى حوالي نصف هذا العدد من رجال الخدمات الذين يعملون في التحميل والتنزيل والسقيا على الموارد. فإذا افترضنا أن مع هذه القافلة حوالي ثلاثة آلاف بعير، فالمورد الذي يكفيهم من الماء يكون عادة على مراحل، وتستمر عملية السقي بالليل والنهار على مدار الساعة بحيث تروى إبل القافلة ويأخذ الرجال ما يحتاجون إليه من الماء في قربهم وروايهم. كما أن مثل هذه القوافل الكبيرة تحتاج إلى العديد من الحراس.

أما القوافل التجارية فإن الجند المرافقين لها يتناسب عددهم طردياً مع حجم البضائع التي ينقلونها وقيمتها، حيث تضاف تكاليف الحُراس ومصاريفهم إلى قيمة البضائع، وغالباً ما يكون لحمل كل بعير من القماش رجل مسلح واحد يحرسه. أما إذا كان المتاع المحمول من السكر أو البن وما إلى ذلك من السلع الأدنى سعراً، فيقوم حارس واحد بحراسة بعيرين. ولا يقل عدد الحراس المصاحبين لقوافل التجارة عن مئة حارس بالإضافة إلى شيوخهم. يضاف إلى ذلك عدد كبير من الرجال يعرفون بالجمَّالة مهمتهم العناية بالإبل. وتتراوح أعداد الإبل في قوافل التجارة ما بين ١٢٠٠-٥٠٠٠ بعير، وغالباً ما يكون ثلث هذا العدد محملاً بالسلع وثلثه الآخر لركوب التجار والمسافرين والثلث الأخير للأحمال مما يخص رجال القافلة من خيام وأوانٍ وأطعمة وغيرها.

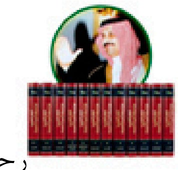
ويتناسب عدد الرجال المسلحين لحماية القافلة مع حجم القافلة. فكلما كانت القافلة كبيرة احتاجت إلى عدد أكبر من الرجال المسلحين؛ وكلما كانت القافلة ستمر في مناطق خطرة احتاجت لعدد أوفر من الرجال المسلحين. وكذلك تعتمد حماية القافلة على نوع البضائع التي تحملها، فإن كانت سِلَعاً ثمينة فإن القافلة تكون عرضة لأطماع الطامعين فتكون حاجتها إلى حراسة مشددة أكثر. أما في الأحوال العادية فإن الأمر يكون أهون بحيث يخصص لكل بعيرين رجل واحد يحرسهما. ويتخذ الحُراس غالباً من الشباب والكهول الخفيفين الشجعان الذين لهم معرفة بالطرق وعادات وتقاليد القبائل التي يمرون بأرضها وطبائع أفرادها. ويتم الاتفاق معهم في كل رحلة على أجر معين بحيث يكون هذا الأجر خارجاً عن مصاريف الطريق من الأكل والشرب. ويتم الاتفاق على الأجر إما ذهاباً وعودة أو ذهاباً فقط. وتتراوح الأجرة ما بين ٥-٨ جنيهات ذهب للرحلة



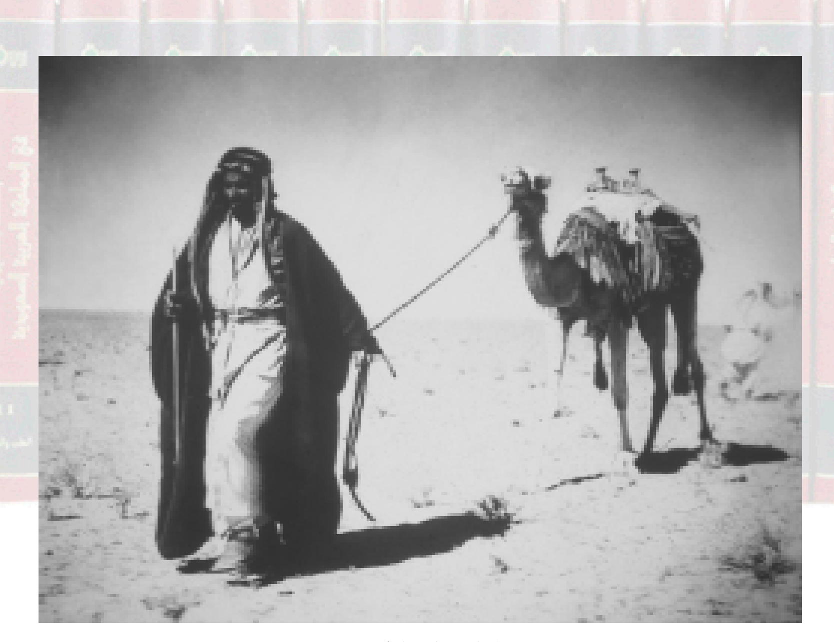
الواحـدة، وقد تكون الأجـور بالنقـود الفـضية كـالريال الفـرانسي أو إحـدى العملات الأخرى. فـقد بلغت الأجرة من القصيم إلـى عمان للفرد ١٥ ريالاً فرانسياً وبلـغت أجرة الرجل من حائل إلى عمـان ١٢ ريالاً فرانسيـاً. كما أن الأجرة إذا كانت بالشهر تتـراوح ما بين ٥–٨ ريالات، والرحـلة قد تبلغ أكـثر من شهر. وقـد تزيد الأجرة أو تنقص حسب العرض والطلب وكفاءة الشخص ونوعية الحملة. أما القوافل التـي تكون البضاعة فيها الإبل أو الخيل فإنها بحاجة إلى رجال الخدمات أكثر من حاجتها إلى رجال الحـراسة المسـلحين، لأن الإبـل أخف حركة من قافلة الأحمال وبذلك تقطع المسـافة في وقت أقصر. كما أن الخيل تحـتاج إلى خدمات أكثـر خاصة فيما يتعلق بسيرها وحذوها وتعهدها بالماء والعليق.

وهؤلاء الرجال المسلحون يؤمن لهم السلاح مـن قبل التـجار المتعهـدين أو أصحـاب القـوافل الكـبيـرة من كبـار الناقلين، أما أصحاب القوافل المتوسطة والصغيرة فغالباً ما يؤمن الحارس سلاحه بنفسه، غير أن صاحب القافلة يؤمن لهم الذخيرة أو يعطيهم مبالغ معينة ليشتري كل واحد منهم ذخيرة لبندقيته، خاصة بعد أن تعددت أنواع البـنادق في الفترة الأخيرة. وكان سلاح مصاحبي القوافل قديماً يشمل السيف والرمح والنبال ولكن بعد اسـتخدام السلاح الـناري، أصبح يتكون من المسدس أو البندقية الـصغيرة والبندقية الكبيرة ذات الفتيل، بالإضافة إلى الـسلاح الأبيـض وهو الخنجـر أو السكين التي لا تفارق حزام البطن ومعها الذخيرة للبندقية ذات الفتيل، وهي ملح البارود وكريات القصدير وفتائل الإشعال وزناد القدح وخرق إشعال النار وقطعة من حجر الـصوان. وكل رجل مسلح يحوي حـزامه هذه العناصـر ويجهزها ويستعملها في أسرع وقت ممكن. هـذه الذخيرة كانت لذات الفتيل والبندقية التي جاءت بعدها وهي مـطورة منها تسمى القبـسون أو المقمع أو الـسليمي وذات الأصبع والريفل ثم العصملي ثم الشرفا وهذه لها طلقات. ثـم تغيرت الذخيرة وأصبحت على هيئة أصابع تسمى فشقْ أو جبخان أو قفوشْ وتسمى فقوشْ عندما تكون الطلقات فارغـة، وأصبح الرجل المسلح يتمنطق بحزام مرصوص بقذائف من ذخيرة الأسلحة.

أمّا الأدلاّء والمـعرّفـون فإن حـسن اختيـارهم من العنـاصر المهمة لـنجاح رحلات القـوافل؛ فهم الذين يـعرفون



مسالك الطريق خاصة في الصحراء التي لا يوجد بها معالم واضحة، أو في رمال النفود التي تنعدم فيها الأعلام والجبال خاصة في السرى ليلاً وبالأخص في الليالي التي تكون فيها السماء ملبدة بالغيوم، أو يكون هناك قتام وغبار في الجو يحجب رؤية النجوم التي يستدل بها سراة القوافل تحت جنح الظلام. في مثل هذه الأحوال الجوية تقع على عاتق الدليل مسئولية القافلة بكاملها. فهو إما أن يهديها ويدلها إلى الطريق الصحيح، ويوصلها إلى موارد المياه، أو أن يضيعها ويؤدي بها إلى المهلكة. وقد تحدث أوضاع غير الظروف الطبيعية المشار إليها بأن يكون هناك خطر على الطريق المعروف من غزاة قد كمنوا للقافلة من غير رجال القبيلة التي يمرون بأرضها، فيضطر أمير القافلة إلى تغيير مسارها إلى طريق آخر ليتجنب هذا الخطر. وهنا تأتي أهمية الدليل حيث يطرح عدداً من الخيارات لسلوك أكثر من طريق يوصل القافلة إلى الطريق الآمن دون أن يعرضها لذلك الخطر الكامن لها، أو أن تكون لدى أمير القافلة خطة بتجنب مراكز تحصيل الرسوم فيسلك طريقاً مغايراً للطريق المعروف ليتحاشى دفع الرسوم. وهنا يبرز دور الدليل، فالدليل مهم جداً للقافلة وعليه اعتماد كبير. ويمتاز الأدلاء بدقة الحدس وصواب الرؤية ومعرفة الأرض بأعلامها من الجبال والهضاب



الدليل أو المُعرّف



والقارات والحزون والحزوم والأودية، أو معالمها الفارقة التي توضع على الطريق والأشجار وغير ذلك. ليس هذا فحسب بل إنهم يعرفون وجهة السير ليلاً ونهاراً، ففي النهار يسترشدون بالشمس، أما في الليل فيستدلون بالنجوم والكواكب. وفوق ذلك فإن بعض الأدلاء يعرف حتى تراب الأرض التي يمرون عليها سواء باللمس أو الشمّ. وقد اشتهر عدد من الأدلاء في هذا المجال، وكان أحدهم يأخذ ملء قبضة يده من تراب الأرض ويفركه بكفه ثم يشم رائحته ويقول «نحن في الأرض الفلانية»، أو يستدل عليها بالنبت والشجيرات التي تنبتها تلك الأرض. وهكذا فإن أهمية الدليل في القافلة تجعله بمثابة البوصلة لبحّار السفينة، وتحتاج كل قافلة على الأقل إلى دليل واحد وربما أكثر من واحد. ويعطى الدليل من الأجر ما يرضيه ويجعله متوافقاً مع هذه القافلة راغباً في صحبتها والسير معها.

أما الفئة الثانية من هذه العناصر فهم فئة المعرّفين (السيّر) وهم رجال لهم مكانتهم في قبائلهم، بما لهم من علاقة مع شيخ القبيلة أو هم ممن يرشحهم شيخ القبيلة أو ممن يثبتون لشيخ القبيلة فعاليتهم وحذقهم وجدارتهم. وعلى كلٍ فشيخ القبيلة مستفيد من وجود أحد أفراد قبيلته مع هذه القافلة أو تلك، لأنه يجلب للشيخ المزيد من الهدايا بالإضافة إلى الإتاوة التي يحصل عليها الشيخ. ولهذا فإن لوجود المعرّفين من القبائل في القوافل مردوداً مادياً ومعنوياً لكلا الجانبين. فالمعرّف نفسه مستفيد مادياً بالأجرة التي يقبضها ويعطي جزءاً منها لشيخ القبيلة، ومعنوياً بمكانته بين أفراد القافلة. والقبيلة مستفيدة مادياً بما يصل إلى شيخها من هدايا وأموال، ومعنوياً بشعور من يعبرون أراضيها أنهم في كيان تلك القبيلة وتحت مظلة شيخها ومعرفة أحد أفرادها. وأما التجار فهم أيضاً مستفيدون مادياً بضمان مرور بضائعهم وممتلكاتهم وأرواحهم بأمان وسلام، ومعنوياً بأنهم على علاقة طيبة مع مجموعة من شيوخ هذه القبائل التي يمرون بأراضيها عدداً من المرات في السنة. وتصبح علاقة بعضهم ببعض حميمة، ويعتبر التجار أن ما يدفعونه من أموال لهذه القبائل، سواء لشيوخها أم معرفيها، مبالغ ضئيلة تُحسب من ضمن المصاريف وتُضاف على أثمان البضائع. وعند دخول القافلة أراضي القبيلة، يرفع المعرف أو الرفيق من هذه القبيلة علماً معيناً أو إشارة معينة تخص هذه القبيلة ويعرفها أفرادها. وعندئذ لا



يعترض أحد هـذه القافلة، وإن اقترب منها أحـد فإن المعرف أو الرفيق يـنادي بأعلى صـوته أن هذه القافلـة في وجه فلان الفلاني، ومن ثم يكـف من أقدم على الـقافلة ويتراجـع. ويندر تعرض القوافل للسطـو مع وجود هؤلاء الرفق أو المعرفين الـذين هم من أبرز القبـائل التي تنزل فـي تلك الصحارى أو على أطرافها. كما أنهم يحتفون بشيوخ القبائل ويقدمون لهم الهدايا. ويتخذ الرفقاء من مخـتلـف القبـائل مـثل شمـر وعنزة والشرارات والحويطات وبني عطية وبني صخـر والظفـير ومطيـر وغيرهـم من القبائـل. وتحتاج كل قافلة إلـى معرف واحد من كل قبيلـة، فإذا تصورنا عدد هذه القوافل التي تجوب تلك الصحارى ذاهبة وآيبة على مدار السنة، أدركنا مدى الحيوية والتفاعل والمصلحة المشتركة التي تجري على أرض هذه المنطقة الحيوية.

ولا غنى للقافلة عن رجال الخدمات الأخرى ولذلك تولي القوافل هذا الجانب اهتماماً خاصاً لما له من أهمية. فهؤلاء الرجال هـم عصب القافلـة الذي يشد هيكلها، والقوة الفعالة التي تبعث فيها الحيوية والحركة. ومن غيرهم لن تبرح القافلة مكانها، فهم الذين يشدون أحمال البضائع على الإبل وينزلونها عنها، وهم الذين يتولون سقيا الإبل ورعـيها، كما يتولون أداء الخدمات لرجال القافلة من نصب الخـيام وتقويضـها عند الرحـيل وتحميلها، وإعداد القهوة والشاي وإعداد الطعام، وغير ذلك من الخدمات. ولهذا نجد فئـاتهم تشمـل الرعيان والملاحـيق والقُلُوط والجـمالين والرواة والقهوجيـة والطباخـين والمناديب والأئمة والخطبـاء والحدادين.

والرَّعْيَان هم الذين يتولون رعي الإبل والاهتمام بها وإيرادها الموارد، وعزل كل رعيـة وحدها، والمَـلاَحِيْـق وواحدهم مِلْحَاقْ يساعدون الرعاة في تجميع الإبل، ويكون مكانهـم في الغالب في مؤخرة الرعايا وعلى جوانـبها لإلحاق المتخلف وإعادة الناد (المتـقدم) منها بينمـا يكون الراعي في مقدمتها، ويتولى القُلُوطْ أو السُّبُورْ مهمة رجال الاستطلاع، يرسلهم أمير القـافلة أمام القافلـة قبل انطلاقها ليستطلعوا ويسبروا الطريق ويكتشفوا إن كان هناك مـخاطر في الطريـق، أو أي معلومـات عن الطريق المراد سلوكـه أو المورد المقصود وروده. ثم يعودون ليخبروا الأمير بمـا رأوه أو سمعوه قبل انـطلاق القافلة. ويتولـى الجَمَّالون تحميل الإبل عند انطلاقها وإنزال الأحمال عنها عند إناختها للراحة أو الإقامة، والعناية بالإبل



وأدوات الحمل من أشدة وحدائج ومسامات وهوادج ومحامل وأوثار وحبال، وتفقُّد هذه الأدوات وإصلاحها وصيانتها وعلاج آثارها في الإبل وغير ذلك مما يتعلق بعملية التحميل والتنزيل، ونصب الخيام وتقويضها ولفها ثم تحمليها. وهناك الرواة وهم الذين يتولون نقل الماء لأفراد القافلة، خاصة القوافل التي تجارتها الخيل، فإن الرواة يمثلون الثقل في عدد رجال القافلة. أما في القوافل الأخرى فهم الذين يقومون بمتح الماء من الآبار وسقي الإبل وتأمين الماء للقافلة في الروايا.

ثم يأتي دور أصحاب القهوة (القهوجية) الذين يتولون صنع القهوة وإدارتها، وأحيانا يُنتخب من كل فرقة أو مجموعة واحد منهم يصنع لهم القهوة ويديرها عليهم. يضاف إليهم الطباخون الذين يقومون بإعداد الطعام لرجال القافلة أو لأكبر عدد منهم. ويسمى الطباخون وأصحاب القهوة رجال الثايه. وتكون لدى الطباخين أوعية الطعام ومصروف القافلة، ورئيسهم هو المسؤول عن ذلك.

أما إمام القافلة وخطيبها، فتكون مهمته الأذان وأداء الصلوات برجال القافلة وتبصيرهم بأمور دينهم. كما يقع عليه العبء الأكبر في تقريب وجهات النظر بين الطرفين المختلفين في البيع والشراء في حالة اختلافهم، ومدى شرعية البيع وصحته. كما يقوم بتدوين المبايعات والعقود والرسائل التي يوجهها أمير القافلة إن كان الأمير لا يجيد القراءة والكتابة. ويبقى من مجموعة مرافقي القافلة الرسل أو المندوبون (المناديب)، ويسمون المناجيب وهم النجّابون (واحدهم نجّاب)، يكلفهم أو يرسلهم أمير القافلة إلى من هم في طريق القافلة من شيوخ القبائل أو المشرفين على موارد المياه، وذلك لتنسيق ورود القافلة في اليوم المحدد، أو لإيصال رسائله إلى شيوخ تلك القبائل فيما لو وقع خصام مع أفراد من هذه القبيلة أو سوء تفاهم حول موضوع معين. وأخيراً الحدادون، الذين يرافقون القافلة التي معها خيل بصفة خاصة، ويكون مع القافلة حداد واحد أو أكثر حسب حجم القافلة، وذلك لحذاء الخيل عندما تمر بأرض خشنة خشية إصابتها بالحفا أو ملاحظة حذاء الخيل كلما نسعت وتآكلت استبدلها.

وهكذا نلاحظ أنه ليس هناك اختصاص من هذه الاختصاصات إلا ويقوم به الموكّل به، ولكن يمكن لكل من بالقافلة أن يؤدي ما يوكل إليه ويطلب منه وإن لم يكن من عمله، ليس بأمر



أمير القافلة فحسب، بل انطلاقاً من روح التعاون والتكاتف والتفاني للوصول إلى الهدف المنشود (١٤١٦: ١٧٨-١٩٤).

يوم من رحلة قافلة

أشرنا آنفاً، في حديثنا عن أنواع رحلات القوافل، إلى أن بعض قوافل النقل تكون كبيرة جداً من حيث عدد الإبل وعدد الرجال المرافقين لها، إذ قد تبلغ إبل القافلة حوالي خمسين ألف جمل، وعدد المرافقين حوالي عشرين ألف رجل لخدمة القافلة وحمايتها، وكان ذلك في زمن مضى لم يكن يتوافر فيه الأمن والأمان. ومن الطبيعي أننا لن نسجل يوماً في رحلة قافلة من هذا النوع، ولكننا سوف نتحدث عن يوم في رحلة قافلة صغيرة للتموين (حدره) لا يزيد عدد إبلها عن رعية واحدة أي ما يقرب من مائة بعير. كما لا يزيد عدد المرافقين عن ١٠-١٥ مرافقاً بما فيهم رئيس القافلة وخاصته والرعاة وأصحاب الخبر.

ومثل هذه القافلة (الحدره) قد تكون رحلتها داخلية أو خارجية قصيرة، من نجد مثلاً إلى العراق أو إلى اليمن أو الحجاز. ولا تستغرق مثل هذه الرحلة في الحالين أكثر من أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. وتختص مثل هذه الرحلة غالباً بنقل المؤن في الذهاب والأياب. فهي تنقل بعض أنواع التمور والجلود والملح والسمن والإقط والصوف وغيره، من نجد إلى العراق أو اليمن. وتعود محملة ببضائع أخرى كالقمح والأرز (التمّن) وغير ذلك مما يتوافر في الموانئ البعيدة عن نجد. فعندما يُعلن صاحب قافلة من هذا النوع أنه سيذهب إلى جهة ما لجلب المؤن، فإن من يملكون الخمسة جمال أو العشرة جمال أو أقل يطلبون من صاحب القافلة الرفقة (الصحبة) في هذه الرحلة للغرض نفسه. ولا يرفض صاحب القافلة في الغالب طلبهم لأنه يريد أن يزيد عدد القافلة ليشعر المسافرون بالاطمئنان والونسْ. ويسمى هؤلاء الذين يطلبون الانضمام إلى القافلة بجمالهم الخُبَر، وكل مجموعة منهم تسمى خبرة. ولكل خبرة مسؤول ومرافقون وخدم. وتخدم الخبرة غالباً نفسها بنفسها، ويكون طعامها وخيامها وجمالها منفصلة شكلياً عن القافلة، ولكنهم تحت إمارة واحدة أو رئيس واحد هو رئيس القافلة أو كبيرها، الذي يتمتع بصفات الرجل العاقل الرشيد المجرب. ولذلك فإن أصحاب الخبر، أي المجموعات الصغيرة يطيعونه ويعملون برأيه في الحل والترحال ولا يعارضونه أبداً لأنهم يعلمون أن



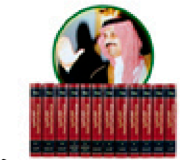
حرصه عليهم وعلى جمالهم كحرصه على رجاله وجماله.

ومن ناحية أخرى قد ينضم إلى هذه القافلة، سواء من بداية الرحلة أم خلال الطريق، مسافر لأي غرض مثل طلب العلم أو للبحث عن عمل في الجهة التي ستسافر إليها القافلة، وفي هذه الحالة لا يمانع رئيس القافلة من قبوله معهم، بل قد يتعهد بتأمين طعامه والصرف عليه تكرماً أو طلباً للأجر والثواب.

وفيما يلي تسجيل مختصر ليوم واحد من رحلة هذه القافلة (الحدره) وسوف نضيف إلى هذا السجل، بعض المصاعب أو المشكلات التي قد تعترض مسيرة القافلة، وهي في الواقع مصاعب ومشكلات قد تعودها الجمّالة كثيراً خلال رحلاتهم.

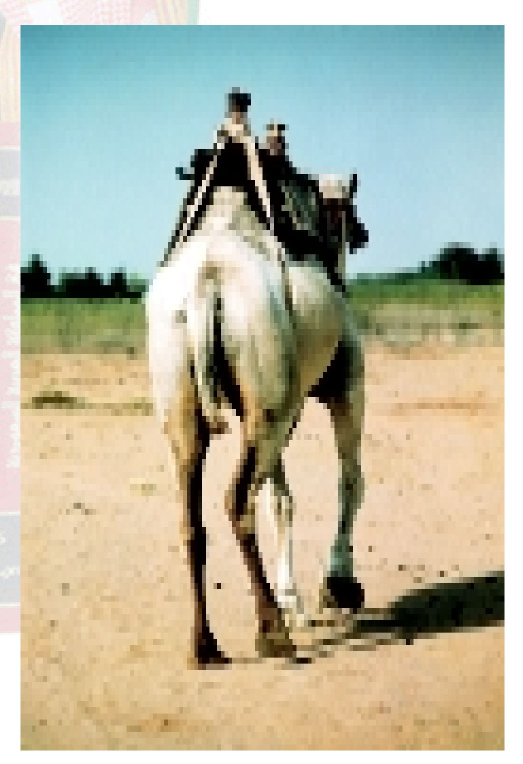
يبدأ يوم الجمَّال من قبل أذان الفجر، فيستيقظ صاحب الإبل ويوقد النار ويعمل القهوة ثم يعمد إلى إيقاظ مرافقيه ويأمرهم بتنشيط أو (دك) الإبل من المراح لتقف وتفتح أرجلها وتتباول، والجماعة يشربون قهوتهم بسرعة. ثم يُحضر كل بعير إلى حمله، وبعضها يعرف مكانه فيبرك بين الأكياس ثم يبدأ الشيل أو الحمل بأن يتقابل شخصان ويمسك أحدهما بذراع الآخر، واليد الأخرى لكل منهما ممسكة بأسفل الكيس ثم يحملانه ويضعانه على جنب الناقة. وفي المقابل شخصان آخران يعملان مثلهما ثم تُدخل العيون (القلاوي) في بعضها وتلمظ بالملماظ أو الشظاظ. وفي بعض الأحيان يكون هناك ثلاثة أشخاص فقط فيحمل الكيس اثنان ويُطلب من الثالث أن يردع الكيس ويذهب الاثنان لحمل الكيس المقابل ثم يلمظان بالملماظ كما سبق.

وينجز هذا العمل في مدة وجيزة لا تتجاوز ربع ساعة، وتكون خلالها كل الإبل قد حُمّلت بسرعة مذهلة وهم لا يتعبون من ذلك لأنها أصبحت عادة ألفوها. ثم بعد ذلك تنهض الإبل وتساق أمامها القعدة التي تقود الإبل ويركبها الراعي عند العودة من المرعى، وينده أي ينادي الراعي لها وتتبعه. فإذا قامت الإبل من المراح تخلف أحد الرجال وتفقد المكان لئلا يكون هناك أشياء قد تركت خطأ ثم يلحق بهم. فإذا ساروا مسافة قصيرة واطمأنوا على سير القافلة، تكون صلاة الفجر قد حانت فيؤذن أحدهم ويقفون للصلاة. أما الإبل فتستمر في سيرها في الاتجاه المطلوب ومعها واحد منهم. فإذا أتموا صلاتهم لحقوا بالإبل وتركوا زميلهم ليصلي، ويكون صاحب الإبل راكباً فوق ذلوله التي عليها الشداد والخرج والأشياء المهمة.



وتكون بالقافلة عادة ناقة (رحول) كبيرة السن، قوية تحمل حملها ويتعاقب المرافقون على ظهرها كل واحد يأخذ عقبه أي ركوب ساعة تقريباً ثم يحل محله آخر، وقد تكون الرَحُول بعيراً وليس ناقة. ويتم الركوب والنزول من هذه الرحول وهي واقفة فلا تبرك. أما إذا كانت الرحلة ذلك اليوم طويلة، فإن رئيس القافلة يتنازل ويترك فرصة لرفاقه لأخذ عقبة على ذلوله.

فإذا أضحى الضحى ووجدوا مكاناً مناسباً به مرعى لإبلهم أوقفوها لترعى،



الرّحول

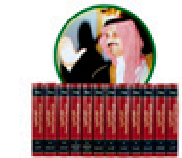
وعليها أحمالها. وأسرعوا بإيقاد النار لتسخين القرص الذي أعدوه في المساء ليأكلوه، وتسمى هذه الوقفة مضحّى. ثم يواصلون سيرهم حتى يصلوا إلى مكان مريح لإبلهم وبه مرعى، ويكون ذلك تقريباً بعد الظهر. وتسمى هذه المسافة رْحَلَه، وقد تطول إلى ما بعد العصر. والرحله (المرحله) مسافة محددة لدى أصحاب القوافل، فتجدهم عندما يصفون مكاناً يقولون إنهم على بعد رحله، أو رحلتين وهكذا. فإذا وصلوا إلى المكان المطلوب بـرّكوا الإبل، حتى إذا استوت باركة لمظ عن كل واحدة فينزل الحمل وتبقى عليها المسام والحدايج ما عدا الشداد، فيوضع عن الذلول لأن عليه الجاعد والنطع والميركة (الدويرع) وكلها من الجلد فيخشى عليها من الأمطار. كما أن الشداد يظل متكأ للكبير وزواره. ثم بعد ذلك يدعو (يشايع) الراعي الإبل بصوت تعرفه ويتجه بها إلى المرعى وغالباً ما يكون النداء للإبل الراعية. أما بقية الرجال فيتوزع عملهم؛ فمنهم من يجمع الأثاث وتسمى الثايه من المزاود الخاصة بالزهاب والقرب، ويقربها من مكان الجلوس لحفظها من الضباع وغيرها من الحيوانات التي إذا شمت الماء أتت إليه، وأهم شيء لديهم



هو الماء. ومنهم من يذهب لإحضار الحطب وأغصان الأشجار لعمل عِنَّه (سياج)، فيحيطون مشب النار والمكان الذي سيجلسون فيه بأغصان الأشجار وبعض الأثاث، للحماية من الهواء والبرد، وآخر يحفر لمشب النار ويحضر أدوات القهوة والطبخ. وكل واحد من القافلة يعرف مهمته وعمله المنوطٍ به.

وقد تتفق مجموعة من أهل البلد على المرافقة في السفر وتسمى خُبْره، وجمعها خُبَر، فتجتمع خبرتان أو أكثر فيرحلون سوياً وينزلون سوياً، ولكن لكل منهم إبله على حدة، فلا تختلط؛ ولكل خبرة رعاتها ومعداتها. وعند النزول يجلس بعضهم قريباً من بعض فيتزاورون ويشربون القهوة سوياً ويتداولون الأحاديث ومعظمها عن إبلهم وخط سيرهم غداً، ومكان النزول، فأكثرهم خبراء بالطريق ويعرفونه موضعاً موضعاً. ويُخط مسجد بينهم يجتمعون للصلاة فيه، وتكون صلاتهم من أول سفرهم حتى عودتهم جمعاً وقصراً. ويختارون كبيرهم لاستشارته في أمورهم لتجاربه السابقة ومعرفته الواسعة بأمور القافلة. وتوقد النار أول نزولهم حتى وقت نومهم، ويبدأ في إعداد طعام العشاء بعد المغرب ويتكون عادة من أرز وسمن، أو جريش وسمن وإقط. أما اللحم فقليل ولا يجدون منه إلا ما ندر كصيد ظبي أو أرنب أو ضب أو بقية من لحم حميس أو قفر. ويعتمدون كثيراً على التمر. وبعد العشاء بقليل تكون الإبل قد أخذت حظها من الرعي، فيعرف ذلك الراعي فينده لها بصوت عال لتجتمع حوله. فإذا سُمع صوته، قيل لمن عند النار وَقِّص، أي أوقد على النار لتشتعل ويصير لها شعلة، وذلك بوضع شجرة عرفج مثلاً ليرى نارها الراعي والإبل فتتجه نحوها فلا تضل عن المكان. فإذا وصلت إلى المراح وقفت قليلاً ثم بركت وأمرحت. وبعد وجبة العشاء يجلسون جوار النار للتدفئة والحديث عن الإبل والمرعى.

ثم يطلب المعزّب من أحدهم بأن يحوف على الإبل ليتفقد المسام والحدايج لئلا يكون بها خلل، كقطع وَسْر أو كسر، أو أن تكون إحدى المسام ملتصقة بظهر الناقة فتؤثر فيه. ثم يأوي كل واحد منهم إلى فراشه، إلا واحداً يقوم بعجن بعض الطحين ووضعه في الملّه (رماد النار) لعمل قرص ثم يخرجه بعد استوائه وينظفه ويفركه ويضعه في قدر بعد وضع قليل من السمن عليه لأكله غداً صباحاً في المضحى، ثم يضع عدداً من الدمن



داخل الله ويدفنها، خصوصاً أيام الأمطار لأن الولعه عادة تكون ندية فلا تشتعل النار بسرعة، وتسمى هذه بالورثه. ففي الصباح عندما يُحرث مشب النار يجد أن الدمن أو العيدان أو الحطب مهيأة للوقود، فيوقد بها النار. والذي يتولى عادة أعمال القهوة والطبخ هو صغير المجموعة ولديهم مثل يقول «صغير القوم خادمهم».

والجمَّال يتمنى المطر ولكن في بعض الأحيان تكون القافلة محملة بالسكر أو الأرز، فإذا رأوا سحاباً قريباً منهم وتوقعوا نزول المطر سارعوا إلى النزول في أرض مناسبة ونصبوا خيمتهم وصفوا البضاعة بداخلها حتى تنجلي الغيمة. وقد يضطرون للإقامة أياماً بسبب الأمطار فيقولون مقيمين أو «قامه ولا هيب ندامه» وسبب خشيتهم من المطر أن المسام والحدائج تؤثر بالقد وهذا يلين مع المطر، بالإضافة إلى ما يحدثه المطر للسكر من تلف وذوبان.

وفي بعض الأحيان إذا نزلوا منزلاً ورأوا الغيوم صفوا البضاعة، داخل الخيمة، فإذا انجلت الغيوم وزعوها. فيعود السحاب فيلجأون مرة ثانية لجمعها وإدخالها في الشراع أو الخيمة من غير سأم أو تعب. ولشدة فرحهم بالمطر تهون عليهم كل مصيبة أو تعب. وفي بعض الأحيان إذا وجدوا أرضاً معشبه أقاموا بها أياماً، وإذا وجدوا أرضاً مجدبة غذوا السير طوال يومهم ليقطعوها لأن أهم شيء لديهم وجود المرعى لإبلهم.

ووجود أكثر من خبره في القافلة يكون مدعاة لأن يؤنس بعضهم بعضاً. وعادة يختارون شخصاً للرجوع إليه يكون أكثرهم خبرة أو أكبرهم سناً، ويكون من أسباب سرورهم وانبساطهم راحة إبلهم وحصولها على المرعى المناسب ويعرفون ذلك بعد عودتها من المرعى أي إذا روحت مساء.

وقد يحدث في بعض الأحيان عند العزم على السفر، أن يطلب أحد الأشخاص أن يرافق هذه الخبره لأنه قاصد زيارة أحد أقربائه أو للبحث عن عمل هناك وتكون معه ناقة أو ناقتان ولا يستطيع أن يؤجر راعياً، أو لا يعرف الطريق، أو لا يأنس لوحده فتقبل القافلة رفقته لهم بشرط أن يساعدهم ويعتبر نفسه واحداً منهم. وقد يكون شاباً فيوصي عليه أبوه أو أمه أو يكون قريباً لصاحب الإبل ويحب أن يدربه على العمل بناءً على رغبة والديه.

وتصادف القوافل بعض المصاعب في رحلاتها، والأمثلة على ذلك كثيرة؛

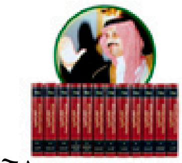


فنظراً لأن السير يبدأ مع الفجر قبل انبلاج الضوء فقد تفاجأ الإبل بخروج شيء عليها كذئب أو أي حيوان أو طير من تحت شجرة فتصاب الإبل بالجفال فتعدو بسرعة مما يؤدي إلى سقوط بعض الأحمال أو بعض الأمتعة فيضطر أصحابها إلى اللحاق بها وتهدئتها وإعادتها إلى الأحمال الساقطة وحملها. وفي بعض الأحيان عندما يذهب الراعي بالإبل إلى المرعى بعد إنزال أحمالها، يحدث أن ينام الراعي عن مراقبة الإبل، فتتجه الإبل عادة إلى مهب الريح، خاصة الجنوب الغربي، فإذا استيقظ لم يجدها أو لم يجد بعضاً منها، فيبحث عنها حتى إذا يئس عاد إلى جماعته وأخبرهم الخبر، فيهبون مسرعين للبحث عنها وقد لا يجدونها إلا بعد يوم أو يومين فيضطرون للإقامة في مكانهم. وقد يفاجأ صاحب الإبل بدخول إبل مصابة بالجرب بين إبله والاحتكاك بها. والجرب معروف أنه من الأمراض المعدية. كما قد يفاجأ صاحب الإبل بجمل هائج من جمال البادية يدخل بين إبله وكلها إناث ومياسير أو مجاسير تريد الفحل، ولا يستطيعون رده خوفاً منه فيضرب بعضها، والجمَّال لا يرغب أن يلقح شيء من إبله لأنها إذا لقحت لا تقوى على الأحمال الثقيلة.

وقد يحدث أن يصاب أحد جمال القافلة بالتواء أو تمزق عضلي أو إصابة بليغة ناتجة عن سقوط في جرف مثلاً، مما يجعل البعير غير قادر على السير أو حمل الأثقال، أما في حالة إصابة البعير بكسر في إحدى قوائمه فليس له علاج ولا جبر. وإذا كانت الإصابة خفيفة نُقل حمله ووزع على الجمال الأخرى وترك عرواً أي عارياً من حمل. وقد يترك معه أحد الرعاة ويحدد له مكان، فيمشي به على مهل حتى يصل ولو متأخراً. أما إذا كانت الإصابة بليغة جداً ولا أمل في البُرء فيتم ذبحه وحمله والذهاب به إلى أقرب قرية لبيعه لحماً ويسمونه مشنّق أو وقيعه ويكون سعره رخيصاً، أو يؤخذ جزء من لحمه ويجري تقطيعه وحمسه، أو يعمل منه قفر أو وشيق أو قديد ويملح ويجفف، ويحملون معهم ما تبقى من لحمٍ أو قد يتركونه للسباع.

الرحالة داوتي بصحبة قافلة عنيزة

تشارلز داوتي Doughty Charles 1843-1926 من أشهر الرحالة الإنجليز الذين جابوا جزيرة العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويعد كتابه الترحال في الصحاري العربية Travels in Deserta Arabia من كتب الرحلات



الكلاسيكية المهمة. ومن المدن التي زارها في نجد مدينة عنيزة سنة ١٨٧٨م وقابل أميرها زامل كما عقد صداقة مع عبدالله البسام وعبدالله الخنيني. لكن أهل عنيزة ضاقوا ذرعا بهذا المسيحي الذي يجاهر بنصرانيته ويتحدى مشاعرهم. لذلك اضطر زامل أن يرحّله إلى بستان خارج البلد وطلب منه أن ينتظر هناك حتى يحين موعد مغادرة قافلة السمن التي تنطلق سنويا من عنيزة إلى مكة ليصحبها إلى آخر محطة لها قبيل وصولها إلى الحدود المقدسة ومن هناك يذهب إلى جدة. وقبل مغادرة القافلة حصل عبدالله البسام وعبدالله الخنيني على خطابات من الأمير زامل إلى أمير القافلة عبدالله، الذي كان من أسرة السليم، يوصيه بالعناية بهذا الرحالة. كما أوصى به ابن بسام ابنه عبدالرحمن الذي صحب القافلة وكذلك أوصى به عبدالله الخنيني قريبه سليمان، أحد رؤساء القافلة.

واستغرقت رحلة القافلة من عنيزة إلى مكة ١٧ يوما وصف داوتي وقائعها وأورد الكثير من التفاصيل حول هذه الرحلة، وعلى الرغم من صعوبة أسلوب داوتي وتعقيده إلا أننا سوف نترجم مقتطفات منها خاصة بسير القافلة وما تتعرض له من مشاق ومتاعب، لأن في ذلك تسجيلا إثنوغرافيا لسفر القوافل وحياة «عْقيل» في ذلك الزمن.

يكرس داوتي الفصل السادس عشر في الجزء الثاني من كتابه للحديث عن القافلة، لكنه أورد في نهاية الفصل الخامس عشر نبذا تمهد لما سيأتي، فذكر أن عنيزة وحلفاءها من مطير كانوا في حالة حرب مع قبيلة قحطان لكن الأمير زامل أجل المواجهة معهم حتى قدوم القافلة القادمة من الشمال، كما أجل مغادرة قافلة السمن إلى مكة إلى ما بعد المعركة (الإشارة هنا إلى كون دخنة بين قحطان من جهة وبين عنيزة وحلفائهم من مطير من جهة أخرى، وكانت مطير تطلب الثأر من قحطان بعد هزيمتهم على أيديهم في كون سلبة الدحملية). وبعد ذلك يقول داوتي في الفصل نفسه. «والآن بدأ الجماميل في عنيزة يستظهرون عدتهم ويهيؤونها، حيث أن قافلة السمن المتجهة إلى مكة سوف تنطلق قريبا. فقد أحضروا الزمل، وهي الإبل المعدة لحمل الأثقال، من مراتعها في البادية وأصبحنا نشاهدها كل يوم وهي تروم في مراعي النفود المحيطة بالبلد. وكان قد غادرت في تلك الأيام قافلة تحمل التمر والحنطة إلى المدينة». وقوله «ومن عادتهم في تلك البلاد أن جميع من يريدون اصطحاب القافلة يتواعدون مكانا

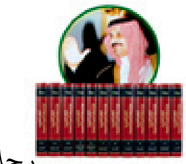


يجتمعون فيه خارج البلد، ومع حلول العشية التي تسبق يوم المغادرة يكون العدد قد اكتمل، وما تشرق شمس الغد إلا وقد بدأوا مسيرتهم».

ويضيف في الفصل السادس عشر أن الليل كان قد أظلم حينما وصلنا إلى محط القافلة، حيث حيا سليمان الجماميل الذين كانوا قد سبقونا إلى المكان برفقة أحمالهم. قادنا هؤلاء إلى المكان المخصص لنا في المخيم، حيث أن كل خبرة لها منزل تحط فيه وتنيخ إبلها أمامه. ها هي القهوة على النار في المكان المعد لنا ورأيت عكك السمن التي تؤول إلى سليمان (وكان عددها أربعا وعشرين أو ما يعادل طنا تقريبا) ملقاة على الأرض بانتظام: أربع من هذه العكك، التي تعادل الواحدة منها خمسة عشر صاعا (من أصواع القصيم)، تساوي حمل بعير، وقيمتها ثلاثون ريالا، ويأملون بالحصول على ستين في مكة. وقد مر بالمخيم البارحة جمع من أهالي عنيزة يودعون أصدقاءهم وإخوانهم المغادرين. هذا المكان الذي تتجمع فيه القافلة التي تقصد مكة يقع وسط نخيل خارج البلد اسمه الوهلان.

لقد علمت الآن ولأول مرة أن لا أحد في القافلة ذاهب إلى جدة! كلهم ذاهبون إلى مكة. وأوصى عبدالله الخنيني قريبه سليمان أن يهتم بأمري وكذلك ابن بسام ذلك الشخص الطيب أوصى بي ابنه عبدالرحمن وأكدا عليهما قبل الوصول إلى المحطة الأخيرة قبل مكة (سواء في وادي الليمون أو السيل) أن يبحثا عن «آدمي» يوصلني إلى جدة قبل الدخول في حدود الأماكن المقدسة. ولم يسبق للخنيني طاهر القلب أن حج من قبل، ولا يعرف الطريق ولم يخطر على باله الخالي ما سوف أتعرض له من مخاطر في نهاية هذه الرحلة.

كان معنا في قافلة السمن ١٧٠ بعيرا -تحمل حوالي ٣٠ طنا من السمن- ويصحبها سبعون رجلا منهم أربعون يعتلون مطاياهم، والبقية رعاة وجمالون. كنا متقسمين إلى خبر صغيرة، كل سيّد مع حاشيته وخدمه. وتحمل كل خبرة خيمة أو ظلة يظللون بها على رؤوسهم إذا حطوا الرحال ظهرا، ولتظلل السمن -الذي يذوب في العكك (وتسمى الواحدة منها جرم والجمع جروم) مع حرارة الشمس؛ ولا بد أن تطلى الجروم من الداخل بطبقة سميكة من الدبس. هذا السمن الذي يساوي أكثر من ٢٠٠٠ جنيه إسترليني في أسواق مكة يجمعه تجار عنيزة أثناء الربيع عن طريق المتاجرة مع البدو، ويحفظونه خلال هذه المدة في أحواض من الرخام.



وهناك أمير يعينه زامل على هذه القافلة الكبيرة، وهو من عائلة الأمير يتسلم ريالا عن كل بعير من إبل القافلة. وقد حصل الخنيني على خطاب من زامل يوصي فيه أمير القافلة أن يتعهدني بالرعاية ويحرص على سلامتي إذا تركت القافلة. وفي محطة العين جلسنا حول موقد النار نتحدث حتى أخذ منا التعب ثم استلقينا لننام هناك، على رمل النفود.

استيقظنا مع الفجر وكان لا يزال لدينا بعض الوقت لتناول القهوة. وكان الأمير وبعض تجار عنيزة الذين يقطنون مكة وينوون العودة إليها مع القافلة أمضوا الليل داخل المدينة، وسوف يلحقون بنا على نجائبهم العمانية. (الذلول من منطقة الخليج «عمان» قوية وضخمة لكنها أقل صبرا على الجوع والعطش من الأنواع التي دون مستواها. والعمانية التي تباع بستين أو سبعين ريالا في عنيزة لا تقل قيمتها عن ١٥٠ ريالا في موسم الحج في أسواق مكة حيث الطلب عليها كبير). ولما طلعت الشمس حمّلت القافلة وانطلقت. وبعد قليل وصلنا وادي الرمة حيث سرنا لمدة ساعتين قبل الظهر ثم نزلنا في شعيب الشبيبية ونصب أعيان القافلة شرعهم على شاكلة بيوت البدو بينما نصب الآخرون مظلات من السجاد البغدادي. ولم أر إلا واحدة أو اثنتين من الخيام المستديرة، بضاعة رخيصة يجلبونها من الساحل. والخبر الفقيرة لديها أغطية ممزقة منسوجة من الصوف سمعت أنهم كسبوها في حملتهم على قحطان. سليمان الخنيني جمال يمتلك الزمل، أما أحمال السمن الستة التي معه فإن قريبه عبدالله يشاركه فيها.

ربما كانت الساعة الثالثة قبل أن تتحرك القافلة وكانت الشمس المحرقة قد انحرفت باتجاه الغرب. وأعطى خادم الأمير الإشارة بالتحرك بأن صاح بأعلى صوته «الشيل!».

وفي الحال تقوض المظلات ويؤتى بالجمال وتبرك للتحميل ويسارع الجمالون إلى تحميل العكك الثقيلة على ظهور الإبل قبل رحيل القافلة، وهذا عمل شاق يفوق طاقتهم، وبدأ ركّاب النجائب بالتحرك ومن ليس على أهبة الاستعداد سوف يفوته الركب. ويقف خادم الأمير أمام القافلة مثل الراعي يمد ذراعيه ليمنع المتقدمين من المسير حتى يلحق بهم مَن خلفهم، أو يجري هنا وهناك رافعا صوته على من يخالف أوامره. ويبدأون المسير، ولخوفهم من مجاهل الصحراء يتحركون مجتمعين.

وفي الليل لا ينصبون الخيام بل تفرش كل خبرة خيمتها ويجلسون عليها تحت نجوم السماء، وفي آخر الليل ينام عليها رئيس الخبرة. ويقوم الطباخ بجمع



الحطب، وآخر يقود الإبل إلى المرعى لتنال شيئا في نصف الساعة المتبقية قبل غروب الشمس. وكان مع سليمان ثلاثة من الجماميل أحدهم، وهو شخص معدم من أهالي عنيزة، كان طباخ الخبرة، وكان الآخر بدويا. وبعد ساعة وضعوا أمامنا العشاء (طبق حار من القمح المطبوخ). وبعد الأكل ارتشفنا القهوة، وجلسوا يتحدثون لبعض الوقت ويدخنون، ثم التحف كل منا عباءته ونمنا على الرمل، لنغفو فيما تبقى من ساعات قليلة قبل طلوع الشمس.

قبل الفجر بساعة سمعنا الصيحة «الشيل!»، ونهض القوم مسرعين وحرث الحراس نيرانهم الخامدة ونفخوا على الجمر ليرتفع لهبا، ورموا على النار مزيدا من أعواد الحطب لتحترق وتضيء لنا المكان. ولا تسمع إلا الرجال بأصواتهم الجشة وهم يجهّزون للرحيل. ويزدحم المكان بالإبل التي لا تسمع إلا رغائها وتدافعها. ولن تمر دقيقتان أو ثلاث إلا والجميع على أهبة الاستعداد. الراكبون يعتلون مطاياهم والمشاة يلبثون يتفحصون المكان في ضوء الشفق الباهت للتأكد من أنهم لم يتركوا شيئا خلفهم. يتحرك الجمع وتبدأ مسيرة يوم جديدة تستمر أثناء حرارة النهار الطويل حتى المساء. وبعد رحلة ثلاث ساعات في صحراء منبسطة وصلنا إلى الرس الذي لم يتردد أهله منذ جيلين في قطع نخيلهم ليعملوا منها متاريس وصدوا ببسالة هجمات جيوش ابراهيم باشا. أرسل الأمير ذلولا إلى البلد ليستطلع الأخبار وعاد النجاب ليخبره بأن قافلة السمن التي تنطلق من الرس قد غادرت من قبل مع قافلة بريدة التي مرت بهم منذ يومين.

أحضر لي هذا اليوم أحد عملاء ابن بسام الخطاب الموجه من زامل إلى إبراهيم، أمير القافلة الشاب، بخصوصي. ورث إبراهيم هذا مهنته من أبيه -الذي كان حتى عهد قريب أمير قافلة مدينة عنيزة- وهو ابن اخت لزامل، إنه شاب في العشرين تبدو عليه أمارات الرجولة والنخوة. وقد دعاني مرة لتناول العشاء معه حينما ننزل في المساء. وشباب التجار العائدين إلى مكة حيث دكاكينهم هناك وبعض رؤساء الخبر يمتطي كل منهم ذلوله ويدفعها ليسير في ركب إبراهيم يتقدمون القافلة في مسيرتها، وبين الفينة والفينة يتوقفون ويوقدون نارا من الأعواد التي يجمعونها لعمل القهوة. وقد وجدت الركوب في مؤخرة القافلة، حيث السير بطيء، أريح لي.

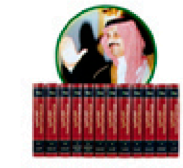
إنها صبيحة اليوم الخامس ونحن ما زلنا نغذ السير في هذه البلاد المرتفعة، المليئة بالجبال، ومعظمها من حجر الغرانيت،



وأغلبهـا ذات أشكال غريبة، فـصخور الغرانيت تنفرش على شكل صفائح بل أحيانا على شكل قبـب مستديرة وعلى شكل حراشف. ومن علامات الطريـق جبل بازلتي فـيه شرخ عجيب يسمونه «درب الذيب». وقبل الظهر وقعنا على آثار غزو عظيم، وهو، كما يذكرون، ذلك الغزو الذي شنه مؤخـرا ابن رشيد ضد عتيبة. وقبل الظهر سمعنا صوت النذير وتوقفت القافلة، يعتقد البعض أنهم طالعوا بدوًا. هـب الجميـع إلى أسلـحتهـم، ومعظمهم أطلق النار في الهواء ليفرغوا بنادقهم ويعمّروها بالذخيرة من جديد. أما الجماميل المرهقين من السير على أقدامهم فقد بـدأو يقفزون ويرقـصون ملوحـين برماحهـم في الهواء. واقترب الركـبان بعضهم من بعض وصارت القافلة تسير مجتمعة وبانتظام. وسليمان الذي كان أول من استخرج بندقيته من خبائها، ركب واضعا بندقـيته التي يشتعـل فتيلها في حضنه، وكان يزمجر ويصر أسنانه مـن الغضب. وكانت هذه سيرة الباقين، واشتد حماس أهل القافلة الذين يطلبون من الله أن يمكنهم من إبادة أعدائهم الألداء، ذئاب الصحراء البشرية. وأرسل ابراهيم نـفرا يعسون خبر الأعداء المتربصـين، لكنهم عادوا بعد قليل ليؤكدوا أنه تبين لهم أن ما رأوه كان مجـرد أشجار صحراوية. بعدها صاح خادم الأمير مناديا بمواصلة المسير.

وفي كل منزل ننزل فيه أرى مِذْكر في خيمة إبراهيم، فهو ينزل مع الأمير. هذا الشيخ البدوي رافقنا ليحمي القافلة في أي مواجهة تتعرض لها مع قبيلته عتيبة. كان هو ورفاقه الاثنين أو الثلاثة بمثابة العيون لنا في القافلة.

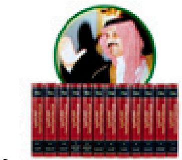
في المضحّى تترك الإبل لترعى، وتروم هذه البهائـم المنهكة في الصحراء لـكن أفواهها الـتي جفت من شدة الظـمأ لا تستطيع أن تمضغ إلا ما تقتطفه خلال سيرها السريع في الصباح الباكر حيث لا يزال تأثير برودة الليل على الأرض. تنوء هذه البهائم الضخمة بأحمالها وتعرق وتكاد تمتنع لشدة عطشها عن الأكل حتى نهاية اليوم السابع عشر، حينما تحط عنها أحمالها في مكـة. لكن معانـاة هذه الحيوانات النجدية تتجدد في أجواء تهامة الراكدة، حيث تبقى هناك لترتاح بضعة أيام فقط، وهكذا تقاسي بدون راحة حتى تعود ثانية إلى عنيزة وقد أجهدها الإعياء. وقال لي جماميلنا الأقوياء بتأوه (من عادة العرب كلهم التشكـي بشيء من اللامبالاة من متاعب العيش في هذه الحياة) إن عملهم في الرحلة متعب جدا. يركب أحدهم في



الصباح واثنان يمشيان وبعد الظهر أحدهم يمشي واثنان يركبان. ومسير قافلة القصيم لا يشبه مسير قافلة حجاج الشام التي تتحرك ببطء، فهم يحثون ركائبهم في حمارة القيظ من مورد لآخر. والموارد بعيدة بعضها عن بعض، ولا بد من الوصول إلى المورد التالي قبل اليوم الرابع من مغادرة المورد الأخير وإلا سقطت الإبل من الإعياء.

وبعد ثلاثة أيام بدأ ينفد صبر رجال القافلة وصاروا يزجرون مطاياهم بأصوات مشحونة تصدر من رجال على حافة اليأس. يحثون قلائصهم لتغذ سيرها ويلكشونها برؤوس رماحهم. ينهرونها ويندبونها ويدعون عليها بالويل والثبور «يامل الطير!»، «يامل الذبح!». ولو تلكأت لحظة لتقطف غصنا صاحوا بها «يامل الجوع!»، «يلعن الله آبو هالراس، أو هالقلب، أو هالحلق!». ويجب على الجمّال ألا يصرف نظره عن حمل بعيره لأنه من عادة البعير إذا جاء منطقة رملية أن يبرك ويتمرغ فيها ليسكن الحكة التي تهرش جلده، ولو حدث ذلك تحطم الحمل. ومع مرور كل يوم تزداد طباع أهل القافلة شراسة ويقل كلامهم ولا يتكلمون إلا بشق الأنفس. أما الجمالون الذين يحسون مرارة العطش في حلوقهم فإنهم لا يتلفظون إلا نزرا وبعبارات نابية، مثل «أنا ولد ابوي»، «أنا اخوك ياختي»، «أجل انا عبد ابوك (لأطيعك أو أخدمك)» وإذا احتد غضب أحدهم صاح بجاره «الله لا يبارك فيك ولا يجيب لك خير».

وفي مضحّانا بلغت درجة الحرارة ١٠٢ فهرنهايت (٣٩ْ) في الظل، وقدمنا موعد تحركنا واستعجلنا لندرك الماء الذي وصلنا إليه قبل الغروب بساعتين. هذه هي عفيف، مورد قديم عمقه عشرة أبواع وهو مطوي بالحجارة البازلتية الخشنة. وأسرع سليمان مع بقية أعيان القافلة وتقدموا إلى الماء بعدتهم، كل منهم يحاول أن يسبق الآخر إلى فوهة البئر ليحجز مكانا للرّي. ولما وصلنا إليهم وجدناهم واقفين كل معه عدة السقي التي تتألف من عمود خشبي سميك يغرس في الأرض ويثبت بالحجارة وتثبت المحالة في رأسه المشقور، كتلك التي يستخدمها البدو في قلبانهم العميقة، وبدون هذه الطريقة لا يستطيعون جذب الماء. ويجذب الرشاء رجلان يسيران إلى الخلف ويقف الثالث على حافة البئر ليتلقى الدلو المملوءة إذا ارتفعت ويفرغها في حوض الإبل، والذي هو عبارة عن قطعة من الجلد أو السجاد تفرش على حفرة كانوا قد حفروها بالحصا والعصي وأيديهم العارية في الأرض الصلبة المغطاة بالزلط.

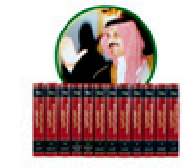


وسقيا هذا العدد الضخم من الإبل على قليب واحد يتطلب جهدا كبيرا من الرجال الذين يعملون بأقصى طاقتهم ولا تسمع إلا أهازيجهم التي يرددونها بصوت واحد مثل البدو.

تسلك القوافل التي تنطلق من القصيم إلى مكة طريقين؛ الدرب الغربي وموارده عديدة ومتقاربة، وهذا هو الطريق الذي سلكته من قبلنا قافلة بريدة والرس، ويسمى الدرب السلطاني. والدرب الأوسط الذي نحن عليه وتسلكه القوافل المسرعة وموارده متباعدة ومن يسلكه يسلم من الاحتكاك بالبدو لأنهم لا يقطنون على موارده في القيظ. ولا يجرؤ أصحاب القوافل على السقيا من الموارد التي يقطن عليها البدو الذين لا يؤمن جانبهم. في مثل هذه الحالة يأمر أهل القافلة البدو بالرحيل، فينصاعون لأوامر الحضر على مضض. أما إذا كان البدو القاطنين كثيرون ولا يستطيع الحضر ترحيلهم فإنهم يتناوبون معهم على الماء ويسقون بسرعة وأسلحتهم بأيديهم ثم يسوقون الإبل التي لم تأخذ كفايتها من الماء إلى المورد التالي. ومعظم الموارد في هذه الصحراء ماؤها مالح. وهناك طريق ثالث إلى الشرق منا يسمى درب وادي سبيع وموارده قليلة وصغيرة، ويسلكه المسافرون المستعجلون الذين يغذون السير مسرعين على ركائبهم النجيبة.

عفيف التي توقفنا فيها لنستريح أرض منخفضة تحيط بها الجبال البازلتية. ورأيت الأحجار البازلتية الخشنة على فوهة هذا البئر تغطيها قشور الكلس الأبيض وأحدثت فيها حبال البدو اللينة شقوقا غائرة. وتنمو هنا بكثرة أعشاب الضرم الطويلة المعترشة التي سبق لي رؤيتها على طريق الحج الشامي. وسيقت إبلنا التي لم تطعم شيئا إلى المرعى. واعتلى رفاقنا أصحاب مذكر من قبيلة عتيبة المرقب، وهو جبل بازلتي بالقرب منا، للمراقبة. وكانت حرارة الشمس شديدة على رؤوس رعاة الإبل، لأن حرارة الشمس التي يمكن للمسافر أن يتحملها وهو يتحرك في الهواء لا تطاق حتى بالنسبة للبدوي في حالة التوقف. واشتكى لي أحد «الملاحيق» من أشعة الشمس التي صار يغلي منها دماغه. وقبيل المساء رأينا إشارة الخطر تصدر من رفاقنا في المرقب! وأُحضرت الإبل بسرعة. لقد شاهد الرقباء زولاً يعتقدون أنه بدوي. ولكن تبين لهم بعد قليل أنهم أربعة من الصَّلَب راكبين حميرهم.

إذا وصل أمير القافلة إلى المنزل الذي يريد أن يتوقف فيه شد خطام ناقته وخبطها بعصاه على الرقبة وصوّت لها لتنيخ. وتبدأ



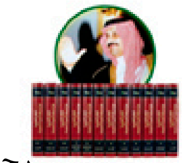
البهيمة المتعبة ترغو وتثني ركبتيها وتدور حول نفسـها كما يفعل الكـلب إذا هم بالربوض. ويتبع أعـيان القافلة أميرهم وينزلون معه ويحرصون علـى أن يتخذ منزلهم شكلا دائريا، ثم يسوقون الإبل إلى حيث تبرك وينزلون أحمالها.

وإذا تقرح خف الراحلة حطوا عنها حملـها وقسموه بين بـقية الرواحل مما يضـاعف من عـنائهـا ويزيد آلامــها. والجمالون النجديون يخشون من مثل هذه الحوادث، لذلك تجدهم حينما يتوقفون يعالجون قروح أخفاف إبلهم من بولها. ولطالما تساءلت إذا ما كان من الممكن صنع أحذية للإبل من الجلد! هناك بيت في معلقة لبيد يظهر لي أنه يشير إلى أن العرب الأوائل الأذكياء ربما استعملوا أحذية من هذا النوع. (يبدو أن داوتي لم يكن يعرف أن هذا أيضا ما كان يـفعله الأواخر، خصـوصا في الغزوات، بشهادة عدوان الهربـيد الذي يقول في مدحه سـاجر الرفدي «ساجر مسوّي للهجين النعال»).

قبيل الظهر وقعنا على آثار أدباش لبدو قادمين من جهة الحرة إلى حيث توجد آبار جيدة للسقيا في طريقنا. وفي المضحّى كان قد نال منا العطش، ولم نذق من الماء إلا تلك الجرعات المرة من ماء شرمة العكر ولن نصل إلى الماء إلا بعد حلول المساء أو صباح الغد. وجدت درجة الحرارة في الظل ١٠٧ درجة فهرنهايت (٤٢ْ) وبدأ يهب علينا السموم. وفي المقيل لا يتناول أصحاب القافلة إلا التمر وما تبقى من عشاء البارحة من الرز أو الثريد. ويأكل الأعيان والرعيان من قصعة واحدة ولكنهم اليوم لم يستطيعوا أكل شيء من شدة العطش. ذهبت إلى خيمة إبراهيم وابن بسام، وكل منهم يحمل عشر قرب من الماء، لأطلب فنجانا من القهوة أو من الماء. وأعطاني رجالهم رشفة من الماء لا غير؛ لأن هذه طريقة العرب في السفر. ورأيت أنه لا يزال في حوزتهم عدد من قرب الماء المليئة.

بعدما تـركنا خلفنا جـبال الاكموم وهكران تنبهت إلى حركة في مؤخرة القافلة ورأيت البعض عـلى ركائبهم يتقدمون القافلة بسرعة خاطفة. سـاروا مسرعين يبحثون عن بعض الثمائل التي لا تبعد كثيرا عن الطريق. ولما وصلوا إليها قفز كل منهم في حفرة الماء ليملأ قربته، ووقف في الماء الوحل الذي غمره حتى منتصف قامته. وسارع كل من الناس العطشى إلى الماء وشرب ملء إنائه، ولم يتنبهوا إلى أن الماء لم يكن نظيفا إلا بعد شربهم منه.

وفي الليل أرسل إبراهيم بعض الركبان ليجسوا لنا الماء أمامنا، والذي كنا نأمل في الوصول إليه أمس، ويخبروننا إن كان البدو



يقطنون عليه. طلعت علينا الشمس ونحن ما زلنا نستريح في هذا المكان الجميل. وذهب البعض يحملون بنادقهم متسللين بين الأشجار الشوكية الخضراء لاصطياد الحمام الذي يرتاد الموارد ولكن يندر رؤيته يطير في الخلاء. إلا أن الأمير بمشورة من مذكر أرسل لهم بأن يتوقفوا عن الرمي حتى لا يلفتوا إلينا انتباه الأعداء. وبعد طلوع الشمس بنصف ساعة رأينا روادنا يعودون حاملين معهم الأخبار بأنهم لم يلقوا إلا بدوا قليلين على الماء من عتيبة وأنهم تحدثوا مع واحد منهم وجدوه في الصحراء فدعاهم ليسقيهم من حليب نياقه. بقينا في مكاننا ونصبنا خيامنا، ونحروا فاطرا وزعوها على الخبر التي اشترت من لحمها. وقد استاقوا مع القافلة ثلاثا أو أربعا من هذه الجزر، وبهذه الطريقة يتذوق رجال القافلة المتعبون اللحم كل بضعة أيام.

انطلقت القافلة ظهرا وامتدت أمامنا السبخة المستوية التي تصل إلى سيف الحرة، وإلى اليسار منا يمتد أفق الصحراء. ومررنا ما بين جبل هكران المنخفض وأطراف الحرة. ومع غروب الشمس دخلت القافلة جانبا مجوفا على حافة الحرة صخوره البركانية ثقيلة وبازلتية. هنا مورد من عدة آبار؛ المويه، أو مويه الشعيب، أو أمواه هكران، وهو مورد رئيسي من موارد العرب.

وجدنا البدو كانوا قد غادروا المكان ومع ذلك فإننا نزلنا وقت الغسق قبل الوصول إلى الماء بمسافة ليست بالبعيدة، لأن المكان في هذه الأشهر يمتلئ باللصوص. وأرسلت كل خبرة رجلا إلى الآبار ليملأ قربهم من مائها ليشربوا. رتب أصحاب القافلة منزلهم على شكل دائرة ملمومة خوفا من مفاجآت الصحراء. وأشعلت النيران للطبخ وعمل القهوة. كانت الليالي مظلمة فاستعدوا للحراسة. ويظل في كل خبرة شخص متيقظ للحراسة، ويتناوب الحراسة ثلاثة أشخاص حتى مطلع الفجر. وذكر لي سليمان أنهم في قوافل الحج السنوية التي تحمل البضائع الكثيرة والفضة يقومون بالحراسة الليلية طوال هذا الطريق الصحراوي الطويل.

في الصباح الباكر ساق القصمان إبلهم إلى المورد ليسقوها حاملين أسلحتهم بأيديهم وكان عملهم سريعا نظرا لكثرة الآبار. وغادرت القافلة بعد طلوع الشمس بساعتين، وكان هذا اليوم الثالث عشر من مغادرتنا عنيزة. ولم نقابل أحدا من البشر منذ تركنا القصيم، ولكننا الآن نرى قليلا من البدو يقودون إبلهم إلى الماء ليسقوها. ولم يتغير منظر السهوب من حولنا، تتناثر قمم من صخور المرو، أكوام من البياض اللامع نراها في هذه الأرض. مررنا بدار،

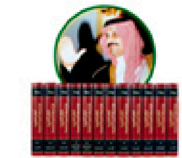


أو منزل قديم مهجور من منازل البدو، وآبار ماؤها مالح. الجال المرتفع من حرة كشب يتجه معنا دائما حيثما نسير، وشاهدت فيه عبر الصحراء أشجار الأكاسيا الخضراء (الطلح) وتلال عالية من الرمال المتحركة أراها عبر الصحراء. وبدت لنا التلال البركانية التي لا نكاد نراها في ضوء الشمس التي لفها النشاص. (هذه اللابات العظيمة غمرت الصخور البلوتونية، على خلاف حرات خيبر والعويرض التي يغطيها الحجر الرملي). ولا تزال السبخات تمتد بين طريق القافلة والحرة. هذا هو ما نشاهده من تضاريس بشعة في الطريق من نجد إلى مكة. يبلغ ارتفاع هذه القفار حوالي ٤٢٠٠ قدم.

توقفنا في الظهيرة واستعجلنا في نصب الخيام لتقينا حرارة الشمس. واتجه نحونا قادم من الخلاء بدوي راكب ذلوله. أخبرنا هذا الرجل الودود من عتيبة أن قافلة بريدة على ماء مران، هناك أسفل من الحرة. وعصف علينا هبوب السموم من الغرب أثناء سيرنا بعد الظهر. وأنخنا للمبيت مع غروب الشمس. إلا أن بعض رجال القافلة، لما سمعوا أن هناك آباراً غير بعيدة منا، ركبوا ليملأوا القرب بالماء، لكنهم عادوا بدون ماء لأنهم وجدوه، كما قالوا لنا، مالحا وطعمه كبريتي.

أثناء مسيرنا في المساء رأينا قطعان البدو من الأغنام يرعاها أطفال عراة. كان أولئك البدو الصغار نحيلي الأجسام وبشرتهم بنية بلون الجوز من لهيب الشمس المحرقة. شاهدنا إبلهم أمامنا واقترب منا الرعاة ليسألونا عن الأخبار. وجاءنا خيال يمتطي فرسه العاري من السرج ودفعه بجرأة في وسطنا. وأصبحنا نرى بيوتهم السود. هؤلاء هم عرب الشيابين من عتيبة. كانت الشمس تنحدر نحو المغيب وابتعدنا قليلا عن قطين البدو ونزلنا. وجاءنا بعض نساء البدو يسألن أهل القافلة إذا ما كان لديهم قماش للبيع. لكن القصمان قالوا لي إن قصدهن التجسس على مخيمنا وإذا ما كان هناك شيء يمكن سرقته بالليل. لاحظت عيونهن حادة البصر بشرتي البيضاء وسألن «من هذا؟ من هذا الغريب بينكم؟».

وفي الغد واصلنا مسيرنا وسط قطعان البدو، وكلها هنا وبرها أبيض. في هذه الصحراء المدارية رأيت بعض النباتات المنعزلة من صبار المفصليات المزهرة «الغلاثي» الذي يستخدمونه لعلاج الإبل، يدهن به البدو أنوف إبلهم المريضة. والأرض خليط من الرمل والزلط البلوري. وقبل الظهر بساعتين وصلنا إلى عرق آخر من عروق اللابة البازلتية وصادفنا إبلا لهؤلاء الشيابين صادرة من مورد الشعراء



وكانت تبرك غير بعيد منا. هذه الإبل العتيبية لونها بني وقليل منها لونها يميل إلى السواد وكلها صغيرة الحجم. كان الرعاة شباب جريئون ويتكلمون بطلاقة. وحينما مررت راكبا أمام بيت منعزل رأيت داخله امرأة مع ابنها فسلمت عليها وردت علي بطلاقة «مرحبا، مرحبا». حينما اقتربنا من منازل البدو بادر رفاقنا في القافلة، كعادتهم في الحذر من البدو، باستخراج بنادقهم الطويلة من أخبيتها وأشعلوا الفتائل وظلوا راكبين وبنادقهم على رُكبهم.

وقابلنا شاب بدوي رشيق جاء ليسقي إبله وكم كان وسيما وجه ذلك الشاب وهو يرتدي رداءه المكي الأزرق، وهذا اللون في نظر أهل الشمال لا يلبسه إلا النساء. وسالت صفائره الحالكة السواد متناثرة على أكتافه. وصاح راعي إبلنا العنزي، الذي بحكم أنه بدوي يكره كل البدو الذين لا ينتمون لقبيلته، «هيه ياولد، أقول يالربع، أبك هذا رجال والا مَرَه؟» وتميَّز الشاب المسكين غيظا ونظر إلينا شزرا بعينيه الجميلتين وكاد أن ينفجر بالبكاء.

أمضى أصحاب القافلة ليلتهم هذه متسلحين. وكانت إغفاءتنا تقطعها صيحات التحذير وطلقات البنادق التي لم تتوقف حتى الصباح، وأمضينا الليل ونحن عرضة للخطر من هذه الطلقات التي تصدر من مخيمنا. والبدوي الذي يقبضون عليه وهو يتلصص يحضرونه إلى خيمة الأمير، وقالوا لي إن عقوبته الضرب حتى الموت. ولا يكاد يفوت يوم دون أن يُفْقَد شيء من القافلة، ومن المحتمل أنه تُرك على الأرض أثناء ركوبنا في الظلام قبل انبلاج الصبح. وإذا وصلنا إلى منزلنا التالي قام صاحب الحاجة المفقودة يصيح بين يديه المضمومتين إلى فمه يعلن عن فقدانه هذا الشيء أو ذاك ويطلب من أي شخص عثر عليه أن يخاف الله ويعيده.

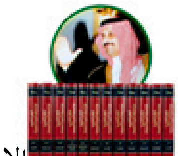
جاء إلينا بعض البدو في الصباح وحالما رأوني سألوا بإلحاح من أكون، وسألهم أصحاب القافلة عن أسعار السمن في مكة. وحينما غادرنا، بعد أن أسقينا الإبل مرة أخرى، جاء بدوي واندس في القافلة، وكانت ملابسه رثة مثل غيره من البدو ولكنه كان وسيما مقارنة بالحالة المزرية لهؤلاء الحضر الكادحين. لكن راعي إبلنا العنزي بلسانه السليط لعن أباه الذي خلّفه وأمره أن يبتعد عنا! لكن العتيبي استل نصف سيفه من غمده مهددا وابتسم ابتسامة البدو المهذبة الساخرة، فهو لا يخاف من الحضر وسط ديرته.



الإبل في التراث العربي

ظلت الإبل رفيقاً مخلصاً للعربي، منذ نشأته، في حله وترحاله، يجد عندها طعامه وشرابه، مسكنه وملبسه، وهي ترافقه في حربه وسلمه، وهي سمة لإظهار كرمه وشرفه، ومكانته وعزته. ومن هنا جاء ارتباط العربي ببعيره ارتباطاً وثيقاً، عرف عنه أكثر مما كان يعرف عن نفسه. فأصبح اسم الجمل أو رمزه ملازماً وملاحقاً لاسم العربي أو رمزه، من بين مختلف الشعوب والقوميات على مدى التاريخ البشري. ولذا لم يكن بدعاً أن تتكرر صورة الجمل في كل أثر تركه العربي من شعر ونثر وأهازيج منذ القدم.

وقد ورد ذكر الإبل في القرآن الكريم مرات عديدة. تارة بصريح اللفظ كقوله تعالى ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ (الغاشية: ١٧)، ومرة بلفظة «البعير»، ومرة ثالثة بلفظة «العِير» ورابعة بلفظة «الجمل والجمالة» وخامسة بصفة «الأنعام». وعلى الرغم من أن لفظة «الأنعام» تطلق على الإبل وعلى غيرها، إلا أنها جاءت في عدة آيات ويقصد بها الإبل كقوله تعالى ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم﴾ (النحل: ٥-٧). وكقوله ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ (الزخرف: ١٢, ١٣). وكقوله مرة ثالثة يتحدث فيها عن تذليلها ومنافعها فيقول ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون. وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾ (يس: ٧١, ٧٢). فالمقصود بالأنعام في



كل هذه الآيات الإبل خاصة. كما وردت في القرآن الكريم في آيات أخرى بصفاتها مثل ﴿وعلى كل ضامر﴾ (الحج:٢٧)، ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ (الحج:٣٦) ثم ﴿وإذا العشار عُطِّلت﴾ (التكوير:٤).

غير أن اللفظة التي كثر ذكرها في القرآن هي الناقة، فقد تكرر ذكرها سبع مرات، ولعل تميز الناقة عن الجمل في كثرة الذكر لكثرة منافعها، فهي وعاء النسل، ومصدر الحليب واللبن ومشتقاتهما، ولها فوائد جمة يعرفها الذين يربون الإبل.

وورد ذكر الإبل في القرآن الكريم، في عدة مواضع تحدياً وعبرة وآية للإنسان عامة وللعربي خاصة، لارتباطه الوثيق بالإبل في جميع مناحي حياته. فجعل الله من خلقها مصدراً لإلهام العربي قدرة التفكير في ملكوت الله وإرشاده بالمنطق والعقل إلى طريق الصواب والهداية إليه سبحانه وتعالى خالق الكون وما فيه، وللدلالة على وجود اللطيف الخبير عز وجل. قال الله سبحانه وتعالى مرشداً وهادياً ومتحدياً ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ (الغاشية:١٧).

كما جاء ذكر الناقة في القرآن الكريم آية واضحة وفتنة بالغة لبني البشر للدلالة على وجود الرسل وتأييد الله لهم بدلائل النبوة، مع تقديم الحجة القوية لوجود عذابه لمن عصاه. قال تعالى ﴿فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها﴾ (الشمس:١٣). وقال تعالى ﴿إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر﴾ (القمر:٢٧). وقال تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾ (الأعراف:٧٣). وقال سبحانه ﴿وياقوم هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾ (هود:٦٤). وقال جل وعلا ﴿ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم. ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ (الشعراء:١٥٥-١٥٦). وقال عز من قائل ﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾ (الأعراف:٧٧). وقال عز وجل ﴿وما منعنا أن نرسل بالأيات إلا أن كذب بها الأولون وءاتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالأيات إلا تخويفا﴾ (الإسراء:٥٩). وشبه سبحانه وتعالى شرر لهيب جهنم



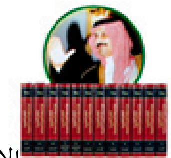
تشبيهاً بليغاً ملموساً لدى العرب، فقال عز من قائل ﴿ويل يومئذ للمكذبين. انطلقوا إلى ماكنتم به تكذبون. انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب. لا ظليل ولا يغني من اللهب. إنها ترمي بشرر كالقصر. كأنه جمالت صفر﴾ (المرسلات: ٢٨-٣٣).

ومما يوضح إكرام الله تعالى للإبل أن جعلها من شعائره عز وجل، ومن تسخيرها طائعة لبني البشر. كما أوضح آداب وأغراض استخدامها للإنسان لعله يتفكر ويشكر. قال الله تعالى ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ (الحج: ٢٧). وقال تعالى ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾ (الحج: ٣٦). وقال تعالى ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا ياأبانا مانبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ (يوسف: ٦٥). وقال عز من قائل ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾ (يوسف: ٧٠). وقال تعالى ﴿قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾ (يوسف: ٧٢).

وأقام دليل التحدي في الإبل قائلاً عز وجل ﴿وإذا العشار عطلت﴾ (التكوير: ٤). وجعلها مظهراً من مظاهر الجمال، فقال ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ (النحل: ٦).

وتدل كثرة ضرب القرآن المثل بالإبل، استشهاداً أو تشبيهاً، أو تحدياً وإعجازاً، على أن هذه الإبل كانت أكثر شيء قرباً وارتباطاً بالعربي المتوجه إليه بالخطاب. لهذا ركزّ القرآن الكريم في خطاب هذا العربي باستيحاء بيئته نباتها وحيوانها ومناخها، فلم يكن من حيوانها مضرباً للمثل أو العبرة أو العظة أو التمثيل أو التشبيه كالإبل. وبهذا المعنى ينبهنا القرآن الكريم إلى قوة الصلة والارتباط بين العربي والإبل.

ولمّا كانت البيئة التي خاطب بها القرآن الكريم هذا العربي، هي البيئة نفسها التي خاطبت بها السنة المطهرة ذلك العربي، وجدنا في أقوال المصطفى ﷺ الكثير من الأحاديث التي تتخذ من الإبل محوراً لتمثيلها أو عظتها وعبرتها. فعنه ﷺ أنه قال «الإبل عز لأهلها» (سنن ابن ماجه: ٦٩).



وقد أبان الإحصاء أن الإبل وردت في المأثور من قول الرسول ﷺ في نحو ١٠٩ من الأحاديث، بينما جاء ذكر البَدَنَة في ٥٦ حديثاً. وهي أحاديث تعالج ما كان سائداً من التقاليد والعادات الخاطئة عن الإبل في الجاهلية وتصحيح الإسلام لمفاهيمها. فمن ذلك أنهم كانوا يذبحون أول نتاج لإبلهم ولا يملكونه؛ رجاء البركة في الأم وكثرة نسلها، وكانوا يسمونه الفرع فجاء توجيهه ﷺ بإلغاء هذه العادة حين قال «لا فرع ولا عتيرة». كما كان من عاداتهم أن الرجل إذا بلغْت إبله مئةً قدَّم بكراً فنحره لصنمه، ويدعونه فرعاً، فنُهي المسلمون عن ذلك. أما العتيرة فهي: ذبيحة يذبحونها في العشر الأوائل من رجب. وكان من عاداتهم أيضاً أن الناقة إذ أنجبت خمسة أبطن، وكان آخرها ذكراً بَحَروا أذنها أي شقوها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح، ولا تُحلأ (لا تطرد) عن ماء ترده، ولا تُمنع من مرعى وتسمى البَحِيرة، كما كانوا ينذرون لآلهتهم إحدى النياق فيتركونها فلا يتعرضون لها، ويسمونها السائبة، أما الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن فتسمى الوصيلة فلا يذبحونها ولا يضربونها ولا تمنع مهما ترد على حوض. أما الحامي، وهو الفحل من الإبل، فيضرب الضرب المعدود قبيل عشرة أبطن فإذا بلغ ذلك قالوا: هذا حامٍ أي حمى ظهره، فيترك فلا ينتفع به بشيء، ولا يمنع عن ماء، ولا رعي، ويقول الفراء: الحامي هو إذا لقح ولد ولده فقد حمى ظهره فلا يركب ولا يجز له وبر، ولا يُمنع عن مرعى.

كل هذه المعتقدات والعادات جبَّها الإسلام، وحرمها تحريماً مطلقاً حينما نزل قوله تعالى ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ (المائدة:١٠٣). أما في غير الإسلام فلحم الإبل محرَّم في التوراة، لأن الإبل غير مشقوقة الظلف «كُلُّ ما شَقَّ ظِلْفاً، وَقَسَمه ظِلْفَين، ويجتَرُّ من البهائم، فإياه تأكلون إلاّ هذه فلا تأكلوها ممّا يجْتَرُّ، وممّا يَشُقّ الظِّلفَ: الجَمَلَ لأَنَّهُ يَجْتَرُّ، لكنَّه لا يَشُقُّ ظِلْفاً، فَهو نَجِسٌ لكُمْ» (سفر اللاويين: ٤-٥) وأما عند المسيحين فلحم الإبل محلل.

واختلف في انتقاض الوضوء بأكل لحم الإبل، فقال بعدم انتقاضه الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعظم الصحابة والتابعين، والأئمة الثلاثة: أبو حنيفة والشافعي ومالك بن أنس. وقال بانتقاضه الإمام أحمد ابن حنبل، وابن راهويه، والبيهقي.



أما زكاة الإبل فإجماع الأئمة على أنها واجبه متى بلغت نصاباً، وحال عليها الحول، وكان مالكها حراً.

ومما جاء في الحديث الشريف والأثر عن الإبل ما رواه عمر بن الخطاب # قال «قال رسول الله ﷺ تجدون الناس كإبل مئة لا يجد الرجل فيها راحلة» وفي معنى آخر «الناس كالإبل ترى مئة لا تجد فيها راحلة» (ابن حنبل، ج٢:٧).

وروي أن قيس بن عاصم قال، «أتيت رسول الله ﷺ فرحب بي وأدناني فقلت: يارسول الله، المال الذي لا يكون علي فيه تبعة ما ترى في إمساكه لضيف إن طرقني، وعيال إن كثروا عليَّ، فقال: نعم المال الأربعون، يعني الإبل، والأكثر الستون، وويل لأصحاب المئين، ثلاثاً، إلا من أعطى من رسلها (اللبن)، وأطرق فحلها (أعاره للضراب)، وأفقر ظهرها (أعارها للركوب أو للحمل عليها) ومنح غزيرتها، (تعطى لتحلب وترد)، وأطعم القانع والمعتر (المحتاج إلى الصدقة من غير أن يسأل) (ابن حنبل، ج٥:٢٤). وفي صحيح مسلم قريب من هذا (مسلم د.ت، ج٣:٧٤).

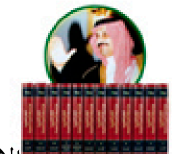
وروي أن عمر بن الخطاب # قال: «إذا اشتريت بعيراً فاجعله ضخماً فإن أخطأك خبر لم يخطئك سوق».

وكان لرسول الله ﷺ عدد من الإبل وأشهرها ناقته (القصواء)، التي اشتراها من أبي بكر الصديق # بأربعمئة درهم وهاجر إلى المدينة المنورة، وتسمى أيضاً بـ(العضباء) و(الجدعاء)، ومن الثابت أنها حملته عليه السلام في حجة الوداع، وعليها خطب خطبته المشهورة يوم عرفة، فقد تردد ذكرها في صفة حجة النبي ﷺ التي رواها عنه جابر #. وكان له عشرون لقحة بالغابة وهي التي أغار عليها القوم، يأتي لبنها أهله رضوان الله عليهم كل ليلة، وكان له لقاح غزار منهن الحسناء، والسمراء، والعريس، والسعدية، والبغوم، واليسيرة، والرياء، ومهرة، والشقراء.

وورد في المأثور أيضاً: «لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم» والمقصود بذلك أنها تعطى في الديات فتحقن بها الدماء والرَّقوء -على فعول بالفتح- ما يوضع على الدم.

الإبل في اللغة

يطلق على الإبل أسماء عدة في اللغة، منها: الإبل والشول والعشار، والنوق والأينق والنياق، والأباعر والبعران والأبعرة. إضافة لذلك فقد ذُكر في كتاب نظام الغريب في اللغة أن الأنعام هي



المواشي كلها من الإبل والبقر والأغنام. أما النعم فهي الإبل السائمة، والنوادي ويراد بها النـواد، وهي الإبل المتفرقة، تقول العرب أند البعير: إذا نفر وهرب، أما الجرجور والـدثر والعكنان والجامل فهـي الإبل الكـثيـرة، والبرك: الإبـل الباركة، والجلة كـبار الإبل. أما الإفال والحشو والدردق فهي صغار الإبل. قال الراجز:

إن تـسـلـم الجلـة فـالحـشـو هَـدَرْ

والمتلية هي التي معها ولدها يتلوها لأنها تلد مـتأخرة عن النياق الأخرى، والمخيسة هي الإبل المشدودة بـالرحال، والحقاق هي الإبل (النياق) الصغار دون الكـبار، وهي جـمع حقة وهـي التي استحقت الفحل، أما الحُمول بالضم فهي الإبل المرحولة، والبهازر النوق السمـان واحدتها بهزرة وهي النخلة العظيمة.

وذكر الثعالبـي في كتاب فقه اللغة وأسرار العربية أن البكر من الإبل بمنزلة الفتى، والقلوص بمنزلة الجارية، والجمل بمنزلة الرجل والناقة بمنزلة المرأة والبعـير بمنزلة الإنسان.

ويقـول الدميـري في كـتـاب حياة الحيوان الكبرى: الإبل هي الجمال وهو اسم يقع على الجمع وليـس بجمع ولا اسم، إنما هو دال على الجنـس. ويقال للإبل بنات الليل، ويقال للذكر والأنثى منها بعير إذا أجـذع ويجمع على أبعرة وبعران. وتجـمعه الباديـة على بعاريـن وأباعر وهو فصيح، قال الشاعر:

زوامـل للأشـعار لا عـلمَ عـندهـم
بـجـيـدهـا إلا كـعـلـم الأبـاعــر

لـعمـرك ما يـدري البـعيـر إذا غدا
بـأحمـالـه أو راح ما فـي الـغرائـر

وهذا فـي نجد والشـمال. أما فـي الجنوب فبعارين تختص بها الذكور فقط، فإذا كانت نياقاً ومعها ذكور فهي إبل.

والبعير سمي بعيراً؛ لأنه يبعر يقال بعر البعير يبعر. وهو اسم يقع على الذكر والأنثى، وحـكي عن بعـض الأعراب قولهـم: صرعني بعـيري: أي ناقتي، وشربت من لبن بـعيري، وإنما يقال له بعـير إذا أجذع والجـمع أبعـرة وأباعر وبعران.

وورد في كتاب الحيوان للجاحظ أن الأعلم هو البعير ويسمى بذلك لأنه أبداً مشقوق الشفة العليا، والبعير هو مركب هود وصالح وشـعيب والنبيـين عليهم السلام.

وقد ورد في التراث أسماء مختلفة تصف الإبل وتميزها في حالاتها المختلفة من سمـن وضعف وسلوك وعـدد وما إلى ذلك من كل ما يتعلق بها تقريباً.



فمن أسماء الناقة القوية عندهم الوجناء يريدون بها الناقة الشديدة القوية مأخوذ اسمها هذا من الوجين، وهو ما غلظ من الأرض، وقيل ظاهرة الوجنات، قال زهير بن أبي سلمى ذاكراً الناقة الوجناء:

فلما رأيت أنها لا تجيبني
نهضت إلى وجناء كالفحل جلعد

والجلعد: الشديدة. والعنس الناقة الشديدة شبهت بالصخرة لصلابتها؛ قال أوس بن حجر في العنس:

وعنس أمون قد تعللت متنها
على صفة أو لم يصف لي واصف

وقوله أمون يعني: حسنة وثيقة الخلق مأمونة. والعنتريس هي الناقة الصلبة الوثيقة من العنتريس وهي الداهية، والعنتريس: الذكر من الغيلان وهى أيضاً عرندس ومتلاحكة. أما العيسجور فهي الناقة الصلبة السريعة من العيسجور وهي السعلاة. ومثلها السناد وهي الناقة الشديدة الخلق الطويلة القوائم المرتفعة الغارب، ومسندة السنام من السند وهو ما ارتفع من الأرض وقيل الجبل. والمفرهة الناقة التي تلد الفره في الإبل وهي القوية السريعة. قال مالك بن جعدة:

تحل على مفرِّهة سناد
على أخفافها علق يمور

والجلس أيضاً الناقة الشديدة. والجلس من الإبل الجسيم الوثيق، من الجلس، وهو الجبل والصخرة العظيمة. والجالس هو البعير عندما يكبر سنه. والشجعاء الناقة الشديدة السرعة، الخفيفة من الشجاع وهو نوع من الحيات. والعذافرة من الإبل العظيمة الشديدة وهي دوسرة أيضاً. قال الحطيئة مشيراً إلى الناقة العذافرة.

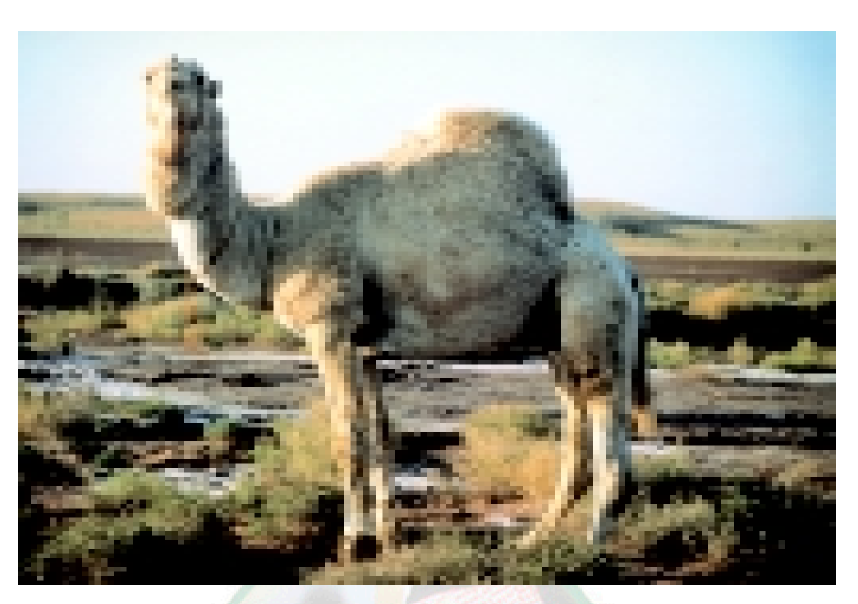
عذافرة خرساء فيها تلفت
إذا ما اعتراها ليلها المتطاول

وقوله خرساء، أي أنها لا ترغي (كتوم)، وفيها تلفت أي أنها قلقة من طول السرى في الليل. والعلنداة الناقة الضخمة الشديدة أو الحسنة الخلق والفتية، والعلندى البعير الضخم. والعلندى نوع من شجر الرمل، والعلنداة شجرة صلبة العيدان طويلة. وإذا كانت الناقة أيضاً تامة الجسم حسنة الخلق فهي عيطموس ودلعبة. قال ذو الرمة يصف ناقة علنداة:

يتبعن شأو علنداة مذكرة
خطارة مرة إحدى المماهير

والشأو، الطلق في الشوط، ومذكرة شبيهة بالذكر وهو الفحل من الإبل، وخطارة تخطر في سيرها، والمماهير الماهرات في السير. والمقذوفة هي الناقة السمينة قال عبدة بن الطبيب مشيراً إليها:





العلندى: البعير الضخم

قرواء مقذوفة بالنحض يشعفها
فرط المراح إذا كان المراسيل

ويشعفها: يدفعها، والشعفة: القلب، والمراسيل (واحدها مرسال): الراعي، والقرواء: الناقة الطويلة القرا وهو الظهر. ويقال للناقة السمينة أيضاً المدفأة وهي الكثيرة الأوبار والشحوم.

أما الإبل الضِّعاف فمنها المزجيات وهي الأبل الكالة من التعب؛ قال عبدة بن الطبيب:

ومزجيات بأكوار محملة
شوارهن خلال القوم محمول

وتزجي: يسار بها رويداً رويداً، والشوار: المتاع، والنضو: البعير المهزول والناقة نضوة؛ قال ذو الرمة:

قطعت به ليلاً على كور نضوة
تعاطي زمامي مرة وتجاذبه

والعوجاء: هي الناقة التي اضطرب (تغير) خلقها بسبب الجدب (القحط) والمحل فهزلت. والرجزاء أيضاً الناقة الضعيفة العجز إذا نهضت من مبركها لم تستقل (تتوازن). قال أوس بن حجر:

هممت بخير ثم قصرت دونه
كما ناءت الرجزاء شد عقالها

أما الرذايا (والواحدة رذية) فهي النوق التي هزلت وتعبت من السير فلا تلحق بالركب. ووصفوا النوق في السير بصفات منها الجسرة وهي الناقة العظيمة التي تجرؤ على السير والهول فلا تقف؛ قال علقمة بن عبدة (علقمة الفحل):



بـجـسـرة كـعـلاة الـقـين دوسـرة

فـيـهـا عـلـى الأين إرقـال وتبـغـيل

العلاة: سندان الحداد، والدوسرة: القوية، والأين: الإعياء والتعب.

وإذا كانت الناقة سريعة فهي عصوف ومشـمعلة وعـيهل وشـملال ويعمـلة وهمرجلة وشميذرة وشملـة؛ قال عبيد بن الأبرص:

وقد أسلِّي همـومي حين تحـضرني

بـجـسـرة كعـلاة الـقـين شـمـلال

والناجية هي الناقة التي تنجو براكبها أيضاً؛ قال طفيل الغنوي:

وجـعـلـت كـوري فـوق نـاجـيـة

يـقتـات شـحم سـنـامهـا الـرحـل

والسيلق الناقة المـاضية في سيرها. قال جعفر ابن علبة الحارثي:

وسـيري مـع الفـتـيان كـل عشـيـة

أبـاري مطـاياهـم بصـهبـاء سيـلق

والهوجاء هي الناقة التي ترمي بنفسها من النشاط أثناء سيرها. أما القوداء فهي الطويلة العنق والظهر من الإبل. والأقود الطويل العنـق والظهر من الإبل، وهو مـن الأقـود وهو الجـبـل الـطـويل. والأصوص الناقة الحائل السمينة. قالت العـرب في أمثـالهـا «أصوص علـيها صوص» والصوص هنـا اللئيم أي ناقة حائل يركبها لئيم.

أما القلوص من النـوق فهي الشابة النشيطة المستمرة في سيرها وجمعها قُلُص وقلائص، وجمع القُلُص قِلاص؛ قال مالك بن الريب:

ألا لـيت شـعري هـل أَبِيـتَنَّ لـيلـة

بوادي القرى أزجي القلاص النواجيا

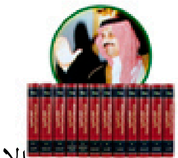
والقلوص لدى البادية هي الناقة التي تقرن بحبل في ناقة أخرى عليها راكب؛ قالت ليلى الأخيلية:

كـأن فتـى الفـتيـان تـوبة لـم ينـخ

قلائـص يفحصـن الحصا بـالكراكـر

وقالت العرب في أمثالها «آخر البز على القلوص». والبز الثـياب المقلوصة أي المربوطة في أخرى.

والجلالة الناقة العظيمة، وإذا كانت النـاقة غليـظة ضخمـة فهي جَـلَنْفعـة وكنعرة، أمـا إذا كانت طويلة ضخـمة فهي عندهم جسرة وهرجاب. وإذا كانت طويلة السنام فهي كوماء، أما إذا كانت عظيـمة السنام فـهي عندهم مـقحاد. والعيرانة والعرمس الناقة الصلبة النشيطة شبـهت بحـمار الوحش فـي السرعـة والنـشاط. والشمـردلة النـاقة الحسـنة الجميلة. وإذا كانت الناقة عظيمة الجوف فهي مجفرة. أما إذا كانت قليلة اللحم فهي حرجوج وحرف ورهب. فإذا كانت النـاقـة تنزل وحدها ناحـية (تبتعد عـن



الإبل) فهي عندهم قذور. والبعير الأذب: الكثير الوبر.

إضافة لذلك فقد شبه العرب إبلهم بحيوانات أخرى وأشياء أخرى في شكلها وصفاتها. فقد شبهوا الناقة بالفحل من الإبل؛ يقول ذو الرمة:

كأنها جمل وهم وما بقيت

إلا النحيزة والألواح والعصب

والجمل الوهم هو الفحل من الإبل، ويكون أعظم خلقاً من الناقة، ولذلك قالت العرب «ناقة جُمالية». والوهم عظيم الخلق، والنحيزة: الضعيفة، والألواح العظام العريضة؛ يقول الأخطل:

كبداء دفقاء محيال مجمرة

مثل الفنيق علاة رسلة الجنب

والكبداء العريضة الصدر، والدفقاء التي تتدفق في سيرها، والمحيال التي لم تنجب ولداً، والمجمرة الغليظة الأخفاف، والفنيق الفحل من الإبل. والرسلة الخفيفة.

إضافة لما تقدم فقد شبهوا الإبل بحيوانات أخرى مثل العيرانة وهي الناقة المشبهة بالعير من الوحش لصلابتها. كما شبهت بالبقرة الوحشية، وبالأشجار وكثبان الرمل والرياح وغير ذلك؛ فالرامسات هي الإبل التي تخرج ليلاً، والرامسات أصلاً هي الرياح التي تذرو التراب، والوقادة مأخوذة من الريح الشديدة الباردة. والبزخاء الناقة في عجزها (مؤخرتها) وطأة (انخفاض) وهو الوطاء من الرمل.

ومما أخذ من أسماء الجبال قولهم القهب للعظيم من الإبل مأخوذ من الجبال، واللابة: الإبل المجتمعة السود مأخوذ من اللوبة وهي الحجارة السود تكون في أنف الجبل، والوأب البعير العظيم والناقة العريضة مأخوذ من الوأبة وهي النقرة في الجبل، والصفاح من الإبل التي عظمت أسنمتها مأخوذ من الصفاحة وهي الصخرة، والصلندحة الناقة الصلبة من الصلندح وهو الحجر العريض، وناقة جماد مأخوذة من الأرض الجماد وهي الغليظة. والعمدة الناقة الباقية على القر والجدب مأخوذ من العمدة وهي الصخرة الراسية، والعبدة الناقة الشديدة مأخوذة من العباديد وهي الآكام، والكبداء الناقة العظيمة البطن، والكبداء هي القطعة الصلبة من الأرض، والجلذية الناقة القوية الشديدة الصلبة مأخوذ من الجلذي وهو الحجر أو من الجلذاءة وهي الأرض الغليظة الصلبة. والقار القطيع المجتمع من الإبل مأخوذ من القارة وهي الحرة ذات الحجارة السود، والطبز وهو الجمل

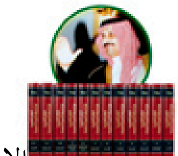


ذو السنامين، والطبز هو ركن الجبل. والخال البعير الضخم والخال هو الجبل الضخم. والعرمس الناقة الصلبة الشديدة، والعرمس في الأصل هي الصخرة. والخشناء الناقة العجفاء والخشناء هي الأرض الغليظة. والتلاعة الناقة الطويلة العنق المرتفعة مأخوذ اسمها من التلاعة وهي الأرض المرتفعة. والدحنة البعير الغليظ من الدحنة وهي الأرض المرتفعة.

ومما أخذ من أسماء الحيوانات وصفاتها العيثوم وهو الجمل الضخم الشديد والعيثوم هو الفيل. والشدنية الناقة الفتية الصغيرة الجميلة مأخوذ اسمها من الشادن وهو ولد الظبي، والكوادنة الناقة العظيمة مشتق من الكودن وهو البرذون أو البغل. وبعير ذب أي صلب قوي من الذب وهو الثور الوحشي. والسمج الناقة الطويلة شبهت بأتان (حمارة) الوحش الطويلة. والدلهاث الجريء من الإبل والدلهاث هو الأسد الجريء المفترس. والسبنتاة الناقة الجريئة والسبنتاة هي اللبوة. والعرندس البعير الضخم والعرندس أصلاً هو الأسد الشديد، وكذلك العميثل فهو الجمل الضخم والعميثل هو الأسد. والنسول هي الناقة السريعة مأخوذ من نسلان الذئب وهو سرعته، والعملس الجمل القوي على



الدهنج أو الطبز: الجمل ذو السنامين



السيـر السريع، والعمـلس من صفات الذئـب السريع، والـعنسل هـي الناقة السريعة مشتق اسمها من عسلان الذئب وهو سرعته، والسلقم العظيم من الإبل مأخـوذ من الـسلـقمة وهـي الذئـبة، والشيذُمانة الناقة الفتية (الشابة) السريعة والشيذُمانة من أسماء الذئب، والعسبرة والعسبورة الناقة النجيبة السريعة مأخوذ من العسبار وهو ولد الذئب.

ومما أخذ من أسماء الـطير قولهم: السمامك للناقة السريعة مأخوذ من الطير المعروف بالسمام، وحجل الإبل صغار الإبل (أولادها) مأخوذ من طائر الحجل، والعوهج الـناقة الشابة الفتيـة وهي من أسماء النعام، والهجنع من أولاد الإبل وهو ما نتج في حمارة القيظ وقلما يسلم من قرع الرأس (مرض)، وتسميه البادية قيظـيْ وأمه مقيظ مثـل الذي يولد في الصيف فهو صيفي وأمه مصيف، وهو مأخوذ من الهجـنع وهو الظليم الأقرع (ذكر النعام). والعوهق هي الناقة الطويلة مشتق من العوهق وهي النعامة الطويلة.

واستعاروا من أسماء الزرع والسلاح والبيوت المراكب والمناهل أسماء لإبلهم أيضاً، فقولهم ناقة علـجن، أي مكتنزة اللحم مأخوذ من العلجان وهو نوع من الشجر، والبهاريز النوق الصفايا مأخوذ من النخل، والـعشة هي الناقة الدقـيقة المهزولة، وتسميها البادية عراء، مأخوذ من النخلة الصغيرة الرأس القليلة السعف، وبصاق الإبـل خيارها وهو مأخـوذ من نوع من النخل، والحرف الـناقة النجيبة شبهت بـحرف (حد) السيف أو حرف الجبل لدقتها؛ قال جرير يصف ناقته:

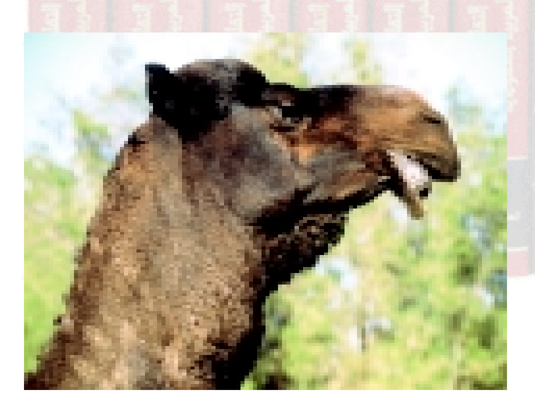
حـرفاً أَضـرّ بـهـا السِـفـار كأنـهـا
جـفــن طـويــت بـه نجـاد يمــانِ

والرهب الناقة الضامـرة مأخوذ من الرهب وهو السهـم أو النصل الرقيق، والناقة العلاة هي الصلبة الجسيمة مشبهة بالعلاة وهي السندان. وبعير سطاع أي طويل ممتد الجـران والعنق، مأخوذ من السطاع وهي خشبة تنصب وسط الخباء. والناقة الخبر هي الناقة الغزيرة اللبن شبهت بالخبر وهي المزادة. والصرصور العظيم الجسم مـن الإبل والصرصور نـوع من السفن. والخلية الناقة التي عطفت على ولد واحد مأخوذ من الخلية وهي السفينة العظيمة التي يتـبعها زورق، وناقة أجد ومؤجدة يعني موثقة متصلة الفقار مأخوذ من الآجاد وهو قصر محكم البناء. وإبل جفار غزيرة شبهت بجفار الركايا، والجفر هو البـئر الواسعة. وناقـة عفرناة قوية مأخـوذ من الـعفـرية وهي الـداهيـة. والقرطـبوس الناقـة العظيـمة الشديـدة



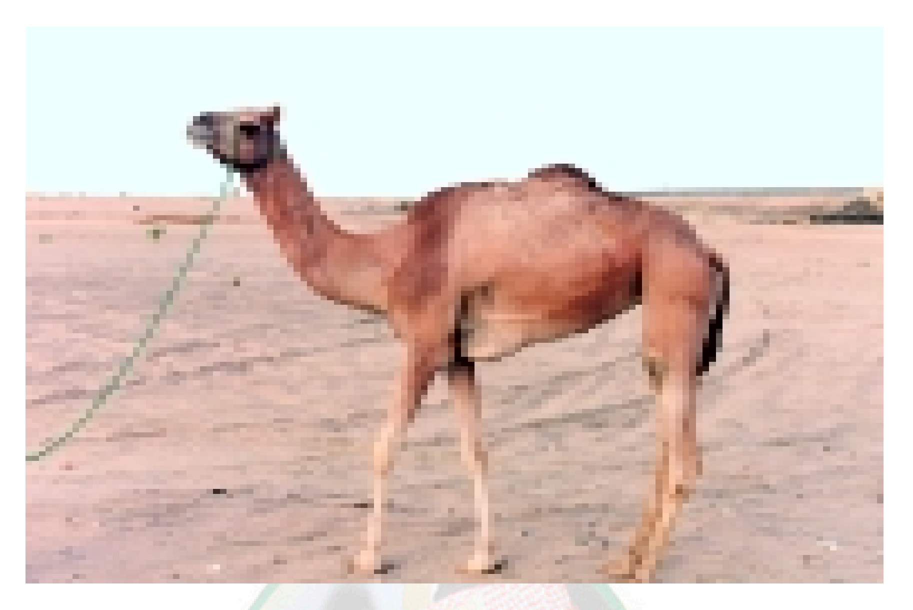
والقرطبوس أيضاً الداهية. والدبل البعير إذا امتلأ لحماً وشحماً والدبل الداهية أيضاً. والدرخمين هو الضخم من الإبل والدرخمين من أسماء الغيلان، والعقد الجمل القصير القوائم الطويل السنام، فإذا مشى مع الجمال قصر عن طولها وإذا برك معها طالها لطول سنامه. والعقال: القلوص الفتية، والعندل: البعير الضخم الرأس يستوي فيه الذكر والأنثى.

وللإبل عدد من الصفات منها ما هو على هيئة مرض ومنها ما هو طبيعي أو خلقة؛ فقولهم: بعير أحرد وناقة حرداء وذلك أن يسترخي عصب إحدى يديه من عقال أو يكون خلقة حتى كأنه ينفضها إذا مشى. والحرد داء في القوائم إذا مشى البعير نفض قوائمه فضرب بهن الأرض. وبعير أخلف أي مائل على شق. وناقة خنفاء، من الخناف وهو لين في أرساغ البعير. والخَيَفُ إذا كانت إحدى عينيه كحلاء والأخرى زرقاء، وبعير أخيف وناقة خيفاء. والدرفس الضخم من الإبل والأنثى درفسة. والدردق صغار الإبل. والدلهث سريع الجري. وبعير دالح إذا دلح وهو تثاقله في مشيه من ثقل الحمل. وناقة دلوخ ودلخاء موقرة شحما. والدهنج والدهج البعير ذو السنامين. وجمل دوسر ودوسري ودوسراني ودواسري ضخم شديد مجتمع ذو هامة ومناكب بارزة. والسرداح والسرداحة الناقة الطويلة. والسمحج الناقة الطويلة. وناقة شملة وشملال وشمليل خفيفة سريعة مشمرة. وناقة شودح طويلة. والصيعرية أعراض في السير والصيعرية سمة في العنق. والقلوص الفتية من الإبل وقيل هي الثنية وقيل هي ابنة المخاض وقيل هي كل أنثى من الإبل تركب، أو هي التي تربط بحبل في أخرى عليها راكب. وناقة قنعاس طويلة عظيمة سمينة وكذلك الجمل قُنَاعس. وناقة كتوم هي التي لا ترغي إذا ركبها صاحبها. وجمل كز صلب شديد. والنجيب من الإبل الكريم العتيق والقوي الخفيف السريع. والمهللة من الإبل التي ضمرت وتقوست (على هيئة هلال). والجمل الهلقم والهلقام واسع الشدقين. والأوجن من الجمال والوجناء



الهلقم: البعير الواسع الشدقين



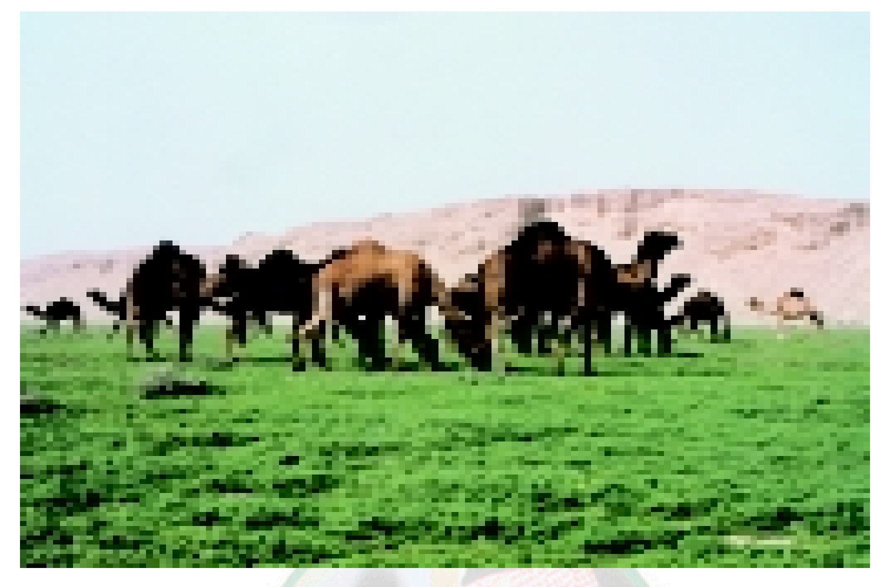


حرة صيعرية

من النوق ذات الوجنة الضخمة وقيل هي العظيمة الضخمة.

وقد ورد في الشعر والتراث العربي أسماء مختلفة تميز الإبل في أعدادها مثل الذود والقطيع من الإبل وهو من ٣-٩ وقيل ما بين ٣-١٠ وقيل من ٣-١٥ وقيل إلى عشرين وفويق وقيل ما بين ٣-٣٠ ولا يكون إلا من الإناث. والشمشول من العشرة إلى العشرين. والصُّبَّةُ من الإبل ما بين ٢٠-٣٠ وقيل ما بين ١٠-٤٠ وقيل هي من الإبل ما دون المئة. والجمجمة هي ستون من الإبل، والجهام أو (البوش) هي الإبل التي لا حصر لعددها، وتكون لأناس متعددين وتجتمع في مكان واحد كمورد للمياه أو روضة واسعة. والحدرة من الإبل ما بين ٢٠-٤٠ وقيل نحو الصرمة. الحطمة العكرة من الإبل. والصديع الصرمة من الإبل وقيل هي نحو الستين من الإبل. والصرمة القطعة من الإبل ما بين ٢٠-٣٠ وقيل ما بين ٣٠-٥٠ فإذا بلغت ٦٠ فهي الصدعة. والجزمة نحو الصرمة. والعرج من الإبل من ٧٠-٨٠ وقيل من ٨٠-٩٠ وقيل ١٥٠ وقيل من ٥٠٠-١٠٠٠ وقيل الكثير من الإبل. وغَضْبَى اسم للمئة من الإبل. والقصلة المجموعة من الإبل نحو الصرمة وقيل هي من ١٠-٤٠ فإذا بلغت ٦٠ فهي الكدحة. وإذا بلغت ٣٠٠ بعير سموها ليلى. والهجمة القطعة





الشمشول: الإبل من ١٠ – ٢٠

الضخمة من الإبل وقيل هي من ٣٠– ١٠٠ وقيل أولها ٤٠ وقيل من ٧٠ إلى أقل من المئة؛ قال محمد بن ناصر المقابله من الشعر النبطي:

كم هجمةٍ يَبّسوا صملان راعيها
لى ساج حبل الحقب قِدّام الاتفان

وقد وردت بعض هذه الأسماء الخاصة بأعداد الإبل في الشعر العربي، يقول عبيد الله بن قيس الرقيات مشيراً إلى الهجمة من الإبل:

وعندي مما خول الله هجمة
عطاؤك منها شولها وعشارها

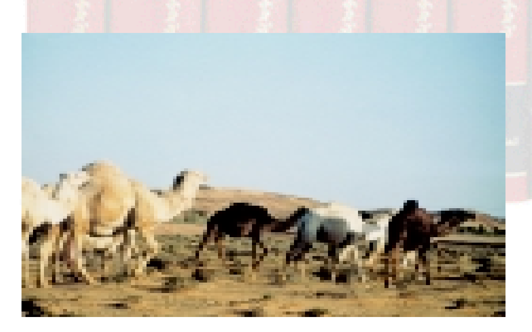
أما الذود من الإبل فقد قالت عنه العرب في أمثالها «الذود إلى الذود إبل»، قال البحتري في هذا المعنى:

من لفا هذا إلى مخسوس ذا
ومن الذود إلى الذود إبل

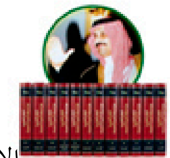
واللفا هنا هو الخسيس. أما الشنفرى فيقول:

توافْين من شتى إليه فضمها
كما ضم أذواد الأصاريم منهل

وأما الصرمة فقد ذكرها أبو تمام بقوله:



من الذود إلى الذود إبل



من بعد ما صارت هنيدة صرمة
والبدرة النجلاء صارت كيسا
وهند وهنيدة اسم المئة من الإبل؛ قال الأحوص الشاعر مشيراً إلى الهنيدة:
فقبلك ما أعطى الهنيدة جلة
على الشعر كعباً من سديس وبازل
وقال جرير:
أعطوا هنيدة تحدوها ثمانية
ما في عطائهم مَنٌّ ولا سرف
وقال النابغة الذبياني:
الواهب المائة الأبكار زينها
سعدان توضح في أوبارها اللّبد
وقال الكميت في الجرجور وهو الجماعة من الإبل:
ومُقِلٍ أسَقْتُمُوه فأثرى
مائةً من عطائكم جرجورا
أما العرج فقد ذكره طرفة بن العبد بقوله:
يوم تبدي البيض أسؤقها
وتلف الخيل أعراج النعم
أسؤقها: جمع ساق، وتلف: تجمع.

وما تقدم هو قليل من كثير مما قالته العرب عن الإبل في مختلف حالاتها وأسمائها وصفاتها ومشتقات أسمائها وغير ذلك مما فاض به نثرهم وشعرهم.

وكان ذكر الإبل في كثير من مقولات التراث نثره وشعره وأراجيزه، متضمناً علاقة العربي ببعيره وعمق هذه العلاقة. وهي مقولات تدل على معرفة العربي التامة بإبله وأنسابها وصفاتها وأمراضها وسلوكها وشربها وأكلها، وتركيب أجسامها. وما هذه المعرفة إلاّ نتيجة لارتباط البعير بالعربي ارتباطاً وثيقاً في جميع أموره.

الإبل في الشعر العربي

إن دارس الشعر العربي ومتتبعه في أطواره المختلفة، منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، لا يفوته موقع الإبل في هذا الشعر. وهو موقع يختلف قوة وضعفاً، كثرة وندرة، باختلاف البيئات التي ظهر فيها الشعر، واختلاف التقاليد الفنية التي سيطرت على الشعراء من حيث التقليد والتجديد. ففي الشعر القديم، الجاهلي منه والإسلامي، كان ذكر الناقة، في معظم هذا الشعر، خصيصة فنية يحرص عليها الشاعر كجزء مهم من أجزاء قصيدته المطولة غالباً. وتستخدم للتوصل إلى الأغراض المختلفة التي يلم بها الشاعر. ولا غرو في ذلك فقد لازمت الإبل الشاعر في مواقف كثيرة من حياته؛ وقفت معه على الأطلال، ورافقته في رحلته الشاقة الطويلة عبر الصحراء، وأدنته في كثير

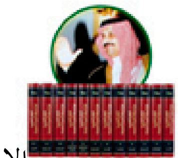


من الأحيان إلى أحبابه، ووصلت بينه وبين ممدوحه، ودخلت مجال أنسه وبهجته. فوجدها مصاحبة له في مختلف أدوار حياته. هذا التلازم الشديد بين الشاعر وناقته، جعله يشركها معه في أحاسيسه، فيناجيها ويتخيل أنها تشكو إليه ما تلقاه من وصب السفر ومشقته، وهو يتألم لها ويعطف عليها. ويكفي أن نقرأ أبيات المثقب العبدي التي تشكو فيها ناقته من كثرة السفر والترحل، حتى نحس أي عطف يشعر به الشاعر نحو هذا المخلوق الوفي:

إذا ما قمت أرحلها بليل
تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضيني
أهذا دينه أبداً وديني؟
أكل الدهر حل وارتحال؟!
أما يبقي علي وما يقيني؟

وأشار الحتي إلى أن أكثر ما وصل إلينا من أدب العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام، والعصر الأموي كان من الشعر. وقد احتل شعر الناقة قسماً كبيراً من الشعر العربي الجاهلي وذلك نتيجة للمكانة المرموقة التي تحتلها الناقة في نفس العربي في ذلك العصر، وقد يعجب بعضهم إن رأى أن الأبيات الشعرية التي قيلت في الناقة في المعلقات أكثر من الأبيات التي قيلت تغزلاً في المرأة. ويقول الحتي «فمعلقة النابغة الذبياني ستون بيتاً، يتغزل منها في ثلاثة وعشرين، ويصف الناقة في ثلاثة وعشرين. ومعلقة لبيد بن ربيعة تسعة وثمانون بيتاً، يتغزل منها في واحد وعشرين بيتاً، ويصف الناقة في ثلاثة وثلاثين. ومعلقة طرفة بن العبد مئة بيت وعشرة أبيات، يتغزل منها في عشرة ويصف الناقة في ثلاثين. ومعلقة الأعشى خمسة وسبعون بيتاً، يتغزل منها في سبعة عشر بيتاً، ويصف الناقة في عشرين. ويمدح بعض قومه في قصيدة أخرى، فيتغزل في ثمانية عشر بيتاً، ويصف الناقة في واحد وعشرين بيتاً، ثم يمدحهم في ثمانية عشر بيتاً. وأمثلة هذا في شعرهم كثير تكفي فيه النظرة السريعة» (١٤١٠: ٤٨).

وظلت الناقة رفيقة الشعراء في صدر الإسلام والعصر الأموي. وقد امتطاها كعب بن زهير إلى النبي ﷺ لينشده قصيدته بانت سعاد، وقطع بها الفرزدق الفلوات بين بادية البصرة ورصافة هشام بن عبد الملك. وبلغ من كثرة ما قال بعضهم من شعر فيها أن نسب إليها. فالشاعر الأموي الملقب راعي الإبل نكاد لا نذكر اسمه الصريح عبيد بن حصين،



وقد لقب بذلك لكثرة ما قال من شعر في وصف الإبل وتصويرها.

ونهج الشعراء في العصر العباسي، وما بعده، نهج أسلافهم في وصف النوق. ولكن بدأنا نلمس، منذ أوائل هذا العصر، أن الاهتمام بوصف الناقة بدأ يخف شيئاً فشيئاً كلما تقدمنا في العصور، أي كلما قطع العربي شوطاً من الطريق التي سلكها من البداوة إلى التحضر. ومع ذلك، برزت ظاهرة مهمة من مظاهر اهتمام العربي بالإبل، هي ظاهرة تصنيف الكتب فيها. وأول كتاب نعرفه في هذا الميدان هو كتاب الإبل للأصمعي. وأما الذين كتبوا في الحيوان عامة كالجاحظ في كتابه الحيوان، والدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى، فقد خصصوا مكاناً واسعاً للإبل في تصانيفهم.

ولمّا كان هذا البعير هو رفيق العربي في وحدته وتنقله عبر الصحارى والفيافي الشاسعة، مسلياً وحدته، مزيلاً همه، موصله لحبيبته وموطنه، أسماه العرب سفينة البر. وقد ورد الكثير من الشعر العربي القديم متحدثاً عن الجمل، ذاكراً المهام التي يقضيها العربي معتلياً ظهره؛ فمن قول العرب في البعير وإزالة الهم قول أبي تمام:

فوا الذي رتكت تطوي الفجاج له
سفائن البر في خد الثرى تخد

ورتكت: قاربت خطوها في المشي، وتطوي: تقطع، وخد الثرى: وجه الأرض. أما الشاعر العربي علقمة بن عبدة الملقب بعلقمة الفحل فيقول:

فدعها وسل الهم عنك بجسرة
كهمك فيها بالرداف خبيب

يقول الشاعر إذا ضاقت عليك الأمور فاتركها ودعها وتَسَلَّ بركوب ناقة قوية صلبة متجاسرة فيها قوة ونشاط وسرعة، تسير بك أنت ورديفك سير الخبب. أما طرفة بن العبد فيقول:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره
بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

وهو هنا يقول إذا حدث لي هم، فإني أطرده وأبعده عني بركوبي ناقة مفرطة النشاط عوجاء ترقل في سيرها.

وهذا الشاعر ذو الرمة قد وصف ناقته بأنها الدواء الشافي لقطع الفيافي والفلوات عندما تعدو بملع أو خبب، وهي ناقة حرف (ضامرة)، نياف (مشرفة، عالية)، مقورة القرا (محدودبة الظهر) من طول السير:

وحرف نياف السمك مقورة القرا
دواء الفيافي ملعها وخبيبها



أما ناقة الشاعر المتلمس فهي تكره الهوان والمذلة كما يكرههما الحر حيث يقول:

إن الهوان حمار الأهل يعرفه
والحر ينكره والرسلة الأجد

والرسلة: الناقة الذلول، والأجد: الموثقة الخلق. أما الشاعر عبد الله بن فضالة فيقول:

سيبعد بيننا نص المطايا
وتعليق الأداوي والمزاد

يعني أن استخراج أقصى ما عند المطية في النص (العدو) هو الذي يبعدنا عنكم، وليس معنا على مطيتنا إلا زادنا وأوانينا.

كما يشير بشار بن برد إلى أن الرجل يكفيه في سعيه للعيش والمجد حد سيفه ومطية عظيمة الوجنتين قوية صلبة تسرع في عدوها:

سيكفي فتى من سعيه حد سيفه
وكور علافي ووجناء ذعلب

بينما يسلي أوس بن حجر، همومه، بركوب ناقة جسَرة ذات سنام مكتنز بالشحم عظيم في قوله:

فدعها وسل الهم عنك بجسرة
عليها من الحول الذي قد مضى كنز

أما بشر بن أبي حازم الأسدي فيسلي همه بركوب ناقة جسرة شبيهة بالعير وهي تشبه الفنيق (الفحل) من الإبل، ضخمة شديدة، حيث قال:

لولا تسلي الهم عنك بجسرة
عيرانة مثل الفنيق المكدم

أما الأخطل فعندما شعر بأن المكان يضيق به لسبب من الأسباب، امتطى ظهر مطيته وغادر عليها قبل وقت الترحال:

ولما رأيت الأرض فيها تضايق
ركبت على هول لغير أوان

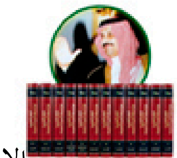
ويعود الأخطل ويقول مرة أخرى إنه لا يزيل الهموم ويبلغ النفس مناها، مهما تباعدت المسافات، إلا ركوب ناقة موثقة الخلق وذلك قوله:

أمست مناها بأرض ما تبلغها
بصاحب الهم إلا الجسرة الأجد

إضافة لما تقدم فإن البعير للعربي كان، وما يزال، وسيلة من وسائل إبداء كرمه وإظهاره لضيوفه وطارقيه، مهما كانت إبله عزيزة عليه. ومن شعرهم في إكرام الضيف، قول إبراهيم بن هرمة:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا
أبتاع إلا قريبة الأجل

يعني أنه ينحر الإبل المنتجة وأولادها لضيوفه. أما الشاعر سلمة بن الخرشب الأنماري فإنه يعطي ويهب الإبل المخاض (اللقح) حتى ولو كانت عزيزة على نفسه



ونفيسة على قلبه. وفوق اللقح فهو يعطي البازل والعشار وغزيرة الألبان أيضاً:

بذلت المخاض البزل ثم عشارها
ولم تنه منها عن صفوق مضائر

وفي هذا البيت أوضح الشاعر أصناف النوق المحببة للعربي بالترتيب حيث بدأ بالنوق المخاض، وهي في الدرجة الأولى، ثم أتبعها بالعشار، وهي أثمن من الصفوق. أما الأعشى فإن أعجاز إبله ضمنت له ملء القدور باللحم لضيوفه، كما ضمنت ضروعها إرواء ضيوفه من لبنها الخالص (الصريح) الصافي:

ضمنت لنا أعجازهن قدورنا
وضروعهن لنا الصريح الأجردا

فإن كانت الإبل بعد هذا كله وسيلة العربي لقطع الصحراء، وحمله لذوي الجاه، ومحل فخره واعتزازه، فهي أيضاً وسيلته للنجاة والهرب من أعدائه والمتربصين به؛ يقول الحسين بن مطير:

إليك أمير المؤمنين تعسفت
بنا البيد هوجاء النجاء جنوب

وتعسفت: حادت عن الطريق الجادة، والهوجاء الناقة المسرعة كأن بها هوجاً وهو الطيش والتسرع، والنجاء: الإسراع. وجنوب: نوع من عدو الإبل. أما عبد الله بن الزبير فيقول:

إليك عبيد الله تهوي ركابنا
تعسف مجهول الفلاة وتدأب

وتهوي: تسرع، وتعسف: تسير على غير هداية، وتدأب: تجد وتتعب. أما ناقة أبي الطيب المتنبي فكانت تحمله إلى الحياة الواسعة، ويكيد بها أعداءه، وتدفع عنه الأذى وتمنعه وتنجيه من المهالك:

ولكنهن حبال الحياة
وكيد العداة وميط الأذى

إضافة لذلك فإن ناقة المتنبي، كانت مصدراً لإلهامه يستقي منها حكمة من حكمه، حين أوضح أن الناس لا يتشابهون، بل كل منهم يسعى ويعمل على قدر طاقته وعلمه، مثلهم مثل النوق ليست كلها تشبه الناقة الشملال (القوية السريعة):

وإنما يبلغ الإنسان طاقته
ما كل ماشية بالرحل شملال

أما الشاعر الفارس أبو فراس الحمداني فيقول إن خيله وإبله هما عنوان المجد والجاه والسلطان والقوة، وهو لهذه الأسباب يربطها في مجلسه ويدنيها منه لحبه لها واعترافه بفضلها:

ونربط في مجالسنا المذاكي
وتبرك بين أرجلنا الركاب

أما مطايا أمية بن عبد شمس فهي وسيلة لنقل النصح وإصلاح ذات البين حيث يقول:



جلبنا النصح تحمله المطايا
إلى أكوار أجمال ونوق

كما كانت الإبل للعربي وسيلة مهمة في اتصاله بمحبوبه، تحمله على ظهورها بالرغم من كلالها وتعبها ليبلغ غاية مناه. وفي هذا قال عمر بن أبي ربيعة:

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي
أكلفها سير الكلال مع الظلع

يقول إنه من أجل الحبيبة ذات الخال ركب ناقته، وحثها على السير حتى ولو كان بها تعب وظلع (عرج). أما البحتري فيقول إن المشتاق لحبيبته يصل إلى مكان شوقه على نوق بختريات (حسنة السير) عظيمة الأجسام لا تتعب وذلك قوله:

قد يُبلغ المشتاق موقع شوقه
سرى البختريات البعيد كلالها

أما محمد اليزيدي فإنه يفرح ويطرب إذا وجه إبله تجاه الأحبة فيحثها على السير الدؤوب المستمر بسبب شوقه لحبيبته:

يافرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل
نحو الأحبة بالإزعاج والعجل
يحثهن وما يؤتين من دأب
لكن للشوق حثا ليس للإبل

كما يتساءل الأخطل هل تبلغني الحبيبة ناقة ذات معجمة (قوية) أثّر الحزام في جنبيها وترك أثره في جلدها؟:

ياصاح هل تبلغنها ذات معجمة
بصفحتيها ومجرى نسعها وقع

وعلى مَرّ الزمن تحول الجمل لدى العربي إلى رموز لمعان كثيرة؛ فالبحتري يصف رجلاً كريماً ينفّق بدون حساب (غُمَر) تستخفّه صغار الخطوب وهو كأنه عَود من الإبل مجرب حيث يقول:

إلى غمر في ماله تستخفّه
صغار الخطوب وهو عَود مجرب

أما الفرزدق فيفتخر بأبيه لأنه نحَّارٌ للإبل:

أنا ابن العاقر الخور الصفايا
بصوأر حيث فتحت العلوم

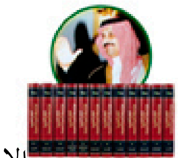
أي أنا ابن ذلك الرجل الذي ينحر النوق الخور الغزيرة اللبن لأضيافه. وأما الحطيئة فقد رفع قوماً عالياً بعدما كانوا يخجلون من مناداتهم ببني أنف الناقة، فأصبحت بعد ذلك فخراً لهم حيث قال:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يسّوي بأنف الناقة الذنبا

وإبل الحطيئة أيضاً صمام الأمان من الفقر له ولجيرانه، إليها يفزع الناس إذا حل الجدب وانقطع الخصب:

ولم يرعها راع لبيب ولم تزل
هي العروة الوثقى لمن يستجيرها

وأما زهير بن أبي سلمى فعطاء ممدوحه، إذا نفد زاد القوم، الإبل العظيمة



البطون لقرب ولادتها (المخاض)، والمطايا الغزيرة اللبن (الصفايا والعشار) التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها و(المطافل) التي معها أولادها حيث قال:

إذ أنفدوا زاداً يكون عطاؤه
صفايا العشار والمخاض المطافل

ثم أضاف زهير قوله:

هنالك أن يُسْتَخْبَلوا المال يُخْبِلوا
وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا

قال الأصمعي عن هذا البيت: إن الرجل العربي كان إذا افتقر أتى بني عمه، فأعطاه كل واحد منهم شيئاً من الإبل، حتى إذا أولدها ومكثت عنده سنين ردها، وهذا هو (الإخبال) وقال غير الأصمعي: إن الاستخبال عند العرب هو أن يستعير الرجل من الرجل إبلاً فيشرب ألبانها، وينتفع بأوبارها.

تشبيهات الشعراء للإبل

حفل الشعر العربي بتشبيهات مختلفة للإبل تمثلها الشعراء في مختلف المواقف. يقول أبو الطيب المتنبي:

كأني من الوجناء في ظهر موجة
رمت بي بحارا ما لهن سواحل

جعل الناقة كالموج، والمفازة لسعتها كالبحر، وجعل نفسه إذا ركب هذه الناقة كأنه في ظهر المفازة في موجة ترميه في بحر لا ساحل له. وقال ذو الرمة يصف البعير الهزيل المتعب:

طوى بطنه الترجاف حتى كأنه
هلال بدا وانشق عنه سحائبه

وأرجف البعير: جاء متعباً مسترخية آذانه تهتز.

وقال ذو الرمة أيضاً:

لأخفافها بالليل وقع كأنه
على البيد ترشاف الظماء السوابع

والسوابع، كما مرّ، هي الإبل التي لها سبع ليال لم ترد الماء، والظماء العطشى، فيشبه الشاعر صوت أخفاف الإبل على الأرض بصوت رشفات الماء لإبل عطاش منذ سبعة أيام، والرشف هو الشرب بأطراف المشافر، وله صوت مسموع؛ وقال طرفة بن العبد:

أمون كألواح الإران نصأتها
على لاحب كأنه ظهر برجد

والإران التابوت العظيم الضخم، ونصأتها أي زجرتها واللاحب الطريق الواضح البين، والبرجد كساء مخطط. أراد الشاعر أن هذه الناقة الموثقة الخلق يؤمن عثارها في سيرها وعدوها، وعظام الناقة تشبه ألواح التابوت العظيم، وزجرتها على طريق واضح المعالم كأنه كساء مخطط في عرضه. وقال طرفه أيضاً:



كأن جناحي مضرحي تكنفا
حفافيه شكا في العسيب بمسرد

يقول: كأن جناحي نسر أبيض غرزا في عظم الذنب فصارا في ناحية. وهنا شبه الشاعر ذنب ناقته بجناحي نسر أبيض في الباطن وفي الحركة. وقال أيضاً:

فطوراً به خلف الزميل وتارة
على حشف كالشن ذاو مجدد

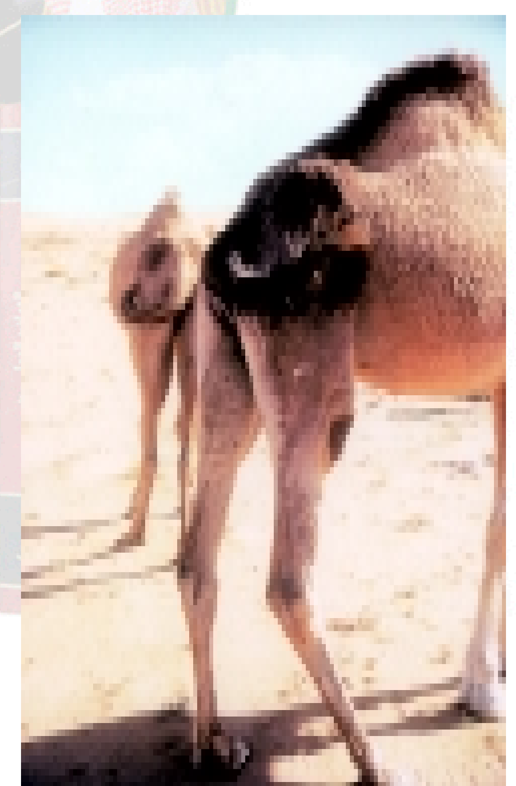
يقول إن هذه الناقة تضرب بذنبها مرة على عجزها خلف الرديف (الزميل) ومرة أخرى تضرب به على أخلاف متشيخة خَلَقِة كقربةٍ بالية (شَنّ) انقطع لبنها. وقال طرفة أيضاً:

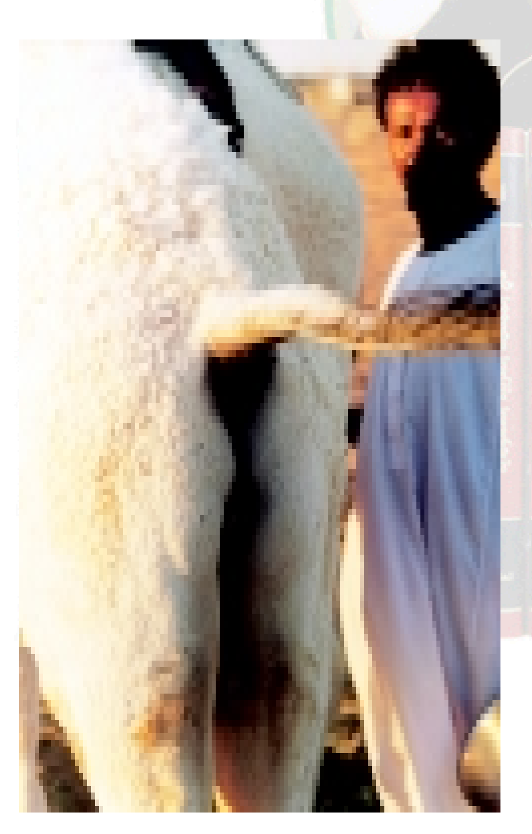
لها فخذان أكمل النحض فيهما
كأنهما بابا منيف ممرد

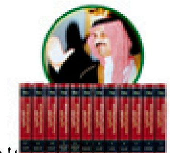
يقول: لهذه الناقة فخذان أكمل لحمهما مشابها لمصراعي باب قصر منيف (عال) ممرد (مملس) أو مطول في العرض. ويستطرد في الوصف قائلاً:

لها مرفقان افتلان كأنها
تمر بسلميْ دالج متشدد

والأفتل القوي الشديد، والسلم الدلو لها عروة واحدة مثل دلاء السقائين، والدالج







الذي يأخذ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض. وهنا شبه طرفة ناقته بسقاء حمل دلوين، إحداهما بيمناه والأخرى بيسراه، فابتعدت يداه عن جنبيه، وشبه بعد مرفقي ناقته عن جنبيها ببعد هاتين الدلوين عن جنبي حاملهما القوي الشديد. وقال الأخطل:

بحرة كأتان الضحل أضمرها
بعد الربالة ترحالي وتسياري

والأتان هنا الصخرة الكبيرة، والضحل الماء القليل، والربالة السمن والخصب. يصف الشاعر ناقته ويعظم من شأنها ويقول إنها كريمة عظيمة كصخرة الماء وقد هزلت وضمرت من كثرة ترحاله وتسياره عليها أي تغير حالها الأول إلى حال آخر. وقال أيضا:

هل تبلغني يزيدا ذات معجمة
كأنها صخرة صماء صيخود

يقول إن ناقته ذات صلابة وشدة كأنها صخرة عظيمة. وقال طرفة بن العبد واصفاً خد ناقته ومشفرها:



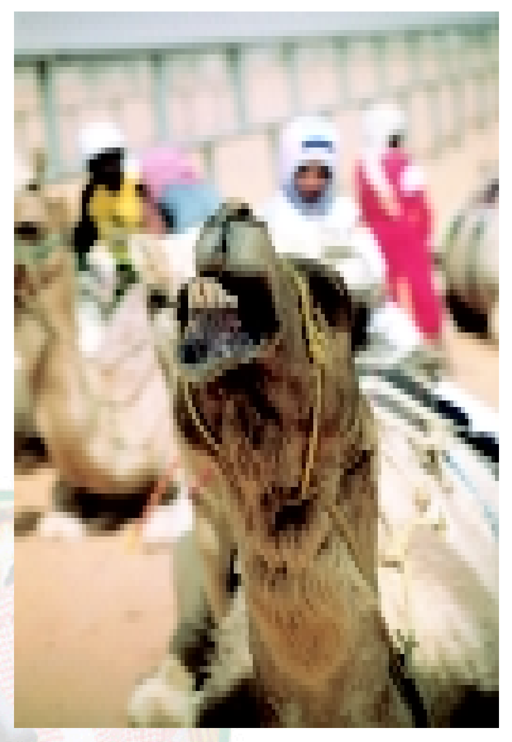
وخد كقرطاس الشآمي ومشفر
كسبت اليماني قده لم يجرد

شبه الشاعر خد ناقته في لين ملمسه بالقرطاس (الورق)، ومشفرها (شفتها) بالسبت (النعل) في اللين واستقامة القطع.

الإبل في أمثال العرب

استأثرت الإبل، دون سائر أنواع الحيوان، بالكثير من الأمثال العربية. ولا نعرف حيواناً، أو إنساناً، أو شيئاً، أو فكرة من الأفكار، أو موضوعاً من الموضوعات برز في الأمثال العربية بروز الإبل فيها. وقد أحصى الباحثون حوالي ألف مثل متعلق بالإبل وشؤونها، ولو صنفنا تلك الأمثال التي ذُكرت الإبل في قصصها، لتجمع لدينا حوالي ربع الأمثال العربية كلها. حتى غدت الإبل في الأمثال العربية موضوعاً يستحق العناية والدرس المفصّل، كما يعالجها أميل بديع يعقوب في مجلة الصحراء. وإن نظرة سريعة إلى هذه الأمثال تعكس بوضوح أن العربي لم يترك شيئاً من الإبل، أو ما يتصل بها إلا واتخذ منه مضرباً للمثل. فقد تمثل بأعمارها المختلفة، وبأعضاء جسمها، وطباعها، ولقاحها، ونتاجها، وحلبها، وحَلَبَتِها، وأدوائها، وعلاجها،




أفواهها مجاسها

وأصواتها، وسيرها، وحدائها، ورعيها، وسقيها، كما تمثل بالأدوات المتصلة بها، ومباركها، ومعاطنها.

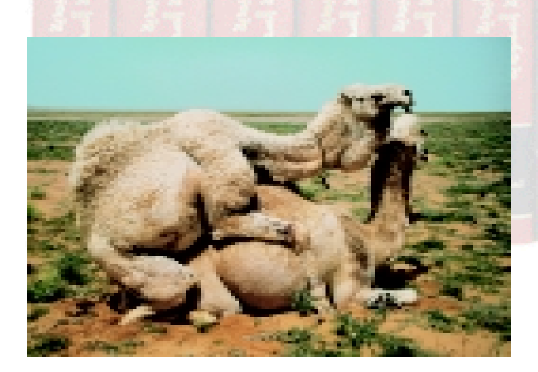
فمن تمثلهم بها في أعمارها المختلفة قولهم: «ألأمُ منْ فَصِيلٍ ريَّان»، «حَرِكْ لها حُوارَها تَحِنُّ»، و«جَلَّتِ الهاجِنُ عن الولد»، و«ما لَهُ هُبَعٌ ولا رُبَع»، و«أَحَنُّ مِنْ شارِفٍ»، و«زاحِمْ بِعَوْدٍ أَوْ دَعْ».

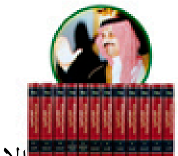
ومن تمثلهم بأعضائها قولهم «أَفْواهُها مجاسُّها»، و«أَلْقَى عليه جِرانَهُ»، و«حَبْلُكَ على غارِبِكَ»، و«فَتَلَ في الذّروة والغارب»، و«هُما كرُكْبَتي البعير»، و«بَصْبَصْنَ بالأَذْنَابِ إذْ حُدِيْنَ»، و«وقعوا في سَلى جَمَلٍ».

ومن تمثلهم بطباعها قولهم في لؤم الجمل وحُمْقِه «إنَّما يجزي الفتى ليس الجمل»، وقولهم في خفة حلمه وسفاهته «أَخَفُّ حِلْماً من بَعير»، وفي حقده «أَحْقَدُ مِنْ جَمَلٍ»، وفي غيرته «أَغْيَرُ مِنْ جَمَلٍ»، وفي صبره «أَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ بِدَفَّيهِ جُلَب»، و«أَصْبَرُ مِنْ ذي ضاغِطٍ»، وفي هدايته «أَهْدَى مِنْ جَمَلٍ»، وفي صَوْلَته «أَصْوَلُ مِنْ جمل».

ومن تمثلهم بلقاحها ونتاجها قولهم «اللَّقوحُ الرِّبْعِيَّةُ مال وطعام»، و«لَقْوَةٌ لاقَتْ قبيساً»، و«هَلْ تُنْتِجِ النَّاقة إلاّ لمن لُقِحَتْ له».

ومن تمثلهم بحلبها وحلبتها قولهم «الإيناس قبل الإبساس»، و«الضَّجورُ قَدْ تُحْلَبُ العلبةَ»، و«أَحْلَبُ وأشْرَبُ»، و«لَيسَ كُلَّ أوانٍ أَحْلُبُ وأَشْرَبُ»، و«حلبْتُها بالسَّاعِدِ


وهل تنتج الناقة إلا لمن لقحت له؟



الأشَدّ»، و«لَتَحْلُبَنَّها مَصراً»، و«شُخْبٌ في الإناءِ وَشُخْبٌ في الأَرْضِ».

كما ضربوا المثل بأدوائها وطرق علاجها، فقالوا «أَبْغَضُ منَ الطَّلْياء»، و«أَكْذَبُ مِنْ مُجْرِبٍ»، و«كَذي العُرِّ يُكْوَى غيرُهُ وهو راتعٌ»، و«أَحَرُّ منَ القَرَعِ»، و«هو يخبطُ خَبْطَ عَشْواء»، و«ما بِهِ قَلَبَةٌ»، و«أَهْوَنُ مِنْ ثَمَلَةٍ».

وتمثلوا كذلك بأصواتها، فقالوا «كَفَى برُغائها مُنادياً»، و«ما له ثاغِيَةٌ ولا راغِيَةٌ»، و«لا أَفْعَلُ ذلك ما أَطَّتِ الإبلُ».

وتمثلوا في ضروب سيرها، فقالوا «قَدْ تبلغ القطوفُ الوَساعَ»، و«كالنَّازي بينَ القرينَيْنِ»، و«يَرْكَبُ الصَّعْبَ مَنْ لا ذَلولَ له»، و«كالحادي وليس له بعير».

ومن أمثالهم التي تعرضت لرعيها قولهم «رَعَى فَأَقْصَبَ»، و«أَساءَ رَعْياً فَسَقَى»، و«عُشْبٌ ولا بعير».

ومن أمثالهم التي تعرضت لشربها وضروبه قولهم «آخرها أقلُّها شُرْباً»، و«أَهْوَنُ السَّقْيِ التَّشْريع»، و«ضَرْبَ أَخْماسٍ لأَسْداسٍ»، و«أَشْرَبُ من الهِيْمِ».

ومن الأمثال المتصلة برعاتها قولهم «شَرُّ الرِّعاءِ الحُطْمَةُ»، و«ليسَ لها رعاءٌ ولكنْ حَلَبَةٌ»، و«آبَلُ مِنْ حُنَيْفِ الحَناتِمِ»، و«آبَلُ من مالك بن زيد مناة»، و«ما له هابِلٌ ولا آبِلٌ».

ومن الأمثال التي تعرضت لأدواتها «حَرِّكْ خِشاشَهُ»، و«جُرّوا له الخَطيرَ ما انْجَرّ»، و«لا يَرْحَلَنَّ (أو يَرْحَلْ) رَحْلَكَ مَنْ ليس مَعَك»، و«ضَرَبَ في قتبِهِ»، و«ضَرَبَ في جَهازه»، و«ماتَ عريضَ البِطان»، و«التَقَتْ حَلَقَتا البِطانِ»، و«التقى البِطانُ والحَقَبُ».

وتمثلوا بمبارك الإبل وحظائرها، فقالوا «عودي إلى مَباركك»، و«هذا أَمْرٌ لا تَبْرُكُ عليهِ الإبْلُ»، و«إنَّهُ لَضيِّقُ العَطَنِ»، و«إنَّهُ لَواسعُ العَطَنِ»، و«كالمُهَدِّرِ في العُنَّةِ».

ونذكر، أخيراً، من الأمثال المتعلقة بالإبل قدراً، نفصِّل فيه شيئاً من معنى المثل، كقولهم:

- «أَوْسَعْتَهُمْ سَبّاً وَأَوْدَوا بِالإِبِل». يضرب للرجل يتهدد غيره، وليس على عدوه منه ضرر. والمثل لكعب بن زهير، قاله لأبيه زهير، وكان الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسيد أغار على إبل زهير، فذهب بها وبراعيها يسار، فجعل زهير يهجوه ويتهدده. ولما أكثر من هجائه وهجاء قومه، وهم لا يكترثون له، قال له ابنه كعب: «أَوْسَعْتَهُمْ سَبًّا وأَوْدَوا بالإبل»، أي ليس عليهم من هجائك إياهم كبير ضرر عند أنفسهم، وقد أودوا بإبلك، فأضروا بك.



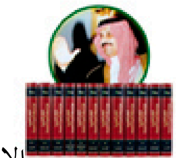


كالمهدر في العنة

- «الناس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة». هذا القول المأثور ينسب إلى النبي ﷺ، ومعناه أن الإنسان الكامل الأوصاف نادر كندرة الراحلة (وهي الناقة النجيبة) في الإبل.
- «إبلي لم أَبِعْ ولم أَهِبْ». أي لم أبعها ولم أهبها، يضرب للظالم يخاصمك فيما لا حق له فيه.
- «يا إبْلي عُودي إلى مَبْارَكِكِ». يضرب لمن نفر من شيء له فيه خير، أو لمن ينفر من شيء لا بد له منه.
- «لا ناقة لي فيه ولا جمل». يضرب للتنصل من الأمر.
- «الذَّود إلى الذَّودِ إبل». أي إن جمع القليل إلى القليلَ يولد الكثير، وفي المثل حث على الاقتصاد والتوفير، وهو ينسب إلى النبي ﷺ. والذود: ما بين الاثنتين والتسع من الإبل، وقيل: ما بين الثلاث والعشر، وقد مرّ تفسيره.
- «آخِرُها أَقَلُّها شُرْباً». أصله في سقي الإبل، وذلك أن المتأخر عن الورد ربما جاء وقد مضى الناس بصفو الماء. ولا يكون التأخر عن الورد إلا لعجز وذل؛ قال النجاشي يذم قوماً:

قبيلتهم لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشية ... إذا صدر الورّاد عن كل منهل



يضرب في الحث على التقدم في الأمور.

- «تُوَطِّنُ الإبلُ وتَعافُ المِعْزَى». أي إن الإبل توطن نفسها على المكاره لقوتها، وتعافها المعزى لذلها وضعفها. يضرب للقوم تصيبهم المكاره، فيوطن شجعانهم أنفسهم عليها، ويعافها جبناؤهم.
- «جاءَ بِأُمِّ الرُّبَيْقِ على أُرَيْق». أم الربيق: الداهية. وأريق: تصغير (أورق) وهو من الإبل ما كان في لونه بياض إلى سواد. وتزعم العرب أن المثل من قول رجل رأى الغول على جمل أورق. يضرب لمن جاء بالداهية الكبيرة، ويروى «جاءَ فُلانٌ بالرُّبَيْقِ على أُرَيْق».
- «جَدُّكَ يَرْعَى نَعَمَكَ». الجد هو الحظ. والنعم الإبل. يضرب للمضياع صاحب الحظ.
- «جِذْلُ حِكَاك». الجذل: أصل الشجرة، وربما ينصب في مبارك الإبل فتحتك به الجربى. يضرب للرجل يستشفى برأيه وعقله.
- «الجَرْعُ أَرْوَى والرَّشْفُ أَشْرَبُ». الجرع: البلع. أروى: أسرع ريا. والرشف والرشيف: المص للماء. والشراب إذا رشف قليلاً قليلاً كان أقطع للعطش وأجلب للري وإن كان فيه بُطء. يضرب لمن يقع في غنيمة فيؤمر بالمبادرة والاقتطاع لما قدر عليه قبل أن يأتيه من ينازعه. وقيل معناه أن الاقتصاد في المعيشة أبلغ وأدوم من الإسراف فيها.

الإبل في معتقدات العرب

نظر العربي إلى الإبل نظرة تعجب، وأشار الدميري إلى ذلك في كتابه حياة الحيوان الكبرى فذكر أنّ الإبل من الحيوانات العجيبة. وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها. وهو أنها حيوان عظيم الجسم، سريع الانقياد، ينهض بالحمل الثقيل، ويبرك به. وتأخذ زمامه فأرة، فتذهب به إلى حيث شاءت. ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه، مع مأكوله، ومشروبه، وملبوسه، وظروفه، ووسائده، كأنه في بيته. ويتخذ للبيت سقف. وهو يمشي بكل هذا.

وأعجبوا بصبرها على الجوع والعطش خاصة، وشدة جلدها على السير، فجعل نسباً بينها وبين الجن، وقالوا إنها تعان سريعاً، أي تؤثر فيها العين أكثر منها في سائر الحيوان. وزعموا أن في أرض وبار إبلاً وحشية،



هي الحوش من بقايا إبل عاد وثمود. وقالوا: بل هي إبل الجن تعيش في تلك المجاهل من الربع الخالي، فإذا اقتربت منها إبل الإنس من ناحية عُمان تلاقحت، فكان منها الإبل المهرية والعسجدية.

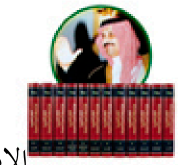
وكان العربي إذا كثرت إبله، فبلغت الألف، فقأ عين فحلها تيمناً، أو اتقاء لشر العين. فإن زادت الإبل عن الألف، فقأ العين الأخرى. وكان من عادة العرب في العصر الجاهلي أن الرجل إذا نجته ناقته من مفازة موحشة، فوصل سالماً من سفر بعيد، أو نجا عليها من حرب، نذرها للراحة، فقال «ناقتي سائبة»، فلا ينتفع بظهرها، ولا تحلأ عن الماء (أي لا تحبس عنه)، ولا تمنع من كلأ، ولا تركب. كما كانوا إذا مات صاحب الناقة، يجيئون بناقته إلى قبره، فتعقل عنده مما يلي موضع رأسه، ويعكس رأسها إلى ذنبها. ويشد وجهها بكساء، فتترك لا تطعم، ولا تسقى حتى تموت. وفي معتقدهم أن الرجل، إذا قام يوم البعث، وجد مطيته حاضرة فركبها.

ويقول روجر وبستر الذي ينقل عن بعض البدو من آل مرة والعجمان، في مقابلات قام بها عبدالعزيز العشبان وتمت التسجيلات بالقرب من شرورة في الركن الجنوبي الغربي من الربع الخالي، يقولون:

> الإبل بالنسبة لنا نبيلة ميزها الله العلي القدير بالنبل، وتقول الروايات التي توارثناها عن الأجداد أن الله العلي القدير خلق الإبل من الغمام، وبسبب التقدير العالي والتشريف من قبل الله سبحانه وتعالى ومن قبل خلقه خلق الإبل من الغمام، وعندما هبطت إلى الأرض لم تكن الأرض قد خُلقت بعد -هكذا تروي الأسطورة- وظلت الإبل طافيه في الهواء مثل طائر لا يجد ما يحط عليه؛ ولهذا خلق الله الأرض وزوّد الأرض بهذه الجبال التي تراها، ثم زودها بالرحال وكل شيء آخر وهبطت عليها الإبل. والآن عندما تتجمع الغيوم تكون أشكالاً، وهذه الغيوم البيضاء يمكن أن تتخيلها على أنها إبل راكعة (مجلة المأثورات الشعبية ١٩٩٠: ع١٧: ١٣).

ويضيف (وبستر) أسطورة ثانية عن امتلاك الناس للإبل يقول:

> «يقولون إن الناس في قديم الزمان لم تكن لديهم إبل ولم يعرفوها، وكانوا مستوطنين يعيشون في المدن،



ولم يعرفوا الإبل، وكانوا، في مدنهم، يزرعون القمح ويحصدونه. وذات صباح عثروا على آثار إبل، ولم يكونوا قد عرفوها من قبل، وكانت هذه الإبل قد أتت إلى القمح وأكلت نصفه في الليل، وذهبت إلى حال سبيلها، وقال أحدهم: والله لقد كان هناك شيء في القمح، إن هذه الآثار آثار إبل، وأضاف: لقد حوّل القمح نفسه إلى خبز، ودبّت فيه الحياة وسار ليلاً، وتتبعوا الآثار كما لو كانت آثار أرغفة خبز دبّت فيها الحياة، وعندما تتبعوا الآثار وصلوا إلى الإبل وطاردوها، وأخذوا جميعاً يقتتلون، وسقطت (عقالاتهم) فقد كانت العقالات ملفوفة حولهم، وأمسك كل منهم ببعير لنفسه، ومنذ ذلك الوقت والناس يتقاتلون من أجل الإبل، كل شخص يقتل الآخر للحصول على جمل يركبه أو إن أراد ليذبحه ليأكل لحمه، وإن كانت الإبل نوقاً ليحصل على حليبها (١٩٩٠: ع١٧: ١٨).

ويورد موزل في كتابه أخلاق الرولة وعاداتهم وتحت فصل بعنوان «الإبل في حياة الرولة» أسطورة يتداولها الرولة نذكرها هنا مع أنها مجرد أسطورة لا أساس لها من الصحة، تقول:

> إن العرب (البدو) في الأصل لم يكن عندهم إبل، وإن اليهود لم يكن عندهم خيل، فنزل اليهود في جرف صخري وعر في منطقة الهضب جنوب غرب نجد، ولم يكن باستطاعة أي بدوي الوصول إليهم البتة خوفاً من أن يضل طريقه ويهوي في أحد الشقوق الصخرية.
>
> وعندما قام البدو بالإغارة على إحدى القبائل القاطنة بجانب الهضب، ضلوا طريقهم وسط الجبال على الرغم من أنه كان يرشدهم أحد الرعاة الذي كان يدّعي معرفته بجميع المسالك المؤدية إلى المنطقة كلها. تركت هذه الحادثة لدى البدو شعوراً بأن تلك الأرض غير ملائمة للحياة.
>
> قام المغيرون بالزحف على بطونهم من شعب إلى آخر ولكنهم لم يستطيعوا أن يخلصوا أنفسهم من بين تلك الصخور الوعرة. واضطروا لذبح بعض خيولهم وطبخ لحمها، بعد أن نفد ما معهم من الزاد الذي تزودوا به للغارة.

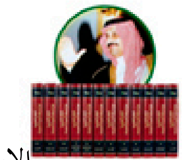


واستمروا في البحث دون أن يتمكنوا من العثور على طريق يؤدي بهم إلى السهل. وأخيراً التقوا بأحد المسافرين؛ فسألوه عن أقرب مخيم، فذكر لهم أن بعض اليهود يقيمون قريباً منهم، وقادهم ذلك المسافر من خلال طريق ضيق ممتد بين جبلين مرتفعين، تفصل بينهما الشعاب، إلى أن أبصروا خيام اليهود السود داخل أخدود جبلي منعزل بين سفوح التلال، وأمامها وفيما بينها حيوانات غريبة لم يروا مثلها من قبل، أخبرهم المسافر أنها تسمى (إبلاً).

اختبأ البدو في المرتفعات المجاورة، وبعد أن أشرقت الشمس نزلوا إلى الأخدود. وقد أخذوا بأعنة خيولهم، وأعدوا العدة للهجوم على اليهود. وما إن رأى اليهود هؤلاء الغرباء، يمتطون تلك الحيوانات الغريبة، التي لم يشاهدوها من قبل، حتى هربوا وسبقتهم إلى الهرب نوقهم البيض (الوضح). قامت كل ناقة فاقعة البياض في ذلك المعسكر بالهرب مقتلعة في طريقها أطناب البيوت شاقة طريقها وجافلة نحو الأخاديد المجاورة؛ بينما كانت النوق التي تدعى (زرقاء): ولونها أبيض أيضاً ولكن يشوبه بعض الوبر الأسود أو القريب من الأزرق، تنظر بفضول إلى البدو وخيولهم؛ مما جعلهم يغنمونها دون جهد، وهتف قائد البدو قائلاً: «لا بارك الله بك»، وأمر رجاله بذبح حيران النوق الزرق التي يعثر عليها في المعسكر.

عاود البدو الكرة على اليهود يقودهم ذلك المسافر، فحاصروا المكان الذي لجأوا إليه واستلبوا منهم النوق التي مازالت بحوزتهم. منذ ذلك التاريخ لم يبق بيد اليهود شيء من الإبل، فقنعوا واستعاضوا عنها، في سد احتياجاتهم، بالغنم والماعز ومع ذلك فما زال اليهود -كما تقول الأسطورة- يأملون في أن تعود إليهم النوق، وهم لا يكلّون ولا يملّون من صنع الدلاء الجلدية التي يملؤونها بالماء كل يوم جمعة ويرقصون عليها ويطوفون حولها، وينتظرون أن تظهر الإبل، لكنهم يحاولون عبثاً: «رجوى اليهود من البل» (Musil 1928:329-330).

ويذكر روكس العزيزي أسطورة تقول إنّ للبدو في الإبل وكراماتها



اعتقادات غريبة، فمن تقديرهم للإبل قولهم «البل لو اتعرف الصلاة صلت» ومن أمثالهم أيضاً «البل، بِلْ يهود، تجي للي يجود واللي ما يجود». يعتقد البدو أن الله تعالى عندما خلق الإبل، عرف اليهود أن الإبل أكرم ما خلق الله في عالم الحيوان، فعمد جد اليهود إلى الإبل، وأخفاها في عضده، ولما علم الله بخبث جد اليهود، وبأنه فعل ذلك ليحول بين العرب وامتلاك هذا الحيوان المقدس الشريف، نقم على جد اليهود ولعنه ولعن نسله، وهمزه في عضده، فخرجت الإبل صغيرة كالديدان تسعى، ثم سلمها للعرب تشريفاً لهم على خلق الله كافة، وقد حرّم الله على اليهود لحم الإبل إلى يوم الدين، غير أنه، على كل شرف الإبل وقداستها، فإن إقامتها في عضد جد اليهود، تغتذي من دمه، أكسبها شيئاً من أخلاق اليهود مثل شدة الخنوع الذليل، فهي لا تأنف الإقامة عند البخيل. كما تقيم عند الكريم، كأنها اليهودي، الذي يعتقدون أنه خلق مفطوراً على الذل والخنوع. وتحين الفرصة للانتقام، والحقد.

ويعتقدون أن الله عندما سلم الإبل إلى العرب يوم استردها من جد اليهود، لم يعطهم عُقُل تلك الإبل، فلا تزال عُقل الإبل موجودة عند اليهود يتوارثونها، ويحتفظون بها في كُنُسِهم. وهم يبكون عندما يصلون، حزناً لفقدهم الإبل، فهم لا يظهرون العُقل، لئلا يختلسها منهم العرب فيفقد اليهود البرهان الأوحد الذي يثبت حقهم في الإبل، وعُقُل الإبل هي الأمل الضئيل لليهود في استرداد الإبل، وفي أمثالهم «رجوى اليهود بالبل وبام الرصاص»؛ قال نمر بن عدوان:

ياجديع وارجوى عشيري تْمضي

رجوى اليهودي للبكار المقاظي

كما قال جديع بن قبلان رداً عليه:

يانمر انا رجوى عشيري تسلّي

رجوى اليهودي لبكار المتالي

فمن أين جاء البدو هذا الاعتقاد؟ إن لم يكن العرب في أيام بداوة اليهود، -وهم في جزيرة العرب- قد غزوهم وكسبوا منهم الإبل، فنسج خيالهم الخصب هذه الأسطورة!.

وقد ورد وصف البدو للإبل بأنها (يهوديات) قال الشاعر الشعبي الشريف جباره الصفار:

هيّض علي بتالي الليل والف

لها ضايعٍ يوم الهجيج حوار

تحن وهي قد عاقها عن لحوقه

على الساق بعض الرامحات كسار



تحـن اليـهـوديات مـن فـقد لـيـله
عِـزّي لمـن فـرقـاه بـيـع جـمـار
هـذا وهي عـجمـا فيـاويل مـن له
أولاد فـي سـن الـرضـاع صغـار

وهذا الاعتقاد المبني على الأسطورة يخالف التـاريخ تماماً، فقد كان اليهود يعتـمدون في تنقلاتـهم على الحمـير، وكانت الإبل من الحيوانات النجسة وغير الطاهرة حسب الشريعة اليهودية كما جاء في سفر اللاويين ٤/ ١١، وسفر التثنية ٧/ ١٤، وفـي سفـر الأحـبـار ١١/ ٤ «والجمل فإنه يجتر، ولكنه غير مشقوق الظـلف فـهو رجـس لكـم» (سوسـه د.ت: ٣٢).

وقال الشريف جري الجنوبي:

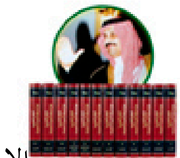
ردّت تجاوبـني مـن الهجـن عرمـس
لـهـا بـين مـلتـج الـضـلوع عـويل
تحـن اليـهوديـات مـن ولف لـيـله
تحـن واقـول ان الـبـعـير هـبـيـل

وورد في كتـاب الحيوان للـجاحظ قوله:

والناس يـقولون في الإبل أقـاويل عجيبة، فمـنهم من يزعم أن فيها عرقاً من سفاد الجـن، وذهبوا إلى الاعتقاد بأنه إنما كُرهت الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين. وزعم ناس أن من الإبل وحشـياً، فزعمـوا أن تلك الإبـل تـسكـن أرض وبـار لأنهـا غـير مسكونة، ولأن الحيوان كلما اشتدت وحشيته كان للخلاء أطلب. قالوا: وربما خرج الجمل مـنها لبعض ما يعرض فيضرب في أدنى هجمة من الإبل الوحشية. قالوا: فالمهرية من ذلك النتاج...

وقال آخـرون: إن من هذه الإبـل الوحشيـة الحوش، وهي التي من بقايا إبل وبـار، فلما أهلكهم الله تعالـى كما أهلك الأمم مـثل عاد وثمود والعمالـقة وطسم وجديس بقيت إبلهم التي لا يطورها (يحوم عليها) إنسي، فإن سقط إلى تلك الجيزة بعض الحلفاء، أو بعض من أضل الطريق حثت الجن في وجهه، فإن ألـح خبلـته، فـضربت هـذه الوحوش في العمانية فجاءت هذه المهرية وهذه العسجدية التي تسمى الذهبية (١٣٦٤، ج١: ١٥٢).

ومن معتقداتهم ذبح الفرع، والفرع أو الفرعة هو أول نـتاج الإبل والغنم، وكان أهل الجاهلية يذبحونه لآلهتهم تبركاً وتقرباً. وقيل هو ذبح كان يذبح إذا بلغت الإبل ما يتمناه صاحبها. وقيل هو بعير كان يذبحه صاحب الإبل إذا بلغت إبله



المئة، فينحر، ويأكله الناس، دون أن يذوقه الرجل أو أحد أفراد أهله (الحتي ١٤١٠: ٥٦-٥٨).

ومن أمثالهم في هذا أيضاً قولهم: «كل نجار إبل نجارها»، وهو مأخوذ من قول أحد اللصوص، وكان قد أغار على إبل من وجوه مختلفة، وجاء بها إلى السوق لبيعها، فسأله الناس عن سمتها للتعرف على أصحابها، فأنشأ يقول:

تسألني الباعة أين نارها
إذ زعزعوها فسمت أبصارها
كل نجار إبل نجارها
وكل دار لأناس دارها
وكل نار العالمين نارها

وكان من عادتهم، أيضاً، أن الإبل إذا فشا فيها الجرب كووا بعيراً صحيحاً أمامها وهي تنظر إليه زاعمين أن الأجرب يبرأ بذلك، ويدل على هذا قولهم لمن يعاقب بذنب غيره: «كذي العر يكوى غيره وهو راتع». وهو مأخوذ من قول النابغة الذبياني في اعتذارياته:

فحملتني ذنب امرئ وتركته
كذي العر يكوى غيره وهو راتع

وقد سخر الجاحظ من هذه العادة، فقال: «وكانوا إذا أصاب إبلهم العر، أي: الجرب، كووا السليم ليدفعه عن السقيم، فأسقموا الصحيح من غير أن يبرئوا السقيم».

وكانوا يحرمون على أنفسهم البحيرة، والسائبة والحامي. فأما البحيرة، فكانت الناقة إذا انتجت خمسة أبطن عمدوا إلى الخامس منها ما لم يكن ذكراً، فشقوا أذنها، وتركوها، فلا يجزّ لها وبر، ولا يحمل عليها شيء، ولا يذكر عليها إن زكيت اسم الله تعالى، وتكون ألبانها للرجال دون النساء.

وأما السائبة، فكان الرجل يسيب الشيء من ماله، بهيمة أو عبداً، فيكون حراماً أبداً، وتكون منافع ذلك للرجال دون النساء. وأما الحامي، فكان الفحل إذا صار من أولاده عشرة أبطن، قالوا حمى ظهره، فيترك، ولا يحمل عليه شيء، ولا يركب، ولا يمنع ماء، ولا مرعى. وقد أشار مثل من أمثالهم إلى هذه العادة، وهو: «حراماً يركب من لا حلال له»، ويروى: الحرام أو حرامه. وأصله أن جبيلة بن عبدالله القريعي أغار على إبل جرية بن أوس بن عامر من بني الهجيم، فأطردها (جعلها طريدة) غير ناقة مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها، فأراد جرية أن يركبها في أثر القوم، فقال له ابن



أختـه: إنها حرام، فـقال جرية هـذا المثل، ثم لحقها، فبارزه جبيلة، فطعنه جرية، فقتله، والمثل يضرب لمن اضطر إلى ما يكرهه، أو في القناعة باليسير عند فوات الجليل.

وقد حرم الله تعالى اتخاذ البحيرة والسائبة، والوصيلة والحامي -كما مر بنا- فجاء في كتابه العزيز: ﴿ما جعل الله من بحـيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامٍ﴾ (المـائدة:١٠٣). وقد ورد في تفسير الآية الكريمة ما رواه البخاري عن سعـيد بن المسيب قـال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيـت فلا يحلبها أحد من النـاس، والسائبة التي كانـوا يسيبـونها لآلهتهـم فلا يحمل علـيها شيء، والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتـاج الإبل بأنثـى ثم تثنـي بعد بأنثى وكانـوا يسيبونها لطواغـيتهم إن وصلت إحداهما بأخـرى ليس بينهما ذكر، والحـامي فحـل الإبل يـضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضربه ودعوه للطواغيت وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وسموه الحامي.

وكانوا يعتقدون في إغلاق الظهر، ومفاد هذه العادة أن الرجل منهم إذا بلغت إبله مئةً عمد إلـى البعير الذي كملت به مئة فـأغلق ظهره بأن ينزع شيئاً من فقـراته ويعقر سنامه كي لا يركب ليعلم أن إبل صاحبه قد أمأت (بلغت المـئة)؛ وأما إذا بلغت ألـفاً، فقد سبـقت الإشارة إلى أنهم كـانوا يفـقأون عين الفـحل الذي كمـل به الألف؛ وأما إن زادت على الألف، فإنـهم يفقـأون عيني الـفحل معـاً، ويزعمـون أن ذلك يدفع الـعين عن الإبل. قال الشاعر:

وهـبـتـهـا وأنـت ذو امـتـنـان
تـفـقـأ فـيـهـا أعـين الـبـعـران

وأما في طبهم، فـكانوا يعتقدون أنه ليس للبعير مرارة، وإنما على كبده شيء يشبهـها وهي جلدة فيها لعـاب يكتحل به فينفع في الوقاية من أمراض العين، وتطـلى به الرقبة، فيـنفع في الشفاء من الخـانوق والصرع. وكانوا يعـتقدون أيضـاً أن شحم البـعير إذا وضع فـي موضع أبـعد الحيات عـن هذا الموضع، وأن فـي كرشه غدة إذا خرجت منه استحجرت، وإذا سحقت بالخل، ابيضت، وهي من أنفع الأشياء للسموم القتالة. وكانوا يسحقون عظم البعير ويـخلطونه بالزيت ويطلـون به رأس المصروع، كما كانوا يذرون لبن الناقة على الدم الـسائل من الجروح، لاعتقادهم أنه يقي من السموم كلها.



كذلك كانوا يعتـقدون أن التمضمض بلبن الناقة يقوي الأسنان، وأن شرب بول الإبل صباحاً يـقوي على الجماع ويزيل صفرة الوجه، وأن بعرها يقطع الرعـاف ويمنع الجدري مـن أن يبقى أثره، ويزيل الثآليل، وأنه إذا ما أذيب سنامـها وطليت بـه البواسير يـسكن وجعها، وأنه إذا شد وبرها على فخذ الصبي الذي يبول في الفراش، انقطع الصبي عن التبوّل فيه.



الإبل في التراث الشعبي

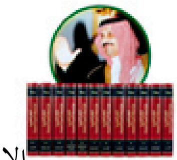
حفل التراث الشعبي في البادية برصيد ثَرّ من أسماء الإبل وصفاتها المستقاة من أحوالها المختلفة كالألوان والسلالات وضروب السير وغزارة الدر، وأطوار النمو وما يعتريها من قوة وضعف ونحوه، وجرى ذلك في ألسنة أهلها، فرصعوا بها أقوالهم وأمثالهم، وضمنوها أشعارهم وأراجيزهم، وطرزوا بها حداءهم وأهازيجهم، فكونت بذلك معجماً غنياً يبرز أصالة الموروث ويبرهن على استمراره. وسنحاول هنا تتبع ذلك في كلامهم ونثرهم وشعرهم ونسوق منه أمثلة ونماذج.

أسماء الإبل وصفاتها في البادية

تطلق البادية أسماء عديدة على جماعات الإبل أو على الإناث أو الذكور خاصة، وتؤخذ تلك الأسماء من أحوال الإبل من حيث اللون أو القوة أو الضعف أو السرعة أو غزارة الحليب وما إليه.

فالبوش من أسماء الإبل عند البدو، وهو الإبل الكثيرة لعدة مُلاك، والطرش اسم عام يطلقونه على الإبل. والظعن والمال تطلق على ما يملكه الفرد والجماعات من الإبل. والزمل اسم للذكور من الإبل (الفحول) والمسنة (الكبيرة) عادة والتي تخصص للأحمال الثقيلة. ويسمونها سفن البر وذلك لسيرها في الصحراء، وقد أطلقه العرب الأقدمون على الإبل. والمظهور هو ما رافق البدو في رحيلهم من الإبل حُمل عليه أم لم يحمل. والمواجيف اسم ووصف للنجائب من الإبل التي توجف في سيرها، أي تسرع، وهي أيضاً العيدهية وهي الإبل الغلاظ ويصفونها بالإبل القوية النجيبة. قال عبدالله بن غصن الدوسري:

ياراكبٍ من عندنا عيدهيه
تشدي هنوفٍ درّعت عيطموسها



والهمال ذهاب (إبل) تترك ترعى وحدها دون راع ويتم العثور عليها حين الطلب قرب المورد في مراعيهم.

يقول الشراري إن حجم رعية الإبل يتوقف على قدر صاحب الإبل؛ فإذا زادت إبله على الهجمة توزع إلى عدة رعايا تقسم على حسب ألوانها مجاهيم ومغاتير، فإذا كثرت الرعايا من الإبل أسموها جهامْ وإذا كثرت الرعايا أكثر سموها أقطاعْ. قال أحد الشرارات «الما مليح ان جن الاقطاع حوّال». إضافة لذلك فقد ذكر الشراري أسماء للإبل استخدمت قديماً كما مَرَّ بك عن أسماء الإبل عند العرب، ولا تزال تستخدم في أمثال وأشعار وأراجيز قبيلة الشرارات. وهذه الأسماء تطلق على الإبل حسب قوتها وألوانها. فالجدعيه هي النجيبة الشديدة من الإبل السريعة في السير. قال أحد شعراء الشرارات:

ان ارتخن عْضودها واكربنِّ

جدعيّةٍ تقطع متين العصامِ

والرابخ هو البعير الذي امتلأ بطنه بالعشب الرطب، أي عشب الربيع. والشخرافي هو السريع القوي الصغير من الجمال عند بداية حلول عسفه (تمرينه، تدريبه) أو ركوبه. أما الردوم فهي الناقة التي تراكم (تجمع) عليها الشحم، والمنيفة عالية السنام. ومن صفاتها السناد والحرف والجلس والمكنّسة، والأخيرة من الكنّس وهي الظباء عند الاختفاء.

والشناح: الطويل من الإبل فإذا كان الطول في العنق خاصة قالوا ناقة عيطا. والوجنا هي الناقة المذللة القوية للركوب وقطع المسافات في الأسفار. وفي وصفهم يقولون «وجنا من الهجن حايل». والعرمس هي الناقة القوية الشديدة، والعوص جمع عوصا وهي الناقة القوية. وعوص الانضا وعوص النجايب مضرب المثل عندهم، ومنه قولهم «اضرب النسا بالنسا، واضرب العوص بالعصا». والنضا جمع نضو، وهي المطية التي خف شحمها ولحمها من كثرة الأسفار ويطلق على الفارس الشجاع «حماي الانضا».

كذلك يطلقون أسماء مختلفة على الإبل وذلك حسب استعمالاتها. ومن هذه الأسماء الركاب أو الركايب (ومفردها ركوبه)، وهذا اسم عام للإبل المستعملة للركوب. ومن شعر الحداء عند الشرارات قولهم

بكرتي يازايديه

كصمت شداديه

والركايب عاديه



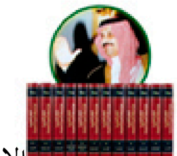
والعيرات (من العير): الإبل تحمل عليها الميرة. والرجادات: الإبل التي تقوم بتحميل الزرع كالقمح ودراسته. والجيش: إناث الإبل تستعمل للركوب. والزمال: ما يركب، والزامله: البعير الذي يحمل عليه الطعام. والزومله: العير بأحمالها. والزمل: الذكور (الفحول) من الإبل أكثر ما تستعمل في الظعن للنساء ومن الأمثال قولهم «ألحق الهامله بالزامله». والراحله والرحايل جمع رحول وهي إبل الحمل، والرحله هي الذلول التي تركب وفي المثل «من جت رحايله رحل». والعسيف هي الناقة التي تدرب للركوب. والذلول هي المطية التي تركب وهي واحدة من الجيش وفي المثل قولهم «التالي متلول لو هو على وروك الذلول»، ومنه قولهم «راعي ذلول». والمعاويد هي الإبل المستخدمة للسني، والسانية الناقة التي ترفع الماء من البئر العميقة وفي المثل «سير السواني سفر لا ينقطع». والهجن الركايب من الإبل توصف بالخفة والرشاقة. واليعملات النوق العوامل يعمل عليها الواحد وهي العملية. والعمليه من النوق هي المتدربة المتمرنة على السير والسرى؛ قال موسى البدراني:

قم ياندييي ترحّل فوق عمليه
بي تسبق الطير وان صفّق بجنحان

أما المطي والمطايا فهي الإبل، وهو جمع مطية، أي ما امتطي من الإبل واستعمل، ومن الأمثال قولهم «ريه وقطع مطيه» (١٤١٢: ٥٩-٦٥).

ومما وصفوا به البعير قولهم: الآكله أو الإكله يعنون الجمل الذي يهاجم كل من يقترب إليه. والثاوي هو البعير الذي أنهكه الضعف والهزال، فلم يقدر على النهوض. لكن الخلاّي هو البعير ليس بالضعيف ولا هو بالمجهد، ولكنه يتظاهر بعدم الاستطاعة على النهوض. والجفول البعير الذي يفزعه أي شيء. والحرذون البعير من غير شداد أو حداجة. والشرود البعير الذي يهرب ومن الصعب الإمساك به.

أما أسماء النوق عندهم فمنها الجضور (الضجور) وهي الناقة التي تمل أثناء حلبها. والجفول أو الرعاعه هي التي ترتاع (تخاف) من أقل حركة ويفزعها أي شيء يتحرك ويكون ذلك قبل عسافها. والرحول هي الناقة التي يحمل عليها مؤونة (زاد) الراعي وتَحفظ الإبل وذلك بأن تسير وراءها. والرموح الناقة التي ترمح كل من يقترب منها بقائمتها الخلفية. والشذا هي التي تبعد عن الإبل، ومثلها الطرف، وهي الناقة التي لا تبرك في وسط الإبل وتتطرف (تنفصل) فقالوا «ناقة طرف».



والشذاة البكرة الفتية التي لم تتعود على العقال فإذا عقلت بالعقال فزعت واستشاطت وصارت تقفز وترمي بنفسها وربما أثر عليها هذا الجهد في تمزق عضلاتها؛ قال الشاعر عبدالله بن صالح الأشقر:

فتاةٍ يزمله ظلّه شذاةٍ ما يعقلونه
غريرٍ بالهوى توّه غرامه لاحقٍ تالي

والطيوح هي الناقة التي تسير دائماً في مقدمة الإبل من تلقاء نفسها. والعجله ناقة سريعة المشي من الإبل في السفر أو المرعى. والعدوله (العديله) هي المنحة (المعارة لشخص آخر) وتستخدم للركوب ولأخذ الوبر منها ولشرب لبنها ثم تعاد لصاحبها وذلك بعد سنة أو سنتين من الإعارة. والعدوله أو العديله أو الوديعه كلها بمعنى واحد، وهي الوديعة وعادة تكون مِلْكاً لحضري يودّعها مع بدوي ليحفظها مع رعيته وعادة تكون قليلة العدد من ناقة إلى خمس نياق. وهذا من دلائل التكافل الاجتماعي بين البادية والحاضرة، وتبادل المنافع بينهم معروف، ومثله الحضار، وهو من الأمتعة الزائدة لدى البدوي يحضرها أو يودعها لدى الحضري، وهي عادةً حدائج أو شقق من بيت أو عدول أو طعام ليس له فيه حاجة. أما المنيحه فتختلف عن العديله؛ فالمنيحة نوع من الصدقة من غني إلى ضعيف أو إلى إنسان لا يملك مثل ما يملك غيره في موسم من المواسم فيعطى المنيحة خلال الموسم؛ فالذي يملك إبلاً أو ماعزاً فيها لبن يمنح منها أقاربه أو معارفه أو جيرانه الذين لا يملكون. والذي يملك نخلاً كثيراً يمنح أقاربه أو معارفه نخلة يستمنحونها فلا يشعرون بالحرمان وله الثواب والأجر من الله. وهذا كما ذكرنا نوع من التكافل الاجتماعي النبيل الذي كان سائداً بين الناس في الجزيرة العربية.

والعوصا الذلول الشديدة القوية. والقودا هي طويلة العنق (وجمعها القود) (الحبردي ١٤٠٩: ٥٩-٦١).

وقد وردت في حداء أهل البادية أسماء وصفات كثيرة للإبل نقتطف منها طائفة هنا من باب التمثيل، وأول ذلك قولهم في الإبل «حلوات اللبن» وفي الحداء:

حيهن من يوم جن
حي حلوات اللبن
اكفهن شر المحن

ويسمون الإبل أيضاً «حمّ الذرى» و«شمخ الذرى» ومن الأول قولهم في الحداء:



اللـــلـيـــلــــه يـــاحـــمّ الاوبـــار
جــــوّزن مــــيــــت نــــار
جــوّزن الــــعــــفــــن لــــو بــــار

ومن الثاني قولهم:

يـــاشـــمّـــخ الــــعــــشـــايـــــر
يـــــامـــجــــوّزات الـــبــــايــــر

ويقــولون «حرش العــطين»، ومنه قولهم في الحداء:

تــــشــــربــــه حــــرش الـــعــــطــــين
تــــشــــربــــه وان قــــيــــل طــــين

ويطلــقون على الإبل «عطــايا الله» وهي من أمثالهم، كما سيأتي، ويقولون في الحداء:

الـــبــــل مـــن عــــطــــايـــا الـلــــه
تـــروى بــيـــــشـــايـــة الـلــــــه

ويقولون أيضاً:

الـــبــــل عـــطـــــايــــا ربــــي
تـدعــــي الـبـــغــيـض يـــحـــبـــي

ويصفون إبلهم بأنها «نسع الرقاب» وفي الحداء قولهم:

خــــف الــــعــــصــــا يـــاضـــارب
عــــن نــــســــع الــــغــــوارب

ومن حدائهم أيضاً في العوصا وهي الناقة القوية:

مــــا يـــــروي الــــعـــــوص
غــــيـــــر الحــــبـــــلـــــوص
الــلـــي زنـــده تـــقـــل مـــقـــروص

الإبل في الأمثال الشعبية

حظيت الإبـل في الأمثال الشعبـية بنصيب وافر من الدلالات، وذلك يعزى إلى شدة ارتباطها بحياة الناس في البادية والحاضرة. فقد أورد (العبودي ١٣٩٩هـ) و(الجـهيـمان ١٣٩٩هــ) و(الســويداء ١٤١٢هـ) عدداً كبيراً من الأمثال الشعبية الخاصة بالإبل نورد منها طائفة ونشرحها شرحاً موجزاً، ونبين فيم تضرب؛ فمن ذلك قولهم:

«ابعد القوم عن ريح البل» والمقصود برائحة الإبل إمـكانية كسبها والحصول عليها.

«البل وبرها يعقلـها»، ومعنى المثل أن عُقل الإبل الـتي تعقل بهـا قوائمها تفتل عادة من وبرها.

«أثر الدبر تحت الوبر» والدبر القروح التي تكون في ظهر البعير نتيجة ضغط الـقـتـب أو الشـداد أو أدوات الحمـل الأخرى بحيث يتكون الجرح. ويضرب المثل للأمر المـؤلم يكون مخفياً ولـيس واضحاً.

«احتكت الحشو حتى أقرع الذنب» الحشو، جمع حاشي.

«أحقد من جمل» الجمل يحقد على من أساء إليه ولو بعد حين وخاصة من صده عن طروقته.



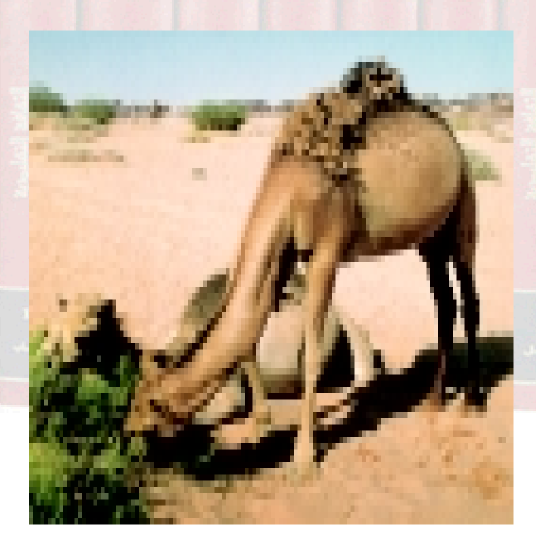


احتكت الحشو حتى أقرع الذنب

«احلب لبن لو من جمل» معروف أن الجمل ليس فيه لبن وإنما اللبن في الناقة ويضرب المثل لطلب الشيء المستحيل.

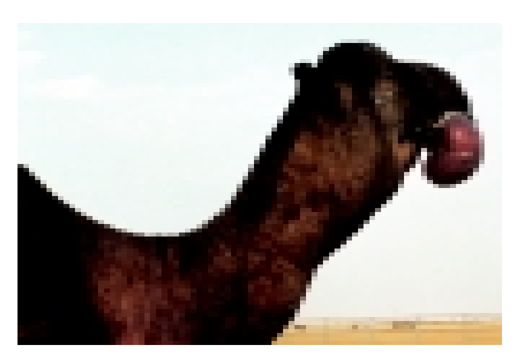
«إذا شبع الهزيل برك» الهزيل هو ضعيف الجسم والحال. والمعنى أن الجمل الهزيل إذا توافر له الطعام الطيب الكثير فجأة وشبع وامتلأ فإنه يبرك ولا يستطيع النهوض. يضرب المثل لمن يسرف في استغلال النعمة ويسيء التصرف في الأشياء النافعة التي تعود بالضرر بدل الخير والسعادة.

«اهدر ياجمل والا باعك الجمّال»، اهدر: أظهر الفحولة والقوة والقدرة على العمل لتكون مرهوباً يحسب لك ألف حساب، والهدير هو الصوت المخيف الذي يصدر عن الجمل حين ينفخ شقشقته، والجمال هو صاحب الجمل. يضرب مثلاً لرغبة الناس في القوي والمفيد، والزهد في الضعيف وغير النافع.

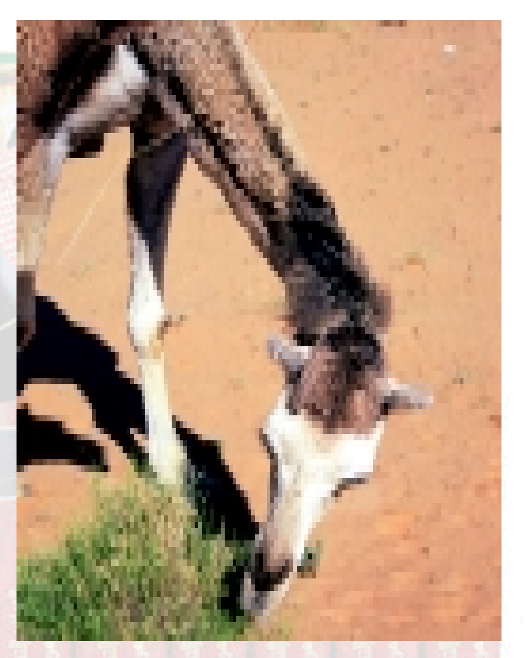


إذا شبع الهزيل برك





اهدر يا جمل ولا باعك الجمّال



أرقابها عوج



أطوع من بعير الخشب

«أرقابها عوج» يضرب المثل للشخص المنصرف بمشاعره عن غيره، مثلوا له بالركاب التي شد أصحابها أرسانها ليغيروا اتجاه سيرها فاعوجت رقابها.

«أشره من البعير» ويقصد به في شرب الماء؛ لأن الإبل تشرب أكثر من أي حيوان.

«أصبر من الجمل» يضرب المثل لشدة التحمل.

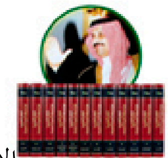
«اضرب العيبه يهتز الجمل» العيبة وعاء جلدي تحمل به الأمتعة على البعير وإذا ضرب بان له دوي قد ينفر البعير الذي يحمله ويعني المثل تنبيه الغافل.

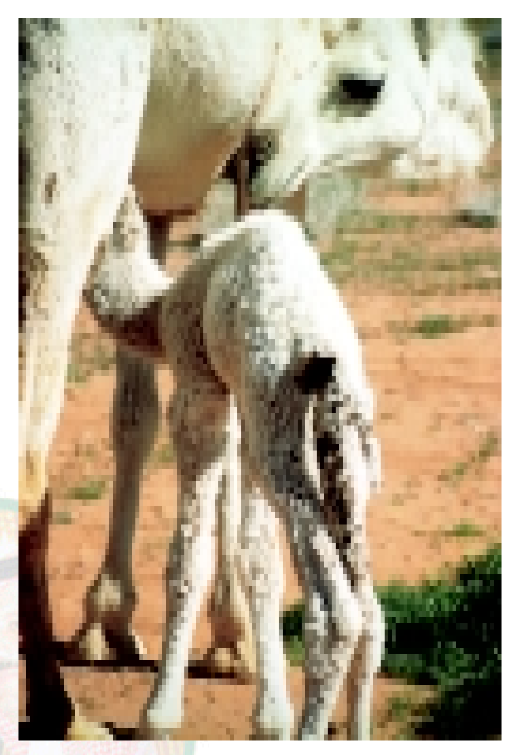
«أطوع من بعير الخشب» بعير الخشب يحمل عليه الخشب طولاً فيكون على جانبي رأسه وربما فوق رأسه فلا يستطيع الالتفات أو الدوران أو رفع رأسه.

«أقول جمل يقول احلبه» ويعني استحالة الأمر.

«إلى واعدت جمال واعد عشره» الجمال صاحب الإبل التي ينقل عليها البضائع بين المدن والقرى، ويعني المثل وجوب الاحتياط.

«اللي ببطن الحوير ببطن أمه» الحوير تصغير حوار وهو ولد الناقة، وما أكل أو رضع فكأن أمه أكلته ويعني المثل





اللي ببطن الحوير ببطن أمه

وهو يشبه المثل السابق في أن ما أكلته الناقة فكأن صاحبها قد أكله لأن المنفعة في نهاية الأمر تعود إليه.

«أهل الدار جمل هدار» الجمل الهدار الهائج ويعني المثل قوة سلطة أهل الوطن حيث لا يستطيع الدخيل مقاومتهم مهما أوتي من قوة وعلى امتداد الزمن.

«إن لقحت والا ما ضرها الجمل» الضمير يعود على الناقة ويعني المثل أن الأمر إن لم ينفع فلن يضر.

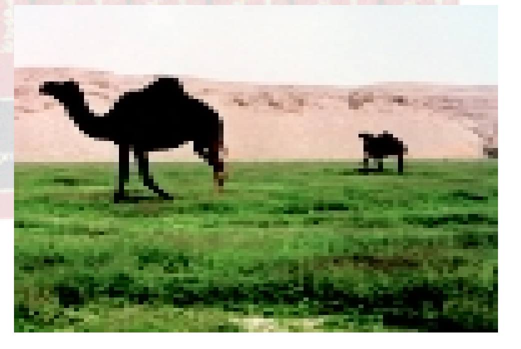
«بالدرب جمل» الدرب الطريق ويعني المثل أن في الطريق عائق كبير.

«بركت على ما سهّل الله» الضمير يعود على الناقة، ويعني المثل أن الأمر انتهى على ما قيض له.

أن الأمر لم يُضيَّع وأن المصلحة مشتركة.

«اللي ببطن المليحا ببطن راعيها» المليحاء تصغير ملحاء وهي الناقة السوداء

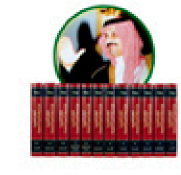
«برك في سنْدا» برك الجمل أي استناخ، وجثم وتمدد على الأرض، والسندا: الأرض المتدرجة في الارتفاع وهي صعبة الصعود يضرب المثل لمن



اللي ببطن المليحا ببطن راعيها



إن لقحت والا ما ضرها الجمل



بردت همته، وعجز عن مواصلة السعي لبلوغ هدفه.

«بعارين مشوِّم» البعارين هي الإبل والجمال، والمشوِّم هو تاجر الإبل الذي يشتري الإبل من البدو على علاتها بأسعار زهيدة ومن غير انتقاء ثم يبيعها لمن يريدها في شتى الأغراض. ويقال هذا المثل للبضاعة أو الأشياء التي يختلط فيها الجيد والرديء.

«بعير الظهر قليل» بعير الظهر الذي يتحمل الخدمة، ويعني المثل أن مَنْ يُعْتمد عليه من الناس قليل.

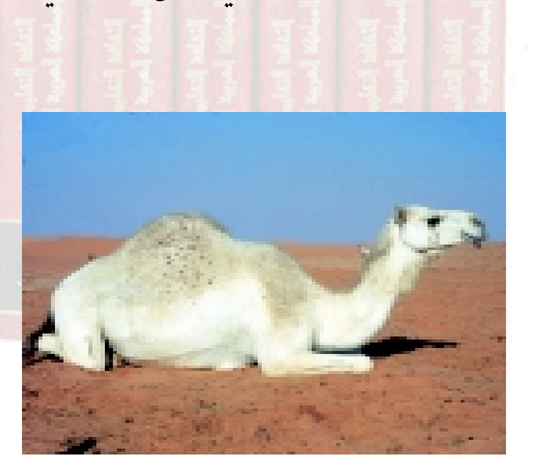
«البعير ما يشوف عوج رقبته» يعني المثل أن الإنسان لا يرى عيوب نفسه.

«بعير الخشرة ضايع» الخشرة الشراكة فيكون التواكل سبباً في ضياعه.

«بعير مكفوف ولا حمار يشوف» المكفوف الأعمى ويعني المثل أن الشيء الجزل حتى لو كان به عيب خير من الشيء الصغير ولو كان سليماً.



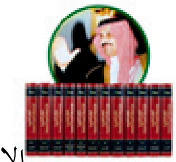
بعير الظهر قليل



بركت على ما سهل الله



بعارين مشوم



«بعير شمال على وجهه» بعير الشمال فيه شيء من البله والغفلة وبرودة الطبع، ويضرب المثل في الرجل إذا كان غير حذق أو به شيء من البله والغفلة.

«بعير وعقروه هله» يعني المثل أن الأمر حدث بأمر أصحابه ورأيهم، وليس هناك من يتدخل فيه.

«بعير شويط ما يسمن إلا بالدهر» الشويط القتاد يقتلع وتُشعل فيه النار للقضاء على شوكه، وتأكل أغصانه الإبل في سنوات الجدب. ويعني المثل أن الرجل يثري في الأوقات الصعبة.

«بكيرة الكبانا عجِّزت وهي بكيره» الكبانا لقب أناس، وبكرتهم أسنت وهي بكر ويضرب المثل لمن يخفي حقيقة ظاهرة

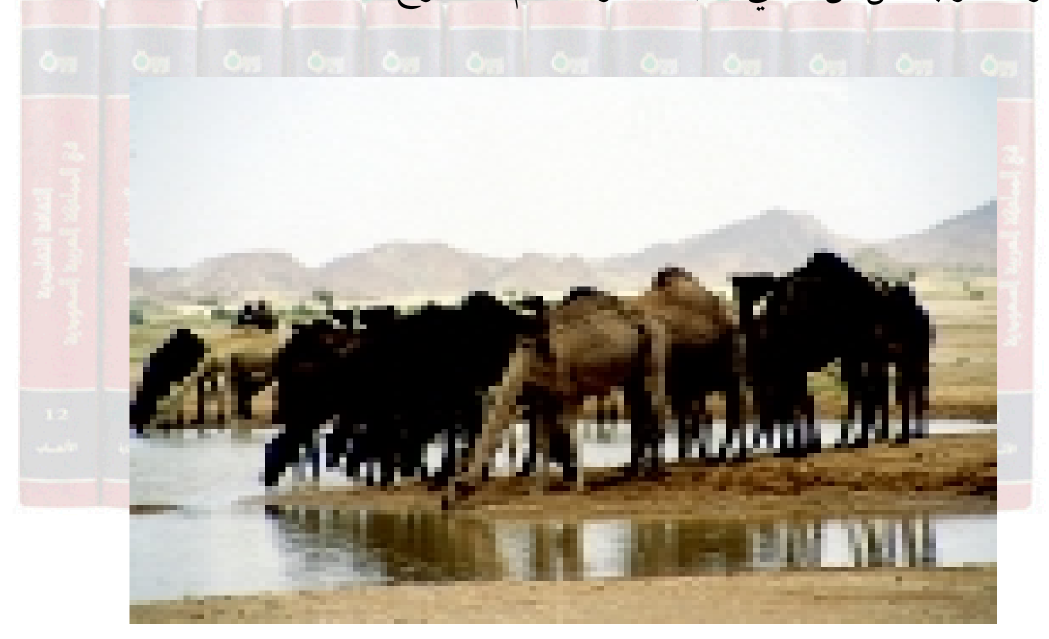


البل خطاها طوال

أو يتصابى وقد بلغ من الكبر عتياً، ومثله «بكرة آل فلان يقولون بكره وهي فاطر».

«البل خطاها طوال» يعني المثل أن الإبل تقطع المسافات الطويلة.

«البل الظميانه تدل الما» يعني المثل أن صاحب الحاجة يبحث عنها أو الحاجة أم الاختراع.



البل الظميانه تدل الما



«البل عطايا الله» يعني المثل أن الإبلَ هبةُ الله وهي القوية المتينة الصبورة الغالية كالكنزَ.

«البـل دونه هـله» يعـني المـثل أن صاحب الحق هو من يذود عن حقه ولا يتهاون في الدفاع عنه.

«البل ما لها قـلوب» يعني المثل أن الإبل تتصف بالبله ومحدودية الذكاء.

«البل دقّـاقة الدول» يعني المـثل أن الإبل هي القوة التي تحطم الدول.

«تالي ذلول» تالي: بقية، يعني أنها بقية مطيـة سواء في شحمها أو سِنها، أي أن الأمر ليس على الوجه المطلوب.

«ترى الـقعود شـرد» شرد، يعـني هرب، ويعني المثل فوات الأوان.

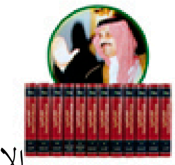
«تجمع النمله ويقضع الجمل» القضع الالتهام بـشره، وكم يساوي ما تجمـعه النملة في دهرٍ إلـى ما يأكله الجمل في لقمة واحدة. ويعـني المثل أن ما يتعب الصغار في جمـعه زمناً طويلاً يستولي علـيه، من دون عـناء، من هم أقـوى منهم، في وقت قصير.

«تساوى الغارب والـسنام» يتساوى الغـارب والسنـام عنـد هزال البـعير. ويضرب المثل إذا استوت الأمور شريفها ووضيعـها، خيرهـا وشرها، صالحـها وطالحها.

«جاب الجمل وما حمل» يعني المثل أنه جاء بكل شيء. ويقال أيضاً: أعطيته الجمل بما حمل.



تساوى الغرب والسنام



«جربا ورغّايه» الجرب مرض جلدي معيب، والرغاء عـيب سلوكي. معنى المثل أن الأمر جمع بين عيبين.

«جِرَّة فاطر» الجِرَّة تعـني الاجترار، وهي عملية إخراج الدابة المجترة للطعام من بطنها إلى فمها لمـضغه مرة أخرى. والفاطر الناقة الـكبيرة في السن، وهي عادة لا يكون لجرتها صوت لـضعفها. يضرب المثل للـشيء الهادئ والضعيف الذي لا يلفت الانتباه.

«الجريبا تـبي الطلا» يعني المـثل أن لـكل داء دواء، ولـو كان الـدواء مـراً وقاسياً.

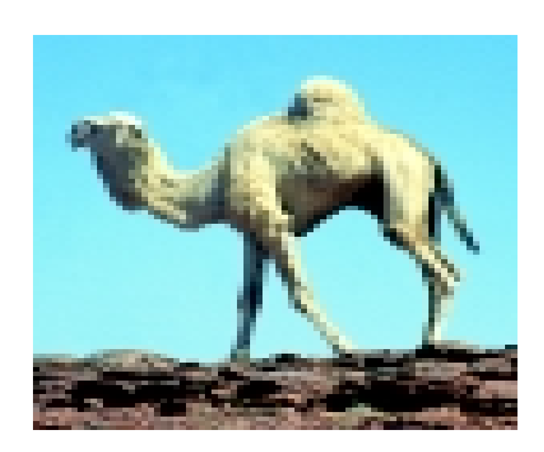
«جزى ناقة الحج ذبحه» يضرب المثل لمن يجزي الإحسان بالإساءة.

«الجمل يشيل ماه ونماه» يعـني المثل الاكتفاء الذاتي.

«جمل روي» الروي جمع راوية وعاء كبير ينقل به الماء ولا يحمل هذه الروي إلا الجمل القوي نظراً لثقل الماء، ويضرب المثل لمن يتحمل المسئوليات الجسام.

«جمـل المحامـل» المحامـل جمـع محمل وهو ما يـحمل عليه وهو شبيه بالمثل السابق.

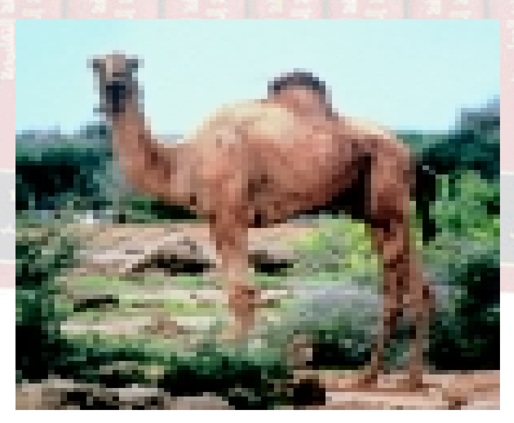
«جمل تـضيع به اللهـود» اللهود، جمع لهد وهو أثر الشداد أو غيره، إذا لح ظهر البعير يتورم ويبدأ البعير بالمدارات



جمل المحامل

من شدة الألم. يُضرب المثل لمن يتحمل المسؤولية.

«الجـمل لـلجـمّـال والعـود من الشـجره» يضرب المـثل للتـنصل من المسؤولية. فالجمل ليس جمله ليداري عليـه، والعود الذي سـينخزه بـه من الشجرة لا يُـكلفه شيئاً، ويعـني المثل أنه لن يخـسر شيئاً فيما يـعمل، ولن يتحمل أية مسؤولية.



جمل تضيع به اللهود

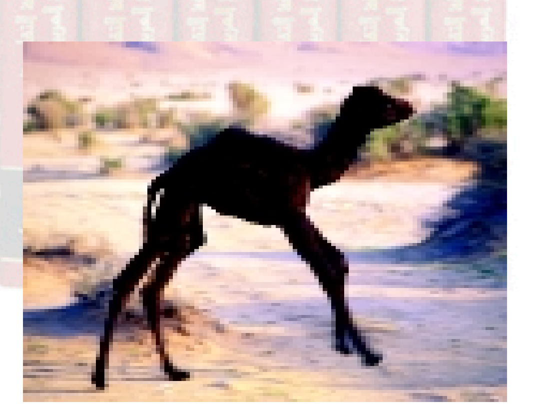




حوار ربيع، إن هبط راسه للنوار وإن رفعه لضرع امه

«جِنٍّ على هجن» يضرب المثل للأمور الشريرة أو السرعة الفائقة.

«حنّت لمراعيها» يعني المثل حب الوطن.

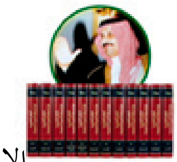


الحوير ما تضره رمحة امه

«الحويّر ما تضره رمحة امه» يضرب المثل للأمر ظاهره القسوة وباطنه اللطف والحنان.

«حوار ربيع، إن هبط راسه للنوار وإن رفعه لضرع امه» حوار الربيع مرفه يشرب الحليب من خلف أمه إذا رفع رأسه، وإن أراد المرعى فيقطف من أزاهير الأعشاب. ويضرب المثل لرفاهية العيش وتوافر كل شيء وانعدام التكلف.

«ذكاة الحويّر ذكاة امه» معنى المثل أن ما في بطن الناقة يموت عند موتها، ويضرب للدلالة على ارتباط الأمور بعضها ببعض.





رافع راسه مثل راس المعشر

«رافع راسه مثل راس المعشّر» يضرب المثل للإنسان المتغطرس.

«الرغا عقب الهدير قبيح» يضرب المثل للدلالة على كراهة تحول الأمر من القوة إلى الضعف.

«رغا عقب التمتمه والهدير» يعني المثل الاستسلام التام، بعد التصلب والتهديد.

«ركب الرديف وراعي الكور حول» الرديف من يكون خلف الراكب، ويعني المثل انقلاب الوضع إلى الأسوأ.

«سبقت دخينه» دخينة اسم ناقة لم تسبق إلا مرة واحدة وكان ذلك سبباً في سرقتها، ويضرب المثل لمن يحقق نتيجة غير متوقعة أو معتادة منه فينخدع به الآخرون.

«الشحم بالبل يامطاريس الغنم» يعني المثل مماثلة الأمور العظام بالأمور الصغيرة مثل مقارنة شحم الإبل الكثير مع شحم الغنم القليل نسبياً.

«ناقة عريمان، إن ثارت نارت وإن بركت ما ثارت» عريمان اسم رجل كانت له ناقة إن بركت أبت أن تنهض، وإن ثارت ووقفت هربت. ويضرب المثل للأمر على طرفي نقيض لا توسط بينهما.

«شرب البل دحم» الدحم الازدحام على ورود الماء وهذا ما تتميز به الإبل ويضرب المثل للأمر يأتي بمشقة وتعب.

«طرحة جمل» يعني المثل أن الأمر جاء على غير ما يتوقع.

«طقاع جمل، لا يشك ولا يضحك» الطقاع، الضراط ولا يأبه به أحد ويوصف به الكلام التافه.



«طنّب بالرغا» طنب: رفع صوته، ويضرب المثل لمن يستسلم.

«عرب الناقه وعرب الفحل» يعني المثل المحافظة على جودة الأمر من كل جوانبه.

«ما ذكر في الزرق أباعر» أي أن البادية لا تكوّن قطيعاً من الإبل الزرق لعدم رغبتها في هذا اللون.

«عقيل دون اباعره» يعني المثل أن الأمر له من يقوم به ويدافع عنه.

«على قلوه وشظاظ» القلوة هناة أو خشبة أو حجر بمقدار الكف المقبوضة أو أصغر قليلاً، توضع في أعلى زاوية فردة البعير من فوهتها العليا وتربط عليها عروة الفردة. والشظاظ، عود يشظ أي يقرن به الفردتان على ظهر البعير. يُضرب المثل لحالة الاستعداد القصوى.

«عمه جمل» يعني المثل أن الأمر له دعم قوي وسند متين.

«القراد يثور الجمل» القراد، الحشرة المعروفة ويعني المثل ألا تحقرن من الأمر شيئاً، ذلك أن تلك الحشرة الصغيرة تثير البعير الذي يكبرها مئات الآلاف من المرات.

«قعود الصقار ما كلا ذرقه» الصقّار: هو من يربي الصقور للصيد بها، أي أخرج ما بجوفه على هيئة سائل ويضرب المثل للأمر لا يبقى له فائدة.

«كبدة بعير، كلما طبخت قست» يضرب المثل للأمر يسوء ويصلب كلما جرت معالجته.

«كم فاطرٍ شربت بجلد حوارها» يضرب المثل لاختلاف الآجال بين الصغير والكبير، فرب كبير عاش طويلاً وصغير مات في طفولته.

«كل مقسمٍ ينسى نفسه الا مقسم البل» يعني المثل أهمية الإبل عند العربي. ويُضرب لمن يخص نفسه بالخير قبل غيره.

«إلى برك البعير كثرت سكاكينه» ويعني المثل في معنى أن الإنسان القوي عندما يضعف يكثر أعداؤه والشامتون فيه والمنتقمون منه.

«إلى ثارت ناقة صالح» ناقة ثمود معروفة وكيف نحرت ويضرب المثل للأمر الميؤوس منه أو المستحيل تحقيقه.

«الله رزّاق البل على كبر بطونها» يعني المثل أن الله قد قدر لكل حي رزقه كبر حجمه أو صغر.

«ما عن الخور مذخور» الخور: الإبل، والمذخور المدّخر وبذل أقصى الجهد، ويضرب المثل للأمر يحتاط له والحق يدافع عنه صاحبه.

«من بعرها فت في ظهرها» أي يؤخذ من بعر الذلول ويجعل على الخراريج





يهدر في العنة

التي يسببها الشداد لمعالجتها، ويضرب المثل للأمر يكتمل بعناصره الموجودة فيه ولا يحتاج إلى مساعدة من الخارج.

«ياما ضاع على درب الحاج من جمل» يعني المثل تكرار ما حدث وعدم المبالاة بالأمر.

«يثور بالعقال» أي ينبعث وينهض ويده معقولة مما يدل على قوته، يضرب المثل للإنسان الذي لديه المقدرة على تحمل المسؤولية.

«يهدر في العِنَّه» الهدير هو صوت الجمل الهائج. والعِنَّة هي الحظيرة، أو أكوام من الحطب تكون السياج حول البهائم لمنعها من الخروج أو حتى منع الوصول إليها. والمثل يضرب لمن يتظاهر بالقوة وهو بعيد عن الخصم وفي مأمن من مصادمته، أما عند ملاقاة الخصم حقيقة فإنه يجبن ويتخاذل ويقف موقف الذليل المسالم.

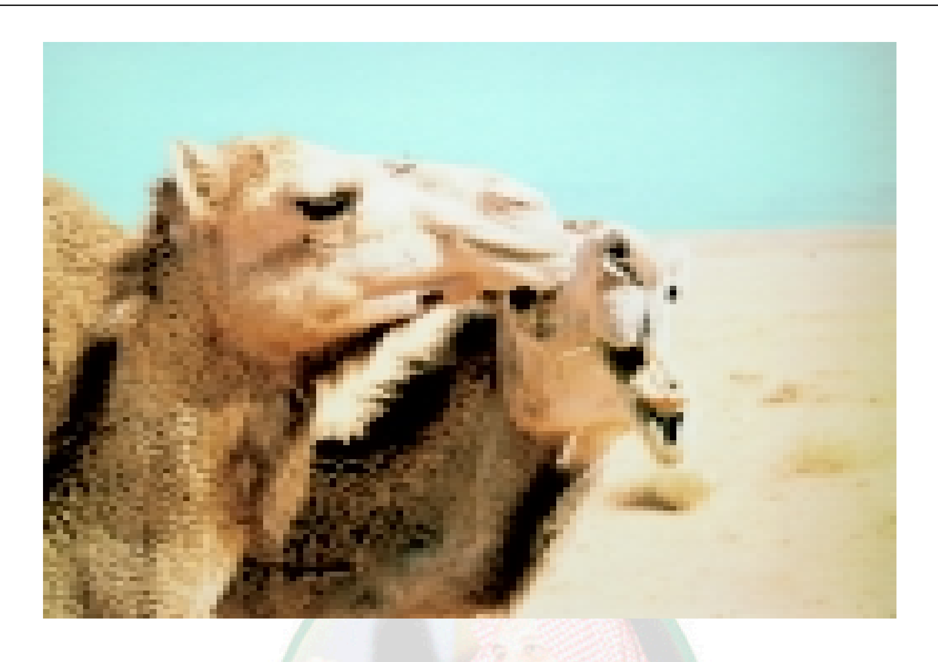
الإبل في الشعر الشعبي

تناول الشعر الشعبي الإبل من جوانب عدة، تشبه تلك التي وردت في الشعر الفصيح إن لم يزد عليه في بعض النواحي. وقد وصف الشاعر الشعبي الإبل كما وصفها أجداده الأقدمون، وجسّد مزاياها وبيّن طبائعها. شبهها في السرعة بالنعام والزرافة والظباء والذئب والأرانب المذعورة والصقر المنقض على فريسته. وصف حنينها على حيرانها، كما وصف معشوقته بالفتية من الإبل، وشبه ريقها بحليبها وردفها بشطي السنام، وغير ذلك من التشبيهات التي لا يتسع المجال لذكرها كلها، وسنكتفي بنماذج مما جرت الإشارة إليه. وقد اشتهر عدد من الشعراء في وصف الإبل وصفاً دقيقاً منهم خلف أبو زويد الشمري وساكر الخمشي وسويلم العلي السهلي، وغيرهم. وهذه نماذج من أشعارهم:

قال الشاعر محمد بن لعبون في وصف ركب مسافر يستحثهم على الانتظار حتى يحملوا رسالته:

يا ركب ما سرتوا بيوسف ليعقوب
قبل الفجر ينباج والليل غريبب
مقدار ما يفرغ من الكاس مشروب
تريّضوا ياركب ما انتمب اجانيب





ما يستدير الدور منكم لمنيوب لهن طبٍّ بالحصى والحراديب

إلا وقد جرّيت رسم المكاتيب سمحات الايدى مرتميهن متعوب

لى افتر بسّام الفجر تقل خرعوب هجنٍ جماليات عوج العراقيب

تضحك على الدايه فدنّوا يعابيب مثل النعام بخبّة الخال مرعوب

قلايصٍ وان شافت الكاس مشروب ان زرفلن والحال مثل اليعاسيب

حنّت من الفرقا حنين الدواليب مع صحصحٍ كنه قفا الترس مقلوب

اضحن بنزل الحي وامسن بخبوب طربٍ به الجنى على فقده الذيب

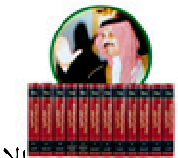
متعرضاتٍ عقب الافيا لواهيب فجٍّ حراجيجٍ برى حالها الدوب

من كثر ما راحن وما جن مناديب يشدن لعيدانٍ من القوس مكروب

خلافهن صرفٍ بنبط النشاشيب تنفا مناسمها الحصى تقل حالوب

غدرا شبوبه ساريات النحاحيب ان مسّهن من عقب الادلاج ضاروب

يطلب من الركب التأني ويقول لهم إنكم لم تسيروا بيوسف إلى أبيه يعقوب حتى تستعجلوا قبل الفجر والليل ما يزال غربيباً مظلماً. تريضوا: تأنوا، تأخروا. يستدير الدور أي ريثما يتم صب القهوة من الأول إلى الأخير، والمنيوب ما يقدم من طعام أو شراب، جريت: خطيت. اليعابيب: الركائب، خبوب: موضع.



فجّ: واسعات الصدور. حراجيج: ضامرات. الدوب: الدأب والمداومة. مناديب: مرسلات. صرف: حاذق، نبط النشاشيب: رمي السهام. وصفهن بالأقواس لانحنائهن وضمورهن ووصف رميها للحصا من خلافها بأخفافها (تعبيرا عن النشاط وسرعة الجري) بالسهام. ولقد أكثر الشعراء من وصف الإبل الضمر بحنايا الأقواس ولكن ابن لعبون تفرد بجعله تلك الأقواس ترمي الحصى من خلفها كالنشاب. الحالوب: المطر أو البرد. الغدرا: الليلة المظلمة. شبوبه: وقوده وإضاءته. الساريات: السحب.

النحاحيب: التي يسمع فيها صوت الرعد. مرتميهن: لاحقهن. الخب والزرفال: نوعان من المشي السريع. الحال: هيئة البدن، شبههن بيعاسيب النحل لضمورهن. الصحصح: الأرض المستوية، والذئب لا يألف إلا الأرض الشجراء أو غير المستوية ليختل فريسته. وفي اعتقادهم أن الجني لا يستطيع الاختفاء عن عين الذئب وأن الذئاب تفرس الجن. شربة ضحى خامس: نهاية ورد الإبل. النيب: الإبل المسنة المجرّبة والمعتادة على قطع الفيافي.

وقال عبدالله بن سبيل:

ياراكبٍ من عندنا صيعريّات
من ساس عيراتٍ عرابٍ تلادِ
بنات حرٍّ فحّلوه الشرارت
بالجيش تعني له جميع البوادي
بيض المحاقب والغوارب مشيبات
للتلو ماسوّوا لهن التوادي
فج النحور وروكهن مستقلات
خضع الرقاب مفتّلات العضاد
في الشد ونياتٍ وبالمشى طفقات
غزّ المسامع والنواظر حداد
عامين يرعن في حيا نجد مشهات
من حد الانجل للنجج باستناد
والى حصل بين الحفيفين غيظات
يرعن زهر ما لاق في كل وادي



مصـيافـهن كـبشان لـلبـدو مشهـاة
لى كَـنّ مزن الصـيف بقـران حادي
مـعقّـياتٍ قـيـظهـن مسـتـريحـات
لمـا بــدا نجـم الـتــويـبـع وكــاد
جا حـقّنا فـيهن وهـن حقّهـن فات
قـطـع الفـيـافـى والخروم الـبـعـاد
الصـبح من راعـي نفي مسـتلجّـات
يـشـدن نـعامٍ جـافـلٍ مـع حـمـاد
والعصر فـي دار بن عسكر مويـقات
خـفافٍ يـجـقّلـهـن سمـار الـبلاد
والصـبح دنّـوهن تقـل مسـتذيـرات
مـن حايـط الـديـره لهـن اجـتـلاد
غـب المسـيـر معـزّلاتٍ وضـمرات
مـثـل الحنـايـا لـى حنـاهـا سـتاد
سيـروا وخلّوهـن مع الجامع افـوات
مـسراحـكم طـاروق وارض حـماد

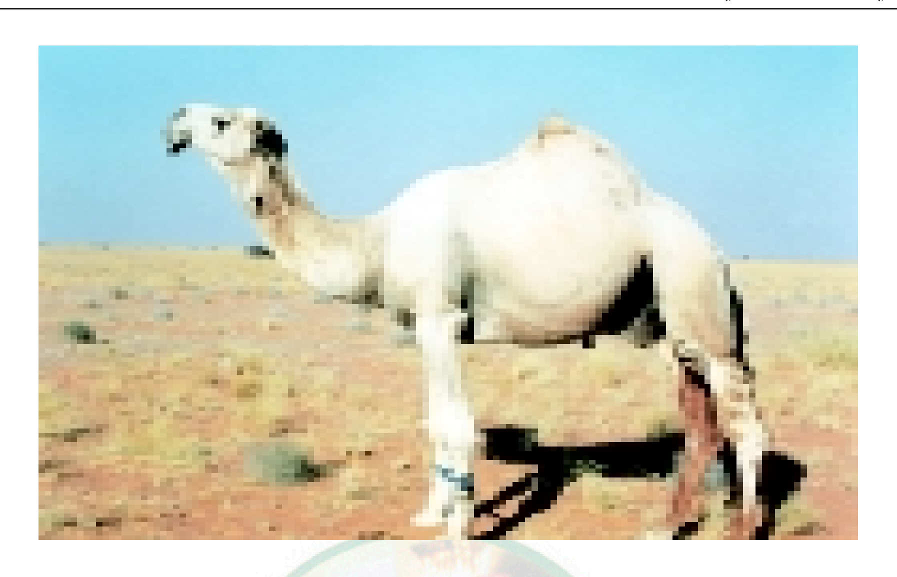
صيعريات: نسبة إلى الصيعر من بدو الربع الخالي، وإبلهم مشهورة بالجودة. ساس: نسل. العراب: السليمة النسب. تلاد: متولدة أباً عن جد. الشرارات: قبيلة في الشمال مشهورة أيضاً بجودة الإبل، وما ينتج من إبلهم وإبل الصيعر يـجمع كل المزايا. المحاقب: موضع الحقب أي الحزام، والـغوارب: مـوضع الرحـل، وموضعهما يبيض من الاحتكاك. التلو: ما يتلوهن من الحيران. التوادي: ما تصر به أخلاف الناقة لئلا يرضعـها فصيلها.

الشد: أي شد الرحـل عليها. ونيات: هادئـات. طفقـات: متـسرعات. غـز المسامع: منصوبات الآذان. الحيا: الربيع الخصب: مشهات: ما يشـتهى. الأنجل والنجج: موارد في عالية نجد. الحفيفين: الخصمـين المتقابلـين. وغيظات (جمـع غيظ): الخصام، أي يرعن أزهار كل وادي حتى في أيام الحرب لقوة أهلهن. كبشان: موضع في عالية نجد. قران حادي: أول نجوم أنواء الشتاء. يقول إن النبت في كبشان أيام الصيف كأنه في أول الشتاء لطراوته وينعه. معفيات: مراحات. نجم التويبع: آخر نجوم بنات نعش يظهر في الخريف. وكاد: مؤكد. راعى نفى: يعني نفسه. مستلج: مهتم. يشدن: يشبهن. دار ابن عسكر: مدينة المجمعة، قاعدة سدير وقد دعاها حـميدان (الفيـحاء ديرة عثمـان) وكانت دار عثمان بن مزيد، وبين الشاعرين ٢٠٠ سنة. مويقـات: مطلات. سمار البلاد: سوادها، أي زروعها ومبـانيها. تقـل: كأن. مسـتذيـرات: خائفـات، نافـرات. الاجتلاد: الهـمة والسرعـة. معـزلات: متميـزة أعضاؤهـا لاعتدال أجسامها. الستاد: النجار.

وقال خلف أبو زويد الشمري:

ياراكـب اللـي ما يـعوزه تواصـيف
حـمرا تـورّد بك لـيـا سرّب الـلال





منوة غريبٍ دون حيّه مياهيف
اللى من الشنتين يامن بها الذال
قب الضلوع وطولها بالاطاريف
شقرا شعر به من تحت تقل سروال
يجوز جفله بالخلاوي على الكيف
وعادك تحط المزهبة لين تشتال
يا روّحت مع سهلةٍ قل ومخيف
ركّابها كنه من الجيش خيال

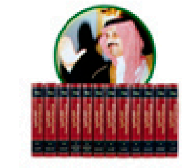
ما يعوزه: لا ينقصها، اللال: السراب، منوة: ما يتمناه، مياهيف: مساحات شاسعة، الذال: الخائف، جفله: انطلاقها بسرعة، عادك: إياك، المزهبة: وعاء الزاد، تشتال: تحمل، يا روحت: إذا راحت، السهلة: الأرض المنبسطة، مخيف: يخاف منها.

وقال خلف أبو زويد أيضاً:

ياراكبٍ حمرا تقل روملة ذيب
حمرا ولاعمر الحوير غذي به
حمرا تفج فْخوذها للمحاقيب
حمرا تسوف كعوبها فى سبيبه
حمرا تكصّم من عياها المصاليب
حمرا وتوّه فى جهلها منيبه
تهيا لخبلات السهال العباعيب
تلفخ بيمناها والاخرى جنيبه
يا روّحت مع سهلةٍ كالحيازيب
تودع بعيدات الموارد قريبه
من نجد جينا فوق كوره مراكيب
جينا عليها جيّةٍ ما علي به
تلفي رويلٍ خلطها والاجانيب
نعمين بالعليا ومن يعتزي به

وقال خلف أبو زويد:

ياشبه وضحا به دباديب واجناب
اللي يحط ابها الجرس والكتافه



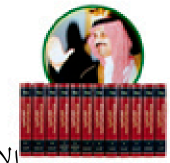
أعلى وْبِـــرْته كن به ورس وخضاب
ويـتـلـهـا حـين بـطرق الـشـعـافـه
ريمـيّـةٍ يتـلـنـهـا خـضع الارقـاب
عـنـود ممـشـاهـا براس الـشـرافـه

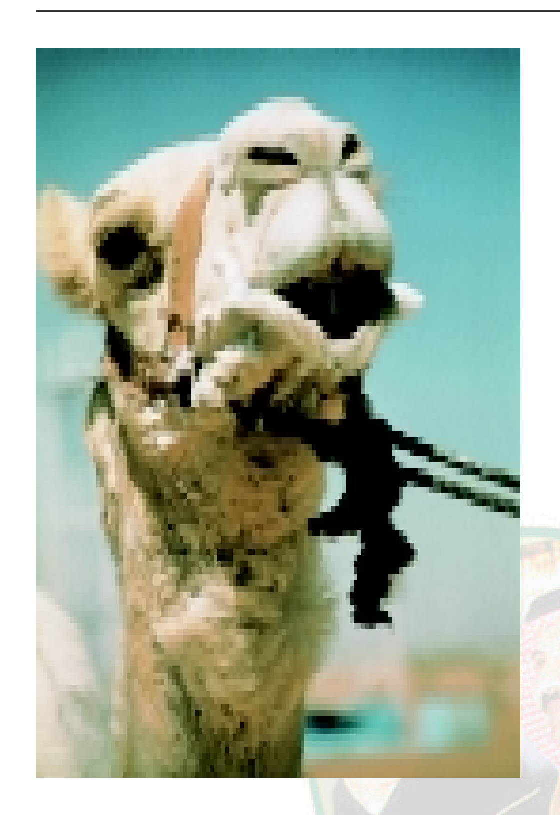
دباديب: عـثاكيل وأجـراس تعلق للزيـنة، ورس: صبغ أحمـر، بطرق: بخط، الشعافة: شعفة السنام، الشرافة: المرتفع.

وقال ساكر الخمشي العنزي:

أنـا شـفـــاتـي حـايـلٍ دلّـلـوهـــا
حـمرا ولا عـمـر الحويـر لـغمـهـا
عــوصا هـمـيم وحـايلٍ حـيـلوهـا
لـيا مـا تعـادل بالابـاهر شـحمـهـا
مثـل القـموع ديـودها مـا حْلبـوها
فـصلـة بدن راسـه وفخـذه وفمـهـا
وصـايـف الريمـي لـيـا وصّفوهـا
ما زان فـي عيـنك تـكابـر قطـمها
لـو امهـا بضـرابـها مـا حْفـظـوها
كان اتهموا غـدي الوضيحي غشمها
شيـبا ظـهر مـن كثـر ما غربـلوهـا
ولا هـي برغّـايه ضـبـوحٍ نسـمهـا
لـي روحت كـل الجمـاعه رجـوهـا
الكـل يركـض عدهـم في خـدمها
إلى امـهلـوا له بالـرسن ونـهمـوها
تفـصم قراريص الـرسن من عزمـها
إلـى حـداهـم واهـجٍ واعـتـلوهـا
راحـت مـثل دلـوٍ تـصـرّم وذمـهـا
اسـرع من الـلي بـالولـع نفّـجوهـا
تـزبّـنـت قـورٍ تـقـادح رضـمـهـا
عـين السـروق وسرقـته قـد لقـوها
نـتـفت سـواعد لحـيته مـا حشـمها
تـشـدى تجضـور خـفـرةٍ زوّجوهـا
قـلـيل ميـزٍ حـين جاهـا غشـمـها

شفاتي: رغبتي ومـا أتمناه، لغمها: رضعها، عـوصا: الناقة الصلـبة طويلة الظهر، الأباهر: جانبي السنام، القموع: قمع التمرة، ديودها: أخلافها، الريمي: الظبي الأبيض، قطمها: مقاطع جسمها، غدي: لعل، أو ربما، الوضـيحي: المها العربي، يقول أنها لجمال مظهرها تشك بأن





ذكر المها ضرّب أمها فولدتها، غشمها: ضرّبـها عنوة، غـربلوهـا: أجهدوها، نهموها: حثوها، قراريص: حديدتان في أسفل الرسن من تحت الفكين تضغط على لحيي البعير، راحت: انطلقت، بالولع: الرمي ويعني الأرنب، نفجوها: أفزعوها وأخرجوها من جحرها أو مخبئها، تزبنت: التجأت، لـقوها: وجدوها، حشمـها: أكرمها، تشدى: تشبه، تجضور: تململ، غشمها: افتضها بفضاضة.

وقال سويلم العلي السهلي:

ياهـل النضـا يامعـتلينٍ عـلى اكوار
عراض الـفقايـر لَـيّـنات المحاصـير
قطم الـفخوذ متونهـن سحم الاوبار
دغم الخـشوم عيونـهن شعلـة الكير
فـج المرافـق مـا تجـي حول الازوار
ومشـطّرٍ كـوعه عن الـزور تشـطيـر
خضـع الرقاب بـشوبة الـقيظ عـبار
حـراب الاذاني مـردفـات المنـاعـير
عسـى لكـم مع نـيّة الخيـر مصـدار
عوجوا لي ارقاب النضا يامل الخـير
ريضـوا وريّضوا الـنضا وقـم مقدار
ساعـه لما اكتـب حاجتـي يامـناعيـر
فالـى كتـبت بجـيرة الـله والاسرار
قومـوا عليـهن في حـنايا الـبواكـير
وخلـوا ركايـبكـم مع الدرب عـبار
بالقـيظ ممشاهـن مع الفجر وغْـصير

النضا: الركاب، شعلة الكير: شعلة نار كير الحـداد، فج: واسع، مشطر: مبتعد، شوية القيظ: شدة الحر، المناعير: الرجال الـطيبين. وقال سـويلم العلـي السهلي يصف نـوعاً من الهجن يسمى الجيش:

ياهل الـنضا ياللـي على كل مـرمال
هجـنٍ هجاهيـجٍ هجافٍ تقـل صيد
صيـدٍ حداه المـال مع حـس الازوال
ريمٍ عصفـها الريح واقـفت عراجيد
حـمرٍ عـرامـيسٍ مـراميـل وحْـيال
ومـن ساس عـيـراتٍ ثْلادٍ مـوالـيد



فـج المـرافـق ضـاريات بـالاهـذال
شيـب على قـطع الحراديـب والريد
كبـار عثـانين الـنضـا كنـها جْـمال
باخـفافهـا تسمـع صريخ الجـلاميد
وطنات من حال وخفيـفات من حال
مـثل الـقطـا لـى وردّن للـمـواريد
وسـيقـانها باثـفانـهـا تقـل سيّـال
عـيدان سِيّـال بـرتـهـا المبـاريـد
والـكل مـنـهن خِـقّـها كـنـه ريال
عـوص مواطـيهـا مواطـي مفـاريد
دغم الخشـوم عيونهـا تشعل اشـعال
غـز المسامـع داربـات مـع الـبـيد
بالـله علـيكـم ريّضوهـن بالامهـال
وتحمّـلوا مـا اقول من غـير تـنكيـد
ريضـوا وريّضوا النـضا مثل مـا قال
ساعـه واكمّـل حاجـتي يـاصناديـد
وقال سويلم العلي السهلي:

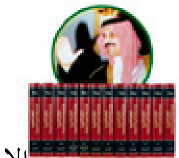
ياهل النضا ياللي على وصف غزلان
سـيـقـان وارقـاب لـيـان المـثـانـي
طفـقات بـالمشـواح طوع بـالارسان
ارقـابـهـن لـيـان كـالخـيـزران
عراض الـفقايـر ضمّر تـقل قـيسان
حـمـر جمـالـيـات حـيل سـمـان
قطـم الفخـوذ عضودها تـقل بيـبان
شـعـل الـعـيون مـذلّـقـات الاذان

المشواح: المكان البعيد، قيسان: جمع قوس، قطم: قصار، مذلقات: دقيقات الآذان.

وقال عبدالله بن فرحان القضاعي:

ياراكـب حـمرا بـراسـه صـعـالـه
هي مـنوة الطارش لـيا صنقـر اللال
حـمرا ولا رضـع الحـوير مشـالـه
ولا قـلّطـه لمقـطّب الحـمل جـمّال





كالديدحانه يوم تنظر دلاله
ليا شاف وصفه مولع الهجن يهتال
ليا هبّطه حيدٍ وحيد نبا له
ليا كنها الربدا ليا شافت ازوال
ليا هبه الطايف ثم انساح باله
قامت تهف الذيل قفوه تقل شال
تشدى هنوفٍ صار خِلّه قباله
دلت تزين مشيته تقل تختال

صعاله: صَلَف، الطارش: المسافر، صنقر: اشتد، اللال: السراب، مشاله: خلفها، قلّطه: قدمها، مقطب: الممتلىء جداً، الديدحانه: عشبة ربيعية ذات زهر أحمر زاهية جميلة المنظر، يهتال: يندهش، الربدا: النعامة، قامت: بدأت، تهف: تحرك، قفوه: خلفها، تقل: كأنه، شال: نوع من غطاء الرأس يشبه الغترة غير أنه من الصوف، تشدى: تشابه، هنوف: المرأة الجميلة، دلت: بدأت.

وقال سلطان بن عبدالله الجلعود:

ياراكبٍ من فوق حمرا تموحي
حمرا تزومع في رديفه تقل ذيب
حمرا تفريك تقل بنتٍ طموحي
عقب الطلاق استاجهت للخطاطيب
من ساس هجنٍ سابقاتٍ سموحي
بنت العبكلي ماضيٍ له تجاريب
حمرا ليا صكّت نسمها ضبوحي
تقلط ليا صكّت عليها المراكيب

تموح: تتمايل في مشيتها، تزومع: تتراقص، تفريك: تتحفز، طموح: مغاضبة لزوجها خارجة عنه، استاجهت: استعدت. يشبه المطية بحركات امرأة غاضبت زوجها وطلقها ثم استعدت لاستقبال زوج جديد فهي عند سماع من يأتون لخطبتها تبدأ تتحرك وتتململ وتتحفز لعلها تظفر بزوج جديد.

وقال سلطان بن جلعود:

وخلاف ذا ياراكبٍ فوق عرماس
عمليّةٍ قطع الفيافي مناها
حمرا كتوم مروبعة هامة الراس
من ساس هجنٍ ما يكبّر عصاها
لا اقفت مثل محالةٍ عقب الامراس
لى طار من فوق المحالة رشاها

عملية: متمرنة، الامراس: خروج الرشا من فلك المحالة.

وقال محدى بن فيصل الهبداني:

ياراكبٍ من عندنا فوق عنسٍ
سحوان قطاع الفيافي عماني
عنسٍ سبرسٍ بالسواد الوغطسي
قطّاع دوٍّ هوذلي سوسحاني
هزته بعود اللوز من غير لمس
ويااما قطع من نازح السمهدان
قطعي قطا ومذيّره حس ونس
من اللال ورّد ديرة الريهجان



فوقه دلالٍ نسج من كل جنس
القرمزان مخالطه بازرقان

سحوان: صفة من صفات نجائب الإبل، عنس: صفة سبقت الإشارة إليها، سبرس: يشوب لونه مسحة من سواد، الوغطس: شديد السواد، الدو: الأرض الواسعة، هوذلي: نوع من جري الإبل، سوسحان: صفة في جري الإبل، اللوز: نوع من الشجر يتخذ من أغصانه العصي، السمهدان: الأرض المترامية الأطراف، قطعي قطا: القطاة في المظماة، يشبه سرعته بسرعة القطاة، مذيره: مجفله، ونس: أناس، اللال: السراب، الريهجان: الماء الغزير.

وقال سعد بن جريد الشمري:

ياراكبٍ من فوق عشرٍ على لون
شعلٍ يهاوزن الاظله خوات

عجلات طفقاتٍ عليهن تبارون
مثل الجريد ارقابهن ناحلات

فج المناحر طولهن تقل مازون
طفح الضلوع متونهن نابيات

طفقات: صلفات سريعات، تبارون: يتسابقون، الجريد: عسب النخل المجرد من الخوص. وقال سليمان الطريف:

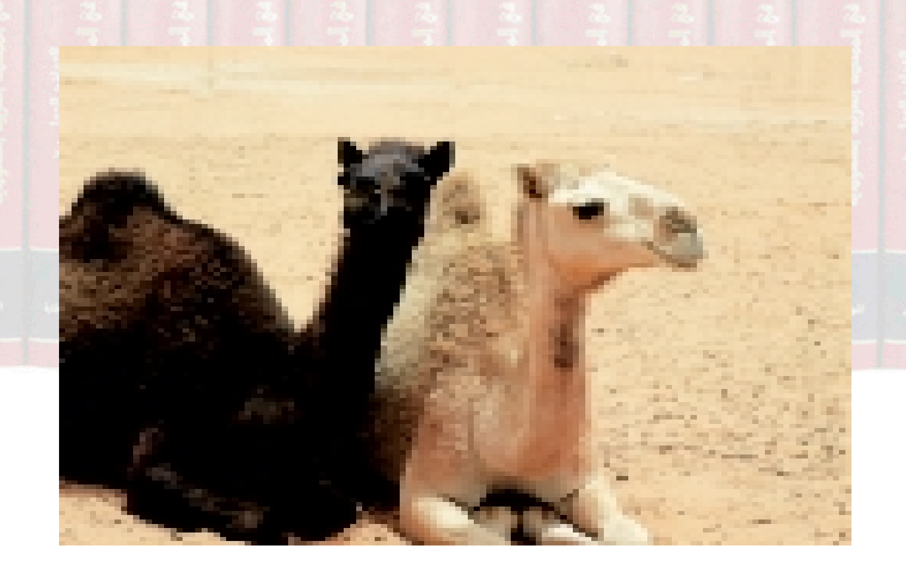
بالله ياللي قرّبوا كنّسٍ حيل
حمرٍ ضرابٍ توّهن جن اصايل

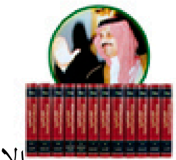
بنات حرٍّ ما قنوه الجماميل
ولا بعد شدّن وشالن رحايل

لطف الخواصر ضافيات الاسافيل
قطم الخفاف يهولهن العفايل

فج المرافق والعضود المفاتيل
شحص الطبايع من هواهن جفايل

وقال محمد بن ناصر الغانم:





آخذ على فاطري نومٍ وسجّات
بالكور ما احلى مع الريدا تخطّيها
رملا ولا رددت في كل منحاة
لعل وبل الحيا يسقى مفاليها
هي ريف قلبي وهي مالي وخزناتي
من حبها ما نطيع اهل الثمن فيها
شلنا عليها الزهاب وخمس قلات
ركبت معهن وربي اللي يقويها
مربوعة الراس وفخوذٍ جميلات
واطلب عسى الله يقود لي الرجا فيها

وقال ساجر الرفدي العنزي:

ياراكبٍ من عندنا فوق مذعور
مخمّرٍ ما طق عقب العساف
ما فوقه الا الخرج والزل منثور
ودويرعٍ من فوق الامتان ضافي

مخمر: موفر للمهمات الطارئة، دويرع: الدويرع شبيه بالخرج قصير يكون على أكتاف المطية يوضع للزينة وغالباً ما يكون من الجلد المحلى بالنقوش.

وقال خلف بن علوان بن دعيجا الشراري:

ياراكب اللي للبلد ما جلبنِ
قطم الفخوذ مربعات الاسامي
ما لافتن عند اول الذود لابنِ
ما لافتن للحشو يوم الفطام
من نسل هرشٍ بالهدد له يجبن
يطلق عليهن يوم كلٍّ ينام
ما قيّظن يرعن رمام وتبن
ولا صقّرن قاع الجوى والوخام
مرباعهن فيحان ثم اقتلبن
يرعن زهر نوّار عشب الوسامي

رمام: الرمام أعشاب الربيع الجافة.

وقال صالح بن خدعان العجمي:

ياراكبٍ حرٍّ ليا ما تنحّى
خطرٍ على الكور الموسّر يروحي
زين الترايب والنحر والملحى
يشبه فريدٍ ذيّروه السروحي

وقال محمد بن علي العرفج:

قل هيه ياهل ناحلات المواطي
من نسل ريمه ما خلطهن خلاط
وساع النحور مورّدات النشاط
خضاع الرقاب خفاف فجّات الآباط

ناحلات: رقيقات، المواطي: الأخفاف.

وقال سعدون العواجي:

ياراكبٍ من عندنا فوق نسّاس
يشدا ظليمٍ جافلٍ مع خمايل
زين القفا ناب القرا مقعد الراس
ومعرّبٍ من ساس هجنٍ اصايل
لا مد روّاي ولا راح عسّاس
عِروٍ ليا ما فات حمو القوايل

مد: انطلق وسار، رواي: يروى عليه الماء، عساس: يركبه من يرود الأرض لمرعى مواشي القوم. النساس: الذلول



السريعة. يشدى: يشبه، الظليم: ذكر النعام. وقال مبارك بن عيسى الغريس:

ياراكبٍ من فوق زين العسافِ
يشوق عينك لى مشى وارتحل ثار
ما فوقه الا الكور عدل الظلاف
ودلال خرجٍ مزهرٍ تقل نوّار

الظلاف: ظلاف الشداد واحدها ظلفة فصيحة.

ووصف الشعراء المطية بالنعام الجافل. قال محدى الهبداني العنزي:

ياراكبٍ سربالة تقطع البيد
حمرا ولا فوقه رديفٍ محنها
اول نهاره خل مشيه تفاديد
وافهق الى البردين عقبيك عنها
مثل النعامه يوم تقفي مع الحيد
أو تقل شيهانٍ دنا الليل منها

تفاديد: نوع من جري الإبل، البردين: عندما يكون الجو بارداً في الصباح والأصيل فعليك بحثِّها، أما إذا اشتد حر الشمس فخفف لكدها بعقبيك.

وقال طلال بن فريج الشمري:

يشدا ظليمٍ شاف زول ذريفي
أول مْشِكّ وتالي الزول باني

ذريف: ضئيل. وقال حطاب بن دعسان المطيري:

ياراكب اللي قيّظت من ورا ساق
مرباعها الصمان يوم استزافي
تشدى لربدا شافت الصبح دراق
تنهض جناحين بها الريش ضافي

استزاف: طاب فيه المرعى. ربدا: أنثى النعام.

وقال كنعان الطيار العنزي:

يشبه نعامٍ مع جذيبٍ تحدّر
والا النداوي يوم يرخي سبوقه

النداوي: نوع من أحرار الصقور.

وقال هزاع بن شعلان العنزي:

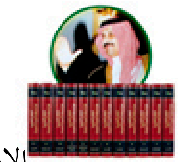
ياراكبين اكوار حيلٍ معابير
شروى نعامٍ حين ما ذيّرنّا

شروى: مثل. وقال خضير بن عيادة الصعيليك:

ياراكبٍ من فوق عجل التخافيق
بعيد ملوى الزور جم العظام
يشبه ظليمٍ ذيّرته التفافيق
لى صاعه المثلوث واخطاه رامي
ما فوقه ألا قربته والمعاليق
ومقدار ما يقري الخلاوي طعام

التفافيق: جمع تفاق وهو الرامي، المثلوث: ملح البارود من ثلاثة عناصر رئيسية (ملح + كبريت + فحم) الخلاوي: الشخص الواحد يسافر وحده ويبيت وحيداً. وقال فهيد بن عويد المجماج:

يشبه ظليمٍ جافلٍ مع سنافه
شاف المبندق بالمطامن لقف له



ووصفوا المطية بجريان الذئب؛ وقال خضير بن عيادة الصعيليك الشمري:

ياراكبٍ حرٍّ تقل سلوعة ذيب
عليه من رعي الخطر كالزباره
حرٍّ ليا شدّت عليه المصاليب
يشدا ظليمٍ جافلٍ مع غتاره

سلوعة: جري سريع، غتاره: مكان تضعف فيه الرؤية. وقال عبدالله بن فرحان القضاعي:

ياراكبٍ من عندنا فوق فدّاد
وقم الرباع مْفَتّلٍ يقطع البيد
مناكبه عن حروة الزور ورّاد
ياخذ عن الروض المظلل تحاييد
فزيز ريمٍ طالعه كلب صياد
مع سهلةٍ صحوى سهالٍ سراميد
ما فوقه الا الخرج والنطع وشداد
وقريبةٍ وقمه ثلاثة مقاصيد

وقم: مقدار، وقمه: مقدارها. وشبهوا المطية بالقطاة الطائرة المفزعة؛ قال محسن بن علي التميمي:

ياراكب اللي مشيها جايزٍ لي
لى روّحت تشدى رفيف القطاة

وشبهوا المطية ببقرة الوحش (الوضيحي) الجافل؛ قال معتق الزايدي الجهني:

ياراكب اللي ناعتين هَداده
يرعى ثمان سنين عشب المرابيع
خرجه متوبك زاهيٍ في شداده
ومكلّفٍ دشنه على كل توضيع
مثل الوضيحى وان جفل مع حماده
والا النداوي يوم ياخذ تناويع

المرابيع: جمع مرباع وهو المكان المعشب، متوبك: له عرى من كلا الجانبين، يدخل بعضها في بعض وتغلق عند آخرها، دشنه: ما عليه من شداد وغيره، النداوي: نوع من أحرار الصقور. ووصفوا المطية بالزرافة؛ قال خلف أبو زويد الشمري:

ياراكب اللى ما بعد مثلها اركاب
طويلة الساقين مثل الزرافه
مالودةٍ عند الشرارات بضراب
وابوه من التيه الوحاشى حيافه
بين الرباعيات عسفت والانياب
وحايل لما انه زيّن الله عسافه
وان صوقعت محالةٍ فوق عبّاب
تاطا على مثل الشواشا خفافه
يطماه طمي ويرخى الرجل باداّب
مثل الطموح اللى تزايد عيافه
تسهم على المشا كما يسهم الداب
نفت ببرطمها وبالذيل سافه
عليه ليا جا نِيّة الربع بوجاب
يارب من كثر العواثير عافه
يا شافت السندا تقل مشيها اوثاب
عين العديم اللى يشوف الجنافه



وليـا ركبهـا الشيـخ والغزو كـسّاب
وحـكوا بمـرواح الاهـل والكـيـافه

وقال فهيد بن عويد المجماج:

يـاراكـب الـلي مـا لحـنّـه ظْـلافـه
مـا داره الجمـال وادنى الـعلـف لـه
مـامون تـوّه يـصـطفـق كـالـزرافه
لـى طال طـيّـول المدى زاد جـفـلـه

يصطفق: يتحرك بتحفز للانطلاق. ووصفوا المطيـة بالأرنب المذعورة؛ قال عبدالله بن فرحان القضاعي:

يـاراكـبٍ حـمـرا تـكـب الـشـداد
الا ولا هـي مـن هـزال الخـواويـر
لى روّحـت لك مـع سهـال الحمـاد
فـزيز بـزوى خمّـه الذيـخ والطـيـر

فزيز: قفز، بزوى: الأرنب.

ووصفوها بالمركب البحري سفينة أو (شاحوف)؛ قال محمد بن هادي القحطاني:

ياراكـبٍ من عـندنا فـوق هجـهوج
سـوّاج مـوّاجٍ بـعـيـدٍ مـعـشـاه
ما فـوقه الا الكور والـنطع وخروج
وسـفـيفـتـينٍ فـوق وركيـه تـزهـاه
أسبـق من الـدانوق فـي غبّـة الموج
مـلـفـاك سـلـطـان زبـون المخـلاه

سفيفتين: عثاكيل الدلال المضفورة أو المنسوجة. وقال نمر بن عدوان:

يـاراكـبٍ من عـنـدنـا فـوق موّاح
زلـيـل شـاحـوفٍ بموجٍ يمـوحـي

زليل: صوت، الشاحوف: نوع من القوارب النهرية. وقال خلف أبو زويد:

ركّـابهـا كنـه ببـعض الـشواحـيف
لـى زتّه الجـاري ضَرَب حـده الجال

زته: رمى به، الجال: الجانب. وقال مبيريك التبيناوي:

يـاراكبٍ مـن فوق طـلـق اليـمينـا
تمـشي وَحَـدْهـا ما تـريـد الثـمانـا
يـوم المواجـب مثـل روج السـفيـنا
يـقطـع سـهال مـسهّـمـات المثـانـا

سهال: جمع سهلة وهي الأرض اللينة، مسهمات: التي بها علامات. وقال محمد الدسم العنزي:

وافـطن تـرى بالـبل مـعزّه وهـيـبه
عليـك بسفن الـبر حرش العراقـيب

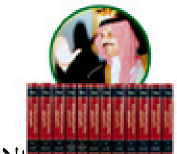
وقال محمد بن عبدالله القاضي:

راكـــبٍ فـــوق حـرٍّ زاهـــيٍ دَلّـــه
مـن شواحـيـف شط الحـي ركـابه

وقال ساكر الخمشي:

حـمرا لـقـطاع الـفيـافي سفـيـنه
تـعـبا لجـداع الـقـرانيـس بـالـغار
كـنـه تـلـذع سـارق مـتـهمـيـنـه
هاب الـقرار وشـايفٍ بـشعـة الـنار

بشعة الـنار: شدة حرارتها، وكان هناك عرف في زمن مضى عند بعض القبائل وهو أن السارق يؤتى به إلى عارف القبيلة وهذا يحمـي حديدة حتى تكون



حمراء ويؤتى بالجاني فيخرج لسانه ليضع العارفة هذه الحديدة المحماة على لسانه أو يعترف، ويقولون إن البريء لا تضر لسانه النار أما الجاني فإنها تحرق لسانه، وغالباً إذا رأى الجاني هذه الحديدة اعترف، والقرار: الإقرار بالذنب.

وقال خلف أبو زويد:

ياراكبٍ حمرا جليله من القود
هذيك لا دَنّا ولا هي برعبه
ولاحط به مع حروة العقب لاكود
ولا عد بالمحجان من كثر شعبه
لا قلت بادت دك به جدها العود
دلوٍ رشاه مصدّرٍ وانقطع به
أمسٍ وقبل امسٍ ليا حزة طْرود
واليوم والليله ولا قيل تعبه
حمرا تقول مجلّله جوخ ماهود
وصايفه تقل ابن ريّا صنع به

قود: جمع قوداء وهي من القاب الإبل فصيحة. دنَا: بطيئة. رعبة: الصلفة الحادة الطبع.

ينادي الشاعر راكب تلك المطية الحمراء القوداء التي تتمتع بصفات جيدة، فهي ليست الصلفة الحادة في طبعها السريعة في جريها وليست بتلك البطيئة في سيرها البليدة في طباعها ولكنها وسط بين هاتين الصفتين. حروة: مكان. العقب: عقب الراكب. لاكود: ملكد، وهو موضع العقب وهي فصيحة. شعبه: وخزها لحثها على السرعة في السير. المحجان: هو المحجن وهي فصيحة.

يقول الشاعر إن هذه المطية ليست من تلك الهجن التي تحتاج إلى الحث الدائم بعقب الراكب أو محجنه، وإنما تسير وحدها دون حث راكبها. بادت:





تعبت. دك به: أثّر بها. العود: المسن من الإبل وهي فصيحة. والمقصود بالعود فحل مشهور بقوته وسبقه. يصف الشاعر هذه المطية بأنها من حرائر الإبل والسلالات الجيدة، فكلما حسبت أنها تعبت تدخل عامل الوراثة من جدها ذلك الحر الأصيل المشهور فزادت في جريها، مثل دلو انقطع بها الرشاء فجاءت منصلتة بسرعة هائلة إلى قاع البئر. طرود: آخر النهار. يقول الشاعر إن تلك المطية قد سارت أمس بطوله وقبل أمس كله وهذا اليوم مع ليلته بطولهما ومع ذلك لم يجد التعب إلى نفسها أو عضلاتها سبيلا نظراً لكونها من حرائر الإبل. ماهود: حرير. ابن ريَّا: اسم صانع يتقن صنعته، يقول الشاعر: أن هذه المطية بلون وبرها الأحمر الجميل تبدو وكأنها قد جللت ثوباً من الحرير المتقن، وكأن ابن ريَّا قد تولى صنع هذا الثوب، ويبدو أن هذا الرجل من صنّاع المنسوجات الحريرية المشهورين.

وشبهوها بالعياسيب، وهي اليعاسيب في الفصيح؛ قال شالح بن هدلان القحطاني:

ياربعنا يالّلي على الفطر الشيب
عز الله انه ضاع منكم وداعه
رحتوا على الطوعات مثل العياسيب
وجيتوا وخلّيتوا لقلبي بضاعه

وشبهوها بالأقواس المحنية وبالهلال؛ قال عبدالله بن علي الرشيد:

الغوش ركبوا ضمّرٍ مثل الاقواس
حيلٍ يِفِتّن حيل راع الرديه

يفتن: يرهقن، الرديه: المطية الرديئة.

وقال عبدالله بن علي بن دويرج:

ياراكب اللي كالدراهم خفافه
فجٍّ عضوده والخواصر هوافي
مثل الهلال الى بدا في مشافه
والا كما قوسٍ حْني بانعطافي
مرباعها بين الحفر واللصافه
مشروبها من جرهدٍ ماه صافي

هوافي: ضامرات، مشافه: منزلته التي يرى منها، اللصافه: موضع، الجرهد: الماء العذب. وقال سويلم العلي السهلي:

عْراض الفقاير ضِمّرٍ تقل قيسان
حِمْرٍ جماليات حيلٍ سمان

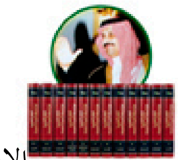
وقال سعد الضحيك المطيري:

مروبعات الروس والاصل مسيوس
من القفل مثل القوس مِتْرَفّعات

وقال الشاعر محسن بن علي التميمي:

بنت الهجافا يجذبونه بالاقواس
خفاف العلايق يابساتٍ شنونه

فضلوا عدة ألوان في المطية يغلب عليها اللون الأحمر للناقة كما رأينا في



القصائد السابقة، واللون الأشقر والأشعل للجمل، ولم نجد إلا واحداً من الشعراء أشار إلى اللون الأوضح وآخر أشار إلى اللون الأسود (الأملح) حيث قال الشاعر:

ياراكب اللي تقل غرنوق
لى روّحت والمسا داني

الغرنوق: الطائر الأبيض المعروف.

وقال تني أبو عبية العتيبي:

ياراكبٍ ملحا من الداربات
مامونةٍ من نابيات الحصيره

الحصيره: ما يوضع تحت الراكب في مؤخرة الشداد.

أما العفراء فقال فيها الشاعر:

ياالله على حرّةٍ عفرا
مربوعة الراس مامونه
ممشى الشهر تاخذه مسرى
كن الموصي على هونه

وقال راكان بن فلاح بن حثلين:

ياراكبٍ من عندنا فوق شقران
سوّاج موّاجٍ بعيد المضاحي

وقال البليعان العنزي:

ياراكبٍ حمرا تذب الطواريق
جدعيّةٍ قطع الفيافي مناها

تذب: تقطع، الطواريق: الطرق، جدعية: صفة من صفات الإبل. وقال فايز بن هذيل الشمري:

فوق اشقرٍ سمح الذراعين مرعوب
أسبق من الشيهان معلف عياله

معلف: من يجلب لأفراخه العلف.

وقال شاعر آخر:

ياراكبٍ حمرا من الهجن مسهاج
هي منوة اللي ينتوي للمناهيج

مسهاج: سريع الجري، مناهيج: جمع منهج وهو الطريق. وقال ضيدان بن زيد الفغم المطيري:

ياراكبٍ حرٍّ رعى بالمخاضير
مْتَيّهٍ يرعى بعشب المطاوي

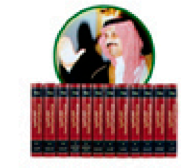
المخاضير: خضرة أعشاب الربيع.

وقال هويشل عبدالله الهويشل:

ياركب شدّوا فوق دقلات الازوار
حرايرٍ كن الدراهم خفوفه
شيلوا عليهن الكلايف والاكوار
الله يساعدكم بنو المروفه

الكلايف: ما يوضع على المطية من أدوات السفر. قال خلف أبو زويد:

ياراكب اللى لى مشت تطرق القاع
لى ضرّبوا عوص النضا كل حاله
ملمومةٍ من فوق والورك بوساع
ومشيه يخوض وكن فيها رِفاله
عذافرٍ لى مَسّها الجيش مخراع
ودَنّا ليا زملت تفدّع بحاله
يا لولبن بالقفل وابلالهن ضاع
تلقاه توّه سايجاتٍ حباله



يـا روّحن حـفـيـا وطفـيـا وظـلاع

يزمـي علـى روس الفـيافـى هبـاله

مـا ودّنوا لـه مـوعة الخـف مـرقاع

وادنـا خطـاة الـيوم تـنـكر ظـلالـه

لـى مشـت: إذا مشـت. القـاع: الأرض الصلبة وهي فصيحة. ضربوا: تجشموا. عـوص: جمع عوصاء وهي الناقة الـطويلة الصلـبة وهي فصيحـة. النضا: جمع نضو وهي المطية التي خف شحمها ولحمها من كثرة الأسفار وهـي فصيحة. حاله: طريق مجهول.

ينادي الشاعر راكب هذه المطية التي إذا انطلقت بصاحبها تقطع به المفاوز والقفار، إذا تجشم أصحابه الطرق غير المألوفة على كل عوصاء قد نضا لحمها وشحمها السير والسرى في تلك الفيافي الشاسعة.

يخوض: يتأرجح. رفاله: نوع من الارتخـاء وهو عكس الحـذق، يصف الشاعر هذه المطـية بأنها ململومة الظهر واسعة الوركين، إذا انطلقت براكبها يخيل للناظر إليها أنها تتأرجح في سيرها بشيء مـن الارتخـاء، وذلك بـسبـب طـول خطاها، وتطويحها بيديها أثناء الوخد. عذافر: الصلبة الشديدة وهي فصيحة. مسها: حـاط بها، الجيش: الركائـب، مخراع: جفول، زملت: خافت. تفدّع بحاله: ترهق نفسها وتؤذيها.

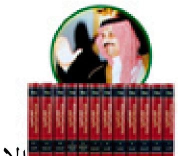
يكمل الشاعر وصف هذه المطية بأنها صلـبة شديـدة المراس إذا أحاطـت بها الركائب، فإذا جفلت وخافت بذلت فوق طاقتها حتى ترهق نفسها، وهذا وصف دقيق للحالة التي تنتاب المطية عندما تجفل.

يا لولبن: إذا اشتددن. القفل: شدة السيـر، أبلالهن: عـرقهن. سايجـات حباله: نضح على حبالها قليل من العرق فترتخي وتتحرك.

يضيف الشاعر صفة لهذه المطية تدل على قوتها وصلابتها بأن تلك الركائب إذا بدأن يتصـببن عرقاً من شدة التعـب وصلافة المشى، أما هي فـلا تنضح إلا قليلاً من العرق لا يكاد يبلل أسفل الحبال ويسمح لها بالتحرك.

حفـيا: مـن الحفى وهـو تخـرق أخفاف الإبل من طول السير في شعث الأرض وهي فصيحة. طفيا: قد طفئت جذوة نشاطـهن. ظلاع: جمع ظالع وهي التي تميل فـي مشيتها لتأثر أحد قوائمـها أو أخفافـها وهي فصيـحة. يزمى: يرتفـع وهي فصيحة. هباله: جهلها وعنفوانها.

ثم يضيف الشـاعر صفة ثانية لهذه المطية مما يدل على قوتها وشدتها فيقول: إذا جاءت تلك الركائب وقد لعب الحفى بأخفافها، انطفأت جذوة نشاطها، وبدأت



تظلع من تأثير الوجى أو أي عارض آخر تجد هذه المطية تزداد قوة وعنفواناً على قطع الفيافى والقفار.

ودنوا: نقعوا وهي فصيحة. موعة: من ماع أي ذاب وهي فصيحة. مرقاع: من رقعة خف البعير إذا حفي وهي فصيحة. خطاة: بعض.

ويستكمل الشاعر أوصاف هذه المطية، بأنها من المتانة والقوة، فلم يعتنوا بالرقع التي توضع لأخفاف الإبل إذا حفيت لعدم احتياجها إلى ذلك وفي بعض الأيام تنكر ظلالها وتجفل منه من شدة صلفها وعنفوانها.

قال محدى الهبداني:

دنّوا بعيدات المماشي ركابي
عرندساتٍ يقطعن المحاويل
عروات لين سْهيل بَيّن وغابي
حتى غدا فوق الاباهر زهاميل
يرعن من الربله ورجل الغرابي
باطرافهن تلقى الخزامى تقل نيل
حثّوا مناكب جيشكم بالعقابِ
قلايصٍ ما لاغمن المخاليل
إن روحن مع سهلةٍ له سرابي
عوصٍ يشادن روس ربد الهراقيل

الربلة ورجل الغراب والخزامى: نباتات مرعى أثيرة في الصحراء. وقال الشاعر منزّل بن دغمي الرويلي:

ياراكبٍ حرٍّ ليا صرت مدّاد
ناب الدفوف ودارب مطرشاني

مدّاد: أي مغادر، مطرشاني: تعود على الأسفار.

وصفوا المطية بأنها كتوم الرغا وهذه سمة محببة ذكرها الشعراء منذ أقدم الأزمنة، وكتوم الرغا التي لا ترغو عندما يشد عليها صاحبها؛ قال محدى الهبداني:

ياراكبٍ حمرا كتومٍ رغاها
ممشى ثمان ايّام تطويه مشوار
جدعيّةٍ قطع الفيافي مناها
تشدى لشاحوفٍ مع الشط عبار

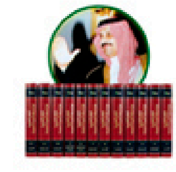
وقال عبدالله بن فرحان القضاعي:

ياراكب اللي تو سنّه منيبي
عمليّةٍ ما سطّغوها بالامجار
حمرا كتوم والمحاقيب شيبي
حمرا ليا صكّت بها الهجن مغوار

عملية: متدربة متمرنة، سطغوها: حرفوها، الامجار: جمع مجر وهو المنحاة. وقالت وضحا بنت هاشم الغريس:

ياراكب اللي يعجبك زين فدّه
واحلو مشيه يافرج بالسراة
من ساس هجنٍ تعجب اللى يشده
حمرا كتوم وبالحمى حايلات

كما وصفوها بأنها صلفة في مسيرها جفول يكاد يفزعها ظلها ويرعبها لمس



طرف ثـوب راكبهـا؛ قال خلف أبـو زويد:

يجوز جـفله بالخلاوي علـى الكيف
وعـادك تحط المـزهـبة لـين تـشتـال

المزهبة: وعاء يوضع فيه زاد المسافر.

وقال محسن بن علي التميمي:

بـالـقايـلـه عـد الـفـراعين فـوقـه
أسرع مـن الشـيـهـان يوم اسـتشالـه

وقال أيضاً:

يـاراكب الـلي لـبّست بـالقـماش
تـفـز لا بـدْقَـيّـق الـعـود نـيـشـه

مـا ينـلحـق بمشاه تقـل انـحيـاش
يـشدا هـدد شيـهـانةٍ صـف ريشـه

الانحياش: الـهروب من انحاش.

وقال خلف أبو زويد:

أنـا هوى بـالـي خـطاة الـسـجـلّه
هـذي هوى نـفـسي وغـاية مـرادي

إن غـاب عنـهـا كافـره واسـفهـله
يـا تـقـل لـه رب المـقادير هـادي

يـا بَرّكـن عوص الـنـضا بـالاظلـه
بـالـقايـلـه تـلقـى قـريـنه يـدادي

حـمرا ومـذنب عـينـها تـقل غـله
مـثل لـهيـب النـار لـولا السـوادي

حـمـرا بـطـول بـاتّـسـاعٍ بـجـلـه
حـمرا وتـقل مـولفـه لـك ستـادي

يـا جلـلوا دهـم الـقرب بـالاجـله
والمـا بـعـيـدٍ حـال دونه حـمـادي

يـا وردن مـع سـهـلـةٍ مـا تـدلـه
عـلـيه ردي الخـال مـا لـه جـلادي

لحّـاقـة المقـفـى ولا يـلـحـقن لـه
حـمـرا سـنـادٍ غاربـه لـلـشـدادي

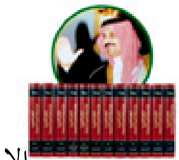
تـشدى تـهـنـفـل خفـرةٍ جاه خـلـه
مـتغـرّبٍ عـقب الـبطـا جـاه بادي

السجلة: المكتملة والمحكمة الخلق، كافره: شيطانها، اسفهلّه: طاب مزاجها، القايله: وقت القيلولة، غلة: الشعلة من النار. خطاة: بـعض. السجلة: الناقـة شديدة الصلف. يقول الشاعر أن ما يهواه ويخطر على باله تلك الناقة الصلفة القوية التي توصله إلى ما يريد في أقرب وقت ممكن هذه أمنيته وما تهواه نفسه.

كافره: شدة الصلف بما يشبه الجنون، ويعتقد البعض في هذه الحالة أن بها مسّاً من الجن. اسفهلت: هدأت. يا تقل: إذ كأنها.

يكمل الشاعر وصف تلك المطية بأنها إذا زالت عنها حالـة العنفوان الشديد، وهدأت فكأن الله قد أخذ بزمامها وقادها إلى ما تريد أن تصل إليه.

عوص: جمع عـوصاء وهي الناقة الصلبة القوية وهي فصيحة. قرينه: يعتقد أن لبعض الإبل قـرين من الجن يتتابها في أعلى درجات صلفها. يدادي: يهذي أو يتصرف بعشوائية.



يضيف الشاعر وصفاً لهذه المطية يدل على قوتها، وذلك أن الإبل إذا تعبت وقد حداها الحر والعطش ولاذت بأظلة الأشجار، وجدتها قد اشتد صلفها وعنفوانها وبدأت بتصرفات عشوائية كمن أصيب بمس من الجنون. وغلة: شعلة النار.

ووصفوا المطية بكثير من الأوصاف التي ذكرها شعراء الفصحى نحو وجناء وصيعيرية وعرمس وعوصاء عرندس؛ قال خلف بن زيد الاذن العنزي:

ياراكبين أكوار حيلٍ عراميس
يَقْطِعِن ميد مساهمات الحزوم

وقال محمد بن غنيم الزبيري:

هيه ياراكبٍ مثل الحيام
وان دون دوّهن مثل النجوم
عيدهياتٍ عليهن الكرام
صيعرياتٍ وهن تحت الكروم
إن قفاهن ظلّهن مثل النعام
وان قدمهن فيّهن مثل السهوم
ضمّرٍ حمرٍ شواربهن دغام
تسبق العقبان في قطع الحزوم

الحيام: يعني الحائمات من الطيور، عيدهيات وصيعريات من صفات الإبل.

وقال فهد الفويه السبيعي:

شدوا على عوص النضا اليعملات
والقلب عجّات الهوى فارقنه

وقال نمر بن عدوان:

وخلاف ذا ياراكبٍ فوق دربي
عرماس دوٍّ للخلا ما يهابي
مربّعٍ برْعال للفد طربي
من نقرة البلقا لسيح الذيابي

رعال: اسم موضع، للفد: الفد والفديد ضرب من جري الإبل، طربي: يطرب لهذا النوع من الجري.

وقال سعد الضحيك المطيري:

ياراكبٍ عيرات بالدو طفقات
حرايرٍ نزرات ومرمّلات
عامين وسط الريف عوص مواجيف
مرباعهن والصيف متعصويات

متعصويات: متصلبات أو صلاب.

وفضلوا في المطية أن يكون بها بعض المواصفات الإيجابية مثل ابتعاد مرافقها عن زورها ومنها شيب موضع الحقب من كثرة ما يشد عليها وقد عركتها التجربة حتى صلبت وقويت وليس بها عيوب خلقية أو متسببة كالحفا الذي يحتاج إلى رقع وشيب الغوارب. قال غانم بن نغيمش الحبلاني العنزي:

ياراكب اللي ما بزوره شواذيب
ومربّعٍ بين الحفر والزبيره
يا ما دفوفه نهّضن المصاليب
فوقه زهاب وقربته والنجيره



الزبيرة: موضع يناوح لمدينة الحفر، زهاب: زاد المسافر، النجيرة: شداد المطية. وقال سويلم العلي السهلي:

قفّن بنا شيب الغوارب مزاليف
عن دار مجلي الثمان الرهافي
قفّوا عليهن يلعبون الغطاريف
وانا اتعجّب كن ما بي خلافي

وقالت وحيشة المشلحية الشمرية:

الله على حمرا يجي له تجاويب
تجدع يدينه بالخلا تقل زنّاح
حمرا هميمٍ من خيار المناجيب
أكواعها عن لمسها الزور طقّاح
حمرا يلاوي شذب روس العراقيب
أسبق من الشيهان لى شاف ملواح

الزناح: جمع زناحة وهو ما يتدحرج على الأرض. وقال رميح الخمشي العنزي:

ياراكبين أكوار حيلٍ مواجيف
شيب الغوارب والملاكد مجاهيم

الملاكد: أثر موضع عقبي الراكب على جنبي المطية حينما يحثها ويلكزها بعقبه. وقال عمر بن فيصل آل سعود:

ياندييي قم ترحّل بالجواب
فوق حرٍّ ما يجيب الطير جاب
مبعدٍ للزور ملويّ العضود
يعلم الله ما تباريه الركاب

وقال عبدالمحسن بن حمود الهذيلي:

ياراكبٍ حرٍّ وسيع الاباطي
عامين بالضربه ويشرب على راط

الضربه: موضع قرية شمال مدينة الروضة بمنطقة حائل، راط: واد به آبار ومزارع لأهل الروضة يقع إلى الشمال منها. وقال سعد بن صالح الهديرس:

ياراكبٍ حرٍّ صخيف المواطي
من خلقته ما طب للمدن هبّاط

صخيف: ضد عريض أي صغير، هباط: الهبط والهبيط الذين يهبطون للمدن وغيرها. وقال محمد الهبداني:

ياراكبين مقولمات الخفافِ
ما دنّقوا عن الحفا يرقعونه

مقولمات: كأنها صبت في قالب واحد لتساويها في الحجم. وقال الغنامي:

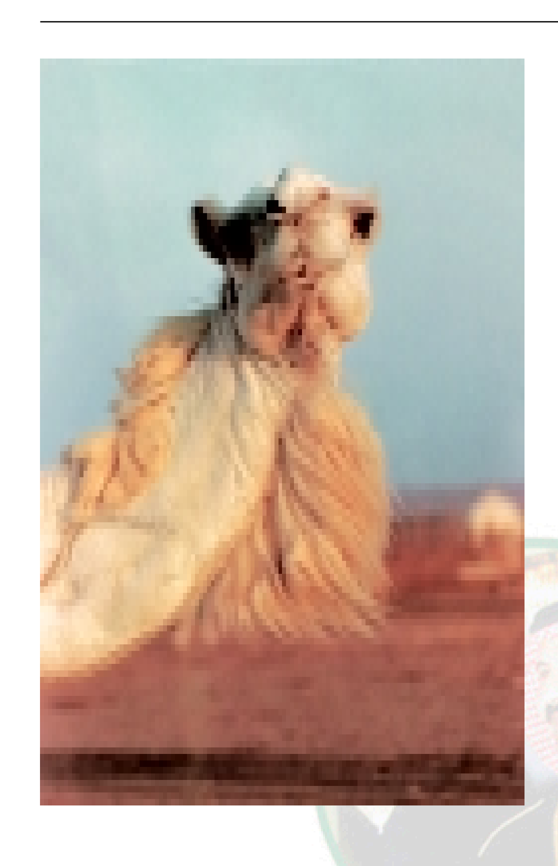
ياراكبٍ من فوق دمث الحصيره
ما رقعوا في خفها بالجواذيب

الجواذيب: هي المخاريز التي تُجذب بها السيور التي تشد الرقعة إلى خف المطية وقيل هي المخيط الذي يخاط به. وقال علي بن محمد الفهيد:

ياراكبٍ من عندنا فوق مطواع
يشبه لدلوٍ مع شفا البير زلّ
ما قلّبوا خفّه بسيرٍ ومرقاع
يشدى لدانوقٍ بموجٍ مولّي

الدانوق: نوع من القوارب البحرية والنهرية. وفضلوا في المطية أن تكون





زاهية بالدلال الذي يوضع عليها من خرج وسفايف ودويرع وغيره؛ قال الشاعر فرحان بن دابس التميمي:

ياراكبٍ من فوق حرٍّ نشرنا
حرٍّ يجوز اليوم للمطرشانا
عليه من دل العقيلي نشرنا
عليه من يوصل جوابي عدانا

المطرشاني: كثير الأسفار. وقال علي بن سعد الزرقا:

يركب على حمرا بنا تهذل اهذال
من فوقها واحلو حس الحداوي
قطم الفخوذ اللي بنا تقطع اللال
مامونةٍ خرجه صخيف حساوي

الإهذال: نوع من جري الإبل. وقال نصار العازمي:

ياراكبٍ من عندنا فوق مذعار
سفايفه مثل اللواليح تومي

اللواليح: الأشياء المعلقة. وقال فرّاج بن ريفه القحطاني:

ياراكب ثنتين عوصٍ تبارى
تلفح سفايفها وفيها خنانيق

خنانيق: عثاكيل تعلق على رسن المطية تحت لحييها تتدلى إلى الأرض لغرض الزينة. وقال عبدالله بن فرحان القضاعي:

كالديدحانه يوم تنظر دلاله
لى شاف وصفه مولع الهجن يهتال

الديدحانه: عشبة ربيعية لها أزهار حمر زاهية، يهتال: يندهش. وقال مشعان بن هذال:

ياراكبٍ حر به الجري يزداد
ومن الميارك شابياتٍ متونه

وصوروا الخلوج تصويراً جيداً من واقع المشاهدة والمعايشة الفعلية؛ قال سويلم العلي السهلي:

كني خلوجٍ يوم صفق الرعايا
تحن بالمفلى لما روّحنّي
على ولدها كيف سوّت سوايا
طبايعٍ ما ظنّتي يعملني



ساجـت وراجت ما لقـت له حلايـا
خِـرْشت ونـشّت والـقوايم جـثـني
تِـصِنّ مـثل الـلـي يوصّـي وصايـا
تـبي لـعل سـمـوعهـا يـسمـعنـي
لاجـت وشافـت بالـنواظـر هفـايـا
حـوايمٍ عـلــى مـداسـه هـفـنـي
جـتهـن وشافـت بس نـثر الحـوايـا
وجـلده ومـدراج الحـمر يـوم ثِـني
عرفـت وشافـت من لحـومه شـوايا
تاقـت بطـيحـه والضـلـوع اعولـني
والـدود ما بـين الـضـلوع الحـنـايا
قـطّع عـلايـق قلـبـهـا واصـرمـني

المفـلى: المـرعى، خـرشت: مـن الخراش وهو ضرب من الجنون، نشّت: ذبلت، تصـن: تصغي، هفايا: طـيور تجتمع حول الجيفة مثل النسور والرخم.

وقال جري الجنوبي:

ردت تجاوبـني مـن الهجـن عرمـس
تحـن وانا احـسـب البـعـير هـبيـل

هبيـل: من الهبـل والهبال. وقال عادي بن محمد الرمالي:

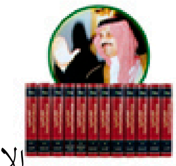
يامـن لقـلبٍ مـن حنـين الخلوجـي
بكـيت انا وارقيـت روس المشاريـف
يـابكـرتي هـذي سـواياي عـوجـي
والله ما الومـك لو دموعك ذواريف
علـمك بشـوفه عقـب حط الخروج
غدوا بـه اللـي كالـسبـاع المزاهيـف

المشاريـف: المرتفعـات، ذواريف: سواكب، المـزاهيف: السـباع المندفـعة الشرهة.

عشق البدوي الناقة الفتية الجميلـة، وتغنى بها وحلم بامتلاكها وتمناها، وقال في جمالـها وسرعتها ووصفـها الشعر الجمـيل الذي أصبح أغنـيات شجـية مشهورة يرددها النـاس من بدو وحضر في حِلِّهم وترحالهم. ومـن هذا الشعر الشعبي الجميل المغنى للـشاعر فراج بن ريفه الـقرقاح القـحطاني هذه الأغـنية الشعبية، غناها المرحوم مطلق الذيابي:

يالله انـا طالـبك حمـرا هوى بـالي
لـى روّح الجيـش طقّـاحٍ جنـايبـهـا
لا روّح الجيش حاديه اشـهب اللالي
ما هي تـروّح وسيعٍ صدر صـاحبها
اللي عـلى كورها والـلي بالاحبالـي
واللـي على المـردفه واللـي بغاربـها
لى روّحت مع سراهـيد الخلا الخالي
كن الـذيابـه تنـهّش مـن جوانـبهـا

ووصفوا حبهم للإبل وافتداءهم أياها بأرواحهم فقال الشاعر ابن سعيمان من آل سعد من قحطان وقد ورد بالإبل مع صاحب له، وبعد أن أسقوا الإبل أغار عليهم قوم فحصلت معركة بين الطرفين استبسل فيها هو وصاحـبه حتى أصابوا المغيرين وردوهم:



كلهّ لعينا اللي تجر حنينها
وسط المعوثه ضيّعت حيرانها
وكله لعينا اللي بهولٍ شقّها
حليبها يصفق على سيقانها
وكله لعينا الفاطر ام شْماله
اللي تبشّر بالشبب ضيفانها
وكله لعينا الحايل اخت ام الفحل
كبيرة الجمهاة بين اذانها
وكله لعينا البكرة العمليّه
رديفها ما مَلّ من حجبانها
وكله لعينا اللي دقيقٍ حسها
وتنشّد الطرشان عن خلانها
وانا عبيد البل وانا عبدٍ لها
والبل لها شان وانا من شانها
البل لى جا العيد عيدى عندها
يوم العذارا نسّفت غطيانها

وشبهوا ردفي المرأة بفلقتي شط السنام بياضاً وانتصاباً وغضاضة وليونة وصلابة في آن واحد؛ قال خلف أبو زويد:

الردف شط محيّلٍ له على ضير
أمه جضور وراعيه ما ينوشه

محيل: مكث حولاً وهو يرضع، ينوشه: يلمسها لْيحلبها. وقال أيضاً:

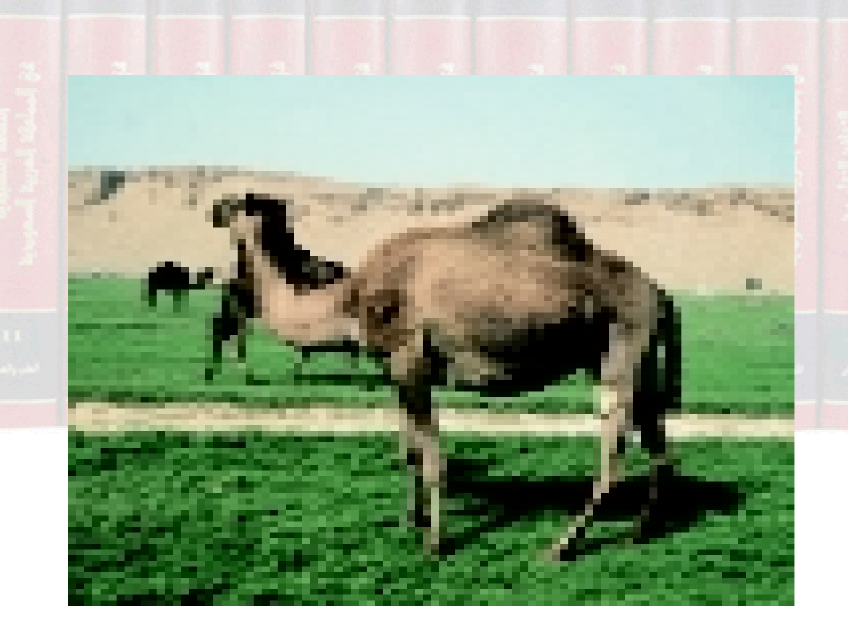
والردف شط حويّرٍ ما يردّ
غاذيه شاويٍّ كثير التخاضيض

التخاضيض: حلب اللبن وخضه.

وقال عبدالرحمن بن ناصر الحيدان:

الردف شط اللي هَلِه ما سطوا به
بس العساف ورملةٍ للمغازي

وصوّروا رحيل البدو على الإبل بلوحات فنية جيدة لا يدركها إلا من رأى مثل هذا المنظر؛ قال فهيد بن عويد المجماج:





لا والـلـه الا شـدّوا البـدو نِـجّـاع
كـل هـدم مـبـنـاه واشـتـد زمـلـه
شـدوا ودنّوا لـلحْـنِـيّ كل مـطـواع
كل أشقـحٍ يعجبـك لى شال حملـه
أقـفوا كـمـا مـزنٍ نثـر مـاه وانـزاع
بـرقه يـرفـرف والـسدا يـرتـدم لـه

السدا: الغيم الرقيق الذي تتراكم عليه المزن، ثم يتكون منـها السحاب. وهذا المقطع شاهدٌ على أن الحنـي هو مركب الفتاة الجميلة وقت الحروب. وقال سويلم بن علي السهلي:

الـبدوا شـالـوا نوّهـوا بـالمـراحيـل
كـلٍّ ركـض للـزمـل شِلاه تومـي
حَدٍ يـخِمّ الـعلـق يخطيه ويـشيـل
وحَـد تقـلّـل ما بـقـى له لـزومـي
وشالـوا وقفّـن الظـعايـن زعاجـيل
وشـقّوا وهـقّوا واتّـقـوا بالحـزومي

شلاه: جمع شليل وهو أسفل الثوب والعبـاءة مما يلي الـقدمين، زعاجـيل: صفوف ومجموعات، شفوا: بلغوا شفا الأرض وهو رأس المرتفع، هفوا: ذهبوا بعيدا، اتقوا: اختفوا.

ووصفوا الإبل بقوة التحمل والصبر؛ قال مقحم الصقري العنزي مُشبِّهاً بعض الرجال بالإبل:

خطـو الولد مـثل الـبليـهي ليـا ثار
إن كـبّـروا حمـلـه تـزايـد زفيـفـه
يشـدا هديب الـشام حمّـال الاقطار
زودٍ علـى حملـه نقل حـمل الـيفه

هديب الشام: جمل مشهور بالقوة حيث يوصل الأحمال الثقيلة إلى الشام.

وقال محدى الهبداني:

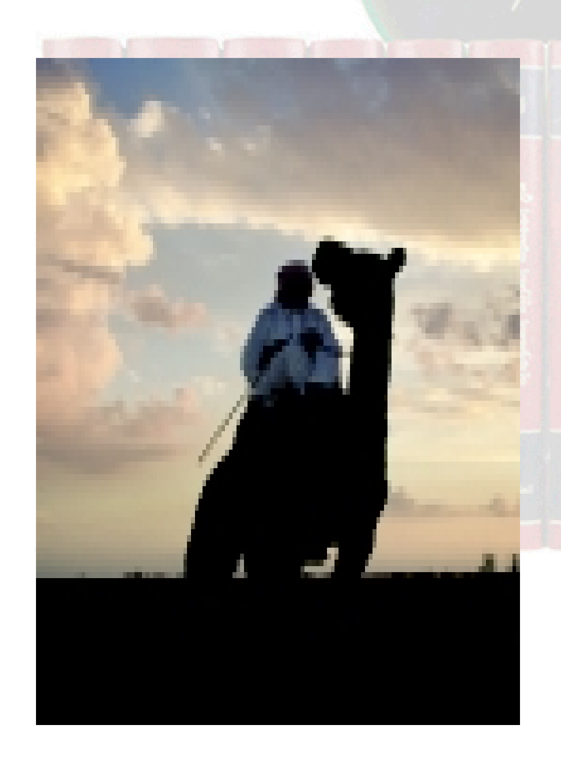
ياشـيخ لو شـال الجمل مثـل ما بي
أزرى بلـيهـيّ الرحايـل عن الشـيل

ووصف الشعراء ريق المحبوبة بحليب الناقة البكر؛ قال راشد الخلاوي:

ألـذ مـن در المـبـاكـيـر بـالـشـتـا
لى جتك مـن بعض الرياض تْحاش

تحاش: يؤتى بها. وقال شاعر آخر:

ريـق الحـبـيّـب حـلـيـب الـنـوق
مـن مـشّـة الـزور لـى جـانـي





وقال آخر:

ريـق الحبـيّـب در عـربٍ مبـاهـيل

لى روّحـن من خايـعٍ غب الأمطـار

مباهيل: جمع مبهل وهي الناقة تدر بلبنها. وقال هويشل بن عبدالله الهويشل:

هرجتـه در بكرٍ سلـهمت للـعطيف

أو تمـر حلـوةٍ مـا صبّـرت للـعدام

صبرت: كنزت. وقال مـحسن بن عثمان الهزاني:

له ريـق احلـى من حـليـب الجزالا

واحلى من السكر لـيا جا من الشرق

ولم يغفل الشعراء بعير المرأة الخاص بهـا وغالبـاً ما يـكون لونـه أوضح أو (أشقح)؛ قال الشاعر بصري الوضيحي الشمري:

دنّوا لـهـا مـن زمل ابـوها مـضنّـه

اشقـح يداني خطـوته يـوم ناضـي

يـاشوف عـيـنـي والخدم يـركـبـنه

ركبَـه عليـه تْـشِنْـطِحٍ بـاعتـراضي

تشنطح: التشنطح جلسة مسترخية بين الجلـوس والاستلـقاء على الـظهر والاتكاء عـلى فراش وثير، اعتـراض: ليست على استقامة الهـودج ومثل هذه الجلسة للمترفات من النساء والمترفين من الرجال. وقال مشعان بن هذال:

على اشقحٍ خـلف السلف والمظاهير

يـتلـي قـطيـعٍ مـغـترٍ مـثـل لونـه

ونختـم هذه النمـاذج من الأشعار بقصيدة للشاعر سـالم بن فهيد الحايف المري عن الإبل تقول:

يـازينـهـا تـرعـى نبـات في الـشـتا

وسـمٍ قـديم وجـاه ولـيٍ تـالـي

لا فرّعـت بالصـيف ما ازين لـونها

تلـبس جـديدٍ قـد رمت لاسْمالـي

ثـم جـنّبـت لـدْيـارهـا مرجـوعـه

مـا شـافت الـشـاوي ولا عـمّالـي

بـاقصـى جوافـير مـنابـتهـا الـزهر

وعـنـقـودها مـثـل الـدلـي مِـيّـال

نـرعـاه بسـودٍ ضـايمـتهـا ديـودهـا

عـطيـفهـا يلـحق عـلى لاوْشالـي

كنـها بـتفـحّط يـوم جات حـوارها

والـكل مـنهـن يـحترى لابْـهالـي

حـوارهـا لا ردّ مـا يـبـغـيـهـا

مـن اللـبن وامـه يجـيـها جْـفالـي

كـودٍ عـلـى حـلابـهـا مـاعـونـه

تمـلا الـقـدح لاوّل وتمـلا الـتـالـي

ويـازين بـالجـيّان جـرّت حوضـهـا

تـنـحى مـن المـا مـن فـروع الجال

لـى دكّت المـعـطـان طار غـبـارها

مْـعَـسْكَـرٍ مـع الـهـوى ينـجـالـي

من قـربهـا يسـمع رغـا حشـوانهـا

مـا عاد يـسقـط لـلشـراب نـهالـي

وتـشوف راعـيهـا يـقرقـع حوضـه

يـاتـيـه مـع الـبـل خـفـّةٍ وهـبال



لـى فرّغـت خطـوات ملـحا فـيهـا
يـازين مـن فـوق الكـتـوف حبـال
ترخـى الشقـاق اللـى يوالى امّـاتها
وتـردع كمـا الـلى يـردع الهـيّـالي
كـن ديدهـا المصباح بـين اثفـانـها
وان دبّـرت لـكـنـه جـثـي دلالـي
يازيـن جيـبان الـقدح مـن صوبـها
فـي ربـعــةٍ فـيـهـا ذرى وظــلال
فـرحٍ بهـا مـن يوم ثـوّر مـن هـله
هـو مــا درى انـه زالـه الـزوالــي
حـفيـفنـا ما حـن بـنصـخيـها لـه
جـعـله افـدا لابـكـارهـا لاجْهـال

هــذى حلايـبـنا ولا نــسـخى بــهــا
يــوم الــردى عنده لـبـنـهـا غـالـي
وحــوارهــا يذبـح عــلـى ماجـوبـه
لـلمـنـكف الـلي قـد زهابـه خالـي
والا رفـيـقٍ مـبـطـى مـن جـيـنـا
مـــن بـعـــد داره جـايـنـا نــزال
وريـــثـــةٍ لجـــدودنـا قـــدّامـــنــا
ويـاما خـسـرنا دونـهـا من غـالـي
ولـيا عـقلـنا طـوعـها وصْعوبـها
وتـقلـط جْمـوعٍ تعـجز الـعـكّالـي
ولـيا مـشت مـا ردّهـا اللـي توّهـا
ضـوٍّ تـوقّـد فـي هـبـوب شـمـال





المصادر

الأحيوي، راشد بن حمدان

١٤١٣/١٩٩٣ سمات الإبل عند العرب. مجلة العرب س٢٨. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض. ص ص١١٨-١٣٠.

١٤١٤/١٩٩٤ معجم سمات العرب القديمة. مجلة العرب س٢٨. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض. ص ص٧٦-٨٩.

باسماعيل، سعيد محمد

١٤١٠/١٩٩٠ إنتاج الإبل. مجلة العلوم والتقنية. عدد ١١. مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، الرياض. ص ص٨-١٢.

١٤٠٧/١٩٨٧ أهم أمراض الإبل والعناية بها. الحرس الوطني، الرياض.

البلادي، عاتق بن غيث

١٤٠٢/١٩٨٢ الأدب الشعبي في الحجاز. دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع. مكة المكرمة.

بلانت، آن

١٣٨٩/١٩٦٩ رحلة إلى بلاد نجد. ترجمة محمد أنعم غالب. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري

١٣٥٧/١٩٣٨ فقه اللغة وأسرار العربية. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب

١٣٦٣/١٩٤٤ الحيوان. دار الجيل، بيروت.

جريدة الشرق الأوسط

١٤١٠/١٩٩٠ إكثار الهجن بواسطة التلقيح الصناعي. جريدة الشرق الأوسط، العدد ٤١٥٨. ص٢٢.

الجنيدل، سعد عبدالله

١٤٠٠/١٩٨٠ بين الغزل والهزل، مجموعة من شعر الشاعر هويشل بن

عبدالله بن هويشل، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، إدارة الثقافة، الرياض.

١٤٠١/ ١٩٨١ من أعلام الأدب الشعبي، شعراء العالية. جمعية الثقافة والفنون، الرياض.

١٤٠٨/ ١٩٨٨ الساني والسانية. المهرجان الوطني للتراث والثقافة الرابع، الرياض.

الجهيمان، عبد الكريم عبد العزيز

١٣٩٩/ ١٩٧٩ الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب. دار أشبال العرب، الرياض.

الجودي، صالح غازي

١٤١٥/ ١٩٩٥ وسم الإبل عند بعض القبائل. مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض.

الحبردي، محمد علي

١٤٠٩/ ١٩٨٩ الإبل. دار الحبردي للنشر والتوزيع، الخبر، المملكة العربية السعودية.

الحتي، حنا نصر

١٤١٠/ ١٩٩٠ الإبل العربية الأصيلة. جروس بيرس، طرابلس، لبنان.

حسين، منصور فارس

١٤٠٧/ ١٩٨٧ أهم أمراض الإبل والعناية بها. الحرس الوطني، الرياض.

حميدان، عدنان أحمد

د.ت الإبل بالمنطقة العربية. دار الراتب الجامعية، بيروت.

ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد

١٣٢٠/ ١٩٠٢ مقدمة ابن خلدون. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

الدمياطي، شرف الدين أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف

١٣٨٥/ ١٩٦٥ فضل الخيل. المطبعة العلمية، حلب، سوريا.



الدميري، كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى
١٤١٦/ ١٩٩٥ حياة الحيوان الكبرى. دار إحياء التراث الإسلامي العـربي، بيروت.

الربعي، أبو محمد عيسى بن إبراهيم بن محمد
١٤٠٠/ ١٩٨٠ نظام الغريب في اللغة. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

الرضوان، كارل
١٤١٨/١٩٩٨ الخيام السود في بلاد العرب. دار قتيبة. بيروت.

مرضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن الرزاق بن الحسين
د.ت. تاج العروس من جواهر القاموس. القاهرة (مطبعة الجزيرة).

الزركلي، خير الدين
١٣٩٨/١٩٧٨ ما رأيت وما سمعت. مكتبة المعارف. الطائف.

سلمان، هداية درويش
١٤١٣/١٩٩٣ قديمنا الذي يتجدد، الجنادرية وقفة مع أصالة الماضـي وعبق التراث. جريدة الرياض، العدد ٩٠٢٤. ص١١.

السمان، محمد أبو بكر بن ابراهيم
١٤٠٩/١٩٨٩ الطبيعة الكروموسومية للجمل العربي. رسالة ماجستير.

سوسه، أحمد
د.ت. العرب واليهود في التأريخ. العربي للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.

السويداء، عبد الرحمن بن زيد
١٤٠٣/ ١٩٨٣ نجد في الأمس القريب. دار العلوم للطباعة والنشر. الرياض.
١٤٠٦/ ١٩٨٦ جذوع وفروع. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.
١٤٠٧/ ١٩٨٧ فصيح العامي في شمال نجد. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.
١٤٠٨/ ١٩٨٨ الألف سنة الـغامضة في تاريـخ نجد. دار السويداء للنـشر والتوزيع، الرياض.

١٤٠٨/١٩٨٨ من شعراء الجبل العاميين. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.
١٤١٠/ ١٩٩٠ القهوة العربية وما قيل فيها من الشعر. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.
١٤١٢/١٩٩١ وقع وصدى. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.
١٤١٣/١٩٩٣ فتافيت من المواقف والطرائف والتنكيت. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.
١٤١٣/١٩٩٣ النخلة العربية. دار السويداء للنشر والتوزيع. الرياض.
١٤١٦/١٩٩٦ عقيلات الجبل. النادي الأدبي بحائل، حائل (السعودية).

أبو سويلم، أنور عليان
١٤٠٣/١٩٨٣ الإبل في الشعر الجاهلي. دراسة في ضوء الميثولوجيا والنقد الحديث. دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

السيد، أحمد لطفي
١٣٥٤/ ١٩٣٥ العليقات. دار الكتب المصرية، القاهرة.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي
د.ت. المخصص. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

الشراري، سليمان الأفنس
١٤١٢/١٩٩١ الإبل. طبرجل، المملكة العربية السعودية.

شكر، شاكر هادي
١٤٠٥/ ١٩٨٥ الحيوان في الأدب العربي. مكتبة النهضة العربية، بيروت.

الصانع، محمد بن عبدالله
١٤٠٤/ ١٩٨٤ الإبل العربية. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مطابع الرسالة، الكويت.

الصويان، سعد عبدالله
١٤٠٨/١٩٨٨ حداء الخيل. الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الرياض.



الضبيب، أحمد محمد

د.ت. على مرافىء التراث. دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

العبودي، محمد ناصر

١٣٩٩/ ١٩٧٩ الأمثال العامية في نجد. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

العتيبي، إبراهيم بن عويض الثعلبي

١٤١٢/ ١٩٩٢ تنظيمات الدولة في عهد عبد العزيز. رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.

العزيزي، روكس بن زايد

١٤٠٤/ ١٩٨٤ معلمة التراث الأردني. وزارة الثقافة والشباب، عمان.

علي، جواد

١٣٨٨/ ١٩٦٨ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين، بيروت.

قدامة، أحمد

١٤٠١/ ١٩٨١ قاموس الغذاء والتداوي بالنبات. دار النفائس، بيروت.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم

١٣٩٦/ ١٩٧٦ عيون الأخبار. دار الكتب العلمية، بيروت.

القلقشندي، أحمد بن علي

١٤٠٧/ ١٩٨٧ صبح الأعشى في صناعة الإنشا. دار الكتب العلمية، بيروت.

القويعي، محمد عبد العزيز بن علي

١٤٠٢/ ١٩٨٢ تراث الأجداد. دراسات لجوانب مختلفة من تاريخ مأثوراتنا الشعبية. مطابع البادية للأوفست، الرياض.

١٤٠٤/ ١٩٨٤ تراث الأجداد. دراسات لجوانب مختلفة من تاريخ مأثوراتنا الشعبية. مطابع المجد التجارية، الرياض.



محمود وغندور، محمد الجوهري، أحمد محمد غندور
١٤٠٥/ ١٩٨٥ الجمل العربي. دار عكاظ للطباعة والنشر، الرياض.

المسلم، إبراهيم
١٤٠٥/ ١٩٨٥ العقيلات. دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم
١٤٠١/ ١٩٨١ لسان العرب. دار المعارف، القاهرة.

موسى، حسين يوسف وعبد الفتاح الصعيدي
د.ت الإفصاح في فقه اللغة. دار الفكر العربي، بيروت.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن أحمد النيسابوري
١٣٩٣/ ١٩٧٣ مجمع الأمثال. دار الفكر، بيروت.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحازمي
١٤٠٢/ ١٩٨٢ رياض الصالحين. تحقيق قلعجي عبدالمعطي وجعفر حمدان. دار الغد العربي القاهرة.

الهواوي، عبد الرحمن بن سعود
١٤١٢/ ١٩٩١ الجمل العربي بين العلم والتراث. إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، مطابع الحرس الوطني، الرياض.

الهويمل، صالح
١٤١٤/ ١٩٩٣ عقيلات جديدة. رحلة غيرت مسارها وأهدافها. جريدة الرياض. عدد ٨٩٧٣. ص١١.

وبستر، روجر
١٤١٠/ ١٩٩٠ «الإبل في أساطير بدو الربع الخالي»، مجلة المأثورات الشعبية، السنة الخامسة، العدد ١٧، الدوحة.

Akhundove, A.A., and others
1972 “Some Results of Treating Pulmonary Tuberculosis Patients with



Antibactrial Preparations Together with “Chal” a product of Camel Milk”. Zdravookhr Turkm. 16: 36-38.

Amoroso, E.C. and others

1947 “Venous Vaivesmn the giraffeokapi, Camel and Ostrich”. Proc. Zool. Soc. London.

Arnautovic, and Abdel Magid

1974 “Anatomy and Mechanism of distension of the dulaa of the one-humped camel”. Acta Anat, 88: 115-124.

Barker, H. M

1972 Camels and Outback. Rigby: Seal books, London.

Bartels, H, P., and others

1963 “Respiratory Functions of Blood of the Yak Ilama, Camel, Dybowskn, Deer and African Elephant”. Amer. J. Physiol. 205: 331-336.

Bohlken, H.

1960 “The stomach and the Systematic Position of the Tylopoda”. Proc. Zool. Soc., London. 134: 204-215.

Bulliet, R.W.

1975 *The camel and the wheet Cambridge*, Mass; Harvard Unive. Press, Harvard.

Charnot, Y

1960 “Repercussion de la deshydration sur la biochimie et l’endocrinologne du dromadaire, Travawx Inst. Sci. Cherifien, Ser”. Zool. 20: 1-167.

1963 “Synchronisme de croissance de le Irxpansion palatale et du testicule au cours du cycle sexuel hez Le dromadaire”. Bull. Soc. Sci. Natur. Phys. Maroc. 43: 44-54.

Dickson. H.R.P

1949 *The Arab of the Desert*. George Allen and Unwin Ltd, London.

Epstein, H.

1971 *The Origin of the domostic animal of Africa*, PP. 545-584. New York, Landon, Munich: African Publishing Co.

Etamadi, A. A.

1966 "Diaphragm and Os diphragmatacum in Lamelus dramedarius" Ara Anat.

Gauthier - Pilters, H. and Dagg, A. I.

1981 "The Camel". The Univ. of Chicago Press Ltd. Chicago and London.

El-Hawawi, A. S. N. and M. S. Al-Yousif

1982 "Spermiogenesis in the one-Humped Camel, Camelus dromedarius". J. Coll. Ssi. King Saud Univ. 13 (2) pp. 545-584, New York, London, Munich: Africon Publishing Co.

Hegazi, A. H.

1950 "The Stomach of the Camel". Brit. Vet. J. 106: 209-213.

Kanan, C. V.

1969-1970 "Thecerebal arteries of cameby Dromedarius". Acta. Anat.

Khan, A. A and I. S. Kohli

1973 "A Note on Collection of Semen From Camel with the Help of An Artificial Vagina". Indian. J. Anim. Sci. 43: 454-455.

Knoess, K. H.

1977 "The Camel as a Meat and Milk Animal". World Anim. Rev. 22: 39-44.

Lee, D. G. and Schmidt-Nielesen, K.

1962 "The Skin. Smeat Glands and Hair Follicles of thecamed (camel us dromedarius)" Anat Record.



MacFarlane, W. V. R. and others

1963 "Turnover and Distribution of Water in Desert Camels, Sheep, Cattle and Kangaroos", Nature 197: 270-271.

Mikesell, M.K.

1955 "Notes on the Diopersal of the Dromadary". Southwestern J. Anthrop 11:231-245.

Musil, Alois,

1928 *The Manners and Customs of the Rwala Bedouins*. C.R. Crane. New-York.

Novoa, C

1970 "Reproduction in Camelidae". J. Reprod. Fertil. 22: 3-20.

Perk. K.

1966 "Osmotic Hemolysis of the Camel's Erythrocytes. a Microcin-Ematographic Study". J. Exp. Zool. 163: 241-246.

Schmidt-Nielsen, K.

1964 *Desert animal, physiological problems of heat and water*. Oxford: Clarendon Press, Oxford.

Sharma, D. P. and others

1973 "Age-Wise and Species- Wise Haematologica Studies in Farm Animals". Indian J. anim. Sci. 43: 289-295.

Siebert, B. D.: and W. V. MacFarlane

1975 "Dehydration in Desert Cattle and Camels Physiol", Zool 48: 36-48.

Walz, R.

1956 "Contrileution to the earlies History of tld-world Came Lidae with speeid consideration of the timing of doms stication (in Bomare) Acta IV Cong". Int. Sci Anthrop. Ethm, Wien, 1959, 3:190-204.

Wilson, R.T.

1984 *The camel*. Longman, London, and New York.